

10 me Année No. 470

Lundi - 6 - 7 - 1942



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



بدل الاشتراك عن سنة

م	
٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر المالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ٦ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

مثل المصرية الحديثة

— ٢ —

قالت السيدة . و ... تفصل ما أجملت من رأيها في معنى لفظ البيت الجديد بأن يكون بيت أسرة ، وفي حقيقة معنى المرأة الجديدة بأن تكون ربة بيت :

قد تكون الزوجة أبصر النساء بفنون الطبخ وشؤون المطبخ وأصول المائدة ، ولكنها تكون أجهلهن بما يجب لمهد الطفل وسرير الزوج ومدفأة الأسرة وبهو الضيوف ، وإذن لا تعدو أن تكون طاهية

وقد تكون الزوجة أقوم على رعاية الطفل والزوج ، وأضبط لحساب الدخل والخرج ، وأحزم في سياسة المال والخدم ، ولكنها تكون عامية الفكر خشنة الجانب مبتذلة الهندام فلا تعدو أن تكون قهرمانة [1]

وقد تكون الزوجة بطبيعتها ولوداً فتتوزعها الآلام والأسقام والشواغل في الحمل والوضع والرضاع والفطام والتربيب والتهذيب والتمريض فلا يبقى من جهدها طاقة للبيت ، ولا من وقتها ساعة للناس ، ولا في قلبها مكانة للزوج ، فلا تعدو أن تكون والدة

وقد تكون الزوجة أجذب أنوثة من كليوبطرة ، وأعذب حديثاً من شهرزاد ، وأفتن رشاقة من بنات هليود ، ولكنها تكون

(١) القهرمانة : مديرة البيت (gouvernante)

خرقاء، لا تجيد العمل ، حمقاء، لا تحسن التدبير ، فلا تعدو أن تكون خليلة

وقد يقتصر مدلول البيت فى ذهن السيدة على غرفة الزينة وقاعة المطالعة وصالون الاستقبال، فهى ترقب الحديث من الثياب، وتقرأ الجديد من الكتب، وتناقش الطريف من الآراء، ولكنها تعيش على هامش الأسرة عيش الترف والظهور والحذلقة، فلا تعدو أن تكون أديبة

وليست المرأة الصالحة لملكوت البيت واحدة من أولئك ، إنما هى هن جميعاً : هى مخلوقة من نوادر الخلق ركبها الله من مجموع ما تشتت من الفضائل فى هؤلاء النسوة ، كما ركب الإغريق « فينوس » من جملة ما تفرق من الجمال فى مختلف الحسان

قال الطبيب الزوج : كأنك يا عزيزتى تنقلين عن نفسك صورة هذه المرأة . وأقسم لقد تملت فى بعض بلاد أوربا وتقلبت فى بعضها الآخر فلم أر صاحبة بيت تفوقك فيما سردت من مزايا الزوجة الصالحة

فقالت الزوجة : قد يكون فى شهادة الزوج لزوجه بعض الهوى الذى يميل ميزان الحكم ، أو بعض الرضا الذى يُزيغ بصر الناقد

قال المحامى : ربما كان الهوى والرضا من شوائب الحكم فى غير الزوج ! فإن الغالب أن يُتهم الزوجان بعد طول العشرة ، ودوام الخبرة ، وسأم الخلاط ، بقسوة العدل أو برقة الظلم فى حكم أحدهما على الآخر . على أن صديقنا الدكتور لم يعدُ ما فى نفوسنا جميعاً ؛ وإنما المسألة الصريحة التى تطلب الجواب الصريح هى أننى عرفت من النساء من هن أوسع ثقافة وأرفع بيئة وأضخم ثروة وأكرم أسرة، ولكننى لم أجد فيهن ما وجدت فيك من خلال الزوجة المرجوة التى تجمع حنان الأم وإخلاص الزوجة وبراعة القهرمانة ومهارة الطاهية وأناقة الحبيبة وثقافة الأديبة . فإذا لم تكن الثقافة أو البيئة أو الثروة أو الأسرة هى التى تكوّن الفتاة على هذه المزايا فمن ترينه يكون ؟

فقالت السيدة : إن الأغلب فى هذا الضرب من النساء أن يكون وليد الفطرة وربيب الطبيعة . وهو يكثر حيث يشتد التماسك ويقوى التضامن فى الأسرة ؛ لذلك تراه فى القرى أكثر منه فى المدن ، وبين العامة أظهر منه بين الخاصة . وما دامت القسمة الطبيعية قائمة بين الشريكين الدائبين على أن يكون للزوجة البيت وللزوج ما وراءه ، فإن هذه الخصائص الفطرية تنشأ فى المرأة بحكم الضرورة ، وتقوى بفعل المران ، وتحكم بسلطان العادة . وليس التعليم والتمدين إلا ثقافاً وصقالاً لهذه الخصائص يقومانها ويرفعانها إلى المستوى الذى بلغه المجتمع . فإذا وجدت امرأة تجردت من هذه الشمائل كلها أو بعضها ، فلا تشك فى أن طبيعة الأنوثة فيها قد فسدت لسبب من الأسباب ، فغدت من شواذ الخلق كالجمل المستنوق أو الناقة المستجملة

قال الفلاح : لقد كنت أتمثل فى ذهنى المرأة القروية حينما كنت تصفين ربة البيت . ولكنى لم أستطع إقحامها فى الحديث لأنها فى رأى الجمهور عنوان الجهالة حتى سمعتك تقررين أن الزوجة الصالحة تكثر فى القرية . والحق الذى يؤيده العيان أن الفلاحة تقوم على شئون البيت، وتنهض بأمور الأسرة، على النهج الأعلى الذى رسمتِه فى قولك واتبعتِه فى فعلك . والفرق بين القروية والمدنية هو الفرق بين بيت وبيت ، وبيئة وبيئة ، وحياة وحياة . وتجانس العقلية فى المجتمع القروى يجعل مكان المرأة فيه أرفع ، وسلطانها عليه أوسع ، لتميزها عن الرجل فى قوة النشاط ولطف الحيلة ويقظة الرأى

فقالت السيدة : ذلك يؤيد ما قلت من أن ربة البيت هى من صنع الضرورة والطبيعة ، لا من صنع المدرسة والبيئة ؛ والضرورة هى وجود البيت ، والطبيعة هى توزيع العمل على حسب الاستعداد والقدرة . ولا أعنى بالبيت المسكن ، وإنما أعنى به الأسرة . وللأسرة فى النظام الاجتماعى مفهوم قلما يتضح فى أكثر النفوس ؛ فلا تظنوا أن قصور الخاصة بيوت تسكنها أسر ، إنما هى فنادق ينزلها أفراد . فللزوجين والأولاد غرف لا يدخلونها إلا وقت النوم ، ومائدة لا يرونها إلا ساعة الأكل ، وصالون لا يزورونه إلا يوم الاستقبال، ومرافق لا يعرفونها إلا عند الحاجة . أما القصر وما فيه ومن فيه ففى ذمة القهارمة والخدم . ومن المحال أن ينشأ فى مثل هذه الجماعة المنتثرة سيدة تصلح لبيت ، أو آنسة تصلح لزوج ، وفى اعتقادى أن الكتّاب الذين يعادون المرأة المصرية بين رجلين : رجل أحبها ويريد بعدائها أن تتحدث عنه فهو خادع ، ورجل كرهها لأنه عرفها فى البيئات الممسوخة فهو مخدوع .

أحمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

أزمة المجلات الأدبية — خطر العلانية على الأدب الصحيح — أين الأمة العربية — خطاب جميل — الجيش المرابط فى الميادين الفكرية

أزمة المجلات الأدبية

إنشاء مجلة فى مصر أو فى غير مصر عمل لا يعرفه إلا من يعانيه ، وتزيد متاعب هذا العمل إذا أريد أن تكون المجلة مقصورة على الأدب الصِّرف ، بحيث لا تكون لها موارد غير عواطف القراء ، والقارئ لا يدفع قرشاً فى مجلة أدبية إلا إذا وثق بأنه من الناعمين ، ولا تظفر المجلة بثقة القارئ إلا بعد جهود تفر من حملها الجبال

وقد كنت فيما سلف من الأيام أثنى على حصافة الأستاذ الزيات ، كنت أقول إن العقل هداه إلى أن الضمير المصرى لا بدَّ له من مجلة لا تهتم بغير الأدب الصِّرف ، ولا تقبل مواجهة الجمهور بغير الفِكر المُشرق فى الأسلوب الجميل

ثم جدَّت شواهد أقنعتنى بأن روح التضحية هو الأصل فى إنشاء المجلة الأدبية ، وإن كان الله عزَّ شأنه تفضّل بجعل « الرسالة » مصدر خير لصديقنا الزيات ، فقد قيل — ولله الحمد — إنها صيرته من الأغنياء بدليل سيطرته على بعض الشواطئ من « بحر شبين » وهو النهر الذى يسقى سنتريس !

فيا ساكنى أكناف دجلة كلكم
إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى
إليكم تلقَّى طيبكم فيطيبُ

ومع هذا فأنا أشعر بقيمة التضحية حين أكتفى بالكتابة فى الشؤون الأدبية ، ولتفصيل هذه اللمحة أذكر النكتة الآتية :

فلانٌ رجلٌ كريمٌ جداً ، وهو حين يرانى يطيب له أن يحيينى فيقول : « لقد قرأت مقالك فى مجلة الرسالة »

ولكن هذا الرجل الكريم لا يُلقى هذه التحية إلا بلهجة التصدّق !

فهل يكون الحال كذلك لو كنت أكتب فى الشؤون السياسية وأستبيح إيذاء الناس بغير حساب ، كما يصنع بعض الكتاب السياسيين ؟

الصحافة الأدبية مسيَّرة بالضمير الأدبى ، وهو يأبى على أصحابه أن يتزيدوا على الناس طاعة للأهواء ، أو طاعة للأحزاب ، فما خوف الناس منا ونحن لا نملك غير الصدق ، ولا نصاول حين نصاول إلا فى حدود الأدب والذوق ؟

المجلة السياسية تصل إلى أيدى الوزراء قبل أن تصل إلى أيدى الجمهور ، لأن الوزراء يحبون أن يعرفوا ما يقال فيهم بحق أو بغير حق ، فهل تَلقَى منهم المجلة الأدبية بعض هذا الاهتمام الطريف ؟ وكيف وهُم من ظُلم المجلات الأدبية فى أمان ؟

ثم أثب إلى الغرض من هذه الكلمة فأقول :

أين معالى وزير التموين ؟

لقد قرأت خطبته فى الرد على الاستجواب المعروف ، فرأيته تحدث عن جميع ضروب التموين ، إلا الورق ، ورق المجلات الأدبية ، أما ورق الجرائد اليومية والمجلات السياسية فالمفهوم بداهة أن الحكومة ستعرف ما تصنع إذا بخل به صنائع الجشع من الوراقين !

أنا لا أعرف وزير التموين معرفة شخصية حتى أحكم له أو عليه ، ولكنى أعرفه معرفة معنوية ، وهذه المعرفة توجب أن أذكره بالواجب فى رعاية أقوات العقول والأفهام والقلوب ، فمن العقوق لمصر أن يقال إنها لم تُمتحن إلا بأزمة الرغيف ، مع أن مصر أقدم أمة كان أكبر زادها العلم والأدب والبيان

أكتب هذا وأنا أخشى أن يقال بعد أسابيع : إن مجلة (الرسالة) عجزت عن الوصول إلى قُوتها من الورق ... وأى قوت ؟ ومن يعرف أن مجلة (الرسالة) لا تملك تزويد الأسواق الأدبية بما تحتاج إليه تلك الأسواق ؟ من يعرف أن التضامن الصحفى أصبح فى حكم العدم ، وأن من العسير أن تقول أية مجلة : إن من حقها أن تعتمد على أريحية « نقيب الصحفيين » ، وعنده فيما سمعت أكبر كمية من الورق المخزون ؟

إن مجلة مثل (الرسالة) تقدم للجمهور شواغل نبيلة بالحديث عن العلوم والآداب والفنون ، ولو التفتت الحكومة لأدركت

> **أعداد الرسالة الخاصة**
>
> فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

أن انتشار مثل هذه المجلة يربحها كثيراً — أو قليلاً — من شيوع الأكاذيب والأراجيف ، فهل من الإسراف أن نطالب الحكومة بإعانة أمثال هذه المجلة على الظفر بحاجتها من الورق ، لتنهض الحجة على أن متاعب هذه الأيام لا تنسى الحكومة واجبها في رعاية الأذواق والعقول ؟

سأنظر كيف يجيب وزير التموين ، إن تفضل بالجواب ؟

خطر العلانية على الأدب الصحيح

من الآفات التي تعوق الأدب في هذا العصر أن الكتاب والشعراء لا يصبرون على طيّ ما يكتبون وما ينظمون ، وإنما يبادرون إلى النشر في الجرائد والمجلات ، ثم تكون النتيجة أن يضطروا إلى مراعاة الجماهير المختلفة في أكثر الشؤون ، فيخلو أدبهم من الصراحة، ويغلب عليهم ما يشبه الرياء من أمراض الكتمان

أمّ المصاعب التي يعانيها الأدب أنه صار من الوسائل الشريفة لكسب الرزق الحلال ، ومن الخير للأدب أنْ صار كذلك ، ليعرف من لم يكن يعرف أن القلم نعمة من النعم السوابغ ، وأنه خليقٌ بأن يفتح لحسبيه كرائم الآفاق

ولكن من الشر للأدب أنْ صار كذلك ، فقد أصبح أهله أسارى للمجتمع من قُرب أو من بُعد ، وأصبح من المحتوم أن يراعوا طوائف من الرقباء ، بغض النظر عن الرقيب الذي تفرضه أيام الحرب ، لأنه رقيبٌ لطيف ، لا يثور إلا في أندر الأحايين ؛ وأنا بهذا الكلام أترضّاه ليتغافل عني تغافل الكرماء قصّر الله عمر الحرب لأشفي غليلي من ذلك الرقيب اللطيف ! !

الرقباء الحقيقيون هم القرّاء ، ومداراة القارئ مرضٌ قديم في الصحافة المصرية ، وتلك المداراة هي علة العلل في جسم الأدب الحديث ، ونحن نحارب هذه العلة بلا هوادة ، ولكن في حدود يغلب فيها الترفق ، ومعنى ذلك أننا شجعان جبناء ، والعياذ بالذوق!

تلك الدنانير التي يجود بها الأدب على أصحابه ستحرم الأدب أعظم صفاته من الصراحة والصدق ، وقد تورثه عقابيل يعز منها الشفاء

وهنالك علةٌ أخطر وأفظع ، هي علة الأديب الموظف : فالعُرف في الشرق لا يعترف بتعدد الشخصيات للرجل الواحد ، ولا يسوغ في ذهن هذا العُرف البليد أن يكون للرجل شخصية حين يباشر عمله الرسمي في الديوان ، وشخصيات حين يخلو إلى القلم ، إن كان من رجال البيان

وأعجب العجب أن يرائي هذا العُرف نفسه بلا تأثم ولا تحرّج ، فهو يشتهي أن تكون في الدنيا أقلام تحدثه عن سرائره المطوية ، وهو مع ذلك يكره أن يكون هذا الفضل من نصيب هذا الكاتب أو ذاك ، وذلك عُرف الجمهور الذي نداريه كارهين ، ولم يبق من البلايا إلا أن نتقي شر من نخدمهم بنزاهة وإخلاص ... وعند الله ، عند الله وحده الجزاء !

أقول هذا وقد مزّقت خمسة أحاديث قبل هذا الحديث ، فقد تحدثت فيها عن أشياء لا يجوز نشرها في هذا الوقت ، وإن كانت في الصميم من دخائل النفس الإنسانية ؛ فقد يقول عاقلٌ أو جاهل : إننا في أيام لا تتسع للحديث عن سرائر النفوس كأن الضمير الأدبي يخضع لظرف الزمان وظرف المكان ، وكأن العبقرية الروحية تعرف الرسوم والحدود ، وكأن مخاطر الحرب ومتاعب البؤس ومصاعب التموين تصد الروح الظامئ عن هواه في ورود ينابيع الوجود

أين الأمة العربية ؟

عند الأمم الأوربية تقاليد أدبية تستأهل التسجيل ، فهنالك يؤمن الكاتب بأمته فيؤلف كتاباً في مئات أو ألوف من الصفحات ليُنشر بعد موته بأعوام طوال

فما معنى ذلك ؟

معناه أن الكاتب يثق بأن الضمير الأدبي في بلاده سيعيش ويعيش إلى أن ينصفه من زمانه ولو بعد حين

ومعناه أن الكاتب يؤمن بالخلود

ومعناه أن الكاتب يشعر بنائرة الحقد بعد أن يموت

ومعناه أيضاً أن الكاتب يعرف كيف ينتقم وهو في غيابة الفناء ، أو حصانة البقاء

فأين الأمة العربية لنودعها دفائن صدورنا من أبناء هذا الزمان ؟

وأين من يفتش في دفاترنا بعد الموت ، ليرى ما سطرناه في أخلاق هذا الجيل ؟

جهادنا في خدمة القلم أضيع من الضياع ، ولولا الإيمان بأننا نؤدي خدمة قومية لقصفنا القلم بلا رحمة ولا إشفاق

وعند الله ، عند الله وحده الجزاء

خطاب

هو خطاب جميل ، ولكنه ليس في جمال الخطابات التي أتلقاها من الشاعر أحمد المجمي ، وإنما يرجع جماله إلى أنه يؤكد

نظرية أخلاقية يَكثُر كلامي عنها في هذه الأحاديث ، وأنا لا أملّ ولن أملّ من نقد مسالك الناس في معاملة الأصدقاء

هو إذن خطاب من صديق لا يعرف أدب الصديق مع الصديق ، فقد شاء هواه أن يتوهم أن الصداقة تبيحه أن يخاطبني بما لا أحب ، كأن الصداقة تعفيه من رعاية الذوق ، وكأن المودّة تمنحه التحرر من قيود الآداب

إن في الناس من يتهمني بمحاباة أصدقائي ، وإن فيهم من يقول إني أختلق الفرص لأتحدث عن أصدقائي بما يحبون في مقالاتي ومؤلفاتي ، وأقول إن تلك التهمة صحيحة وإن هذا القول حق : فأنا أتحيّز لأصدقائي في السر والعلانية ، وأحب من يحبهم ، وأعادي من يعاديهم . وأنا أنكر على أهل هذا العصر أن يعيبوا تغاضي الصديق عن عيوب الصديق ، بحجة الحرص على سلامة المجتمع من العيوب

ومن يتعصب لأصدقائنا إذا لم نتعصب لهم ؟ وإلى من يطمئنون إذا عرفوا أننا نتعقّب ما يجترحون من هفوات ؟

أكتب هذا وقد تلقيت من أحد أصدقائي في بغداد خطاباً يعيب عليّ فيه أن أثبت في كتاب « ملامح المجتمع العراقي » كلمة في الثناء على السيد عبد القادر الكيلاني ، فهل يعرف ذلك الصديق لأيّ غرض أثبتّ تلك الكلمة الطيبة لوجه الله ، ولوجه الحق ؟

أثبتُّها لأني علمت أن السيد عبد القادر الكيلاني سيحاكم أمام المحكمة العسكرية في بغداد ، بعد زمن قصير أو طويل ، والعراق الذي عرفته وعرفه التاريخ لا يُصدر حكماً إلا بعد سماع أقوال الشهود العدول ، وأنا شاهدٌ عدل في قضية هذا الرجل ، ومن واجبي أن أسارع إلى كلمة الحق فيه ، قبل أن يقف في ساحة القضاء . وكتمان الشهادة حيادٌ يأباه قضاة بغداد

وأقول بصراحة إني كنت أخشى أن يُمنع كتاب « ملامح المجتمع العراقي » من دخول العراق ، لأني تحدثت فيه عن رجال تغيّر فيهم رأي العراقيين ، ثم ظهر أن العراق لا يرضيه أن يصادر كتاباً أملاه الصدق والإخلاص ، وتنزه مؤلفه عن المداجاة والرياء

فهل أتهم الصديق اللائم الظالم بأن نسبه إلى العراق يحتاج إلى برهان ؟

أعزّ الله العراق ، وحماه من جميع الأسواء

الجيش المرابط في الميادين الفكرية

هو جيش الأدباء الصابرين على مكاره الحياة الأدبية ، وهي حياةٌ لا يصبر على مصاعبها الثقال ، إلا من تقهره الفطرة على الأنس بالأدب في جميع الأحوال

وقد شهد التاريخ واعترف بأن الأمم لا يقام لها ميزان إلا يوم يثبت أن لها حظاً من الروحانية الفكرية والأدبية ، لأن الفكر والأدب لا يكونان من أنصبة الشعوب ، إلا بعد النضج المنشود في العقول والقلوب

فما بالُ قومٍ يزعمون أن اشتغال بعض المصريين بالشؤون الفكرية والأدبية في هذه الأيام دليلٌ على أن مصر لا تشعر شعوراً صحيحاً بالمتاعب الدولية ؟

هذا كلامٌ قيل في بعض المجلات ، وأضيفَ إليه أن فلاناً لا يعيش في زمانه ، لأنه نسي أن الدنيا في حرب ، فشغل نفسه بالحديث عن الفروق بين رجال الأدب ورجال القضاء

وأقول للمرة الأولى بعد الألف إن الأديب المفكر ليس أجيراً لزمانه ، وليس أجيراً للوطن ولا للمجتمع ، فمن توهّم أن الأديب المفكر مسئول أمام قوة غير قوة الضمير فهو من أكابر الجاهلين !

نحن نخدم الوطن بأقلامنا خدمةً لا يعرفها المتحذلقون من عبيد الشواغل اليومية ، نخدمه صادقين لا كاذبين ، ولا ننتظر منه أي جزاء ، لأن خدماتنا تجلّ عن الجزاء

وماذا يملك الوطن حتى يكافئ المجاهدين من أرباب الأقلام ؟ أيمنحهم الألقاب ؟ أيمنحهم الأموال ؟

وأيّ لقبٍ أفخم من لقب الأديب ؟ وأي ثروةٍ أعظم من روح الأديب ؟

أستغفر الله ، وأعتذر إلى الوطن الغالي

فجزاء الأديب من وطنه مضمونٌ مضمون ، لأن الوطن لا يتحدث بأفراحه وأتراحه إلا إلى الأديب ، ولا يجود بسرائره الروحية لغير الأديب ، ولأن الوطن يأبى أن يكون أساته من طبقة غير طبقة الأوفياء من الأدباء

خُدّام الوطن في غير ميدان الأدب يُجزَون بالألقاب والأموال ، لأن خدماتهم تحتاج إلى تشجيع من ألوان الجزاء ، أما خدّام الوطن في ميدان الأدب فهم أعزّ وأشرف من أن تصدهم عن الواجب عوادي النكران والجحود

وهل نخدم الوطن أو نحبه طائعين ، حتى نمنّ عليه بالخدمة والحب ؟

هيهات ثم هيهات !

المستوى الجامعى فى مصر

بين الجامعة والأزهر

للدكتور محمد البهى

لجامعة فؤاد الأول بالقاهرة دعاة ينادون بلا ملل وفى تكرار يشبه الإلحاح بمنزلة « الجامعة » وبالقداسة الجامعية وباستقلال « الجامعة » ويمنحها سلطة مطلقة ليست فى البحوث العلمية فحسب ، بل أيضاً فى التعليم المدرسى والتثقيف الشعبى

وللأزهر من رجاله وأبنائه من يكثر الحديث عن الأزهر وعن تقصيره وعن المسافة التى يبتعد بها الأزهر فى سيره العلمى عن المثال الجامعى

وبقدر نموّ سيطرة الدعاة لجامعة فؤاد الأول على الرأى العام المصرى ، بقدر ما يفقد الأزهر بمن يكثرون الحديث عن بطئه أو جموده فى السير الجامعى ، من سلطان كان له على الرأى العام الإسلامى وكسبه لمنزلته من العقيدة ومن الثقافة الشعبية

وربما كان هناك غلو فيما ينادى به دعاة جامعة فؤاد الأول ، وربما كان هناك غلو أيضاً فيما يصوره بعض الكاتبين الأزهريين يحول بين الإنسان الذى تؤثر فيه الدعاية ، إيجابية أو سلبية ؛ وتتحكم فيه العاطفة ، وبين معرفة الواقع . والرأى العام هو ذلك الإنسان فى صورة مكبرة

وربما كانت مبالغة دعاة الجامعة لأنهم من رجال العصر ، وربما كانت مبالغة بعض الكتاب الأزهريين لأنهم من رجال العهود السابقة وهى عهود قريبة إلى الطبيعة الساذجة التى لم تلتو بعد

ولكن وراء الداعين من رجال جامعة فؤاد الأول ، ووراء المتحدثين عن الأزهر من رجال الأزهر حقيقة تدرك وتتضح فى الإدراك ، وتصور وتتضح كذلك فى التصوير ، ومدركها من غير هؤلاء وهؤلاء ، وهو المؤرخ وبالأخص مؤرخ الحياة العقلية والعلمية لشعب من الشعوب . ومصورها من غيرهم أيضاً ، وهو معالج الظواهر الخاصة بأمة من الأمم .

ما هو المثال الجامعى الذى إذا وجد كان للجامعيين دولة هى دولة العلم والفكر ، وكان للجامعة قداسة هى قداسة الإرشاد الواضح فى النواحى المختلفة لحياة الجماعة الخاصة ثم للانسانية ؟ المثال الجامعى يكون إذا تجردت البحوث عن العوامل الشخصية ؛ عن الطائفية وعن الحزبية وعن الدعاية . يوجد المثال الجامعى إذا خلصت البحوث للعلم — بقدر ما يمكن — وبعبارة أخرى إذا غلبت الحكمة على العاطفة والغريزة وسيطر العقل على النفس.

هل حققت جامعة فؤاد الأول هذا المثال الجامعى كما تعطيه دعاية الداعين ؟ وهل يبتعد الأزهر كثيراً عن هذا المثال الجامعى كما يفرضه تصوير المتحدثين عن تقصير الأزهر من الأزهريين ؟

جامعة فؤاد الأول حوّلت المدارس العالية لوزارة المعارف فى سنة ١٩٢٥ إلى كليات . وجعلت داخل الكلية الواحدة أقساماً مختلفة حسب مواد الدراسة . وألحقت بكل قسم مكتبة

إنما نحبّ مصر النالية مأخوذين بسحرها الأخاذ ، ومفتونين بجمالها الفتّان وهل فى الدنيا أكرم أو أجمل من مصر ؟

إن مصر لم تبخل بالعيش على من يحارب الأدب والبيان ، ولو شئت لقلت إن مصر تكرم أعداء الفكر والعقل تأسّياً بكرم الله ، والكريم يُفضِل على الطفيليين بأغزر مما يفضل على المدعوّين

الدنيا فى حرب ، والقتال تدور رحاها حول الحدود المصرية ، ومجلة الرسالة لا تجد قوتها من الورق إلا بشقّ النفس

وبالرغم من هذا وذاك لجذوة الفكر فى اشتعال ، وصوت مصر الأدبىّ فى ارتفاع . والعاقبة للصابرين

ألآن عرفتُك ، يا وطنى ، عرفتُك عرفتك

لا تستطيع الخطوب أن تُخرس بلبلاً يغرّد فى رياضك الغنّاء ، ولا يملك الدهر أن يُسكت صرير القلم فى صحائفك البيضاء

وطنى

لو ظهرتْ أشراط الساعة ، نذيراً بقيام القيامة ، وخرست الألسنة وجفّت الأقلام ، وشُغل المرء عن أخيه ، وزوجته وبنيه ، لرأيت من واجبى أن أرفع القلم لصوتك وقلمك ، وأن أجعل آيتك فى البيان خاتمة آيات الوجود

وطنى

أنت أقدم وطن وأعظم وطن خطّ بالقلم ، وسطّر مآسى الأرواح ، ومصاير القلوب ، فإليك فى اللأواء أهب سنان قلمى .

وطنى

إن جهلتَ مَن أنا ، فإنى أعرف مَن أنت ، والحياة صراعٌ بين الجهل والعلم ، واليأس والرجاء ، وسأعرف كيف أجزيك على فنائى فيك

زكى مبارك

خاصة به فوق المكتبة العامة . وعينت أساتذة مصريين وغير مصريين ، ومساعدين للأساتذة ، ومدرسين ، ومعيدين . أى أنها أتمت النظام الجامعى .

والأزهر الذى أراد أن يكون جامعة منذ عشر سنوات تقريباً حوّل الدراسة العالية فيه إلى كليات وألحق بها أقساماً للدراسات العالية، وأوجد بكل كلية مكتبة خاصة بها غير مكتبته العامة . وانتدب أساتذة من رجال الجامعة ، ورجال وزارة المعارف بجانب مدرسيه

والفرق فى هذا فقط أن جامعة فؤاد الأول أغدق عليها من مال الدولة — وربما تحت تأثير الدعاية — فكانت لها أبنية فخمة ؛ وأنشئ بها كراسى متنوعة للأساتذة ومساعديهم وجلبت لمكتبتها الكتب الحديثة والفنية . وأن الأزهر — وربما لإظهاره بمظهر القصر فى رسالته أو لضعف شيوخه — لم تقتنع الدولة بالزيادة السخية فى ميزانيته ، ولم يتضح لها من المبررات ما يزحزحها عما تعتقد من أنها متفضلة على الأزهر إذا هى تركت له ما اعتاد إنفاقه سنوياً . والزيادة فى الإنفاق فى العصر الحديث تكون لزيادة المقابل من منفعة عامة أو خاصة . والأزهر فى أوقات كثيرة صور نفسه أو قبل أن يُصور بأنه يُمنح ولا يعطى

هذا الفرق لا يكسب جامعة فؤاد الأول قربها من المثال الجامعى ، كما لا يصور الأزهر بعيداً عن هذا المثال ، لأن هذا الفرق يتعلق بالشكل ، ولأنه نتيجة لقوة سلطان وضعف سلطان آخر ليس سلطان العلم وليس سلطان البحث

رجال جامعة فؤاد الأول أخرجوا كتباً وألفوا . أخرجوا على الطريقة الجامعية كتباً مفهرسة حسنة التبويب والتنظيم ، روعى فى التعليق عليها إثبات الفروق بين الروايات المختلفة ، والتعريف بما ورد فيها من مصادر متعددة . وألفوا كذلك كتباً ؛ ألفوا فى الفلسفة والتاريخ والأخلاق ، وفى غير الفلسفة والتاريخ والأخلاق . ولكن الكثير من هذه الكتب المؤلفة يلازمه الغموض فى التعبير عن الفكرة ، وتندر أو تنعدم فيها شخصية المؤلف . والغموض فى التعبير يدل غالباً على عدم نضوج الفكرة أو عدم هضمها عند المعبر ، وضعف الشخصية فى التأليف أو انعدامها يدل على سيطرة الروح المدرسية وضعف الروح الجامعية . فإخراج جامعة فؤاد الأول إخراج يسير على النهج الجامعى فى العرض، وتأليف رجالها لم يخرج بعد عن النطاق المدرسى ؛ وإذا كان للاخراج قيمته فى تكييف المستوى الجامعى ، فالمقدَّم الأول لهذا المستوى هو التأليف العلمى الذى تبدو فيه شخصية المؤلف واضحة ، وليس هو جمعاً لمنثور الفكر أو تنظيماً لمشتت الآراء

فجامعة فؤاد الأول تسير بلا شك فى الطريق الجامعى ، وقطعت فيه شوطاً لا بأس به ، ولكن دونها والوصول إلى المستوى الجامعى خطوات أخرى يشق فيها السير ويكثر فيها التعثر ، وهى خطوات الشخصيات العلمية الجامعية

الأزهر أخرج فى نطاق ضيق ، وألّف فى نطاق ضيق كذلك ، لأنه ابتدأ منذ وقت قريب فقط يدرك أنه فى حاجة إلى إخراج ، وفى حاجة إلى تأليف ، وفى حاجة كذلك إلى ترجمة بعد أن كان لا يستطيع أن يتصور أنه فى حاجة إلى غير المتوارث من كتب وإلى غير المألوف من نمط فى إخراجها لضغط التقاليد على العقلية فيه ، وكما تندر الشخصية أو تنعدم فى تأليف جامعة فؤاد الأول ، تندر أو تنعدم كذلك فى تأليف الأزهريين . ولعل سبب هذه الظاهرة هنا وهناك هو قرب عهد مصر بالنهضة العلمية وقرب عهد المؤلفين — على الخصوص — بالاستقلال الشخصى . ولعل الرغبة فى كسب الرأى العام — وهو على ما به من شدة الولع والحرص على التقاليد — من أسباب عدم الاستقلال أو من أسباب عدم الجرأة فى الاستقلال

لا أنكر إذاً على جامعة فؤاد الأول أنها بدأت العمل الجامعى، كما لا أنكر على الأزهر ذلك الآن ؛ ولا أنكر على جامعة فؤاد الأول أن خطواتها فى السير الجامعى أسرع من الأزهر ، وأنها ستحقق المستوى الجامعى قبل الأزهر ، لا لضعف فى العقلية الأزهرية ، بل لأن للأزهر من مهمته الأولى وهى الدين والمحافظة عليه ـ ويتبع ذلك التقاليد ، وما أشق الفصل بينها وبين الدين ـ ما يقلل من سرعته فى السير ، ويعلل بطأه فى الوصول إلى المستوى الجامعى ، ولكنه سيصل

هل لنا الآن — إنصافاً للواقع — أن نطالب الطرفين بالاعتدال فى الدعوة لجامعة فؤاد الأول وبالاعتدال في التحدث عن تقصير الأزهر ؟ أم لنا أن نطالب الكتاب من الأزهريين فى الدعوة إلى أزهرهم بأن يحتذوا سنة رجال الجامعة ، إذ ربما يكون هؤلاء أحسن خبرة بالنفسية المصرية وعقلية الرأى العام المصرى ؟ فالتهويل لم يزل بعد من أخص مظاهر الحياة الشرقية ، ولم يزل كذلك سبباً قويًّا من أسباب النجاح في حياتنا المصرية !

محمد البهى

مساجلات

جورجياس المصرى

للأستاذ محمد مندور

كتب الأستاذ العقاد فى العدد ٤٦٧ من (الرسالة) تحت عنوان « مساجلات » يقول : « نبهت إلي كلمة لأديب يكتب فى (الثقافة) بتوقيع « محمد مندور » قال فيها عنى بصدد الكلام عن أبى العلاء ورسالة الغفران : « والعقاد يبدأ فيؤكد — فيما يعلم — أن فكرة أبى العلاء فى هذه الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبقه إليها أحد غير « لوسيان » فى محاوراته فى الأولمب والهاوية ؛ وهذا قول عجيب يدخل فى سلسلة تأكيدات الأستاذ العقاد التى لا حصر لها فى كل ما كتب ، والتى كثيراً ما تدهشنا لجرأتها ، ففكرة الرحلة إلى العالم الآخر قديمة قدم الإنسانية : عرفها اليونان قبل لوسيان ، وعرفها العرب قبل أبى العلاء » .

وأنا أحمد الله إذ نبه الأستاذ إلى كلمة محمد مندور هذا ، فالعقاد رجل لديه ما يشغله عن (الثقافة) وعن محمد مندور ، وهو منهمك فى قراءة أمهات كتب الأدب التى وجد فيها أن « فكرة أبى العلاء فى هذه الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبقه إليها أحد غير لوسيان فى محاوراته » ؛ فأنى له بقراءة (الثقافة) ، وما هى بشىء إلى جوار عيون الأدب ؟ ومن هو محمد مندور ، ليقرأ له وهو مأخوذ بسحر لوسيان ؟

و « محمد مندور » يسره أن ينبه العقاد قبل أن يبدأ فى مناقشته إلى تتمة جملته كما هى بالثقافة عدد ١٧٦ « والكل يعلم ما فى أساطير اليونان من وصف لنزول أورفيوس إلى العالم الآخر ليسترد منه زوجه أوريديس؛ والكل يعلم وصف هوميروس لرحلة أوليس ، ووصف فرجيلوس شاعر الأنياذة لرحلة أينوس بذلك العالم ، كما نعلم جميعاً أشعار المتصوفة فى أحلام يقظتهم ونومهم ، ومن تلك الرحلات الرائع الجميل كوصف الحارث بن أسد المحاسبى فى « التوهم » الذى نشره المستشرق آربرى وصدر له الأستاذ أحمد بك أمين ؛ وفى عصر مقارب لعصر أبى العلاء كتب ابن شهيد رسالة التوابع والزوابع المنشورة بكتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » (جـ ١ ص ٢١٠) وهى شديدة الشبه برسالة الغفران ؛ ومع ذلك يؤكد العقاد أن فكرة رسالة الغفران لم يسبق أبا العلاء إليها غير لوسيان »

وهذا فيما أظن كلام لا يستطيع العقاد ولا غير العقاد أن يدفعه ، فهو يؤكد أن أديباً لم يسبق أبا العلاء فى وصف رحلة إلى العالم الآخر غير لوسيان ، ونحن نقول له : بل سبقه هوميروس وفرجيليوس ... و ... فما الرأى إذن ؟ وهل يقبل الأستاذ العقاد — وهو العالم بكل تراث الإنسانية الروحى المقدر لقيمته — أن نمحو من الوجود كل هؤلاء الفطاحل ليصح ما أكده ؟ ألا ليتنا نستطيع ذلك لنرضى كبرياء العقاد وإن كان قد وضعه فى غير موضعه .

وبعد فليس يضير العقاد أن يجهل وصف هوميروس أو فرجيلوس لرحلة كهذه ، إذ لو علم العقاد بكل شىء لفقد أهم صفة يتميز بها جميع البشر بله الأدباء منهم وهى صفة الإنسانية ، ونحن جميعاً نجهل أشياء كثيرة ولو أضفنا أعماراً إلى عمرنا ولو بذلنا جهد الرهبان فى التحصيل ، وإنما يضير العقاد ككاتب يجب أن يحترم كرامة العقل أن يصدر فى محاجته للغير عن منهج معيب .

لم يرد العقاد على ما وجهته إليه بل نقل الحديث إلى وجود الجنة والنار قبل أبى العلاء وقبل لوسيان « على نحو ما يرى أن لندن كانت موجودة قبل رحلات المسافرين إليها » . وهذه سقطة ما كان يليق برجل كالعقاد أن يلجأ إليها فى كبرياء التعالى ؛ فموضع الجدل ليس وجود النار والجنة ، بل ولا علم الناس بهما ، بل وصف الرحلة إليهما وفيهما وصفاً أدبيًّا فنيًّا على نحو ما فعل هوميروس وغيره ممن ذكرنا

ولقد كان العقاد يستطيع أن يغالط — كما كان يفعل جورجياس كبير السفسطائيين عند اليونان على نحو أدق من هذا النحو . ألا ليته قال مثلاً إن اللغة كانت موجودة قبل وضع نحوها ، وأن الطبيعة كانت قائمة قبل استنباط قوانينها ، وأن العقل

كان يعمل قبل صياغة المنطق ، وأن المنطق أقدم وأصدق وأنبل من السفسطة . ولو أنه فعل لوجدنا فى مغالطاته جلالاً ، وأما أن « لندن وباريس وبلاد الأفيال » كانت موجودة قبل الرحلات إليها فهذه حقيقة مغالطة تافهة كنت أود أن يترفع عنها العقاد

أسرف العقاد إذن على نفسه وعلى القراء عند ما أكد أن فكرة الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبق أبا العلاء إليها غير لوسيان ، وهذه المسألة لا تقبل الدفع

فلنتركها إذن لما هو أهم وهو منهج العقاد فى التفكير كما يطالعنا من رده وتلك مسألة يضطرنا العقاد إلى أن نثيرها لا بصدد حديثه عن أبى العلاء فحسب بل بوجه عام

سمعت العقاد يوماً يناظر فى الأثر الذى يمكن أن تحدثه الثقافة الأجنبية فينا فيقول : « إن الكتاب الأمريكي لا يمكن أن يجعلنا أمريكيين وإلا لجعلتنا الثقافة الأمريكية أمريكيين » وهذا مثل لكل ما كتب العقاد ، فسبيله دائماً هو «المغالطة» ثم « القياس الفاسد »

ألا تراه كيف ينقل الحديث من الرحلة الأدبية فى العالم الآخر إلى وجود ذلك العالم وتصور الناس له ، وهذه هى «المغالطة» ثم ينتقل إلى قياس وجود العالم الآخر فى الواقع أو فى خيال البشر وجوداً مستقلاً سابقاً على وصف ذلك العالم فى الأدب ، بوجود باريس ولندن وبلاد الأفيال وجودا مستقلاً سابقاً على رحلة المسافرين إلى تلك البلاد وهذا هو « القياس الفاسد »

ووجه الفساد فى كلا القياسين هو انعقاده بين أشياء مادية وأخرى روحية ؛ فالتفاحة ليست كتاباً وإلا لكانت عقولنا معدات ؛ ولندن ليست الجنة ولا باريس النار والسفر إليهما ليس وصفاً أدبياً للعالم الآخر نزوره بخيالنا

وهذه ليست إلا مجرد أمثلة ؛ فى كل صفحة مما كتب العقاد ، بل فى كل سطر نفس المنهج . وفى الحق أنى لا أعرف عيباً فى التفكير أخطر من هذا .

أما المغالطة فخطرها بين ؛ ومن نافلة القول أن نقف عندها .

بقى القياس فاسداً وغير فاسد ؛ ومن الثابت أن المنطق الشكلى كله لا القياس فحسب لا يمكن أن يوصل إلى الكشف عن حقيقة جديدة، وإنما تعمل الأقيسة فى الحقائق المعروفة ؛ فإذا كان القياس صحيحاً إنتهى إلى إفحام مناظرنا ، ولا أقول إلى إقناعه ، لأن الإقناع إحساس وتسليم قلبى ، وأما الإفحام فانعقاد اللسان أو شلل العقل وهذا هو الجدل . وإذا كان القياس فاسداً فتلك هى السفسطة التى لا تقنع ولا تفحم ولا تليق بالإنسان على أى نحو .

وإنما تكتشف الحقائق بالخيال وبالقلب ، وتلك ملكات لا أحس لها بوجود فيما يكتب العقاد .

أنظر إليه فى رده كيف يقول : « إن الجمع بين المعرى ولوسيان مبحث يصح النظر فيه والاستفادة منه » وتلك لعمرى مقارنة عجيبة ، وأنا لا أرى أصلاً أى شبه بين أبى العلاء ولوسيان ، بل ولا بين أبى العلاء وأى كاتب آخر ؛ وذلك لإيمانى بأن النفوس لا يمكن أن تتشابه أصالتها ؛ وقد بينت ذلك فى الثقافة ، ولن أعود إليه .

واتجاه العقاد الخاطئ واضح فى كل مقارناته . والذى أفهمه من المقارنة هى أن تكون إما « مقارنة تأثر » نبنى منها إيضاح أخذ كاتب عن آخر ، والمنهج الصحيح فى هذا هو أن نثبت قراءة هذا الكاتب لذاك وتأثره به تاريخياً ، إذ لا يكفى مجرد التوافق على فكرة أو صورة ؛ والجمع بين أبى العلاء ولوسيان لا يمكن أن يكون على هذا النحو . أو « مقارنة فهم » وذلك بأن نجمع بين كاتب وآخر لنفهم كليهما على ضوء ما اختلفا فيه تبعاً لاختلاف منحاهما النفسى رغم وحدة الموضوع الذى يتحادثان فيه أو المصدر الذى يأخذان عنه . وهذا ما لم يفعله العقاد ؛ وإنما فعل وفعل دائماً أن حاول التماس أوجه شبه بين أناس وأشياء من السذاجة أن نجمع بينها ، فهو طوراً يقول بأن أبا العلاء قد كان اشتراكيا ، وطوراً أنه قد أخذ بمبدأ النشوء والارتقاء وبقاء الأصلح « الفصول » . وهذه محاولات باطلة ؛ فأبو العلاء لم يحلم بشىء من هذا ؛ ومذاهب الاشتراكية والنشوء غير بيت من الشعر أو جملة منثورة . وإنه لتعسف باطل أن يزج العقاد بتلك

الكلمات الضخمة فى معرض الحديث عن شاعر مسكين كأبى العلاء

وشاء العقاد إلا أن يختم حديثه بتذكيرنا بقوله عن رسالة الغفران : « أى شىء من هذه الأشياء لم يكن من قبل ذلك معروفاً موصوفاً ؟ أى خبر من أخبار الجنة المذكورة لم يكن فى عصره معهوداً للناس مألوفاً ؟ كل أولئك كان عندهم من حقائق الأخبار ووقائع العيان ... »

وهذا كلام لا علاقة له أصلاً بموضع المناقشة فهو لا يدل فى شىء على « أن فكرة الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبق أبا العلاء إليها غير لوسيان » وإنما يدل على أن فكرة الجنة وأوصاف الجنة كانت معروفة عند الناس كما وردت فى الديانات والكتب المقدسة . وأما أنها تستخدم فى الأدب قبل أبى العلاء إلا عند لوسيان فهذا ما لم يرد عليه العقاد

ثم إن هذه الجملة فى ذاتها تأكيد آخر من تأكيدات العقاد الغير مقبولة ، فأبو العلاء لم يعرف الجنة كما كان الناس يعرفونها أو يتصورونها ؛ والجانب الهام من جنته هو دنيانا أو على الأصح دنيا العرب ، إذ أنه قد نقل الدنيا إلى الآخرة وقد جمعت تلك الدنيا بتاريخها الطويل فى صعيد واحد ، فهناك ترى الهذلى يحلب ناقته ، وابن القارح محمولا زقفونة على الصراط ، وابن عدى بصيد ، والأعشى فى عينه حور ، وكل أولئك أشياء لم يكن يعرفها أحد عن الجنة بل ولا يتصورها بمجرد تصور ، وما هى من الجنة كما وصفها القرآن فى شىء

ويضيف العقاد تذكيرنا بقوله : « إنها رحلة قديمة ولكن أبا العلاء أعادها علينا كأنه قد خطا خطواتها بقدميه وروى لنا أحاديثها كأنما هو الذى ابتدعها أول مرة ... » وموضع البحث هو كما قلت وأكرر أن نعرف مدى قدم تلك الرحلة ومن سبقه إليها ، أهو لوسيان فقط أم لوسيان وغير لوسيان ممن ذكرنا

والآن لم يبق لدى إلا أن أترك للقارى الحكم على طريقة الأستاذ العقاد فى توجيه الخطاب من (لا يا شيخ !) إلى أمثال ذلك مما أمسك قلمى عن الرد بمثله ، فهذا أمر سهل ميسور لكل إنسان .

محمد مندور

مرســـــلات ...

ملوس !

أعلنت الصحف ذات يوم أنَّ فلاناً سيتحدث ساعة كذا من المساء حديثاً علميًا ، وفلان هذا رئيس مرجوّ مرهوب ، يمتد سلطانه إلى الأقاليم ، حيث ينبث له فى أرجائها عمال ومرءوسون ... فحدثنى صديق من أصدقائى أنَّ كثيراً من هؤلاء المرءوسين قد فرغوا لهذا الحديث ، واحتشدوا له حول « المذياع » ثبات ثبات : منهم من ينشد العلم ، ومنهم من يتزود للملق والنفاق ، وأزف الموعد ... فلو ترى إذ خشعت الأصوات ، وأرهفت الأسماع ، والليل ساجٍ لا تسمع فيه إلا دقات « الاستراحة » تنبعث متقطعة من « المذياع » ، كأنها دقات قلب مضطرب على موعد للقاء ... ثم نطق المذيع :

« سيداتى ، سادتى : لم يتمكن حضرة الأستاذ (...) من الحضور ، وسنذيع عليكم بعض الأسطوانات ! »

ورجّع المذياع بعد ذلك رنيم « ليلى » وشدو « أم كلثوم » حتى انقضى وقت الحديث !

وزرت هذا الرئيس بعد يومين في مكتبه لشأن من الشئون ، وكنت عرفت سر تخلفه عن موعده ، فما راعنى إلا كتاب يلقيه إلىّ ويطلب منى أن أقرأه ، فإذا هو من شخصين مرءوسين له فى بلد قريب من القاهرة ؛ وإذا هما يقولان فيه : « أما والله لقد أجدت فى حديثك ليلة كذا إجادة ما نحسب أن أحداً وفق إلى مثلها ؛ ولقد كنا نستمع إليك في جمع من أصحابنا مزهوّين بك ، والقوم من حولنا فى نشوة ... فلما انتهى حديثك لم يبق أحد إلا حيَّاك على البعد ودعا لك ، ثم انثنوا إلينا يُلقّونا عنك التهنئات ... فهكذا فلتكن الأحاديث ! »

قلت وقد أخذتنى الدهشة : أىّ حديث يريدان ؟ قال : هذان شخصان مَلِقان تعوّدا أن يلقيانى في كل مناسبة بمثل ما ترى ، وقد حسبا أنِّى ألقيت الحديث !

محمد محمد المدنى

على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

« عبقرية محمد » للعقاد

(تتمة ما نشر العدد الماضى)

للعقاد منطقه القوى فى كل ما يكتب ، فقد كان مهيأ أن يكون رياضياً لو لم يكن أديباً . وتلك علامة الطبع المستقيم . إلا أن منطقه فى كتاباته الأولى كان منطقاً وئيداً متمهلاً فيه أيد وصرامة . فأما فى « عبقرية محمد » فهو المنطق الجارف المتطلق المتحدر عن غير طريق من طرق الإقناع . مع وضاءة شفافة وإشعاع لطيف .

وفى الكتابة لمسات بارعة من المنطق العميق ، أدق مايصورها قول العوام « ضربة معلم ! » وهى كثيرة متناثرة فى الكتاب نكتفى منها ببعضها :

يقول قوم : إن الإسلام استهوى من أسلموا باللذائذ الحسية وبالتخويف من السيف . فما إن يعرض العقاد لهذا القول حتى يجهز عليه بلمسة تهتدى إلى موضع الإقناع ، أو « بضربة معلم » بارعة فى الصميم وإذا هو يقول فى موضع : « لم يكن أبو لهب أزهد فى اللذة من عمر » ويقول فى موضع آخر : « وما يقسم الطائفتين أحد فيضع أبا بكر وعمر وعثمان فى جانب اللذة والخوف ويضع الطغاة من قريش فى جانب العصمة والشجاعة » فيدرك القارئ أنها الضربة المجهزة التى لا تدع مجالاً للتعقيب ، ويعلم كيف ينتفع المؤلف بالواقع المعروف على هذا الوجه الفريد .

ويعيب قوم على الإسلام التجاءه إلى السيف ويسمونه بميسم الإكراه على الدين . فما إن يعرض العقاد لهذه الفرية حتى يجهز عليها فى لمسات متتالية أبرزها وأجدّها : « أن الإسلام إنما يعاب عليه أن يحارب بالسيف « فكرة » يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع . ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف « سلطة » تقف فى طريقه وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للاصغاء إليه . لأن السلطة تزال بالسلطة ولا غنى فى إخضاعها عن القوة . ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية ، وإنما كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة فى الأبناء بعد الآباء ... الخ » وعندئذ يبلغ العقاد بهذه اللمسة موضع الاقتناع من كل ذى طبع مستقيم

ويعيب بعض المتعصبين على النبى — عليه السلام — إقراره لقتل كعب بن الأشرف ، ولم يكن وقت قتله محارباً بالسيف ويشبهون هذا بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان . فما إن يعرض العقاد لهذا الاعتراض حتى يأخذه بضربة معلم فيقول : « الفارق عظيم بين الحالتين . لأن حروب الإسلام إنما هى حروب دعوة أو حروب عقيدة ، وإنما هى فى مصدرها وغايتها كفاح بين التوحيد والشرك أو بين الإلهية والوثنية ، وليس وقوف الجيش أمام الجيش إلا سبيلاً من سبل الصراع فى هذا الميدان . فليس فى حالة سلم مع النبى إذن من يحاربه فى صميم الدعوة الدينية ، ويقصده بالطعن فى لباب رسالته الإسلامية ، وإن لم ينفر الناس لقتاله ولم يحرضهم على النكث بعهده . وإنما هو محارب فى الميدان الأصيل ينتظر من أعدائه ما ينتظره المقاتل من المقاتلين ... الخ » فتبلغ هذه اللمسة موضع الاقتناع ممن يقتنعون !

ويتحدث قوم عن قسوة محمد لأنه راح ينظر القتلى فى ساحة الحرب بعد موقعة بدر ، فيضرب العقاد ضربته على هذا الحديث بمثل هذه القوة فى صفحات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ وخلاصتها « أن الرجل الذى يرى الدم فى المدنية العصرية غير الرجل الذى يرى الدم فى حروب البادية وفى حياة البادية على الإجمال . ونعنى بها حياة الرعاة التى تتكرر فيها إراقة الدم كل يوم ، وحياة القبائل التى كانت تغزو وتغزى فى كثير من الأيام » ... وأنه كذلك « كان على أولئك الناقدين أن يشهدوا بدراً لينظروا بعين النبى إلى عواقب هذه الوقعة التى أوشكت أن تصبح الوقعة الحاسمة فى تاريخ الإسلام »

وتلوك ألسنة أن محمداً كانت تستهويه لذائذ الحس ويتحدثون في هذا عن تعدد الزوجات . فيعرض العقاد لهذا بضربة من ضربات المعلم حين يقول : « حب المرأة لا معابة فيه . هـذا هو سواء الفطرة لا مراء . وإنما المعابة أن يطغى هذا الحب حتى يخرج عن سوائه ، وحتى يشغل المرء عن غرضه ، وحتى يكلفه شططاً في طلابه ، فهو عند ذلك مسخ للفطرة المستقيمة يعاب كما يعاب الجور في جميع الطباع فمن الذي يعلم ما صنع النبي في حياته ، ثم يقع في روعه أن المرأة شغلته عن عمل كبير أو عن عمل صغير ؟ »

ثم يقول : « وأعجب شيء أن يقال عن النبي إنه استسلم للذات الحس وقد أوشك أن يطلق نساءه أو يخيرهن في الطلاق لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة وهو لا يستطيعها » ثم يقول : « ولو كانت لذات الحس هي التي سيطرت على زواج النبي بعد وفاة خديجة لكان الأحجى بإرضاء هذه اللذات أن يجمع النبي إليه تسعاً من الفتيات الأبكار اللائي اشتهرن بفتنة الجمال ... الخ » فينتهي الجدل عند المنصفين

وهكذا ... من مثل هذا المنطق المتطلق الوضيء السريع

***

وللعقاد في « عبقرية محمد » لفتات نفسية وفكرية جديدة ، هيأه لإدراكها انفساح في النفس وغنى في الشعور وحيوية في الطبع والضمير

من ذلك قياسه الجديد لعظمة محمد بمقدار ما استحقت من صداقات وبمقدار ما استجابت به لكل من هذه الصداقات : « تلك هي العظمة التي اتسعت آفاقها وتعددت نواحيها حتى أصبحت فيها ناحية مقابلة لكل خلق وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن ، وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم والحيلة والصراحة والألمعية والاجتهاد وحنكة السن وحمية الشباب »

وقياسه لهذه العظمة في موضع آخر بما انفسحت له من العطف على الصغير والتقدير للعظيم ، لأن إنصاف العظيم جميل كانصاف الصغير

وقياسه لهذه العظمة في موضع ثالث بما انفسحت له من الجد والنهوض بعظائم الأمور مع تقبلها للفكاهة وعطفها على المتفكهين

وقياسه لهذه العظمة في موضع رابع بما انفسحت له من طبيعة العبادة وطبيعة التفكير وطبيعة التعبير الجميل وطبيعة العمل والحركة

ولولا الانفساح الكبير في طبيعة العقاد ما تهيأ لإدراك هذا الانفساح العظيم في مثله العليا في هذه النفس الرحيبة ، ولما التفت إليه هذا الالتفات وصوره هذا التصوير

ومن هذه اللفتات التي لا محيص من ذكرها — وإن ضاق المقام — التفاته إلى تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أدواته وأسلحته بأسماء الأعلام وما فيها من « معنى الألفة التي تجعلها أشبه بالأحياء المعروفين ممن لهم السمات والعناوين ، كأن لها شخصية مقربة تميزها بين مثيلاتها كما يتميز الأحباب بالوجوه والملامح وبالكنى والألقاب »

لقد تحدث المتحدثون عن عطف النبي وحدبه فذكروا حوادث بره بالناس وبالحيوان . وممن كتبوا في ذلك حديثاً الدكتور هيكل في كتاب « حياة محمد » ثم تحدث العقاد فعرض بأسلوبه وطريقته مظاهر هـذا العطف على الناس وعلى الحيوان ، ثم تجاوزه إلى هذه اللفتة المشرقة . والزيادة هنا ليست لقصد الزيادة ، ولا لمجرد الاستقراء ، ولكنها تزاد لنوع جديد من الدلالة لا يدرك ما فيه من طبيعة الألفة والمودة لأول وهلة ، ولا تدركه إلا بصيرة نافذة ونفس عطوف وحس شفيف

ويبلغ العقاد قمة اللفتات النفسية البارعة عند تحليله لعقوبة « الهجر في المضاجع » ويتجاوز الظواهر إلى حقيقة البواعث ومكامن الطبائع ، وتبدو الخبرة بطبيعة المرأة واليقظة لسيكولوجيتها الصميمة . ولن يتسع المجال هنا لعرض هذه اللفتة ، فهي هناك في الصفحات ما بين ٢١٤ ، ٢١٨ يرجع إليها من يريد

***

وفى « عبقرية محمد » بعد هذا كله قصائد إنسانية رفيعة ، وإشراقات نفسية وذهنية وضيئة

فأما القصائد فهي هناك فى مواضع متفرقة ، ولكنها تروع وترفرف فى ص ٢٦ حين يتحدث عن « عبد الله » فيقول : لكأنما كان بضعة من عالم الغيب أرسلت إلى هذه الدنيا لتعقب فيها نبياً وهى لا تراه . ثم تعود ... الخ »

وحين يتحدث عن « مولد إبراهيم وموته » فى فصل « الأب » فيقول : « ولد الطفل الذى نظر إليه أبوه يوم مولده فامتد به الأمل مئات السنين بل ألوف السنين ، وتخيَّر له الاسم الذى وراءه أعقاب كأعقاب جده الأعلى ليكون أباً ويكون له أحفاد ويكون لأحفاده من بعدهم أحفاد ...

« ثم مات ذلك الطفل الصغير

« ومات ذلك الأمل الكبير »

ثم يمضى فى هذه القصيدة وفى تلك فتحس خفق قلب إنسانى عطوف على مصاب قلب إنسانى كبير وتلمح رفرفة نفس شفيفة على نفس لطيفة من وراء الآباد والقرون

وأما الإشراقات النفسية والذهنية فهى هناك فى مواضع متفرقة ، ولكنها تروع وتعجب عند الكلام على محمد « العابد » وهناك صفحات فى الإيمان والتفكير كانت خليقة أن يكتبها أحد « الواصلين » ! فلعلها محسوبة للعقاد عند جمع درجات الحساب فى الكتاب المكنون ، ولعله واصل بهذه الدرجات إلى عليين !!

***

وفى عبقرية محمد تقويم صحيح لطبيعة العبقرية ، ولطبائع كثير من المواهب والحقائق ، عنى فيها العقاد دائماً بتوكيد الباعث المكنون فى الضمير وإيثاره على ظواهر الأمور « فالعبقرية قيمة فى النفس قبل أن تبرزها الأعمال ويكتب لها التوفيق ، وهى وحدها قيمة يغالى بها التقويم » ... « ولقد فتح الإسلام ما فتح من بلدان لأنه فتح فى كل قلب من قلوب أتباعه عالماً مغلقاً تحيط به الظلمات . فلم يزد الأرض بما استولى عليه من أقطارها ، فإن الأرض لا تزيد بغلبة سيد على سيد ، أو بامتداد التخوم وراء التخوم . ولكنه زاد الإنسان أطيب زيادة يدركها فى هذه الحياة فارتفع به مرتبة فوق طباق الحيوان السائم ودنا به مرتبة من الله ... »

***

وبعد فإن الجديد فى « عبقرية محمد » هو ضخامة الطاقة النفسية التى تستطيع أن تلم بنفس « محمد » هذا الإلمام . هذه الطاقة هى التى لم تتهيأ من قبل لأىٍّ ممن كتبوا عن « محمد » . وهى التى تشيع فى جو الكتاب كله ، ويتعذر لمسها فى نقط خاصة منه

« إن « نفس » محمد العظيمة هى التى يصورها هذا الكتاب أبرع تصوير ويجلوها أحسن جلاء . وتلك هى « عبقرية العقاد » فى « عبقرية محمد » على وجه الإجمال .

سيد قطب

٣٦ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر – « الخرافات »

هناك أشياء مختلفة يعدها المسلمون كالأحجبة ، مثل تراب القبر النبوي وماء زمزم المقدس وستار الكعبة الأسود[١] . ويقدر المسلمون ماء زمزم كثيراً لأنه يُرش على الأكفان . وسعني أعرابي كنت أعطيته في الصعيد أثناء زيارتي الأولى لمصر دواء « أفاده » أسأل عن قليل من ماء زمزم إذ أن الكثير من الراكب الناصة بالحجاج العائدين من مكة كانت نازلة في مجرى النيل . وربما ظن الرجل لسؤالي هذا أنني مسلم تقي ، ومن ثم منحني ما كنت أحاول الحصول عليه ليعبر عن امتنانه . فذهب إلى منزل صديق له وعاد إلى مركبي حاملاً ربطة صغيرة فتحها أمامي قائلاً : « ها هي ذي أشياء أعرف أنك ستقدرها تقديراً عظيماً . ها هما علبتان من القصدير ملآنتان بماء زمزم ، إحداهما لك تحتفظ بها لترشها على كفنك . وهذا سواك غُمس في ماء زمزم فتقبله مني ونظف به أسنانك فلن تؤلمك ولن تتلف أبداً » . وأضاف قائلاً ، وهو يظهر لي ثلاث كعكات من التراب الأشهب صغيرة مستطيلة مسطحة طول كل منها قيراط تقريباً وقد طبع عليها : باسم الله ، تراب من أرضنا ، مزج بريق بعضنا . وهذه صنعت من تراب فوق قبر الرسول صلعم ، وقد اشتريتها بنفسي عند عودتي من الحج ، وإني أعطيك إحداها وستجد فيها شفاء من كل داء . وسأحتفظ بالثانية لي . أما الثالثة فنأكلها معاً . وعلى ذلك كسر إحدى الكعكات نصفين وأكل كل منا نصيبه . وقد وافقته على أنها لذيذة وقبلت هداياه مسروراً . وقد أمكنني فيما بعد أن أزيد ما عندي

(١) يعلق على الكعبة سنوياً ستار جديد في اليوم الأول من عيد الأضحى الذي يتبع الحج مباشرة . ويقطع الستار القديم قطعاً يباع أكثرها إلى الحجاج

من تحف عن مكة ومن ذلك قطعة من ستار الكعبة أحضرها الشيخ ابراهيم[١] (بركهارت) من مكة وأعطاني إياها وريثه عثمان . وتوضع الكعكة أحياناً في غلاف من الجلد وتحمل كتعويذة ، وتصنع أحياناً أقراصاً على شكل الكمثرى الصغيرة وبحجمها وتعلق على الستر المحيط بمقام الأولياء أو على المقام ذاته أو على نوافذ المقام أو بابه .

والأحجبة التي يستعملها المصريون لجلب السعادة أو منع الشقاء كثيرة ؛ والعادات الخرافية التي يمارسونها لهذه الأغراض مختلفة بحيث لا يكفي لوصفها مفصلة مجلد كبير . وتسمى هذه الأساليب التي لا يكون أساسها الدين أو السحر أو التنجيم « علم الرُّكَّة » إشارة إلى سخافتها ، ولأن النساء يعتمدن عليها غالباً . ويعتبر البعض هذه الكلمة تحريفاً عامياً لعبارة « علم الرُّقْية » أي علم السحر . ويرى البعض الآخر أنها حلت محل العبارة الأخيرة بطريق التورية . وقد ذكرت عرضاً بعض العادات مما وصفته ، وسأذكر بعض أمثلة أخرى .

من الشائع كثيراً أن يعلق القاهريون عود الند فوق أبواب المنازل الجديدة خاصة . ويعتبر هذا حجاباً يكفل للسكان عمراً مديداً وحياة سعيدة وللمنزل بقاء طويلاً[٢] . ويعتقد النساء أيضاً أن الرسول يزور المنزل الذي يعلق فيه هذا النبات . ويبقى العود معلقاً هكذا بدون طين أو ماء سنوات عديدة . ويزهر أيضاً . وقد سمي لذلك « صبراً » وعلى الأصح « صبّارة » إذ أن كلمة « صبر » تطلق عامة على العصير .

وجرت العادة عند ما يُخشى شر إنسان أن يكسر خلف ظهره وعاء من الفخار . ويُفعل هذا أيضاً لقطع كل علاقة أخرى مع مثل هذا الشخص .

ويعمد الجهلاء في مصر حيث ينتشر الرمد إلى الكثير من

(١) يوحنا لدفيج بركهارت رحالة ومستشرق سويسري (١٧٨٤ – ١٨١٧) سافر إلى سوريا ومصر ، وأسلم أو ادعى الاسلام للحصول على معلومات أوفى عن الحياة في الشرق ، وتسمى باسم ابراهيم بن عبد الله . وحج إلى مكة ، فكان أول أوربي أو مسيحي يدخل الأراضي المقدسة . توفي بالقاهرة ودفن فيها . وله عدة مؤلفات منها : رحلات إلى النوبة ، رحلات إلى سوريا ، والأرض المقدسة . الأمثال العربية أو عادات المصريين المحدثين وشمائلهم . (المترجم)

(٢) وقد روى أحد السياح أن هذا يكون في منازل الحجاج فقط . ولكن الحال ليس كذلك على الأقل في مصر .

العادات الخرافية المضحكة لمعالجة هذا المرض فيأخذ البعض قطعة طين من جسر النيل عند بولاق أو بالقرب منها ثم يعبرون النيل ويضعون القطعة على الجسر الآخر عند (امبابه) وحسبهم هذا ضمان الشفاء. ويعلق آخرون للغرض ذاته فى غطاء الرأس فوق الجبهة أو العين المريضة قطعة ذهبية (بندقى) ذات وصف خاص متقابلة النقشين[1] غير أنه يعتقد أن دخول المرء، حاملاً فى جيبه بندقيا أو ريالاً على المريض بالرمد أو بحمى مما يزيد المرض. والاعتقاد العام أيضاً أنه إذا دخل المرء غير طاهر على مصاب بالرمد يشتد المرض عليه وتظهر نقطة فى إحدى عينيه أو فى كلتيهما. وأعرف رجلاً أصيب بالرمد فحبس نفسه فى غرفته ثلاثة شهور مدة المرض خوفاً من ذلك، فلم يسمح لأحد بالدخول عليه، وكان خادمه يضع الطعام خارج الغرفة عند الباب؛ وأصيب مع ذلك بنقطة على إحدى عينيه.

وكثيراً ما يقوم النساء بعادة أخرى شديدة الغرابة تتقزز منها النفس منعاً للعقم

تعد ساحة الرميلة الكبرى غربى القلعة مسرحاً لإعدام المجرمين. وكان فيما مضى يكاد يضرب عنق المحكوم عليهم بالإعدام فى العاصمة دائماً فى هذا المكان من المدينة. وجنوبى هذا المكان بناء يسمى «مغسل السلطان» حيث توضع جثة المضروب عنقه على مائدة حجرية لغسلها قبل الدفن. وتتجمع المياه فى حوض لا يفرّغ أبداً فيظل ملوثاً بالدماء كريه الرائحة. فيذهب الكثير من النساء إلى ذلك المكان للبرء من الرمد أو للحصول على النسل أو لتعجيل الولادة فى حالة الحمل المتأخر. فتمر المرأة صامتة، والصمت لازم إطلاقاً، تحت المائدة الحجرية متقدمة بالقدم اليسرى، ثم تمر فوق المائدة سبع مرات وتغسل بعد ذلك وجهها بالماء الدنس. وتعطى كهلاً وزوجه يلازمان هذا المكان خمس فضة أو عشرة ثم تنصرف وما زالت صامتة. وكثيراً ما يفعل ذلك المصابون بالرمد من الرجال. ويقال إن هذا المغسل بناه بيبرس الشهير قبل أن يصبح سلطاناً عند ما لاحظ جثث المحكوم عليهم ترفس وتدفن دون أن تغسل. ويخطو بعض النساء جثة المعدم سبع مرات صامتات ليصبحن حبالى. ويغمس البعض الآخر، مدفوعاً بالرغبة نفسها، قطعة من القطن الزهر فى الدم ويستعملها فيما بعد بطريقة يجب ألا أذكرها

وهناك عادة مضحكة يمارسها المصريون لعلاج بثرة تظهر على حافة الجفن ويسمونها «شحَّاته» ومعنى هذه الكلمة الحرفى سائلة[1]. فيذهب المصاب إلى سبع نساء تسمى كل منهن فاطمة فى سبعة بيوت مختلفة؛ ويسأل كلاً منهن قطعة خبز. ويتكون الدواء من هذه القطع السبع. وأحياناً يخرج المصاب فى حالة مشابهة وللغرض نفسه قبل طلوع الشمس إلى المقابر ويدور حولها صامتاً من اليمين إلى اليسار بعكس الطريقة المعتادة. وهناك طريقة وهمية أخرى للعلاج وهى أن يثبت المصاب قطعة قطن على طرف عصا ثم يغمسها فى أحد الأحواض التى يشرب منها الكلاب فى شوارع القاهرة ويمسح العين بها. ويهتم المريض هكذا بوقاية يده من الماء الدنس عند ما يوشك أن يضع منه على موضع آخر من جسمه

ويعلق بعض المصريات السلمات فى رقابهن أصبعاً مجففة فصلت عن جثة مسيحى أو يهودى متوهمات أن ذلك يعالج الحمى المتقطعة (الملاريا). وتدل هذه العادات دلالة تستحق الاعتبار على مفعول الخرافة المنحط وتأثيرها القوى على العقل، إذ أن المسلمين على العموم يدققون فى مراعاة الفروض الدينية التى تأمرهم بالامتناع عن كل دنس أو قذر

جرت العادة عند ما يعجز الطفل عن المشى بعد أن يدرك السن المناسبة أن توثق أمه قدميه بسعف تعقدها عقدات ثلاث وتضعه على باب مسجد أثناء صلاة الجمعة، وتسأل بعد الصلاة أول الخارجين وثانيهم وثالثهم أن يحل كل عقدة من السعف، ثم تحمل الطفل إلى المنزل مؤمنة أن هذا العمل سوف ينتج الأثر المراد عاجلاً

من العقاقير من يزعمون أنه ترياق أو شاف لبعض الأمراض. وقد يكون لهذه الأدوية بعض التأثير ولكن الخرافة تنسب إليها فضائل لا تُصدّق. ويرى المصريون حتى غالبية المتعلمين والمهذَّبين فى الخاصيات المفيدة أو المضرة لمختلف المواد النباتية والحيوانية أسخف الآراء. إذ يؤيدها فى بعض الأحوال أحاديث تروى عن النبى ويدعمها اعتبار حكمائهم المشهورين. ويستعمل البادزهر[2] ترياقاً بحكه مع قليل

---

(1) ويسمى هنا «بندق مشاهرة»

(1) وهى تحريف كلمة شحاذة

(2) حجر البزهير

من الماء فى طاس تملأ بعد ذلك ويشربها المصاب . ويستعمل لذلك أيضاً وبالطريقة نفسها قدح من قرن الخرتيت يدعك بقطعة من المادة نفسها . ويعالج الكثير من أهل القاهرة مرض اليرقان بالشرب من ماء « بئر اليرقان » وهو بئر تمتلكها عجوز وتجنى منها فائدة كبيرة ؛ فللبئر فوهتان أسفل إحداهما وعاء جاف للأشياء التى تقذف بها . فتطلب العجوز ممن يرغب استعمال الماء الطبى أن يسقط خلال هذه الفوهة ما تحتاج إليه من سكر وبن الخ

يلجأ المسلمون إلى عادات خرافية شتى يستشيرونها عند التردد فى عمل ينتوون فعله أو تركه . فيستخدم البعض جدولاً يسمى « زائرجة » . وهناك جدول من هذا النوع ينسب إلى إدريس أو أخنوخ . ويقسم الجدول إلى مائة خانة صغيرة يكتب فى كل منها حرف . ويتلو من يستشير الجدول الفاتحة والآية التاسعة والخمسين من سورة الأنعام : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » ثلاث مرات . ويضع بعد ذلك أصبعه على الجدول دون أن ينظر إليه ثم يعاين الحرف الذى يشير إليه أصبعه ويدونه ، ثم يدون الحرف الخامس اللاحق للأول ، فالخامس التابع للثانى ، وهكذا حتى يعود إلى الحرف الأول . ويكون من مجموع هذه الحروف الجواب [1]

ويعمد البعض إلى القرآن لحل مشكلاتهم ، ويسمون هذا « استخارة » ، فيرددون الفاتحة وسورة الإخلاص والآية السابقة ثلاثاً ، ثم يتركون المصحف يسقط مفتوحاً أو يفتحونه عرضاً ، ويستخرجون الجواب من السطر السابع فى الصفحة اليمنى ، وكثيراً ما لا يحمل الكلام جواباً صريحاً ، إلا أنه يعتبر إيجابياً أو سلبياً حسبما يدل معناه على الخير أو الشر ، كأن يشير إلى وعد أو وعيد . ويعد البعض بدلاً من قراءة السطر السابع عدد الحرفين الخاء والشين فى الصفحة كلها ، فإذا غلبت الخاءات كانت النتيجة مناسبة : فالخاء تمثل الخير والشين الشر

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) أكثر الزائرجات استحساناً معقدة للغاية . ويخص العمل بالزائرجة حسابات فلكية معقدة

حماسيةٌ لا سياسية

لمعالى الأستاذ رضا الشبيبى

ألا فى سَبيلِ اللهِ وَالوَطنِ العانِى
سُهادِى إذا جَنَّ الظَّلامُ وَأشجانِى

وَفى ذِمَّةِ الشَّعبِ المُضَيَّعِ حَملةٌ
مِنَ الدَّهرِ ألقاها - وَحِيدًا - وَتَلقَانِى

وَسَوْمِى نَفْسِى فى الكِفاحِ رَخِيصَةً
وكنتُ فتًى إنْ سامَنى الدَّهرُ أغلانِى

وَنَفثِى مِنْ صَدرِى شُواظاً تَضَرَّمَتْ
بِهِ وَسَرَتْ فى فَحمةِ اللَّيلِ نيرانى

وَرَدِّى كَيْدَ الكائدِينَ عَلَيْهِمُ
وكان قميناً أنْ يضعضعَ أركانى

إذا كادَ أنأى النَّاسِ عَنِّى كِدْتُهُ
وَإنْ كادَ أدنى النَّاسِ مِنِّى أعيانى

رِجالٌ لَهُمْ فى العُرْبِ دَعْوَى كما ادَّعَى
« بِآلِ زِيادٍ » قَبلَهُمْ « آلُ سُفيانَ »

لهم ما استقامتْ قطُّ عندى طريقةٌ
وناهيك فيهم من وجوهٍ وألوانِ !

تَعَسَّفَ قَوْمٌ بالعراقِ وَسَاوَمُوا
عَلَى وَطَنٍ مَا سِيمَ - يَوْمًا - بِأَثْمانِ

هُمُ احْتَقَبُوا الأَوْزَارَ يقترفونها
وقالوا : جَنَى عَمْدًا وما هو بالجانى !

هُمُ استعجلوا اللَّذاتِ يَنْتَهِبُونَهَا
وَهُمْ بَدَّلُوا بالجَوْهَرِ العَرَضَ الفانى

وقد تُنْكِرُ الحُرَّ العِراقِىَّ أرضُهُ
فَيَنْأَى ليدنو منه من ليس بالدانى !

« بغداد » رضا الشبيبى

معركة «بلنهايم»

للشاعر الانجليزي روبرت سوثي

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

[بلنهايم قرية في بافاريا الغربية على ضفاف الدانوب الأعلى ، انتصر عندها الانجليز وحلفاؤهم من الأوربيين بقيادة مارلبورو (وهو جون تشرشل جد ونستن تشرشل الحالي ، يعاونه الأمير أوجين صاحب سافوى ... على جيوش الفرنسيين والبافاريين بقيادة المارشال تالارد ؛ وكان ذلك في ١٣ أغسطس ١٧٠٤ م

وقد أنشأ روبرت سوثي — وهو أحد شعراء البحيرة الثلاثة قصيدته هذه عام ١٧٩٨]

كانت أمسيَّة من أمسيَّات الصيف الرائعة ؛ وقد أنهى «كسْبار» العجوز عمله في مزرعته ، ثم احتبى أمام باب كوخه يرقب الشعاع الغارب في سكون ... بينا انطلقت حفيدته «ولهلمينا» تلهو بجانبه على المرج الأخضر

وبعد هنيهة أقبل أخوها «بيتركين» يقلب في يده كرة بيضاء مستديرة ، عثر بها وهو ينبش الأرض إلى جانب الجدول القريب ...

وراح الصغير يتساءل في لهفة عن هذه الكرة المستديرة الملساء ؛ فتناولها منه الجد وأقبل يفحصها بيده وبصره ؛ بينا وقف أمامه الصغيران ينتظران جوابه في لهفة واشتياق

هزَّ الشيخ رأسه في أسف ؛ وتنهد تنهيدة حرَّى ثم قال : «هذه جمجمة أحد أولئك المساكين الذين سقطوا صرعى يومَ الانتصار الكبير ... لقد طالما عثرت بمثلها وأنا أنبش الأرض : في الحديقة ... وفي المزرعة ... وفي كل مكان . وكم من مرة ارتطمت سكة محراثي بجمجمة كهذه ، حتى لأصبحت وما أكاد أحفِل بها أنّى أجدها . نعم ؛ إن آلافاً وآلافاً [1] من الرجال البواسل طحنتهم رحى القتال فلم تبق منهم إلا أشلاء مختلطة ؛ في يوم هذا النصر الذي ارتفع ذكره ودوى صداه !

فهتف «بيتركين» في دهشة : ولكن ... قل لي يا جدي علام اصطرع هؤلاء الرجال ؟ وفيم استباحوا لأنفسهم أن يخضأوا نار هذه الفتنة المبيرة ، ويتساقوا بأيمانهم كؤوس المنية دهاقاً ؟ ...

وأصغت ولهلمينا إلى الجواب في لهفة ، وقد حدقت في وجه جدها بعينين مستطلعتين

قال الشيخ الهرم : هـذا سؤال لا يحضرني جوابه [1] ؛ ولكني سمعت الجميع يقولون : إنه كان انتصاراً رائعاً تردَّد صداه في كل مكان ...

كان أبي يقيم يوم ذاك في (بلِنهايم) خلف هذا المجرى القريب ؛ ولقد أضرم المتحاربون النار في بيته حتى تداعت أركانه وانهار بنيانه ؛ فلاذ بأذيال النجاة ، وشرد هائماً في السهل العريض ، مع زوجة مكروبة ، وطفل مزءود ، يطاردهم الموت أنى ذهبوا ، وتسد عليهم كوارث الحرب كل مسلك ... فما يملكون لهـا دفعاً ، ولا يجدون لهم من دونها موئلا ...

لقد فعل الحديد والنار فعلهما في هذه الأنحاء ، وانبثت نذر الهلاك والدمار فيها طولاً وعرضاً ؛ حتى لذهلت كل مرضعة عما أرضعت ، ووضعت كل ذات حمل حملها . ولكم من شيخ مات إعياء وضعفاً ؛ وطفل اخترم جزعاً وخوفاً ... ولكن أشياء كهذه تحدث دائماً — كما تعلمان — عند كل انتصار كبير !

إنهم ليتحدثون في ارتياع وذهول ، عن بشاعة المنظر الذي كانت تقع عليه العين يوم انجلى غبار المركة عن أكداس فوق أكداس من أشلاء ممزقة ، وهامات مفلقة ؛ قد صهرتها حرارة الشمس ، ودب فيها دبيب البلي . ولكن هكذا الشأن في كل نصرة : مسرة تحفها الآلام ، ونعمة يعانقها الشقاء ، وتسد سبيلها الكوارث والفجعات ...

لقد طوقت هذه الحرب (دوقَ مارلْبوردُ) بهالة من المجد والفخار ، وأكسبه صدق بلائه فيها محبة وثيقة من كل قلب ، وثناء رطيباً على كل لسان . وكذلك حظي أميرنا المحبوب (أوجين) بقسط من الحمد عظيم ، ونصيب من الثناء وافر ... فاعترضت ولهلمينا تقول : عجباً ! وفيم كل هذا ؟ لقد ارتكبا والله شناعة ، وأتيا أمراً إدًّا .

(١) انجلت هذه الموقعة عن أحد عشر ألف قتيل من الحلفاء ، وأربعين ألفاً من الفرنسيين والبافاريين ووقع المارشال الفرنسي «تالارد» أسيراً

(١) لو كان (كسبار) من الملمين بحوادث التاريخ لقال إن هذه الحرب جزء من (حرب الوراثة الأسبانية) التي أثارتها أطماع لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٠ م ، والتي أدت إلى قيام تحالف عسكري ضده من انجلترا وهولندة والنمسا وبروسيا ، ثم انتهت بعقد صلح أترخت — بعد سلسلة من الوقائع المنيفة — عام ١٧١٣ م .



محاولة قديمة جريئة في الفقه الإسلامي

كنت أعتقد إلى اطلاعي على هذه المحاولة أن عصرنا هو الذي يمتاز بهذه المحاولات الجريئة في الفقه الإسلامي ، لأنه يمتاز على ما سبقه من العصور بما جد فيه من ظروف وأحوال انتهت بإبطال العمل بهذا الفقه في قسم المعاملات ، فكان هذا سبباً في تلك المحاولات الجريئة التي يقصد منها تطويع هذا الفقه لمجاراة الظروف والأحوال ، وإيثار العمل بروح الشريعة السمحة على الوقوف عند ما تقضي به النصوص والألفاظ

ومن تلك المحاولات ما ذهب إليه بعضهم من أن الإسلام كغيره من الديانات لا يراد منه إلا تهذيب الروح ، فلا يكون من صميمه إلا قسم العبادات ؛ أما قسم المعاملات ، فهو قسم دنيوي يقبل التغيير والتبديل ، ولا يثبت على حال واحد كقسم «العبادات»

ومنها ما ذهب إليه بعضهم في مجلة (الرسالة) الغراء من تقسيم التشريع الإسلامي إلى دائم ومؤقت ، وجعل قسم المعاملات من التشريع الثاني ، لأنه صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بشخصية الإمام المجتهد ، لا بشخصية الرسول المبلغ عن الوحي ، وهذه المحاولة هي المحاولة الأولى بعينها في ثوب جديد وتمتاز عليها بقوة الأساس الذي بنيت عليه ، وأنه كان بحيث لم يسع بعض المنكرين لتلك المحاولات ، إلا قبوله بدون قيد ولا شرط .

أما تلك المحاولة القديمة ، فقد ذكرها أبو جعفر النحاس في كتابه - الناسخ والمنسوخ - وجعلها مذهباً لبعض المتأخرين في النسخ ، وهو يعني بالمتأخرين من جاء بعد الصحابة والتابعين ؛ فقد ذكر لهم مذاهب في النسخ منها ما ذهب إليه بعضهم من أنه يكون في الأخبار والأمر والنهي ؛ وقد قال في رده : وهذا القول عظيم جداً يؤول إلى الكفر ، لأن قائلاً لو قال : قام فلان ثم قال : لم يقم ؛ ثم قال : نسخته لكان كاذباً

ومنها هذا القول الذي يتضمن تلك المحاولة ، وهو أن الناسخ والمنسوخ إلى الإمام ينسخ ما شاء ، ولا شك أن المحاولتين السابقتين إنما تقصدان إلى هذه الغاية ، وترميان إلى إعطاء الإمام هذا الحق ؛ وقد قال أبو جعفر في رد ذلك القول : وهذا القول أعظم ، لأن النسخ لم يكن إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالوحي من الله ؛ إما بقرآن مثله على رأي قوم ، وإما بوحي من غير القرآن ؛ فلما ارتفع هذان بموت النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع النسخ .

«أزهري»

غطاء الرأس والأزياء

أجابت لجنة الفتاوى الأزهرية على سؤال وجه إليها من جمعية المشروعات الخيرية الإسلامية ببيروت في صدد غطاء الرأس والأزياء ، بأن «الدين الإسلامي لم يفرض على الناس زياً خاصاً ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس الملابس العربية التي كانت في وقته ، والملابس غير العربية التي وصلت إليه ، غير أن الإسلام استثنى من ذلك ما كان خاصاً بالطقوس الدينية أو كان مميزاً لطائفة من الطوائف غير الإسلامية ، وإذ أن الطربوش والمعطف والسترة والبنطلون والبيجامة ، ليست ملابس خاصة بطقوس دينية فإن لبسها للرجال جائز . أما البرنيطة فلم تعد زياً خاصاً لفريق من الناس ، فيجوز لبسها في الأقطار التي تعد البرنيطة من الملابس الشائعة دون الأقطار التي تعدها من الملابس الخاصة بغير المسلمين »

أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

يقول الدكتور زكي مبارك في إحدى كلماته : « قال الرسول عليه السلام : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . وقد أوّل قوم هذا الحديث فقالوا : إن نصر الأخ الظالم هو نهيه عن الظلم . وأقول

قال الشيخ في حدة : كلا ، كلا يا فتاتي العزيزة ؛ إنه لانتصار رائع وفوز مبين ؛ وإن الجميعَ ليثنون على الدوق الشجاع الذي بلغ بمقدرته تلك الغاية ، وسجل هذا النصر الأغر ...

وهنا عنّ لبيتركين أن يسأل بدوره فقال :

ولكن حدثني يا جدي عما أفاده الناس من هذه المعركة الطاحنة ، ذات الحوادث الرهيبة !

فأحس الشيخ بالحرَج ... وكأنما قد فرغ رأسه بعد أن نفض عنه كل ما يعلم ، فقال في لهجة من يختتم الحوار :

لا أستطيع يا بني أن أقول في هذه المعركة شيئاً ، سوى أنها كانت نصراً حاسماً تردَّد صداه في كل مكان ! !

(جرجا) محمود عزت عرفة

إن الحديث الشريف يرمي إلى غاية لم يفطن لها أولئك المؤولون ، وهو عندى دعوة إلى العصبية الأخوية ، وهى الغاية فى شرف الإخاء ، وتلك العصبية توجب أن تكون فى صفوف الإخوان ولو كانوا ظالمين ، لأن الوداد الصحيح هو الاشتراك الوثيق في المحاسن والعيوب »

وهذا القول من شطحات الأديب الكبير ، فإن النبى (ص) لما قال هذا الحديث سأله صحابته : قد علمنا أننا ننصر أخانا مظلوماً فكيف إذا كان ظالماً ؟ فأجاب الرسول ما معناه : نصرته إذا كان ظالماً تردوه عن ظلمه . وهذا ما ذكره المحدّثون عند رواية هذا الحديث ؛ ولكن الدكتور عفا الله عنه أتى على صدر الكلام وتناسى عجزه .

وقال بعضهم إن هذه الكلمة قد أثرت عن العرب فى الجاهلية ولكنهم قالوها على مذهب شاعرهم القائل :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا !

والقرآن والسنة يادكتور لايقال فيهما : « وهو عندى ... » خصوصاً إذا سدت الرواية والأسانيد السبيل أمام الظنون والآراء ، ورضى الله عن أبى بكر الصديق إذ يقول : « أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا قلت فى كتاب الله برأيى ! » .

(البجلات) **أحمد الشرباصى**

ذكرى الشاعر عبد الحليم المصرى

حفل مسرح الأزبكية فى الأسبوع الماضى بجمهرة من الأدباء والشعراء ورجال القلم احتفلت بذكرى الشاعر الكبير المرحوم عبد الحليم المصرى برياسة صاحب المعالى نجيب الهلالى باشا وزير المعارف . وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأوفد صاحب العزة محمود يونس بك التشريفاتى لحضور هذا الاحتفال . وقد تعاقب الخطباء على منصة الخطابة فألقوا كلمات وقصائد عددوا فيها ما كان لهذا الشاعر من آثار على دولة الشعر والأدب فى مصر . ثم اختتمت الحفلة بكلمة ألقاها اليوزباشى عصام حلمى المصرى عن أسرة الفقيد شكر فيها للمحتفلين شعورهم

وقد عاش المرحوم عبد الحليم المصرى فيما بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٩٢٢ ومات فى منتصف العقد الرابع من عمره ، وقرض الشعر فى سن الثالثة عشرة . وأخذ نجمه فى الشعر والأدب يصعد وهو فى سن السابعة عشرة . وقد أفرد لمنشئ مصر الحديثة المغفور له محمد علي الكبير ديواناً خاصاً . وقربه المليك الراحل وعينه أميناً للمكتبة الملكية ، ومات فى اليوم الثانى من شهر يوليو سنة ١٩٢٢ ، وكان يجرى فى الشعر على مذهب حافظ

الفدائية

ذكر الدكتور محمد حسنى ولاية فى مقاله (الشخصية الهستيرية فى الرسالة : ومن الطرق التى يلجأ إليها الهستيرى فى كفاحه لنيل تقدير الجماهير إنكار الذات (ظاهراً) والفدائية ، واستعذاب العذاب فى سبيل تحقيق المبادئ السامية

فهل للدكتور الفاضل أن يتفضل فيبين لنا المبادئ التى كانت تعمل من أجلها جماعة الفدائيين ، وهل كانت هذه المبادئ من السمو بحيث يضحى الفدائى نفسه فى سبيل كل غاية تفيد الإنسانية ، أم أن الدكتور الفاضل أراد بذكرهم فى مثاله مجرد التشبيه فقط ، باسترخاصهم النفس فى سبيل غاياتهم .

وأنى لرد الدكتور الفاضل لمنتظر ، فقد تعددت الآراء ، وتضاربت الروايات بشأن هذه الجماعات . وللدكتور الفاضل خالص الشكر ووافر الامتنان **مصطفى عبد الحميد جاب**

حول ترتيب القرآن

لا شك فى أن ترتيب السور فى القرآن الكريم الذى بأيدينا قد بُنى على قاعدة معقولة مما أرضت جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم ... فما هي هذه القاعدة التى رُتبت السور القرآنية بموجبها ؛ أروعىَ فى ترتيبها كبر السورة أم سبق النزول ، وكلا الأمرين — كما هو ظاهر لم يراع فى ترتيبها

فياحبذا لو التُفتَ لهذا الموضوع الجليل وأعطى ما يستحقه من العناية على صفحات (الرسالة) أسوة بالمواضيع الخطيرة التى تتناولها

قضاء الهندية — العراق **عبدان رشيد الكاتب**

المهرجان الأدبى الرابع

يعتزم نادى الخريجين بالخرطوم إقامة المهرجان الأدبى الرابع فى عيد الفطر المبارك المقبل وقد شكلت لهذا الغرض لجنة خاصة وهى الآن فى حركة دائمة ونشاط متواصل وبدأت عملها بتوجيه الدعوة بالصحف السيارة لحملة الأقلام وقادة الفكر ليتأهبوا لهذا الحدث الأدبى الهام ، وشفعت نداءها ببرنامج شامل للموضوعات التى ينبغى أن تلقى فى تلك السوق الأدبية الحافلة

واللجنة وطيدة الأمل أن يساهم الأدباء المصريون الأعلام

وغيرهم من أدباء الأقطار العربية الشقيقة فى هذا العيد الأدبى بإرسال ما تجود به قرائحهم الوقادة برسم (سكرتير المهرجان الأدبى بنادى الخريجين بالخرطوم)

وفق الله الجميع لإعلاء كلمة الأدب والنهوض بلغة الضاد .

حيدر موسى
من هيئة السكرتارية

كتاب « ديكارت » للأستاذ عثمان أمين

هذا الكتاب كسب للمكتبة العربية ، ومذهب جديد فى دقة البحث وحسن العرض . وماظنك ببحث يعرض لك نوع الحياة التى عبرها ديكارت لتقف على بواعث فكره الأصيلة ، ويبين لك كيف تفتحت هذه البواعث عن أفكار نمت واستقامت ؛ ويريك كيف افترع ديكارت منهجه الجديد ومذهبه الفلسفى ، كل أولئك مع حيوية دافقة فى بيان مواضع الخلاف بين ديكارت ومن سبقه من الفلاسفة ، وإبداع فى مناقشة تأويلات الفلاسفة لمذاهب ديكارت وأخلاقه ... فى أسلوب جلى واضح يقرب أغراضه من الفهم ولا ينبو عن الغرض . إن كتاباً يكون هذا منهجه ويكون موضوعه فلسفة ديكارت لهو كتاب حقيق أن يوفى حقه وواجب أن يحسن استقباله

وبعد فما تخالف المؤلف الفاضل إلا فى ناحية واحدة لا تذهب بجلال البحث وهى قوله بأن تخلف ديكارت عن نصرة (غاليلى) لم يكن عن خوف وإنما كان عن رغبة فى الهدوء !

ونحن نقول إنه كان عن خوف عارم ، فقد كان الرجل شديد الحرص على أفكاره قوى الدفاع عنها . وإن مناقشاته الكثيرة مع ناقديه لتنهض دليلاً على ذلك ، فهو كان يخشى أن تعارضه الكنيسة ، فلا يستطيع أن يصونها فسكت ! والسكوت عند من يتوهج غيرة على أفكاره أمر شديد وجيع ... وإذن فقد آثر ديكارت السكوت عن نصرة (غاليلى) خوفاً على فلسفته ورهبة من الكنيسة

ولو كان ديكارت كشف عن رأيه فى موقف الكنيسة من غاليلى لضاعت تلك الفلسفة التى وضعت للنفس روحية ثابتة ، وقررت بفيزيقيتها « اليقين العلمى » و « الوجود الكونى »

حسين محمود البشبيشى

لحم اصطناعى

حلت بنا أزمة اللحوم ومحنة حظر اللحوم فماذا أوحت إلينا ؟ لقد أشعرتنا بالحاجة إلى بديل للحوم يشبهها من جميع الوجوه ويغنى عنها : أى لحم اصطناعى . وسيزداد شعور العالم فى المستقبل بهذه الحاجة لا بسبب الحروب بل بسبب تطور المدنية . نعم سوف ترهف مشاعر الإنسان فى المستقبل فيشمئز باحتجاج صامت من الحيوان الأعجم على سفك دمائه ، وستنمو غريزة الشفقة وتطغى على البشر فلا يعودون يرون أن ذبح الحيوان يختلف عن ذبح الإنسان . ستسود المحبة والتآخى بين الإنسان والحيوان وتنسى الطيور غريزة الخوف من الإنسان فتراها لا تطير مدبرة إذا أقبل عليها بل تستقبله هاشة باشة مغردة بالتحية . وستتضح للناس أضرار صحية وخلقية لأكل لحم الحيوان ، وإن من أكل لحم الحيوان قد تسربت إلى الإنسان ميول حيوانية وتفكير حيوانى . وسينتصر العلم فى إنقاذ الموقف باختراع لحم اصطناعى أشهى وأفضل من لحم الحيوان . وليس فى هذا القول بدعة ، فقد سار العالم فيه شوطاً ليس بالقصير ، وانتشرت المطاعم النباتية فى عواصم أوربا وتأسست فيها جميعات لمكافحة أكل الحيوان ، وصارت المصانع تخرج كل يوم أنواعاً جديدة من مستحضرات غير حيوانية تستعمل بدل اللحوم فى شكل خلاصات لها طعم اللحوم أو الدجاج أو السمك . حتى محار البحر أمكن تقليده . وعمد البعض إلى تقليد ألياف اللحوم لتقطع بالسكين على المائدة كأن عملية القطع بالسكين فى حد ذاتها لذة

وأسجل مع الأسف أن مطاعم القاهرة لم تظهر تفنناً كافياً فى مقابلة نظام حظر اللحوم ، ولم تبتكر أى طعام جديد خلاف الأطعمة العتيقة المشهورة . وذلك على رغم توفر الخضر والفواكه واللبن والبيض فى بلادنا . حقاً لقد تجلت حاجتنا إلى إنشاء معهد للأغذية

دكتور على عبد السلام

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١١ مارس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٦٠٣ سنة ١٩٤٢ ضد جاد فرغلى يونس فرايد بدمنهور بالحبس خمسة عشر يوماً مع الشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

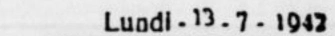
حكم بجلسة أول ابريل سنة ٩٤٢ فى الجنحة ن ٣٧٠ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بتغريم عليان عمر زيدان بخصين القرينة ٢٠٠ قرشا لبيعه أرزاً بأزيد من التسعيرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No 471

Lundi - 13 - 7 - 1942





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٧١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ جادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٣ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

تأريخ عصر النبوة

قرأت في مجلة « الثقافة » مقالاً جيداً للأستاذ محمد مندور عن اتجاه رجال الأدب في العصر الحديث ، فرأيت أن أخصه بشيء من التعقيب ، عساه يلتفت إلى تحرير آرائه بعض الالتفات فهو صديقٌ عزيز وله علينا حقوق . وأ كتفي بالتعقيب على العبارة الآتية :

« ما بالُ معظم كتّابنا قد انتهوا بالكتابة عن (محمد) ؟ أهو إيمان من يشعر باقترابه من اليوم الآخِر ؟ ذلك ما نرجوه . ولكن ثمة أمرٌ لا شك فيه ، وهو أننا قد وصلنا من التزمت حدًّا نبرّئُ منه كل الأديان على السواء »

ومعنى هذه الفقرة أن الكتابة عن الرسول ضربٌ من المتاب ، وأنها دليل على ابتلاء الجمهور المصري بالتزمت والجمود . وأقول إن هذا التصور المنحرف ليس بجديد ، فقد سبقته أوهامٌ تزعم أن الحديث عن الرسول بابٌ من الرجعية ، وأن الاشتغال بأخبار النبي وأصحابه فنٌ من التودد إلى الجماهير ، وهي تحب الإفاضة في أمثال هذه الشؤون (؟ !)

والحق أن عصر النبوّة الإسلامية يحتاج إلى دراسات كثيرة ، وأن ما كُتب فيه لهذا العهد ليس إلا تباشير لدراسات

تستغرق مئات المجلدات ، لأن ذلك العصر كان مطلع نهضة إنسانية تركت أعظم الآثار الروحية والعقلية في المشرق والمغرب ، وصبغت التفكير الإنساني بألوان تحتاج إلى من يدرسون عناصرها الجوهرية بتعمق واستقصاء

وإذا جاز اتهام المهتمين بتأريخ عصر النبوة بالغايات الدنيوية أو الأخروية ، فلن يجوز القول بأن ذلك العصر قد وضح في أذهان الجماهير وضوحاً يغنيهم عن التأليف الكاشف لما فيه من أسرار وآيات

ولو نظرنا فيما كتب الأوربيون في مدى عشرين سنة عن شاعر من شعراء الأساطير مثل هوميروس لوجدنا عنايتهم به تفوق عناية العرب بتأريخ حياة الرسول في مدى أجيال ، مع العلم الوثيق بأن الرسول العربي ترك في الوجود آثاراً تفوق آثار من سبقه من الأنبياء ، بله الشعراء

لم يقل أحد إن هيكل كان رجعيًّا حين ترجم لجان جاك روسو ، ولم يقل أحد إن العقاد كان رجعيًّا حين ترجم لابن الرومي ، ولا قال قائل برجعية طه حسين حين ترجم لأبي العلاء ، ولكن الرجعية أصابت هؤلاء الأساتذة حين شغلوا أنفسهم بتأريخ عصر النبوّة ، لأنه مصدر من المصادر الدينية ، وأهل هذا الزمان يرون الحديث عن الديانات من المبتذلات !

أنا أبغض الرياء كل البغض ، وأنا أسأل الله أن يصب جام غضبه اللاحق على المرائين ، ولكن ذهني لا يسيغ أن يكون ما كتب هيكل وطه والعقاد عن الرسول ضرباً من الرياء ، لأن كتاباتهم في هذا الموضوع كتابة أصيلة ، والكتابة الأصيلة لا تصدر إلا عن ذوق وروح وإيمان

وقد حدثتكم مرة أن الدكتور طه حسين ليس له من « هامش السيرة » غير قصة الراهب في الجزء الأول . والأمانة توجب أن أحدثكم أن ناساً في العراق أخبروني أن في الجزء الثاني فصولاً أفاضت عيونهم بالدمع ، فهل يبكي القارئ قبل أن يبكي المؤلف ؟

أرجوكم أن تذكروا أن في الأدب العربي المصري لهذا العهد أصالة روحية وذوقية تستحق الإعجاب ، ولو أعفتنا الخطوب مما يعوّق النهضة الأدبية في مصر لرجونا أن يكون للبيان العربي عصر جديد يفوق في روعته أجل ما أُثر عن عصر بني أمية وبني العباس ، ونحن قد تفوقنا بلا ريب ، ومحصولنا الأدبي وصل إلى غاية من الروعة لم تخطر لأحد من القدماء في بال

وخلاصة القول أن تأريخ عصر النبوة لم يأخذ من عنايتنا كل ما يستحق ، لأنه ليس مصدر ثروة روحية فحسب ، وإنما هو مصادر لثروات أدبية واجتماعية وتشريعية . وتاريخنا الأدبي أجاز أن تؤلف رسالة في إعراب « جاء زيدٌ » فكيف يُنكَر أن تؤلف رسائل في حياة الرسول ؟

وهنا مَلْحَظ آخر : هو صدور المباحث الدينية في هذه الأيام من رجال ثقافتهم مدنية . فما معنى ذلك ؟ معناه أن الإسلام بريء من الصبغة الكهنوتية ، وأن كل مسلم مسئول عن شرح أغراض الدين الحنيف ، ولو جهل موقع البلد الذي تقوم فيه إدارة الأزهر الشريف

حدثني أستاذنا الشيخ المراغي قال : « الإسلام خسارة في هؤلاء المسلمين » . وهي كلمة هزّت قلبي حين سمعتها من هذا الرجل العظيم ، فلو كان الإسلام دين أمة مثل الأمة الإنجليزية أو الأمة الألمانية لاستقلّ أتباعه أن يُنشر عنه في العام الواحد عشرات المجلدات

بين الأزهر والجامعة المصرية

نشرت « الرسالة » كلمة للدكتور محمد البهيّ عن المستوى الجامعي في مصر بين الأزهر والجامعة المصرية ، وهي كلمة تؤكد المعنى الذي أراده أحد الشعراء حين قال :

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فقد أراد أن يحكم بالعُقم على الأزهر وهو من أبنائه ليسهل عليه الحكم على الجامعة المصرية بالإفلاس !

والحق أن الجامعة أدخلت في الحيَوات الأدبية والعلمية والتشريعية فنوناً جديدة متسمة بالقوة والإشراق . ومن الظلم أن يقال : « إن الكثير من مؤلفات الجامعيين يلازمه الغموض في التعبير عن الفكرة ، ويندر أو تنعدم فيه شخصية المؤلف » ، فهذا القول يشهد على قائله بالبعد عن مسايرة النشاط الجامعي في الميادين الأدبية والعلمية والتشريعية ، ويضيفه إلى المتجنين على الجامعة بلا بينة ولا برهان

نحن لا نقول بأن كليات الجامعة المصرية وصلت إلى الكمال المطلَق ، ولكننا نرفض القول بأنها خدعت « عقلية الرأي العام المصري » كما قال هذا الباحث الفضال ، فقد صدرت عن الجامعة المصرية مؤلفات وأبحاث ودراسات لم تشهد مثلها اللغة العربية منذ أجيال طوال ؛ والمنصفون من رجال الأزهر الشريف لا ينكرون ذلك المحصول النفيس

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ؟

ليت المنافسة العلمية تثور بين الأزهر والجامعة المصرية !

ليت الأزهريين يجارون الجامعيين فى البحث والتأليف ، وفى السيطرة الفكرية على شباب هذا الجيل ؟

لو استطاع الأزهر أن يصاول الجامعة لضمنتُ للفكر الجديد جذوةً كريمة الروح ، ولكن الأزهر مكتف بمكانته فى التاريخ ، والموت من نصيب من يكتفون بالتاريخ

الجامعة المصرية هى اليوم صوت مصر فى الشرق ، وهى التى تشرع المبادئَ للمعاهد العالية فى الأمم الشرقية ، فليأخذ الأزهر من يدها هذا الصولجان إن استطاع ، فهل يستطيع ؟

ليت ثم ليت ! ! وهل ينفع شيئاً ليت ؟ !

روح الغزالى ينتقم

إن كان فى قراء « الرسالة » من يرضى عن مقالاتى فى هذه الأيام فأنا عن تلك المقالات من الساخطين ، لأنها بعيدة عما أريد أن أقول ، ولأنها تصورنى بصورة من لا يشعر بما فى الدنيا الحاضرة من هموم وأرزاء

وقد نظرت فعرفت أن روح الغزالى ينتقم منى ، فقد جاء فى « كتاب الأخلاق عند الغزالى » ما نصّه بالحرف :

« بينما كان بطرس الناسك يقضى ليله ونهاره فى إعداد الخطب وتحبير الرسائل لحث أهل أوربا على امتلاك أقطار المسلمين ، كان الغزالى غارقاً فى خلوته ، منكبًّا على أوراده ، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد . ويكفى أن نذكر أن الإفرنج قبضوا على أبى القاسم الرملى الحافظ يوم فتح بيت المقدس ، ونادوا عليه ليُفتدَى فلم يَفده أحد ، ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عدداً لا يحصيه إلا الله ، كما ذكر السبكى فى الطبقات ...

وما ذكرنا هذه المأساة إلا لنمدّ القارئ لفهم حياة الغزالى ، ولنقنعه بأنه ليس من الحتم أن يكون الرجل الممتاز بعلمه صورةً لمصره ، فإن كُتب الغزالى لا تنبئنا بشئ عن تلك الأزمة التى عاناها المسلمون حين ابتدأت الحروب الصليبية ... ومن الخطأ أن نَقصر الأخلاق على سلوك المرء كفردٍ مستقلّ عن الحياة الاجتماعية ، فلكل ظرفٍ واجباته ، ويتعسر وجودُ حالة لا تقضى فيها الأخلاق »

كذلك قلتُ فى التثريب على الغزالى بلا ترفق ولا استبقاء ، فأين أنا اليوم ؟ وما صلة ما أكتب بظروف هذه الأيام ؟ وماذا يقول الأخلاف إذا نظروا فرأوا أن مقالاتى فى سنة ١٩٤٢ خلتْ من الحديث عن معترَك المطامع الأوربية فى الأقطار الإسلامية ؟

هل يوجد فى الأخلاف المنتظَرين من يعتذر عنى فيقول إن الأدب الصّرف كان فى سنة ١٩٤٢ باباً من أبواب الجهاد ، وإنه كان يجوز للأديب أن يصمّ أذنيه عن أصوات المدافع ليتسمّع صرير الأقلام ؟

لو اعتذرتُ عن الغزالى لوجدت من يعتذر عنى . وكما يدين الفتى يُدان !

تقاليد مصرية

لم يبق ريبٌ فى أنى مفتونٌ بوطنى أعظم الفتون ، ولهذه الفتنة أسبابٌ أهمُّها الشعور بأنه وطنٌ يمجّد الذاتية ، ويمين أهل الكرامة على الظفر بشرف الحرية والتفرد والاستقلال

وآيةُ ذلك أنى قضيت من عمرى ما قضيت فى التمرد على أهل زمانى ، ولم أسمح لأحد بأن يأخذ بيدى فى أى وقت ، ولا رضيت بأن يكون زمامى فى يد أى مخلوق ، فكيف كانت العواقب ؟

لم يضع منى شئ ، ولا أُغلق فى وجهى باب ، ولا استجاز أحدٌ أن يتناسى أننى استغنيت بالله عن الناس ... وهل أموت يوم أموت إلا بسبب الإفراط فى الطعام والشراب ؟

العزّةُ لله ولرسوله وللمؤمنين ، وقد أكرم الله مصر فجعل للروح المصرى خصائص لم يَهَبْها لأحدٍ من الشعوب

ولتوضيح جزئية من جزئيات هذا المعنى الكلىّ أقول :

كانت مصر أول أمة انتفعت بالإذاعة اللاسلكية بين أمم الشرق ، وقد رأت مصر أن يكون « القرآن » فاتحة إذاعات الصباح ، وريحانة إذاعات المساء

فماذا وقع ؟

رأت جميع الأمم الإسلامية أن تلاوة « القرآن » شرطٌ فى صحة الإذاعة اللاسلكية

ثم ماذا ؟

ثم رأى الإنجليز والألمان والطليان والفرنسيس أن إذاعاتهم العربية لا تصح إلا إذا افتُتحت بالآيات القرآنية

فما معنى ذلك ؟ !

معناه أن « مصر » وضعت شريعة للاذاعة اللاسلكية باللغة العربية

ومعناه أن مصر هي صوت العروبة والإسلام في الشرق والغرب

وطني ... !

إن سنبلة القمح في أرضك أعظم من أختها في أي أرض !

وإن لوزة القطن في أرضك أعظم من أختها في أي أرض !

وما سطعت الشمس في سماء بأقوى مما تسطع في سمائك ، ولا ازدان رأس بأكاليل المجد الأصيل كما ازدان رأسك ، ولا ضُربَ المثل بالحلاوة والمرارة قبل المأثور من حلاوة نهرك ، ومرارة بحرك ...

وطني ... !

إن المسيحية تؤرّخ في كل أرض بميلاد المسيح ، وفيك وحدك تؤرّخ المسيحية بعذاب الشهداء ، لأنك وطن المعاني !

وفي الإسلام مذاهب لا تجتمع في بلد إلا ذاق بعضها بأس بعض ، وفيك وحدك تلتقي جميع المذاهب الإسلامية بلا بغي ولا عدوان ، لأنك وطن الإخاء !

وطني ... !

إن جنى أحدٌ على نفسه بالغباوة والدمامة ، فجنايتك على نفسك هي ذكاؤك وجمالك ، يا معترَك الذكاء والجمال في كل عصر وفي كل جيل

وطني ... !

ماضيك أعظم وأضخم وأشهر من أن يحتاج إلى بيان ، فما أنت في حاضرك ، وهو ما أعرف وتعرف ؟ !

هل استطاعت الخطوب الثقال أن تطفىء أنوارك ، أو تخمد نيرانك ، أو تذبل أزهارك ، أو تُغيض أنهارك ، أو تصدّك عن التحليق في سموات العلم والفكر والبيان ؟

لو عانت كبار الشعوب معشار ما عانيتَ ، يا وطني ، لشالت كفتها في ميزان التاريخ ، فكيف استطعت أنت برغم ما عانيت أن تظل مصدر العقل في الشرق ، وأن تهتدى بنورك في اللغة والدين مئات الملايين ؟

لا إله إلا الله ولا وطن إلا مصر !

ذلك نشيدي في حبك يا وطني ، ولن تراني إلا حيث تحب ، ولن يراني أعداؤك إلا حيث يكرهون ، ولو زعموا أنهم في طهر ملائكة السماء !

الدول تحترب من أجلك ، فكيف لا أحترب من أجلك ؟ وكيف أهادن خصماني فيك ، وأنت صرحٌ أقام أساسه واهب الخلود ؟ !

في يدي حسامٌ هو قلمي ، وفيه الحتف لأعدائك يا وطني ، ولو استظهروا بجيوش البر والبحر والهواء . . . اللهم أعنى على الوفاء بالعهد للوطن الغالي

زكي مبارك

جيـــل وجيل

حيوية الفــكر

للأســتاذ محمود البشبيشى

حيوية الفكر وليدة الفطرة — تكوين الشخصية والحيوية — الاتزان مع البيئة — الحيوية فى الأدب — عبقرية محمد — الأستاذ الزيات — آدم وحواء والدكتور مبارك — الحيوية فى الشعر — وأرواح وأشباح —

نصل حوارنا اليوم بفيض من الفكر، ينساب انسياب الطبيعة الحية فى كل شئ، ويتألق تألق الشعاع اللماح يبيد غياهب الظلمات وتفتر مباسمه عن أنوار من الطفرات العقلية الطبيعية الغاية، المأمونة المثار؛ فليس أحب إلى الكاتب المفكر من أن ينشر ما اضطرب فى صدره من الخواطر، وجال فى خاطره من المعانى. وحديث اليوم حديث الحيوية فى الفكر

قلت لولدنا حسين: لنصل اليوم ما انقطع من حوارنا ففيه مسرح يروق عينى، ومستروح يبهج نفسى، مع ما فى ذلك من مصابرة لمكاره الفكر المستغلقة، ومعالجة لأسرار الأمور. ولنرجع إلى حديث الحيوية الذى حدثتنى عنه فى أول الأمر، فقد جدت أمور حركت ما كمن، وبعثت ما خمد

قال: أما العودة إلى الحوار فإنى لأجد فيها من مباهج الفكر، ومراقى الإدراك، وفوات المعانى... ما يسكن نفسى النفور، ويطرب قلبى المتطلع إلى مطالع المعرفة. وأما حديث الحيوية فأنا مشتاق إليه بمـا طبعت عليه نفسى، وانطوى عليه حسى، واضطرب به فكرى... ولعلنى اليوم أجد ما يثبت ما قلت بالأمس من أن الحيوية فى كل شئ هى سر البقاء، وأن الرجل الحق من خلع على الحياة صور نفسه، وأخذ من صور الحياة ما يتجانس معه، ويساير حقيقته، ويلابس حدود حاجته

ولكن الحيوية يا سيدى الوالد وليدة الفطرة، مهما اختلفت صورها، وتباينت مناهجها، وتنافرت مقاصدها. وإن الحيوية الفكرية خاصة لأبعد من أن تنال بالاعتياد والدربة وأن من ظن ذلك فقد قرنها بالصنعة، وفرق بين الطبيعة والصنعة. أما الطبيعة ففيض من الروح ونور من الإلهام، وأما الصنعة فألفاظ مرصوصة وصور منحوتة. وهيهات أن يصل كاتب حرم حيوية الفكرة إلى مراتب الكمال، فإن ذلك أبعد من تحقيق حلم الخيال. وفى مصر كثير من صناع الألفاظ، ونقلة الأفكار. وإنك لترى العجب كلما قلبت مجلة من المجلات؛ فهنا كاتب بلغ الغاية فاطمأن وظن أن على القارئ أن يقرأ كل ما يكتب ولو كان من عبث العابثين. وهناك كاتب انسلخ من ماضيه وساير ركب الحياة الضارب فى كل متاهة ومضلة

قلت: حتى هذا يا بنى؟ بل إن الحيوية الفكرية لتكسب الكاتب شخصيته، وشخصية الكاتب فى أسلوبه، وطريقة عرضه لأفكاره، ونقده لأفكار غيره، ونظرته وتأمله إلى كل ما يضطرب حوله من صور الحياة. فهذا كاتب اختصت حيويته بالنظرة النافذة، والرأى العميق، والفكرة الفلسفية... فتراه فى كل مظهر من مظاهر إنتاجه قد ساير طبعه، وجانس حيويته. إن من الأفكار ما يكون باقياً على الدهر، يتنافس الرواة فى حفظه ونقله، وتلهج الألسنة بترديده والتمثل به، ولا يزيد على الأيام إلا جدة وقوة؛ لأنه وليد مشاعر حية إنسانية، وعصير قلوب ذابت فجرت نغما. ذلك النوع من الفكر هو ما قام على قواعد من الحيوية، تحس فى كل لفظ من ألفاظه حياة لا تقيدها الكلمات، ولا تتحكم فيها العبارة؛ هذا النوع من الفكر يساير الحياة لأنه وليد الحياة، ويضرب فى نواحيها المتباينة فيكون منطقه فصلاً، وحكمه نافذاً... لا يسأم الإنسان من تكراره، ولا تنفر الآذان من سماعه، لأنه نغم القلب وصدى الروح

قال: إذا صح أن الحيوية تكون الشخصية... فإنه يصح أيضاً أن تكون الحيوية الأساس الأول للاتزان مع البيئة. وأقصد بالاتزان مع البيئة مسايرتها وملابستها أصدق المسايرة والملابسة... فترى الكاتب المفكر الذى يخضع لحيوية قوية يحس مواضع القول، ويجيد اختيار المناسبة؛ ولاختيار المناسبة موضع وحدود، وليس من الحيوية أن يتخطاها الكاتب أو يعجز عن إدراكها... فقد تتوارى السحب وراء الأفق البعيد فيظن الكاتب الذى تعود أن يرسل نفسه على سجيتها أن السماء صادقة فى صفوها فيندفع وراء ما يحس هو لا ما يحس غيره، ويجرى وراء ما يراه هو لا ما يراه المجتمع... فإذا به يقف أمام الحقيقة المرة، وإذا به يرى أن الأفق لم يك فى صفائه صادقاً، وإذا به يطوى صفحة أفكاره وفى النفس حسرة وفى القلب ألم... ما الذنب الذى جنى؟ وما الشر الذى اقترف؟ الذنب الذى ارتكبه أنه لم يدرك معنى الاتزان مع البيئة فترك الأرض ليبحث

فى السماء . وما علم أن على الأرض من يجزع ويحقد على كل من يحاول الخلاص من قيود التراب الأرضى ! !

قلت : هذا كلام يشعرنى بأنك تريد أن تقول شيئاً وراء اللفظ ، أو أنك تميل يا بنى إلى توجيه القول لكاتب كبير فاضت حيويته وضاقت بقيود الأرض وكل ما يتصل بمعانيها . أكاد أشعر بهذا ولى الحق في أن أشعر به ، بل أكاد ألمس غضبك كلما تذكرت اختناق تلك المعانى الرائعة التى انطلقت فى غفوة من الزمن من روح هذا الكاتب الكبير . ولكن هذا الكاتب الكبير يعلم حق العلم أن الحيوية تفرض عليه الاتزان مع البيئة فلا محل للومه هو . . . بل اللوم كل اللوم لحيويته الدافقة التى ضاقت بالأرض فانطلقت إلى السماء ...

الحيوية يا بنى لها أكبر الخطر فى الأدب . فالحيوية الفكرية ليست حبساً على غزارة مادة الكاتب أو الشاعر ، ولا هى رهن بمقدار ما يروى عنه ، وإنما هى سر من أسرار النفس والفطرة . يودعه الكاتب أو الشاعر قوله فيضمن له على الدهر الخلود . فإن من الشعر ما تزداد فيه الحيوية حتى لا تقف به عند حد الخلود ، بل إنه ليضفى الحياة على ما يمسه من الموضوعات ، ويكاد يبعث من طواهم الثرى من الناس بعثاً يختلف قوة وضعفاً ، ويتباين سعادة وشقاء . فمن لا يذكر سيف الدولة كلما ذكر المتنبي؟ ومن لا يذكر كافوراً كلما تناول شعر أبى الطيب ؟ ومن لا يذكر حرب البسوس كلما جال بخاطره رثاء مهلهل لأخيه كليب ؟ ومن لا يذكر مالك بن نويرة كلما قرأ شعر أخيه متمم؟ ومن لا يرثى لمقتل (صخر) كلما سمع نواح الخنساء عليه؟ ومن لا يذوب أسى كلما ذكر قصيدة شوقى طيب الله ثراه فى رثاء « مقدونية » ؟ ولقد يكون من الشعر ما يُقوّى عناصر الحياة حتى فى الحقائق العلمية والاجتماعية ، ومن حكم المتنبى ما هو أصدق شاهد على ما نقول ، وليس بأقل منه قول شوقى فى قصيدته «نهج البردة» يدفع عن الإسلام دعوى أنه قام على أعضاد السيوف :

قالوا : غزوت ورسل الله ما بعثوا بقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم !

قال : ومن حيوية الكاتب العبقرى أن يخلص من قيود الحياة المضطربة الثائرة فينطوى على نفسه يراقبها ويحقق أغراضها ، ويساير ميولها مهما كانت الظروف التى تحيط به . وخير دليل على هذا ما فعله الكاتب العبقرى الأستاذ العقاد ... إذا استطاع فى مثل هذا الجو المضطرب بأحاديث الحرب ، المرتمش فى مهب المقادير ... أن يبعث من نفسه صوراً حية تتناول أكبر شخصية حية تفخر بها الإنسانية وتعتز بها البشرية ... أجل إن كتاباً روحياً صادقاً يخرج إلى الحياة فى مثل هذه الأيام العجاف لهو كتاب جدير بالتأمل والإعجاب . بل إنى لأرى فى خروجه فى مثل هذه الأيام لحكمة تصور صدق حيوية الأستاذ العقاد . فليس من شك فى أنه أراد أن يقدم للانسانية أروع المعانى الروحية تتألق حيوية فى شخص الرسول ... فى زمن جنت فيه العقول ، وتكلم لسان الدمار :

جنوا وعيّ لسانهم فتفجرت لسن الدمار قنابلاً .وبرودا

قلت : هذا حق يا بنى ، فكتاب عبقرية محمد كتاب تعتز به العربية فى دقة الفهم ، وروعة العرض ، وسلامة النسج ، وإنى لأطرب يا بنى كلما ذكرت أن فى مصر كتاباً يكتبون فى سيرة أشرف الخلق . فكم هزنى إعجاباً كتاب « محمد المثل الكامل » للأستاذ محمد جاد المولى بك ، ففيه تحقيق العالم الخبير، كما غمرني طرباً كتاب «على هامش السيرة» للدكتور طه ففيه سهولة وطلاوة . . . وإنى لأنتظر من صديقنا الدكتور مبارك أن يكتب فى هذه الناحية الشريفة النبيلة ، كما آمل أن يعرج عليها صاحب الرسالة بما عهد فيه من دقة وروعة . ولو سمحت لنا الظروف ولم تقطعنا الشواغل لقمنا بهذا الواجب الروحى الجليل فى أقرب فرصة يسمح بها الزمان يا بنى ...

ومن حيوية الفكر يا بنى أن يساير الكاتب المجتمع ويلابسه أصدق الملابسة حتى يصيب الهدف ويبلغ الغاية ، ويكون مثابة حق ومنار هداية . وما كان قصور بعض المصلحين إلا من شأن عجزهم عن إدراك معانى الاتزان مع البيئة . فحقيق بالمصلح المتأمل والكاتب الاجتماعى أن يعقد القلب على إدراك أسرار هذا القانون الطبعى ، فتتيسر له أسباب الأمور ، وتسهل أمامه الصعاب . وإن الأستاذ الجليل الزيات لصورة صادقة لمسايرة الكاتب للمجتمع وأحواله ، وما يضطرب فيه من ألم وفرح . فما من مقال له إلا وهو يرمى إلى هدف مقصود ، وغاية معلومة ؛ وما من رأى له إلا وهو يعالج حالة خاصة ، ويدل على مذهب خاص ـــ ولعلك

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

يا بنى تذكر كيف غلبته حيويته الاجتماعية فتفرد بالكتابة « فى عدد الهجرة الخاص » فى « مشكلة الفقر وعلاجه » ، وكيف أسرع وكتب فى « مشكلة الرغيف » ، وكيف كان أول من كتب فى الانتخابات وصورها تصويراً رائعاً ... ؟ !

قال : و « آدم » و « حواء » يا والدى ... إنها لأروع صورة لحيوية الفكرة المنطلقة التى لا تتقيد بشىء إلا بالحقيقة والضمير الحي ... « آدم » و « حواء » : بحث نابض بالحيوية ، بل هو أعظم ما كتب الدكتور مبارك ، فقد كانت الفكرة فيه تخرج فى ثوب من الإيمان بالرأى والعقيدة ، وفى لون من الفن الرائع لست أغالى إذا قلت إنه منقطع النظير فى آداب العربية ... وقرأتها لأول مرة ، فابتسمت وقلت : إن الدكتور سيفترع فنًا جديداً يسد نقصاً كبيراً فى أدبنا ... وإنى لأقول فى صراحة إننى كنت أعتقد أن صاحب هذه الأفكار لا بد أن يكون من أبناء هذا الزمان ، ولا بد أن يكون قرأ — على الأقل — فلسفة القرن التاسع عشر ، ولا بد أن يكون في مثل حيوية دكتورنا المبارك ، وليس فى مثل حيوية « شيث » !

وإنى لأذكر للدكتور المبارك أنى جزعت كل الجزع عند ما قرأت « ينبوع حلوان » ! فقد أدركت منه مالم يدركه غيرى ، وأحسست أن الفكرة التى انطلقت من الأرض قد قيِّدت ! !

قلت : والحيوية فى الشعر يا بنى أن يكون في الشعر تجويد فى اللفظ والمعنى . فإن ما يصدر عن الشاعر الموهوب العظيم لا بد أن يترك فى النفوس آثاراً عظيمة ، وما يصدر عن الشاعر الماجن الواهن الضعيف النفس ، المستهتر بالملاهى ، لابد أن يحمل فى طياته عناصر فنائه ، وإن أغتر به صاحبه ، وتناقلته أفواه الرواة الماجنين . إن النفس لتطرب بالنثر البليغ فهى بالشعر الجيد أشد طرباً . ولقوة الشاعرية ، وغزارة المادة ، وسعة الثقافة ، وسلامة المنطق ، أثر بعيد الغور فى سلامة تفكير الشاعر ، وجنوحه إلى الأسلوب المنطق ، وسوق القضايا فى مساق الاستدلال كلما زاول معنى من المعانى ، فهو لا يكتفى باللمحة المجلى يرسلها على المعنى فيجىء غامضاً فاتراً ، أو يصل إلى النفوس قلقاً مضطرباً . فإذا قرأت للشاعر الحى شعراً رأيت لوناً واضحاً من الفكرة يسود القصيدة كلها ، أو ينصبّ على كل معنى من معانيها

قال : ماظنك « بأرواح وأشباح » للأستاذ على محمود طه ... إنها لصورة لسعة الثقافة ، وغزارة المادة ، وسلامة المنطق والتغلغل فى أسرار المعانى ، افتن فيها الشاعر فجاءت فتنة ، تصور الوجد اللاعج ، والجوى المستعر ، وانطلاق الشهوات من قيودها ، وعبثها بروعة الفن وقداسته . ذهب فيها الشاعر مذهباً جديداً من الفن الشعري ، عرض فيه لسلطان الشهوات الكامنة ، والنزعات الدفينة ، والأحاسيس الملتهبة . وهو فى عرضه لها صاحب نظرة صادقة لا يأخذ الحياة كما هى ، بل يخلع عليها من إشعاع روحه ما يكيفها التكييف الذى يريد ...

قلت : ومتى وصلت الحقائق والأخيلة إلى النفس على تلك الصورة المحكمة ، وراضها بيان طيع ، وصاغها شاعر ملهم ، كان لها فى النفس مستقر ومقام . وإنك لتدرك ذلك من نفسك فيما يقع لك من شعر بعض المعاصرين ، فقد تقرع أذنك قصيدة أخاذة المظهر ، رائعة العنوان ، فلا تجد لها عاضداً من فكرة متحدة ، ولا ضابطاً من منطق متماسك ، فلا تنتهى منها حتى تصير عرضاً لفظياً يذهب مع الهواء ، ولا يجد لنفسك مدخلاً . وقد تقع لك أبيات قليلة أو قصيرة فيها فكرة وفيها تماسك ، فتحل من نفسك فى الضمير ، ولا يعييك أن تحتفظ بمبناها ، بل لا يستعصى عليك متى (شئت) استظهارها

محمود البشبيشى

حكم فى القضية ١٣٦٣ أسيوط عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد سيد وراد حسين وآخر من أم القصور حبس كل منهما شهر شغل والنفاذ لبيعهما ذرة بأزيد من التسعيرة بجلسة ١٨ / ٥ / ٩٤٢

حكم فى القضية ن ١٠٩٠ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤١ ضد زكيه عبد الفتاح الماحى بتغريمها جنيهين والنشر بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد

حكمت محكمة دمنهور العسكريه بجلسة ٣ يونية ١٩٤٢ فى القضية رقم ٨٧٧ ضد بهية محمد محمود غزلان من لقانة مركز شبراخيت بتغريمها ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

٢ ـ شعر على بن أبى طالب

للأستاذ السيد يعقوب بكر

على أننا وقد ذكرنا أقوال بعض المؤيدين نحب أن نعرّج على أحد المعارضين وهو الأب لامانس فنناقش مقالته وننقصها ليتم لنا بذلك وجه البرهان على الرأى الذى رأيناه .

فقد كان أنكر فى كتابه Fâtima et les Filles de Mahomet (ص ٥٨) أن علياً كان شاعراً ، واستشهد على ذلك بما ذكر فى الأغانى (ج ٤ ص ١٣٧ ط دار الكتب) من أنه « كان يهجو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاصى ؛ فقال قائل لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه : أهج عنا القوم الذين قد هجونا ؛ فقال على رضى الله عنه : إن أذن لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعلتُ ؛ فقال رجل : يارسول الله ، إئذن لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ؛ فقال : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .

ثم إن المستشرق الإيطالى الدكتور Georgio Levi della Vida عارض الأب لامانس فى رأيه هذا فى بحث نشره بمجلة Rivisti delgi Studi Orientali (مجلد ٤ ص ٥٣٦ـ٥٤٧) . فقد ذهب إلى أن معنى النص المذكور فى الأغانى هو أن محمداً رأى أن هجاء قرشىّ كعلى لقريش ليس من الأمور التى يتطلبها الهجاء ليكون نافذاً لاذعاً مؤثراً ، فإن هجاء غير القرشى لقريش يكون شديداً عليها ذا وقع كوقع السهام أو أشد . واستدل هذا المستشرق الإيطالى على ما ذهب إليه فى هذا النص بأن الشعراء الذين كانوا ينافحون عن الرسول ودعوته ويدفعون عنه عادية شعراء قريش كانوا كلهم من المدينة أى من الأنصار مثل : حسان بن ثابت وكعب بن مالك[1] .

فردّ عليه الأب لامانس رداً طويلاً تجده فى مجلة : Mélanges de la Faculté orientale de Beyrouth (مجلد ٧ سنة ١٩٢١ ، ص ٣١١ ـ ٣٢٠) ، وكذلك فى أول كتابه : Etudes sur le Siècle des Omayyades (ص ١ ـ ٧) . ونحن سننقض هنا هـذا الرد ؛ ولكننا قبل هذا نورد خلاصة كلام قدمه بين يدى رده ونقول رأينا فيه ، وذلك لأنه يتصل بموضوعنا من قريب

يبدأ الأب لامانس كلامه هذا بأن يقول : إن مكة لم تنجب قبل الهجرة أى شاعر ملحوظ المكانة ذائع الصيت ، وإن هذه الحقيقة تقوم دليلاً على زيف ما فى سيرة ابن هشام من أشعار كثيرة ، كهذه الأشعار المنسوبة إلى عبد المطلب جد على بن أبى طالب وإلى أبى طالب أبيه ثم إلى على نفسه

ثم يقول بعد ذلك إن الشعراء كانوا فى الجاهلية الحكماء وأصحاب الرأى ، وإن الشعر كان فيها من الصفات اللازمة للرجل الكامل حتى يدعى كاملاً ، وإنه قيل على هذا الأساس إن الخلفاء الأربعة الراشدين كانوا شعراء أو كانوا على الأقل أصحاب علم بالشعر العربى القديم . ولقد عنى أهل السنة بالنص على علم عمر الواسع بالشعر ، وكان عمر منافساً لعلى ومنازعاً له ، فكان أن قال الشيعة بعلم على بالشعر وحاولوا تصويره لنا فى مستوى عال جداً أو على الأقل فى مستوى مساو لمستوى منافسه الخليفة الثانى

ولقد أظهر على أثناء حياته السياسية جهلاً تاماً بأساليب السياسة أو قل بأساليب الحياة ، وجاء فى الحديث وصفُه بأنه محدود ، ووصفه معاصروه غير المتشيعين له بأنه تلعابة

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن الشيعة لم يدخروا جهداً فى إطراء علم على . ولقد كان أهل السنة يمجدون عمر ويرون فيه الرجل المطلق ، والتمم العبقرى لعمل محمد ، والخليفة الذى لا تأخذه الأحداث على غرة ؛ ولذلك وجدنا الشيعة يصورون بطلهم مخرجاً لعمر من حيرته وحرَج موقفه فى الوقت المناسب بحصيف رأيه وصادق نظره . وكان الشيعة يدّعون أن الله حبا عليًّا بتسعة أعشار العلم الإنسانى ، وقد بثّوا هذا الادعاء فى حديث وضعوه ، وادعوا أيضاً أشياء أكثر من هذا

هذه خلاصة الكلام الذى قاله لامانس قبل رده على المستشرق الإيطالى ؛ ورأينا فيه أنه كلام متهافت لا يسند أوله آخره ولا آخره أوله ، ونبين هذا فيما يلى :

١ — يشك لامانس فى الشعر المنسوب إلى علىّ فى سيرة ابن هشام لما هو معروف من قلة شعراء مكة قبل الهجرة ؛ ونحن إن قبلنا هذا الشك ، فإننا لا نقبل الأساس الذى بُنى عليه ؛ وذلك لأننا نعرف أن عليًّا نشأ بنشأة الإسلام وترعرع فى ظله فلم يكن وليد الجاهلية . وإنما كان وليد الإسلام . وعلى ذلك

(١) هذه المعلومات مستقاة من لامانس فى رده على المستشرق الايطالى

فإذا شككنا فى الشعر المنسوب إليه فى سيرة ابن هشام ، لزم ألا يكون شكنا مبنيًا على هذا الأساس الذى بنى لامانس عليه شكه ، وإنما لزم أن يكون مبنيًا على أساس آخر ، كأن يكون مبنيًا مثلاً على أن ابن إسحق الذى يروى عنه ابن هشام ممن لا يوثق بروايتهم للأشعار ، أو يُعتمد عليها

٢ — يرى لامانس أن الخلفاء الأربعة الراشدين إنما زُعم أنهم شعراء ، أو — على الأقل — أصحاب علم بالشعر ، لأن الشعر كان فى الجاهلية من مستلزمات الكمال ؛ وهذا الرأى لا أساس له ، لأن الحياة العربية اختلفت مُثُلها فى الإسلام عنها فى الجاهلية ، فأصبح العرب لا ينظرون إلى الشعر كما كانوا ينظرون إليه من قبل ، وبعد أن كان الشعر من مستلزمات الكمال ، أصبح وقد تحرّج من قوله كثير من الشعراء مثل لبيد

٣ — مهما قيل من أن الشيعة أضفوا على علىّ أثواباً من الكمال والحكمة وقوة العقل والقدرة على حل المشكلات ، فلسنا نستطيع أن ننفى عن علىّ صفات الرجل العاقل ، إذ يكفيه ليكون كذلك أن يربّى فى حجر محمد ويشبّ فى كنف الإسلام . فمحاولة لامانس تجريده من العقل الحصيف محاولة غير ناجحة ، فضلاً عن أن النصوص التى يستند إليها فى محاولته هذه مما لم تثبت صحته

بعد هذا التفنيد لكلام لامانس ، نعرّج على ردّه على المستشرق الإيطالى ، فنأتى بخلاصته ثم نقول رأينا فيه

يقول لامانس إن العبارة التى وردت فى الأغانى وهى « ليس هناك ؛ أو ليس عنده ذلك » مكونة من جزأين ، فالجزء الأخير منها هو الأدلُّ على المعنى والأعمق فى الأثر ، وليس الجزء الأول منها إلا مؤكداً له ومقوّياً . وهذا الجزء الأول أوجز وأكثر إمعاناً فى البداوة من الجزء الثانى

وبعد ذلك يورد لامانس العبارة التى وردت فى أسد الغابة وهى « إن علياً ليس عنده ما يراد من ذلك » ، ويبين كيف أنها تؤكد ما نفهمه هو من عبارة الأغانى

ثم يأخذ فى محاولة تحديد معنى عبارة « ليس هناك » المرادفة لعبارة « ليس عنده ذلك » ؛ وذلك بالرجوع إلى استعمالاتها الواردة فيما يرويه صاحب الأغانى . وقد استخلص من هذه الاستعمالات أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون المدارُ حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه

وأخيراً ينعى لامانس رده بأن يقول إن أى مستشرق لا يمكنه قبول الأشعار المنسوبة إلى على ، وإن الأقدمين أنفسهم أحسوا بانتحال هذه الأشعار أو خامرهم الشك فيها ، ومنهم ابن هشام ويونس بن حبيب

هذه خلاصة رد لامانس ، ونحن نرد على هذا الرد فيما يلى :

١ — صحيح أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون المدار حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه ، ولكن لا يمكن أن تشير إلى ذلك إذا كان المدار حول فن من فنون الشعر كالهجاء وحده أو المدح وحده ، فإنها تشير حينئذ إلى عجز من تقال فيه عن هذا الفن وحده دون سواه . وهذه هى الحال بالضبط فى القصة التى يرويها أبو الفرج ، فإن رجلاً سأل الرسول أن يأذن لعلى كى يهجو قريشاً فقال له الرسول : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » أى ليس هو بالقادر على الهجاء

ويؤيد رأينا هذا أننا لا نجد فى الصحيح من شعر على بيتاً واحداً فى الهجاء

ثم إنه لو لم يكن على شاعراً حقاً لما سأل هذا الرجل الرسول أن يأذن لعلى بهجاء قريش ، لأن سؤاله هذا مبنى على علمه بأن علياً شاعر قادر على نظم القصيد .

٢ — إذا كان بعض الأقدمين شك فى الأشعار المنسوبة إلى علىّ ، فليس يمكن أن يكون هذا الشك حجة للامانس ، لأن بعض الأقدمين أيضاً قال بأن علياً كان من الشعراء كما سبق أن بينّا

***

فعلىّ إذن كان شاعراً ، ولكن لا يمكن القول بأنه كان مكثراً ، فهو كان فى أغلب الظن مُقلاً ، بدليل أنه لم يُروَ له شعر كثير فى المراجع العربية المتمدة ؛ ولكننا على كل حال لا نسلم بأنه لم يقل غير بيتين كما يذكر ياقوت فيما سبق أن نقلناه عنه وكما يذكر السيوطى فيما سبق أن نقلناه عنه كذلك . ونحن لا نسلم بهذا لأن المراجع العربية المتمدة روت لنا أكثر من بيتين لعلى .

(للبحث بقية أخيرة) **السيد يعقوب بكر**

حاشية : وجد فى المقال السابق بعض تصحيفات دونك تصاويبها مرتبة : فى حاجة إلى شىء بعد ذلك : ... من ذلك . السيوفى . السيوطى . شرح شواهد الحنفى : ... المغنى . الطبعة البهدية : ... البهية ، وكان مجدودا قال له : وكان مجودا ما قال . كعرب : كعرب . خبروا ألا فرار : أن لا فرار . بحقر هنا : بحقه هذا

كتاب الامتاع والمؤانسة
الجزء الثانى
للأب أنستاس مارى الكرملى

توطئة

كان وقع بيدى الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، لأبى حيان التوحيدى ، فألفيتُه من أجلّ المصنفات لأنه اجتمع فى صاحبه مزيتان ، لم تجتمعا فى الرجُل الواحد إلاّ نادراً ، وهما : عُلُوّ النَّفْس والتفكير ، وسُمُوّ النَّفَس والتحرير ، وفى مطاوى المطالبة ، بدت لى بَدَوَات ، أحببتُ إبداعها المَهارق ، قائلاً فى نفسى : لعلها تفيد بعض الفائدة ، مَنْ يقف عليها ، أو لعلّ المطالع ينبهنى على غفلاتى ، فيهدينى إلى الصواب ، فيكسب بعمله الأجر والثواب ، فبعثت بها إلى مجلة المقتطف ، فنشر بعضها فى المجلد ١٠٠ : ٢٤٥ إلى ٢٥٠ ثم فى ٣٤١ إلى ٣٤٧ وبقى القسم الكبير منها ، إلى أن يحين الوقت لنشره .

والآن وقع بيدى الجزء الثانى من الكتاب المذكور ، فطالعته مسرعاً لأصِلَ بَدَوَاتى بعضها ببعض ، من غير أن تفتر هِمّة المطالع ، ولإنشاطه ، فجئت بهذه النظرات ، لعلّ فيها بعض الفائدة ، إن كان ما أبديه يستحق هذا الاسم ؛ فأقول :

١ – ملاحظات عامة

قبل أن أتعرض لما أراه فى الكتاب مما يخالف نظرى ، أقول بعض كلمات هى عامّة ، تتعلق بطبع فصوله ، أو مسامراته من تحسين وتزيين :

وأول كل شىء ، كان يحسن بالناشرَيْن أن يجعلا تحت كل عنوان من عناوين المسامرات فحواها . مثلاً أن يجعل تحت عنوان الليلة السابعة عشرة : « ما يحفظ من تَفْعال المفتوح وتِفْعال المكسور » .

وثانى الحسنات : أن يُكتَب فى صدر الصفحة اليمنى : الإمتاع والمؤانسة . وبإزائها فى صدر الصفحة اليسرى : المسامرة الأولى ، أو الثانية ، أو نحو ذلك .

وثالث الحسنات : أن يجعل فى آخر الكتاب فهرس المسامرات

والرابع ، أن يجمع فى معجم صغير ، الألفاظ الخاصّة بالمؤلف وهى كثيرة .

والخامس ، كان يحسن بهما أن يعارضا ما يجدانه من النصوص فى هذا الكتاب بما يجدانه منقولاً فى بعض الكتب . ففى هذا الجزء مثلاً نصوص منقولة فى ابن القفطى ، وابن أبى أصيبعة ، وابن خلكان ، والدميرى ، وقد نقل بعضاً منها الأمير شكيب أرسلان ونشره فى مجلة المقتبس وشرح بعض الألفاظ .

والسادس كان يليق بالناشرين أن يهملا أغلب ما جاء من المسامرة فى الليلة الثامنة عشرة ، فإن ماعلقاه فى الحاشية فى ص ٥٠ « ولولا الأمانة العلمية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها ، واكتفينا بما لطف ودق ، ولم ينبُ عنه الذوق » قلنا : « هذا عُذْر أقبح من ذنب » لأن أمانة العلماء والمخلصين للتاريخ هى أعظم فى حفظ الآداب بين القراء من بث سمومها ، وفحشها ، ووبائها ، فإذا لم يكن آداب ، وحيد أخلاق فى الناس ، فالفحش مفسدة لها ، ومهلكة . فالعلماء مكلفون بالمحافظة على مكارم الأخلاق ، أكثر من المحافظة على الأمانة فى نشر المجون وسخف الأقوال وسموم الآداب . هذا ما يتطلبه هذا العصر ، وأهلوه . ولو عاش التوحيدىّ فى هذا العهد ، لما نطق بكلمة من هذه المُنْديات ، المخزيات ، المهلكات ، المزيلات للأمم .

هذا رأينا ، ولكلٍّ رأى خاصّ به .

٢ – الأوهام فى الأعلام

جاء ذكر الموقّ – بالفاء – فى ص ٥ س ١ ، لكن أصلح فى ص ٢٥ من الفهارس بقوله الموقّ – بالقاف – والذى رأيناهُ فى تاريخ الحكماء لابن القفطى ص ٨٣ من طبع الإفرنج الموفيّ بالفاء . ومثل هذا التضبط ورد فى مجلة المقتبس ٦ : ٥٧٢ ، ومثل

هذا التحقيق ورد فى مجلة المنار لرشيد رضا فى كلامه على إخوان الصفا ، ولا أتذكر السنة ، ولا الصفحة ، لأن مجلة خزانتنا سرقت فى سنة ١٩١٧ ، ولم يبق منها شىء ، وإن كنا الآن اشترينا كتباً ومطبوعات جديدة غير التى كانت عندنا .

والعَوْفىّ لم يدخل فى فهرست أعلام الكتاب ، ولا الموق وتجهل السبب .

وورد فى ص ١٤ (ابن الخمّار) وقد ضبط بتشديد الميم ، وكذلك فى ص ٣٨ و ٨٣ وجاء فى ص ٢٥ من الفهارس ؛ والصواب : ابن خمار بدون تشديد أى كسَحَاب

وقيل هناك : وكذلك يصحح ما جاء فى ص ٣٨ و ٨٣ . والذى ورد فى ابن أبى أصيبعة ، وابن القفطى : ابن الخمار بتشديد الميم وبأل التعريف

ومن الأعلام التى لم نهتـد إلى تحقيقها مقاريوس الوارد فى ص ٣٧ ثم قيل مَنْقَـاريوس ، ثم مقاريوس ، فاختلف اللفظ الواحد بين سطرين وسطرين . ولا جرم أن منقاريوس بميم ونون لا يعرف عند الأقدمين ، لـكن الثانى لم يصحح فى الآخر ، وهناك اسم آخر أعجمى ورد فى ص ٣٧ و ٣٨ هو (ذيموس) ، وفى كل صفحة ورد مرتين ، ولم يذكر لنا الناشران ما يدلنا على زمنه ووطنه

ومن الأعلام التى صحفت قليلاً فقط : الصابى ، فإنه مهموز الآخر ، ولا يجوز ترك همزه لئلا يخرج صاحبه من دينه ويجعله من أهل الصبا ، لا من المنتمين إلى الصابئة

وليس من علم أتعبنا كل التعب مثل تيودسيوس وكُنْتُسْ الواردين فى ص ١٥٣ و ١٥٤ والأخير أُصلح فى ص ٩ من الفهارس بقوله : « أيقوس الشاعر الأغريقى » . وفى حاشية ص ١٥٣ علّقـا تعليقاً على تيودسيوس فى (ا) قومودوس وفى (ب) تودورس ؛ والصواب ما أثبتناه نقلاً عن كتب التاريخ » . انتهى

قلنا : لم نجد فى كتب التاريخ التي بأيدينا — وهى كثيرة — ملك يونانى اسمه تيودسيوس . ثم كان للروم (وهم غير اليونانيين) تيودسيوس أول ، وثان ، وثالث ، لـكن التوحيدى يذكر أن ثيودسيوس هو ملك يونان (ص ١٥٣) ثم كتب هذا الملك إلى كُنْتَس الشاعر » وصحح بابقوس الشاعر الإغريقى ... ونحن لا نعرف شاعراً إغريقياً باسم كنتس ، ولا باسم أبقوس ؛ إنمـا نعرف معلم خطابة اسمه هيرودس أتيقوس أو أتِّقس Atticus وهو رومانى لا يونانى ، فإذا كان الناشران يعرفان شيئاً ثبتاً عن ثيودسيوس الملك اليونانى ، وأبقوس الإغريقى ، فليذكرا لنا اسميهما بالحرف الإفرنجى ، والعصر الذى عاشا فيه . والأسماء الإفرنجية يحسن أن تكتب بحروف الرومان ، ليتمكن القارئ من مراجعة النصوص الإفرنجية عند محاولة تحقيق ما ينسب إلى أصحابها .

وجاء فى ص ١٥٥ ذكر رجل اسمه أبو الحسن الفرضى ، وصحح العرضى فى ص ٢٦ من الفهارس والعرضى بضم العين ، ويلى الإسم علامة الاستفهام أى (؟) كأنه يشك فى صحة هذا العلم ، والذى رأيناه فى دواوين القوم : أبو الحسن أو أبو الحسين العروضى من العلماء الكبار وكان فى أيام على بن سينا ؛ وآخر اسمه أبو الحسن المغربى ، وكان معاصراً لو يْجَن بن رستم ، وكان من العلماء المشاهير أيضاً . أما أبو الحسن الفرضى أو العرضى ، فلم نسمع بشهرته هذه

وورد فى ص ١٨٠ اسم كبل البقال . وجاء فى الحاشية : « كذا ورد هذا الاسم فى كلتا النسختين ولم تتبين وجه الصواب فيه بعد طول المراجعة » ؛ والذى سمعناه فى العراق مما يشبه هذا الرسم : كتل (بالفتح) ، وكُتَـيْل (بالتصغير) ؛ وهذا ورد فى التاج ، وكتيلة وهو اسم والي صُوْر ، وقد ذكره ابن الأثير فى الكامل فى ١٠ : ١٨٠ من طبعة الأفرنج

نرد على ذلك أن فى نعت هذا العلم بالبقال تصريحاً بصحة كلة (البقال) خلافاً لقول اللغويين أنه يقال (البدّال) ، مع أنه لم يقل أحد من اللغويين (بدّالاً) حتى من منع استعمال الأولى فقـد جاء فى القاموس : والبقّـال لبيّـاع الأطعمة عامية ، والصحيح (البدّال)

قلنا : ليس هذا من كلام العوام بل من كلام العلماء الخواص فلقد فسر اللغويون ، وبينهم المجد نفسه ، الكاسور والزُّدْحى بقولهم : بقال القرى ولم يقولوا بدّال القرى

ووردت البقال فى كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ٣٧٦ من طبعة البابى ، وقال اللغويون فى شرح الكديع : الحانوت : الدكان أو متاع حانوت البقال . وقالوا فى (فوم) الثامى : البقال

وممن أثبت البقّال فى تصانيفه السمعانىّ ، صاحب كتاب الأنساب ، فقد قال فى مادة البقال ما هـذا نقله : « البقال بفتح الباء الموحدة ، وتشديد القاف ، وفى آخرها اللام : هذه الحرفة لمن يبيع الأشياء المتفرقة من الفواكه اليابسة وغيرها . والمشهور البهاء أبو سعيد بن المرزبان البقال ، مولى حذيفة بن اليمان ، وكان أعور من أهل الكوفة ... » ا هـ

زد على ذلك أن البقال نسبته إلى البقل نسبة قياسية كالحنّاط والتمّار والطّحان إلى غيرها . وأما البدّال فإلى أى شيء ينسب ؟ قال صاحب التاج : « والبدّال كشدّاد ، بياع المأكولات من كل شيء منها . هكذا تقوله العرب . قال أبو حاتم : سمى به لأنه يبدل بيعاً بيَـيْع ، فيبيع اليوم شيئاً وغداً شيئاً آخر . قال أبو الهيثم : والعامة تقول : « بقّال » انتهى

قلنا : لو صدق أبو حاتم فى تعليله لقيل لكل من يبدل بيعاً ببيع بدال . وليس الأمر كما قال . والصواب أن البدال هنا هو البقال . والبقال ، هو الأصل ، والبدّال هو من كلام العوام ، لأنهم قلبوا القاف دالاً ، وهذا هو من لغة بعض العرب الأقدمين . فقد قالوا مثلاً فى المِنقل : المِندل ، وفى الممعوق : الممعود . وفى القنقورة : الفندورة ، وفى احقوقف الرمل : احْدَوْدَبَ ، وفى تَقَـلَه : نَدَلَهُ إلى نظائرها . هـذا فضلاً عن أن الأقدمين لم ينسبوا « رجلاً » إلى البدال . فليدون كل ذلك . وهذا كله نقلاً عن معجمنا الكبير المسمى بالمساعد .

(للبحث بقية)

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول
للغة العربية

أَحِبَّنِى لوجه الحب

للشاعرة اليزابث باريت براوننج
زوجة الشاعر الانجليزى المشهور براوننج

بقلم الأستاذ صفاء خلوصى

إذا كان لا بد أن تحبنى فليكن حبك خالصاً لوجه الحب

لا تقل : « إننى أحبها من أجل ابتسامتها ، أو من أجل نظراتها ، أو من أجل أسلوبها الظريف فى الكلام ، أو من أجل اتفاق بين فكرينا ، أو من أجل أشياء جلبت لى الشعور باللذة والراحة يوماً ما » .

لأن هذه الأشياء وإن كانت محبوبة لذاتها فقد تتغيّر تغيّراً جوهرياً أو تغيّراً بالنسبة إليك ؛ والحب الذى يبدأ هكذا قد ينتهى بمثل الصورة التى بدأ بها .

لا تحبنى من أجل عاطفة مسح الدموع المنحدرة على خدىّ . إذ قد ينسى المخلوق الذى ذاق الرفاه الذى تيسّره له ، معنى البكاء ، وبذلك تنقطع صلة الحب بينكما ! ولكن أَحِبَّنى لوجه الحب حتى تستطيع أن تحب على الدوام بكل ما فى الحب من خلود وأزلية .

(بغداد) صفاء خلوصى
(ب . ع .) بدرجة الشرف فى الآداب
من جامعة لندن

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٣ يونية ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٩ سنة ١٩٤٢ ضد صالح يونس أحمد تاجر حبوب بالبارة بدمنهور بالحبس شهرا مع الشغل والنفاذ وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع العدس مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٧ مايو ١٩٤٢ فى القضية رقم ٩١٢ سنة ١٩٤٢ ضد محمد محمد خلف المصرى جزار بكوم حماده بالحبس ١٥ يوما مع الشغل والنفاذ وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه لحوما بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكريه بجلسة ٣ يونيه ١٩٤٢ فى القضية رقم ٨٧٢ سنة ١٩٤٢ ضد فهيمه إمام بدر بعزبة شوق تبع مليط مركز إيتاى البارود بغرامة ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لعرضها لبيع ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

المؤلفات العربية القديمة
وما طبع منها في سنة ١٩٤١

للأستاذ كوركيس عواد

نشرنا في هذه المجلة [1] ثبتين بما تيسر لنا الوقوف عليه من المصنفات العربية القديمة التي تم طبعها في سنة ١٩٣٩ و١٩٤٠ ، وها نحن أولاء نواصل ما بدأنا به ، ذاكرين ما اتصل بنا من منشورات عام ١٩٤١ ، وقد رأينا أن نلحق بذلك أسماء بعض الكتب المطبوعة سنة ١٩٤٠ مما لم نظفر به في حينه

أولا : مطبوعات ١٩٤١

١ — الأمالي في الفقه : لمحمد بن الحسن الشيباني (١٨٧ هـ) جزء منه نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن في الهند (٧٠ ص)

٢ — إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع : لتقي الدين المقريزي (٨٤٥ هـ) — الجزء الأول طبع على نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية ، بتصحيح وشرح الأستاذ محمود محمد شاكر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (٦٨٦ ص)

٣ — الإيضاح في علم النكاح : لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) كتب على غلافه أنه طبع بمصر (٣٨ ص)

٤ — التاريخ الكبير : للامام البخاري (٢٥٦ هـ) ـ الجزء الرابع ، نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد (٤٤٠ + ١٢ ص) وهو يحتوي على ١٩١٦ من تراجم المحدثين مرتبة بحسب الهجاء ، يبدأ هذا المجلد بمادة عباس بن عبد المطلب عم النبي، وينتهي بمادة مخلد بن هلال — سائر أجزاء الكتاب لمّا تطبع

٥ — ديوان ابن الفارض : لعمر بن الفارض (٦٣٢ هـ) ، نشره الكتبي محمود توفيق (القاهرة ١٢٠ ص) ويبدو أن هذه الطبعة التجارية منقولة عن طبعة سبقتها أغفل الناشر الإشارة إليها

٦ — رؤيا اليمن : وهي الرحلة التي قام بها المستشرق يوسف هالوى J. Halévy (١٨٢٨ — ١٩١٦) في بلاد نجران سنة ١٨٧٠ م . ألّفها دليله حَيِّيم حبشوش باللهجة العربية الصنعانية ، وكتبها بحروف عبرية . وقد نشرها بهذه الحروف مصدَّرةً بمقدّمة انكليزية مطوَّلة ومعجم الألفاظ العامية الواردة فيها : المستشرق غوتين S. D. Goitein بعنوان Travels in Yemen (مط الجامعة العبرية بالقدس ١٣٨ + ١٠٢ ص)

٧ — السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزي (٨٤٥ هـ) . القسم الأول من الجزء الثاني ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة س + ٣٠٥ ص) في هذا المجلد حوادث السنين ٨٠٤ — ٧٢٨ هـ . وهو نظير الأقسام المنشورة سابقاً (١٩٣٤ — ١٩٣٩) في التحقيق الواسع والعناية الفائقة

٨ — شرح أسماء العَقّار : للشيخ الرئيس أبي عمران موسى بن ميمون الإسرائيلي القرطبي (٦٠٥ هـ) . صححه ونشره الدكتور مكس مايرهوف Max Mayrhof في المجلد ٤١ من مذكرات المجمع العلمي المصري (Mifao) مع ترجمة ومقدمة فرنسيتين وفهارس (مط المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة)

٩ — كتاب الأمصار والعمران : وهو الباب الرابع من مقدمة ابن خلدون (٨٠٨ هـ) . قدم له وضبطه وشرحه الأستاذ محمد سعيد العريان (طبع في القاهرة)

١٠ — كتاب في علل اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم : لقسطا بن لوقا البعلبكي (المتوفى نحو سنة ٣١١ هـ) . نشره الأب بولس سباط في مجلة المجمع العلمي المصري ونقله إلى الفرنسية

١١ — كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : للحاج خليفة المعروف بكاتب جلبي (١٠٦٧ هـ) . صححه على نسخة المؤلف ، الأستاذان محمد شرف الدين بك يالتقايا ، ورفعت بيلكه الكليسي . القسم الأول ، فيه أسماء الكتب المبدوءة بالحروف من الألف إلى الراء ، طبعته وكالة المعارف التركية في مطبعتها ، في مجلد كبير قوامه ١٠٠٨ ص . وتمتاز هذه الطبعة عما تقدّمها من طبعات لهذا الكتاب بمحاسن ؛ منها أنّ أسماء الكتب طبعت بحرف أكبر حجماً مخالف المتن ، ومنها أن كل كتابٍ فيه جعل في رأس سطر

١٢ — كليلة ودمنة : لعبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ) أخرجته مطبعة المعارف ومكتبتها في مصر ، تذكاراً لعيدها الخمسيني الذهبي

(١) « الرسالة » الأعداد : ٣٠٤ ، ٤٢٢ ، ٤٨٨ ، ٥٠١

فى شهر إبريل سنة ١٩٤١م . وهى طبعة[1] نفيسة فاخرة نقلت عن نسخة كتبت فى أوائل المائة السابعة للهجرة وهى أقدم النسخ المعروفة لهذا الكتاب فى وقتنا . وقد تولى درسها والتعليق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام ، وبها تصدير للدكتور طه حسين بك ، وفيها ١٣ صورة ملونة رسمها ستريكالفسكى

١٣ — مجالس السلطان الغورى : وهى صفحات من تاريخ مصر فى المائة العاشرة للهجرة . اختار موادّها الدكتور عبد الوهاب عزام من كتابين وهما :

الأول : نفائس مجالس السلطانية فى حقائق أسرار القرآنية [كذا] لحسين بن محمد الحسينى (المائة ١٠هـ)

الثانى : الجزء الأول من الكوكب الدرى فى مسائل الغورى : فرغ منه مؤلفه سنة ٩١٩هـ . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ٣٠٣ ص)

١٤ — مجموعة الوثائق السياسية فى عهد النبى (ص) والخلفاء الراشدين : تضمّ جميع الوثائق والمعاهدات والمراسلات التى صدرت من الرسول والخلفاء الراشدين للقبائل والملوك والعمال وغيرهم . جمعها الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى وقدم لها بمقدمة وأوضحها بتعليقات وشروح للألفاظ اللغوية وفهارس وتسع خرائط تبين مواقع الحرائط وخريطتين تبينان الأنساب العدنانية والقحطانية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ٢٣ + ٤٠٧ ص)

١٥ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء : لأبى البركات الأنبارى (٥٧٧ هـ) . طبعة الأستاذ على يوسف طبعاً تجارياً فى القاهرة (٩ + ٢٧٧) . وقد تصرف الناشر بالعنوان فسماه « تاريخ الأدباء والنحاة »

٢ — المستدرك على مطبوعات سنة ١٩٤٠

١ — الإكليل : للحسن بن أحمد بن يعقوب بن الحائك الهمدانى اليمنى (٣٣٤هـ) . الجزء الثامن[2] فى وصف آثار اليمن وبقايا أبنيتها وقصورها وسدودها التى شاهدها المؤلف . نشره الأستاذ نبيه أمين فارس ، بمقدمة وتعليقات وفهارس ، مستنداً إلى الطبعة السابقة[1] بعد معارضتها ببعض النسخ الخطية

وكان الأستاذ النبيه قد نقل هذا الجزء إلى الإنكليزية[2] سنة ١٩٣٥ وأرفقه بحواش تاريخية وبلدانية ولغوية (مطبعة جامعة برنستن بالولايات المتحدة الأميركية ١٢ + ٢٤٧)

٢ — حىّ بن يقظان : لابن طُفَيل الأندلسى (٥٨١ هـ) قدم له بدراسة وتحليل الدكتوران جميل صليبا ، وكامل عياد (الطبعة الخامسة ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٦ ص) .

٣ — الرعاية لحقوق الله [تصوّف] : للحارث بن أسد المحاسبى (٢٤٣ هـ) . النص العربى نشرته مع تمهيد ومقدمة بالإنكليزية ، مرغريت سمث Margaret Smith لندن ١٩ + ٣٤٣ ص) .

٤ — العقد الفريد : لابن عبد ربه (٣٢٨ هـ) المجلد الثانى نشر بعناية الأساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبيارى (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ٥٨٧ ص) .

٥ — نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر (٨٨٢ـ٩٠٤ هـ) أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب : إستخرجه من عدة مخطوطات ، ونشره الأستاذ ألفريد البستانى ، ونقله إلى الإسبانية المستشرق كارلوس كيروس Carlos Quiros (منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الإسبانية فى طنجة ، السلسلة الثانية ، الرقم ٢ مطبعة الفنون المصورة ، بوسكا العرائش [المغرب] ١٨٦ ص) .

تعليـــق

١ — نشكر الأستاذ محمد أبو البهاء على تصحيحه المنشور فى العدد ٤٥٧ من الرسالة ، لما أوردناه فى لائحتنا السابقة عن كتاب « نصب الراية »

٢ — نثنى الثناء العاطر على اقتراح الأستاذ عصام الشريف فى العدد ٤٥٦ من الرسالة ، بأن تتولى إحدى المؤسسات الثقافية فى العالم العربى ، إعداد ثبت سنوى بكافة ما تخرجه المطبعة العربية فى سائر الأقطار ، وهو اقتراح حسن نرجو أن يتحقق يوماً ما

(بغداد) **كوركيس عواد**

---

(١) عن هذه الطبعة ، راجع ما كتبه الأساتذة محمود بك تيمور (الثقافة : العدد ١٤٢) ، وعبد السلام محمد هارون (الرسالة : العدد ٤٢٥ و ٤٢٨ و ٤٢٩) ، وعبد الوهاب عزام (الرسالة : العدد ٤٢٦ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٦) ، وحسين منصور (الرسالة : العدد ٤٣١) ومحمد محمد رضوان (الرسالة : العدد ٤٣٨) .

(٢) يتألف كتاب الاكليل من عشرة مجلدات ، يعرف منها اليوم : الأول والسادس والثامن والعاشر . ولم يطبع منها سوى الثامن

(١) حققها الأب أنستاس مارى الكرملى وطبعها فى بغداد سنة ١٩٣١

(٢) بشأن هذه الترجمة ، راجع ما كتبه المستشرق ديلا فيدا G. L. Della Vida فى : Orientalia (Roma, 1940), pp. 169—173.



قلوب النجـــوم

للأستاذ خليل السالم

الكون كما يرى «إينشتين» قرص متحدب كحجر الطاحون، الشمسي قريبة من مركزه، وفي هذا القرص انتثرت النجوم دون نظام أو ترتيب، إلا أنك إذا نظرت في اتجاه أطراف الحجر تكون المسافة التي تنظر خلالها أكثر بعداً، فترى العدد الأكبر من النجوم المحتشدة في المجرة، وهذا سرها. أما إذا نظرت في اتجاه عمودي على الاتجاه الأول، رأيت تخلخلاً طبيعياً في عدد النجوم، ذلك لأننا ننظر خلال مسافة أقصر من الأولى، فيكون عدد النجوم أقل من العدد الأول. وليس نظامنا المجرى هو كل الكون، فهناك عوالم أخرى من السدم المختلفة الأشكال والأحجام، وكل هذه تشغل حيزاً يتسع حتى لا يتسع له الخيال، فقطر القرص ١٨٠٠٠٠ بليون ميل، وسمكه حوالي ٣٠٠٠٠ بليون ميل. وكل هذه أيضاً تشعرنا بضآلة الإنسان وحقارة شأنه، كما ترمز إلى جبروت عقله الذي يستوعب مثل هذه الأرقام الضخمة، ويتسع لهذه الصور الزاخرة

أقرب النجوم إلينا نجم (رجل قنطورس) وبعده عنا ٤¼ من السنوات الضوئية، أي أن النور الذي يقطع ٣٠٠٠٠٠ ك. م. في الثانية، في الزمن الذي يمضي بين تلتي الساعة مرتين، هذا المقدار العجيب يستغرق من الوقت ٤¼ من السنوات حتى يصل إلينا من أقرب النجوم في هذا الكون الشاسع الأبعاد

عدد النجوم كما يقدره الفلكيون يبلغ نحو ٣٠٠٠٠ مليون نجم من كافة المقادير، وقد توزع هذا العدد الضخم في ذلك الحيز المتسع البعيد النور، بحيث أصبحت أبعاد النجوم عن بعضها كبيرة جداً. ولتأخذوا عن هذه الأبعاد فكرة، أعطيكم مثلاً بسيطاً ورد في أحد كتب العلامة الإنجليزي المشهور السر جيمز جينز قال: لو أطلقنا في جميع المحيطات التي على الأرض أربع سمكات، وسبحت هذه كيفما اتفق، لكانت النسبة بين أبعادها تعادل مع الفارق الطفيف أبعاد النجوم عن بعضها

وهذا العدد الكبير من النجوم توزع إلى أنواع عديدة: فهناك النجوم الكبار، والنجوم الجديدة، والنجوم المزدوجة، والنجوم المتغيرة، والنجوم القيفاوية، والأقزام البيض، والعمالقة الحمر، والنجوم المجتمعة؛ ولكل من هذه الأنواع خواص تتميز بها وتختلف بها عن غيرها من النجوم

أكثف النجوم نجم فان ماتن، ومن أكثفها رفيق الشعرى اليمانية، فكثافته تعادل كثافة الماء ٥٣٠٠٠ مرة؛ وهو نجم مشهور كثير ما يرد ذكره في أبحاث الفيزيقا النظرية الحديثة؛ وقد استخدم في إثبات أحد قوانين النسبية، أعني قانون ميل الطيف نحو اللون الأحمر عندما ينبعث النور من جسم ثقيل. وسنأتي على تعليل هذه الكثافة العجيبة بعد قليل

لعلنا قد خرجنا عن الصدد فلنعد إلى موضوعنا الأصيل أعني قلوب النجوم. لا يخفى أن الوسيلة الوحيدة في درس هذه المصابيح الجميلة إنما هي تلك الرسائل التي يحملها منها إلينا النور، وهذه الرسائل مكتوبة بلغة خاصة واضحة طوراً وغامضة طوراً آخر؛ فنلجأ إلى المرقب Telescope والمطياف Spectroscope والمطياف المصوِّر Spectrograph والمجهر Microscope وغيرها من الأجهزة الدقيقة فنستعين بها على فك تلك الطلاسم والألغاز.

وقبل أن نعنى بهذه الرسائل حق العناية لا بد لنا من الاطلاع على بعض الحقائق والمبادئ الأساسية التي أثبتها المختبر، وانطبقت تمام الانطباق على الظواهر الطبيعية التي تجري في الكون على اتساعه وكثرة أنماط المادة فيه. وسنبدأ بعلم الحل الطيفي.

علم الحل الطيفي

مما يؤثر عن الفيلسوف الألماني الشهير (كانت) قوله: ليس ثمة أمور لا بد للانسان من أن يبقى جاهلاً حقيقتها مثل معرفة تركيب الشمس والأجرام السموية من الناحية الكيميائية. ولا يستنكر من الفيلسوف المظيم تورطه في هذا الحكم الذي أثبتت الأيام بطلانه، فقد كان يعلم وهو من يقدر الحواس حق قدرها أننا لا نستطيع أن نفهم المادة إلا عن طريق الحواس؛ ونحن طبعاً لا نستطيع أن نلمس النجوم أو نذوقها أو نشمها أو نسمعها، وليس لنا إلا حاسة النظر العاجزة عند ما ننتقل إلى دراسة النجوم البعيدة دراسة عميقة دقيقة.. إلا أن الإنسان عمد إلى الحيلة، وبدل

أن يصعد إلى النجوم قربها إليه بأجهزته وصورها وكبّر تلك الصور ودرس الأطياف طبقاً لقوانين الحل الطيفي ، تلك القوانين التي أثبتها المختبر ، والتي ندين لها بكل التقدم العجيب في علم الفلك الحديث .

ورواية هذا العلم الجديد — أعني علم الحل الطيفي — ممتعة مدهشة . وسأذكر بإيجاز أشخاص المسرحية وملخص أدوارهم : أول ما يظهر على المسرح نيوتن الخالد الذي كانت اكتشافاته ولا تزال العامل المشترك الأعلى في جميع العلوم . ظهر على المسرح فأدهش الناس حين عرض عليهم نور الشمس وقد تحلل إلى ألوانه البديعة السبعة ، تلك الألوان التي تبديها الطبيعة في أجمل مناظرها : قوس قزح . وتلاه في تمثيل العالم ولستن فأثبت أن لكل غاز طيفاً خاصاً وخطوطاً خاصة يتميز بها عن غيره من الغازات . هنا عرفنا أن بعض العناصر الموجودة على الأرض موجودة في السماء . ولعل الدور الحاسم كان دور فرنهوفر فقد دخل المسرح والناس قد اشرأبت أعناقهم لتتبع أحداث الرواية اللذيذة فاكتشف خطوط فرنهوفر التي تظهر في طيف الشمس وهي خطوط سوداء لا تتغير مواضعها ، وسببها — كما علله العالم الإنجليزي ستوكس — أن الغازات الموجودة في الشمس تمتص الأشعة الخاصة بها ، فبدل أن تبدو خطوطها لامعة كما في طيفها المستقل تبدو أماكن تلك الخطوط مظلمة سوداء . وهكذا تسنى للعالم كيرشوف أن يدرس الشمس في المختبر بعد الآن . وماذا كان عليه إلا أن يحلل النور القادم على متن الأثير ويقيس الأمواج ويقارنها بالأمواج التي يحصل عليها في المختبر من الشرارات الكهربائية والقوس الكهربائي والأنابيب المضيئة .

ومن هنا أمكن كلا من العالمين « لُكير » و « جونسون » أن يكتشفا في وقت واحد غازاً جديداً في الشمس أسمياه باسمها (الهليوم) ، وأثبتت الأيام صحة دعواهم فاكتشف الكيميائي رمزي غاز الهليوم على الأرض ، وتبين أن له نفس الخواص الطيفية التي تنبأ العالمان لكير وجونسون من قبل باتصافه بها

بعدئذ أو بعد منتصف القرن التاسع عشر إذا أردنا أن نعرف أين نحن من مر السنين ، بدأت دراسة أطياف النجوم والأجرام السماوية دراسة واسعة النطاق . فقد فحص الأب أنجلو سيشي F. Angelo Secchi ما يقرب من أربعة آلاف نجم . وأحسن الدراسات الحديثة لأطياف النجوم وأعمقها وأكثرها شمولاً تمت على يدي الآنسة آني كانون Annie Cannon فقد صنفت نحو ربع مليون نجم بحسب ترتيب خواصها الطيفية . وقد أسفر هذا التصنيف بكثير عن الحقائق عن تركيب النجوم ونشوئها . ولا يتسع لي المقام لبحث هذه النتائج ، ولكنني بإيجاز أورد هنا خط التصنيف من دون تعليق :

الأصناف	رموزها بالافرنجية	لونها	الخطوط الطيفية التي تقوى فيها	درجة حرارتها
الصنف الأول	O	زرقاء بيضاء	الهليوم المتأين	٣٠٫٠٠٠°
« الثاني	B	« «	الهليوم الحيادي	٢٠٫٠٠٠°
« الثالث	A	بيضاء	الهيدروجين (الشعرى اليمانية نجم منه)	١١٫٠٠٠
« الرابع	F	وسطى	تزيد خطوط الهيدروجين قوة	٧٫٠٠٠
« الخامس	G	صفراء	المعادن، الهيدروجين، الكالسيوم (الشمس)	٦٫٠٠٠
« السادس	K	برتقالية	المعادن الحيادية	٤٫٢٠٠
« السابع	M	حمراء	عصبة أكسيد التيتانيوم	٣٫٠٠٠
« الثامن	V	حمراء	عصبة خطوط الكربون	٣٫٠٠٠

عالم الذرة

لا بد لنا من معرفة بسيطة لتركيب الذرة لما لأبحاث الذرة الجديدة من علاقة وثيقة بعلم الفلك على وجه العموم ، وقلوب النجوم على وجه الخصوص

عالم الذرة الذي انحصر في أصغر جزء من المادة عالم زاخر مملوء بالرؤى والأخيلة الواسعة . وهو معقد بشكل لا نستطيع معه أن نلم بدقائقه فلنرسم لهذا العالم صورة خاطفة سريعة لتفي بغرضنا الذي نتوخاه

الذرة نظام شمسي، النواة فيها تقوم مقام الشمس، والكهارب (الالكترونات) تمثل دور السيارات ، فتدور حول النواة بسرعة غريبة جداً ، وتدور كالسيارات في أفلاك أهلجية وربما في أفلاك دائرية ، ولكن لا ضابط لهذا الدوران ، فأنت لا تستطيع أن تعرف مكان الكهيرب وسرعته في آن واحد ، كما تستطيع أن تحسب مكان الأرض مثلاً وسرعتها بحيث تتنبأ بوقت خسوف أو كسوف لأقل من عشر الثانية . أقول لا تستطيع أن تعرف سرعة الكهيرب ومكانه في آن واحد ؛ فإن عرفت السرعة تعذر تعيين المكان ، وإن عرفت المكان تعذر تعيين السرعة . ومن هنا

تسرب إلى العلم الحديث مبدأ عدم التثبت أو مبدأ الاحتمال . فلا تزيد القوانين الطبيعية – التي كان العلماء يتشدقون بدقتها وضبطها وأحكامها – أن تكون احتمالات كبيرة فحسب . واضطر العلماء إلى رسم صورة جديدة لذرة بوهر التي نصفها . وتم التعديل على يدى العالمين شرودنجر وهيزنبرج

الذرة متعادلة كهربائياً . قطر البروتون أقل جداً من قطر الذرة ، فيكاد يكون الفراغ في الذرة قدر المادة (١٠٠,٠٠٠) مرة وعلى ضوء هـذه الحقيقة سريعاً ما نحكم أن المادة بصورتها المألوفة فراغ كبير ، فلو خطر ببالك أن تزيل الفراغ بين (١٠٠) طن من القمح مثلاً لوفرت على نفسك المخزن المتسع الذى يتطلبه هذا الحجم الكبير ، ولما شغل الباقى من المادة أكثر من قبضة يدك وأستطيع أن أضع فى يدى مليون طن من المادة المحشوكة حشك النواة فى الذرة

أبسط الذرات ذرة الهيدروجين ؛ فهناك كهيرب واحد يدور حول بروتون واحد ، وهو يدور على أبعاد مختلفة من النواة تتناسب مع مربعات الأعداد البسيطة أعنى ١، ٤، ٩، ١٦ الخ ... يكون مرة فى الفلك الأول ، ثم يقفز إلى الثانى فالرابع ، ثم إلى آخر ، ثم يعود وهكذا . فإذا ما امتص الكهيرب قدراً من الطاقة تهيج وتفلت من المدار الذى يدور فيه وقفز إلى مدار أبعد ، ومقدار هذا البعد يعتمد على مقدار الطاقة التى امتصها وإذا سقط من مدار أبعد إلى آخر أقرب منه أطلق إشعاعاً خاصاً يدلك على المسافة التى سقط فيها . والدخول فى تفاصيل هذا الموضوع ينقلنا حتماً إلى نظرية الكم Quantum Theory وهى نظرية جديدة فى علم الفيزيقا لا تكفيها مقالات مسهبة لشرح قواعدها ومقرراتها .

بقى علينا أن نقول إن عدد الكهيربات حول النواة يكون فى الفلك الأول اثنين ، ثم ثمانية فى كل فلك آخر ، وفى الفلك الأخير يعين عدد الكهيربات تكافؤ العنصر كما تعلم فى علم الكيمياء .

ما ذا يهمنا من عالم الذرة ؟ يهمنا أن درجة الحرارة تهيج الكهيرب فيبتعد عن النواة ، ويبتعد كلما قويت الطاقة المؤثرة حتى إذا زادت عن قدر مخصوص ترك الذرة مطلقاً . ويهمنا أن نعلم أيضاً أن إشعاع الذرة يعتمد على مقدار التهيج ونوع الذرة كاملة الكهيربات كانت أو ناقصتها . وما دمنا فى صدد الكلام عن الإشعاع ودرجة الحرارة فيجب أن نشير إلى قانون ستيفان — بولتزمان الذى ينص على أن إشعاع أى جسم يتناسب تناسباً طردياً مع القوة الرابعة لدرجة الحرارة المطلقة .

والآن ما هى الحقائق التى نستخلصها من رسائل النجوم البعيدة على ضوء هذه المعلومات الجديدة ؟

(البقية فى العدد القادم)

خليل السالم
(ب . ع) من الدرجة الأولى
فى الرياضيات

ظُلم

عشقتُ فما كنتِ إلاّ المُنَى تلوحُ بأنوارها الباسمة
وما كنتِ إلّا ازدهار الصِّبا ترعرعَ فى جَنَّتِى السامة
وما كنتِ إلّا جُنون الغرام تَغَلْغَلَ فى صبْوَتى العارمة
رنوتُ إلى سحركِ العبقرى بعينٍ مسهَّدةٍ هائمة
فما انطفأتْ غُلّتى من نواك وما انتعشتْ مُهجتى الحائلة
تُرَانى أُحِب لألقى العذاب وَأنتِ مُدَلَّلَةٌ ناعِمَة ؟
ويمشى فؤادى وراء الخيال يُمَنِّيه بالنَّشوة الواهمة
وهل يرسلُ النورَ بدرٌ بدا جميلاً . . . وآفاقهُ غائمة ؟
إذا لم يَهَشَّ لعينى الصباحُ فأنواره ظلمة قاتمة
كرهتُ من الناس طُغيانَهم وأحبَبْتُ ظُلْمَكِ يا ظالمة

سلاح خدمة الجيش الملكى — احمد اسماعيل الحليمى

أشعار صينية (*)

— ٤ —

ورقة الصفصاف

للشاعر الصينى وانه - تسى
(٣١٤ — ؟ م)

ورقة انفصلت عن صفصافة . وهى الآن تسبح فوق الماء .
وبقلبى ، أيضاً ، صنع الزمن ما صنع . فصلت عن سيدة جميلة أحبها كثيراً ، وهأنذا أنتظر مصيرى فى سلام
هأنذا أرقب ورقة الصفصاف . آه ! إن الموج قد أعادها نحو الغصن الذى انفصلت عنه

— ٥ —

أغنيــة مسافر

لشاعر صينى مجهول
(عاش حوالى عام ٣٢٥ م)

عند ما تملأ النسمة ثوبيك من الحرير ، تشبهين ربة ترتدى بالسحاب
عند ما تمرين ، تتشمم عبيرك أزهار التوت . عند ما تحملين الزنبق الذى جمعتِه ، يرتعش فى يديك من الفرح
حلقات من الذهب تربط عقبيك . أحجار زرقاء تلمع حول خصرك . عصفور من اليشم قد صنع عشه فى شعرك . وورود خدودك تتراءى فى حبات عقدك الكبيرة
عند ما تنظرين إلىّ ، أرى نهر لبين يجرى
عند ما تخاطبينى ، أسمع موسيقى الريح بين الصنوبر فى وطنى
عند ما يلقاك فارس ، عند الشفق ، يعتقد أن الفجر هناك ، ويوقف فرسه فى قوة
عند ما يلحظك ساغب ، ينسى جوعه

— ٦ —

فى الجبل — عند نبع الربيع

للشاعر الصينى وانج - بو
(٥٥٠ — ٦١٨ م)

الحزام منحل ، الرداء مفتوح للريح الرطبة ، كنا نصعد فى الطريق الوعرة الضيقة التى توصل إلى نبع الربيع
جلسنا على الحصير التى بسطها لنا الخدم قرب النبع ، وأنصتنا أولاً إلى هدير أشجار الصنوبر . رائحة الزنبق تعطر الخمر الذى يجرى فى غزارة
عند ما تطول الظلال وعند ما تبدأ ظلمة الليل تتأرجح بين الأشجار ، يفرغ حينذاك حديثنا ، ذلك لأن ناى الرعاة يتجاوب غناؤه فى الجبل .

م . وهبة

عازفة القيثارة

للشاعر الانجليزى ادموند وولر
EDMUND WALLER
(١٦٠٥ — ١٦٨٧)

مثل هذه الأنغام الشجية تثيرها لمسة خفيفة كهذه
لا تهمها هى فى شىء أبداً ، ولها فى نفوسنا أبلغ الأثر !
فأى فن هذا الذى يستطيع - بمثل هذه الضربات البسيطة - أن يملأ نفوسنا غبطة ، ويستولى على مشاعرنا ؟

***

حول أصابعها تزدحم الأوتار وهى ترتعش معبرة — عالياً — عن فرحها لكل قبلة ،
قوة بسيطة تجعلها ترتعد هكذا
ومن ذا الذى لا تمسه هذه اليد ، ولا يرتعش هو أيضاً ؟

***

(*) راجع الرسالة العدد ٤٤٨



الصداقات بين الأدباء

جاء فى آخر مقال « الصداقات بين الأدباء » للأستاذ العقاد المنشور فى عدد الرسالة رقم (٤٦٥) ما يلى :

« فهل يعنى الأستاذ – يعنى الأستاذ توفيق الحكيم – شعراء البحيرة فى انجلترا ؟ هل يعنى صداقة شلى وبيرون هناك ؟ هل يعنى صداقة جيتى وشلر بين شعراء الألمان ؟ هل يعنى صداقة تولستوى وتورجنيف وديستفسكى بين عظماء الأدب العالميين من الروسيين ؟ »

وقد وجدنا فى هذه النهاية استرسالا يتجاوز الحقيقة نفصله فيما يلى :

١ – لم يكن اللورد بيرون من شعراء البحيرة فى انجلترا . وكانت المدرسة الأدبية التى دعيت نسبة إلى منطقة البحيرة والتى أسسها الشاعر « وردز ورث » لوجود بيته فى تلك المنطقة تضم (سوثى Southy ، صموئيل تيلور Samuel Taylor ، كوليردج Coleridge ، دى كوينزى De Quincey)

٢ – لم يكن شلى أيضاً من شعراء البحيرة ، وإنما كان له اتصال غير مباشر بسبب وجود مسكنه فى تلك المقاطعة ، وكان بذلك مثل (سكوت ، وكارليل ، ومسز هيمانز ، ومتيو أرنولد ، وإدوارد فتزجرالد ، وتنسون ، وجرى ، وشارلس لامب)

٣ – إذا كان يعنى الأستاذ العقاد بقوله « هناك » ، أى « بانجلترا » دون تحديد لمنطقة البحيرة ، فهـذا يتجاوز الحقيقة أيضاً ؛ ذلك لأن الشاعرين بيرون وشلى لم يتفق لهما الالتقاء فى أى مكان بانجلترا ، ثم لم يقم بينهما أى اتصال أدبى أو مراسلة تشير إلى معرفة أو صداقة . وما قدر لهما الالتقاء إلا فى سويسرا أول مرة وذلك فى شهر مايو سنة ١٨١٦ ، عند ما كان بيرون قد ترك انجلترا المرة الأخيرة . وكلاهما لم يعد إلى وطنه بعد ذلك التاريخ . ذلك أن شلى توفى فى إيطاليا سنة ١٨٢٢ ، واللورد بيرون توفى فى اليونان سنة ١٨٢٤

والقضية الثانية تتعلق بما أورده عن صداقات تورجنيف وتولستوى ودستيوفسكى من مشاهير الأدب الروسى . وهذه الصداقة لا تنطبق على الواقع ، بل لعلها أقرب إلى العداء بين بعضهم

١ – لم تكن هنالك صداقة بين تولستوى وتورجنيف . ولم يتجاوز الأمر إعجاب تورجنيف بتولستوى . غير أن تولستوى لم يبادله إعجاباً بإعجاب بل كافأه عليه بالإهمال والكره ، ولعل فى العبارة التى كتبها تولستوى إلى (فت Fet) ، والتى قال فيها : « إنى أحتقر الرجل » - يشير إلى تورجنيف ما يبدد أى زعم بقيام صداقة بينهما

٢ – وفى ناحية أخرى لم تقم أى صداقة بين ديستوفسكى وتورجنيف ، بل وجد بينهما عداء لم تسبقه صداقة ولم تتله صداقة . وفى كتاب ديستوفسكى The Possessed تراه يصف تورجنيف بجميع نقائصه بأسلوب شديد المبالغة ، ثم يقول عن تورجنيف بأنه من أولئك الكتاب الذين يؤثرون على فى جيل واحد ، ولكن مصيرهم كمصير مناظر رواية تمثيلية على الرف

٣ – وأخيراً لم تقم صداقة بين تولستوى وديستوفسكى ، وليس ما يشير فى تاريخ الأدب الروسى إلى التقاء هذين الأديبين . والفرصة الوحيدة التى أتاحت لتولستوى قضاء مدة طويلة فى موطن ديستوفسكى - سان بطرسبورج ، لننجراد الآن - كانت عند ما ذهب تولستوى وهو شاب يدرس الحقوق فى جامعتها ، وصادف ذلك نفى ديستوفسكى مع جماعته إلى سيبريا

على أن ذلك لم يمنع إعجاب تولستوى بإنتاج ديستوفسكى ، وليس فى مقدورنا اعتبار الإعجاب صداقة ، خصوصاً إذا كانت ذات طرف واحد .

« القدس » على كمال

حول إصلاح الأزهر

كنت آخر من تحدث فى « الرسالة » عن الأزهر وإصلاحه بكلمة صريحة أغضبت بعض الناس ، وقدّرها قدرها مفكرو الأزهر من المدرسين وغير المدرسين ، وانتظروا أن تتبعها أخواتها حتى يتم الحديث . واليوم قرأت فى الرسالة كلمة للزميل الفاضل

هنا يرابط إله الحب . وبينما تطرب هى السمع يفرغ هو كنانته على المستمع العزيز

هكذا فعل الوسيقى فى الحس . ترهنه وتجرده من سلاحه حتى لا يستطيع أن يقاوم سهماً واحداً

* * *

وهكذا تحتفل المستبدة الحسناء بغنيمتها

ممثلة لنفسها انتصار عينيها

كما كان نيرون ينظر إلى روما المشتعلة ، والقيثارة فى يده

وبينما كانت تحترق كان هو يعزف

عبد الحليم الجشورى

الدكتور محمد البهى دفعه إليها فيما أعتقد عامل نبيل ، إلا أنى رأيت فيها عبارة أرسلها دون تحديد فلم تعبر فيما أظن عما أراد . إن حضرته يصف بعض الكتاب الأزهريين بالمغالاة « لأنهم — فيما يقول — من رجال العهود السابقة وهى عهود قريبة إلى الطبيعة الساذجة التى لم تلتو بعد »

للأستاذ الزميل رأى فى الأزهر — يجهر به ولا يخفيه — لا يختلف عن رأينا ، كما لا نختلف أيضاً فى تقدير الجامعة وجهودها ومبلغ ما أصاب رجالها من حظ من النجاح فى تأدية الرسالة الجامعية العلمية ، فلا أفهم بعد هذا كيف يكون من يكتب عن الأزهر مشخصاً الداء واصفاً الدواء مبالغاً ساذجاً من رجال العهود السابقة ! لعل الزميل الفاضل لو وصف هؤلاء الكاتبين بالشجاعة والصراحة والرغبة فى الإصلاح والعمل له لكان مصيباً . ليست السذاجة فى تعرّف الداء ليتأتى أن نطبّ له بل فى كتمه حتى يصير معضلاً . وكم كان حكيماً « كونفشيوس » حينما جعل من أسس منهجه الفلسفى « تحديد الألفاظ » حتى لا يكون ضلال فى الأحكام !

محمد يوسف موسى

مجمع فؤاد الأول للغة العربية

انتهت وزارة المعارف من إعداد مشروع قانون بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بدلاً من المرسوم الحالى الخاص به

وترجع الحكمة فى إصدار القانون الخاص بالمجمع إلى جعله مؤسسة مستقلة ذات شخصية معنوية

وينص المشروع على بقاء أغراض المجمع على ما كانت عليه مع إضافة مهمة جديدة هى تشجيع الإنتاج الأدبى العربى الحديث وإقامة المسابقات الأدبية وتقدير الجوائز لها

وقد حدد عدد أعضاء المجلس بثلاثين لا يزيد الأجانب منهم على عشرة

وينص المشروع على أن يكون لوزير المعارف حق تعيين رئيس للمجمع من بين ثلاثة يرشحهم أعضاؤه لمدة ثلاث سنوات وينتخب له وكيل مصرى لمدة سنة

وقد منح وزير المعارف وحده سلطة إصدار القرارات التى تمس مادة اللغة العربية وجوهرها .

التعاون الثقافى بين مصر والعراق

رفعت وزارة المعارف إلى مجلس الوزراء مشروعاً بإنشاء مكتب للتعاون الثقافى بين مصر والعراق تكون مهمته وضع الأسس لمعاهدة ثقافية بين البلدين ، والدعوة إلى عقد مؤتمرات ثقافية تمثل فيها البلاد العربية المختلفة .

وسيعهد إلى هذا المكتب باطلاع كل من وزارتى المعارف المصرية والعراقية على ما يحدث فى الأخرى من تطور فى شئون التربية والتعليم من حيث الأنظمة والقوانين والمناهج والكتب الدراسية وغيرها

ويبحث المكتب كذلك تبادل الطلبة والأساتذة والكتب والمطبوعات ، ووضع نظام ثابت لذلك

وسيدعو المكتب إلى عقد مؤتمرات ثقافية عربية ويكون مقره متنقلاً بين القاهرة وبغداد بالتناوب ، ويرأسه وزير المعارف فى البلد التى يكون بها ، وأعضاء المجلس أربعة غير الرئيس ، على أن يكون اثنان منهما عن كل بلد

وحين يتم عقد المعاهدة الثقافية بين البلدين يعهد إلى المكتب بتنفيذها .

وسيباح للبلدان العربية الانضمام للمكتب بعد موافقة الوزارتين المصرية والعراقية على ذلك

القصص الفائزة فى مسابقة وزارة المعارف

وافق مجلس مجمع اللغة العربية الملكى على قرار لجنة مسابقة القصة لوزارة المعارف ، وقدمه إلى معالى وزير المعارف فوافق عليه

وكان المقرر منح ثلاث جوائز : أولى وثانية وثالثة ، ولكن اللجنة رأت العدول عن ذلك واختارت خمس قصص منحتها الجوائز دون مراعاة الأولية نظراً لامتياز كل منها من ناحية .

أما القصص الفائزة فهى : ملك من شعاع ، للأستاذ عادل كامل ؛ وزينات ، للأستاذ حسين عفيف ؛ وجهاد أو وا إسلاماه ، للأستاذ على أحمد باكثير ؛ وعودة القافلة ، للأستاذ يوسف جوهر ؛ وكفاح طيبة ، للأستاذ نجيب محفوظ

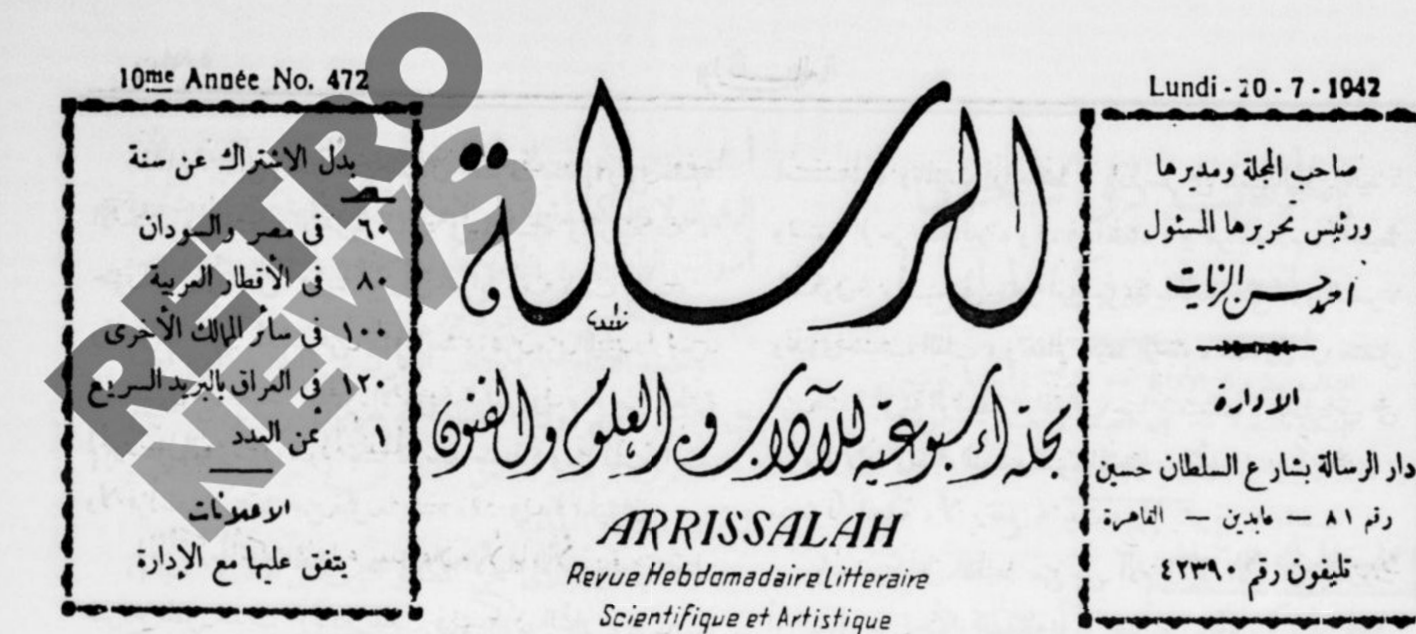
مسابقة الشعر العربى

أعلنت محطة الإذاعة المصرية أن الأستاذ محمد الأسمر الشاعر المعروف ، قد فاز بالجائزة الأولى فى مباراة الشعر العامة التى أقامتها محطة الإذاعة البريطانية .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 472 | Lundi - 20 - 7 - 1942



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٠ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

غراب وطفـــل !

حادثان وقعا فى نهار يوم وليله، لهَـا بهما من لهَـا، وتفكر فيهما من تفكر ؛ وبات أثرهما الباق يعمل فى نفسى وفى رأسى ما يعمل الهم إذا جاش، والألم إذا برَّح، حتى أصبحت فإذا بى لا أجد فى ذهنى ما أكتبه إليك، غير أن أقص نبأ هذين الحادثين عليك

نشب جناح أحد الغربان فى مشتبك الغصون من أعالى (الكافورة)، وجهِد الطائر الأسير أن يخلص جناحه بالاضطراب والاجتذاب والخفق فما استطاع. وكان قد حط بالقرب منه غراب فهبّ ينعب نعيب المستغيث، ثم حاول أن يجتذب بمنقاره الجناح الناشب فأعياه ذلك، فارتد يثب من حوله صاعداً هابطاً وهو ينعب، حتى أقبل على صوت الاستغاثة غرابان، فحوّما هنيهة فوق أخيهما المصاب، ثم أطلقا فى الفضاء نعيقهما المنذر. فلم تكن غير لحظات حتى تتابعت الغربان فكان منها على ذوائب الدوحة الفينانه عصابة، وعقدت هذه العصابة مناحة، وظلت هذه المناحة بقية النهار لا ينقطع لها صوت، ولا تفتُر بها حركة. وكأنما كانت الغربان تضرع إلى الناس أن يسعفوا أخاها المسكين بحيلهم البشرية ؛ ولكن الناس كانوا قد تجمعوا على طِوارَىْ الشارع تجمع البَلَه، لينظروا إلى الحادث العجيب نظر الفضول ! وقلما تجد بين البَلَه والفضول مكاناً للمروءة !

فلما دنا الليل واستيأست الغربان انصرف بعضها وبقى بعضها الآخر . ولم تقصّر الأغربة الباقية فى مواساته والترفيه عنه ، حتى لقد زعم بعض أصحابنا أنه رأى غراباً يزقّه بالحب والماء .

وانصرفنا نحن كذلك عن القهوة بعد موهن من الليل ، وليس فى نفسى غير هـذا المظهر الأخوى الرائع فى نوع من الطير لم يرسَل إليه رسول ، ولم تُنشأ لتربيته جامعة ؛ وما كنت رأيت ولا قرأت ولا سمعت من قبل ما يشبه ذلك فى عالم الحيوان

لم أكد أسكت المذياع بعد إعلانه الأنباء الأخيرة حتى سمعنا صراخ طفل حديث الولادة ينبعث فى سكون الشارع على حال غير مألوفة . فاطّلعت من النافذة فإذا الصراخ يتتابع من ركن مظلم أمام حانوت جارنا النجار . فظننت أول الأمر أن إحدى الوالدات جلست تستروح من التعب ، أو تستندى أكف المارة . وكانت امرأة من سواد الناس تمر فى تلك اللحظة فماجت بحكم غريزتها على الطفل الباكى ، وجعلت تجسه بعينها ويدها ، ثم صاحت تقول فى ارتياع وحسرة :

الله يلعنها فى كل كتاب ! زنى وقتل ؟ !

ثم اندفعت المرأة فى طريقها تهرول وتدمدم كأنما تريد أن تنجو بنفسها عن موطن الشبهة !

ووقف بعدها على الوليد المنبوذ كل سائر . وكان كل واقف يشمل تقاباً وينظر إلى محيا الطفل البرىء ثم يحوقل وينصرف

وكان الطفل على ما فهمت من وصف الواصفين من الواقفين أزهر اللون جميل الصورة قد وضعته أمه (الحنون) فى قفة جديدة من الخوص ملفوفاً فى خرقة بالية من قماش مهلهل النسج لا نقش عليه ولا خيط فيه ! ولعلها خشيت ، إذا هى ألبسته بعض الثياب أن يستدل الشرط بها عليها ! والاحتياط لسلامة الخدر المصون من سوء السماع ومض الملام فوق كل اعتبار ! !

كان المارة يتجمعون على جوانب المهد الخشن والطفل يضطرب فيه بيديه ورجليه ، ثم يتفرقون ولا يجرؤ أحد منهم أن يسبل غطاءه عليه ، أو يمد يده إليه ، كأنما هو فى ذاته لعنة مجسدة تعلق بمن يمسها وتلحق بمن يقربها ! والواقع أن اللقطاء أو أبناء السكك والدهاليز كما يسميهم الشرفاء ، أشقياء بالولادة . وقد تشتمل الرحم الفاجرة على الشقى والشقاء فى وقت معاً . فاللقيط وهو جنين يكون خطراً لا ينفك مهدداً بالعار إذا استمسك ، وبالموت إذا سقط . فاذا سلم على طمن البطن باليد ، وتسميم الرحم بالعقاقير ، وُلد فى الخفاء ، وغمر بالظلام ، وأحيط بالسكون ، وأصبح فى حجر أمه جريمة مولودة تطفئ نور البصر ، وتذوى شباب القلب ، وتقطع خيط الرجاء ، فتحاول أن تتنصل من هذه الجريمة الواحدة ، باقتراف جرائم متعددة ! فاذا عاش على سوء الولادة وجفاء المهد وقسوة الهجر ، عاش موسوماً بالخزى ، موصوفاً بالمهانة ، لا يرتفع به بيت ، ولا يشرف به منصب

يا حسرتا على اللقيط من بنى آدم ! يمر الإنسان بالمتروك أو الضال من جراء الكلبة ، أو خنانيص الخنزيرة ، أو حملان النعجة ، أو فراريج الدجاجة ، فيؤويه إليه حتى يجد صاحبه ؛ ثم يمر بالمتروك من جنسه فيشيح بوجهه وينأى بجانبه ؛ لأنه إذا ضمه إليه اتهمته زوجه ، وإذا أظهر العطف عليه اتهمه الناس . ومن ينكره أهله لا يعرفه أحد ! ومن ضاق ذرعه بابنه لا يتسع صدره لمتبنّاه . لذلك كان الناس يمرون بالقفة المتروكة ، وفيها ثمرة الحب يتضور ويبكى ، فلا يجودون عليه إلا بنظرة حنان ، أو كلمة رثاء ، أو إشارة إعجاب ، أو لعنة انتقام . وخفت أن يبيت الطفل على قارعة الطريق فدعوت من حمله إلى مركز البوليس

وأصبح الصباح فقيض الله للغراب من عالج جناحه بعود طويل من الخشب حتى خلص ، وانطلق الأسير فى رفاقه الأوفياء يرفه عن الجناح العليل فى العشّ الناعم والفضاء الحر والإخاء الوثيق . وذهب صديقنا على يسأل رجال الشرطة عن مصير الطفل فقيل له : منحناه اسماً من الأسماء ، ونحلناه أباً من الآباء ، وسجلناه مجهول الأب والأم ؛ ثم أرسلناه إلى الملجأ ليعيش عمره الطويل أو القصير من غير أسرة ولا كرامة ولا ثروة ولا رجاء !

أما بعد فذلك غراب وهذا طفل ! أما الغراب فلم يتركه قومه حتى أنقذوه وأخذوه ؛ وأما الطفل فقد تركه أبوه لأمه ، وتركته أمه للناس ، وتركه الناس للقدر ! فمن ذا الذى يقول بعد ذلك إن ابن آدم خير من ابن آوى ، وإن بنت حواء أفضل من بنت اللبون ؟ إن جد هذا الغراب هو الذى علم قابيل جد هذا الطفل أن يوارى بالدفن سوأة أخيه المقتول ! وهل تجد أبلغ فى تسجيل العجز على الإنسان من قول قابيل حين رأى الطائر يبحث فى التراب : « يا ويلتا ! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ؟ »

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

انتخاب بطريرك الأقباط — أسئلة وأجوبة توضح المشكلة القبطية — بين الصنعة والطبع — موقعة الملابن — اختيار لون الموت يدل على حيوية الذوق

انتخاب بطرك الأقباط [1]

البطريرك كلمة يونانية الأصل ، أو لاتينية الأصل . ومن الطريف أن نذكر أن كازيميرسكي يجعل البطريق (بالقاف) من اللاتينية ، ويجعل البطرك (بالكاف) من اليونانية ، برغم تقارب مدلول الكلمتين . وأنا أترك تحقيق هذه المسألة لحضرة الباحث المفضال الأب أنستاس ، فهو بها من الخبراء .

والذي يهمني هو أن أشرح لقراء الرسالة مشكلةً تثور اليوم في البيئات القبطية ، وشرحها لا يخلو من نفع ، لأنها تنطوي على دقائق اجتماعية وأخلاقية ، ولأن من الخير أن يعرف قراء المجلات الأسبوعية حقيقة ما يُنشر بلا شرح في الجرائد اليومية . فإن وقع في كلامي شيء من الخطأ فليتفضل بتصحيحه أحد المطّلعين من أفاضل الأقباط .

وأواجه الغرض فأقول : الأصل أن يُنتخَب البطرك من الرهبان ، وقد سارت الأمور على هذا الأصل في جميع العصور الخوالي ، ثم انحرفت عند انتخاب البطرك السابق ، فقد انتُخب وهو مطران ، وبانتخابه على ذلك الوصف ضاع أعظم حق من حقوق الرهبان .

والذين قرأوا ما نشره سعادة الأستاذ توفيق باشا دوس في جريدة لابورس يدركون أن المشكلة ستثار من جديد ، مشكلة المفاضلة بين الراهب والمطران في انتخاب الرئيس الديني للأقباط . فما حجج الفريقين ؟

حجة القائلين بأن ينتخَب البطرك من الرهبان تقوم على أساس متين ، وهو سلامة الانتخاب من المؤثرات المالية ، لأن الرهبان لا يملكون شيئاً على الإطلاق ، فمن المستحيل أن يشتروا أصوات الناخبين ، وإذن يكون مرجع المفاضلة بين راهب وراهب هو الشهرة بالتقوى والورع والقنوت .

وحجة القائلين بأن ينتخب البطرك من المطارنة تقوم أيضاً على أساس ، فهم يرون أن المطارنة قد يعرفون من شؤون المجتمع ما لا يعرف الرهبان ، بغض النظر عن تعرض الانتخاب لمؤثرات مالية أو اجتماعية .

وهنا يسأل القارئ عن المصادر التي تجعل المطارنة أغنياء ، بحيث يتناضلون بالقُوى المالية عند الانتخاب .

ونجيب بأن البلاد المصرية من الوجهة القبطية مقسّمة إلى أبرشيات « والأبرشية كلمة يونانية معناها الإقليم » ولكل أبرشية مطران ، فيقال : مطران المنوفية ، ومطران البحيرة ، ومطران جرجا ، ومطران أسيوط ، إلى آخر التقاسيم .

> **إهداء الرسالة الخاصة**
>
> في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

ولكن كيف يقتني المطران ؟

يقتني من « العوائد » وهي جمع عادة ، كما تُجمع حاجة على حوائج ، ولك أن تجعل مفردها عائدة ، إن تناسيتَ العُرف ، وهو من أهم الأسندة اللغوية . فما تلك العوائد ؟

حين يتلطف المطران بزيارة أحد البيوت يكون على أهل ذلك البيت أن يتلطفوا بتقديم « العادة » وهي مبلغ من المال يقلّ أو يكثر تبعاً لقدرة أهل البيت ، فيكون جنيهاً أو جنيهين ، وقد يصل إلى عشرين . ومن هذه العوائد تتكون ثروة المطران ، وهي ثروة مستورة لا تتعرض لرقيب ولا حسيب ، وإن كان المفهوم أنها تُجمع لإسعاف المرضى ومواساة المحتاجين ، وهي بالفعل مصدر خير لأولئك وهؤلاء .

بعد هذا الشرح نفهم كيف يخاف الراهب صولة المطران عند الانتخاب ، فالراهب يتقدم بالدين ، والمطران يتقدم بالدين والمال . وقد سمعت أن للمال سلطاناً على أصوات الناخبين ، وسمعت أيضاً أنه يزيد الأتقياء جلالاً إلى جلال . وهذا وذاك يؤكدان خوف الراهب من مناضلة المطران .

أسئلة وأجوبة

س — هل من الحتم أن ينتخَب بطرك الأقباط من هيئة دينية؟

(1) لاحظت أن في الأقباط أنفسهم من يجهلون هذه المسألة الدقيقة ، فرأيت أن أشرحها بنزاهة وعدل

ج — يجوز انتخابه من هيئة مدنية إذا قلّت الصلاحية لهذا المنصب في الهيئات الدينية ، لأن الغرض هو إقامة راعٍ موصوف بالصدق والعدل ، ولو كان من المدنيين

س — هل فكّر أقباط مصر قبل اليوم في انتخاب بطرك من الهيئة المدنية ؟

ج — بعد موت البطرك الأسبق كان من بين المرشحين لهذا المنصب رجلٌ مدنيٌّ هو الأستاذ سابا حبشي ؛ ويقال إنه نال كثيراً من الأصوات ؛ وهذا يدل على استعداد الأقباط لتشجيع العقلية المدنية في الحياة الدينية

س — إذا توفرت الشروط في الرجل المدني ، فما الموجب لإيثار الرجل الديني ؟

ج — يرى الأقباط أن منصب البطرك هو مصدر الحياة للدير ، فمن الخير أن تبقى لسكان الديارات آمال في السيطرة الروحية على الجمهور القبطي ، وهي تُعرَّض للزعزعة إن ضاع منهم ذلك المنصب المرموق

س — وما الخطر من زعزعة مركز الدير ؟

ج — الخطر عظيم ، لأن الدير هو أكبر الخصائص في المسيحية ؛ وضعضعة الدير تضعضع هيبة الرهبان

س — وما الموجب للابقاء على الرهبانية ؟

ج — الرهبانية مفروضة على البطرك ، ولو انتُخب من بين المدنيين

س — ألا تظنّ أن رهبنة المدنيّ أرقُّ وألطف ؟

ج — أقباط مصر يقولون بغير ذلك ، وهم يرون أن الرهبنة لا توصف بالرقة ولا باللطف ، وإنما توصف بالتقشف والزهد والقنوت

س — هل ترى أن البطرك القادم من سجن الدير يصلح لمقابلة الوزراء والسفراء ؟

ج — أقباط مصر لا يطلبون البطرك لمقابلة الوزراء والسفراء ، وإنما يطلبونه لمواساة اليتامى وهداية الأشقياء ، ولا يكون كذلك إلا حين تغلب عليه الهيبة الدينية

س — وإذا صَلَح الرجل المدني لتأدية هاتين الوظيفتين ؟

ج — يكون أصلح الرجال على شرط أن ينتخَب من طريق لا تعترضه الشبهات

س — وما الشبهات التي تعترض ذلك الطريق ؟

ج — هي الشبهات التي ألمتُ إليها في مطلع هذا الحديث

أما بعد فهذه صورة لما يعتلج في صدور أقباط مصر بعد موت البطرك ، وإني لأرجو أن يُكتبَ لهم التوفيق في اختيار البطرك الجديد ، فهم مواطنون أعزاء ، واطمئنانهم إلى رياستهم الدينية يقع من أنفسنا موقع الجذل والارتياح

وسبحان من لا يقع في مُلكه إلا ما يريد

بين الصنعة والطبع

إذا كتبت خطاباً في المساء فأتركه بلا تظريف ، لتسهُل مراجعته في الصباح ، ولتبقى الفرصة للحذف منه أو الإضافة إليه ، فمن المؤكد أن للرأي موجات تختلف باختلاف الأوقات . وقد تُنكر في بياض الصبح ، بعض ما كتبت في سواد الليل . وأنت عن تموُّجات رأيك مسئول

كذلك أصنع في خطاباتي ومقالاتي لهذا العهد ، ولم أكن أصنع ذلك من قبل . وإن زمناً يكفُّ من جُموحي لهو ألأم الأزمان! ما كنت أعرف الفرق بين التسويد والتبييض ، ولا كنت أستبيح معاونة الصنعة على مغالبة الطبع ، وكنت أعجب حين أسمع أن في الكتّاب من ينسخ مقاله مرات قبل أن يطمئن إلى صلاحيته لمواجهة القراء

كان رأيي أن جري القلم في القرطاس هو جرى الجواد في الميدان ... وللقلم أن يتلفت قبل إصابة الهدف ، إن كان للجواد أن يتلفت قبل بلوغ الغرض ... ومن المحال أن يتلفت الجواد حين ينطلق في ميدان السباق ، أو ميدان القتال

وهذا المذهب في رياضة القلم هو الذي عرّضني لكثير من الجراح ، لأني لا أملك صده حين ينطلق ، وهل يملك الجواد مجانبة العثرات حين ينطلق ؟

فما بال الأقدار تروضني بعد الجموح ، وتفرض عليّ أن أتلفّت ذات اليمين وذات الشمال وأنا أجرى في ميدان البيان ؟

وما هذا الذي أعاني من زماني ؟

أليس من المزعج أن أصبح من مخاطر القلم في أمان ، لأن الظروف توجب أن يراعي قلمي أشياء لا يراعيها الجواد حين ينطلق في الميدان ؟

وما قيمة الحياة الأدبية إذا خلت من المخاطر والمهالك والحتوف ؟

أنا لا أعدّ الكاتب فارساً إلا إذا استطاع بكل سطر ، أو بكل حرف ، أن يعرّض قراءه إلى الاشتباك في حروب مع المعاني والآراء والأهواء

فأين أنا مما أريد ؟

وأين الفرص التي تسمح بأن أجرّد من قلمي مِشرطاً يرفع الغشاوة عن أعين أبناء الزمان ؟

أنا اليوم أضمن السلامة من جرائر قلمي ، كارهاً غير طائع ، لأن النظام في هذه الأيام يصدّ الأقلام عن عنت الجموح والطغيان

قلمي

كيف مرّت شهور بلا جراح يُدميها سنانُك ؟

وكيف أمِنتُ شرَّك ، ونجوت من طغيانك ؟

كيف وكيف ؟؟

بيني وبينك ميعاد وميثاق ، والأحرار لا يخلفون المواعيد ، ولا ينقضون المواثيق

موقعة العلمين

العَـلَمين اسم بقعة تقع في الطريق بين الأسكندرية ومرسى مطروح ، وهي مثنّى عَـلَم ، وقد صارت بفضل حرب الصحراء الغربية أشهر من نار على عَـلَم أو على عَلَمين !

والذي يراجع أخبار الصيال بين قوات الحلفاء وقوات المحور في الصحراء يعرف أن تلك القوات لم تقف وقفةً أطول من وقفتها في العلمين، فهل كانت المقادير أرادت أن يكون لتلك التسمية هذا المصير فتكون تلك البقعة مكان الصراع بين العَلَم المهاجم والعَلَم المدافع ؟

اللهم حوالَيْنا ولا علينا ! !

ألوان الموت[1]

لك أن تقول ألوان الموت ، كما تقول ألوان الطعام وأصناف الشراب ، ومن حقك أن تختار لون الموت ، لأنه فنٌّ من الفنون ، أو صنفٌ من الصنوف ، أو « ضربٌ » من الضروب ، ولعل من واجبك أن تفكر في اختيار لون الموت ، لأن ذلك يشهد بأنك من الأحياء . وهل يفاضِل المرء بين لون ولون إلا وهو في حيوية ذوقية أو روحية تضيفه إلى أكابر الفنانين ؟

ولتوضيح هذا المعنى أسوق الحادثة الآتية ، وقد وقعت في مساء اليوم السادس من هذا الشهر الميمون :

قُبَيْل الغروب هبّت عاصفة عنيفة ، عاصفةٌ كادت تنقل إلى داري جميع رمال الصحراء ، جزاءً بما صنعتُ من التغنّي بإشراف داري على الصحراء !

وفي ثورة تلك العاصفة يترنم الهتّاف ، فأسمع صوت المسيو دي كومنين يدعوني إلى سهرة تدور فيها أكواب الحديث ، وهو لا يقدّم لأضيافه غير أكواب الحديث ، لأن العقل نهاه عن الشراب قبل أن ينهاه الطبيب

وما كادت العاصفة تسكن حتى سلكتُ الطريق إلى ذلك الصديق ، وهو طريقٌ لا يسلكه عابرٌ في ليلة ظلماء إلا إذا كان على ميعاد مع حبيب

كان المسيو دي كومنين في توحد الليث ، فقد قضت ظلمات الأيام الأخيرة بأن يقرّ الناس في بيوتهم ، فلا يسمر صديق مع صديق ... ولا تسأل كيف طابت نفسي حين عرفتُ أنني السمير الوحيد في ذلك المساء ، مع رجلٍ صِيغَ روحه من لباب الضياء

كانت غابة الليسيه في تلك الليلة تكابد الشوق إلى من يتنقل بين أشجارها من وقت إلى وقت ، ليُشعرها بأن في الوجود أرواحاً لم تشغلها مزعجات الحوادث عن الاستماع للأغاريد المطوية في ضمير الحفيف ... وهل تصمت أشجار مصر عن التناجي بالحفيف في أي زمان ؟

تحدثنا بجانب كل شجرة ، وسلّمنا على كل مكان ، حتى المكان الذي أوصى المسيو دي كومنين بأن يدفن فيه ، بعد العمر الطويل العريض

وطال الحديث حتى استغرق أكثر من خمس ساعات ، فاستأذنت في الانصراف ، بعد أن شكرت للمسيو دي كومنين لطفه البالغ في إمتاع روحي وعقلي بذلك الحديث

ويهتف هذا الصديق بالسائق ليوصلني بالسيارة إلى داري ، فلا يجده ، وينادي الحارس ليصل جناحي بضع خطوات ، فيعرف أنه رابط في ناحية نائية ، فيعلن أسفه على أن أسير وحدي في ذلك الظلام المحفوف بالحتوف ، ولكني أطمئنه فأقول : إني لا أعرف ولا أصدّق أن في الدنيا رجلاً أقوى مني ، فليجرب اللصوص حظهم في مصاولتي ، إن كان في « مصر الجديدة » لصوص غير سُرّاق القلوب ، وأنا قد نجوت من المعاطب الوجدانية في مصر الجديدة ، فما خوفي على جيبي وقد نجا قلبي ؟ !

كان الطريق موحشاً أعنف الإيحاش ، وكان الليل كأنه الليل!

طاخ ، طاخ ، طاخ ! ! !

والتفت فإذا المدافع تنطلق من كل صوب ، ولم يسبقها

---

(١) أكتب هذه الكلمة إجابة لاقتراح الأستاذ ابراهيم والي

شعر على بن أبى طالب

للأســتاذ السيد يعقوب بكر

(تتـمة)

هل على حقا صاحب الديوان المنسوب إليه ؟

لعلّنا ملزومون ، بعد أن انتهينا إلى أنه كان من الشعراء ، بأن نصل إلى رأى فى هذه المسألة : وهى هل على حقاً صاحب الديوان المنسوب إليه ؟ ولقد وصلنا فعلاً إلى رأى فى هذه المسألة ، ولـكننا نحب قبل أن نذكره أن نذكر آراء بعض العلماء فيها :

فهناك رأى للأستاذ بروكلمان ذكره فى كتابه سالف الذكر حيث يقول (حـ ١ ص٤٣) : « ليس من شك فى أن عليّا كان ذا ملكة شعرية ، ولـكن الشكوك فيه كثيراً وجود قصائد صحيحة له فى ديوانه ؛ وإلى جانب ذلك فإن هذه القصائد تحمل طابعاً من انتحال شيعى بلغ من البدوّ للعيان حدّا جعل النقاد من أهل السنة فيما مضى يدركون زيْفها »

وهناك رأى آخر للأستاذ هداية حسين[1] ذكره الأستاذ بروكلمان فى ملحق كتابه السابق ؛ فقد قال (حـ ١ ص ٧٣) إنه — أى هداية حسين — وصل إلى أن ناظم الديوان هو قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندى (توفى ٥٧٣ ـ ١١٧٧)

وهناك رأى أخير للأستاذ مستقيم زاده ذكره (هيار) فى كتابه Littérature Arabe حيث يقول (ص ٢٥٢) : « وأكد الشارح مستقيم زاده أيضاً أنه (الحديث عن الشريف المرتضى) الناظم الحقيقى للديوان المنسوب إلى على الذى لم يكن يستحيل عليه شىء »

فهذه آراء ثلاثة ذكرناها لنصوّر ذلك الاختلاف الشديد حول الديوان ونسبته ، ولنخرج من هذا الاختلاف الشديد إلى رأى لنا فى هذه المسألة نحن نستريح إليه ونرجو أن يستريح إليه القارئ أيضاً :

لا يمكن القول بأن جميع ما فى الديوان ليس لعلى ؛ فهذه دعوى ينقضها من أساسها أنه قد ورد فى هذا الديوان الشعر الذى وجدناه فى تلك المراجع العربية المعتمدة سالفة الذكر والذى كان وجداننا له فيها مما حملنا على التسليم بصدق نسبته إلى على . فالبيتان المذكوران فى عيون الأخبار نجدهما فى الديوان ص ٥٨ مع تغيير بسيط ، والأبيات المذكورة فى معجم الأدباء نجدها فى ص ٣٢ وص ٦٣ مع بعض الزيادة والتغيير ، والرجز المذكور فى مقاتل الطالبيين تجده فى ص ٣٣ مع زيادة وتغيير كثيرين ، والأبيات المذكورة فى العمدة مذكورة فى ص ٦٤ وص ٦٥ مع زيادة وتغيير كثيرين ، والأبيات المذكورة فى حماسة البحترى نجدها فى ص ٣٠ وص ١٢ مع بعض الزيادة والتغيير ، والرجز المذكور فى الـكامل تجده فى ص ١٨ مع بعض الزيادة ، والأبيات

(١) ذكر عنه الأستاذ بروكلمان فى ملحق كتابه (حـ ١ ص ٧٣) أنه جمع آراء مؤلفى الشيعة فى الناظم الحقيقى للديوان المروى غالباً باسم (أنوار العقول لوصى الرسول) . ولم نستطع لسوء الحظ أن نطلع على عمله هذا

نذيرٌ من صفارة أو بوق ، وأنظر فأرى لهيبها ودخانها يثوران فوق رأسى ، فأسرع بالدخول فى بيت بلا أبواب ، بيت لا يزال فى مهد البناء ، والمصريون لا يكفّون عن البناء ولو ارتفعت تكاليفه إلى عشرات الأضعاف

طق ، طق ، طق ! ! !

وألتفت مرة ثانية فأرى الأخشاب التى تحمل السقف مهددة بالسقوط ، فأقفز إلى الفضاء ، وقد اخترت لون الموت ، وللموت ألوان : رأيت الموت بشظية مِدفع أفضل من الموت بسقوط تخشيبة ، كما أن الموت بالبِطنة أفضل من الموت بالجوع !

ثم نظرت فرأيت الضرب ابتعد ، فهو ضرب طيارة انجليزية تطارد طيارة ألمانية ، وقد أفلح الضرب فسقطت الطيارة المطارَدة عند الـكيلو رقم ٣ بطريق السويس ، وكفى الله رأسى شر الهلاك ، وضاعت الفرصة على أعدائى ، فلم يحبّروا المقالات الطوال فى : « مصرع الملاكم الأدبى » : والستميت لا يموت ، كما قال الحكماء ! !

أفى هذه الأيام نقرأ ونكتُب ، ونحاسب هذا الشاعر ، ونصاول ذلك الـكاتب ؟ !

نعم ، ثم نعم ... فليحاول الدهر بأحداثه وخطوبه زعزعة الفـكر الثاقب والقلم البليغ !

محمد زكى مبارك

المذكورة فى العقد الفريد تجدها فى ص ٦٥ مع زيادة وتغيير غير قليلين

وإذن فالصواب هو أن بعض ما فى الديوان لعلى ، وبعضه الآخر ليس له . وهذا البعض الآخر إنما نستدل على أنه ليس لعلى بعدّة أشياء :

١ — أن بعض المتقدمين نبّه على أن بعضه ليس لعلى :

(ا) يقول ابن هشام فى سيرته (جـ ٢ ص ٦٣٥ — ٦٣٦ ط جوتنجن) : « قال ابن إسحق وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال ابن هشام قالها رجل من المسلمين فى يوم أحد فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى رحمه الله :

لاهُمَّ إن الحارث بن الصِّمَّهْ   كان وفيّا وبنا ذا ذمّهْ
أقبل فى مهامهٍ مُهِمَّهْ   كليلة ظلماء مدلهمّهْ
بين سيوف ورماح جَمّهْ   يبغى رسول الله فيما ثَمّهْ

وهذه الأبيات مذكورة فى الديوان ص ٦٦ مع تغيير كثير .

(ب) ويقول ابن هشام أيضاً (ص ٦٥٦ — ٦٥٧) : « قال ابن إسحاق وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف قال ابن هشام قاله رجل من المسلمين غير على بن أبي طالب فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى رضى الله عنه :

عرفتُ ومن يعتدل يعرفِ   وأيقنت حقاً ولم أصدفِ
الخ »

وهذه القصيدة مذكورة فى الديوان ص ٤٢ مع تغيير بسيط

(جـ) ويقول الطبرى (الجزء الثالث من القسم الأول ، ص ١٤٢٦ ط ليدن) : « وزعموا أن على بن أبى طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أفاطم هاك السيف غير ذميم   فلست برعديد ولا بمُليم
لعمرى لقد قاتلت فى حبّ أحمد   وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفى بكفى كالشهاب أهزّه   أجُذّ به من عاتق وصميم
فما زلت حتى فضّ ربى جموعهم   وحتى شفينا نفس كل حليم

والأبيات مذكورة فى الديوان (ص ٦٥) مع زيادة فيها وتغيير كثير .

٢ — أن بعضه يحمل طابعاً شيعيًّا :

فمن هذا البعض القصيدة التى فى (ص ٣) من الديوان ، والتى مطلعها :

وما طلب المعيشة بالتمنّى   ولكن ألق دلوك فى الدّلاء

فإنها تنتهى بهذا البيت :

وهذا العلم لم يعلمه إلا   نبىّ أو وصىّ الأنبياء

وغير خاف ما فى (وصي الأنبياء) من دلالة

ومنه القصيدة التى فى (ص ٤٨) وهى :

بُنىَّ إذا ما جاشت الترك فانتظر   ولاية « مهدىّ » يقوم فيعدل
وذلّ ملوكُ الظلم من آل هاشم   وبويع منهم من يلذّ ويهزل
صبىّ من الصبيان لارأى عنده   ولا عنده جِدّ ولا هو يعقل
فثمّ يقوم القائم الحقّ منكم   وبالحق يأتيكم وبالحق يعمل
سمّى رسول الله نفسى فداؤه   فلا تخذلوه — يا بَنىّ — وعجلوا

فغير خاف ما فى القصيدة من حديث عن المهدى المنتظر

٣ — إن معانى بعضه أو أسلوبه مما لا يمكن صدوره عن على أو فى عصر على :

فالقصيدة الواردة فى (ص ٤) من الديوان والتى مطلعها :

لبيك لبيك أنت مولاه   فارحم عُبيْداً إليك ملجاه

ممـا لا يمكن صدوره عن على ؛ ففيها تصوير لحديث بين على والله ولا شك أن عليًّا يتحرّج من مثل هذا ، وأغلب الظن أن مثل هذه القصيدة من وضع أحد متصوفى الشيعة

والبيتان الواردان فى (ص ٤) أيضاً وهما :

دع ذكرهن فما لهن وفاء   ريح الصبا وعهودهن سواء
يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه   وقلوبهن من الدواء خلاء

مما لا يصدر عن على ، إذ هما فى الغزل ، والغزل مما يتحرّج منه علىّ

وكذلك الأبيات الواردة فى ص ١٨ وهى :

جنبى تجافى عن الوساد   خوفاً من الموت والمعاد
من خاف من سكرة المنايا   لم يدر ما لذة الرّقاد
قد بلغ الزرع منتهاه   لا بد للزرع من حصاد

لا تصدر عن على ؛ إذ أن مثله لا يخاف الموت أو المعاد

وهناك قصائد تظهر فيها ركة الأسلوب بحيث لا يمكن القول بأنها صدرت فى عصر على . ونضرب مثلاً لذلك القصيدة الواردة

فى ص ٣ ـ ٤ من الديوان ومطلعها :

وكم ساعٍ ليثرى لم ينله وآخر ما سعى لحق الثراء

والبيتين الثلاثة الواردين فى ص ٧ وهما :

الدهر يخنق أحياناً قلادته عليك لا تضطرب فيه ولا تثب

حتى يفرجها فى حال مدتها فقد يزيد اختناقاً كل مضطرب

والأبيات الثلاثة الواردة فى ص ١٠ وأولها :

قد رأيت القرون كيف تفانت درست ثم قيل كان فكانت

والبيتين الواردين فى ص ٢٤ وهما :

أغض عينا على القـذى وتصـــبَّر على الأذى

إنمـا الدهر ســاعة بقطع الدهر كلٌّ ذا

والأبيات الواردة فى ص ٢٥ وأولها :

عسى منهل يصفو فيروى ظمية أطال صداها المنهـل المتكدِّر

ثم هناك قصيدة على نمط ألفية ابن مالك فى آخر الديوان ، لا شك فى وضعها ، لأن ذلك النمط من القصائد لم يكن موجوداً فى عصر على وإنما جاء فى عهود متأخرة

* * *

ثم إننا نعتقد اعتقاداً جازماً أن هـذه الأشعار الموضوعة لم يضعها شخص بعينه ؛ وذلك لأنها متفاوتة الأسلوب ، ففيها القويُّ الرائع وفيها الضعيف الركيك . وإنما الذى نراه أن هذه الأشعار قد وضعها أناس مختلفون معظمهم من الشيعة ، ونسبوها إلى على حبا فيه ورغبة منهم فى إسناد فضلهم فى نظم هـذه الأشعار إليه . ثم جاء جامع الديوان ، فجمع كل ما عثر عليه من الشعر المنسوب إلي على دون أن يميز بين صحيح النسبة وباطلها ، ودون أن يفرِّق بين المصادر التى ذكرت فيها هذه الأشعار فينقل عن الوثيق منها ويضرب صفحاً عن المتهم . فهذا إجمال رأينا فى الديوان

دراسة شعره الصحيح

هذا القسم الثالث من البحث لا بد منه لكى يتمّ هذا البحث ويستكمل فروعه . غير أننا لسنا فى حاجة الآن إلى تناوله ؛ فقد سبق أن قلنا فى الخطوة الثالثة من البرهان على أن علياً كان من الشعراء ، ما يصلح أن يوضع هنا .

(تم البحث) السيد يعقوب بكر

من أدب الحرب

عند ما يعود السلام !

عند ما يعود السلام

سوف أضىء كل مصابيح منزلى

وسأفتح كل نافذة فيه على مصراعيها

وستنعكس الأنوار على صفحة البحر فيبدو منظرها الرائع فاتناً فوق الأثباج ، ويتراقص ضوءها اللامع فوق الأمواج

سوف أعود ثانية فأضىء الأنوار فى جميع جنبات الدار

عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام

سوف أسير فى القمراء فوق الغبراء ، وقد أشرقت بالضياء ،

وسأنظر إلى القبة الزرقاء ، وهى فى سكون وصفاء

وسأعود إلى عشق الليالى المقمرة من جديد ، وأنا جد سعيد ،

عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام

سوف أتملى محاسن الكون وجمال الوجود

وسأمتع ناظرى برؤية الغابات والتلال وقد كساها الجليد .

وسوف أسيح فى الأرض حتى أبلغ التخوم والحدود !

وسأزور الدول الحرة مرة أخرى

عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام

سوف ألقى الناس جميعاً بعد طول الفراق ، وأطفىء بلقائهم نار الأشواق

سوف ألتقى بأخوتى وأصدقائى وأحبتى

سأقابل من ظل باقياً على قيد الحياة

وسأبكى على من قضى بكاء الحزين بالدمع السخين !

عند ما يعود السلام .

[عن الانجليزية] أحمد عبد اللطيف الحضراوى

٢ – كتاب الامتاع والمؤانسة
الجزء الثانى
للأب أنستاس مارى الكرملى

٣ – أوهام علم الحيوان

جاء فى حاشية ص ٣١ : « الأفلاء جمع فِلو بكسر الفاء . وهو المهر الذى لم يبلغ الفِطَام » . والمشهور فى لغة العراقيين ، وهو كذلك فى اللغة الفصحى : أن الفلو : المهر إذا فطم ، أو بلغ السنة .

وورد فى نص تلك الصفحة وفى نحو آخر سطر منها : كما أن الأفعي تأخذ السمّ من « الأصِلَّة » وضبطت الأصِلَّة بهمزة القطع ، وكسر الصاد ، وشد اللام ، وفى الآخر هاء . وهو لفظ لا وجود له فى لغتنا الفصحى ، ولعلّ الناشرَيْن توهما أن الأصلة جمع الصِلّ بكسر فشد اللام . قلنا : هذا لا يمكن أن يكون عقلاً ، ولا نقلاً ؛ أما أنه لا يكون عقلاً ، فلأن الأفعى لا تأخذ سمها من عدة أصلال ، بل من صِل واحد . وأما أنهُ لا يكون نقلاً ، فلأن صِلاً لا تجمع على أصِلَّة – كأهِلَّة – إنما تجمع على أصلال . وأما الأصلة هنا فزنتها قصبة ؛ وهى حية صغيرة ، أو عظيمة ، قيل : تهلك بنفخها . وهى فى نظرنا تعريب « باصلة » اليونانية ومعناها ملكة الحيات ؛ وحذفت الباء من أولها ظناً أن الباء زائدة للجرّ . ولهذا قال التوحيدى : كما أن الأفعى – وهى كل حية سامة – تأخذ السم من الأصلة . كأنه يقول : تأخذ سمها من الأفعى الملكة ، كما أن الوالى ، أو العامل ، يأخذ سطوته وقوته من الملك أو السلطان ، وحذفت الباء كما حذفت من ڤاندلس Vanddales فقالوا : أندلس

وفسر الكودن ، الوارد فى ص ٥٩ بقول الناشرين فى الحاشية : الكودن « البغل » قلنا : هذا من باب التوسع لا من باب التحقق ، وإلا فالكودن – على ما فى ديوان الشارح – الفرس المهجين ، والبغل ، والبرذون الروى ، إلا أن المسعودى استعملها لهذا الحيوان المهجَّن المتولد من الحصان والأتان ، وهذا ما يجب أن نعرفه وندقق النظر في تحقيقه ، لأننا أصبحنا فى عصر نحتاج إلى هذا التمييز .

وقيل فى ص ١٠٤ : « إن العلماء بطبائع الحيوان ذكروا أن الفيلة لا تتولد إلا فى جزائر البحار الجنوبية » اهـ وكان يحسن بالناشرين أن يقولا : وقد ثبت اليوم أن الفيلة تكون فى بلاد الهند ، من غير أن يَحْصرا القول بقولهما : فى جزائر البحار الجنوبية لأنها تكون فى أفريقية .

وقال المؤلف فى ص ١٠٤ أيضاً : والزرافة لا تكون إلا فى بلاد الحبشة . قلنا : والذى أجمع عليه العلماء بطبائع الحيوان أنها تكون فى فلوات أفريقية وصحاريها .

وقال المذكور فى تلك الصحيفة عينها : « والسمور وغزال المسك لا يكونان إلا فى الصحارى الشرقية الشمالية »

قلنا وكان يحسن أن يعلق فى الحاشية ما يصحح هذه القالة . فالسمور يُرى فى شمالىّ أوربة ، وآسية ، ويعيش فى كنتشكة والاسكة . وغزال المسك يعيش فى جبال آسية الشرقية ، ويوجد منه فى الصين ، والتُبَّت ، وبنتال ، وديار التَتَر ، والتُنْكين كما ذكره علماء الحيوان

وقال أيضاً فى تلك الصفحة : « والعقاب والنعام لا تفرخ إلا فى البرارى والقفار والفلوات » . وجاء فى الحاشية : « فى ب التى نقلت عنها هذه الزيادة وحدها : « والعطاف » ، ولعل صوابه ما أثبتنا (أى العقاب) إذ لم نجد العطاف فيما راجعناه من كتب الحيوان . وفى كتاب « حياة الحيوان » : إن من أنواع العقاب ما يأوى إلى الصحارى » اهـ

قلنا : « لا يمكن » أن يكون الصواب ما أثبته الناشران ، فلو فرضنا أن بعض أنواع العقاب يأوى إلى الصحارى ، فمن المحال أن يفرخ فيها ، لأن العقاب لا تفرخ إلا فى أعالى الجبال وشواهق الهضاب . والتوحيدى يوجه النظر إلى أن هذا الطائر الذى يذكر اسمه يتخذ أُفحوصَه فى البرارى والقفار والفلوات ، ولا يكون إلا لنوع من القطا وهو الغَطاط ، بالغين المعجمة والواحدة غطاطة . وفى نسخة من حياة الحيوان : يرى العَطاط بعين مهملة وفتحها كالغطاط بالمعجمة

وقال المؤلف فى تلك الصفحة أيضاً : « والوطواط والطيطوى وأمثالها فى الطير لا تفرخ إلا على سواحل البحار وشطوط الأنهار والبطائح والآجام » اهـ

قلنا من معانى الوطواط : الخفاش لضرب من خطاطيف الجبال . وكل منهما لا يفرخ على سواحل البحار ولا على شطوط

الأنهار ولا على سواطئ البطائح والآجام . فيجب أن نأتي باسم طائر يشبه لفظ الوطواط وبمشش في المواطن المذكورة وهذا الطائر يسمى اليوم في أنحاء البطائح في العراق البيبط أي Vandllus

وتلفظ البيبط بكسر الباءين ومن الغريب أن هذا اللفظ معروف بهذا الضبط في فلسطين على ما صرّح به القانوني تدسترام في ص ٤٠٢ من كتابه . وذكره أيضاً دنبي Dombay وكذلك دوماس Doumas وذكره شربونو بصورة بيبيط بياء زائدة قبل الآخر . وسماه الدكتورحنا ابقاريوس بوطيط وغناج في ص ٥٨٨ من معجمه الطبعة الثالثة . وسماه الكبتن ه . ف . س امرى في معجمه الإنكليزي العربي في ص ٢٠٤ هدهد (كذا) . وسماه الأب بلو اليسوعي في معجمه الكبير الفرنسي العربي : طائر طويل الرجلين (كذا) . وفي معجم الدكتور سعادة الإنكليزي العربي : نباح وطاتويت وفي معجم ج . ج . مارسيل الفرنسي العربي : بيبط بكسر الباء الأول وفتح الثالث

قلنا والأصل هو بيبط مشتق من البط لأنه مغرم بالطين والتردد إليه ، وسكناه الآجام والمستنقعات وهو يبطبط فيها : أي يدخل منقاره فيها وفي أوحالها وأطيانها ، ويبحث فيها عن طعامه من دود وحشرات مسمعاً صوتاً يحكي : بط بط بط ، ومنه اسم البط أيضاً واسم هذا البيبط . وأما أبو طيط وبوطيط في لغة عوام بعض الشاميين فهو من تصحيف البيبط . ونحن لا نشك في أن الطيبط هو اللفظ الذي كان معروفاً في أنحاء البطائح منذ عهد العباسيين ، وهو أيضاً اللفظ الذي عرفه التوحيدي

وجاء ذكر الذر في حاشية ص ١٠٥ عند قول الناشرين : الذر النمل الأحمر الصغير . قلنا ونحن العراقيين نعرف الذر إلى يومنا هذا ونريد به صغار النمل بغض النظر عن لونه ؛ وهو بهذا المعنى ورد في كلام اللغويين والبلغاء والكتاب الحذاق والأدباء البصراء .

وقيل في ص ١٠٨ : « وكذلك اللُك فإنه (طل) يقع على نبات مخصوص ينعقد عليه » قلنا : والمشهور أن اللك ليس طلاً بل هو صمغ ، أو راتينج ، أو كما يقول علماء العرب : لثىً يسيل من بعض الأشجار في الهند كالتّين الهندي ، والتين الدَّيْن ، والموسج السُّنابي ، ونظائرها ، ويخرج بعد أن تجرحه أنثى حشرة نصفية الجناح اسمها الحبة اللكية lacca coccus فإذا نخن هذا اللثى ، تبيض فيه الهامة وتفرخ .

وفي تلك الصفحة عينها : « وكذلك الدُرُّ فإنه طل يرسخ في أصداف نوع من الحيوان البحري ، ثم يغلظ ويجمد وينعقد فيه » . — والمشهور اليوم عند المحققين أن الدرة إفراز يحدث أثر خدش تخدشه دُوَيْدَة ، أو هي حبة رمل تقع في صَدَفَة حيوان هلاميّ فتنحبس فيها ، فتتحول درة ، وليست بطلٍ ، ولا بندًى كما كان يظنه الأقدمون . فيجب أن تصحح آراء الأقدمين بعد تحقيق العلماء العصريين لها ولا تبقى على حالتها الأولى

وفسر الناشران قول التوحيدي في حاشية ص ١٦٤ « ينكز » بقولها : من النكز : وهو لسع الحية بأنفها ، ومعلوم اليوم أن الأفعى لا تنكز بأنفها كما هو رأي الأقدمين ، وإنما تنكز بناب في أعلى مقدم فمها ؛ أما إذا أريد بالأنف هذه الناب ، فالتعبير صحيح ، وإلا فيجب أن يعدل عنه إلى ما يوافق تقدم العلم وتحقيقات المتخصصين فيه

ومما يتعلق بعلم الحيوان ، وبتعبير أصح ، بعلم المواليد ما جاء بخصوص الماس . فقد ورد في ص ١٠٩ : « ويقال : لا يوجد الماس إلا في معدن الذهب في بلد من ناحية المشرق » — قلنا : إنه يوجد في رمال الذهب في الهند ، والبرازيل والأورال ، فكان يجب أن تزاد هذه الكلمات .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكم في الجنحة رقم ٥٢٧ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بجلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٤٢ بتغريم عبد النبي عبيد بقال ٢٠٠ قرش لبيعه ذرة بأكثر من التسعيرة

حكم في الجنحة رقم ١٩٢ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بجلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٤٢ بتغريم المتهم محمد محمد عبد الوهاب الجزار ٥ جنيه لبيعه لحماً بأكثر من التسعيرة

حكم بجلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٤٢ في القضية ٤٣٢ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بحبس بني تستاس جاد الله من نسال ثلاثة شهور مع الشغل لبيعة ذرة بأكثر من التسعيرة

ترتيب القرآن (*)

للأستاذ أبو طالب زيان

فى العدد ٤٧٠ من « الرسالة » سؤال للأستاذ عبد الله رشيد الكاتب عن القاعدة التى رتبت السور القرآنية بموجبها . أو روعى فى ترتيبها كبر السورة أو سبق النزول . والأديب يوجّه الأدباء والمفكرين لبحث هذا الموضوع الخطير أسوة بالموضوعات الفذّة التى تتناولها الرسالة الغراء . ونحن مع تقديرنا لصاحب الرسالة نرجو أن يتسع المجال لمناقشة هذا الموضوع ، والاهتداء إلى نتائجه القويمة علها تشفى علة الباحث الفطن ، وتأخذ الناشئة إلى البحث النبيل والطريق المستقيم

ولا بد لنا من لمحة يسيرة حول ترتيب الآيات قبل الخوض فى ترتيب السور ليستبين للقارىء الغرض الذى يرمى إليه الباحث . فقد أجمعت الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على النهج الذى نراه اليوم فى المصاحف كان بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى . ولا مجال للرأى والاجتهاد فى هذا ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بآيات القرآن منجمة فيوحيها إلى النبى عليه السلام ويدله على موضع كل آية من سورتها ، فكان عليه السلام يبلغها للصحابة ، ويأمر كتاب الوحى بكتابتها ويقول : « ضعوا هذه الآية فى المكان الذى يذكر فيه كذا وكذا . وكان جبريل يعارضه بالقرآن فى رمضان من كل عام مرة ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرؤه فى مدارسته له مرتب الآيات على النحو الذى نراه اليوم فى المصاحف ، حتى إذا تم نزول القرآن كانت كل آية مرتبة فى سورها ، وقد حفظها عنه الصحابة بترتيبها . فلما كان زمن أبى بكر وأراد جمع القرآن لم يكن عمله متناولاً لترتيب الآيات ، وإنما كان مقصوراً على جمع القرآن بين دفتى مصحف واحد خشية عليه من التفرق والضياع إذا استمر القتل فى حفاظه ، ثم نسخ المصحف من عهد عثمان إلى عهدنا هذا مرتب الآيات كما تلقاها الصحابة عن الرسول صلوات الله عليه . وقد نقل الإجماع على هذا كثير من العلماء منهم الزركشى فى البرهان ، وأبو جعفر ابن الزبير فى مناسباته . وروى ابن وهب عن مالك قال : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم . ويؤيد هذا الإجماع ما ورد من النصوص الدالة على أن ترتيب آياته توقيفى تفصيلاً وإجمالاً

فمن هذه النصوص ما رواه أحمد بإسناد حسن عن عثمان ابن أبى العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » إلى آخرها . فهذا الحديث صريح فى أن جبريل علمه موضع هذه الآية من سورتها وكذلك كان دأبه فى كل آية .

ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان ابن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها . قال : يا ابن أخى لا أغير شيئاً من مكانه . فهذا الحديث صريح فى أن إثباتها فى مكانها من سورتها توقيفى ، وأن عثمان وجدها مكتوبة فى الصحف المنقول مما كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغيرها من مكانها لأن هذا أمر لا مجال فيه للرأى . ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال : ما سألت النبى عن شىء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال : تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء . فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة معلومة الترتيب فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معلوماً ما هو مقدم منها وما هو مؤخر ؛ ولذلك قال النبى لعمر : تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء فعين موضعها من السورة . وتلك الآية هى قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة . . . الخ » ويدل على أن ترتيب الآيات توقيفى أيضاً ما ثبت فى السنن الصحيحة من قراءته عليه السلام لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء ، وما ورد فى البخارى من قراءته سورة الأعراف فى صلاة المغرب . وروى النسائى أنه قرأ سورة قد أفلح المؤمنون فى صلاة الصبح . وقد كان عليه السلام

(*) مراجع هذا البحث : هداية القرآن . والاتقان . وإرشاد السارى

يقرأ هذه السور مرتبة الآيات بمشهد من الصحابة فتلقوا عنه ترتيب الآيات . وما كان الصحابة ليرتبوا القرآن ترتيباً مخالفاً لترتيب الرسول وهم أحرص الناس على اتباعه . فثبت بهـذه النصوص أن ترتيب الآيات توقيفى لا مجال فيه للرأى وعلى ذلك انعقد الإجماع ، فليس لأحد أن يغير فى ترتيب الآيات فيقدم بعضها على بعض فإن ذلك بدعة ضالة لا يجوز الإقدام عليها .

أما ترتيب السور وتقديم الطوال منها ، ثم تعقيبها بالمئين ، ثم بالمثانى ، ثم بالمفصل ؛ فهذا هو الذى وقع فيه الخلاف بين العلماء ؛ وأشهر مذاهبهم فى ذلك ثلاثة :

الأول : أن ترتيبها كان باجتهاد من الصحابة . وقد مال إلى هذا الرأى الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، والقاضى أبو بكر فى أحد قوليه

الثانى : أن ترتيبها كان توقيفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا الأنفال وبراءة ، فإن وضعهما فى موضعهما كان باجتهاد عثمان رضى الله عنه ووافقه عليه الصحابة . ومن ذهب إلى ذلك البيهقى المحدث المشهور فى كتاب المدخل ، والسيوطى فى كتاب الإتقان

الثالث : أن اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كان بتعليم النبى عليه السلام . وقد ذهب إلى ذلك جمع كبير من العلماء منهم أبو بكر بن الأنبارى ، والكرمانى ، والطيبى ، وأبو جعفر النحاس وآخرون غيرهم ...

استدل القائلون بأن ترتيبها كان باجتهـاد الصحابة بأن مصاحف السلف من الصحابة كانت مختلفة فى ترتيبها ؛ فمنها ما رتبت فيه السور على حسب نزولها فجعل أوله سورة اقرأ ، ثم المدثر ، ثم نون ، ثم المزمل . وهكذا إلى آخر السور المكية ، ثم السور المدنية على حسب نزولها كالمصحف الذى نسبوه إلى على رضى الله عنـه . ومنها ما رُتِّب على خلاف ذلك كمصحف ابن مسعود الذى جعل أوله البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، وكمصحف أبى بن كعب . ولو كان ترتيب السور توقيفاً لما كان بينها اختلاف فى ذلك

وهذا الاستدلال ضعيف من وجهين : الأول . أنه قد ورد فى الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن ترتيب بعض السور كان معلوماً فى حياة النبى . الثانى : أن زيد بن ثابت الذى أسند إليه عثمان رياسة الجمع الذين رتبوا مصاحفه ونسخوها قد شهد العرضة الأخيرة للقرآن ، وعلم ترتيب السور من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس من المعقول أن يحدث من عنده ترتيباً للسور غير ما علمه من رسول الله لأن ذلك لم يكن من عادتهم ، فلا بد أن يكون ترتيبه للسور هو عين ما سمعه من رسول الله ، ولذلك لم يرتض المحققون هذا الرأى

واستدل أصحاب المذهب الثانى على أن ترتيب السور ما عدا الأنفال وبراءة كان توقيفاً بما رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها فى السبع الطوال ؟ فقال عثمان كان رسول الله تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من أواخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ولم يُبَيِّن أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال . فهذا الحديث صريح في أنه وضع الأنفال وبراءة فى موضعهما من المصحف كان باجتهاد عثمان ، لأنه نسب وضعهما إلى نفسه ولم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأما ما عداهما من بقية السور فلا بد أن يكون عثمان قد اتبع فيه ما علم من الرسول صلوات الله عليه .

وقد نازعهم أصحاب المذهب الثالث فى الاستدلال بهذا الحديث . أما من جهة سنده فقد قالوا إن الترمذى ـ وهو أحد رواته قال فيه إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسى عن ابن عباس : ١ هـ : والجزء الحادى عشر من تهذيب التهذيب لابن حجر يقول : إن المحدثين اختلفوا فى يزيد هذا هل هو يزيد بن هرمز المشهور بأنه ثقة أو هو غيره ؟ ثم قال والصحيح أنه غيره . وقد قال على بن المدينى : ذكرت

ليحيي بن سعيد قول ابن مهدى إن يزيد الفارسي هو ابن هرمز فلم يعرفه . وكنى بذلك دليلاً على جهالة حاله . وقال أبو حاتم فيه لا بأس به أقول ؛ ومثل هذا الرجل الذى لم يعرف حاله لا يصح الاعتماد على حديثه الذى انفرد به فى ترتيب القرآن

وأما من جهة متنه ، فإن التمسك به يثير غبار إشكالات نحن فى غنى عنها ، لأنه يدل على أن آخر الأنفال لم يكن معلوماً بيقين ؛ وكذلك أول براءة ، بدليل أن عثمان ظن أن براءة من الأنفال ، ولذلك لم يضع بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم . وهـذا يفتح باباً واسعاً لشبهة فرقة جوزت الزيادة والنقصان فى القرآن ، وذلك باطل باتفاق السلف والخلف . ويبعد جداً ألا يبين الرسول آخر الأنفال وأول براءة . ويضعف التمسك به زيادة عما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارض جبريل بالقرآن فى آخر سنة من حياته مرتين ، فأين كان يضع هاتين السورتين فى قراءته ؟ فالتحقيق إذاً أن وضعهما في موضعهما توقيفى وإن فات ذلك عثمان أو نسيه ؛ وإن بسم الله الرحمن الرحيم لم تكتب فى أول براءة ، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من بقية السور

واستدل جمهور العلماء على أن اتساق السور كاتساق الآيات كلاهما توقيفى بأنه ورد في أحاديث كثيرة أن ترتيب بعض السور فى عهد رسول الله هو عين ترتيبها فى المصاحف التى نسخها زيد بأمر عثمان ... منها ما رواه البخارى عن ابن مسعود يقول فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من من العتاق الأول[1] ، وهن من تلادى[2] ؛ فذكرها نسقاً كما أسفر ترتيبها فى المصحف

وروى البخارى أنه عليه السلام كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ « قل هو الله أحد » والمعوذتين ، فذكرها مرتبة كما هى فى المصحف . وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال اقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران . فهذه الأحاديث وما شاكلها تدل على أن السور المذكورة فيها كان ترتيبها مسنداً إلى الرسول ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه عليه السلام قرأ القرآن كله بمشهد من زيد بن ثابت ، وأن زيداً اختاره أبو بكر لجمع القرآن لقوة الثقة به ؛ وكذلك اختاره عثمان رئيساً لمن نسخوه فى المصاحف ، تبينا أن هذا الترتيب الذى عمله زيد هو ما علمه رسول الله ... وهذا ما يطمئن إليه القلب ، وهو ما جنح إليه جمهور العلماء ...

(الكلام بقية) أبو طالب زيانه

(١) العتاق جمع عتيق وهو القديم والمعنى أنهن من قديم ما نزل

(٢) التلاد قديم الملك بخلاف الطارف والمراد أنهن من أول ما حفظ من القرآن

٣٧ - المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر — « الخرافات »

هناك طريقة استخارة أخرى ، وهي أن يمسك المستخير حبتين من حبات السبحة بعد أن يتلو الفاتحة ثلاث مرات ، ثم يعد ما بينهما من الحبات قائلاً عند الأولى : سبحان الله ؛ وعند الثانية : الحمد لله ؛ والثالثة : لا إله إلا الله ؛ ويردد هذه العبارات على التوالي حتى الحبة الأخيرة . فإذا وقعت العبارة الأولى على الحبة الأخيرة ، كان الجواب إيجابياً ومناسباً . أما العبارة الثانية ، فلا تدل على شيء والأخيرة نافية . ويمارس الكثيرون هذه الطريقة

وكذلك يلتمس البعض عندما يرقدون ليلاً أن يوجههم الله في النام فيجعلهم يرون شيئاً أبيض أو أخضر أو ماء ، إذا كان العمل المنتوى يستصوب، أو إذا كانوا يتوقعون توفيقاً قريباً ، وإلا جعلهم يرون شيئاً أسود أو أحمر أو ناراً ، فيقرأون لذلك الفاتحة عشر مرات ولا ينقطعون عن ترديد هذه العبارة « اللهم صل على سيدنا محمد » حتى يغلبهم النعاس

يؤمن المصريون بالأحلام إيماناً عظيما . وكثيراً ما ترشدهم الأحلام في بعض أمور حياتهم المهمة . ولديهم في تفسير الأحلام مؤلفان كبيران لابن شاهين وابن سيرين . والأخير تلميذ السابق . ويستشير المصريون حتى المتعلمون منهم هذين الكتابين بثقة كاملة . وعند ما يقول شخص لآخر : لقد رأيت رؤيا ، يجيبه الآخر : خير ، أو خير إن شاء الله . وقد جرت العادة عند ما يرى أحدهم رؤيا سيئة أن يقول : اللهم صل على سيدنا محمد ؛ ويبصق من فوق كتفه اليسرى ثلاث مرات لمنع كل شر

ويوجد في مصر ، كما يوجد في أكثر البلدان الأخرى ، خرافات تتعلق بأيام الأسبوع فيعتبر بعضها سعيداً والآخر نحساً . ويعتبر المصريون يوم الأحد مشئوماً بسبب الليلة التي تليه . إذ يعتبر المسلمون ليلة الإثنين منحوسة لأنها ليلة وفاة الرسول (صلعم) : غير أن البعض يراها سعيدة للدخول بالعروس خاصة ، وإن لم تعتبر موافقة لهذا الأمر بقدر ليلة الجمعة . ويعتبر البعض أيضاً اليوم التالي يوماً سعيداً والبعض الآخر يراه مشؤوماً . أما الثلاثاء فيعتقدون أنه منحوس ويسمى « يوم الدم » . إذ يقال إن عدة شهداء أفاضل قتلوا في هذا اليوم ، ولذلك يعتبرونه يوماً مناسباً للفصد . والأربعاء لا يدل على شيء . ويسمى الخميس « المبارك » ويستمد بركته خاصة من الليلة واليوم التاليين . ويعتبرون مساء الجمعة سعيداً جداً وخاصة للدخول بالزوجة . والجمعة أبرك الأيام إذ هو يوم الراحة عند المسلمين ويسمى « الفضيلة » . أما السبت فهو أنحس الأيام . ويرون أن من الخطأ العظيم أن يسافر المرء في ذلك اليوم . ويمتنع أكثرهم عن حلق الذقن أو تقليم الأظافر فيه . وكان أحد أصدقائي متردداً في رفع قضية على خصمين في مثل ذلك اليوم المنحوس . وقرر أخيراً أن ذلك اليوم هو خير أيام الأسبوع لرفع القضية ، لأن النحس لا بد واقع على أحد طرفي الخصومة فقط . ولا شك أنه سيقع على خصميه لأنهما اثنان وهو واحد . وهناك أيام من السنة تعتبر ذات حظ كبير من اليمن مثل أيام العيدين الفطر والأضحى . والبعض الآخر يعتبر يوم الأربعاء من الأسبوع الأخير من شهر صفر نحساً ، فيعمد الكثيرون إلى البقاء في منازلهم لاعتقادهم أن المصائب تقع على الإنسان في ذلك اليوم[1] . ويستدل بعض الناس على الخير والشر من الأشياء التي يرونها عند خروجهم من المنزل صباحاً ؛ فعلى حسبها يكون اليوم سعيداً أو نحساً . ويعتبرون الأعور علامة سوء وخاصة من فقد عينه اليسرى .

(١) مع أن رسول الله (صلعم) استنكر هذه الخرافة

الفصل الثانى عشر

السحر والتنجيم والكيمياء

لو صدقنا ما يقصونه فى مصر عادة لظهر لنا أن بهذا البلد فى هذه الأيام سحرة لا يقلون مهارة عن حكماء فرعون وسحرته الذين تتحدث عنهم التوراة .

ويخلط عقلاء المصريين بين نوعين من السحر : «الروحانى» و «السيميا» . والضرب الأول سحر روحى يعتقدون أنه يحدث عجائبه بفعل الملائكة والجن وأسرار بعض أسماء الله ووسائل أخرى خارقة للعادة . والضرب الآخر سحر احتيالى غير موحى به ، ويعتقد أقل المسلمين تصديقاً أن أهم عامل فى ذلك هو تأثير بعض العطور والعقاقير فى البصر والمخيلة تأثير الأفيون تقريباً . ويظن البعض أن الأفيون يستخدم فى أعمال هذا السحر الأخير .

وينقسم السحر الروحانى الذى يعتبره المصريون عموماً سحراً صادقاً ، إلى « علوى » و « سفلى » أو « رحمانى » نسبة إلى الرحمن إحدى صفات الله ، « وشيطانى » . ويقال إن السحر العلوى والرحمانى علم يستند على عون الله وملائكته والجن الصالحين وعلى أسرار شرعية أخرى ، وأنه يستخدم دائماً لأغراض طيبة وأنه لا يدركه ويمارسه غير الصادقين الذين يتعلمون من الحديث أو القراءة أسماء هؤلاء العاملين الذين يفوقون الطبيعة البشرية ، وأدعية تكفل إجابة رغباتهم . وتتصل كتابة الأحجبة لغرض صالح بهذا الفرع من السحر والتنجيم وعلم أسرار الأعداد . وأقصى ما يدرك فى السحر العلوى هو معرفة « الإسم الأعظم » وهذا هو أعظم أسماء الله الذى يعتقد المتعلمون أنه لا يعرفه إلا الأنبياء والرسل . ويقال إن من يعرف هذا الاسم يستطيع بمجرد النطق به أن يحيي الميت ويميت الحى وينتقل على الفور حيثما يشاء ويأتى بأى معجزة أخرى . ويظن البعض أن أفاضل الأولياء يعرفون هذا الاسم . ويعتقدون أن السحر السفلى يقوم على عمل الشيطان وأشرار الجن ، وأن أشرار الرجال يستعملونه لأغراض خبيثة . وإلى هذا الفرع ينسب علم السحر الذى يطلقه العرب على الرقية الشريرة فقط .

ويعمد هؤلاء الذين يمارسون « ضرب المندل » ، وسأسرد أمثلة له ، إلى تنفيذه بواسطة الجن أى باستخدام علم الروحانى ؛ إلا أن هناك رأياً آخر فى هذا الموضوع سأذكره تواً . وقد بينت إحدى الوسائل التى يعتقد بعضهم أن الجن يساعدون بها السحرة فى الفقرة الثانية من الفصل العاشر .

ويرى المتعلمون أن « السيميا » علم كاذب وفن احتيالى ينتج آثاره المدهشة بتلك الوسائل التى ذكرت سابقاً ويعتبرون أن « ضرب المندل » تابع للسيميا بسبب استعمال البخور فى إجرائه .

ويدرس الكثيرون فى مصر علم النجوم أو التنجيم . ويستخدمونه على الأخص لحساب المواليد وتعيين أوقات السعد الخ ولمعرفة أى البروج يخضع له الشخص ، ويتم ذلك بحساب القيم العددية لحروف اسم الشخص واسم أمه . وكثيراً ما يكون ذلك فى حالة إقدام اثنين على الزواج للتحقق من توافقهما . وقد أخبرت أن « علم الرمل » يستند غالباً على التنجيم . ويزعم القائمون به أنه يكشف الماضى والحاضر والمستقبل بواسطة علامات يرسمونها عرضاً على الورق أو الرمل ومن هنا سمى هذا العلم

(يتبع) عدلى طاهر نور

الارادة والطريق

قطعة رمزية لوليم بليك

سألت لصاً أن يسرق لى ثمرة شهية ،
فنظر هنا وهناك بين البساتين . وسألت
فتاة جميلة أن ترقد وتهبنى أعذب أمانى
الحب بلطف وقدسية ، فبكت . وحينما
ذهبت هبط ملاك ، فنظر إلى اللص
بغضب ، والتفت إلى الفتاة بابتسام ،
ودون أن ينطق بكلمة سرق لها
ثمرة حلوة وناولها إياها . وبين الجد
والدعابة استمتع بها ومضى . . .

(بغداد) صفاء خلوصى



قلوب النجـــــوم

للأستاذ خليل السالم

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ارتأى كين — طبيبى أمريكى — منذ سنة ١٨٧٠ أن النجوم كتل جبارة من غازات مشتعلة ، ولكن رأيه بدا سخيفاً لأول وهلة لأن الفلكيين لم يجدوا نجوماً كثافتها غازية ، ولكن هذه العقبة زالت عند ما عثروا فى النجوم على كثافات تقل جداً عن كثافة الغازات . وهذه الكتل المستعرة من الغاز تحافظ على شكلها فى أكثر الأحيان . وتشذ عن هذا القانون النجوم الجديدة التى تلمع فى صفحة السماء دون أن يكون لها وجود من قبل . وتعنى محافظة النجم على شكله الخاص به أن القوى المؤثرة عليه فى توازن مستمر وهذه القوى هي :

١ — قوة الجاذبية بين مختلف أجزاء النجم كقوة التجاذب على الأرض ، وهذه القوة تتجه نحو المركز دائماً ولذا فهى تسعى لتجمع أجزاء النجم وتدمج بعضها فى بعض ، ومن ثم تحشك أجزاءه حشكاً قوياً وتزيد قوة التجاذب على سطح النجوم بحيث يكون وزن الرجل العادى هناك نحو (٢٥٠) ألف طن ، ويبلغ من شدة هذا الجذب على الرجل أن يسقط على السطح وينبسط وتتحطم أعضاؤه كما لو سقطت عليه إحدى ناطحات السحاب .

٢ — ضغط الغازات الذى ينتج من حركة الغازات المستمرة واصطداماتها القوية ، ويربو ضغط الغازات فى النجوم على أربعين ألف مليون ضغط جوى على الأرض ؛ والضغط يزيد بازدياد درجة الحرارة ، وهذه القوة الناتجة عن الضغط تدفع الغازات المتحركة عن المركز ، أى أنها تعاكس فعل الجاذبية وتباعد أجزاء النجم وتمدده .

٣ — والقوة الثالثة هى قوة الضغط الإشعاعى ، فقد ثبت أن للنور ضغطاً وقوة لم يكونا معروفين قبل السنوات الأخيرة ، فقد كان الأستاذ ليبديو فى موسكو أول من قاس ضغط الضوء فى سنة ١٩٠١ . وقد تنبأ بوجود هذا الضغط الرياضى الإنجليزى المشهور كلارك مكسويل كما تنبأ بوجود الأمواج الكهرطيسية التى تنقل لنا أعذب أنغام الراديو . وهذا الضغط قوى فى القلب إذ من هناك مصدر النور والطاقة . ماذا نعنى ؟ نعنى أن النجوم ليست غازات مشتعلة كما يخيل للبعض بمعنى أن النور والحرارة القادمين منها يحدثان نتيجة ذلك الاحتراق العادى . كلا . إنما ينتج النور والحرارة من تحطم الذرة فى قلب النجم ، وهذا التحطم وإن لم يدخل ضمن تحقيق المختبر إلا أن بعض الظواهر المكتشفة حديثاً عززت هذا الرأى وإن لم تقطع بصحته . وهذا التحول عفوى ذاتى ، كما أن إشعاع الراديوم عفوى ذاتى لا ينتظر مؤثراً خارجياً ليتم بفصله . وهـذا الفناء يحدث بعد تصادم الكهيرب المتحرك بسرعة عظيمة مع النواة فيمسك كل منهما الآخر بعد الاصطدام ، ويتعادلان كهربائياً وينطلق الفوتون أو وحدة الضوء كمظهر جديد لطاقة الكهيرب والنواة السابقة . هذا الفوتون ينطلق من المركز وتكون موجته قصيرة فيجاهد ويجاهد لينفذ إلى السطح ، ولا يتسنى له المخرج إلا بعد جهد تطول موجته بعـدها . ولكثرة الفوتونات فى القلب وشدة محاولتها الانطلاق والانبعاث يكون ضغط الضوء الإشعاعى أضعافاً مضاعفة للضغط على السطح ، ويبلغ هذا الأخير فى بعض النجوم (١٧٠٠٠٠) طن على البوصة المربعة . ويزيد الضغط بازدياد درجة الحرارة أيضاً ، واتجاه محصلة قوته عكس اتجاه قوة الجاذبية أى إنه يدفع المـادة عن المركز ويفرقها كما يفعل ضغط الغازات الآنف الذكر

بقى أن نشير إلى حرارة النجوم فى بواطنها . ولا يسعنى بادئ ذى بدء إلا أن أحمد الله على أن اختار لنا هذه الشمس لنستمد منها نورنا وحياتنا ، فلو قدر أن يكون نجم كالشعرى[1] اليمانية

(١) الشعرى اليمانية ألمع نجم فى قبة السماء الآن .

مثلاً مكان شمسنا ، لزال فى لحظة واحدة كل أثر للحياة على الأرض ، ولجفت الأنهار وتبخرت المياه وذهبت الأرض والتهبت ذراتها شذر مذر . فالحرارة على هذا النجم عجيبة لا يتسع لها أوسع الخيال . ومثله كثير من النجوم لا تقل درجة حرارتها عن ٤٠ مليون درجة مئوية ، وفى بعض النجوم الحمر تنقص عن هذا المستوى العالى . وقد اكتشف الدكتور هتزل الراصد الأمريكى مؤخراً نوعاً من النجوم لا تزيد درجة حرارته عن ألف درجة مئوية ؛ وهذه النجوم مظلمة لا تشرق ، إلا أنه تمكن من تصورها بأشعة الحرارة لا بأشعة الضوء ، فبعض الألواح الفوتوغرافية تحس بحرارتها . ويخيل لكثيرين أن قبة الفضاء مملوءة بمثل هذا الصنف من النجوم

تصل حرارة النجوم فى قلوب الأقزام البيض إلى ألف مليون درجة مئوية ، ولكى تدرك معنى هذه الأرقام أورد مثلاً ضربه العلامة جينز فى أحد كتبه قال : لو أخذت شلناً أو قطعة من الحديد بحجم الشلن وسخنتها إلى درجة تقرب من ٤٠ مليون درجة مئوية ، فإن الحرارة المنبعثة من هذه القطعة المعدنية الصغيرة تكفى لأن تصعق جميع الحيوانات الحية الموجودة على الأرض . وهذه الحرارة العالية فى النجوم لا تترك للمادة أن تتمتع بحالاتها الثلاث : الصلبة والسائلة والغازية ، بل تحول الجرم كله إلى غاز ملتهب . ولا تكتفى بهذا ، فتعمد إلى ذرات الغازات وتهيج الكهيربات المطوّفة حول النواة وتفك الأربطة التى تشدها إلى المركز وتقذف بها من أفلاكها الخارجية ، فتترك الذرة مؤنية مكهربة . وكثيراً ما تطرد كل الكهيربات بحيث لا تبقى إلا النوى المجتمعة . وهذا ما حدث فعلاً فى النجوم الثقيلة ، إذ انعدم الفراغ بين النوى وبين مشتت المادة ، بحيث أصبح وزن البوصة المكعبة ٦٢٠ طنًا ، أى أن الرجل العادى يستطيع أن يحمل من هذه المادة حجماً لا يزيد على رأس الدبوس المفرطح . ولو وضعت فى يدك قطعة بحجم الجوزة وسقطت على الأرض لأحدثت انفجاراً مروعاً كما تفعل القنابل الثقيلة ، وتغور فى الأرض كما تغيب قطعة من الرصاص سقطت من عل فى لجة الماء

والخلاصة أن قلوب النجوم نابضة بالحياة مفعمة بالحركة ترف كقلوب العذارى . وأجمل تصوير لها وقفت عليه كان بريشة الفنان العظيم أدنتون فى كتابه النجوم والذرات Stars & Atoms قال : إن باطن النجوم حشد (مهوّش) غير منتظم من الذرات والكهيربات والأمواج الأثيرية ، وهذه الدقائق تتحرك بسرعة ١٠٠ ميل فى الثانية ، فتفقد ذلك النظام الجميل من الكهيربات . أما هذه الكهيربات المضاعة فإنها لا تجد مكاناً تخلد فيه للحركة والسكون ، فتبقى تدور بسرعة (١٠٠٠٠٠) ميل فى الثانية ؛ وفى كل فترة قصيرة من الزمان تصطدم بإحدى الذرات فتدور عقيب الاصطدام فى منعطف أكثر انحناء ؛ وبعد كل اصطدام يزداد الانحناء حتى إذا بلغ عدد الاصطدامات حوالى ألف تحدث كلها فى جزء من ألف مليون جزء من الثانية يمهل هذا السلوك المحموم غايته فتمسك إحدى الذرات بذلك الكهيرب ... ولكن شعاعاً سينياً يمكر عليه أمنه وصفوه الجديدين فلا يكاد الكهيرب يستقر به المقام حتى يخرجه ذلك الشعاع عن طوره ويقذف به بعيداً عن النواه ، فيطوف من جديد مبتدئاً رحلة جديدة ومخاطرة جديدة ... »[1]

(شرق الأردن) **خليل السالم**
(ب . ع) من الدرجة الأولى
فى الرياضيات

(١) نغفل ذكر الأسانيد لتعددها



باى تونس الجديد

قست الحوادث على الصحف المصرية فشغلتها عن وصف ما وقع فى تونس الخضراء بموت الباى السابق وقيام الباى الجديد ، فرأيت أن أكتب كلمة وجيزة أشرح بها لقراء « الرسالة » جانباً من حياة اليوم فى ذلك القطر الشقيق ، نقلاً عما وعته أذناى من إذاعة تونس العربية ، وهو يصور بعض خواطر الناس هناك

الباى الجديد اسمه « محمد المنصف » ولقبه « المنصور بالله » وكان أبوه يلقب بالناصر ، « ومن كان أبوه الناصر فهو المنصور » كما قال أحد خطبائهم فى الاحتفال الذى أقيم بقاعة العرش

وسياق الخطب والقصائد يجعل الباى « صاحب الجلالة الملك » وهذا اتجاه جديد فيما أفترض ، وإن كان لقب « الباى » قد احتفظ بقدسيته فى الأغانى والأناشيد

ويظهر بوضوح وجلاء أن نظام « البيعة » روعيت أصوله من الوجهة الشكلية ، فالباى ورث أباه على العرش ، ومع ذلك رأى التونسيون أن يقيموا البيعة بعد توليته بأيام ، رعاية للتقاليد الإسلامية ، وإن كان الأصل أن تكون البيعة أسبق من الولاية ، لأنها بمثابة الترشيح الذى يسبق الانتخاب ، وإلا فهى ضرب من الملك العضوض

والطريف فى هذه القضية أن المبايعين يفدون من أسبوع إلى أسبوع بنظام وترتيب ، فيكون لكل إقليم يوم ، ويكون المبايعون من أعيان البلاد فى الإقليم ، البلاد التى لها شأن فى القديم والحديث ، وهذا المعنى يشار إليه فى الخطب والقصائد بإجمال ، ولكنه يذاع على الجمهور بالتفصيل . ولو كانت لنا سياسة عربية صريحة لرأت الإذاعة المصرية أن تسجل ما روته الإذاعة التونسية فى هذا الموضوع ، ففيه تفاصيل عن الأقاليم التونسية تستحق التسجيل . ولكن أين من يسمع ؟!

ومما يجب النص عليه أن الخطب والقصائد التى ألقيت فى المبايعة تمتاز بميزتين : الأولى سلامة اللغة من اللحن والتحريف ، وذلك يشهد بأصالة العروبة هنالك

الميزة الثانية هى الحرص على القومية الإسلامية . فأكثر الخطب تختم بعبارة دينية لطيفة ، كأن يقول هذا الخطيب : « جعل الله غرر أيامك لائحة ، بسر الفاتحة » ، وكأن يقول ذلك الخطيب : « حفظك الله فى الذهاب والإياب ، بجاه النبى الأواب ، وبسر فاتحة الكتاب » ، وقد التفت إلى كلمة « سر الفاتحة » فوجدتها وردت فى جميع خطب المبايعين .

وغنى المغنى فى تهنئة الباى قصيدة حفظت منها هذين البيتين :

أضاءت بك « الخضراء » فأشرق نورها
فأنت عماد الدين ليس يزول

مددت على الإسلام أكناف نعمة
بأعطافها ظل عليه ظليل

والخضراء لقب تونس ، وبه توصف فى الأشعار الشعبية المنظومة على لسان الزناتى خليفة وأبى زيد الهلالي . وهما شخصان حقيقيان ، لا خرافيان كما يتوهم جماعة من الخلائق

وإنما نصصت على الناحية الإسلامية ، لأن الإسلام فى تونس كان أكبر عقبة فى طريق الاحتلال الفرنسى . ومن ذلك أن حكومة باريس كانت رأت تشجيع التونسيين على التجنس بالجنسية الفرنسية ليصيروا إلى ما صار إليه الجزائريون ، فقرر أهل تونس أن من تجنس بالجنسية الفرنسية فلا يجوز دفنه فى مقابر المسلمين ، وبهذا صار الخروج على الجنسية التونسية بمثابة الخروج على الدين الحنيف .

وبالرغم من الدعايات الأجنبية فى تونس فقد ظل التونسيون غاية فى الوفاء بالعهد للعروبة والإسلام ، وتلك مزية يشاطرهم فيها اللوبيون والجزائريون والمراكشيون ، مع اختلاف قليل فى لون العصبية قضت به ظروف لا تخفى على اللبيب .

وإذا تذكرنا أن فتح الأندلس يرجع فى الأغلب إلى شهامة العرب فى أفريقيا الشمالية أدركنا قيمة تلك البقاع فى الحيوية العربية والإسلامية ، ولن يمر زمن طويل قبل أن يكون لأولئك الأقوام تاريخ جديد .

وإذا تذكرنا أن « البحر الشامى » كما يسميه التاريخ العربى

وهو الذى يسمّى خطأ « بحر الروم » والذى أسميه « بحر العرب » إذا تذكرنا أن هذا البحر خدم العروبة والإسلام بفضل أبنائه من المصريين والفلسطينيين واللبنانيين عرفنا أنه لن يستغنى عن خدمات أبنائه من اللوبيين والجزائريين والتونسيين والمراكشيين ، وما أحسبه سيسكت عن ضياع لبنان الثانى وهو الأندلس ، وستعرفون صدق هذه النبوءة بعد أزمان قصار لا طوال .

« وقُل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

زكى مبارك

الفدائية

ردًّا على حضرة الأديب مصطفى عبد المجيد جابر أقول :

حين يضحى الإنسان بنفسه إنما يقصد التضحية بموضوع object كان خارجاً عن نطاق الذات ثم انطوى عليها introversion فإذا رمى الموضوع أصابه سهمه

« الفدائية » ابنة عم الانتحار ، وكلا الفدائية والانتحار يمتان إلى الماسوشية masochism بأوثق الصلات

إن الباعث على النزوع إلى الفدائية عقد نفسية complexes زودت بطاقات وجدانية كبيرة تحت تأثير ظروف خاصة

والواقع أن الإنسان أنانى على وجه العموم سواء ضحى بنفسه أو بسواه ، وليس هناك من هو أوفر أنانية من الهستيرى

إن السمو — الذى يعنيه الأديب — غريب عن « الفدائية » ، بل ربما كان غريباً عن « البشرية » !

محمد حسنى ولاية

مساجلات

اطلعت فى مجلة (الرسالة) الغراء على مقال تحت هذا العنوان بتوقيع الأستاذ محمد مندور ، وقد أخذتنى الدهشة لما وقع نظرى عليه من اجتراء الكاتب وإنكاره الحقائق الواضحة فيما كتب الأستاذ العقاد بصدد رسالة الغفران

إن الأستاذ العقاد لم ينكر فيما كتب أن أناساً قبل لوسيان سبقوا المعرى إلى فكرة الجنة والنار ، حتى يعود الأستاذ محمد مندور فيؤكد ذلك

وإنه لما يخجلنى حقًّا أن أعيد هنا ما كتبه الأستاذ العقاد أو أن أشير على الكاتب بأن يعيد قراءته ليتبين أنه كانت لديه مندوحة عن هذا الرد الجاف

ولكنه أراد أن يرد على الأستاذ العقاد ، فكان له ما أراد ، وإن كان لم يأت فى كلامه بجديد غير ما أكده الأستاذ العقاد فى أكثر من مقال ، ثم عاد فأكده للأستاذ مندور على صفحات (الرسالة)

وإذا كان ما كتبه الأستاذ العقاد لم يكن مفهوماً لحضرة الكاتب — بعد كل هذا — فليس الذنب فى ذلك بواقع على العقاد

إن الرحلة إلى العالم الآخر معروفة قبل المعرى وقبل لوسيان كما قال الأستاذ العقاد فى كلام واضح لا لبس فيه ؛ وليس موضوعها بحاجة إلى من ذكرهم الأستاذ مندور لتوكيده

وإن كان هذا لا يمنعنا أن نقول إن لوسيان كان أول من كتب رحلة إلى العالم الآخر ، يصح أن يجمع بينها وبين رحلة أبى العلاء من حيث الطريقة والحوار ، لا من حيث إنها رحلة إلى الجنة والنار كما ظن الأستاذ مندور

فإذا كان لدى الكاتب شىء غير هذا فليرشدنا إليه

أما حكمه على أدب العقاد فلنترك الحكم عليه للقراء ، ما دام صاحبه لم يستطع ولن يستطيع أن يدعمه بالحجة والبرهان .

(دمياط) **الجيلاوى**

مؤلف فى التاريخ العام تنقله وزارة المعارف إلى العربية

روت وكالة الأنباء العربية أن وزارة المعارف تعتزم القيام بأكبر عمل أدبى لم يسبق لها القيام بمثله . وذلك بنقل المؤلف القيم العظيم الذى وضع بالإنجليزية ، ليكون مرجعاً لرواد التاريخ بعنوان التاريخ العام — إلى العربية . ويشتمل هذا السفر الفذ على مليونين ونصف مليون كلمة

وقد تحدث السير جون هامرتون ناشر الكتاب إلى وكالة الأنباء العربية فى هذا الشأن ؛ فقال إن السير والتر مونكتن كان له كبير الفضل فى تيسير هذا العمل وتذليل مهمته

والمعروف أن السير جون هامرتون ومعاونيه قضوا أكثر من عامين فى وضع هذا المجلد الضخم الذى ساهم فى كتابة فصوله مائة وخمسون كاتباً من الكتاب البرزين

وقد قال خلال حديثه السالف الذكر : لم يكن يسعني عند وضع هذا الكتاب وجمع فصوله ، إلا الشعور من جديد بالإعجاب والاغتباط بذلك النصيب الكبير الذي ساهم به العقل العربي في تأسيس ثقافة العالم الإنساني وتكوين حضارته . وإني لفخور بأن جمهور قراء العربية في مصر والشرق الأوسط سوف يجدون في هذا المؤلف الضخم خير شاهد على جهود الإسلام في بناء الحضارة الإنسانية والتقدم العلمي . وإن إصرار وزارة المعارف على نقل الكتاب برمته دون الاكتفاء بترجمة مختصرة له لدليل رائع على أن الغذاء الروحي لم يستغن عنه في هذا العهد الذي يسوده الهدم والتخريب

طيلسان ابن حرب

جاء في ديوان اسماعيل صبري باشا ص ٩٦ ما نصه : « طيلسان ابن حرب يضرب به المثل في القدم والبلى ؛ وسبب ذلك أن ابن الرومي الشاعر المعروف كان قد مدح ابن حرب فخلع عليه طيلساناً بالياً ، فقال في ذلك الطيلسان شعراً كثيراً حتى صيره مثلاً لكل ما بلي ورث . فمن ذلك قوله :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً رقّ من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدى »

وليس من شك في أن هذا القول لا نصيب له من الصحة ؛ فالذي نعرفه أن محمداً بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلساناً خلقاً ، وكان الحمدوني يحفظ قول أبي حمران السلمي في طيلسانه الذي يقول فيه :

إذا ارتداه لعيد أو لجمعته تنكب الناس لا يبلى من النظر

فجارى الحمدوني أبا حمران حتى بلغ ما قاله في طيلسانه حوالى مائتي مقطوعة منها :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً مل من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدى

ومن ذلك تتبين أن البيتين للحمدوني وليسا لابن الرومي كما زعم الأستاذ شارح الديوان . ولعل اختلاط الأمر على الأستاذ جاء من أن ابن الرومي كان ممن قالوا شعرا في هذا الطيلسان نفسه

« المياسرة » فوزي الدهني

أين أخبار حافظ ؟

شغلت منذ حين بدراسة الناحية الفكاهية في حياة شاعر النيل المرحوم حافظ بك إبراهيم ، إذ كان أعجوبة في مرحه ولهوه ودعابته ، واقتضى ذلك البحث أن أجمع ما يمكن من الملح والطرف التي نسبت إلى هذا الشاعر الضحوك ، فماذا كان من شأني ؟ ...

تعددت مني الأسباب وتنوعت الأساليب ، وراجعت شتى المصادر ومختلف الكتب والصحف ، فجمعت من طرف حافظ ، بعد اللتيا والتي ، عشرات وعشرات ؛ ولكن بعض أصدقائه يؤكد لي أن طرفه تزيد على مئات ومئات ، فأين أجد هذا الزاد الأدبي النفيس ؟ ...

لقد حسبت أن أصدقاء حافظ القدامى يعرفون من أخباره وأسراره ما لا يعرف أبناء هذا الزمان ، فسألت شاعر القطرين مطران بك عما يعرفه فأجاب : إني نسيت ! وسألت الدكتور مبارك فأجاب إني مشغول ! وسألت الأستاذ البشري فما أجاب ! وسألت الأستاذ عبدالله عفيفي بك ، فأحالني على مجموعة قصاصات المرحوم محمد مسعود بك ، ففزعتُ إليها لدى ولده الدكتور يحيي مسعود فاعتذر بأنها لم تُرتَّب بعد ، وأن الاطلاع عليها لن يتيسر قبل شهور ! وسألت الدكتور منصور فهمي بك ، فأحالني على فريق من أدباء دار الكتب الذين عاشروا حافظاً ، فوجدت عندهم طرفة من هنا وطرفة من هناك ، ثم ... ثم اعتذار ببعد الشقة وداء النسيان ! ثم سألت كثيرين غير هؤلاء، فما تحقق لي رجاء ! فأين أجد أخبار « حافظ » — أيها الناس — وقد مات في عام ١٩٣٢ ، فهو لم يمض عليه أكثر من عشر سنوات ؟ أين أجد أخبار حافظ ، وقد كان بالأمس القريب ملء الأسماع والأبصار والقلوب ؟ ... وماذا يكون حديث الأجيال القادمة عن حافظ وإخوانه من الأدباء والذين عاشروهم لا يعرفون عنهم ما يخف في الميزان أو يثقل ؟ ... وماذا عندكم أيها الأدباء ؟

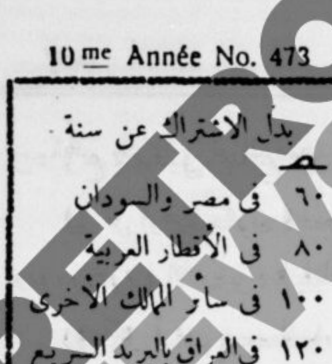
« البجلات » أحمد الشرباصي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 473

Lundi - 27 - 7 - 1942





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٧٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٧ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحديث ذو شجون

الوفاء للوطن الغالى

للدكتور زكى مبارك

عند هذه الكلمة ترنَّم الهتّاف بعد انتصاف الليل . . .

فمن الهاتف ؟

هو أديب من قراء (الرسالة) أراد أن يستفهم عن معنى القول بأن المسيحية تؤرَّخ فى كل أرض بميلاد المسيح ، وتؤرَّخ فى مصر بعذاب الشهداء

وما كدتُ أنتهى من شرح هـذا المعنى ، حتى هتف ذلك الأديب داعياً أن يجعل الله الوطنية من عقائد الشباب فى هذا الجيل

فمن أنت أيها الفتى ؟

وما قيمتُك فى نفسك وفى أنفس إخوانك ؟

هل تعرف وهل يعرفون أن اهتمامك بكلمة فى تمجيد وطنك هي الشاهد على أنك مصرىٌّ أصيل ؟

أنا أدعو لك بطول العمر مع العافية ، أيها الفتى الوطنى ، حرسك الله وحماك !

إسمع يا صديقى ثم اسمع :

فى كل أرض يكون للشجر والزهر والنبات موسم يقظة وموسم خمود ، إلا مصر ، فاليقظة فيها دائمة فى جميع الأحايين .

وفى كل أرض يوجد الماء فى مكان وينعدم فى مكانات ، إلا مصر ، فالماء موجود فى كل مكان . وأين من يصدّق أن سكان جبل المقطم يستقون الماء من بئر هناك ؟ !

وفى كل بلد تجاهد الأرض فى الزراعة موسماً ، ثم تستريح موسمين أو مواسم ، إلا مصر ، فأرضها تصلح للانبات مرتين فى العام الواحد أو مرات

وطنك ، يا صديقى ، جميلٌ وثمينٌ ونفيس

كان وطنك محور التوازن الدولى قبل أن يعرف بنو آدم ماهية التوازن الدولى ، وكان وطنك أول وطن تنبه إلى أن الله واحد بلا شريك ، وفى سبيل هذا المعنى الدقيق جاهد أخناتون الشهيد ...

وكان وطنك ، يا بنىّ ، أول وطن حارب السماء عن علم أو عن جهل

وهل من القليل أن يكون الطغيان المصرى أخطر طغيان حاربه القرآن ؟

وطنك ، يا صديقى ، مذكورٌ بمحاسنه ومساويه فى جميع البلاد ، وستُنسى أممٌ وشعوب ، ولا يُنسى وطنك ، لأنه معترَك الرشد والغى ، والهدى والضلال ، فى جميع الأجيال

وطنك هو الوطن ، وبلادك هى البلاد

وطنك هو الميزان فى القضاء ، قضاء الأمس وقضاء اليوم ، والنصر لمن يظفر بقلبك ، فلمن قلبك ؟

قلبك لوطنك ، وعقلك لوطنك ، وهواك لوطنك . فلا تشرك به أحداً ، ولا يخطر فى بالك أن فى الدنيا جمالاً أنضر من جماله ، أو حمًى أعزّ من حماه ، وإن تناوشه الطامعون من كل جانب ، فسيظل وطنك وحدك ، ولن يكون لأعدائه غير العذاب فى ميادين القتال ، وبئس النصيب !

أدر المذياع إلى أية جهة من جهات الارض ، فستسمع اسم مصر ... وسائلْ شركات البرق فى أى بلد من البلاد ، فستخبرك عن مبلغ اهتمامها بأخبار مصر ... واستطلع المكنون من ضمائر الزعماء والملوك ، فسترى أن مصر مُنْيَة الجميع ، وبين المُنْية والمَنِيَّة صِلات

هل تعرف الحكمة التى تقول : رُبَّ أكلة منعت أكلات تلك الأكلة هى مصر ، فما طمع فيها طامع إلا قصمت ظهره . ولا دخلها غاصب إلا كانت وبالاً عليه ، ولو استفتيت التاريخ لأفتاك ثم أفتاك

كنت أشارك المنفلوطى فى السخرية من قول مصطفى كامل :

« لو لم أكن مصريًا لتمنيت أن أكون مصريًا »

واليوم أعرف أن المنفلوطى كان من المخطئين الخاطئين ، وأن كلمة مصطفى كامل أصدق من الصدق وأصوب من الصواب

ذلك بأن مصر غنية من جميع النواحى ، وعظيمة من جميع الجوانب ، وليس فيها شبرٌ إلا وهو مبعث حياة أو مصدر تاريخ وما اقتتلت الأهواء ، ولا اشتجرت الآراء ، ولا اعتركت القلوب ، ولا انتضلت العقول بأقوى وأعنف وأخطر مما يثور فوق الأديم الصحيح لهذه البلاد

يوم كان السلطان لأهل الشرق كانت مصر أول أمة تقاوم طغيان الشرق

وحين كان السلطان لأهل الغرب كانت مصر أول أمة تحارب طغيان الغرب

وهل ينسى التاريخ أن عزّة مصر هى التى جعلت واليها عَمْراً أول والٍ يخالف عن أمر الخليفة العادل عمر بن الخطاب ؟

وهل ينسى التاريخ أن السلطنة العثمانية فى أيام عزها الأنور عجزت عن تتريك الأمة المصرية ؟

وهل ينسى التاريخ أن الإنجليز الذين سيطروا على كثير من ممالك الأرض عجزوا عن مقاومة العزة المصرية ؟

نحن برعاية الله وكرامة مصر أعزّاء وأعزاء وأعزاء .

النور أسرع من الضجيج

على حين غفلة أضاءت آفاقُ مصر الجديدة ، وأضاءت ثم أضاءت ؛ فقلت لصاحبى : فى هذه اللحظة أطلقت ثلاثة

مدافع ؛ فقال : ومن أين عرفت ؟ فقلت : من هذه الومضات ؛ فقال : ولكنى لم أسمع ضجيج الدافع ؛ فقلت : ستسمع بعد لُحيظات ، وستؤمن بأن النور يسبق الضجيج

فيا ناشدى الشهرة باسم الأدب ، تذكَّروا ثم تذكروا ...

تذكَّروا أن من يواجه الأدب والحياة بلا قلب وبلا روح وبلا نور ، فلن يكون له من مجد الأدب وشرف الحياة نصيب ولا خَلاق

النور أسرع من الضجيج ، لأنه أرقّ وألطف ، وأقوى وأغلب ، فاستعينوا بحرارة أرواحكم ، قبل أن تستعينوا بجهارة أصواتكم ، واعلموا أن النور وليد النار ، وأن جوهر القَبَس المتألق فيه أصالة حيوية لا يدرك مَداها غير أرباب القلوب

ومن أجل هذا كان الاضطهاد أعجز من أن يخمد حيوية الأديب ، لأن الأدب نور ، ولأن الاضطهاد ضجيج ، والنور أقوى وأسرع من الضجيج

ثم ماذا ؟

إن وضعت أصابعك فى أذنيك ، فقد حَجَبْتَ عن سمعك ما تحبّ وما لا تحبّ من الأصوات ، وإن أغمضتَ عينيك ، ثم عصبتهما بمنديل سميك ، فستحسّ النورَ عيناك ، برغم ذلك الحجاب ، أو برغم ذينك الحجابين ، لأن النور أقوى وأسرع من الضجيج

فيا أعداء الأدب ، متى تعقلون ؟ !

سنضيء قبوركم إن اعتصمتم منا بظلمات القبور ، لأن من واجب النور أن يمزّق الظلمات ... وسوف تعلمون !

أسرار وسرائر

فى الحوار الذى دار بين الأستاذ محمود البشبيشى وابنه النجيب حسين ، مرّت إشارةٌ لطيفة إلى كاتب يجمجم ولا يفصح ، وهو « كاتب من الكتّاب » كان « حسين » — حرسه الله — كتب إليه يدعوه إلى ترك الإيماء والتلميح فيما يتناول من المعانى والأغراض

وأتولى الإجابة عن ذلك الكاتب فأقول :

لقد نشأنا — يا بُنىَّ — فى عصر من عصور الانقلاب ، وفى مثل هذا العصر تكثر الأكاذيب والأراجيف ، ويقلّ الفهم لدقائق المعانى ، فهل يلام الكاتب إذا فرَّ من التصريح إلى التلميح ؟

قد تقول : إن التلميح أخطر من التصريح ، لأنه يفتح أمام المغرضين أبواب التفسير الخاطئ والتأويل المريب

وأقول : إنى أحب أن يظلمنى قومى عن شبهة لا عن يقين ، فأنا أساور أهدافى بأسلوب يُعفي ظالميَّ من ربقة الظلم المبين ؛ وإلا فمن يتوهم أن أغراضى تخفى على قرائى وهم من أولى الألباب ؟

> **أعداد الرسالة الخاصة**
>
> فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

بين مصر والعراق

فى هذا الأسبوع أنِستُ بلقاء جمهور من الأساتذة المنتدبين للتدريس فى العراق ، وهم جميعاً ألسنةٌ تلهج بالثناء على الأريحية العراقية والذكاء العراق . ومن كلام الدكتور راجح والدكتور غالى والأستاذ قنديل عرفت أن دار المعلمين العالية بلغتْ من التفوق مبلغاً يشرح صدور المؤمنين بعظمة العقلية العربية فى العراق ، وطن الأهل والأحباب .

ولكنى تأذيت حين عرفت أن بعض المدرسين لا يريدون أن يعودوا لخدمة العلم فى الوطن الشقيق ، بحجة الخوف من تقلب الظروف ، أو بحجة الشوق إلى الاستقرار فى وطنهم الأول ، وما درَوْا أن الاستقرار ضربٌ من ضروب الموت !

لو قلتُ الصدق كل الصدق لصرّحتُ بأن من يريدون قطع صلتهم العلمية بالعراق ليسوا إلا شباناً تعوزهم القدرة على فهم السرائر من الروحانية العراقية ، فهم يعيشون هنالك عيش الغرباء بالفكر والروح ، فى بلاد قام كيانها على الفكر والروح .

فى هؤلاء من يعتذر بأن العراق مهدّد بالغلاء فى هذه الأيام ، فهل يكون فيهم من يدرك أن فى تمرة أو تمرتين كفاية لمن يدعوه الواجب للقيام بخدمة علمية ؟

وفى هؤلاء من يقول : إن مصر تنساه حين تطول إقامته بالعراق فلا ينال حظه من الترقيات

وأقول إن هذا لن يقع بعد تنظيم التعاون الثقافى بين مصر والعراق .

كيف يعبر من عرف العراق على فراق العراق ؟

أنا أخشى أن يكون مفارقوه لم يعرفوه . وهل يغيب عنى أن فى العراقيين أنفسهم من يجهل المحاسن الأصيلة لوطنه الجميل ؟

لقد عجب قومٌ من وفائى للعراق ، وظنّـونى أستهديه منحةً من المِنح الذواهب ، ثم انقضى عجبهم حين عرفوا أن وفائى للعراق وفاء القلب لا وفاء الجيب ، ولكن عجبهم سيُبعث من جديد حين يعرفون أن فى عنقى ديوناً للعراق ، هى أكرم الأطواق ، فما تلك الديون ؟

رأيت العراق يكرم مصر فى جميع مذاهبها العلمية والأدبية والتشريعية ، ورأيته يفرح حين نفرح ، ويلتاع حين نلتاع ، ورأيت أنه بحق وصدق أخٌ شقيق .

مصر مسطورة الملامح فوق كل مكان فى العراق ، فما جزاء من يحبوننا هذا الحب ؟ وما جزاء من يعرفون من أقدارنا الأدبية أكثر مما نعرف ؟

تلك معانٍ يجهلها من يبحث عن وظيفة توزن قيمتها بالدراهم والدنانير ، وهى معانٍ يعرفها من يؤمن بأن الفناء فى سبيل العروبة بابٌ من أبواب الخلود .

زكى مبارك

أطوار الوحدة العربية

للأستاذ نسيب سعيد

[اغتبط قراء « الرسالة » — وما أكثرهم — للنبأ العظيم الذى أذاعته عليهم فى أعدادها الأخيرة من تخصيص بعض أعدادها لخدمة الوحدة العربية ، والقضية العربية ، وقديماً عرفت « الرسالة » بخدمتها لرسالة العروبة وفضلها الجزيل على الثقافة العربية ، مما جعل لها المقام الأول فى قلوب أبناء العرب فى سائر الأقطار ، وجعل صاحبها محبباً إلى القلوب جميعها ، كريماً على النفوس كلها . أدامه الله للعرب فخراً ، وللاسلام ذخراً ...]

القضية العربية

البحث عن « القضية العربية » طريف ، والحديث عن العروبة ذو شجون وبخاصة فى هذا العصر ، عصر القوميات . ونحن نريد اليوم فى حديثنا الأول أن نبحث للقراء فى تاريخ الفكرة العربية الحديثة ، ونستعرض لهم أدوار هذه الفكرة وأبطالها فى التاريخ المعاصر ، ثم ننتقل بهم بالحديث عن الخدمات الجلى التى قدمها العراق للوحدة العربية وعن أثره فى القضية العربية الكبرى ، وبخاصة عن المعاهدة العربية الأولى التى عقدها العراق عام ١٩٣٦ مع المملكة العربية السعودية ؛ وقد كانت هذه المعاهدة نواة الوحدة العربية ، ثم كيف سافر جميل بك المدفعى رجل العراق من بغداد إلى صنعاء بطريق القاهرة فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ ، وأشرك دولة اليمن السعيدة فى معاهدة الوحدة ، فأصبح الحلف العربى ثلاثياً بعد أن كان ثنائياً ، وترك الباب مفتوحاً لسائر الدول العربية للدخول فى هذه الوحدة ، والانضمام إلى هذه المجموعة العربية ، كما دخلها : العراق والحجاز واليمن

حلم محمد على الكبير

وإذا أردنا الحديث عن فكرة الوحدة العربية والبحث عن الدولة العربية الموحدة فى العصر الحديث ، فلا بد لنا من الانتقال إلى الوادى السعيد ، إلى ضفاف النيل ، فمصر العزيزة هى البلد الأول الذى فكر فى الدولة العربية الكبرى ؛ وللقطر العربى قصب السبق فى بعث فكرة الوحدة العربية الأولى ، وخلق الوعى القومي . ولعزيزة محمد على الكبير الفضل الأول فى إيجاد الفكرة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

كان ذلك في القرن الماضي يوم ظهر محمد على الكبير مؤسس البيت المالك المصرى فى وادى النيل ، وسعى لتأسيس دولة عربية جديدة ، وفكر فى قلب المملكة المصرية إلى امبراطورية عربية إسلامية كبرى تستطيع الظهور بين الدول الأوربية الحديثة . كذلك حارب الوهابيين فى الجزيرة ليبسط نفوذه على سائر بلاد العرب ، ويحقق حلمه الذهبى الجميل ، ثم استولى على بلاد الشام وأعاد إلى سورية الإخاء والرخاء والخيرات ، ومنع الجيش المصرى الباسل قبائل البدو من الاعتداء على القرى والمزارع ، ووضع حداً للصراع الذى كان لا ينقطع بين الدروز والمسيحيين فى ديار الشام

فالنتيجة التى نستطيع أن نقررها إذن ، هى أن محمد على الكبير عزيز مصر هو أول من فكر فى الوحدة العربية ، وأول من حلم بتأسيس دولة عربية جديدة مكان الرجل المريض أمين الدولة العثمانية ، تعيد إلى دنيا العرب ذكريات الأمويين والعباسيين والفاطميين ؛ ولكن الظروف السياسية القاهرة ، والعوامل الدولية المختلفة، وقفت فى وجهه، واضطرته إلى الانسحاب من سورية ، فاقتصر حكمه بعد عام ١٨٤٠ على مصر وحدها كما حدث التاريخ ، وتبدد ذلك الحلم الذهبى الجميل فى مصر

كلمة ابراهيم باشا

وعلى كل حال فإننا لا نرى قبل القرن التاسع عشر ما يشير إلى قومية للعرب ، والتفات إلى دنيا العرب ، أو إلى أى فكرة عربية ؛ فقد كانت تلك القومية فى سبات عميق ، وفكرة العروبة كسراب خادع ، وأول من حاول إيقاظها وتأسيس دولة عربية مركزها القاهرة محمد على الكبير ، وقل كذلك ابنه ابراهيم باشا . ولئن كان المشروع لم يتم فإن النواة

قد وضعت فى الأرض ، وترك للزمن إنباتها وإحياؤها . وكيفما كان الأمر فاننا لا نرى فى الشرق العربى منذ أيام ابراهيم باشا المصرى حتى أواخر القرن التاسع عشر حركة جديدة للانفصال عن السلطنة العثمانية والاستقلال بكيان عربى منظم سوى تلك الحركة المباركة التى انبعثت فى وادى النيل السعيد ؛ لأنه ما من شك فى أنه لم يكن لقطر عربى من الأسباب المهدة لظهور فكرة قومية عربية ما كان لمصر فى القرن التاسع عشر ؛ فهى أسبق البلاد العربية إلى إنشاء وحدة إدارية ذاتية ، وحكومة شرعية صحيحة ؛ بل هى أول تربة بعثت فيها الروح العربية الاستقلالية القدسية، بل روح العزة والكرامة والمجد كما يستدل عليه من سياسة ابراهيم باشا التى كانت ترمى إلى فصل بعض الأقطار العربية عن جسم الدولة العثمانية واستقلاله بها ، فقد صرح (للبارون بوال كونت) بقوله : « ما أنا بتركى، بل أنا ابن مصر . إن شمسها قد غيرت دمى فجعلتنى عربياً حقاً . . . »

وقد سارت مصر بعد ذلك بخطى ثابتة فى ذلك السبيل فتأسست فيها عدة جميات عربية ، ومنظمات سياسية تعمل للعروبة وللوحدة الكبرى ؛ منها « الجمعية القحطانية » التى تأسست عام ١٩٠٩ ، « والجامعة العربية » التي أنشئت سنة ١٩١٠ ، و « حزب اللامركزية » الذى تأسس فى عام ١٩١٢ . وكذلك يجب ألا ننسى « جمية العهد » التى أنشأها فى الأستانة عزيز على المصرى يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٣ فقد خدمت القضية العربية كثيراً ، وسنتحدث مفصلاً عن فضل مصر على القضية العربية وعن أثرها فى الوحدة العربية يوم تخصص « الرسالة » الكريمة الكلام عنها ولكل حادث حديث

المنظمات العربية

وكما تأسست فى القاهرة جميات عربية تعمل للعروبة كذلك أنشئ فى كل عاصمة من عواصم العرب : فى العراق ، والشام ، والحجاز ، واليمن ، وفى كل بلد من بلدانهم ناد يضم الصفوة المختارة من أبناء العروبة . وذلك على أثر إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٩ يوم تغير الحال غير الحال فى البلاد العثمانية فأطلقت الألسنة من عقالها والأقلام من سجنها

والواقع أنه لم يكن اغتباط العرب بالعهد الدستورى الجديد يقل عن اغتباط الترك ؛ فقد ملأوا الجو هتافاً وصياحاً فى بغداد والشام وغيرها ، ونظم شعراؤهم القصائد ، وحبر كتابهم المقالات، فى التغنى بمزايا العهد الجديد ، وانضم رجالهم ومفكروهم من عراقيين وسوريين وحجازيين إلى الاتحاديين موالين ومؤيدين لاعتقادهم أن دولتهم ستجدد شبابها وتسترد مقامها ، وأن الأمة العربية ستنصف ، وكرامتها ستصان

ولكن حينما بدرت بوادر الخلاف العنصرى بين العرب والترك تحول الحال ، إذ ظهر أن الاتحاديين يسيرون على سياسة قومية سداها ولحمتها تعزيز الجامعة الطورانية وتأييدها ، وأن الفكرة العربية قد عفا أثرها ؛ لذلك أقفرت أنديتهم وتفرق أنصارهم ، وضعف نفوذهم ، كما تخلى عنهم نواب البلاد العربية المؤمنون بالعروبة وأنشأوا كتلة مستقلة اتحدت مع النواب المعارضين للاتحاديين ؛ وختم هذا الدور بإعلان الحرب البلقانية فى خريف عام ١٩١٢ ؛ وتألفت فى خلال هذه الفترة جميات عربية عديدة كما قلنا ، فى مصر ، وبغداد ، ودمشق ، وبيروت ، والآستانة ، لحمل مشعل الفكرة العربية ، وتأدية رسالة العروبة ، وتعزيز شأن العرب ، وبث الوعى القومى العربى ، فأثرت هذه الجميات أثراً بليغاً فى تكوين « الرأى العام العربى » وإليها يرجع معظم الفضل فى إنشائه وإعداده بالتعاون مع الصحافة العربية في مصر والعراق والشام والآستانة ؛ فقد ساعدت على تنمية الشعور القومى العربى وإيقاظه وبعثه ، كما ساعد الشعراء العرب بقصائدهم الحماسية والكتاب والخطباء بدررهم النثرية على خلق النهضة الوطنية العربية الجديدة

وأهم تلك المنظمات العربية التى تأسست يومئذ هى : جمعية الإخاء العربي ، المنتدى الأدبى ، الجمعية العربية ، « الفتاة » ، الجمعية القحطانية ، العلم الأخضر ، حزب اللامركزية ، جمعية بيروت الإصلاحية ، جمعية العهد ، مؤتمر باريس العربى ، الجامعة العربية ، النادى الوطنى فى بغداد ، وجمعيه البصرة الإصلاحيه .

ونتحدث اليوم عن هاتين الأخريين فقط لأنهما نشآ في العراق وعملا فيه

الجمعيات العراقية

أما المؤسسة العربية الأولى فى العراق فهى النادى الوطنى فى بغداد فقد أنشئ فى الزوراء عام ١٩١٣ على أثر تأسيس حزب اللامركزية فى مصر ليكون فرعاً له ، وكان رئيس هذا النادى مزاحم الباجه جى صاحب جريدة النهضة العراقية أول جريدة فى العراق خدمت القضية العربية الكبرى . وانتسب إلى هذا النادى كثير من الشباب العراق المثقف ، فنشر المبادىء القومية العربية وعززها . وكان يستظل بظل الزعيم العراق حينئذ السيد طالب النقيب رئيس جمعية البصرة الإصلاحية الذى نشطه لإصدار جريدة النهضة فكان يصدرها مزاحم نفسه ، فلما عطلها الاتحاديون الترك ولم يصدر منها سوى (١٢) عدداً وأمروا بالقبض على صاحبها فرّ إلى البصرة ودخل فى حمى السيد طالب النقيب

والمؤسسة العربية الثانية فى العراق هي جمعية البصرة الإصلاحية التى أنشأها السيد طالب فى مدينة البصرة ، وقد كان يومئذ نائبها فى مجلس النواب العثمانى وأحد زعماء حزب الائتلاف ، فانضم إليها عدد كبير من رجالات البصرة وشبابها الناهض ، كما انضم إليها أحرار العراق وزعماؤه المخلصون ، فأصدرت جريدة النهضة فى بغداد لتكون لسان حالها ولكنها لم تعش طويلاً كما قلنا .

وحينما عقد مؤتمر باريس يوم الأربعاء فى ١٨ يونيو عام ١٩١٣ فى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر أبرق إليه فى تلك الساعة السيد طالب الزعيم العراقى مؤيداً ومشجعاً ، نخاف الترك العاقبة ، ولذلك انتدبوا أحد رجالهم وهو القائمقام فريد بك وعينوه قائداً للبصرة ، وناطوا به مهمة اغتيال السيد طالب ؛ فجاء البصرة ومعه حاشية كبيرة فأسرع هذا وأرسل إليه من اغتاله . فرأى الترك أن من مصلحتهم الجنوح إلى المسالمة ، فاستمالوا السيد طالب وأرسل إليه طلعت بك وزير الداخلية التركية يومئذ برقية مفرغة فى قالب المجاملة ، فأذاع على الأثر البيان التالى : « أعلن بكمال الفخر إلى عموم أهالى العراق (الولاية والملحقات) بأننا قد اتفقنا فى أمر تشريك المساعى وكأننا روح واحدة ، وجسد واحد ، لأجل رفع شأن وشوكة حكومتنا السنية التى قدرت صداقتنا رسمياً ، ولم يبق خلاف بيننا بأى صورة كانت ، وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالاً قطعياً ، وصرنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا العلية ، ونسعى فى محافظة وحدتنا العثمانية بكل قوانا حتى لا يبقى منا فرد واحد ، وللبيان حررت الكيفية وأعلنت فى ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٢ »

* * *

إلى هنا أكتفى اليوم بالبحث عن تطور « الفكرة العربية » وعن الجمعيات العراقية ، وسأحاول فى حديثى المقبل تصوير رجالات العراق الذين خدموا قضية العروبة ، وحملوا رسالة « الوحدة العربية » وخاصة أولئك الذين اشتركوا فى الثورتين : ثورة العراق وثورة الحجاز ؛ وعملوا فى الدولتين : دولة بغداد ودولة الشام ، مع أقوالهم والوثائق والمستندات التاريخية التى تؤيد ذلك ؛ فإلى اللقاء ...

(دمشق)

نسيب سعيد
المحامى

جيــل وجيل
الحيوية الفــكرية
للأستاذ محمود البشبيشي

تعدد المواهب والحيوية — الحيوية تحدد الاتجاه — جناية الحيوية على أربابها — إسحاق الموصلي — الحيوية الفكرية تسبق الزمن وتقرر المستقبل — الشاعر البدوى عبد المطلب والرواية الشعرية تبعث إلى التأمل فى أحوال المجتمع — حيوية الفكرة الدينية — حيوية الفكرة فى الفنون

نصل حوارنا اليوم فى حيوية الفكرة ليكمل البحث ، ويتم الغرض ، ويستقيم المعنى ، ويدرك الهدف . فليس أقبح من أن يعجل المرء بالحكم قبل استيفاء الحجة ، ويبرم القضاء قبل امتحان الشهادة . وإن الاقتضاب فى معالجة الأمور مدرجة الضلالة ، والإسراع فى الكشف عن منبهم الأسرار طريق العماية ... وخير الباحثين من نهج سبيل التأنى والاستقراء ليعقل ويفهم ويدرك تفاصيل ما يعالجه ، وتراكيب ما يعرض له ...

... قال ولدنا حسين : عرفنا من أسرار الحيوية الفكرية شيئاً وبقيت أشياء . فقد تتعدد المواهب وتكثر الاتجاهات للشخصية الواحدة ؛ كأن يكون المرء شاعراً ضرب فى الشاعرية بسهم وافر ، وناثراً طلع فى القدرة على بيان أفكاره مطالع عالية ، وخطيباً بلغ من عبقرية الفصاحة الغاية التى تتقطع دونها الأعناق... ويكون له فى كل مذهب من هذه المذاهب المتعددة المتباينة جودة واستواء ، وموافقة وكمال ، ورونق وعذوبة ، واستيعاب وفهم .

فا مكان الحيوية هنا ؟ وهل تكون فى كل ناحية على قدر معلوم ؟ وهل لصاحبها القدرة على توجيهها والسيطرة عليها أو يكون موقفه منها موقف الأرض من الغيث . . . لا تستطيع إلا أن تنتظر وروده !

قلت : أما تعدد المواهب يا بنى فأمر قد يكون إلى الفطرة أقرب منه إلى الاعتياد والدربة . على أن المواهب مهما تعددت ألوانها ، وتشعبت مذاهبها ، لا يمكن أن تكون فى كل ناحية ومذهب على نسق واحد من القدرة ، وفى قوة واحدة من الحيوية ... ولا بد يا بنى من تدفق الحيوية قوية عاتية فى ناحية دون أخرى ، وحينئذ يكون لها وحدها تقدير المصير ، وتحديد الشخصية ، وبيان موضع صاحبها وفنه الأصيل فى معترك الحياة الصاخبة الدوارة . فأنت يا بنى تدهش من تعدد مواهبك ، وتعجب من تباينها ، وتحار فى تعليل ميلك إليها ، وتوفرك على أسبابها ؛ ولكن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من التأمل فى منابت هذه الاتجاهات وأصولها ، فأنت تميل إلى الرسم وتمارسه ، وتجيد الشعر وتطرب له ، وتندفع وراء العمق فى الفكرة جرياً وراء الفلسفة وطلباً لمنبهم الأسرار ... وكل أولئك لو تأملت يا بنى من مصدر ومبعث واحد يرجع إلى حساسية الشعور ، وشفافية الوجدان ، ويقظة التفكير . على أنك لو تأملت طويلاً لرأيت أن هناك حيوية خاصة غالبة على كل هذه الاتجاهات ... تلك هى عمق الفكرة والجنوح إلى التأمل العميق . وإنك لتجد لصدق هذا القول صوراً من الشخصيات فى مطاوى الزمن . فقد كان إسحاق الموصلى متعدد المواهب بعيد مدى الآمال ، متباين الميول . وكان إذا ناظر أهل الكلام انتصف منهم ، وإذا تكلم أو عالج الفقه أحسن وقاس واحتج وبلغ فى قياسه واحتجاجه الغاية . وإذا أخذ بأسباب الشعر واللغة فاق وارتفع ، ولكنه كان فى الغناء أكثر حيوية ، وكان الغناء أدنى ما يوصف به وإن كان الغالب عليه . على أنه كان أكره الناس للاشتهار بالغناء والتسمى به !

قال : إن فى نفور إسحاق يا والدى من الغناء وهو ما اشتهر به وذهب له به صيت ذكر ، لطرافة وموضعاً للتأمل

فإن للحيوية جناية كبرى على أربابها . ولقد أصاب إسحاق من الحيوية ألم عظيم وضياع للفرص السوانح ؛ فقد كان المأمون يقول : لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس ، وشهر به من الغناء عندهم لوليته القضاء ، فإنه أولى به ، وأحق وأعف ، وأصدق تديناً وأمانة من هؤلاء القضاة ...! فا أشد ألم إسحاق لضياع ما كان يتطلع إليه ! وما أخطر جناية الحيوية على أربابها ! ولعل الهدف الأول لجناية الحيوية هو صاحب الفكر الحر من أنصار العقيدة ، وأرباب المذاهب الفكرية . فكم من رجل حر العقيدة ، صادق الإيمان ، دفعت به حيوية الفكرة التى يعتنقها ، ويتمسك بأسبابها ، ويناضل فى سبيلها إلى الخوض فى مرابط

الملكة ... لا تمنعه رهبة ، ولا تقطعه هيبة ، ولا يدركه نصب ، ولا يتداخل جهاده تردد ، فإذا رأيت في حياتك رجلاً قد طوقته الشرور ، وترامت عليه النقم ، وأقصى عن مواطن النعم ، وحرم كل ما هو فى متناول غيره ، فلا تردد فى أن تنسبه إلى رجلين : رجل انسلخت حقيقته من معانى الإنسانية ، فهو شر على نفسه وشر على غيره ؛ ورجل ارتفعت حقيقته بمعانى الإنسانية إلى مرتبة عالية سامية ترقب العالم بعين الضمير الحى الذى لا يقيم وزناً للمظاهر الكواذب ، ولا يحفل بالقوة إذا لم تقم على قواعد من الحق ، وأسس من العدل . فهو بما طبعت عليه نفسه من حيوية الفكرة والعقيدة والحق عدو الباطل والقوة ، وطريد الرياء والقسوة

قلت : وإن الحيوية يا بنى لتقرر المصير ، وتحدد الغاية ، وتشير إلى مستقبل صاحبها من قبل أن يتأهب لغايته من الحياة وينتظرها ، ومن قبل أن تستقر به الأيام ، وتطمئن به الأسباب ، وتصبح له يد باسطة فى الناحية الأصيلة من مواهبه واتجاهات شخصيته . فإنك لتلمح فى طفولة الفنان العبقرى بوارق من حيوية الفن والفكرة فيما يعرض له فى سلوكه وأحواله ورغباته وآماله . فهو أبداً يميل إلى كل فاتن من الصور ورائع من الألوان ، ويجد فى الخيال المجنح نشوة تخف على قلبه ، وتتصل بروحه الفنية ، وتقربه من غايته التى لم تزل فى أكمام الغيب تناديه من وراء حجاب ؛ ويجد لها فى قرارة نفسه حنيناً لا يملك القدرة على بيان خصائصه في جلاء ووضوح ، وإشراق وصفاء . ولكنه على رغم هذا يحس بدافع يسوقه إلى السير وراء كل ما هو أدنى بالقبول ، وأحظى بطلاوة الفن ، وأعلق بقلب الفنان ... على أن صاحب الحيوية قد يدرك الغاية التى يسعى لها ، وتدفعه حيويته إليها ، وهو حينئذ يقصد أنبل المقاصد ولا يرهب أخطر المهالك ، ويجد فى نفسه الإيحاء الذى يقول فى قوة وحيوية : هذا أمل واجب أن يكمل ، وحقيق أن يوفى حقه ، وليس يتحقق أبداً إلا بأن يتطلع المرء إلى أجل الأغراض مكاناً . والرجل الحى من كان فى قوله وفعله كأنما اطلع على إرادة قومه وإرادة حيويته ، فرمي عن قوس عقيدتهم وعقيدته

فقال : إذن فالحيوية الفكرية يا والدى تسبق الزمن ، فتحقق فى التخيل والتصور ما يتمخض عنه الزمن بعد أجيال متعاقبة . فكم من مخترعات تفتق عنها زماننا وكانت فى ألفاف الخيال سجينة من أزمان طويلة . فقد جالت فكرة الطيران بخلد الإنسان منذ تنفس فجر الفكرة الحية فى الإنسانية . وكم من أفكار كانت فطرية ساذجة ثم أصبحت مع الزمن فنوناً من النظريات والعمليات الخالدة . . . أجل هذا حق لا يتداخله شك ، ولا يشوبه إفراط . ومن طرائف هذه الحيوية التى تسبق الزمن ما عرض لى فى أثناء مطالعاتى يا والدى . . . فقد رأيت أن الشاعر البدوى الجليل « عبد المطلب » كان قد عالج الرواية الشعرية علاجاً استكمل شرائط الفن ، واستوفى أوصاف الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء ... فقد ألف عبد المطلب عدة روايات شعرية تمثيلية . وكان هذا منذ (٢٩ عاماً) فعبد المطلب بذلك يتفرد وحده بفضل السبق فى هذه الناحية الخطيرة من الفن الأدبى . فقد اخترع هذا اللون من الشعر الروائى اختراعاً قبل أن تتفتح عنه عبقرية أمير الشعراء . ولا نسوق هذا القول من غير دليل ينهض شاهداً على صدقه ؛ فإن للشاعر (البدوى) عدة روايات تمثيلية توجد بدار الكتب منها روايتا «امرئ القيس» و « المهلهل » : وقد قام — رحمه الله — بتأليف رواية اسمها « ليلى العفيفة » نشرت مجلة (المعرفة) جزءاً منها دليلاً على سبقه فى هذا الفن . والمتأمل فى هذه الرواية يرى كيف استطاع الشاعر أن يقنعنا بأنه كان مطبوعاً ، حسن التصرف قد أغناه عفو قريحته عن التكلف ، وبعد به عن التصنع ... هذه بعض آثار الحيوية الفكرية يا والدى ، وإنها لتدفع الناس إلى التأمل فى حالهم ، وربط ماضيهم بحاضرهم ، والتطلع إلى مستقبلهم ؛ وهذا التأمل والربط والتطلع ، يجىء من بعده الرغبة فى التقدم ، والمطالبة بالحرية ، والسعى وراء المجد . ويظهر هذا الأثر الأخير فى حيوية الفكرة الدينية ، وخاصة في حيوية الفكرة فى الدين الإسلامى المجيد ، فقد كانت الحقيقة المؤمنة تنطلق عزمة ، وتتوهج رغبة ... تنظر إلى أحابيل الشيطان نظرة القدرة القادرة ، وتتأمل أضاليل الباطل بثقة الحكمة النافذة ، فكان لها النصر المبين . بعثت حيوية الرسول فى قلوب المؤمنين القوة التى قهرت الباطل ، وبددت سحب الشيطان ، وأقامت على أطلال الشرور والرياء والنفاق والفرقة والضلال مجداً عظيماً : قوياً بالإيمان ، ثابتاً بالعقيدة ،

صادقاً بكلمة السماء ، خالداً بخلود الفضيلة والحق . وحيوية الفكرة في الفنون — يا والدي — هي دلالتها على زمنها ، وعقلية أصحابها ، وما يموج بأحاسيسهم ، ويضطرب في ميولهم ، ويختلج في صدورهم ، ويساير نهضة علومهم وعقليتهم ، ويلابس حقيقة مجتمعهم ، ويرمي إلى مثلهم العليا في مفاتن الجمال ، وروائع الحسن ، وبدائع الفن ، ومحامد الأخلاق ... وحيوية الفن إذا اتسعت آفاقها ، وعظم خطرها ، بسطت حيويتها على كل فكرة وأمل وغاية ، وخلعت على صاحبها ، أو الأمة التي نضجت فيها ، لوناً خاصاً يحدد مكانها من عالم الفن ... بل إنها لتجعل صاحبها يبعث روحه في كل ما يكتسبه من العالم الخارجي ويطبعه بطابعه الخاص ... وهذه هي رسالة الحيوية الحق في الفن !

قلت : ما أحوجنا — يا بني — إلى هذه الحيوية ، حتى لا نضرب في ظلمات التقليد الأعمى لكل ما هو غربي ، من غير أن نعمل التأمل في أسبابه وغاياته وملابسته لأحوالنا ، ومسايرته لميولنا وأحاسيسنا وتقاليدنا !

محمود البشبيشي

قصة اجتماعية في رسالة

زوجـــــة الأب

مترجمة عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

عزيزتي هيلين ...

لا ريب أنك ترتقبين البريد في لهفة كل يوم ، على أمل أن يحمل إليك من أبيك خطاباً ؛ بل إني لأكاد أتخيلك وأنت تشيعين الساعيَ بنظرة ملؤها الدهشة والألم معاً ، في كل مرة يمضي فيها دون أن يترك لك هذا الخطاب المنشود . ولعل دهشتك ستكون أبلغ حينما تتلقّين هذه الرسالة من « زوجة أبيك » . وإني لأستطيع أن أسمعك وأنت تقولين لصديقتك إيدنا :

— أبلغ من تأثير هذه المرأة عليه ألا يخاطبني إلا عن طريقها ؟!

على أني ألتمس إليك أن تبادري بتدارك هذا الوهم الذي تقعين فيه ؛ فلم يسألني أبوك أن أكتب إليك ، بل إنه ليجهل أني بعثت إليك بهذا الخطاب ؛ ولعله لو عرف لغضب . وهو في الحقيقة لا يكاد يذكر اسمك أمامي ، من يوم أن عدنا إلى المنزل فألفيناك قد هجرته غضبى . فكل ما أعمله إنما هو بإرادتي ومن محض تفكيري ... وما أشك في غريزة حب الاستطلاع ستدفعك إلى قراءة كتابي حتى آخر كلمة فيه ؛ فإن من غير المستساغ أن ترسل زوجة أب بخطاب مطول صريح اللهجة إلى ابنة زوجها الوحيدة ، ولما تمض على نهاية رحلة الزواج أيام ... !

ولكن ... ماذا أنا قائلة لك ؟ وكيف أوضح موقفي بحيث أستطيع — وحسبي هذا — ألا أزيد الأمور بيني وبينك تعقيداً ؟

إعلمي أولاً أني لن أتوجه إليك بأدنى لائمة ؛ بل إني لأقدر — بعطف بالغ — هذه الإحساسات التي دفعت بك إلى الرحيل ، وأدرك أنك تنظرين إلى العلاقة بين زوجة أب وفتاة متحررة في التاسعة عشرة من عمرها ، كأمر يصعب الاحتفاظ به ؛ ولو كنت في موضعك لما وسعني إلا أن أتمرد مثلك ، ولكن ليس بهذا الأسلوب الذي اصطنعت ... !

واسمحي لي أن أذكرك — وملء نفسي الأسى البالغ والأسف المرير — بأنك قد تصرفت تصرفاً انطوى على أبلغ القسوة وأشد الإهانة لي ولأبيك . وصدقيني حين أقول لك إني لا أشكو مما أصابني شخصياً ؛ فقد كان عملك لطمة موجهة إليّ ، ولكنها كانت أشد ما يكون وقعاً على والدك المسكين ... لقد أمضه الألم وأرمضه الحزن حتى لاذ بالصمت ؛ وبالتالي وجدتني متألمة لألمه ...

وأعترف لك بأني لم أكن أتوقع منك تصرفاً جفائياً مؤلماً كهذا . ففي مرحلة تعارفنا الأولى كانت تربطنا مودة صادقة ؛ ولما بدا احتمال اتصالنا برباط أوثق عن طريق أبيك ، استحال إخلاصك وثقتك السابقان إلى نفور مزاجه التأدب والتحفظ ؛ وكان ذلك أمراً طبيعياً ...

ولقد بدا لي أني أستطيع متى أظلنا سقف بيت واحد ، أن أجملك تفهمين مقصدي وحقيقة شعوري

كنت ولا أزال أحبك كثيراً ؛ أحبك لشخصك ثم لأنك ابنة « أبيك » ! ولقد شجعني تصرفك قبل الخطبة وبعدها على الأمل في أن أحل وإياك المشكلة التي طالما سببت المتاعب للأسر جميعاً : مشكلة العلاقة بين الأبناء وزوجات الأب . وعلى هذا الأمل قضيت « شهر العسل » في وافر من الغبطة والسعادة .

ولكن ... أي استقبال هذا الذي أعددته لنا !

ليتك تعلمين يا هيلين كم كان أبوك يشتاق إلى لقائك طوال مدة رحلتنا !

لم نرك فى انتظارنا على المحطة كما كنا نتوقع . قلنا : حسناً ، إنك فى المنزل بلا ريب ترقبين عودتنا ؛ وقد أعددت لنا عشاء شهياً ينسينا مشقة سفرنا الطويل . ولما اقتربنا تفرس أبوك فى نوافذ المنزل علّه يراك ؛ ولكننا لم نلمح غير السجوف المرخاة فى عناية ، وأطراف هذه الستائر الفرنسية التى شذبتها يداك منذ عام . واخترق والدك الممر وثباً . ثم فتح الباب بمفتاحه الخاص وهو يهتف فى قلق :

هيلين ، هيلين ... أين أنت ؟ ! ...

وانفتح أحد الأبواب ، وأطلت منه الخادم وعلى وجهها سمات الذعر ؛ فبادرها بالسؤال : أين مس هيلين ؟ ...

وكانت الحقيقة أروع من أن تعترف بها الفتاة ، فاضطربت وهى تتمتم بأنها لا تدرى ... ثم انزوت عن وجهه سريعاً .

أسرع أبوك إلى غرفتك « الأستديو » وفتح بابها ؛ فدله المنظر الذى أمامه على ما حدث بأتم وضوح . كان كل ما يخصك أو يهمك فى الحجرة قد اختفى ، فلم يكن ينقصه — ليعرف ما صنعت — أن يقرأ هذه الرقعة التى تركتها على رف الموقد بعد أن خططت عليها كلمتك القصيرة :

« لقد انتقلت عن هذا البيت لأقيم مع صديقتى إيدنا كورى »

ومع ذلك فقد أطال أبوك التحديق فى هـذه الوريقة وهو يولينى ظهره ، ثم استدار إلىّ بعد حين فالتقت أعيننا وأعتقد أننا تبادلنا فى هذه اللحظة كل ما نستطيع التعبير عنه بالكلام

وأخيراً مس ذراعى بيده مترفقاً وهو يقول : تستطيعين أن تهيئى لنا طعامنا الآن ... كان يتكلف الهدوء ويتظاهر بعدم المبالاة ؛ فعجلت بالانصراف من أمامه قبل أن يتبين فى وجهى أنى أدرك حقيقة شعوره . وعند ما التقينا بعد ذلك على مائدة الطعام كان يتصرف كما لو أن شيئاً هاماً لم يحدث ! ولقد جاريته فى رغبته ؛ ولم يكن يتسنى إلا لمثلى ومثلك ممن يعرف خبايا نفسه أن يلحظ هذا الألم الذى يعصف فى صدره . وإنى لواثقة من أن أباك لن يلتمس إليك العودة بحال ؛ وأنت التى ورثت كبرياءه تدركين لم لا يفعل ذلك . أما من جهتى ، فلن أطلب إليك شيئاً كهذا لعلمى أن أيسر ملتمس منى جوابه الرفض . وإنما سأخاطبك فى وضوح . وسأحاول أن أبين لك أن زوجة الأب على رغم سمعتها السيئة تستطيع أن تكون أحياناً صادقة الرغبة فى تفهم وجهة نظر ابنة زوجها ، بل هى قد تقبل التضحية البالغة من جانبها فى سبيل أن تخيم السعادة على الجميع . وما خطابى هذا إلا دليل ملموس على ذلك . قد لا تفهم فتاة مثلك لماذا يرغب أبوها فى الزواج مرة أخرى ؛ ويبدو لها طلب أبيها لزوجة جديدة أمراً شاذاً غريباً كما لو راحت هى تلتمس لنفسها أماً أخرى ! وهى ترى أن كائناً من كان لا يستطيع أن يملأ الفراغ الذى خلفته أمها ؛ وبالتالى لا تكاد تصدق بوجود المرأة التى تملأ من أبيها فراغ الزوجة . ومن المشاهد أن تطفُّل امرأة أخرى — بعد ذهاب الأولى — من الأمور غير المرغوب فيها ؛ حتى ولو كانت الأولى قد قصرت فى أداء مهمتها كزوجة أو أم . فكيف يكون الحال مع امرأة فضلى كأمك جديرة بكل حب من زوجها وطفلتها ؟

لا ريب أن موضعها سيبقى شاغراً إلى الأبد !... لست أطالبك بأن تنظرى إلى المسألة كما أنظر إليها ، أو تمضى فى ذهنك أن أباك هو أول من أحببت ، وأنه عند ما سألنى الاقتران به أحسست بسعادة لم أكن أحلم بهـا . فستقولين — وأنت محقة — إن هـذه أمور لا تعنيك فى شىء ؛ وعليه فلنجعل الأساس المشترك بيننا سعادة والدك ، فعند هذه النقطة قد يلتقى سهمانا ...

ولو أنك فكرت فى الأمر قليلاً لوجدت أن مزايا والدتك وفضائلها ، هى التى لجأت أباك إلى التزوج مرة أخرى . وقد يبدو لك هذا الكلام متناقضاً أو قائماً على الوهم ؛ ولكنه فى الواقع ينطوى على نتيجة طبيعية يفضى إليها منطق مستقيم . فإن الزواج إذا انفصمت عروته بالموت يترك من الفراغ والوحشة بقدر ما حقق من سعادة ونعيم ...

وأنت نفسك — لن تستطيعى الادعاء بأن حبك لوالدك بعد وفاة أمك ، قد شغل أكثر من ركن صغير ، وصغير جداً ، من هذا الفراغ الذى خلفته وفاتها ! وكذلك الحال مع الأب ، فما حبه لطفله إلا تتمة حبه لزوجه . والعلاقة بين الأب وابنته تختلف — كما وكيفاً — عن علاقة الزوج بزوجه . وأنا لست أدعى فى لحظة ما أنى قد ملأت هذا الفراغ تماماً ؛ ولكنى أردد صادقة أنى اكتسبت محبة أبيك وثقته ، وأنى أسعدته بمجى له سعادة لم يكن ينالها — على الأقل — بغير حب المرأة ...

وما إخالك تنكرين أنه قد اختارنى بمحض إرادته ؛ وليس لمجرد دافع يسير ، بل لحاجة ماسة إلى تجديد هذه العلاقة الوثيقة التى افتقدها بموت والدتك . فإذا أنت أدنتنى فقد أدنت أباك ،

وبحكمك هذا يبدو مبلغ قصورك فى إدراك حقيقة الطبائع البشرية

وقد تبدو نظريتك معقولة من فتاة غير متزوجة تفيض نفسها بالوفاء الخالص والطيبة الساذجة ، ولكن لن يقاسمك هذه النظرة أى رجل أو امرأة ممن خبر الحياة وعرفها على حقيقتها .

والآن ... دعينى أتقدمْ بك خطوة أخرى :

لا بد لك أن تسلمى — إن عاجلاً أو آجلاً — بأن أباك هو صاحب الحق المطلق فى تقدير قيمة هذا الزواج الأخير الذى ارتبط به ؛ ولكنك قد تحتجين بأن هذا التسليم لن يغير شيئاً من شعورك نحوى . ولعلى لا أكون مخطئة إذا قلت إنك قد قلبت هذه المسألة من جميع وجوهها مع صديقتك « إيدنا » فرثت لحالك وأقرتك على موقفك . وإنى لأستطيع — متى شئت — أن أسرد عليك كل ما دار بينكما من حديث ؛ أو بالأحرى كل ما أثبته من « حجة » وعقبتْ عليه من « تأييد » . وأنا واثقة من أنك قد قلت الشيء الكثير مما كنت أقوله لو كنت فى مثل هذا الموقف . كنت أقول إنى أطلب حياة مستقلة لا تعترض سبيلى فيها امرأة أخرى كائنة من كانت ؛ وكنت أذكر مبلغ حنينى إلى هذه المعيشة الحرة التى أنفقت فيها عامىَّ الأخيرين ، أغدو وأروح فى حرية تامة ، وأختار أصدقائى وفق ما أشتهى ، وأدبر شئون بيتى بأسلوبى الخاص ؛ مستمتعةً بهوايتى ، أرسم حيث أريد ومتى أشاء ؛ أقضى أوقات فراغى فى خمول إن أحببت ، أو أدعو أصدقائى إلى تناول الشاى والرقص والحفلات التمثيلية الخاصة ، آخذة من كل متعة بنصيب دون أن أجد من يعترض سبيلى أو يقول كلا ... لست أرى لك ذلك يا عزيزتى .

كنت أرفض رفضاً باتاً كل تدخل — أو تهديد بالتدخل — بينى وبين هذه الحرية النفسية ؛ وكنت أرى بالبداهة أن دخول زوجة الأب المنزل إنما هو قضاء عاجل محتوم على كل هذه المناعم والملاذ ...

ألم أصور لك نفسك فى جلاء ؟ . . . ألم تقولى كل هذا لصديقتك إيدنا فدعتك إلى هجر بيت أبيك والإقامة معها : ترسمين بـ « الباستيل » كما تشتهين ، وتكتب هى القصص القصيرة على طريقة « موبسان » ؛ فتقضيان حياة بوهيمية رائعة ؟ ... لست متيقنة من قدرتى على إقناعك بالخطأ الذى بنيت عليه هذا القرار المفاجىء بالرحيل عنا ، وهذا مما يزيدنى شفقة عليك وعطفاً . قلت لك إنك أخطأت فى الحكم على ، وسأوضح لك ذلك الآن

فإن مما يؤلمنى كثيراً أنك لم تقدرى صعوبة تلك المهمة التى تكفلت بها ، ولم تعامليني معاملة تدل على تقديرك لمشاعر المرأة التى تخيرها أبوك زوجة له . كنت قد وطنت نفسى — متى أظلنى وإياك سقف بيت واحد — على أن أترك الأمور تسير فى مجراها ما وسعنى ذلك ؛ فلا أتعرض لك فى شىء ، ولا أحول بينك وبين تحقيق رغبة . . . كنت قد وطدت عزيمتى على أن أعاملك كما أعامل أختاً لى صغيرة ، على أن أتخلى — مع ذلك — عن حق الأخت الكبرى فى التوجيه وإسداء النصح ، ما لم تطلبى إلىَّ شيئاً من هذا . بل كان يرضينى أن تقومى على شئون المنزل دونى إذا سرك هذا وأرضى أباك ؛ وأنت تعلمين مبلغ تضحيتى فى ذلك ، لأنك تدركين كما أدرك كبرياء المرأة وشدة اعتزازها بالسيطرة على مرافق بيتها . لم أكن أريد أن أنتزع شيئاً من اختصاصاتك إلا ما أوجبه لى حق الزوجية ، من ألا تحتفظى بأبيك خالصاً لك من دونى !

ولقد ساغ لى هذا التفكير لأنى أقرب فى نشأتى من أبناء جيلك منى إلى أهل الجيل الماضى ؛ فأنا متوسطة بين الجيلين ، ولست متقدمة فى السن كما قد تتصورين يا عزيزتى هيلين . ولقد ربِّيت منذ طفولتى على هذه الحرية التى تذوقتِ أنت حلاوتها ، ولكنى تخليت عن كل ذلك لأبيك وأنا راضية مختارة لأن ثمة فى الحياة ما هو أثمن من الحرية ؛ وإنى لأرجو لك أن تتخليْ مثلى عن حريتك ، فى اليوم الذى يلقاك فيه من يستأهل منك هذه التضحية ...

شكواى أولاً وأخيراً أنك حكمت علىَّ قبل التجربة ، وجعلتنى هدفاً لهذا التحامل الذى مُنيتْ به « زوجات الآباء » منذ بدأت الحياة !

وأنا لا أود أن تطول بنا هذه الحال ، وأعترف لك بأن حجرة رسمك المهجورة ومخدعك الخالى قد أوحشا بعدك وحشة لا يسعنى التعبير عنها . أما تأثير ذلك على أبيك فإنى أترك لك تقديره

وإذا كان يهمك أن تتأكدى من مبلغ صدق وصراحتى فى كل ما ذكرته لك ، فما أشك فى أنك تمنحيننَ الفرصة التى أدلل لك فيها على ذلك ؛ وكل ما أتمناه أن تنزعى ثوب (التحامل) وتعودى — ولو إلى فترة محدودة — حتى يتبين لك كل شىء . ومن المحتمل أنك لن تتأثرى كثيراً بما أعرضه عليك من صداقتى ، أو لعلك تعدين من الحماقة أن تأمل زوجة الأب — الفظة القاسية — احتلال ركن من قلب ابنة زوجها ؛ وقد يكون كل ما عرضته

٣ ـ كتاب الامتاع والمؤانسة

الجــزء الثــانى

للأب أنستاس مارى الكرملى

٤ — أوهام التأويل والتفسير

جاء فى حاشية ص ٦ تفسير قول المؤلف : « دونه حدد أى دفع ومنع » . والصواب ما قاله الأمير شكيب أرسلان فى حاشية الصفحة ٥٧٣ من مجلة المقتبس ، المجلد الثامن : أى الممتنع الباطل

وورد فى ص ١٣ : « ولا تحض على الدينونة بها . وضبطت بفتح الدال وضم النون ؛ ثم وردت الدينونة فى ص ١٧٨ بفتح الدال والنونين ، فى هذه العبارة وهى : « والدينونة لمذهبك المستقيم » . والذى نعرفه أن الدينونة من مصطلحات النصارى ، وهى غير فصيحة ، والصواب : (الدِّين) بكسر الدال ؛ لأن الفعلولة فى الأجوف خاصة باللازم فى أكثر الأحيان ، وعلى ذلك يقال : الذيبوعة ، والشيموعة ، والصيرورة ، والقيلولة ، والبينونة والديمومة ، مصادر الأفعال اللازمة : ذاع ، وشاع ، وصار ، وشار ، وقال ، وبان ، ودام إلى نظائرهن

وفى ص ٥٩ : « الجاثليق من رؤساء النصارى ، معروف »

قلنا : ولا نظن أن أحداً يعرف الجاثليق حتى أغلب النصارى ، وما قاله الشارحان مُثبَت فى كتب اللغة . ومثل هذا الشرح لا يرضى به أهل هذا العصر ، وكان يجدر بهما أن يشرحاه شرحاً يخرجه من هـذا القول الذى لا يستفاد منه فائدة صريحة ، والأحسن أن يقال : الجاثليق رئيس الأساقفة عند النصارى الشرقيين ، واليوم ليس له وجود ، ويسمى بالفرنسية catholicos فكيف يقول الشارحان : معروف ؟ وممَّن معروف ؟ وعند من معروف ؟

وفى ص ٦٠ : « ويا قَصراً بلا مِسْنَاه » وضبطت الكلمة الثانية بكسر الميم ، وإسكان السين ، وفتح النون ، وفى الآخر هاء . وفى الحاشية : المسناة المرقاة ، من السناء بالمدّ وهو العلو والرفعة » — قلنا : لا وجود لهذه الكلمة بهذا الضبط ، وهذا المعنى فى لغة الضاد ، فمن أين أتيا بها ، وعمن نقلا هذا الشرح ، أو هذا التخريج ، أو هـذا التأويل والتفسير . والمشهور عند العراقيين : أن للقصر مُسَنَّاة ، وهى بضم الميم ، وفتح السين ، وتشديد النون ، يليها ألف فهاء منقوطة ، وهى العَرِم أى ما يبنى بين يدى القصر الواقع على النهر ليرد الماء عنه

وفى ح الصفحة المذكورة ، فسرت البوارى بتشديد الياء : ضرب من الحصر تعمل من البردىّ معروفة بمصر إلى اليوم . اهـ والبوارى عندنا فى العراق تطلق على الحُصر التى تتخذ من القصب . وفى الحديث : إنه كان لا يرى بأساً بالصلاة على البوارى . قالوا : هى المعمولة بالقصب . راجع النهاية لابن الأثير والشارح فى بور

وفى ح ص ٦٥ : « مبرسم : أى به برسام ، وهو علة يهذى فيها » — قلنا : وهذا شرح عام يصدق على كثير من الأمراض

عليك أموراً سلبية : لن أصنع كذا ... لن أقول كذا ... على أن أدلتى الإيجابية كلها تلتق عند أبيك ؛ فكلتانا ـ لو علمت ـ تعيش له أكثر مما تعيش لنفسها . وأنا أعترف لك بأنى لا أستطيع أن أملأ فراغ غرفتيك ، مهما يكن ما بذلته أو سأبذله

وثمة أمر آخر يزعجنى ؛ فمنذ عودتنا لم تمس يد حجرتيك بتهوية أو تنظيف ، إذ لم أُردْ أن يلمس أشياءك أحد سواك . وتركُ الحجرتين بهـذه الحال إلى مدًى طويل مما لا يرضى ربّة بيت ... ولكنك ترَيْن من هذا مبلغ جهادى فى سبيل الاحتفاظ بأشيائك على حالها

وقد يكون من غرائب المصادفة ، إن لم يكن من الفأل السيئ ، أن أخط اسمى الجديد لأول مرة (تعنى لقب الزوجية) فى ذيل مثل هذا الخطاب الذى تُلْجئنى إلى كتابته ظروف كتلك التى نحن فيها ... وتقبلى تحيات صديقتك المخلصة :

« مرجريت كنيدى »

(جرجا) محمود عزت عرفة

التى يهذى فيها المريض . والصواب أن البِرْسام ، على ما فى بحر الجواهر — وهو معجم طبى قديم — : وَرَمٌ فى الحجاب الحاجز نفسه ، وهو الحجاب المعترض الذى بين القلب والمعدة ، وأما الحجاب الحائل الذى بين المعدة والكبد ، فما لم يقل به أحد من الفضلاء غير الطبرى » ا هـ

وفى ص ٥١ و ٦٦ جاء ذكر السِكْباج . وفى ح ٥١ قيل : « السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل . وهو فارسى معرَّب ، وفى ح ٦٦ مثل هذا الكلام . وفى ح ص ٥١ : « الهُلام : مرق السكباج يبرَّد ويصفى من الدهن » — قلنا : وكل من السكباج والهلام طعام . فالهلام فى كلام الشاعر طعام من لحم عجل بجلده ، وله معنى آخر فرعى هو مرق ... إلى آخر ما هناك . والسكباج : « لحم يقطع أوساطاً ، ويجعل فى القدر ، ويغمر ماء ، ويرمى فيه كُسْفُرَة خضراء وعود دارصينى قدر الحاجة ، وإذا غلى تخرج رغوته وزَبَدُهُ بالمغرفة وترمى ... » ، (راجع كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادى — ص ٩ من طبعة الموصل بعناية الدكتور داود الجلبى)

وفى ص ٧٦ : ولكن لما ضعف الدين وتحلحل ركنه ... وفى الحاشية تحلحل ركنه أى تزعزع وزال عن موضعه . ونحن نظن أن الكلمة هى تجلجل بجيمين . قال اللغويون وفى رأسهم المجد الفيروزابادى : تجلجل الشيء تحرك وتضعضع . يقال : تجلجلت قواعد البيت أى تضعضعت

ومن أغرب ما قرأته من التأويلات ما جاء فى ح ص ١١٠ إذ قيل : القِلْىُ ويقال فيه قِلَى كالى : هو شب العصفر ويتخذ من حريق الحمض . فما الذى أراده الناشران بشب العصفر ، وهل للعصفر شب ؟ إنما الوارد فى بعض كتب اللغة : وهو حب يشبب به العصفر بمعنى يزين ويحسن لونه ، وهو من التشبيب ؛ فأين الشب من التشبيب — يا سيدىَّ الأكرمين — وهل الشب والتشبيب شيء واحد ؟

وقال الناشران فى ح ص ١٣٦ : الطنطنة : حكاية صوت الطنبور وشبهه ؛ وصحيح التفسير هو : حكاية النقرات ، فالمزج مثلاً هو الذى تتوالى فيه نقراته نقرة نقرة وهذا رسمه : طَنْ ، طَنْ ، طَنْ ، طَنْ ، طَنْ ، طَنْ ، طَنْ . ومنهم من يقول : تَنْ بالتاء المثناة الفوقية فى مكان الطاء الثالثة وهو الأشهر في كتب القوم (راجع كتاب « مفاتيح العلوم » من ٢٤٥ من طبعة أوربة)

وورد فى ص ١٤٦ : وهكذا مصاريع أبيات الشعر ، فإنها تختلط بالنثر متقطعة وموزونة ومنتثرة ومنضودة ؛ والصواب عندنا وموضونة من وضن الشيء أى نضده

وفى ص ١٤٨ ورد هذا المثل : البطنة تذهب الفطنة . وذكره التاج بصورتين . فقد قال فى مستدرك أف ن : البطنة تأفن الفطنة . وهى الرواية المشهورة التى سمعناها ونحن أطفال . وذكرها فى مادة ب ط ن : البطنة تذهب الفطنة . وهذه الرواية دون تلك شهرة

وفى نص ص ١٦٧ : « ويُرْقى بهيا شَراهِيا . وعُلِّق عليها فى الحاشية : « هياشراهيا كلمة عبرانية معناها ياحى ياقيوم كما فى المصباح . وفى القاموس مادة شره : أَشَرْ أَهْيا ، بفتح الهمزة والشين : كلمة يونانية معناها ، الأزلى الذى لم يزل . والناس يغلطون ويقولون : أهياشراهيا ، وهو خطأ على ما يزعمه أحبار اليهود » ا هـ

قلنا : لو رجع الأستاذ أحمد أمين بك إلى أحد معلمى العبرية فى الجامعة المصرية فى لفظ هذه العبارة ، وفى أى لغة هى ، وما معناها ، لقال له : وردت هذه الفقرة فى سفر الخروج فى ٣ : ١٤ بهذه الحروف : أَهْيا أَشَرْ أهيا أى أنا هو الذى أنا أو : أنا هو الكائن . ويقابلها باللاتينية ego sum qui sum وباليونانية أو الإغريقية egô eimi oôn فهذه هى الفروق بين هذه اللغات الأربع ، إذن الصواب أنها بالعبرية ويجب أن تكتب كما كتبناها ، وما سواها فخطأ فى خطأ في خطأ والمعنى كما أعطيناه وهو يرجع إلى أن المراد من ذلك : أنا الموجود الذى لن أزال موجوداً

وورد فى ص ١٦٨ هاتان الكلمتان : « وكُمَّيْه القَنْدَّرين » ونحن نرى أن الصواب هو « المُزَّرين . بمعنى

سر المهنة في التزوير الخطى

للأمير عبد القادر الشهابى

التزوير عمل إجرامى يقصد به جر مغنم أو دفع ضرر ، وهذا يصح فى عرف العلماء على وجوه ثلاثة هى :

الأول — خلق شىء لا وجود له كوضع توقيع

الثانى — زيادة شىء من تاريخ أو رقم أو ما يماثل ذلك

الثالث — حذف شىء ، وهذا يتأتى بالحك أو الشطب الدقيق أو الإذابة أو الحل أو إزالة اللون بعرض الأشعة أو الأحماض أو بأى وسيلة أخرى . وخير وصف يطبق على هذا العمل الجنائى هو أن يقال : (إنه الإتيان بعمل لم يكن موجوداً) . وله أركان لا بد من توفرها :

١ — جلب النفع أو دفع الضرر

٢ — ألا يكون للشخص المجنى عليه علم به

٣ — هناك عنصر دقيق نص عليه كثير من الفقهاء الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين وفطنت له محكمة النقض والإبرام التركية فى أحكام لها ما بين سنتى ١٩١٢ — ١٩١٦ وهو أن يشترط فى التزوير تحقق ركن المحاكاة والمشابهة ، فإذا أريد تزوير ختم فلا يمكن أن يكون الشىء الذى يدعى تزويره ختما مستطيلاً ، بل ينبغى أن يكون مستديراً . وإذا كان الختم ذا زوايا فيجب أن يكون الختم المراد وصمه بالتزوير ذا زوايا . وهكذا يجب أن يتحقق عنصر المحاكاة والمشابهة . فإذا فقد هذا الركن زال عنصر التزوير من أساسه .

على أن المشابهة والشكل لا يؤثران فى الكتابة والإمضاءات بل فى مواقع أخرى تختلف عن غيرها ، إذ أحياناً لا يلزم استكتاب المتهم بحال وجود أوراق رسمية سابقة معترف بها تكون مداراً للتطبيق . ومن المهم حينئذ إلمام الخبير بروح الكتابة أى بمعنى (سر المهنة) وما زاد عليه من المشابهة والتناسب وتباعد النقط والأحرف فهذا شىء ثانوى بالنسبة للخبرة التامة بروح الكتابة ، وهى بالأحرى سر المهنة لما ذكر ؛ ويكفى الاستدلال بالسابق دون ما عداه مما يحدث أثناء التحقيق مثلاً ، لأن السابق على التحقيق يعطى الخبير الملم صورة صادقة لنفسية الكاتب الطبيعية وحالته النفسية بأجلى مظاهرها دون أن يسيطر عليه الجزع أو الفزع أو تؤثر فيه عوامل التحوير والتصنع ، فلا يكون إعطاء التقرير فى حالة كهذه وفى جانب العدالة أقوى مما لو كان فى حالة الهدوء الطبيعية السابقة

كذلك لو وجدنا إمضاء مطابقة للأخرى فى حجمها وشكلها وأبعادها حينئذ تعتبر إحداهما مزورة بلا نزاع

ولا يمكن إعطاء تقارير عن صور فتوغرافية ، ولا بد من أن نلفت حماة العدالة إلى هذا ، إذ كثيراً ما ينطوى تحته أمور أقل ما فيها وضع لثام كثيف على عيوب وجنايات تهضم بها الحقوق ، فيجب ألا تعتبر الصور الفتوغرافية ، بل يلزم أن يجرى التطبيق على نفس الأوراق الأصلية المطعون فيها مهما كانت الأسباب

أما التزوير ، فخير ما يقدم فى موضوعه الرجوع إلى ما ذكره غير واحد من أولئك الفقهاء وهو قولهم أن كل فرد يستوحى غريزته حين العمل مهما كان حاذقاً فى مزاولة جريمته ، ولا بد من

المشقوقين ، وشق الأكام شقاً واسعاً أمر معروف إلى اليوم فى العراق ، وهو أمر يكاد يزول فى العراق ، لاتخاذ الناس الثياب الإفرنجية ، لكننا رأينا هذا الأمر شائعاً فى وادى الرافدين قبل نحو خمسين سنة

على أن رأينا الأخير هو أن صواب العبارة : « وكُمَّيْهِ المُفَرْوَزَيْن ، وزان المُدَحْرَجَيْنِ » والمُفَرْوَز من الثياب ما كان محلى بالفرواز وهو هدْب منقش تزين به الأكام والثياب ويسمى بالفرنسية franges والكلمة فى الفارسية (بَرْوَاز) بالباء المثلثة المفقودة بهذا المعنى واشتق السلف منها فعلاً فقالوا : فَرْوَزَ الثوب أو الكم أى زيَّنه بالفراوز . وكان يتخذه أكابر النـاس والعلماء فى العهد العباسى . واستعماله باقٍ إلى اليوم عند أكابر شيوخ العرب وهو على شفا الزوال . ويزينون به أكمامهم إذا كانت طويلة واسعة مدخل اليد

(يتبع)

الأب أنستاس مارى الكرملى
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أن تطل غريزته من إحدى جزئيات أعماله ، فالكاتب الذى يبتدئ السطر أو الكلمة أو الحرف أو المقطع أو زاوية الحرف ، أو اعتاد أن يرسمها ، أو يحدث بها تعريجاً ، أو يظهر منه اضطراب ، لا بد وأن ينكشف أمره وتتغلب عليه عادته ، ولهذا لجأ القضاة والخبراء إلى أن استكتاب المتهم المجنى عليه فى أغلب الأحيان ، حتى قال بعض الباحثين الأمريكيين أن الخبير إذا كان حاذقاً ما استطاع أن يعرف الجانى فحسب ، بل استطاع أن يعرف نفسيته والظروف التى كانت تسيطر عليه حين الكتابة ؛ ولذلك كان على الخبراء أول ما يبادرون إليه بعد استكتاب المتهم الجمل والكلمات والأحرف أن يدققوا فى روح الكتابة . ومعنى هذا معرفة سر المهنة ، وأن ينظروا فى تلك الزوايا ويدققوا فيها وفى مبادئ الكتابة وانتهائها ، فإنها المظاهر التى يمكن أن تفضح الجانى . ولقد ارتقى فن كشف التزوير الخطى بارتقاء فن التزوير تبعاً لناموس الارتقاء العام ، وأصبحت هنالك الأشعة والأحماض والتلوينات ووسائل التحليل وما شابه ذلك من فحص حياة المكروبات الموجودة فى المادة التى كتب الخط بها لمعرفة عمر تلك المواد والمقايسة بين هذا وبين تاريخ المستند أو الخط . وهكذا أصبح لدى العلم وسيلة كيميائية لا تكذب ؛ فمثلاً إذا ادعى تزوير سند مؤرخ من ثلاثة أعوام ، وأمكن فحص المداد الذى كتب به ذلك المستند ، وظهر أن عمر هذا المداد لايتجاوز السنة ، هنالك يكون الإقناع التام بحدوث التزوير . وهكذا فى كل شىء يمكن أن يستفاد بالعلم لكشف الجريمة .

وقد قال بعض الباحثين يكفى أن يكون الخبير خبيراً بالخط بصيراً بفنونه وبالتصرف فيه فقط ، بل ينبغى أن يكون عالماً ، ولو على جانب لا بأس به من علم النفس والإحاطة بمقتضيات المجتمع الذى انتدب لفحص الخط المدعى تزويره فيه

وهنالك اعتبارات كثيرة ينبغى ألا تكون طبيعة فاحص الخط كطبيعة الإقليم الذى حدثت فيه عملية التزوير . فمثلاً البلاد المصرية وهى بلاد حارة قد يكون مرور بعض من الزمن فيها مؤثراً أضعاف مرور جزء من الزمن فى بلاد أخرى . كذلك تعاقب فصول متكررة من صيف بعد صيف على وقوع تزوير لا يمكن أن يمر دون أن يترك أثراً فى تطور الخط فيما يمكن أن يعرض له من التطورات . على أنه فى غضون خبرتنا وممارستنا للخطوط لاحظنا أن المداد العربى الأسود القديم الذى كتبت به المصاحف القديمة وغيرها كان أثبت على الزمن من غيره ؛ وإن كان آخرون يرون أن العين المجردة قد لا تستطيع ما تستطيعه الآلات العلمية الحديثة من اكتشاف التطورات مهما كانت بسيطة ومحدودة . على أن هنالك أنواعاً كثيرة من المواد المحدثة ضعيفة الثبوت تتنافى مع مستلزمات الأحوال ؛ بل يكفى مرور يسير من الزمن لحدوث تغيير فيها ، بل إن تعرضها للنور والهواء أو لمؤثرات أخرى قد يكون سبباً فى كشف حقيقتها .

بقى الشىء الوحيد الذى يمكن إخفاؤه والذى لا يهتدى إليه إلا بالاستكتاب ألا وهو الكتابة بالآلات الكاتبة ؛ فهذا الضرب من الكتابة قد يكون من الصعب اكتشافه لأن المصنع الواحد يخرج الآلات الكثيرة وكلها على غرار واحد ، فمن العسير ، بل من المتعذر معرفة الحقيقة ، إذ يمكن أن تتشابه تلك الآلات ولا يكون هنالك مجال إلا لفحص المداد الذى كان فى الآلة الكاتبة أو الشريط الذى يكتب به أو ما شاكل هذا .

وما دام العلم قائماً وما دامت الغرائز البشرية واقعة تحت تأثير عبادة المادة فسيظل الصراع عنيفاً بين العلم والإجرام حتى يعين الله العالم والعلم على وضع حد من نزوات الغرائز البشرية الجامحة هدانا الله إلى الحق وأذاقنا حلاوة اليقين

(القدس) **الأمير عبد القادر الشهابى**

أضعنا العمر . . .

[إلى نشوة قرية راحلة ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

تَعَالَىْ نَسْمَعِ النِّيلَ عَلَى الشَّطِّ يُنَادِينَا
وَفى كَفَّيْهِ خَمْرُ الْحُبِّ نَسْقِيهِ وَتَسْقِينَا
فَكَمْ دَارَتْ بِنَا الأَيَّا مُ لَمْ نَشْكُرْ لَيَالِينَا
وَكَمْ طَافَتْ بِنَا الأَحْلَا مُ لَمْ تَرْقُصْ أَغَانِينَا
تَعَالَىْ ... فَالْهَوَى حَيْرَا نُ يَبْكِى فى مَغَانِينَا
أَضَعْنَا الْعُمْرَ عُشَّاقًا وَضِعْنَا فى أَمَانِينَا
فَهَيَّا يَا غَرَامَ الرُّوحِ نَنْسَى كُلَّ مَاضِينَا
وَهَيَّا نَسْكُبُ الأَشْوَا قَ نَارًا فَوْقَ وَادِينَا
هُنَا الدُّنْيَا تُنَادِينَا هُنَا الْحُبُّ يُغَنِّينَا
تَعَالَىْ ... فَدُمُوعُ النِّيلِ ذَابَتْ فى مَآقِينَا
وَخَلِّ الْغَيْبَ مَهْمَا يَأْتِ بِالأَسْرَارِ يَأْتِينَا
إِذَا أَسْعَدَنَا الْحُبُّ فَمَا فى الْكَوْنِ يُشْقِينَا ؟
تَعَالَىْ ... قَبْلَمَا نَغْدُو وَرِيحُ الْمَوْتِ تَطْوِينَا
فَلَا سِحْرٌ ، وَلَا خَمْرٌ وَلَا كَأْسٌ بِأَيْدِينَا ...

هنـــا القاهرة ...

للأستاذ عبد اللطيف النشار

يقول « هُنا » كلٌّ ويعنى مكانه
فهل « لهنا » فى اللفظ معنى مشاركُ ؟
كقول « أنا » أو « أنت » أو كل لفظةٍ
ألا « أنَّ » كلاً فى المجاهل سالكُ
وأخدع نفسى إذ أحدّث سامعى :
متى اختلفت أغراضنا والمدارك ؟
وقد بان وجهُ الْخُلْفِ لو أنَّ بيننا
من الكون شىء وهو أسود حالك
ولكن أمراً فاته الخلف وحده وذلك أن الكون أجمع هالك !

سجين الأغصان

للأديب حسين محمود البشبيشى

[كان لى حظ مشاهدة الغراب السجين بين أغصان الكافورة الشجراء ، وكانت لى فرصة التأمل فى مقال أستاذنا الكبير الزيات : « غراب وطفل » ... فصفت هذه القصيدة نفحة من سحر مقال صاحب (الرسالة)]

« حسين »

غمرته أوهام الحياة وفرحة الوكر الجميـــلْ
فمضى يصفق طائراً للعش والدوح الظليل
فى قلبه أمل الحياة شـــدا بأنغام البقاء
وبثغره نغم الطبيعة رنَّ فى أفق السماء
وبروحه من بهجة الدنيا نشيدٌ ونغم
وجناحه الجبــــار يسخر بالرياح وبالألم
وبعينه يتـــدفق الإيمان بالأمل القريب
يبـــدو وراء الأفق بساماً ومن خلف الغيوب !
فغدا يصفق فى الفضاء يهيم بين ظنونهِ
يا ليته قد كان يعلم ما وراء حنينه !
غمرته آمال اللقـــاء وفرحة الدوح الحبيب
فمضى يجاهد طائراً ... يا لهفة الطير الغريب !
أشجته أصـــداء العهود ترنّ فى أفق الفضاء
أصداء أنغام الربيع تعيـــد أيام الصفاء
أصـــداء تغريد البلابل فى تلافيف الغصون
كثرت عليه الذكريات فجن من فرط الحنين
قد حنَّ للوكر الجميـــــل وللأزاهر والطيور
للفجر أقبـــل حالماً ليـــذوب فى ثغر الزهور
للنجم ... للنجم الشريد تبـــــدّدت ألوانه
للنيـــل فاض على الضفاف وصفقت شطئانهُ
للزورق الفنان يرقص من ترانيم الوداع
هزّته أوتار الرياح سرت يداعبها الشراع !



مثالان

على ذكر مقال فضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى وفتوى صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير عبد المجيد سليم قرأت في مخطوطة بعنوان « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » تأليف الإمام أبو محمود أحمد بن محمد بن ابراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسى[1] .

قال : « وروينا فى سنن ابن ماجة قال : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا (أبو) معاوية عن خالد بن أياس عن يحيي بن عبد الرحمن ابن خاطب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أول من أسرج المساجد تميم الدارى[2] » .

وروى أبو القاسم مكى بن عبد السلام الحافظ بسنده إلى أبى الحسن البراد قال : قدم تميم الدارى من الشام إلى المدينة وحمل معه قناديل وحبالاً وزيتاً وسبحة[1] حتى قدمنا المدينة وكانوا إذا حضرت العتمة أوقدوا سعف النخل ؛ فلما أمسينا أمرنى تميم فعلقت الحبال بالسوارى وعلقت فيها القناديل وصببت فيها الماء والزيت ووضعت الفتل ، فلما أمسينا أمرنى أن أوقدها فأوقدتها ؛ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نورت يا تميم المسجد نور الله عليك ! أما إنه لو كانت لى ابنة لأنكحتكها . قال نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إن لى ابنة فافعل فيها يا رسول الله ما رأيت ؛ فأنكحه إياها .

قال أحمد بن الحسن : ودعى تميم جدى أبا الحسن البراد فأعقبه[2] فى المكان وأتمنا فلما كان يوم الجمعة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس قائماً ؛ فلما انصرف قال له تميم : يا رسول الله إنى قد رأيت بالشام شيئاً يضمونه فى كنائسهم لأساقفتهم يسمى المرقاة ؛ أفلا أعمل لك مرقاة تقوم عليها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعملها يا تميم . فخرج تميم إلى السوق فاشترى خشبة ونشرها وعمل منها ثلاث درجات المنبر ففضل من الخشب فضلة فعملها تابوتاً فهى عندنا إلى اليوم نضع فيه نفاقاتنا ونتبرك به[3] .

(بيت المقدس) أحمد سامح الخالدى

(١) ألف هذا الكتاب سنة ٧٥٧ وكان مولد صاحبه سنة ٧١٤ وتوفى سنة ٧٦٥ هكذا فى كشف الظنون والمخطوطة فى خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس ولدى كاتب هذا المقال نسخة من هذه المخطوطة استنسخها من المكتبة الظاهرية بدمشق . والنسخة الخالدية يرجع نسخها إلى سنة ٩٨٧ هـ

(٢) سنن ابن ماجه ص ١٣٣ .

(١) فى المخطوطة الخالدية (وشيحة) ؟ أما فى النسخة الظاهرية (وسبحة)

(٢) فى الخالدية والظاهرية (فأعتقه على) .

(٣) فى سنن ابن ماجه ما يشبه هذا ولكن بدون ذكر تميم وما ورد فى هذه الرواية من التفصيل . (ص ٢٢٣) .

إلى قراء الرسالة

(١) طالعت فى كتاب Alexandria A History and a Gide تأليف E. M. Forester طبع Whitehrad Morris Litmited : Alexandaria سنة ١٩٣٨ ما يأتى بالمقدمة :

I shall never forget the kindness that I have received at Alexandaria, and in no wise endorse the verdict of my predecessor the poet Gelal ed Din ben Mokram who monstrously asserts that :

" The visitor to Alexandria receives nothing in the way of hospitality.
Except some water and an account of Pompey's puillar.
Those who wish to treat him very well go so far as to offer some fresh air.
And to tell him where the Lighthouse is.

كثرت عليه الذكريات فجن من فرط الحنين ...
... فإذا به بين الغصون تكاد تقتله الغصون ! !

***

عجباً ... أتأسرك الغصون وكنت سر جمالها ؟
غرَّدت فى جنباتها ورتعت بين ظلالها
علمتها لحن القلوب جرى بثغرك وانسجم
وسكبت فى أزهــــارها خمر المناءة والنغم
لهفى عليك ... بأى عين تبصر الدوح الخئون
وبأى قلب فى القلوب تُحس آلام السجين
ماذا جنيت ؟... وما جنيتَ سوى المحبة والوفاء !
للوكر والدوح الظليل وللأزاهر والإخاء ... !

They also instruct him about the sea and its waves,
Adding a description of the large Greek boats.
The visitor need not aspire to receive any bread,
For to a request of this sort there is no reply."

فمن هو جلال الدين بن مكرم هذا ؟ وما هو الأصل الشعرى لما ترجمه كاتبنا فورستر ؟

مصطفى الشهابى
مدرس الآداب بالناصرية

(٢) جاء فى كتاب عيون الأخبار (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٠) بالجزء الثالث فى الصحيفة ذات الرقم ٢٠ ما نصه :

« وقال أكثم بن صيفى : أحق من يشركك فى النعم شركاؤك فى المكاره . أخذه دعبل فقال :

إن أولى البريا أن تواسيه عندالسرور لمن آساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وجاء فى ديوان أبى تمام (طبعة محمد صبيح سنة ١٩٤١) فى الصحيفة ذات الرقم ٢٥٥ ما نصه :

أولى البرايا حقاً أن تراعيه عند السرور الذى آساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فلأى من الشاعرين البيتان ؟ وما صحة رواية البيت الأول ؟

موسى صفى

الجنس الرشيق

أهدى إلى الأستاذ محمود يوسف كتابه « الجنس الرشيق » فتوقعت أن أرى فيه دفاعاً بحق وبغير حق عن المرأة فى كل حالاتهـا ، من كاتب ضالع فى الحركة النسوية اختار لأول مؤلف له هذا الاسم . إلا أنى وقد قرأته رأيت أنى كنت مسرفاً فى سوء الظن

لقد عرض المؤلف لكثير من المسائل المتصلة بالمرأة فى حذق ومهارة وبصراحة وجرأة جعلته شديداً بحق على من أساء من الفتيات وأولياء أمورهن فهم المرأة ورسالتها ، وما يجب أن تكون عليه من الآداب الرفيعة الحازمة ، ولم ينس أن يلقى التبعة فى كثير من الحالات على الرجال وأشباه الرجال من الذين يغررون بالمرأة ويزجون بها فى حفلات هى مزالق للرذيلة زاعمين أنهم يجمعون للبر ...

لنسمع له يقول فى حفلة الطفولة المشردة الآثمة : « أفهم أن فى مصر طفولة مشردة ، وأفهم أنه يجب أن يعمل على إنقاذ هذه الطفولة البريئة ، وأفهم أيضاً أن للمرأة نصيباً كبيراً فى هذا الإنقاذ ؛ ولكنى لا أستطيع أن أفهم مطلقاً أن وسيلة هذا الإنقاذ تكون مساهمة المرأة مع الرجل فى التهتك العلنى والدعارة المقنونة والتبذل الخليع من سهر الليل حتى الفجر ... كل ذلك تلقاء قروش لا تسمن الطفولة المشردة ولا تقيها من جوع . لعمرى إن مثل هـذه الحفلة الراقصة ... هى ويا للأسف معمل لتفريخ طفولة مشردة ... موعدنا منها بعد تسعة شهور من تلك الحفلة الخيرية ! »

هذا الكلام الحر الجرىء نجد له أمثالا كثراً فى مناسبات عديدة بالكتاب الذى يجب أن يقرأه الشبان والشابات والأزواج والآباء ، على ما فيه من آراء لا أتفق مع الأستاذ الكاتب فيها . من ذلك رأيه فى أن المرأة نظير الرجل فى الدين والدنيا . أفى كل الشئون ؟ وإن من السهل أن توفق المرأة بين عمل وتكوين أسرة ، ومطالبة بحق النيابة لها

وللأستاذ الفاضل المؤلف خالص تحياتى

محمد يوسف موسى
المدرس بالأزهر

تأبط شرا

كتب الأستاذ أحمد أمين فى مقاله (فارس كنانة) فى العدد ١٨٤ من الثقافة ما نصه : « ثم يذكرون له من اشتهر بالفتك فى الجاهلية ، كثابت بن جابر ، والبراض ، وتأبط شرا » ومدلول هذا الكلام يقضى :

١ — بأن تأبط شرا من شعراء الجاهلية

٢ — أن تأبط شرا فاتك آخر غير ثابت بن جابر

وفى كلتا القضيتين نظر ، كما يقول الأزهريون

أما الأولى : فقد حكى شراح الحماسة أنه كان ربيب

أبي كبير الهذلي ، ونص التبريزي على أن أبا كبير أدرك الإسلام وإن كان صاحب بلوغ الأرب يقول : إنه من فحول الجاهلية وفرسانها ، فلعله حكم عليه حكمه هذا باعتبار أنه أدرك طرفاً من الجاهلية فنَسَبَهُ جاهلياً كما يجرى على ذلك بعض المؤلفين

وأما الثانية : فقد نصت كتب التراجم وكتب اللغة واتفقت على أن تأبط شراً هو أبو زهير ثابت بن جابر من بنى فهم ولم يحك أحد منهم فى ذلك خلافاً — اللهم إلا ما حكاه صاحب بلوغ الأرب ج ٢ ص ١٤٣ قال :

« وزعم بعضهم أن اسم الشنفرى ثابت بن جابر وهو غلط » اهـ .

ولعلَّ لدى الأستاذ الجليل سنداً لكلتا القضيتين .

كامل السيد شاهين

١ — تصويبات :

جاء فى العدد « ٤٦٩ » من (الرسالة) الغراء فى مقال الأستاذ السيد يعقوب بكر « شعر على بن أبى طالب »

محمد النبى أخى وصهرى وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمسى يطير مع الملائكة ابن عمى

والصواب (ابن أمى) كما فى معجم ياقوت ج ١٤ ص ٤٨ ط دار المأمون ، والسيرة النبوية ج ١ ص ١٧٧ ط المطبعة الأزهرية وديوان أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ص ٥٨ المطبعة العلمية

وقد جاء فى معجم ياقوت بعد قوله : « سبقتكم إلى الإسلام طرا ... الخ »

وأوصانى النبى على اختيار ببيعة غداة غد برحم
فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غداً بظلم

وفى الديوان :

وأوجب لى ولايته عليكم رسول الله يوم غد برحم
أنا البطل الذى لم تنكروه ليوم كريهة وليوم سلم

وقد ذكر الأستاذ صاحب المقال بيتاً آخر للامام على هكذا :

من أى يومىَّ من الموت أفرّْ أيوم لم يقــدر أم يوم قُدِرْ

والبيت على هذا الوضع لا يتفق مع ما جاء بعده لأنه من بحر الرجز وقد جاء فى ديوان الإمام على هكذا :

أى يومىَّ من الموت أفر يوم ما قــدر أو يوم قدر
يوم ما قدر لم أخش الردى وإذا قدّر لم يغن الحذر

وهما من الرمل ، على أنه إذا صح أن ديوان الحماسة لم يذكر غيره فإنه يكون مكسوراً ، لأن « لم » تقتضى الجزم وهو لا يتمشى مع الوزن

٢ — حول السناد فى الشعر

وجاء فى نفس العدد « البريد الأدبى » كلمة للأستاذ محمود عزت عرفة بعنوان « السناد فى الشعر » خطأ فيها الأستاذ محمود حسن اسماعيل ، حيث قال :

« أخطأ الأستاذ محمود حسن اسماعيل فى صوغ قوافى قصيدته (نشيد الأغلال) المنشورة بالعدد ٤٦٦ من الرسالة فهو قد أردف فى بعضها بحرف الياء كقوله : سريرتى ، البعيدة ، الحميلة ، جديدة ... الخ »

وهنا لا يوجد ردف إذ أن الردف هو حرف مد قبل الروى كقول الشاعر :

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

كما جاء فى متن الكافى ، وفرق بين مشيب وسريرتى وما دام قد انتفى الردف فقد انتفى السناد ... « وإذا كان ثم سناد فمن أى أنواع الخمس ؟ »

أحمد يوسف محمد

حكم فى القضية ن ١٥٢٤ عسكرية طنطا سنة ٩٤٢ ضد محمد السيد بدر بالحبس شهر بالشغل والنفاذ والنشر والتعليق بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ٩٤٢ وذلك لعرضه لبيع خبزا بسعر أكثر من المحدد

حكم فى القضية العسكرية ن ١٠٢١ طنطا سنة ١٩٤١ ضد ابراهيم حنا عوض بتغريمه ٢ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ١٨ مارس سنة ٩٤٢ وذلك لبيعه بنزينا بسعر أكثر من المحدد

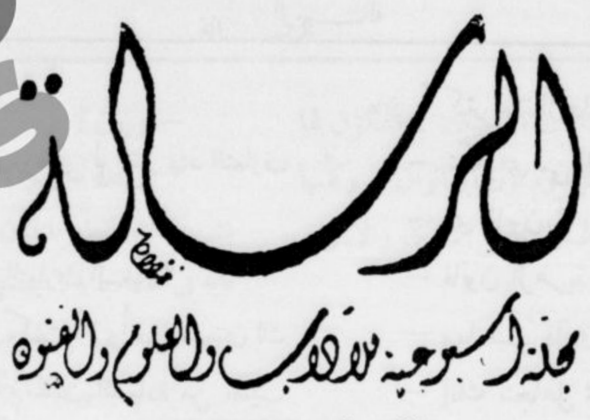
حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٠ مايو سنة ٩٤٢ على محمود حسن بدوى جزار بكوم حمادة بالحبس شهرا مع الشغل والنفاذ وغلق محله ثلاثة أيام والنشر والتعليق على مصاريفه لبيعه لحوما بأزيد من التسعيرة فى القضية ن ٨٩٢ جنح عسكرية سنة ٩٤٢

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 474 — Lundi - 3 - 8 - 1942





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٤ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ٣ أغسطس سنة ١٩٤٢» السنة العاشرة

الفهرس

١٩٠٦

سجينة الزهرية

[كلمة تفصل ألواناً من أوهام العقول وأحلام القلوب ...]

للدكتور زكى مبارك

الزهرية إناء صغير مختلف الأشكال ، فيكون حيناً لحفظ الزهيرات أياماً بتغذية الماء ، ويكون حيناً لحفظ الشجيرات أعواماً بتغذية الطين ، وباختلاف ما يحفظ يختلف شكله بعض الاختلاف

وحديث اليوم عن شُجَيْرَة حُفِظَتْ فى زَهرِيَّة ، فظلت كيومها الأول فى النمو والنضارة بضع سنين ، مع أن أختها المنقولة إلى وعثاء الأرض فى الريف بلغت مبلغ الدوحة الباسقة فى أقصر زمن وبأيسر عناء

هل كان يغيب عنى السبب فى تفاوت الحظ والمصير عند هاتين الأختين ؟ لا ... وإنما أردت أن أعرف من أحوال « سجينة الزهرية » أكثر مما أعرف ، فدار بينى وبينها الحوار الآتى ذات صباح :

— كيف حالك ، أيتها الشجيرة الغالية؟

— حال من يعيش تحت حماية القوانين !

— أنتِ إذاً سعيدة ؟

— سعيدة جداً ، ألا ترى أن وجهى لم يتغير منذ التعارف الأول ؟ !

— وإلى أى عهد يرجع ذلك التعارف السعيد ؟

— أنت تعرف التاريخ ، فقد كنت أنا وأختى هديتين لك من حديقة الصديق (. . .) ، ثم كانت السعادة من نصيب أختى ، وكانت الشقاوة من نصيبى !

— ألم تقولى : إنك سعيدة ؟

— حسبتُك فهمتَ مرادى حين أخبرتُك أن وجهى لم يتغيَّر منذ التعارف الأول !

— وهل تكون السعادة فى غير الثبات على نضارة الشباب ؟

— أهذا هو فهمك للسعادة ، أيها الآدميُّ الحصيف ؟

— وما فهمُكِ أنتِ للسعادة ، أيتها الشُّجيرة الحمقاء ؟

— أخرجنى من سجن القانون لأملك الرد عليك !

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية

— وما عيبُ قانون الزهرية ؟

— إنه يحبسنى فى تربة قصيرة المجال

— ولكنه لا يحبسك عن السماء ، وهى أرقُّ من الأرض وأنفس !

— السماء للفروع ، والأرض للجذور ، ولا فرع لشجرة لم يَثبتْ أصلها فى الأرض ، فأمكِنْ جذورى من الأرض ، لأطاول السماء بفروعى ، كما صنعتَ مع أختى

— لستُ مسئولاً عن تدليل الأخوات !

— ولستُ مسئولة عن إمتاعك بدوحة تصدّ الهجير عن دارك .

— أفصحى ، أيتها الشجيرة ، عما تريدين

— أنت فرّقت بينى وبين أختى ، ثم أنصفتَها وظلمتنى !

— قولى غير هذا القول ، فقد حفظتُكِ بدارى فى مصر الجديدة ، وأرسلتها إلى دارى فى سنتريس ، ودارى هنا تنال من رعايتى أكثر مما تنال دارى هناك . فما شكواكِ ، أيتها البلهاء ؟!

— شكواى من القانون !

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية

— وما عيبُ قانون الزهرية ؟

— إنك تتجاهل تجاهل العارف

— ولعلنى أتعالم تعالم الجاهل !

— حوشيتَ من تعالم الجاهلين ! وهداك الله إلى إخراجى من سجن القوانين !

— أوضحى يا بُنَيّتى

— إخلع نعليك أوضح لك !

— يا سفيهة ؟

— لست بسفيهة ، وإنما أحبُّ أن تحدثنى عن السبب فى طول قدميك

— كان ذلك لأنى كنت فى طفولتى وحداثتى من الشياطين ، والشياطين لا يلبسون النعال ، فطالت قدماى !

— وهنا الشرح لقول العرب « فلانٌ ثابت القدم » فالقدم لا تَثبُت إلا بعد اتصافها بالعَرض والطُّول

— تلك عبارة مجازية

— العبارة المجازية فرعٌ عن العبارة الحقيقية ، فالقدم لا تطول إلا بفضل التحرر من القيد . والنعل قيد ، وإن زعموا أنه يقى القدمين متاعب الحفاء ، وهو يصنع بالأقدام بعض ما تصنع الزهريات بالشجيرات

— أوضحى ، يا حمقاء !

— الزهرية حفظتْ علىَّ شكلى الأول ، فأنا كما عهدتَ منذ سنين ، والمخلوقُ الذى لا يتغيَّر ميِّتٌ ميت ، لأن الحياة تجدُّدٌ وتغيُّرٌ وتبديل ، وذلك حظ أختى التى حُرِّرت من قانون الزهرية فأُلقيت فى أحضان الأرض البَراح بسهول سنتريس

— أوضحى ، ثم أوضحى !

— عند التحرر من سجن الزهرية يكون من حق الشجيرة

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

أن تساور ما فى الأرض من زادٍ طيّب أو خبيث ، فتكون لها طعوم مختلفات ، ويكون لها فى كل يوم لون أو ألوان ، وكأنها الأديب الذى يقرأ فى لغات مختلفة لحكماء مختلفى الأفكار والأذواق

— أوضحى ، أوضحى !

— خلّصنى أولاً من سجن القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية

— ولكن هذا القانون هو الذى حماك من التغير والتلون ، وحفظ عليك هذا الشكل الجميل ؟

— الجمال الذى لا يتغير ولا يتلون هو جمال التماثيل ، وأنا شجرة لا تمثال

— أيجوز أن أساعدكِ على التغيُّر والتلوّن والتقلُّب ؟

— ليكون من حقك أن تقول إنك أبدعتنى

— أنا أُبدع التلون والتغير والتقلب ؟

— ليكون من حقك أن تقول إنك تتأدب بأدب الله ، وهو عز شأنه قد افتنّ أعظم الافتنان فى إبداع الألوف والملايين والبلايين من الملامح المختلفات فى اللغات والطباع والأحاسيس . وإذا كان رقم الديشيليون صورة وهمية فهو فى أفعال الله صورة تقريبية ، لأنه قد يعرّض الفرد الواحد من عباده لآراء وأهواء تفوق الدشالين

— وتريدين أيتها الشجيرة أن تكونى كذلك ؟

— خلّصنى أولاً من سجن القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية !

— يظهر أننا لن ننتهى من هذا الحوار السخيف !

— أَمِن السخف أن أطالب بحقى فى الحرية ؟

— أية حرية ؟

— حرية الجذور فى اعتصار أمواه الأرض

— وفى تلك الأمواه ما هو خبيث

— الحياة لا تعرف الفروق التى يعرفها الآدميون فى تقسيم الأشياء

— ماذا تقولين ؟

— أقول إن الحياة مزاجٌ من الُحلو والمُر ، والطيِّب والخبيث ، وهى نفسها لا تلتفت إلى هذه التقاسيم ، ولعلها تجهل الفرق بين الريح الصَّرصر والنسيم العليل

— وإذن ؟

— وإذن لا يكون الخير كل الخير لشجيرةٍ مثلى أن تكتفى بشرب الماء المقطَّر ، وأن تعيش فى تربة ضيقة الحدود ، وإن كانت غاية فى النقاء ، ولا ينفعنى بشىء أن تتلطف فتحيينى فى غدوك ورواحك مرةبالعربية ومرة بالفرنسية ، كأننى إحدى بنات الجيران!

— لم يُثمر فيك الجميل ، يا شقية !

— أىَّ جميل ؟ خلّصنى من سجن الزهرية لأمتصَّ ما فى الأرض من عذوبة ومُلوحة ، ولأصاول ما فيها من أسباب النعيم والشقاء ، فما تضخم شجرة ، ولا تستفحل فِكرة ، ولا يستحصد عقل ، إلا بمكابدة ما فى الوجود من أطايب وصعاب

— وما جزائي على الصنيع المنشود ؟

— هل تجهل أنى سأصير دوحة تصدُّ الهجيرَ عن دارك ؟

— لا أجهل ، ولكنى أخاف عليك عواقب الطول والإيراق

— ما تلك العواقب ؟

— أنت اليوم فى أمان لأنك صغيرة محبوبة ، فإذا ضخُمت وطُلت وعَظُمتِ فقد صار من حق كل سفيه أن يرجمك بالحصيات الغلاظ لتجودى عليه بشهى الثمار ، أو لينتفع بأوراقك فى تغذية الدوابّ

— الشجرة الكريمة تجود بالثمر والورق ، قبل السؤال

— هذا كلام فى كلام !

— خلّصنى من سجن الزهرية ، ثم اختبر أخلاقى فى البخل والجود

— أنا أعرف أنك من سلالة بخيلة

— البخل عن إرادة بابٌ من أبواب العقل ، ومهما بخلتُ فلن أبخل عليك ، فلن يغيب عنى أنك تملك إروائى وإظمائى ، وأنك قد تصيّرنى حطباً حين تريد ، فأنا مقهورةٌ مقهورة على مسايرة هواك

— ما أنت شجرةً ، إن أنتِ إلا روحٌ جريح

— نعم ، فقد تقدّم أترابى وتخلفتُ ، بفضل الحياة تحت حماية القوانين

— قولى كلاماً غير هذا ، فبفضل قانون الزهرية عشتِ فى أمان ، من الغربان

— لأنى بقيتُ صغيرة محبوبة أتلقّى التحيات الآدمية فى الصباح والمساء ؟

— هو ذلك !

— أنت إذن تجهل فرح الدوحة العظيمة بأن يكون عَرَقُها غذاء للنِّمال ، وبأن تكون أعاليها ملاذاً لكل خائف ، وبأن تكون ثمارها منية كل جائع ، وبأن تكون عرضة فى كل وقت لتطاول الأوباش والسفهاء.

— وما الموجب لهذه المتاعب ؟

— العظمة فى جميع الخلائق من جماد ونبات وحيوان وإنسان لا يتصورها الوهم أو الحس أو العقل إلا محفوفة بالمكاره والصعاب . وليست السعادة بالميزان الذى نعرف به الأقدار الصحيحة لمختلف الخلائق ، وإنما الميزان الحق هو الشقاء بالخلق وقد سمعت أنه أشرف ما ظفر به الأنبياء

— إن كان الشقاء هو ما تبتغين فقاسميني حظى ، يا شجيرتى الغالية

— أنا أطلب الاستقلال

— حتى فى الشقاء ؟

— حتى فى الشقاء ، لأشعر بقوة الذاتية

— وهل تضعف الذاتية حين يتساقى المحبون كأس العذاب ، شفةً إلى شفة ، وقلباً إلى قلب ؟

— أنت تحبنى ؟

— وأى حبّ ؟ ألا تذكرين أننى سقيتك مرات كثيرة من دموعى ؟

— متى كان ذلك ؟

— إن ذلك يقع فى كل يوم ، وفى غفلة الجنّان ، فأنت وليدة الحب والدمع ، لا سليلة الماء والطين

— وكيف خصصتنى بهذا البِرّ النفيس ؟

— جمع بيننا اليُتم القاسى ، فأنت يتيمة فى صحراء مصر الجديدة ، وأنا يتيم فى بيداء الوجود ، ولن تظمأى ولن تجوعى وأنت فى ضيافة قلبى وروحى ، وما حبستك فى سجن الزهرية إلا رغبة فى أن يطول نعيمُك بالطفولة الغافية ، أيتها اليتيمة العصماء ... خذى حياتك أيتها الشجيرة من عطفى وحنانى ، فما لك بعدى أبٌ ولا أخٌ ولا صديق ، أنا نصيبُك من دنياك كما كنت نصيبى من دنياى ، وضلوعى هى زادك من القُوت إن عزّت الأقوات

— أ كنتُ حقاً نصيبك من دنياك ؟

— أنتِ الصديق الذى لم يتغيّر فى مدى سبع سنين ، فأوراقُك أوراقك ، ومَرآك مرآك ، بفضل القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية ، يا بلهاء ، فهو الذى حفظ عليك نعمة الشباب

— وتريد أن أظل يتيمة طول حياتى ؟

— لا يوصَف باليُتم غير الأطفال ، فإن أبحتُك مُلوحة الأرض فلن تظفرى بعد اليوم بملوحة دمى ، لأن الأرض ستصيّرك بعد قليل مرأةً شمطاء

— سعادة القاصرين لا تقاس إلى شقاوة الراشدين

— أوضحى ، يا حمقاء

— قد أوضحتُ ، ثم أوضحت ، فأتمّ جميلك وامنحنى الحرية والاستقلال

— منحتك الحرية والاستقلال

— كنتَ بالأمس راعياً وأنت اليومَ صديق ، وما أبعد الفرق بين الراعى والصديق

زكى مبارك

٤ ـ كتاب الامتاع والمؤانسة

الجـــزء الثـــانى

للأب أنستاس مارى الـكرملى

قيل فى نص ص ١٦٩ : « وغرّق نفسه فى كِرْدَاب كلواذى » وجاء فى الحاشية : « والجرداب كلمة فارسية معناها دوامة الماء ، وهى وسط البحر ولجته التى يدوم عليها الموج ؛ وهى بالجيم . ولعل العرب كانوا ينطقونها بالـكاف » قلنا : الـكلمة الفارسية هى كرداب بكسر الـكاف الفارسية أو المعقودة . ويعرب العرب هذه الـكاف مرة بالجيم ، وتارة بالقاف ، وأخرى بالـكاف العربية . أما هنا فلم يعربوها إلا بالـكاف العربية . أما قول الناشرين فى الحاشية : الجرداب . . . معناها دوامة الماء وهى وسط البحر ولجته التى يدوم عليها الموج » فتعبير غريب لم نجد نظيراً له ، لأن دوامة الماء قد لا تـكون فى وسط البحر ، بل فى أعمق مكان من النهر ، كما هو متعارف فى دجلة واللجة غير الدوامة ، وغير وسط البحر . وأما قولها : « يدوم عليها الموج » فشهور التعبير هو « يدوم فيها الماء » لا الموج . راجع ما قالوه فى تعريف (الدُرْدُوْر) وهو يقابل الجِرْدَاب الفارسية .

وفى ص ١٧٠ : « ولعمرى من غُلِّطَ غَلِط » وعندنا أن الصواب هو من غَلَّط (بصيغة الملوم) غُلِّط . (بصيغة المجهول من باب التفعيل) .

وجاء فى ص ١٧٣ : « وتفتلت وتقتلت » والصواب وتقلبت

ورد فى ص ١٧٥ « إن صرَّحت له كَنَى وإن كَنيتَ له صرَّح » وعندنا الأحسن أن يقال : إن صرَّحت له كَنَّى وإن كنيت له صرح ليكون الفعلان من باب التفعيل ، فيحسن وقعهما فى السمع ، ويكون أيضاً من باب المزاوجة فى الوزن . هذا فضلاً عن أن التكنية شائعة كالـكناية .

وشرح الناشران فى ح ص ١٨٠ الفقاع بقولها : شراب يتخذ من الشعير . فهذا كلام اللغويين ، وكنا نود أن ينقلا المصطلحات العلمية ومعانيها عن أهل الفن ، ولا يكتفيا بتعريف اللغويين ، لأن خاصية هؤلاء الأفاضل شرح معنى الـكلمة من باب الإجمال لا من باب التخصيص ؛ وذلك أن اللغويين شرحوا بشراب يتخذ من الشعير كُلاً من الألفاظ الآتية : الفقاع ، والمِزْر والجعة . ولا جرم أن السلف ميزوا كل لفظ عن أخيه حتى لا يهيم القارىء فى هيماء الضلال . فقد شرح التميمى الفقاع بقوله : يتخذ على ضروب . وذلك أن منه ما يتخذ من دقيق الشعير المجفّف المطحون المخمَّر بالنعنع والسذاب والطرخون وورق الأُتْرُجّ والفلفل ... وأما المتخذ من الخبز السميد المحكم الصنعة ، والـكرفس ودقيق الحنطة المنبتة ، أو من دقيق الشعير المنبت فإنه أقل ضرراً من الأول . . . وقد يتخذ منه ساذجاً بماء خبز السميد المحكم الصنعة مُروَّقاً ، ونقيعة المسك والمصطكى فقط ، مع قلب نعنع فى كل كوز ، وقلب طرخون فقط ... وأما ما يتخذ من الحنطة والشعير والجاورس ، المنبتة ، من الشراب المسكر المسمى بِعُنْصر المِزْر ، فإنها أنبذة تُسْكر إسكاراً شديداً غير أنها تبتعد عن قُوَّتِهِ ومنافعه بُعداً شديداً »

ذكرنا بعض هذا الـكلام مع طوله ليتبين للقارئ أن الفقاع أَضْرُبٌ ، وليعتمد على أهل الفن والصناعة فى الأوضاع العلمية ، ولا يكتفي بأقوال اللغويين

وجاء فى ص ١٩٦ : وقال الوزير [أدام الله أيامه] ... قلنا : هذا دعاء بالخير لا يتحقق ألبتة . والأحسن ، أو الأقرب إلى الفعل ، أن يدعو الإنسان بما يتحقَّق ، فيقول مثلا : أطال الله أيامه !

وقال الناشران فى ح ص ١٩٨ : إذ المطرّى هو المقلوب إلى مُطيَّر فالمطيَّر مقلوب إليه . ولعل الصواب : إذ المطرى هو مقلوب مطيّر فالمطير مقلوبة

وفى ح تلك ص : وعدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً فيها . ولعل الأصوب أن يقال : وعدة أبياتها أربعة وثلاثون أو وأبياتها أربعة وثلاثون ، أو وعدة ما فيها أربعة وثلاثون بيتاً ، أو نحو هذا التعبير

وفى ح ص ١٩٩ فى كلتا النسختين : يمين من لا يمين وهو تصحيف والتصويب عن شعر ... والأحسن أن يقال : والتصحيح ليكون المعنى وتصحيح التصحيف . أما قولها والتصويب ، فيكون معناه وتصويب التصحيف . فيكون التصحيف صحيحاً لا خطأ ، لأن اللغويين يقولون صوَّب فلاناً قال له أصبت وصوب رأيه ، وقوله حكم له بالصواب . وقد جاءت التصويب مرتين فى تلك الحاشية

وورد البيت الـ ١١ فى ص ٢٠٠ هكذا :

تـكفيهُ حزَّةُ فِلذانٍ أَلمَّ بها من الشواء ويكفى شربهُ الغمرُ

وفى الحاشية الحزة القطعة من اللحم تقطع طولاً ، والفلذان جمع فلذة وهى القطعة من الكبد واللحم . قلنا هنا خطأ غريب بل خطآن غريبان : الأول أنهما قالا الفلذان جمع فلذة وفِعلة بالكسر لا تجمع على فعلان بل فعل المكسور وبلا هاء فى الآخر ؛ والخطأ الثانى الغريب هو أنهما قرآها فلذان مع أن الصحيح هو فلذة كِبد (بفتح الكاف أو كسرها) إن، كما قرآها أول مرة فى ص ١٩٨ س ١ . فيا للعجب لهذه القراءة ولهذا التأويل ولهذا الخطأ ، إذ جعلا كلة واحدة ما هو فى كلتين !

٥ – أوهام التعبير والانشاء والفكر

جاء فى ح ص ٢٧ : « أو لعله كتبها واكتفى بإرسالها إلى الوزير » والصواب : « واكتفى بالإرسال بها إلى الوزير . (راجع شرح الطرة عن الغرة طبع دمشق سنة ١٣٠١ ص١٥٦)

وفى ض ٣٩ « وها هو بين يديك » والصواب : وها هو ذا بين يديك (راجع مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٤ و ٢٣٥)

وفى ٤٢ « وقال السيد المسيح : إن استطعت أن تجعل كنزك لا يأكله السوس ولا تدركه اللصوص – فافعل – المشهور هو هذا : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون ، لكن اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون (متى ٦ : ١٩ و ٢٠)

وفى ١٢٣ «وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعمى ضوء الشمس ولا يبصرها » نحن لم نجد هذا القول المنسوب إلى عيسى بن مريم ، فهل يتمكن الناشران من أن يدلانا على محل وروده من الإنجيل .

وفى ص ١٢٧ « وقال عيسى – عليه السلام – يابن آدم اعتبر رزقك بطير السماء لا يزرعن ولا يحصدن وإله السماء يرزقهن . فإن قلت لها أجنحة فاعتبر بحمر الوحش وبقر الوحش ما أسمنها وما أبشمها وأبدنها ! »

والذى نعرفه شبيهاً بهذا القول من أقوال السيد المسيح ما يأتى « أنظروا إلى طيور السماء ، فإنها لا تزرع ولا تحصد ، ولا تخزن فى الأهراء ، وأبوكم السماوى يقوتها ، أفلستم أنتم أفضل منها (متى ٦ : ٢٨ وما يليها)

وفى ص ٥٥ « لو كلنى عدوى لعقدت شعر أنفه إلى شعر... » والمشهور « شعر أنفه بشعر »

٦ – أوهام الضبط والتفسير

وورد فى ص ٢ : « فلم يكن له فيها مَطْلَع » ، ونظن الصواب : مُطلَّع ، وزان محمد

وفى ص ٦ : « المِجَسْطِى » وضبطت بكسر الميم ، وفتح وإسكان السين ، وكسر الطاء وفى الآخر ياء خفيفة . قلنا : هذا الضبط مخالف للاسم المعرَّب عنه وهو almageste اللاتينية المولدة المركبة من (ال) العربية وهي أداة التعريف واليونانية : megiste أى الأعظم . فيكون معناها العمل الأعظم . وفى ديوان الشارح فى مادة (مجسط) : المَجَسطى ، بفتح الميم والجيم ، اسم لعلم الهيئة (كذا) وبه سُمِّى الكتاب الذى وضعه بطليموس الحكيم ، وعُرِّب فى زمن المأمون . اهـ

وفى ص٢٠ : « أُولوا » والصواب حذف الألف من الآخر.

وفى تلك الصفحة : « دَهْرِيِّين » ، وضبطت الدال بالفتح ، والمشهور ضبطها بالضم

وفى ص ٤٦ : «علم مَقْبَرةُ » بضم الهاء والصواب بتثليث الباء وفتح الراء وكسر الهاء

وفى ص٦٧ : « أُسكرُجة » والمشهور أنها بلا ألف فى الأول

وفى ص ٨٣ (وكذلك ؟) : الموسيقى ، بكسر القاف والياء الخفيفة . والمشهور المُوسِيقَى ، بضم الميم ، وكسر السين ، وفتح القاف . قال نصر الهورينى فى تعليقه على كلمة الربابى الواردة فى القاموس فى مادة (ر ب ب) فى كلامه على ممدود ابن عبد الله الواسطىّ الربابىّ ، الذى يُضرَبُ به المثل فى معرفة الموسيقى بالرباب ما هذا نصه : « قوله الموسيقى . هكذا فى النسخ بكسر القاف . وهو اشتباه سَبَّبه رسم الكلمة بالياء . وصوابُه فتح القاف كما هو فى اللغة الرومية (أى mosica) والعامل بتلك الآلة يقال له موسيقار ، بزيادة راء فى الآخر ، كأن هذه الزيادة عندهم كالنسب فى جمال وحمار . اهـ

(البقية فى العدد القادم)

الأب أنستاس مارى الكرملى
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكم فى القضية ١٣٦٨ عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد صلوحه محمد خفاجه بغرامه ٣ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٩٤٢ وذلك لبيعها ذرة بسعر أكثر من المحدد

أشهر الكتاب الاجتماعيين العراقيين في القرن الرابع الهجري

القــــاضي التنوخي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

يسرني أن أبدأ لك – أيها القارئ العزيز – بسرد حياة هذا القاضي الحجة، الكبير الهمة، الشاعر الفحل، والمحقق العدل، والأديب الأريب، العالم ابن العالم ابن الحسب والنسب من آل تنوخ الكرام

أما الذين ترجموه من العصور المتأخرة، فقد رووا عنه أخباراً جميلة، وعددوا مؤلفاته التي لم نحصل منها – ويا للأسف – إلا على ثلاثة: أولها كتاب « الفرج بعد الشدة »، ذلك السفر المشحون بأخبار الأولين وكلها أقاصيص وحكايات واقعية تنبئ عن المآثر التي خلدت في عز العرب والإسلام. ترجمه إلى التركية لطف الله بن حسن التوقاني[1] المقتول سنة ٩٠٠ هـ. وقد طبع الكتاب طبعتين: الأولى طبعة الهلال للمرحوم المؤرخ جورجي زيدان سنة ١٩٠٣ م. والثانية طبعة المكتبة العلامية بجوار الأزهر بمصر لصاحبها عبد القادر علام سنة ١٩٣٨م. وأما ثانيها، فهو كتاب « جامع التواريخ » المسمى « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »، وهو أحد عشر مجلداً على مارواه ياقوت في معجم الأدباء اشترط فيه أنه لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب. كل مجلد له فاتحة بخطبة. وقال غرس النعمة محمد بن هلال الصابي العلامة المؤرخ المشهور: صنف أبو علي المحسن كتاب « نشوار المحاضرة » في عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة. وقد ذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب « الربيع » قال: ابتدأته سنة ثمان وستين وأربعمائة[2]. هذا ولم يحصل عالم الطبع منه إلا على جزئين وبعض جزء ثالث. فالأول قام بطبعه المستشرق العلامة مرجليوث، وطبع الجزء الثامن منه بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) بإرشاد الأستاذ مرجليوث. قال بعد أن سرد ترجمة التنوخي نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت الحموي: « وأول مجلد منه نشرناه في سنة ١٩٢١ م عن نسخة في مكتبة باريس العمومية. وبذل البحاثة الشهير أحمد باشا تيمور جهده في تفسير ما ورد فيه من الغريب، فنشر ثمرات أفكاره في المجلدين الثاني والثالث من مجلة مجمعنا العلمي العربي في دمشق، وقد أخبرنا أن عنده نسخة من الجزء الثاني». ونشر بعض الثالث في مجلة المجمع العلمي العربي بعد نشرها الثامن[1]. هذا، وقد ذكره بعنوان « نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة » – ابن خلكان[2]. ونقل عنه هذه اللفظة صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي في حوادث سنة ٣٨٤ هـ، وهي سنة وفاة التنوخي. ونقل عنهما الحاجي خليفة في كشف الظنون تلك اللفظة، إذ وضع اسم الكتاب في مادة النون. والكتاب الثالث هو كتاب المستجاد من فعلات الأجواد، لم يذكره سوى ابن خلكان، ونقل عنه صاحب شذرات الذهب. وقد طبع الكتاب حديثاً طبعة حجرية نشره ليوبولي Leo Pauly في شتتجارت سنة ١٩٣٩ م، طبقاً للمخطوطة الأصلية في ٢١٥ صفحة فيها الفهارس كاملة زيادة على ست وعشرين صفحة للمقدمة الألمانية. وقد علمت بأن نسخة خطية منه يملكها الملا صابر بكركوك. وقد طالعت طائفة من أخباره فوجدته بديعاً لا يقل أسلوباً عن الكتب الأخرى المذكورة آنفاً والشائعة بين القراء والمتتبعين. إن أول من ترجم التنوخي على ما يستوجب سياق التاريخ هو هلال بن المحسن الصابي في تاريخ بغداد الذي وصل به تاريخ ثابت بن سنان، ثم الثعالبي صاحب يتيمة الدهر المتوفى سنة ٤٢٩ هـ حيث قال عنه بعد أن تكلم عن أبيه:

« هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله، والفرع المثيل لأصله، والنائب عنه حياته، والقائم مقامه بعد وفاته ... وله كتاب « الفرج بعد الشدة »، وناهيك بحسنه، وإمتاع فنه، وما جرى من الفأل بيمينه، لا جرم أنه أسير من الأمثال، وأسرى من الخيال ... أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر

(١) كشف الظنون للحاجي خليفة ج ٤ ص ٤١١ ط أوروبا

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٧ ص ٩٢ ط دار المأمون

(١) لا يزال ينشر في المجلة المذكورة

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٥٠٤ ط بولاق

حجماً من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله ، حتى فاته واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة ، لكنت أتفسح فى الانتخاب منه . ولكنى الآن مقل من شعره ، وسيقع لى ما أتكثر به ، والحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيرت الشباب على الشيوخ[1]

ومن لم يرض لم أصفعه إلا بحضرة سيدى القاضى التنوخى

وذكره بعدها الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه تاريخ بغداد ، عده محدثاً ببغداد وعدد نسبه وحدد تاريخ مولده ووفاته إذ قال : « المحسن بن على بن محمد بن أبى فهم أبو على التنوخى القاضى بن القاضى ، ولد بالبصرة وسمع بها من واهب ابن يحيى المازنى وأبى العباس الأثرم ومحمد بن يحيى الصولى والحسن بن محمد بن عثمان النسوى وأبى بكر بن داسة وأحمد بن عبد الصفار وطبقتهم ونزل بغداد وأقام بها وحدَّث بها إلى حين وفاته . وكان سماعه صحيحاً أديباً شاعراً أخبارياً . أخبرنا عنه ابنه أبو القاسم علي ، أخبرنا التنوخى حدثنا أبى — من لفظه وحفظه ومن أصله — حدثنا واهب بن يحيى بن عبد الوهاب المازنى البصرى — بها من حفظه — قال التنوخى وحدثنا إدريس بن على المؤدب ؛ ورفع الإسناد إلى مسلمة بن مخلد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة . ومن فك عن مكروب فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » قال لى التنوخى قال قال لي أبى : مولدى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة . قال وكان مولده فى ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول وأول سماعه فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . وأول ما تقلد القضاء من قبل أبى السائب عتبة بن عبد الله بالقصر وبابل وصور[2] (كذا) فى سنة تسع وأربعين . ثم ولاه المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وإيذج ورامهرمز . وتقلد بعد ذلك أعمالاً كثيرة فى نواح مختلفة ، وتوفى ببغداد فى ليلة الإثنين لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[1] » . أما من ذكره بعدهم فمنهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى صاحب المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، فذكر نسبه ومولده وسماعه وتحديثه وأول سماعه الحديث وتقليده القضاء كما أسلفنا ، ثم ذكر أيضاً وفاته كما ذكر سلفه الخطيب البغدادى[2] . وقد ذكره ابن الأثير فى كتابه الكامل فى حوادث سنة ٣٧١ هـ . ونقل أن عضد الدولة قبض عليه وألزمه منزله وعزله عن أعماله التى كان يتولاها ، وذكره أيضاً فى وفيات سنة ٣٨٤ هـ . وهى سنة وفاته سارداً تاريخ مولده أيضاً . قال وكان فاضلاً[3] . وقد ذكر التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) أنه كان على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابن عمر . وذكر ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ أنه تقلد القضاء بسر من رأى يشبه سوراً . قال : وكان أديباً شاعراً[4] والذى عرفنا ـ أسباب توليته القضاء وعزله ـ ياقوت الحموى فى كتابه المعروف بإرشاد الأريب فى معرفة الأديب ـ أعنى ـ معجم الأدباء وذلك بإسهاب يصعب علينا استيعابه فنختصره ونقول : « قال بعد ذكر نسبه ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بخلاف ما ذكره الخطيب البغدادى وابن الجوزى صاحب المنتظم وهما أسبق من ياقوت وذكر وفاته أيضاً من دون خلاف ، وذكر تآليفه كما ذكرناها آنفاً : ولى القضاء بواسط وكان بها متولياً سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وقال فى موضع آخر من كتابه نشوار المحاضرة : حضرت أنا مجلس أبى العباس أبي الشوارب قاضى القضاة إذ ذاك وكنت حينئذ أكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنت أخلفه عليه بتكريت

(١) يتيمة الدهر للثعالبى ج ٢ ص ٣١٩ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٦٣ و ٦٤ ط بولاق .

(٢) وفى تاريخ آخر « سورا » وهو الصحيح كما سنذكره

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٣ ص ١٥٥ ، ١٥٦

(٢) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ١١٧ ط حيدر آباد .

(٣) الكامل لابن الأثير ط ليدن ج ٩ ص ١١ ، ٧٤

(٤) الفرج بعد الشدة للتنوخى الطبعة الأخيرة ج ١ ص ٢٢ . كذلك النجوم الزاهرة لابن تغري بردى ج ٤ ص ١٦٨

ودقوقا[١] وخانيجار[٢] وقصر ابن هبيرة[٣] والجامعين[٤] ، وسوراء[٥] وبابل[٦] والإيغارين[٧] .وخطرنية[٨] وذكر قصة . وذكر في موضع آخر - جاء قبلاً منقولاً عن الخطيب البغدادي - أنه كان يتقلد القضاء بعسكر مكرم[٩] في أيام المطيع لله ، وعز الدولة بن بويه . وقد ذكر أبو الفرج الشلجي[١٠] أنه تقلد القضاء بالأهواز نيابة عن القاضي أبي بكر بن قُرَيْعَةَ . قال أبو الفرج : وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال : لما قلّدني القاضي أبو بكر بن قريعة قضاء الأهواز خلافة له كتب إلى المعروف بابن سركس الشاهد ، وكان خليفته على القضاء قبلى كتاباً على يدي وعنوانه : إلى المخالف الشاق ، السيء الأخلاق ؛ الظاهر النفاق ، محمد بن إسحاق . وقال ياقوت أيضاً : قرأت في كتاب الوزراء لهلال بن المحسن : حدث القاضي أبو علي قال : نزل الوزير أبو محمد المهلبي السوس[١١] فقصدته للسلام عليه وتجديد العهد بخدمته، فقال لي : بلغني أنك شهدت عند ابن سيار قاضي الأهواز قلت نعم . قال : ومن ابن سيار حتى تشهد عنده وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار ؟ قلت : ألا إن في الشهادة عنده مع الحداثة جمالاً — وكانت سني يومئذ عشرين سنة — قال وجب أن تجيء إلى الحضرة لأتقدم إلى أبي السائب قاضي القضاة بتقليدك عملاً تقبل أنت فيه شهوداً « قلت ما فات ذاك إذا أنعم سيدنا الوزير به ، وسبيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب . فضحك وقال لمن كان بين يديه : أنظروا إلى ذكائه كيف اغتنمها ؟ ثم قال لي أخرج معي إلى بغداد . فقبلت يده ودعوت له . وسار من السوس إلى بغداد . ووردت إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فتقدم إلى أبي السائب فيّ بما دعاه إلى أن قلدني عملاً بسقي الفرات . وكنت ألازم الوزير أبا محمد وأحضر طعامه ومجالساته . واتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً وأنا بحضرته وقيل : أبو السائب في الدار، قال : يدخل . ثم أومأ إليّ بأن أتقدم إليه، فتقدمت ومدّ يده ليسارّني فقبلتها ، فمدّ يدي وقال ليس بيننا سر ، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب فيراك تسارّني في مثل هذا المجلس الحافل فلا يشك أنك معي في أمر من أمور الدولة فيرهبك ويحشمك ويتوفر عليك ويكرمك فإنه لا يجيء إلا بالرهبة ، وهو يبغضك بزيادة عداوة كانت لأبيك ، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك . وأخذ يوصل معي في مثل هذا الفن من الحديث إلى أن دخل أبو السائب . فلما رآه في سرار وقف ولم يحب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له تقرباً إليه وتلطفاً في استمالة قلبه ، فإنه كان في ذلك الوقت فاسد الرأي فيه . فقال لأبي السائب يجلس قاضي القضاة ، وسمعه الوزير فرفع رأسه وقال له اجلس يا سيدى ، وعاد إلى سراري وقال لي : هذه أشد من تلك ؛ فامض إليه في غد فسترى ما يعاملك به . وقطع السّرار وقال لي ظاهراً : قم فامض بما أنفذتك فيه وعدْ إليّ الساعة بما تعجله ، فوهّم أبا السائب بذاك أننا في مهم . فقمت ومضيت إلى بعض الحُجَر وجلستُ إلى أن عرفتُ انصراف أبي السائب فكاد يحملني على رأسه وأخذ يحادثني بضروب من المحادثة والمباسطة وكان ذلك دهراً طويلاً[١]

(البقية في العدد القادم) **يوسف يعقوب مسكوني**

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٧ ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ط . دار المأمون

(١) مدينة بين إربل وبغداد .
(٢) فتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بأمر سعد عمه « رضي » .
(٣) القريب من جسر سوداء المذكورة لا صور كما ذكرت في كتاب الخطيب البغدادي .
(٤) حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة .
(٥) موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين .
(٦) إسم ناحية قرب الحلة .
(٧) إسم لعدة ضياع من كور أوغرت لعيسى ومعقل ابنى أبي دلف العجلي
(٨) ناحية من نواحي بابل العراق .
(٩) بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء صاحب الحجاج بن يوسف .
(١٠) نسبة إلى شلج قرية قرب عكبرا تخرج منها أبو الفرج هذا واسمه محمد بن محمد بن سهل الشلجي .
(١١) بلد بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام .

ترتيب القـــرآن

للأستاذ أبو طالب زيان

(تتمة ما نشر فى العدد ٤٧٢)

اتفق العلماء على أن هذا الترتيب إنما يجب التزامه فى كتابة المصاحف . أما فى القراءة فليس بواجب . يدل على ذلك حديث عائشة فى البخارى حيث قالت للعراقى الذى سألها عن تأليف القرآن : « لا يضرك أية قرأت » . وقد حمله جمهور المحدثين على أنه فى القراءة بأية سورة أراد دون أن يلتزم الترتيب . قال ابن بطال : لا نعلم أحداً قال بوجوب ترتيب السور فى القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها ، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة والحج قبل الكهف . وأما ما جاء عن السلف من النهى عن قراءة القرآن منكوساً ، فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها . وكان جماعة يصنعون ذلك فى القصيدة من الشعر مبالغة فى حفظها ، وتذليلاً للسان فى سردها ؛ فمنع السلف ذلك فى القرآن فهو حرام فيه . اهـ

والآن أعود إلى سبق النزول فأقول : لست فى حاجة إلى أن أكرر أن القرآن ابتدأ نزوله من ليلة اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده عليه الصلاة والسلام حيث أوحى إليه فى غار حراء الذى كان يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ، وأن أول آيات القرآن نزلت على النبى الكريم وهو بالغار ، وأن آخر آية نزلت يوم الجمعة ، يوم عرفة ، عام حجة الوداع . يدل على هذا ما رواه البخارى بسنده عن طارق بن شهاب عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً من اليهود . قال له : يا أمير المؤمنين ، آية فى كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال أى آية ؟ قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة . ولقد روى البخارى هذا الحديث فى عدة مواضع من صحيحه . ورواه أصحاب السنن إلا أبا داود . . . ولم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بعدها شىء من الفرائض ولا تحليل شىء ولا تحريمه . ولم يعش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة

عن ابن عباس ومجاهد أن سورة « إقرأ » أول ما نزل من القرآن إلى قوله تعالى : « علم الإنسان ما لم يعلم » ثم نزل باقيها بعد . والجمهور على أن « الفاتحة » أول ما نزل ثم سورة « القلم » وسورة « الضحى » نزل منها أولاً إلى قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم نزل باقيها بعد ، ولم ينزل من السور الطوال سورة بتمامها إلا سورة « الأنعام » . فقد روى كثير من المحدثين نزولها جملة عن غير واحد من الصحابة والتابعين لأنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال المذاهب التى كذبت القرآن ولم يؤمن أصحابها بالبعث والنشور . وهى من المقاصد الأساسية للدين الحنيف التى لا يتوقف نزول آياتها على السؤال والحوادث أو الأسباب التى تقتضى الإنزال

ولقد رجح هذا المذهب الإمام الرازى فى تفسيره الكبير والقرطبى وغيرهما من علماء التفسير ، كالكشاف ، والنسفى . ولم يضعفه إلا الأستاذ الألوسى فى كتابه « روح المعانى » فقد أنكر نزول هذه السورة جملة وقال : كيف يمكن حينئذ أن يقال فى كل واحدة من آياتها أن سبب نزولها كذا ... ولكن إنكار الأستاذ ... ضعيف لأن ما ذكره الجمهور فى أسباب نزول آياتها بعضه لا يصح والبعض الآخر لا يدل على نزول تلك الآيات متفرقة لأن غاية ما قالوه أن تلك الآية نزلت فى كذا وكذا أو فى قول المشركين كيت وكيت . فإذا صح كان معناه أن تلك الآيات نزلت بعد الوقائع ؛ وهذا لا يتنافى ونزولها دالة على ذلك فى ضمن السورة ...

ولقد نزل كتاب الله فى تلك الفترة بين مبتدأ الوحى ومنتهاه مفرقاً إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجماً ؛ وربما نزلت الآية المفردة وربما نزلت آيات عدة إلى عشر كما صح عند أهل الحديث فيما انتهى إليهم من طرق الرواة . فقد نزلت عشر آيات فى قصة الإفك جملة ، ونزلت عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، يدل على نزولها جملة ما رواه الإمام أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل على رسول الله الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا

ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا » ثم قال : لقد أنزل الله عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة . ثم قرأ : « قد أفلح المؤمنون » حتى ختم العشر ... وصح نزول «غير أولى الضرر » وحدها ، يدل على ذلك ما رواه البخارى فى كتاب الجهاد من حديث البراء بن عازب قال : لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً ، فجاء بكتف فكتبها . وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » .

وفى هذه الرواية إبهام وضحته الرواية التى رواها البخارى أيضاً بعدها عن سهل بن سعد الساعدى ، وفيها التصريح بأن الذى نزل غير أولى الضرر وحدها .

ومن السور القصار ما كان ينزل جملة ومنها ما كان ينزل مفرقاً .

ولقد كان هذا التنجيم مثاراً لعجب المشركين ومنشأ لاعتراضهم على القرآن ، فقد سمعوا أن الكتب السماوية السابقة كانت تنزل على الرسل جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى فى الألواح مرة واحدة[1] فقالوا إذا كان القرآن قد نزل على محمد من عند الله كما يدعى فما باله لم ينزل عليه جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى وما باله تنزل منه الآية أو الآيات تلو الآية أو الآيات فى أزمنة متطاولة ؟ أليست سنة الله فى إنزال الكتب واحدة ؟ ألا يكون مجيئه هكذا مفرَّقاً دليلاً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم يصطنعه ، ثم يدعى أنه من عند الله ؟

نعم ! ! ليست هذه الشبهة بأولى جهالاتهم ؛ فقد قالوا فى القرآن ما هو أبشع من هذا ، وغالطوا حسهم وعقلهم وكابروا وجدانهم ؛ فقالوا : « إن هذا إلا أساطير الأولين » ؛ وقالوا : « أساطير الأولين اكتتبها ، فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ؛ وقالوا : « إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » ؛ وقالوا : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر مبين » ؛ وقال الوليد بن المغيرة : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » . وهكذا شأن كل جهول يحكم على الأشياء بجهله ، وبما يوحيه إليه فساده واستبداده ، وتصوره له سخافة فكره

ولقد جهل المشركون أن نزول القرآن منجماً أمر اقتضته حكمة الله التى سمت عن عقولهم ، وضلت عنها أفكارهم ؛ وأنه لولاه لما أحدث القرآن الكريم فى الأمة العربية ذلك الانقلاب

---

(١) أنكر بعض العلماء نزول التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وقالوا إنه لا دليل عليه ، وأنها نزلت مفرقة كالقرآن الكريم وهذا خطأ رده الأدلة الصريحة فى أنها نزلت جملة واحدة . فمن هذه الأدلة قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فانها نزلت كما قال اليهود والمشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : لولا أنزل القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة ؛ يدل على ذلك ما رواه ابن أبي حاتم عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قالت اليهود يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى . فنزلت الآية وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ قال المشركون والقرآن وإن لم يصرح بقولهم كما أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى فان سكوته تعالى عن الرد عليهم فى ادعائهم نزول التوراة جملة واحدة ، وعدوله عنه إلى بيان حكمة نزول القرآن مفرقاً دليل على صحة قولهم هذا . وإلا فلو كان أدعاؤهم نزول التوراة جملة باطلا ... ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفى فى الرد عليهم أن يقول إن ذلك سنة الله فى الكتب التى أنزلها على الرسل السابقين كما رد عليهم بمثل ذلك فى كثير من شبههم مثل قولهم : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق . فأجابهم بأن ذلك سنة الله فى جميع الرسل بقوله : وما أرسلت قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق . ومثل قولهم « أبعث الله بشراً رسولا » فرد عليهم بقوله : « وما أرسلنا قبلك من رجال نوحي إليهم »

ومن الأدلة على نزولها جملة قوله تعالى فى إنزاله التوراة على موسى يوم الصعقة : « فخذ ما آتيناك وكن من الشاكرين . وكتبنا له فى الألواح = من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة » فانه صريح فى أن الله تعالى أنزل عليه ألواح التوراة مكتوبة جملة واحدة وأمره أن يأخذ بما فيها بعزيمة قوية . فأخذها موسى ورجع إلى قومه ليبلغهم إياها فوجدهم عكوفاً على عبادة العجل فألقى الألواح كما قال الله تعالى . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال : بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح . وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، ولما سكت عن موسي الغضب أخذ الألواح . وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون . فتصريحه تعالى بأنه أنزل إليه الألواح ، وأمره أن يأخذها بقوة ، وبأن موسي ألقى الألواح عند ما ثار به الغضب لعكوف قومه على عبادة العجل ، وبأنه أخذها بعد أن سكت عنه الغضب يدلنا بصراحة على أنها نزلت عليه جملة . وأخذها إلى قومه بتمامها . ويؤيد ذلك أن موسي عليه السلام لما أمرهم بامتثال ما فيها شق عليهم أن يأخذوا بتلك التكاليف دفعة واحدة وأبوا أن يمتثلوا حتى شق الله الجبل عليهم فخضعوا وامتثلوا . وفى هذا يقول الله : وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون .

ولو كان نزول التوراة متفرقاً ، والتكليف بها كذلك لما شق عليهم امتثالها ، ولما نفروا عن موسى حتى هددوا باسقاط الجبل عليهم بعد أن نتق فوق رءوسهم كأنه ظلة فادعاء بعض العلماء أنه لا دليل على نزول التوراة جملة واحدة إدعاء باطل يرده ما ذكرناه من هذه الأدلة : ا م

الخطير الذى تسرى أثره فى الأمم ؛ فكان حدًّا فاصلاًبين عهدين : عهد طفولة النوع البشرى ، وعهد بلوغه أشده ، واستكماله خصائصه التى ميزه الله بها على كثير من خلقه ؛ وقد حكى الله تعالى شبهتهم هذه فى سورة الفرقان بقوله : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ؛ وفنَّدها ورد عليهم بقوله : « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا» . فبين أن حكمة تنجمه هى تثبيت فؤاد النبى عليه السلام فى مواطن اللجاج والخصومة بينه وبين المكابرين من أعدائه ، واقتصر فى بيان حكمة التنجيم على هذه الحكمة لمناسبة المقام ؛ فإن المشركين كانوا يظنون أن هذه الشبهة الواهية التى شنعوا بها على القرآن كافية فى هدم دعائم الدعوة المحمدية ، فعكس الله عليهم ظنهم وبيَّن أن تنجيمه من أقوى العوامل فى تثبيت قلبه ، وتقوية شوكته ، وإحكام دعوته .

واقتصار القرآن على هذه الحكمة لا ينافى أن لتنجيمه حكماً أخرى يجتلى البصير نورها إذا تأمل فى المناسبات التى نزل القرآن لأجلها ، والغرض المنشود من إنزاله كله ، والظروف التى أحاطت بالرسول والمسلمين حين نزوله ، وإلى الباحث البيان :

الأول : أن نزوله منجما كان بحسب الوقائع والحوادث التى كانت تحصل فى المجتمع الإسلامى على عهد نزول التشريع والأسئلة والمقترحات التى كانت توجه من المسلمين أو غيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشبه التى كانت تدور فى قلوب المشركين ويظهر القول بها على ألسنتهم ، ومما تقتضيه حالة المسلمين فى أوقات السلم من تقرير عقائد الدين وشرائعه وفضائله ، وقوانينه العامة التى يراد بها تنظيم المجتمع الإسلامي وتكوين أمة فتية متمتعة بكل خصائص الأمة الحية ، وحالتهم فى أوقات الحرب من الحث على الجهاد والغرض الذى يجب أن يقصد به ، وبيان الأحكام المتعلقة به . كتقسيم الغنائم والفرد وحكم الأسارى وغير ذلك .

الثانى : أنه نزل تدريجاً ليكون أبلغ فى التحدى وأظهر لإعجاز القرآن

الثالث : أنه نزل كذلك للتدرج فى تربية الأمة العربية تربية دينية وخلقية واجتماعية وإعدادها لمنزلة الخلافة فى الأرض ولقيامها مقام المصلح لما فسد من عقائد الأمم وما تسفل من أخلاقها وعاداتها وتقاليدها وما اختل من أحوالها العامة ونظمها الاجتماعية

الرابع : وليسهل حفظه وفهمه والعمل به على المسلمين وامتزاجه بدمائهم حتى يصير جزءاً من نسيجهم العقلى ليمكنهم أن يضطلعوا بأعباء الدعوة المحمدية بعد رسول الله على بصيرة وهدى وأن يسيروا فى هداية الأمم على نهج واضح ، ولا تبعد عنهم الغايات التى ندبوا لتحقيقها فى العالم الإنسانى

الخامس : وليثبت الله تعالى به فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن الخصومة : « كذلك لنثبت به فؤادك » رداً على قول المشركين « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فالآية صريحة فى أن نزوله منجما كان المقصود منه تثبيت فؤاد النبى عليه السلام ليتفرغ لتبليغ الدعوة المحمدية بعزيمة قوية وهمة متقدة وقلب مطمئن لا تساوره الأحزان ولا تحتل ساحته الهموم والأكدار التى تكسر شوكة العزيمة وتضعف قوة الإرادة وتطفىء جذوة النشاط الملتهب وتقيد الإنسان عن السير إلى المثل الأعلى الذى يتوخاه فى عمله ، خصوصاً فى مثل هذه المهمة الكبرى التى يراد بها صقل طبائع النفوس وتهذيب الفطر الإنسانية وإصلاح ما فسد من أحوال الأمم ، وتوجيه العالم البشرى في طريق الهدى والرشاد ليصل إلى سعادة الدنيا والآخرة

والخلاصة أنك ترى مما تقدم ذكره أن تنجيم القرآن الكريم مع كونه مقتضى الحكمة الإلهية كان ضرورة حتمية لا محيص عنها ، وأنه لو أنزل جملة واحدة ما أتى بالنتيجة المطلوبة منه فى تلك الأمة التى كانت عريقة في الجهالة والهمجية

أما بعد فلعلى بهذه العجالة ألقيت ضوءاً على هذا البحث الذى ألفيته من المباحث الشاقة فى التنقيب ، الوعرة فى المسلك ، فجاريته على سرعته . وصادقته على علاته فطرقت حكم التنجيم ، لأنها منه كالتكملة والذيل والعلة للمعلول . ولعل من الباحثين من يبحثه بحثاً غير ما بحثت ، ويحرره تحريراً غير ما حررت ؛ ولنا فى ثقافتهم آمال كبار .

أبو طالب زيانه

٣٨ ـ المصريون المحدثون
شمـــائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثاني عشر — السحر والتنجيم والكيمياء

يدرس الكثيرون في مصر الكيمياء أيضاً . وهنالك فئة تنعم بمواهب يستطيعون أن يبلغوا بها شهرة أفضل مما يدركونه من هذه المهنة . ويواصل هؤلاء جهدهم العقيم حتى يبلغوا الكبر بالرغم مما يلاقون من سخرية حصفاء الرأي وذم الذين يغررون بهم عن غير قصد . ومع ذلك فقد يحصلون على معلومات كيميائية وافرة بدراسة هذا العلم الكاذب . والاهتمام بالكيمياء في حالة الانحطاط العلمي الموجودة الآن بمصر يبرهن على العقلية المصرية الرفيعة

وهناك أو كان هناك[1] مصري يدعى الشيخ اسماعيل أبوالروس من مدينة دسوق ، ذاع صيته في السحر الروحاني . ويتحدث المصريون حتى أكثرهم علماً ورزانة عن مهارته السحرية أحاديث لا تصدق . فيتحدث بعضهم مؤكداً زواجه بجنية ، وآخرون عن استخدامه جنياً يستشيره ويأمره في الباطن دون أن يستعمل طلسماً ما مثل مصباح علاء الدين . ويقال إن الشيخ كان يستخدم دائماً قوته الخارقة في أغراض طيبة أو بريئة ، وأن محمد علي ـ كما يقول البعض ـ كان يكرمه ويستشيره كثيراً . وقد أخبرني أحد أصدقائي المسلمين الأذكياء في القاهرة أنه زار أبا الروس في دسوق بصحبة الشيخ الأمير بن الشيخ الأمير الكبير شيخ المالكية ، فسأل صاحب صديقي مضيفهما أن يبين لهما بعض ما يدل على براعته في السحر ، فأجابه إلى طلبه . فقال الشيخ الأمير : قدم إلينا القهوة في فناجين أبي الموجودة بالقاهرة . وانتظرا قليلاً ثم أحضرت القهوة فنظر الشيخ الأمير إلى الفناجين وظروفها وصرح أنها طقم أبيه بلا شك . وبعد ذلك قدم الشراب في قلل أبيه . ثم كتب رسالة إلى أبيه

(١) علمت أنه توفى أثناء زيارتي الثانية لمصر

وأعطاها لأبي الروس طالباً الحصول على الرد . فأخذها الساحر ووضعها وراء وسادة الديوان ، وبعد قليل رفع الوسادة وأراه أن رسالته اختفت وحلت محلها أخرى أخذها الشيخ الأمير وقرأها فوجد فيها رداً كاملاً على ما كتبه بخط صرح بأنه خط أبيه ، وأخباراً عن عائلته تبين له صحتها التامة بعيد عودته إلى القاهرة[1] . وقد وقع أثناء زيارتي الأخيرة لمصر حادث سحري عجيب تدخلت فيه الحكومة وكان محل حديث الناس وتعجبهم في العاصمة كلها . وسأروي هذه الواقعة تماماً كما قصها على الكثيرون في القاهرة دون أن أحذف منها المبالغات التي دبجوا بها حديثهم ، لا لأنني جاهل مبلغ صحتها فحسب ، بل لأبين إلى أي حد عظيم يؤمن المصريون بالسحر

عُزل مصطفى الدجوي كبير الكتاب في مجلس القاضي من وظيفته ، وحل مكانه آخر يسمى مصطفى كان صيرفياً . فأرسل الأول إلى الباشا التماساً لإعادته ثانية ، إلا أنه مرض مرضاً شديداً قبل أن يصله رد . فاعتقد أن ذلك نتيجة سحر استخدمه مصطفى الصيرفي بكتابة تعويذة تسبب موته ، ولذلك أرسل إلى الباشا مرة أخرى يتهم الصيرفي بهذه الجريمة ، فأحضر المتهم أمام الباشا فاعترف بفعله ودل على الساحر الذي استخدمه . ولما قُبض على الساحر لم يستطع إنكار التهمة ، فسجن حتى ينجو الدجوي أو يموت ، وأودع في حجرة صغيرة يتناوب حراستها حارسان — وهنا يبدأ القسم العجيب في القصة — عند ما جن الليل ، وبعد أن نام أحد الحارسين سمع الآخر صوت همهمة غريبة ، فنظر من خصاص باب الحجرة ، فرأى الساحر جالساً وسط الغرفة يدمدم ببعض كلمات لم يستطع فهمها ، وفي الحال انطفأت الشمعة التي كانت أمامه ، وظهر في الوقت نفسه أربع شمعات أخرى في كل ركن من أركان الغرفة ، ثم وقف الساحر تجاه أحد الحوائط وضربه بجبهته ثلاثاً ، وفي كل مرة كان الحائط ينفرج عن رجل يبدو أنه يخرج منها . ولم يلبث هؤلاء أن اختفوا بعد أن حدثهم الساحر قليلاً ، وكذلك اختفت الشمعات الأربع ، وعادت الشمعة الأولى وسط الغرفة مضيئة كما كانت قبلاً ، ورجع الساحر إلى جلسته ، وساد السكون ...

(١) وقد تحدثت في ترجمتي لألف ليلة وليلة الفصل الأول هامش ١٥ عن ساحر أكثر شهرة هو الشيخ أحمد صادومه ذاع صيته في مصر في النصف الثاني من القرن الأخير

وهكذا أبطلت التعويذة التي كانت معدة لقتل الدجوى . ففي الصباح التالي شعر المريض بتحسن كبير بحيث توضأ وأقام صلاته . ومنذ ذلك الوقت تم شفاؤه سريعاً ، وأعيد إلى وظيفته السابقة ، ونفى الساحر من مصر . وقد نفى ساحر آخر بعد أيام قليلة لكتابته حجاباً جعل بنتاً مسلمة تصاب بحب قبطي حبًّا جامحاً .

وقد أثار فضولي في موضوع السحر بعيد قدومي إلى مصر حادث قصه عليّ مستر صولت Salt قنصلنا العام ؛ فقد سرقت من منزله أمتعة اتهم بسرقتها أحد خدمه . فاستدعى ساحراً مغربياً شهيراً ليحمل المذنب ، إذا كان أحدهم مذنباً ، إلى الاعتراف بذنبه . وحضر الساحر وقال إنه سيبين صورة اللص بحيث تبدو كاملة لأي صبي لم يبلغ سن المراهقة ؛ وطلب من رب الدار أن يحضر أي ولد يختاره ، وكان هناك عدة أولاد يعملون في حديقة مجاورة المنزل ، فدعى أحدهم لهذا الغرض . فرسم الساحر بالقلم على راحة يد الولد اليمنى شكلاً هندسياً صب في وسطه قليلاً من الحبر ؛ وطلب من الولد أن ينظر في الحبر بعزم ؛ ثم حرق بعض البخور وعدة قصاصات من الورق كتب عليها تعاويذ ؛ واستدعى في الوقت نفسه أشياء مختلفة تظهر في الحبر . وأعلن الولد أنه رأي هذه الأشياء وصورة المتهم أخيراً . فوصفه بقامته وهيئته وملبسه ، وقال إنه عرفه ، ونزل مباشرة إلى الحديقة وقبض على أحد العمال الذي اعترف أمام السيد بجرمه

وقد شوقني الحديث السابق إلى مشاهدة حادث كهذا . ولكن لجهلي اسم الساحر ومكانه كنت عاجزاً عن الوصول إليه . على أنني علمت بعيد عودتي إلى انجلترا أن هذا الساحر اشتهر بين السياح المتأخرين في مصر ، وأنه يقيم في القاهرة ، وأنه يسمى الشيخ عبد القادر المغربي . وقد أحضره جاري عثمان مترجم القنصلية البريطانية ، بعيد قدومي الثاني إلى مصر . فضربت له موعداً ليثبت مهارته التي اشتهر بها . وحضر الساحر في الموعد المعين ، قبل الظهر بساعتين تقريباً ، ولكن كان يلوح عليه القلق وتطلع إلى السماء مراراً ، ثم لاحظ أن الجو غير موافق . وكان اليوم عابساً كثير الضباب عاصف الهواء . وكانت التجربة قد عملت مع ثلاثة صبيان على التوالي ، ولكنها لم تنجح تماماً مع أولهم وفشلت مع الآخرين . فقال الساحر إنه لا يستطيع أن يقوم اليوم بأكثر من ذلك ، وأنه سيحضر مساء يوم ثانٍ . وقد حافظ على وعده وقرر أن الوقت ملائم ؛ وأخذنا ندخن الشبك ونحتسي القهوة وهو يحدثني أحاديث مختلفة منتظرين جاري عثمان ليشاهد التجربة . والساحر جميل الشكل طويل القامة قوي البنية ، وجهه أقرب إلى البياض ، ولحيته شديدة السواد ، رث الثياب أخضر العمة كبيرها ، لانتسابه إلى النبي (ص) لطيف الحديث بلا تكلف . وقد أخبرني أنه يباشر أعماله العجيبة بواسطة الأرواح الطيبة ، ولكنه قال لآخرين أن سحره شيطاني

وطلب الساحر أولاً قلماً وحبراً وقطعة ورق ومقصاً ليعد تجربة مرآة الحبر السحرية التي تسمى ، مثل بعض الأعمال المشابهة الأخرى ، ضرب المندل . ثم قطع قصاصة ضيقة كتب عليها بعض أدعية علاوة على تعويذة أخرى يعتقد أن التجربة تتم بها . ولم يحاول أن يخفي ذلك . ولما طلبت نسخة منها قبل بسهولة وكتبها في الحال موضحاً لي في الوقت نفسه أنه يبلغ غايته بفعل الكلمتين الأوليين « طرشْ » و « طريوشْ » وهما اسما تابعيه الجنيين . وقد قارنت النسخة بالأصل فوجدتها مطابقة تماماً . وهذا نصها :

طرشْ طريوشْ انزلوا انزلوا ، احضروا إلى مذهب الأمير وجنوده ، إلى الأحمر الأمير وجنوده

احضروا يا خدام هذه الأسماء .

وهذا الكشف ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد صحيح صح .

وبعد أن كتب هذه الكلمات ، فصل الأدعية عن التعويذة وقطع الأولى إلى ست جذاذات . ثم شرح لي أن القصد من التعويذة التي تتضمن جزءاً من الآية الحادية والعشرين من سورة الكهف ، هو فتح عين الصبي بطريقة غير عادية وجعل بصره حاداً يرى ما لا نراه

وكنت قد أعددت بإرشاد الساحر قليلاً من اللبان ، والكزبرة[1] ومجمرة بها جمر . فوضعت كل هذا في الغرفة مع الصبي الذي أعد لإجراء التجربة ، وكانوا قد دعوه من الشارع بناء على طلبي من بين بعض الصبيان حين عودتهم من أحد المصانع . وكان الصبي يبلغ من العمر ثماني سنوات أو تسعاً . وعندما سألت الساحر أن يبين لي من يستطيع النظر في مرآة الحبر السحرية

(١) ويضيف الساحر على العموم إلى ذلك بخوراً جاوياً .

أجابنى : الصبى دون البلوغ ، والبنت العذراء ، والجارية السوداء ، والمرأة الحامل . ووضع الساحر المجمرة أمامه ، ثم أجلس الصبى على كرسى وأمر خادمى أن يضع فى المجمرة بعض لبان وكزبرة . ثم أمسك يد الصبى اليمنى ورسم على راحته مربعاً سحرياً نقلت نسخة منه هنا (شكل رقم ٥٣) ويتضمن هذا الشكل أرقاماً عربية[1] ثم صب فى وسطه قليلاً من الحبر وطلب من الصبى أن ينظر فيه ويخبره إذا كان يمكنه رؤية وجهه معكوساً فيه . فأجاب الصبى إنه يرى وجهه جلياً . فقال الساحر وهو يمسك بيد الصبى طول الوقت[2] أن يظل محدِّق النظر وألا يرفع رأسه

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

(شكل ٥٣) المربع السحرى ومرآة الحبر

ثم أخذ الساحر إحدى قصاصات الورقة المكتوب عليها الأدعية وأسقطها فى المجمرة على الجمر والبخور الذى كان قد ملأ الغرفة بدخانه . وبينما كان يفعل ذلك أخذ يدمدم دمدمة لم تنقطع طول العملية إلا حينما كان يوجه للصبى سؤالاً أو يعرفه ما يجب قوله . ووضع فى مقدمة طاقية الصبى الورقة المكتوب فيها الآية القرآنية . وسأله عند ذلك إذا كان يرى شيئاً فى الحبر ، فأجابه بالنفى ؛ ولكنه لم يلبث أن قال وهو يرتعش ويبدو أكثر خوفاً : « أرى رجلاً يكنس الأرض » فقال الساحر أخبرنى بعد أن ينتهى من الكنس . فقال الصبى فى الحال « لقد فعل » . فقطع الساحر إذ ذاك دمدمته مرة أخرى ليسأل الصبى إذا كان يعرف ما هو البيرق ؛ فلما رد بالإيجاب أمره أن يقول : « هات بيرقاً » . ففعل الصبي ذلك ولم يلبث أن قال : « لقد أحضروا بيرقاً » .

(١) يلاحظ أنه إذا جمعنا الأرقام عمودياً أو أفقياً أو بالورب نحصل على المجموع نفسه أى ١٥

(٢) وهذا يذكرنا بالمغناطيسية الحيوانية

فسأله الساحر «على أى لون هو ؟» . فأجاب الصبى أحمر . فقال له اطلب بيرقاً آخر . فلم يلبث أن قال إنه رأى بيرقاً آخر ، وأنه أسود اللون . وبالطريقة نفسها قال الساحر للصبى أن يطلب ثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً . فقال الصبى إنها أحضرت على التوالى وإنها أبيض وأخضر وأسود وأحمر وأزرق . فسأله الساحر حينئذ « كم بيرقاً أمامك الآن ؟ » فأجابه « سبعة » . ووضع الساحر أثناء ذلك ثانى القصاصات المكتوبة عليها الأدعية وثالثها فى المجمره . وإذ كان يضيف لباناً وكزبرة مراراً فقد أصبح الدخان يؤلم العين . وعند ما أخبره الصبى أن البيارق السبعة ظهرت له أمره أن يقول : « أحضر خيمة السلطان وانصبها » ففعل ذلك وقال بعد لحظة : « لقد أحضر بعض الرجال الخيمة وهى خيمة كبيرة خضراء وهم ينصبونها » ثم أضاف تواً : « لقد نصبوها » فقال الساحر : « الآن مر الجنود بالحضور وبنصب معسكرهم حول خيمة السلطان » ففعل الصبى كما أمره وقال على الفور : « أرى عدداً عظيما من الجنود بخيمهم . لقد نصبوا خيمهم » . فقال له حينئذ أن يأمر الجنود بالاصطفاف . ولم يكد يأمرهم حتى قال إنهم اصطفوا . ووضع الساحر رابع القصاصات فى الجمر وسريعاً ما ألحق بها الخامسة . وقال تواً : « قل للبعض أن يحضروا ثوراً » فأصدر الصبى الأمر وقال : « أرى ثوراً أحمر يسحبه رجال أربعة ويضربه ثلاثة » فقال له أن يأمرهم بذبحه وتقطيعه ووضع لحمه فى أوعية وطهيه . ففعل كما أمره ووصف هذه العمليات كما تمت حسب الظاهر أمام عينه . فقال الساحر : « قل للجنود يأكلون » ففعل الولد وقال : « إنهم يأكلون . لقد أكلوا . وهم يغسلون أيديهم » فقال له الساحر إذ ذاك أن يدعو السلطان ففعل الولد وقال : « أرى السلطان ممتطياً جواداً أشهب وعلى رأسه قلنسوة مرتفعة حمراء . لقد ترجل عند خيمته وجلس داخلها » فقال الساحر : « مرهم بتقديم القهوة للسلطان وبتأليف المجلس » فأصدر الصبى هـذه الأوامر وقال إنها نفذت . وكان الساحر قد وضع آخر القصاصات الست فى الجمرة . ولم أميز من همهمته شيئاً غير ألفاظ الدعاء المكتوب التى رددها مراراً ما عدا مرتين أو ثلاثاً سمعته يقول : « إذا استعملوا أخبرهم . وكونوا أنتم صادقين » إلا أن أكثر ما ردده كان غير مسموع . ولما لم أسأله أن يعلمنى علمه فلا أدعى الجزم بأننى أعرف تماماً أدعيته

عدلى طاهر نور

مطالعات فى الأدب الغربى

مقـــــدمة فى الفن

لأسكار وايلد

بقلم الأستاذ على كمال

[أسكار وايلد أعظم من أن يعرف بغير ما كتب . وقصته العظيمة التى اشتهر بها The Picture of Dorian Gery تعتبر سفراً فنياً عظيماً ، ومقدمتها القصيرة تلخص نظرات هذا الفنان فى الفن ، وهى تضع قواعد جديدة فى النقد الفنى لا تسر المحافظين من أصحاب المدرسة الأخلاقية فى النقد]

الفنان هو خالق الأشياء الجميلة

إظهار الفن وحجب الفنان هما غرض الفن

الناقد هو الذى يستطيع أن ينقل إلى صورة أخرى أو مادة أخرى تأثراته بالأشياء الجميلة

إن الذين يجدون معانى قبيحة فى الأشياء الجميلة ، إنما هم فاسدون مجردون عن الجمال

لطائفة مختارة تعنى الأشياء الجميلة الجمال فقط

ليس هناك كتاب أخلاق أو غير أخلاق . الكتب إما أن تكتب كتابة جيدة أو رديئة ، وهذا كل شىء

كره القرن التاسع عشر للواقعية هو غيظ (كالبان) لرؤيته وجهه فى الزجاج

وكُره القرن التاسع عشر للرومانتيقية هو غيظ (كالبان) لعدم رؤيته وجهه في الزجاج

حياة الرجل الأخلاقية تكون جزءاً من مادة الفنان ، غير أن أخلاق الفن تتألف من الاستعمال التام لمادة ناقصة

ما من فنان يرغب فى برهنة أى شىء . كل شىء تمكن البرهنة عليه حتى الأشياء الصادقة

ليس للفنان عواطف أخلاقية . والعاطفة الأخلاقية فى فنان تأنق فى الأسلوب لا يغفر له

لا يمرض الفنان أبداً . الفنان قادر على التعبير عن كل شىء

الفكر واللغة للفنان أداة للفن

الرذيلة والفضيلة عند الفنان مادة للفن

مثال جميع الفنون من ناحية الشكل هو فن الموسيقى ، وحرفة الممثل من ناحية الشعور هى المثال

الفن كله سطحى ورمزى . فالذين يذهبون إلى ما دون السطح يخاطرون بذلك على حسابهم . . . والذين يقرأون الرمز يخاطرون بذلك على حسابهم

المشاهد لا الحياة هو فى الحقيقة ما يعكسه الفن

اختلاف الرأى فى عمل فنى يظهر أن العمل جديد حى معقد

عند ما يختلف الناقدون يكون الفنان على وفاق مع نفسه

يمكننا أن نسامح الرجل الذى يصنع الأشياء المفيدة ما دام لا يعجب بها . والعذر الوحيد لصانع شىء غير مفيد هو إعجابه به بشدة

الفن بأجمعه لا فائدة منه أبداً ...

على كمال

حكم فى القضية رقم ١٤٦٥ عسكرية أسيوط سنة ٩٤٢ ضد محمد سليمان عبد البارى من أم القصور بتغريمة ١٠ عشرة جنيهات لبيعه ذره بأكثر من التسعيرة بجلسة ٢٥ مايو سنة ٩٤٢

حكمت محكمة دمنهور العسكرية فى القضية رقم ٩٠٣ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ بجلسة ١٧ / ٦ / ٩٤٢ على محمد قطب البنا بقال من دست مركز كوم حمادة بغرامة ٥٠٠ قرش وغلق المحل أربعة أيام ونشر الحكم والتعليق على مصاريفه لبيعه سكرا بأعلى من التسعيرة

حكم فى القضية ن ١٦٢٦ عسكرية طنطا سنة ٩٤١ ضد محمد السيد العدوى بغرامة ٣ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٤٢ وذلك لبيعه جبنا بسعر أكثر من المحدد

هنـــا القاهرة ...

للأستاذ عبد اللطيف النشار

— ١ —

سَبَقَ الذبيحُ إلى المتاف بها أَوَعى الذبيحُ جلالَ ما هتفا ؟
أأقولها وأحس عن كثب دنيا فتنت بحسنها شغفا
ما زرتها إلا على عجل إن قلت أقبل موعدى أزفا !
كالطير روحته وغدوته صنوان ما افترقا ولا اختلفا
طيف ألمَّ بها ولم يرها ورأته طيفاً دقَّ بل لطفا
يا من « بمصر » وعندهم أملى أيُحَال دون لقائكم جنفا ؟
تأبى إطاعةَ هاجس ثقتى بالله ، فهو وكيلنا وكفى !

— ٢ —

متى يا تُرى أدعو دعاءكَ صادقاً
بأنِّىَ قد أصبحت فى « مصرِ » ثاويا ؟
دعا الشاعر « العقاد » قبلِىَ دعوةً
أجيبت ، فهل رد الإلهُ دعائيا ؟ !
(أيا مرجع الأيام من حيثما ابتدت
أعِدْ لى أيامى « بمصر » كما هيا) !
أجيبَ دعائى ومَضة البرق ، لا أرى
سحاباً ، ولكن أسمع الرعد داويا
ألا يا غدى ، ماذا تخبِّئْ يا غدى ؟
أأسكت ، أم أُفضى إليك شكاتيا ؟ !
سكت ، فقد عاهدت ربىَ قبلها
بألا يرانى آخر الدهر شاكيا !

— ٣ —

نفسي المقسولة فى خطابكمو لا شىء فى لفظى سوى نَفْسى
شعراء « مصرِ » فى حناجركم وترٌ يضخم أضعفَ الجرْس
يا ليت فى أسماعكم وتراً أقوى فيسمع بينكم همسى !

— ٤ —

علمان فى (العلمين) يقتتلان
يا (مصر) ما (العلمين) ما العلمان ؟
لا أبتغى غيظ النحاة ولم أمل
(للأين) إذ يرضى النحاةَ (الآنِ)
يا نصف نحوى يجادل كله ليت العوالم كلها كلسانى !
قل مخطئا واسمع مقالة مخطىء لا يحسن التصويبُ كل أوان
الجد ليس يريح من يُمنى به فتنقلوا — يا قوم — بالمذيان !

عبد اللطيف النشار

فلسفة الحب

للشاعر بيرسى شيلى

إن الجداول تمتزج بالأنهار ، والأنهار بالبحار ، والبحار بالمحيطات ، ونسائم الفردوس يمتزج إلى الأبد بعضها ببعض بعاطفة عذبة . ليس فى الكون شىءٌ منفرد بذاته ؛ فكل شىءٌ يمتزج حسب قانون مقدس بشىءٌ ثان .
فلماذا لا تمتزجين بى وأمتزج بك ؟

***

انظرى الجبال تقبل السماء العالية ، والأمواج تحتضن الأمواج ، وليس هناك من زهرة يمكن أن تعذر إذا بقيت بمفردها محتقرة أختها الوردة ، ونور الشمس يحتضن الأرض ، وأشعة القمر تقبل وجه البحر ؛ فما قيمة كل هذه القبلات إذا لم تقبل شفتاك شفتى ؟

(بغداد) صفاء خلوصى



توثيق العلاقات الثقافية بين مصر والعراق

أقر مجلس الوزراء في جلسته الأخيرة مشروع وزارة المعارف بتأليف مكتب لتوثيق العلاقات الثقافية بين مصر والعراق . وفيما يلي مذكرة معالي الأستاذ الوزير ننشرها لقيمتها التاريخية

« بتاريخ ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤١ عرض وزير المعارف السابق على مجلس الوزراء فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر تعليمي للبلاد العربية ؛ وقرر مجلس الوزراء تأجيل البت في هذا الأمر إلى أن تقدم إليه وزارة المعارف تفصيل الموضوعات التي سيتناولها المؤتمر ومبلغ ما يحتاج إليه عقده من اعتمادات

وقدمت وزارة المعارف بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١ بياناً إلى مجلس الوزراء بما طلب من الموضوعات التي سيتناولها المؤتمر ومبلغ الاعتماد الذي سيحتاج إليه ، فوافق مجلس الوزراء على عقد هذا المؤتمر في الخريف المقبل

ولما تألفت الوزارة القائمة ، أعيد درس هذا الموضوع ، وتبين أن وزارة المعارف لم تستشر لجنة المؤتمرات ولا وزارة الخارجية في عقد هذا المؤتمر ؛ وقد انتهزت وزارة المعارف فرصة وجود مندوبين من وزارة المعارف العراقية في القاهرة في الشتاء الماضي لحضور مؤتمر تدريس العلوم ، وهما الدكتور فاضل جمالي مدير التعليم العام بالعراق ، والدكتور متى عقراوي مدير دار المعلمين العليا ببغداد ، فتحدثت إليهما في موضوع عقد المؤتمر ، وفي موضوع أهم منه ، وهو تنظيم التعاون الثقافي بين مصر والعراق .

وانتهت هذه المحادثات الأولية إلى ضرورة إنشاء مكتب مشترك بين وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية ، لتنظيم شئون التعاون الثقافي بين البلدين والإشراف عليها

واقترح أن يؤلف هذا المكتب من ممثلين لوزارتي المعارف في مصر وفي العراق ، وأن يكون للبلاد العربية الحق في أن تشترك فيه إن أرادت ، وأن يعقد المكتب اجتماعات دورية منظمة في كل عام لتبادل الرأي في الأغراض الثقافية والتعليمية التي تحدد ؛ على أن يكون من بين المسائل التي يدرسها ويرفع من شأنها اقتراحاته إلى الحكومتين المصرية والعراقية الموضوعان الآتيان :

(ا) وضع الأسس لمعاهدة ثقافية بين مصر والعراق ، على أن يكون لغيرهما من البلاد العربية الانضمام إليها

(ب) الدعوة إلى مؤتمرات ثقافية تمثل فيها البلاد العربية .

وفي الواقع أن بين مصر والعراق تعاوناً مستمراً . فالحكومة العراقية تطلب إلينا الأساتذة والمعلمين في كل عام ، كما تطلب إلينا معونات أخرى تتصل بالكتب والأدوات الدراسية

ونحن نفعل ما نستطيع لإجابة الحكومة العراقية إلى ما تريد في حدود ظروفنا الخاصة . ولكن هذه الأمور تجري على غير نظام ثابت واضح ، وتعمل فيها المصادفات أكثر من أي شيء آخر ؛ والوسيلة العملية لتنظيم الصلات الثقافية القائمة بين البلدين وتوثيقها هي إنشاء هذا المكتب الدائم الذي يتولى هذه الشئون .

مشاكل التموين في الزمن القديم

تستفحل مشاكل التموين في أوقات الأزمات والحروب ، حتى ليستعصى حلها على كثير من الدول ما لم تصطنع لها من وسائل الدقة وحسن التنظيم وكفاية التوزيع ما يستغرق أكبر مجهود ويقتضي أوفر عناية .

وقد يخيل إلى بعضنا أن توزيع المؤن والأقوات على مقتضى البطاقات وشبهها ، من الأنظمة التي توصل إليها الغربيون قبلنا فنقلناها عنهم . ولكن الواقع يثبت غير ذلك ؛ إذ قد عرفت حكومات الشرق الإسلامية هذه الوسائل منذ عهد بعيد ؛ وقد التُجيء إليها حين اشتد القحط وشحت الأقوات في بلاد الهند ، وقت زيارة الرحالة ابن بطوطة لهذه الأصقاع في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، على عهد السلطان أبي المجاهد محمد شاه صاحب دلهي وابن السلطان غياث الدين تُغْلُق شاه ...

وقد ذكر ابن بطوطة أن ثمن المنّ من القمح بلغ حينئذ ستة دنانير — والمن وزن يبلغ رطلين — فأمر السلطان بإعطاء جميع أهل دلهي نفقة ستة أشهر من المخازن ؛ قال : « فكانت

القضاة والكتاب والأمراء يطوفون بالأزقة والحارات ، ويكتبون الناس ويعطون كل أحد نفقة ستة أشهر ، بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب فى اليوم لكل واحد ... » وقد كان الرطل المغربى يعادل رطلاً وربعاً من الوزن المصرى

ثم لما اشتدت الضائقة وبلغت المجاعة من الناس ، وزع السلطان مساكين بلده على الأمراء والقضاة ليتولوا إطعامهم . قال ابن بطوطة ـ وكان يتولى قضاء دلهى : « فكان عندى منهم خمسمائة نفس . فعمّرت لهم سقائف فى دارى وأسكنتهم بها ، وكنت أعطيهم نفقة خمسة أيام لخمسة أيام »

ولعل أشبه شىء بالمطاعم الشعبية عندنا اليوم ، وأقومه بمثل خدمتها ، ما أشار إليه الرحالة ابن بطوطة بقوله : « وكنت فى تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذى أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين على ما يُذكر ، فكان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه ... »

وقد كان السلطان أوقف ثلاثين قرية على الإطعام فوق هذه المقبرة ، وجعل تدبيرها بيد ابن بطوطة على أن يكون له العُشر من فائدتها كما هو التتبع عندهم

(جرجا) محمود عزت عرفة

عادة وعوائد

قرأت الجملة الآتية من مقال الدكتور زكى مبارك بالعدد ٤٧٢ من « الرسالة » :

« ينتقى (أى المطران) من العوائد وهى جمع عادة كما تجمع حاجة على حوائج ، ولك أن تجعل مفردها عائدة إن تناسيت العرف وهو من أهم الأسندة اللغوية ... » اهـ

هذه عبارتك الصرفية يا سيدى الدكتور ليس فيها ما يدنيها من مقال « الحديث ذو شجون » من قريب أو بعيد إلا إن أردت أن تجمع إلى ما تقدمه لإخواننا الأقباط الأكرمين من ضوء رأيك فى انتخاب المطران ما يغير نوع الحديث تنبيهاً للفكر كما يقدم بعض الحلوى بين أصناف الطعام تنبيهاً للمعدة ، أو أن تجمع إلى ما تسوقه للأمة من تحقيق مسألة تاريخية طرفة صرفية يأبى إعظامك للغة وتكريمك أهلها إلا أن تتحفهم بها . غير أنه استبهم عليك الجمع وما قسته به وما حكمت على العرف لأنه من أهم الأسندة اللغوية . واستبهم علىّ كل ذلك لأنى أقرب منك عهداً بتعلم لغة العرب وأقل تنقيباً فى كتبها ؛ فما وصل إليه معلومى أن كلمة « عادة » لا تجمع على عوائد ، وأن صيغة فواعل ينحصر اطرادها فى ثمانية أنواع أو سبعة على الخلاف ليس منها ما أوردته وقد اختلف فى نوع من أنواعها (فاعِل) بكسر العين وصفاً للمذكر غير العاقل ، فقيل بشذوذه وقيل بغلطه وقيل بصحته ، وما عدا ذلك شاذ إجماعاً ؛ وقد حصروا الشاذ فلم يكن منه عوائد جمعاً لعادة ، فهو منكور قياساً ، ولم يسمع شذوذاً حتى جنبت ذكره المعاجم . وقد استساغ ابن منظور أن يورد فى بحره الزاخر « لسان العرب » بعد ما ذكر ما ورد من جموعها كلمة عيد جمعاً لعادة ، ونسبها إلى صاحبها تأكيداً لاستضعافها وعدم رضايته عنها ؛ ولم يذكر عوائد جمعاً لعادة ، وإن أورد الشرتونى فى معجمه « أقرب الموارد » بعد أن أورد ما سمع من جموعها : العوائد جمعاً لعادة . غير أنه أردفه بقوله وكأنه جمع عائدة . ثم التبس علىّ قياسك عوائد على حوائج ، لأنه قياس ينبو عما قرأنا فى كتب أصول النحو ، ولم أسمع من أمثال سيدى الدكتور — حفظه الله — من جعل الشاذ مقيساً عليه لمخالفته الإجماع ؛ لأن القياس — ومن شروطه ألا يقاس على الشاذ — هو حمل غير المنقول على المنقول ، وليست كلمة الحوائج المقيس عليها منقول لنبوها عن القاعدة ولكنها مسموعة ، على أنه مطعون فى صحتها جمعاً لحاجة . قال الدماميني :

« سمع فى هذا المفرد حائجة فيجوز أن يكون حوائج جمعاً لها واستغنى عن جمع حاجة » اهـ

وقد أنكر (حق) فى فروقه وابن خالويه فى كتابه (ليس فى كلام العرب) جمع الحوائج على حاجة ؛ وكذا الحريرى فى (درة الغواص) ، واستشهد بخير ما يستشهد به لصدق دعواه ، وإن أظهر الشهاب الخفاجى فى شرحه على الدرة جنوحاً عن رأى الحريرى ، ولكنه سار فى غير مسار

(بثينة)

الفدائية أيضاً

طلبت من الدكتور الفاضل محمد حسنى ولاية بعد أن ذكر (الفدائية) فى مقاله (الشخصية الهستيرية) أن يتفضل فيبين لنا المبادئ التى كانت تعمل من أجلها جماعة الفدائيين ، وهل كانت

هذه المبادئ من السمو — كما ذكر الدكتور الفاضل — بحيث يضحى الفدائى نفسه فى سبيل كل غاية تفيد الإنسانية ، أم أن الدكتور الفاضل أراد بذكرهم فى مثاله مجرد التشبيه فقط ، باسترخاصهم النفس فى سبيل غاياتهم

فلم أصل برد الدكتور الفاضل لغرضى الذى عنيته ، فقد خرج الدكتور الفاضل عن اتجاه السؤال ، وأخذ فى تفنيد نظريات علمية مسلم بها ، كالعقد النفسية Complexes والتضحية للغاية Object الخ ...

فإلى الدكتور الفاضل ، وإلى جمهرة الباحثين من الكتاب والأدباء أرجو أن يتفضل أحدهم بالكتابة عن جماعة الفدائيين ومبادئهم ، خصوصاً وقد كثر فى هذه الأيام ذكرهم فكثيراً ما أسمع من يقول ـ هذا شخص فدائى ـ وكأن يقال فى الصحف ـ وسيقوم جيش الفدائيين بكيت وزيت ـ فهل هذا مجرد التشبيه فقط ، أم تماثل مبادئ هؤلاء وهؤلاء .

مصطفى عبد الحميد جابر

جلال الدين بن مكرم وأبياته فى الاسكندرية

سأل الأستاذ مصطفى الشهابى بعدد الرسالة رقم ٤٧٣ عن النص العربى لأبيات ترجمها «فورستر» إلى الإنجليزية فى كتابه عن الإسكندرية . والأبيات مذكورة في الخطط المقريزية (ج ١ ص ٢٦٢) وهذا نصها :

زيل سكندرية ليس يُقرَى بغير الماء أو نعت السوارى
ويُتحَف حين يُكرم بالهواء الـ(١) ـملاتن والإشارة للمنار
وذكر البحر والأمواج فيه ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز فما فيها لذاك الحرف قارى

وقد نسب المقريزى هذه الأبيات إلى جلال الدين بن مكرم ابن أبى الحسن بن أحمد الخزرجى ملك الحفاظ . وهذا الاسم يتفق تماماً مع اسم ابن منظور صاحب لسان العرب ، إلا أن كنيته « جمال الدين » لا « جلال الدين » ، وأغلب الظن أن ذلك عن سهو من المقريزى أو من ناسخ الكتاب . وقد أخطأ المترجم فى كتابة « مكرم » ، والحقيقة أنها بتشديد الراء المفتوحة ، وهى بغير شكل فى كتاب المقريزى

عبد القادر حسن القط

(١) كذا بالخطط ولا ذكر لها فى قواميس اللغة

هما لأبى تمام

تساءل الأستاذ موسى حق عن صاحب البيتين الذين نسبهما صاحب عيون الأخبار إلى دعبل مع أنهما منسوبان إلى أبى تمام فى ديوانه وهما :

إن أولى البرايا أن تواسيه عند السرور لمن آساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم تساءل عن صحة البيت الأول

أما البيتان فهما لأبى تمام ونسبتهما إلى غيره وهم ، وهما من قصيدة طويلة فى مدح أبى الحسن على بن اسحق لما تولى دمشق ؛ وقد ذكرها كلها الشيخ يوسف البديعى قاضى الموصل المتوفى سنة ١٠٧٣هـ فى كتابه « هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام » وقال عن هذين البيتين ما نصه : «والبيتان الأخيران من هذه القصيدة نسبهما بعض المؤرخين لابراهيم بن العباس الصولى وهو وهم ، ويدل على أنهما لأبى تمام ما قاله أبو بكر الخوارزمى من رسالة كتبها إلى كاتب خوارزم شاه ، ثم ذكر نص كتاب أبى بكر الخوارزمى وفيه البيتان منسوبان إلى أبى تمام (هبة الأيام ص ١٢٥ — ١٢٦)

وذكرهما ابن عبد ربه فى العقد ونسبهما إلى أبى تمام أيضاً (ج ٢ ص ٤٠) ط العريان

وأما صحة البيت الأول منهما فهو كما جاء فى هبة الأيام والديوان مطبوع حديثاً :

أولى البرية حقاً أن تواسيه عند السرور الذى آساك فى الحزن

وفى الديوان « تراعيه » بدل « تواسيه »

ورواية العقد فى البيت الأول هى :

وإن أولى الموالى أن تواسيه عند السرور لمن واساك فى الحزن

برهان الدين الداغستانى

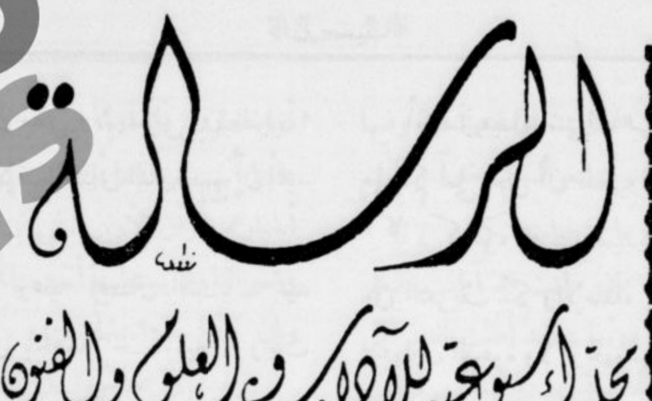
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 475

Lundi - 10 - 8 - 1942





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة العاشرة «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ١٠ أغسطس سنة ١٩٤٢» العـــدد ٤٧٥

الفهرس

سفارة «الرسالة»

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعجلنى السفر — وابتغاء القرار بعد السفر — أن أكتب إلى الرسالة فى موعد كتابتى إليها . وقد فاتنى أن أكتب إليها ، ولم يفتنى أن أذكرها ؛ فليس بيدى ذلك وكل من لقيت مذكرى بها ، حتى فى وعثاء الطريق

برح القطار القاهرة ، فلم يمض غير قليل حتى أثار علينا من العثير ما يملأ الخياشيم ويوشك أن يملأ الصدور ؛ ووجدتنى مرة أخرى فى حياتى أوازن بين منفذ مفتوح وغباز ثائر ، وبين منافذ مغلقة وجو رائق . ولا صعوبة فى الموازنة إذا كان الجو الذى يثور فيه الغبار جو تفكير وشعور وارتياء ، فالغبار الثائر هنا أرحم وأدنى إلى الاختيار

ولا صعوبة فى الموازنة كذلك إذا كان الجو الذى يثور فيه الغبار جو خياشيم وصدور ؛ فالجو الرائق هنا هو الأرحم والأدنى إلى الاختيار ، وإن ضاقت الصدور بالحر والحرج ؛ فضيق الصدور فى الواقع أهون من ضيق الصدور فى المجاز

أغلقت النافذة واسترسلت فى نسق من هذا التفكير أدرى كيف بدأ ولا أدرى كيف انتهى ، لأننى ختمته فى عالم الأحلام ، ونمت والضجة من حولى وقد كان النوم عصياً ومن حولى السكينة والقرار

ثم مضى القطار لا أسأله أين مضى ولا يسألني أين مضيت؛ حتى أشرقت الشمس على معالم الإقليم القناني الذي يصح أن أعيد فيه ما قاله ابن الرومي :

فإذا تمثل في الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تميد

لأنني قضيت فيه أوائل عهدي بالخدمة الحكومية ، ولبثت فيه زمناً أنتظر التثبيت فيحول بيني وبينه عيب واحد يا له من عيب! وهو أنني دون الثامنة عشرة بسنتين

وأطلت أنظر الثامنة عشرة التي انتظرتها هنالك فترة من تينك السنتين ، وأطلت النظر في مكاني . وحسبني بعض الرفقاء في القطار : هل من خدمة ؟ ثم أسرع قائلاً : لا تؤاخذني أن أتطفل عليك بالسؤال فإنني لست بمتطفل في الحقيقة! لأنني أعرفك منذ عهد بعيد : ألست فلاناً ؟ إنني ليسرني يا سيدي أن أؤدي لك بعض الخدمة التي أستطيعها ، فهي دَين لك علينا أجمعين

قلت : يخيل إلي أنني أنا أيضاً أعرفك . ألست من برقة ؟

قلت ذلك لأنني علمت أن في القطار نخبة من سراة برقة وأدبائها ، وعرفت بلده من لهجته التي يسهل تمييزها بين لهجات مغربية عديدة لطول ما تحدثت إلى أبنائها في الصحراء

فقال : نعم !

وبدأ الحديث في الأدب

وعطف بعد هنيهات إلى الرسالة وموضوعاتها وكتابها ، فإذا صاحبي ملم بأدب مصر في هذا العصر إلماماً يندر بين شبان من المصريين . ولحق به أصحاب من قومه يكبرونه سناً ويشبهونه كياسة وأدباً ، فإذا هم معنون بشئون مصر العامة أحسن إلمام يتاح لغريب عنها ، وإن كان اهتمامهم بالقادة والرؤساء أوفر من اهتمامهم بالكتاب والشعراء

وإذا في برقة وطرابلس أحزاب لأدباء مصر وأحزاب لقادتها السياسيين ، ومساجلات وفكاهات لا نسمع بمثلها في مصر ، وهي أحق شيء أن نستمع إليه

ولم أشأ أن يكون الحديث كله عن مصر وأدبائها ، فسألته عن برقة وأدبائها ، وما فيها من شعائر الحركة الأدبية ، ولا سيما بعد احتلالها

فراعني أن أسمع شعراً حسناً ينضح بالشاعرية المطبوعة ، ويجري في صيغة عربية سائغة ، وما سمعت بأسماء قائليه قبل ذلك وإنهم لأولى بالذكر من كثيرين

أنشدني قصائد شتى لشاعرهم رفيق المهدوي ، فاستزدته وقلت له : إنكم لعلى حق أن تفخروا به وأن تذكروه باسم «شاعرنا» كلما ذكرتموه ، فرب قصيدة من هذه القصائد التي سمعتها هي أنفع في التعريف بكم والإصغاء إلى قضيتكم من دعاية الساسة الذين يجهلون الدعوة ولا يوجهونها إلى أحسن الأسماع وأصدق القلوب

ومما أنشدنيه له قصيدة على وزن جديد يقرب من الوزن الذي اختاره الزهاوي لقصيدته :

ويلا يا ويلا ! ما أقوى السيلا
ليـــلى سلّيني سليني ليـــلى !

فقال في وصف الشاعر :

كالنحلة في الروضة تعبث بالنوّار
إن رفرف كالواقف أو حوّم أو طار

* * *

لا يقنع بالورد ولا زهر النسرين
فيميل من السرو إلى شجر المرسين
كالظامئ يتلهف واظمأ المسكين !
لم يرو صدى الغلة من نطف الأزهار

* * *

ما لاح له زهر إلا وتمنـــاه !
كم صادف ما يحذر من خادع مرآه
« يحذره حيناً ويعود فيهواه »(1)
قل واهاً للشاعر من واه محتار !
كالنحلة في الروضة تعبث بالنوار

وأنشدني أبياتاً له فيها مداعبة وشكاية ، وقد نفي من وطنه وكتب إلى بعض إخوانه :

بعد السلام وتقديم احتراماتي أهديك يا سيدي موسى تحياتي
إلى أن يقول :
والله ما باختياري أن أفارقه لو لم ينفسه حكم الظالم العاتي
فارقت موطن آبائي على مضض مما تجرعت من هم وويلات
تأثرتني عيون القوم ترصدني تحصى خطاي فتحصيها خطيئاتي
وما جنيت سوى إنكارمنكرهم بعدودي فتغالوا في معاداتي !

وظل ينشدني للمهدوي ويملأني وأستزيده ، لأعرف ليبيا

(1) نسي الراوية هذا البيت فأتممته من عندي

حقاً ، وقد عرفتها حقاً ، وقلت لأصحابي : إن ليبيا حية وفيها من يعبر عنها هذا التعبير . فاستوصوا بشعرائكم خيراً ، فإنهم لأدل عليكم وعلى قضيتكم من جميع ما عرفناه عنكم

وعبر القطار بأسوان عاجلاً ، فإن كنت قد أطلت النظر عند (قنا) لأرى الثامنة عشرة وما دونها ، فقد أطلت النظر إلى أرباض (أسوان) لأرى السادسة والخامسة وما دونهما ... فرأيت حتى استوفيت

وتبيت الباخرة على النيل بين الشلال وحلفا ليلتين

فى تينك الليلتين كان السمر إلى هزيع من الليل عربياً فى كل فن من فنونه ، فما أحسب أن أمراً يهم العرب قاطبة قد تركناه فى سمرنا فلم نعرج عليه ولم نطل الوقوف عنده .

ولم يرعنا مما ينغصنا إلا صوت طفل صغير من الليبيين يتكلم الإيطالية، لأنهم فرضوها على الصغار وأبعدوا ما بينهم وبين التمكن من العربية بمسافات وآفاق .

فعدنا إلى حياة اللغة العربية ، وإلى مهمة أدباء العرب وصحافة العرب ، ولا سيما الصحافة الأدبية

ثم وصلنا إلى ما قبل حلفا وانتظرنا فى الباخرة إنجاز مراسم الدخول والحيطة الصحية. فإني لأنظر من باب المقصورة إلى النيل إذ أقبل نفر من الفتيان الذين يلوح عليهم أنهم طلبة وموظفون . فسألوني : أأنت فلان ؟ قلت : نعم . كيف عرفتم ؟ فابتسموا وقالوا : لا تؤاخذنا إن قلنا من صور المجلات ، ولا سيما الفكاهية !

قلت : يا أصحابي إن هذا لا يرضيني أو لا « يملقني » كما يقول الأوربيون . . . أو ترون الشبه قريباً بيني وبين تلك الصور إلى هذا الحد ؟ قال قائل من الواقفين حولنا ليرضيني أو يملقني على حسب ذلك التعبير : بل هى مبالغة الرسامين فى بعض معارف وجهك المميزة لك قد دلتهم عليك .

وما هو إلا أن فرغنا من شأن الباخرة وانتقلنا لقضاء الليل فى مركبة القطار حتى كان أول حديث طرقه هؤلاء الفتيان ومن صحبهم بعد ذلك حديث الرسالة وآخر المساجلات الأدبية فيها .

وبدا لى فى الخرطوم كذلك أن هذه المساجلات تعقد حولها حلقات مختلفات من المتشيعين لهذا الفريق أو لذاك ، وبدا لى منذ أول الطريق أن أدباء ليبيا والأقطار العربية والسودان يأخذون علينا أنهم يعرفوننا ولا نعرفهم ، ويتتبعون أخبارنا ولا نتتبع أخبارهم ، وأن الأديب منهم يستطيع أن يحدثنا عن جميع كتابنا وشعرائنا ولا يستطيع أحد منا أن يحدثهم عن كتابهم وشعرائهم، وإن كانوا جدراء بالحديث .

وهذا كله صحيح ولكنَّ السبب الذى يردونه إليه غير صحيح ؛ فالمصريون لا يفوتهم ما يفوتهم من أدب ليبيا والأقطار العربية والسودان لأن اهتمامهم بالعرب أقل من اهتمام العرب بمصر ، كلا وأقولها عن يقين ، وإنما يفوتهم ما فاتهم لأن صحف مصر تصل إلى كل مكان فى بلاد العربية ، ولا يصل إلى مصر من صحف تلك البلاد إلا القليل

ويخطر لى فى هذا الصدد أن صديقنا الأستاذ الزيات قد فكر فى تخصيص أعداد لكل أمة من أمم الضاد يحيط فيها بشئون تلك الأمة أدباً وثقافة ومرافق أخرى ؛ فإذا مضى فى تحقيق تلك الفكرة فقد أتم سفارة الرسالة فأصبحت لها السفارة المزدوجة بين مصر وجاراتها وأخواتها ، فتسفر للمصريين عندهم ، وتسفر لهم عند المصريين ، وتعمل فى وحدة العرب ما لا يرجى أن تعمله السياسة ، لأنها تفرق ولا تؤلف ، وتلتوى ولا تستقيم

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

***

هذا بعض حديث تلك « السفارة » فى رحلة عاجلة بين القاهرة والخرطوم . ولو شئت لطال وطال ، لأنه حديث موصول يتجدد كل أسبوع ، بل كل يوم اجتمع فيه ندى من القراء والأدباء ، وهم يجتمعون هنا عامة الأيام

لكنني أختمه الآن بما لا يخرج عنه من مساجلات الرسالة أيضاً ؛ فقد سئلت هنا رأيى فى مناقشات بعضهم لى حول رسالة الغفران وصداقات الأدباء

فأما رسالة الغفران والشبه فى محاوراتها بين ما كتبه أبو العلاء وكتبه لوسيان فلست أنوى أن أعود إليه وقد أغنانى عن العودة إليه ما كتبه الأديب الجبلاوى حين سأل المعترض أن يذكر أحداً غير لوسيان تقدم المعرى بذلك الحوار . أما رحلات الجنة والنار فنحن قبل عشرين سنة قد ذكرنا وأكدنا أنها ليست بالشيء الجديد

شـــبان اليوم الجديد في مصر المحروسة(*)

للدكتور زكي مبارك

من عادة المربين والمصلحين أن يكثروا من اللوم والتثريب على أبناء الجيل الجديد، ليصوروا عيوبهم تصويراً يخوّفهم عواقب التهاون والتفريط في حقوق الأدب والأخلاق

وتلك وسيلة صحيحة من وسائل التهذيب ورثناها عن الأسلاف، ولا بأس بالاعتماد عليها من حين إلى حين، إذا سلكنا في الدعوة إلى الأدب والأخلاق مسلك الترهيب، وهو مسلك مطروق منذ أجيال طوال

ولكن التجارب علمتني أن الترغيب أنفع من الترهيب، ومن تلك التجارب عرفت أن التنبيه إلى القوى النافية في صدور الشبان قد يدلهم على حقائق أنفسهم فينقلهم من حال إلى أحوال

والحق أن الشاب المصري خلق ليكون رجلاً عظيماً، ومهما أسرفنا في سوء الظن بشبان مصر، فمن المؤكد أنهم بالإضافة إلى أمثالهم في الشرق والغرب أفضل وأشرف، ومن النادر أن تجد شاباً مصرياً بلا آمال تضيفه إلى أكابر الرجال، ولذلك شواهد يعرفها من يتصل بشبان «مصر» عن طريق الصحافة أو التأليف أو التدريس

الشاب المصري يبحث في كل لحظة عمن يدله إلى طريق الجد، ولو نشرت الصحف إعلاناً عن كتابين يختص أحدهما بوصف حياة الهزل والمجانة، ويختص ثانيهما بوصف حياة الجد والرصانة، لكان الكتاب الثاني هو الكتاب المنشود، لأن شبان هذه البلاد مفطورون على احترام الأدب السليم من شوائب الأمراض

وآية ذلك أن الذاتية الأدبية تجد أنصاراً من الشبان في كل وقت، وهم يتحمسون لها تحمساً لا يخطر في البال، وقد يتسامعون بمقالة جيدة، فيجدُّون في البحث عنها جداً يشهد بأنهم من أكابر أهل الأذواق والعقول

أكتب هذا وقد فاضت عيناي بالدمع حين تلقيت خطابات كريمة تصور فرح الشبان بالحديث عن أمجاد مصر المحروسة في القديم والحديث، وهم شبان كان التاريخ المُغرض حدَّثهم أن مجد مصر ليس إلا أسطورة من أساطير الأولين

وآه ثم آه من التزوير في التاريخ!!

يا بَنِيَّ الأعزّاء، تذكَّروا — غير مأمورين — ثم تذكَّروا...

ومن حبّات دمي أنظِم عِقد الحديث فأقول:

في جميع الكنائس بالشرق والغرب تجدون صورة «العذراء» تحتضن «المسيح» وهو صبيٌّ في المهد، فهل تعرفون كيف عللتُ تلك الصورة الرمزية؟

عللتها منذ أعوام بأنها تصوير لحنان الأمومة الرفيقة، وجاز عندي القول بأن النصارى من اليونان هم المبدعون لذلك الرمز الدقيق. وهل ينكر أحدٌ فضل البراعة اليونانية على الديانة المسيحية؟

لا جدال في أن من ابتكر صورة المسيح تحتضنه العذراء كان أعظم مبتكر في تاريخ الأخلاق. ولا جدال في أن تلك الصورة كان لها تأثيرٌ عظيم في عطف الآباء على الأبناء. ولا جدال في أن تلك الصورة لم تُعرَف قبل ميلاد المسيح، وقبل أن تتصل مأساته بتاريخ اليونان والرومان، كما كنت أقول، وكما كان يجب أن سأقول، لوطال جهلي إلى آخر الزمان!

(*) كان المصريون يصفون مصر بالمحروسة والمحمية بعد نجاتهم من أخطار الحروب الصليبية

وأما صداقات الأدباء فالمناقشات فيها أعجب وأطرب! نحن نأخذ على الأستاذ الحكيم أن يضرب لنا المثل بصداقات الأدباء في أوربا لأنها لا تخلو من العلات، فيجيئنا من يعترض فلا يكون اعتراضه إلا تكريراً لما قلناه، وهو أن صداقات الأدباء الأوربيين ليست على المثال الذي تصوره الأستاذ الحكيم!

وأعجب من هذا وأطرب أن نشير إلى صداقات الأدباء في انجلترا ونذكر بيرون وشلي فيكون الاعتراض أنهما لم يتقابلا في انجلترا بل تقابلا في إيطاليا... فهما إذن قد أصبحا من أدباء الأمة الإيطالية وخرجا من عداد الأدباء في الأمة الإنجليزية!

مثل هذا المحال لا نرد عليه، ولا ننوي بعد اليوم أن نرد عليه. وحسبنا أننا لم نلق من قارئ هنا إلا وقد رد على ذلك الاعتراض بالإعراض

«الخرطوم» عباس محمود العقاد

ولكن الله اللطيف بعباده ، أراد أن يطبّ لجهلى برفق ولطف ، لأنى طالب علم ، وطالب العلم لا يخطئه التوفيق !

فكيف اهتديت بعد ضلال ؟

رأيت صورة فى الجزء الثانى من « التاريخ المصرى القديم » لأخى وصديق ، وصاحب الفضل الأعظم على أدبى وبيانى ، عبد القادر حمزة باشا ، وهى صورة تغافلَ عنها عامداً متعمداً ، لأنتفع بمغزاها بعد أن يموت ، وكان يعرف أنى لن أرثه إلا بالفكر والروح ، وذلك أشرف المواريث

عبد القادر الوفىّ أراد أن يمنحنى فرصة من فرص التحليق فى سماء الفكر والخيال ، فأثبت فى الجزء الثانى من كتابه صورةً أعفاها من التفسير والتأويل ، عن علم لا عن جهل ، لأقول فيها ما أشاء .

فما تلك الصورة الرمزية ؟

هى صورة « إيزيس » وهى ترضع ابنها « حوريس »

وإذا عرفنا أن عبادة إيزيس كانت عقيدة اليونان والألمان والطليان والأسبان والفرنسيس والإنجليز أكثر من خمسة قرون أدركنا أن صورة « العذراء » وهى تحتضن « المسيح » ليست إلا صورة « إيزيس » وهى ترضع « حوريس »

وإذن ؟

وإذن تكون مصر هى التى أبدعت فكرة الأمومة فى الصور المسيحية . ثم ؟

ثم تكون مصر صاحبة الفضل على ما أبدعت صور العذراء من فنون .

عبد القادر لم يلتفت إلى الصورة التى وضعها فى الجزء الثانى من كتابه النفيس ، لأن الموت صرفه عما يريد أن يقول ، أو لأنه أراد أن يترك تفسير المراد من تلك الصورة لأحد أصدقائه الأعزاء

والنتيجة أنه لا توجد صورة للعذراء فى شرق أو فى غرب إلا وهى مستوحاة من صورة إيزيس وهى ترضع حوريس .

ألم أقل لكم إن مصر هى وطن المعانى ؟

من كان يصدّق أن مصر هى الوطن الأصيل للصورة التى يخضع لصولتها الفرنسيس والإنجليز والأسبان والطليان والألمان ؟

لم يَكفُر أحدٌ بأقبح مما كفر المصريون ، ولم يؤمن أحد بأوثق مما آمن المصريون ، لأن مصر هى غاية الغايات فى التعصب للكفر والإيمان .

وهل كفرت مصر فى أيامها الخوالى حتى نجمل الكفران طَوراً من أطوارها فى التاريخ ؟

إن القول بتعدد الآلهة كان فى إحدى مراحل الإنسانية صورة من صور الهداية ، وهو لم يصدُر عن عناد ، وإنما صدر عن يقين ، ولله حكمة عالية فى تنشئة الأفهام على نظام تنشئة الأبدان . فهو يسمو بها رويداً رويداً بترفق وتلطف ، إلى أن تقوى وتستحصد ، ثم يتركها لتصارع وتجالد فى ميادين الزيغ والارتياب .

وتاريخ مصر يشهد بأنها فُطرتْ على إيثار الجد فى تناول المعانى ، فكانت فى عصر الوثنية أعظم أمم الوثنية ، وكانت فى عهد النصرانية أول أمة أرخت بمصارع الشهداء ، فلما هداها الله إلى الإسلام كانت الحافظة الواعية للأمجاد العربية والإسلامية ، ولو قال قائل بأن مصر هى التى وقت العروبة والإسلام من تطاول الغرب وتخاذل الشرق لكان أصدق الصادقين .

إسألوا العلم قبل أن تسألوا التاريخ يحدثكم أن ضياء الشمس فى مصر لا نظير له فى أى أرض ، حتى قيل إنه السبب الأول فى كثرة أمراض العيون بهذه البلاد . واسألوا العلم أيضاً يحدثكم أن الخصب فى أرض مصر يفعل بأهلها ما لا يفعل الجدب ، لأن أبناءها يموتون بالبِطنة ، على حين يموت غيرهم بالجوع .

فما قولكم فى أمة لا تعانى غير كثرة الزاد وقوة الضياء ؟

أكتب هذه الفقرة من هذا المقال فى منتصف الساعة الخامسة من صباح اليوم الثلاثين من يولية ، بعد قضاء نحو ساعتين تحت أزيز الطيارات وضجيج المدافع ، وكان القمر — القمر المصرى — يغمر الليل بنور وهاج يسمح بنظم الخيط فى الإبرة بلا عناء .

أنا لا أبالغ ، فقد بدا لى أن أجرب ذلك فى قمر هذه الليلة ، ولم أفهم كيف تحرم وزارة الوقاية إضاءة المصابيح وقت الغارات فى الليالى المقمرات ، وهى تعلم أن اللئام المغِيرين يهديهم القمر بأقوى مما تهديهم المصابيح ؟

وهذا الطيران الذى يهدد مصر بوقاحة ونذالة وسفاهة هو نفسه الطيران المدين أثقل الدَّين لجو هذه البلاد .

هل نسيتم ما حدثتكم به على صفحات الرسالة قبل عامين ؟

كنت حدثتكم أن الطائر المصرى المسمَّى بالحِدأة ـ وهو طيرٌ جارح لا ينجبه غير جوّ مصر ، وإن وُجد بقلة فى بعض الديار الشامية ـ كنت حدثتكم أن الحدأة هى المعلم الأول لعلم

الطيران ، وبها استهدى « مُويَار » المسكين ، الذى ظل على سرير الموت ثلاثة أيام بإحدى الغرف السطحية فى شارع الوسكى بالقاهرة ، ولا أنيس لجسمه الميت غير أسراب من الحِدأة تراوحه وتغاديه فى حسرة والتياع ، إلى أن تنبه لموته الجيران

فى ليلتى هذه عانت « مصر الجديدة » من صراع الطيارات المغيرة والمدافعة ما عانتْ ، مع أن مصر الجديدة هى الوطن لتمثال مويار ، مويار الذى نقل عن « الحدأة المصرية » علم الطيران

فيارَبَّ الأرباب ، ما الذى بقىَ مما طويت عن أوربا من أعاصير الغدر والعقوق ؟

إن الأمم الأوربية تحترم حياد الديار السويسرية ، فهل تعرفون لأى سبب يُحترم ذلك الحياد ، فى تلك البلاد ؟

هل كانت سويسرا مهد موسى أو عيسى أو محمد ؟ هل نشأ فيها بوذا أو كونفشيوس ؟ هل كانت ملاذ آدم حين هبط الأرض ؟

لا هذا ولا ذاك ولا ذلك ، وإنما يحترم زعماء أوربا حياد سويسرا لتكون تلك الديار خزائن أمينة لما يدخرون من نفائس الأموال ، فهم يتضامنون تضامن الجشع لا تضامن الوفاء

فما ضرَّهم لو أعفوا مصر من صيال الطيارات ، لأنها الوطن الذى أنجبَ علم الطيران ؟

ما ضرهم لو تذكروا دَيْن مصر فى أعناقهم ، وهى أول أمة وضعت التقويم الشمسى ، فعلمت أُمم الأرض مواعيد الزرع والحصاد ؟

ما ضرَّهم لو تذكَّروا أن الفلاحين الذين سُخِّروا لحفر قناة السويس ملأوا جيوب الأوربيين بالملايين والبلايين من قطع الذهب الفتّان ؟

ما ضرهم لو تذكروا أننا ما بغينا عليهم ، وأن الفضل يرجع إلينا فى نقل علومهم وآدابهم إلى أقطار الشرق ؟

ما ضرَّهم لو تذكّروا أن اليونان الذين علموهم لم يكونوا إلا تلاميذ المصريين ؟ وما ضرَّهم لو تذكروا أنهم لم يفكروا فى تخليد عظيم من عظمائهم إلا بوحى من علم قدماء المصريين ؟

سويسرا تتمتّع بالحياد الدائم ، لأنها مُستودَع ذخائرهم وكنوزهم ، أما مصر فليس لها فى أذهانهم غير الصور التاريخية ، والويل كل الويل لمن يكتفى بمجد التاريخ !

ولكن مصر ، لو عقلوا ، صاحبة الفضل على أبنائهم فى العصر الحديث ؛ فقد أغنت منهم الألوف وألوف الألوف ، والضيمُ المخوف على مصر لن يُمنى أُولئك الأبناء ، ولن تصاب مصر بأعنف مما يصابون ، فليجرب الأوربيون حظهم فى اضطهاد هذه البلاد ، ليروا أن مآلهم إلى الخسران

هل تذكرون قصة « هيس » أحد زعماء الألمان ؟

كان أول من فكر فى الصلح بطريقة جدية فامتطى طيارته من أرض الألمان إلى أرض البريطان ، ليتفاهم مع صديق له هناك ، ثم شاء الحزم الإنجليزى أن يحتاط فأوثقه بالقيود لئلا يكون فى دعوته من المحتالين

فكيف نشأت فكرة الصلح عند « هيس » ؟

تلك فكرة نقلها عن الروح المصرى ، وقد وُلد فى مصر ، ونشأ فى مصر ، محوطاً بالرعاية من جيرانه المسلمين ، ولعله حفظ الآية التى تقول : « وإن جَنَحوا للسَّلم فاجنحْ لها وتوكل على الله » فكان من أخباره فى الاصطدام بالأُسرة الأوربية ما كان . وستعرف جلية هذا الخبر بعد زمن قصير أو طويل ؛ ولكن المؤكد أن نشأة هيس فى مصر هى التى فرضت عليه الشوق إلى الصفاء(١)

أما بعد فأين أنا مما أريد أن أقول ؟

هذا مقال غيرت عنوانه مرتين ، فقد كتبت شطره الأول فى صدر الليل ، وكتبت شطره الثانى حين كانت « نجمة الفجر » توهمنى أنها مصباح أرسلته الطائرات المغيرة لاستكشاف ضمير العداء

وكان لى مع نجمة الفجر تاريخ سجله « الموال » المعروف :

يا نجمة الفجر طُلِّى وارجعى روحى
وسلِّمى لى على اللِّى عندهم روحى

كنت أراعى نجمة الفجر بسبب الحب ، فصرت أراعيها بسبب الحرب ، وإن شقائى ليتمرد كلما تذكرت أن موقفى موقف الشاهدين لا موقف المحاربين

ليس فى نيتى أن أمحو حرفاً من هذا المقال ، لأنى لا أريد أن أرجع إليه بالتغيير والتبديل ، فكيف كان البدء حتى ينسجم مع الختام ؟

لعلنى قلت إن صورة إيزيس وهى ترضع حوريس هى التى أوحت صورة العذراء وهى تحتضن المسيح . ولعلنى قلت إن مصر وجَّهت العالم كله إلى فنون من معانى العظمة والخلود . ولعلنى قلت إنها هدت بنى آدم إلى فكرة الطيران فى سماء الواقع بعد أن هدتهم إلى الطيران فى سماء الخيال

(١) فرار هيس من ألمانيا شاهد صحيح على نفرته من الولوغ فى الدماء ، وقد استراح وأراح

سيكولوجية إدلر

تلخيص وتبسيط

للأستاذ محمد أديب العامرى

نظرة عامة

يرى ألفرد إدلر أن اتصال الإنسان - ذكراً كان أو أنثى - بالحياة والناس يقوم على دعائم ثلاث: العمل والحب والعلاقة الاجتماعية. هذه عنده هي وظائف الفرد في الحياة؛ فإذا كان الفرد مطمئناً فيها جميعاً كان إنساناً سوياً هانئاً، وإلا فإنه لا ينجو حين تنتقصه الحياة إحدى هذه الصفات الثلاث من أن يكون هدفاً لانحراف عصبي.

ولإدلر نظرية قائمة بذاتها في علم النفس مركزها فكرة « النقص ». ويظهر من تجارب الناس في الحياة أن فلسفة إدلر النفسية تقوم على شيء من الصحة، إن لم تقم على الصحة كلها، بالرغم من النزاع العنيف بين أتباعه وأتباع فرويد.

ونظرية إدلر الأساسية في علم النفس بسيطة. وقد وضعها هو في عبارات وشروح سهلة تجعل كثيرين ينظرون إليها مرتابين أول الأمر، خشية أن تكون هذه الفكرة قولاً عادياً لا طائل وراءه. والذي قرب نظرية إدلر من الأذهان أمران: أولهما نزعته العنيفة إلى التبسيط، وثانيهما طواعية أمثلة كثيرة من الحياة لتكون شواهد عليها، وشعور كل إنسان بشيء منها في نفسه. والنظرية تؤول بعد إلى دعوة إصلاحية عامة ذات مساس شديد بمصالح الناس وهنائهم. ولا عجب في ذلك فإدلر يعتقد مع وليم جيمس « أن العلم الحقيقي ليس إلا العلم الذي يتصل بالحياة اتصالاً مباشراً ».

وفلسفة إدلر في علم النفس تدعى (السيكولوجية الفردية). وهو يذكر أن هذه السيكولوجية إنما نتجت معه من دراسته لدوافع الحياة الخلاقة، أي الدوافع الخفية التي تحدو بالأحياء إلى الرقي والتطور، بالرغم من أي عائق يعوقها. ولذلك يرى أن الكائن البشري وحدة تستهدف غرضاً معيناً في اندفاعها نحو الرقي والتكامل. إن للنفس البشرية طابعاً خاصاً يتكون في الصغر. والنفس تحب أن تتكامل فتسد ما بها من نقص أو تندفع إلى الأمام نحو هدف ثابت للرقي.

وإدلر قد لاحظ أن الجسم البشري تتساند جميع أعضائه لتحفظ الجسم وتسعده. بل هو يلاحظ أن أجزاء الجسم تحاول أن تسد أي نقص يطرأ عليه. فالجسم يُجرح مثلاً فتعمل سائر أعضائه على تغذية المكان المجروح ووقايته حتى يلتئم ويذهب الألم والتشويه الناجمان من ذلك: « الحياة تحاول دائماً أن تستمر، وقوى الحياة لا تخضع قط لأي عائق من الخارج يحول دون استمرارها من غير أن تجهد نفسها في التغلب عليه. وأن حركة النفس لشبيهة بحركة الحياة العضوية »

وهذا معناه أن النفس البشرية كذلك تتعاون أجزاؤها في سبيل إسعاد النفس كلها ودفعها إلى الأمام في طريق السمو. فالنفس البشرية لها هدف أو مثل أعلى، وهي تحاول أن تتخطى الحالة التي تكون عليها. فلو كانت منقوصة حاولت أجزاؤها الأخرى أن تسد هذا النقص. أما هذا الهدف فإنه يتكون في أول عهد الطفولة الباكر في السنوات الأربع أو الخمس الأولى من حياة الطفل. ويتركز الهدف الذي تستهدفه النفس حول نقص تحس به من جراء عضو مفقود أو مشوه. فالطفل ينقصه هذا وهدفه الذي تستهدفه نفسه من

وطني!

أنت كما أعرف، وفوق ما أعرف، ولو أن الله لم يُبدع خلقاً سواك لكنت وحدك الآية الباقية على أنه الخلاق الوهاب

وطني!

في سبيل الظفر بآلائك ولألائك سهرت عيون وشقيت عقول، فكيف أمنُّ عليك بليلة لم يكن فيها سهد عيني وجهد عقلي، إلا هتافاً بمجدك في حاضرك وماضيك، يا آية الله في هذا الوجود

وطني!

أنا أسبِّح لله الذي أنشأك على خير مثال، فكانت فيك الخصائص الأصيلة لجميع الأوطان، من أنهار وبحار وصحراوات ومن آلام وآمال

وطني!

قال العلماء إنك اختصصت بالسمك المدرِّع بالكهرباء، فهل يقولون أيضاً إنك اختصصت بالقلب المدرَّع بالوفاء

زكي مبارك

جراء هـذا النقص يكون وحدة كاملة يسميها إدلر « النموذج الأول » Proto-type . وهذا النموذج الأول للطفل يظل هو هو فى أساسه لا يتغير مدى حياة الطفل ، وإنما يمكن تعديله وتوجيهه وجهات حسنة ، وهذه هى فائدة السيكولوجية الفردية . وخير وقت لهذا التعديل والتوجيه هو فى فترة العمر الباكرة ، التى يتكون أثناءها النموذج الأول

وليس من الضرورى أن يتشكل الشعور بالنقص من جراء فقدان عضو أو تشوهه ، ولـكن حرمان الطفل من مميزات الحياة ، وخاصة بالنسبة إلى غيره من الناس ، يولد فيه الشعور بالنقص . فالتربية الناعمة المرفهة (المدللة) للطفل التى تحفه بعناية زائدة لا حاجة إليها ، أو الكره الشديد الذى يحس معه الطفل حرج مركزه بالنسبة إلى غيره ، هى من الأمور التى تزرع فيه الشعور بالنقص من ناحية أخرى . إن الطفل المدلل يتعود الاعتماد على أهله ، فإذا نما لم يستطع مقابلة الحياة ، وإنما يطلبها على الشكل الذى كان يطالب به أهله وهو صغير ؛ وبالطبع لا نجد من الحياة التلبية التى كان يجدها من أهله ، فتتغلب عليه الحياة وتهزمه ، وينحرف بذلك إلى نواحى الحياة الضارة . فالحياء الشديد ، والادعاء ، والقعود عن العمل ، والإجرام ، والجنون والإدمان على الخمر ... الخ : هى مظاهر مما تؤول إليه حالة الطفل إذا نشأ غير سوى ، واستولى عليه شعور بالنقص

وعند ما يلخص إدلر نظريته يقول : « لا مندوحة من الاعتراف بأن طريقة السيكولوجية الفردية تبدأ وتنتهى بمشكلة النقص ... فالنقص هو أساس الجهاد البشرى والنجاح . غير أن الشعور بالنقص هو أساس جميع مشاكلنا النفسية . إن الفرد إذا لم يجد هدفاً من الرفعة تعرض لشعوره بالنقص ، وهذا الشعور يقوده إلى مخرج يخلصه من مواجهة الحياة ، هذا المخرج هو الذى يدعى « مركب المظمة » ؛ ولا يزيد هذا المركب عن كونه هدفاً عابثاً غير مفيد ، يوهم بالرضا الذى يناله الإنسان من نجاح خيالى ... »

وما دام الشعور بالنقص هذا هو أول ما تنحل إليه نظرية إدلر النفسية وآخره ، فجدير بنا أن نبحث هذا الشعور بشىء من التفصيل :

الشعور بالنقص

فكما قد أسلفنا من قبل يبدأ الشعور بالنقص فى الطفل من نقص أو ضعف فى التركيب الجسمانى ، ومن الحرمان النفسى مهما كان نوعه . ويتوقف نوع الشعور على نوع الضعف أو على نوع الحرمان . ويشمل ذلك عوامل البيئة التى نشأ فيها الطفل ، وخاصة طبائع الوالدين والناس المحيطين به وجميع الذين يؤثرون فى تربيته أو الوضع الاقتصادى الذى ينشأ فيه

ومن البيّن المهم أن الطفل لا يقوى على العيش وحده حين يولد ، ولذلك كان لا مناص له من أن يعتمد على غيره ــ عائلته ــ فى مطلع حياته

واعتماده هذا هو مبدأ إحساسه بالحاجة إلى غيره . وهذا الإحساس يستمر معه فى الحياة ؛ فمتى كبر وأضحى مستقلاً كان موضعه بالنسبة إلى المجتمع كما كان موضعه بالنسبة إلى عائلته وهو صغير ؛ وبعبارة أخرى تنتقل حاجة الفرد إلى جماعة أكبر . ومن هنا يشعر الكبير بحاجة إلى الناس . وشعوره بالنقص يحمله على مواصلة العلاقة بالمجتمع . «فمبدأ الحياة الاجتماعية» ، كما يقول إدلر « هو ضعف الفرد ؛ واستمرار ضعفه بالنسبة للمجتمع يلزمه أن يكون اجتماعياً » . وهذه الملاحظة مهمة من ناحيتين : أولاهما إشارتها إلى أن الإنسان اجتماعى بالطبع ، والأخرى الإلماع إلى أن طمأنينة الفرد فى المجتمع الذى يعيش فيه من أحق علاقات الشعور بالنقص كما سيجىء

(البقية فى العدد القادم) **محمد أديب العامرى**

كتاب الامتاع والمؤانسة

الجــزء الثــانى

للأب أنستاس مارى الـكرملى

(تتمـة)

وفى ٨٥ : وإن التذّ بالدستنبان فلن يُعَدّ موسيقاراً ؛ والصواب التذ بالدَّسْتان ، والدستان اسم لـكل لحن من الألحان المنسوبة إلى باربد . أما الدستنبان ، فلم ترد فى كلام العرب ، ولا فى كتب اللغة

وجاء فى ص ٩٠ : فإن الصانع لا يقدر على عمله الذى كان يعمله إلا أن يتخذ دكاناً آخر ، وآلات جُدداً أُخر . وضبطت جدداً بضم ففتح . والصواب جُدُداً كعُنُق لأنها جمع جديد ؛ لـكن الذى غرّه هو سماعه الدائم للآية (ومن الجبال جدَدٌ بيض) . فهنا جُدَد بضم ففتح لأنها جمع جُدَّة كغرفة أى طريقة ظاهرة ، وأما فى نص التوحيدى فهى جمع جديد

وورد فى ص ٩٩ فى الحاشية : الإسطام مِسمار النار وهى الحديدة التى تسعر بها ، والأحسن تحرَّك بها

وفى ح ص ١٠٥ : هذا أوان الرطب بضم الراء ؛ والصواب بضم الراء وفتح الطاء

وفى ص ١١٠ : ويجعلها (أى يجعل الأحجار) ملساء ، وضبطت كحمراء ؛ والصواب مُلساً بضم الميم ، وإسكان اللام ، وفتح السين ، لأن جمع أملس وملساء مذكراً ومؤنثاً مُلس (راجع فساد قول القائل صخور ملساء فى مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٣ و ٢٣٤)

وفى ص ٨٧ : الشُرْيان ، وضبطت بضم الشين والصواب بفتحها وكسرها ، لـكن لا بضمها ، لأن الضم غلط وفى تلك الصفحة نفسها (من الأربع) ؛ والصواب الأربعة ، لأن الاسطقس مذكر

وفى ص ١١٠ : فتل النُوشاذَر ؛ والذى ورد فى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى المطبوع على حاشية حياة الحيوان من تأليف الدميرى ص ٣٢٧ النوشادر بالدال المهملة ، والـكلمة فارسية وهي فى هذه اللغة بالدال المهملة ؛ إلا أن هناك قاعدة عند المعربين أن كل دال مهملة فارسية قد تقلب ذالاً معجمة عند تعريبها ، إذا سبقها حرف عليل سا كن ؛ ومع ذلك فقد اشتهرت دال النوشادر بلا نقطة

وفى ص ١١١ : القلمى (وضبطها بالتحريك) قريب من الفضة فى لونه ؛ وصواب الضبط بفتح القاف وإسكان اللام ، كما فى معجم ياقوت فى مادة (القلمة) ، وكما فى القاموس أيضاً وتاج العروس وجميع كتب اللغة التى يعتمد عليها

وفى تلك الصفحة : والزرقة للزهرة والبياض للقمر ؛ وضبطت هاء الزهرة بالسكون ، إذ لا حركة عليها ، وضبطت ميم القمر وراءه بالفتحة والصواب للزهرة بالضم فيتح ففتح وصوابه للقمر ، بفتح القاف والميم وكسر الراء

وفى ص ١٥٨ : « قال : نعم وكرامة » — والصواب : قال : نعم ، حُباً وكرامة . هـذا هو المشهور عندنا فى العراق ، وعند الأدباء الحذاق . ففى القاموس فى مادة (ح ب ب) :

« الحُبّ [بالضم] : الجرة ، أو الضخمة منها ، أو الخشبات الأربع توضع عليها الجرة ذات العروتين ، والـكرامة : غطاء الجرة . ومنه : حُبًّا وكرامة » انتهى

وفى ص ١٦٢ : « وأما البركة فهى السماء والزيادة والرفع » والصواب : والرفع بغين معجمة فى الآخر ، وهو السعة والخصب

وفى ص ١٨٧ : « وها أنا آخذ فى نشر ما جرى » والمشهور عند الفصحاء : « وها أنذا آخذ ... »

٧ — أوهام الطبع والرسم

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
تنبيهات	٤	الجزآن	الجزءان
٢٧	١٩	يقرؤها	يقرأها
٢٩	٤	طيء	طَيِّء
٣٥	٢	ملآى	ملأى
٤٣	٨	مماثلةً	مماثِلةً
٤٦	١٤	العال	العالم

٤٦ : ٧ و ١٤٩ : ١٢ و ١٨٤ : ٥ الرآسة : الرئاسة

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٤٨	٣	لاستطاعة	الاستطاعة
٤٩	٥	الشَهَوية	الشَهْوية
٥٧	٣	الخزأ	الخزء
٥٨	١٢	وضونى	وضوئى

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٦٠	قبل السطر الأخير	رآى	رأى
٦٣	«	« ثمانى أوانى	ثمانى أواقٍ
٧٥	١٤	رُءوساً	رؤوساً
٨١	١٣	ثمانِ سنين	ثمانى سنين
١١٦	٥	فِكَرٌ	فِكَرُ
١١٨ و ١٨٦ و ١٩٤		الجزأين	الجزءين
١٢٠	١٣	أسئلهُ	أسأله
١٢٧	٢	مَسْكَن	مَسْكِن بكسر الكاف هو الأفصح
١٢٧	١٢	المَرِّىْ	المُرِّىّ

١٣٠ آخر سطر وأولى بالبراعة ؟ ؟ — لا نفهم سبب وضع علامتين للاستفهام فهذا مخالف لما وضعه أرباب الرسم الذين أوجدوه

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
١٣٧	١٣	الشعر	الشعر

١٣٧ ١٧و١٨ ؟ ! استعمل الناشران أربع مرات علامة الاستفهام والهتاف ؛ والعلماء واضعو هاتين العلامتين لا يستعملونهما معاً فى آخر العبارة الواحدة ، بل يستعملون سمة الاستفهام مرة واحدة إذا كان ثَمَّ ما يشعر بالاستفهام ؛ وسمة الهتاف إذا كان ما يشعر بالألم أو نحوه ، أما استعمال العلامتين معاً فى آخر العبارة الواحدة فما لم يجر على قلم كاتب أو أديب منهم

١٨٥ فى قلب الصفحة هـذا القِسَط ؟ ! لا معنى لهاتين العلامتين معاً

١٣٩ فى قلب الصفحة : الأخفِش : الأخفَش (بفتح الفاء)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦٢	١	وشُؤِم	وشُئِم
	٢	ومشئوم	ومشؤوم
١٦٦	٣	أقحَوان	أُقحُوان (بضم الأول والثالث)
١٦٨	١٠	باهتة	مبهوتة
١٧٦	٢١	تتبين	تتبين
١٩٩	٥	أخطا نوْأها	أخْوى نوْءها
١٩٩	٦	من ليس فى خيره شرٌّ	من ليس فى خيرِه مَنٌّ
١٩٩	٨	اجلوَّذ السفر	اخروَّط السفر
٢٠٠	٣	لا يصعب الأمر	لا يضعف الأمر

وفى صفحة ٢٠٠ س ٢١ : « والصفر . زعموا أنها دويبة مثل الحية تكون فى البطن تعترى من به شدة جوع »

كنا نودّ أن يُقال : الصفر فى زعم الأولين دويبة ... وهو وهم منهم . والصواب أن موادّ نُسُج الجسم الغذائية تضعف فيشعر مجموع الأعصاب بما ينتشر من ذلك الضعف فى البدن كله ، فتظهر الحاجة إلى ما يعوض عن ذلك الضعف

وفى ص ٢٠٣ ص ٩ يُبدَءوا واالصواب يُبدَأوا

ومن الأغلاط الشائعة فى مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية ، ما يأتى :

ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ . . . أم خطاء وزان سحاب لضد الصواب ، على ما فى كتب اللغة

ص ٤٢ س ١٠ وبالجاذبة تجذِبْ (يجزمون حيث لا موجب للجزم) والصواب تجذب برفع الباء

ص ٨١ س ١٤ بثمان سنين : بثمانى سنين

ص ١١٠ س ١٥ البَوْرَق : البورق بضم الباء

ص ١١٠ س ١٣ النُوْشاذَر . لم ترد هذه الكلمة مضبوطة فى كتب اللغة القديمة كاللسان والقاموس ، ولا فى تاج العروس مع حداثته ، لكن الزمخشرى ذكرها مضبوطة ضبطاً تاماً محكماً فى كتاب مقدمة الأدب فى ص ٥٩ س ١٩ ووزن نوشاذِر فُوْعالِل الذى هو مدُّ فُعالِل لجلاهق وعجاهن وسرادق . وليس فى العربية فعالل بفتح ما قبل الآخر ، ولهذا نستغرب ضبط نوشاذر بفتح الذال ، إذ لا مثال له ولا لنشاذر ، فضبط الأديبين الضبط الذى اعتمداه لا يدل على وقوفهما على أسرار العربية . زد على ذلك أنه ليس بالضبط الفارسى كما يتصوره القارئ .

٨ — مقابلة النص ومعارضته بما جاء منه فى الكتب المنشورة

كنا نود أن نذكر فى ختام هذه الكلمة معارضة نص هذا الكتاب المنشور حديثاً بما ورد مطبوعاً من الكتب التى صنفها الأقدمون ، ممن كان فى عصر المؤلف أو جاء بعده ، فرأينا أن ما جاء مثبتاً فى هذه النسخة من الزيادات ، وبعض الأحيان من الحذف والنقص ، ومعارضتها بعضها ببعض ينشئ فى صدور القراء مللاً وضجراً ، فعدلنا عن هذا القصد إلى الإشارة بمراجعة كتاب ابن القفطى فى كلامه على مؤلفى كتاب إخوان الصفاء فى ص٨٢ من طبعة الأفرنج ؛ ثم مراجعة ديوان الأعشيين

شجون ودروس . . .

للأستاذ إسماعيل حمدى

في مطلع العدد ٤٧١ من (الرسالة) العزيزة ، وفى «شجون» قريعها الدّارع الدكتور زكى مبارك ، درس قيّم تفضل به على من كتب فى « اتجاه رجال الأدب فى العصر الحديث » وأحب الدكتور أن يكون فى هذا الدرس على إيجازه بلاغ لمن يتورط فى الكتابة والنشر وهو مفتقر إلى محض سلامة النظرة ، فضلاً عن قوتها وحدتها واستوائها جميعاً

والدكتور رغم كفاية الفطنة والخبرة لديه من طول « ما ابتلى بزمانه وأهل زمانه » لا يزال — بمعجزة ما — يطمع فى أن يعترف متورطٌ بتورطه ، أو يتعلم مخطئٌ من خطئه ، وخاصة فى هذه الديار !

لا يا سيدى ، عد إلى آلاف المقائد التى لا تستطيع أن تحصيها ... آلاف المقائد التى كونتها ولا ريب عن الناس منذ احتككت بهم ، وعالجت من حقهم وباطلهم ، ورشدهم وسفههم ، فأنت واجدٌ فيها ما يردك إلى اليأس المطلق من هذا الطمع الذى طمعت ، إلا إذا ضربت بلا رحمة ، وانهالت ضرباتك على القاتل فوجد صريعك مسَّ الأذى وفرط الألم ، وبات بين فرار الهارب وصراخ التائب ، وأيهما اختار فحسبنا لتستأنف القافلة المسير ، ويبلغ الكتاب أجَـله

نعم . فما ينبغى أن نتسلّى بالاقتراح على أحد أن ينحى على منطقه فيضع شيئاً مكان شيء ، ويتخير مادة دون مادة ؛ فحسب الطفل لكى يمتلئ رأسه الضئيل بالعناد أن نقترح عليه تغيير اللعبة التى فى يده ؛ فإن ذلك أحرى أن يزيده تشبثاً بها وتوهما فيها ، وشروداً في أخيلته حولها

ولا نودُّ المضىَّ إلى بعيد فى العتب على الدكتور ، فقد يجد الناظر إلى درسه الموجز ما يشغله بشئون أخر :

ذلك أنه يرى التودُّد إلى الجماهير تهمة ظالة يبرأ منها كرام الرجال الذين كتبوا فى الإسلام ونبيه ، ويستظهر لبراءتهم بما في الدراسات الفذة التى قدموها من روح يضطرم بالشعور والذوق والإيمان وسائر الذخائر التى لم يألف تجار « الزُّيوف » أن يتعاملوا بها مع « الجمهور »

إن فى إحساس الدكتور بضرورة التبرئة لأولئك الأساتذة الكرام هفوة أخرى — ويبدو أننى رجعت إلى عتابه — إذ كان إحساسه هذا ينطوى بداهة على التسليم بأن التودد إلى الجماهير تهمة ! وما يتفاقم الغرور عند الصغير بأكثر من أن يكتشف فى منطق الكبير نحواً من الموافقة على بعض أوهامه ، ولن يتواضع هذا الغرور بعد ذلك حين يفزع الدكتور إلى واجب التبرئة لزملائه وفاء لهم وللحق العظيم فى دينه وتراث قومه

ولسنا ندرى لم يكون التودد إلى الجماهير — إذا افترضنا وقوعه — تهمة تثير الأنفة ، وتحرّض على المقاومة ، إلا أن يكون هذا خوفاً فى موطن الأمن ، وخجلاً فى مقام الزهو ، لا يجملان بالقلب الكبير والجبين الفخور !

سوف لا نحاكم الدكتور إلى غير « شجونه » فى نفس العدد من (الرسالة) ، فليقرأ فى آخرها هذه الكلمات من نشيده فى حب وطنه : « ولو عانت كبار الشعوب ما عانيت لشالت كفتها فى ميزان التاريخ ، فكيف استطعت أنت برغم ما عانيت مصدر العقل فى الشرق ، وأن تهتدى بنورك فى اللغة والدين مئات الملايين ؟ . . . لن تراني إلا حيث تحب ، ولن يرانى أعداؤك إلا حيث يكرهون ، ولو زعموا أنهم فى طهر ملائكة السماء » . ما معنى هذا ؟ معناه أنها وقفة شريفة لابن شريف بين يدى شعبه الذى لا يزال يقود شطراً ضخماً من العالم فى اللغة

طبع أوربة فى ص ١٩٨ ، ليتأكد القارئ أنه كان من أقدس الواجبات على الناشرين أن يراجعا هذين السفرين وغيرهما من المطبوعات ، وإلا فعملهما هذا جاء خداجاً ، ويحتاج إلى إعادة النظر فى ما طبعاه ، ومقابلته بما ذكرناه لهما

وعلى كل ، فإننا نشكرهما كل الشكر على ما قاما به من إخراج هذه الدرة الثمينة من مكمنها ، وعرضها على الناطقين بالضاد بهذه الحلى البديعة ، والوشى الجاذب للأنظار ، والمشوّق لاقتنائه ، ووضعه فى مصف كنوز الأقدمين ، ورفع منزلتهم بين علماء الأقوام المختلفة وكتّابهم العظماء ، ومصنفيهم البلغاء .

ونحن نتوقع أن يكون طبع المجلد الثالث بعناية أعظم وتحقيق بالغ أقصى المنى ، ومنه تعالى التوفيق

(بغداد) **الأب أنستاس مارى الكرملى**

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

والدين ، والفكر ، وطراز الحياة جملة ؛ فهو يعلن العصبية فى زمن العصبية الآكلة ، ويجدد البيعة فى زمن الإخاء فى السلاح أن يكون لقومه قرة أعين ، ولأعدائهم هولة حلم ، ثم ماذا ؟ ثم معناه أن الضلال القديم الذى طالما اغتال عقولاً فى هذه البلاد فذهبت تفترى فى الأدب مذاهب ، وترتجل فى الفكر طرائق ، مهما نبا ذلك عن روح الشعب الحقيقية ، ومهما تمزقت بذلك روابطنا بمن يحبوننا ، ويصطفون من حولنا ، من الأمة العربية الكبرى ، والكتلة المسلمة العظمى ؛ هذا الضلال ينبغى أن تنقشع بقاياه توًّا وإلى غير رجعة ، ومن شاء أن يقول ، ومن شاء أن يفكر ، ومن شاء أن يعمل فليأخذ مكانه الطبيعى تحت هذه الراية والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ؛ وإلا فهو خائن يطوّق بعاره ، ومجرم يشار إلى سيماه ، وعدو لا نسلم عليه تسليما ، وإنما نثأر منه تأراً ، وندسه فى التراب ، وننفض من غباره الأيدى

كأنّ الدكتور يخطبنا هذه الخطبة تماماً حين هتف بذلك المقطع الذى نقلناه من نشيده ، فكيف إذن نقبل منه التسليم بأن فى التودد إلى الشعب ما يزرى ، وهو لا يرى إلا أن يكون رجل الفكر والأدب « رجل الشعب » أولاً : فى رأسه من خواطره ، وفى صدره من عقائده ، وفى ضميره من أشواقه ...

فإذا كانت أشواق هذا الشعب الروحية والثقافية والاجتماعية ظاهرة ظهوراً صارخاً ، بحيث لا تخطئها إلا العين المائقة ، ولا يمر بها ظرف أو مناسبة مواتية ، إلا أثبتت بظهورها ذاك أنها ليست موجودة ومعروفة فحسب ، بل وأصيلة ونامية معاً ، لأنها تنفجر من تاريخ ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن ، بملء ما فى هذا التاريخ من أقدار كبيرة ، وأطوار عميقة ، لم تكن قط خرافة يزيّفها لفظ ، ولا سامراً يفضه صوت ، ولأنها تدور مع الدم فى أجساد الملايين الذين تضرب ظلالهم شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، على قارتين ، وثلاثة بحار ، وعديد من الأنهار ، وتقع جباههم منذ هذا العمر المبارك على تلك الربوع والبطاح العريضة ، ساجدة لله فى كل يوم خمس مرات ... نعم ، وإذا كانت هذه الأشواق هى التى تملى قواعدها الخاصة لنهضة هذا الشعب بنفسه وبالصفوف الرائعة المتراصة من حوله ، وهى التى تعيّن الأفق الذى يترامى إليه نظر شعب قوىّ التحديق ، شديد الحماليق ... إذا كان ذلك كله كما نحس ، وكما لا نشك ، فما بد من أن يصطلى كل أديب ، وكل مفكر ، وكل منتج ، بقبس من تلك الأشواق الحارة الخالدة . فهذا القبس وحده هو الذى يمده بالصواب فى تصوره لنوع النهضة المنتظرة والمحتومة معاً ، ويمده بالقدرة على المشاركة الفذة فى إقامة الصرح وتأثيله ، وبدونه لا يكون إلا متعسفاً حائراً ، لا يبرح فى حيرة وتعسف ، يدور حول نفسه ، ويكذب أبداً على نفسه ، حتى تكبّه عثرة ، أو تلقفه هاوية ، وبدونه لا يكون نسبه فى أدباء الشعب ودعواه العمل باسم الشعب ، وعيشه على مرافق الشعب ، إلا تزويراً ونفاقاً وسرقة ، وما لا تُمِدُّه اللغة للتشريف ، ولكن للسباب

ثم ما هو الأدب ؟ أليس هو : كالعلم ، والفن ، وكالاقتصاد نفسه ، قوة من القوى المختلفة فى الحياة العامة ، ينبغى أن تهدف كلها صوب غايات الشعب العليا ؛ وفى خلال سيرها تلقاء هذه الغايات ، ينبغى أن تستفتى حاجاته الحقيقية ، وتستعين بأحلامه الروحية على ضمان النجاح ، وسرعته أيضاً ؟

هذا الذى نقرره من بدائه كل إصلاح وكل نهضة ، وليس من فهما المعقد ، ولا من كهانتهما الغامضة ، حتى يكون ثم موضع للجدل أو الحذلقة

فمن يحاول عزل « الأدب » عن كافة القوى الأخرى المتضامنة فى الحياة العامة ، ويشككه فى واجب تضامنه مع تلك القوى ، وارتكازه أبداً إلى ضمائر الشعب وأحلامه القدسية ، ويزعم أن فى عودة الأدباء بقلوبهم الشريدة إلى وطنها المأنوس بين قلوب قومهم بعد طول انتظار للوفاء والبر والنبل ما يثير شهوة الفضول والعجب الأبله ، لا يفهم الأدب إلا فهماً بوهيمياً ، ولا ينتج فيه إلا ضرباً من الكلام ينهمك فيه الطابع ، والمصحح والناشر ، والناقد ، ليعالج به أخيراً ملل تافه ... !

إن هذا الذى كتب فى اتجاه رجال الأدب فى العصر الحديث لا نتهمه بالمغالطة حين زعم ثانية أن تأريخ عصر النبوة رجعية ، إذ كانت المغالطة مطوية على ذكاء وفهم فى الواقع وإن لم يكن ذكاء شريفاً ، وإنما نتهمه بالغلط الذى لا يرادف التجاهل ولكن يرادف لفظاً آخر . ما معنى الرجعية ؟ أليست هى الانتكاس والتقهقر ، وإيثار الأدنى على الأعلى ؟ فأى سمو وقع دونه الرجال

الذين يؤرخون عصر النبوة ؟ وأية فكرة أو حقيقة تكشفها دراسة هذا العصر تنحط مرتبة عما تكشفه دراساتهم الأخرى فى موضوعات أخرى ؟ وأى شر تبتلى به حياتنا العقلية — ودع عنك حياتنا الوجدانية التى هى محور كل عمل أدبى — إذا أضيفت هذه الدراسة إلى سائر الدراسات التى استبدت بأقلام الكتاب منذ كانت لهم أقلام ؟ ألا نجد عقولنا فيها من عافية الفكر وأريحيته ما يتلمسه الضمير الإنسانى فى كل ثقافة كائنة ما كانت ليصح به ويترعرع ويزكو ؟ !

هذه أسئلة لا تطلب جوابها من أحد ، ولا تستجديه ، فهو ملء كل نفس تفهم « الأدب » ولا تزرى بقدره . لا ، بل إنه إذا كان كل شىء فى الحياة يتشكل ويتطور ، لكى لا ينبو عن طبيعة جوه ، ومقتضيات بيئته ، فما بد من أن يتحدث الأدب فى كل عهد بلغته ، ويتوخى من هذه اللغة ما يشوق الأذن المائلة ، ويجاوب الحنين السارى ، ويعجل البعث المرتقب ، ونحن نعيش فى حقبة من تاريخنا لا يصلح لها إلا هذا ، فلو اشتغل الأدب بما يبعد كثيراً أو قليلاً عن هذا النهج لكان ملتوياً على روح الشعب ، جامداً عن مجاوبته ، وتلبية حاجته ، ومثله فى هذه الحالة — وفى المنطق البوهيمى — كمثل اللحن الناعم النائم تعزفه لجندىّ راحل إلى الجبهة ! ...

فأى غلط بعد غلط يتعفن به منطق فرح به صاحبه فرحاً مضحكاً وهو يناقش « العقاد » فى بعض ما كتب ! نعم لقد كان يبدو فى سياق فرحه ذاك أن منطقه لا يثقبه الرصاص نفسه !

كم اشتغل المستشرقون بتأريخ عصر النبوة ، وهذه حقيقة معروفة نود أن نوجه إلى منطق صاحبنا سؤالاً خاصاً بها ، وهو سؤال أخير نضيفه إلى تلك الأسئلة المخيفة التى وجهها إليه الدكتور فى خلال درسه القيم ، والتى تتضمنها هذه الفقرة بالذات : « لم يقل أحد إن هيكل كان رجعياً حين ترجم لجان جاك روسو ، ولم يقل أحد إن العقاد كان رجعياً حين ترجم لابن الرومى ، ولا قال قائل برجعية طه حسين حين ترجم لأبى العلاء ، ولكن الرجعية أصابت هؤلاء الأساتذة حين شغلوا أنفسهم بتأريخ عصر النبوة ! ! لأنه مصدر من المصادر الدينية الخ » أإذا اشتغل المستشرقون بهذا الموضوع ومثله ؛ وكتب فيه كتاب أوروبيون — وكم حدث ويحدث — يكون ذلك أيضاً « رجعية » و « تودداً للجمهور المصرى » ؟ ! أم ينعت ذلك عند صاحبنا ومنطقه العتيد بالفحولة العقلية ، والثقافة الإنسانية ، وما إليهما من النعوت التى تكبر على الرجعية ، أو الرياء ، أو اللغو الذى تكرمنا عن مناقشته والذى سماه إيمان المقترب من اليوم الآخر ؟ !

ندع الآن المنطق العتيد يحصى قائمة الخسائر التى نزلت به ، ونحن — فى نفس الوقت - على استعداد لكى نضيف إلى هذه القائمة أرقاماً أخرى ، نقول له ذلك قبل أن يتعجل فينشر مقالاً أو بعبارة أخرى — بلاغاً يزعم فيه أن الخسائر طفيفة ! !

وبعد ، فلم يفرغ درس الدكتور من نواح أخرى ذات بال ، فحسبنا ذلك اليوم ، وإلى فرصة قريبة .

(الأقصر) **اسماعيل حمدى**

ابنة الطحان

للورد ألفرد تينيسون

إنها ابنة الطحان ، وقد نمت وتطورت
حتى غدت محبوبة فتانة . فيا ليتنى جوهرة
فى القرط الذى يرتجف معلقاً فى أذنها ،
لأننى إذ ذاك وأنا فى حلقة من ذهب
أمُسّ رقبتها البيضاء الدافئة ليل نهار .
أو ليتنى النطاق الذى يحيط بخصرها الدقيق
الرشيق فأحس بضربات قلبها فى ساعات
الحزن وأويقات الراحة ، وأعلم ما إذا
كانت الدقات متئدة منتظمة ، وأحيط بها
من جميع أطرافها ضاغطاً عليها بحنان !
أو ليتنى حلي معلقة فى رقبتها فأرتفع وأهبط
بانتظام على صدرها البض ، مع تصاعد ضحكاتها
وزفراتها ، وأستقر فى مكانى هادئاً جداً
بحيث لا تخلعنى حتى عند ما تذهب لتنام !

(بغداد) **صفاء خلوصى**

القـــاضي التنوخي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وأما أسباب عزله فتلخص بما يأتي : قال الرئيس أبو الحسن هلال : وفي شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي وألزم منزله وصُرف عمـا كان يتقلده . وكان السبب في ذلك ما حدثني به أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو علي والدي قال : كنت بهمذان مع الملك عضد الدولة فاتفق أن مضيت يوماً إلى أبي بكر بن شاهويه رسول القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم ، وكان له صديقاً ومعي أبو علي الهائم وجلسنا نتحدث ، وقعد أبو علي على باب خركاه[1] كنا فيه وقدم إليه ما يأكله ، فقال لي : اجعل أيها القاضي في نفسك المقام في هذه الشتوة في هذا البلد . فقلت لِمَ ؟ فقال إن الملك دبّر القبض على الصاحب أبي القاسم بن عبّاد ، وكان قد ورد إلي حضرته بهمذان ؛ وإذا كان كذلك تشاغل بما تتطاول معه الأيام . وانصرفت من عنده ؛ فقال أبو علي الهائم قد سمعت ما كنتما فيه وهـذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج به إلى أحد ولا سيما إلى أبي الفضل بن الشيرازي . فقلت أفعل ، ونزلت إلى خيمتي ، وجاءني من كانت له عادة جارية بملازمتي ومواصلتي ومواكلتي ومشاربتي وفيهم أبو الفضل بن أحمد الشيرازي ، فقال لي : أيها القاضي أنت مشغول القلب فما الذي حدث ؟ فاسترسلت على أنس كان بيننا وقلت أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل على كذا في أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السنة . فلم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابيا من ركابيتي وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال عند أبي بكر بن شاهويه . قال : وما صنعتم ؟ قال : لا أدري إلا أن القاضي أطال عنده الجلوس وانصرف إلى خيمته عنه ولم يمض إلى غيره . فكتب إلى عضد الدولة رقعة يقول فيها : كنت عند القاضي أبي علي التنوخي فقال كذا وكذا وذكر أنه قد عرفه من حيث لا يشك فيه وعرفت أنه كان عند أبي بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل ؛ وإذا شاع الخبر به وأظهر السر فيه فسد ما دُبّرَ في معناه . فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجوماً شديداً وقام من سماط كان قد عمله في ذلك اليوم على منابت الزعفران للديلم مغيظا ، واستدعاني وقال لي : بلغني أنك قلت كذا وكذا حاكياً عن أبي بكر بن شاهويه فما الذي جرى بينكما في ذلك ؟ فقلت لم أقل من ذلك شيئاً ، فجمع بيني وبين أبي الفضل بن أبي أحمد وواقفني وأنكرته ، وراجعني وكذّبته ؛ وأُحضر أبو بكر بن شاهويه وسئل عن الحكاية ، فقال : ما أعرفها ، ولا جرى بيني وبين القاضي قول في معناها . وثقل على أبي بكر هذه المواقفة وقال : ما نعامل الأضياف بهذه المعاملة . وسئل أبو علي الهائم عما سمعه فقال : كنت خارج الخركاه ، وكنت مشغولاً بالأكل وما وقفت على ما كنا فيه . فقد وضرب مائتي مقرعة ؛ وأقيم فنفض ثيابه . وخرج أبو عبدالله سعدان — وكان لي محبًّا — فقال لي : الملك يقول لك : ألم تكن صغيراً فكبرناك ، ومتأخراً فقدمناك ، وخاملاً فنبهنا عليك ، ومقتراً فأحسنا إليك ؟ فما بالك جحدت نعمتنا وسعيت في الفساد على دولتنا ؟ قلت : أما اصطناع الملك لي فأنا معترف به ، وأما الفساد على دولته فما علمت أنني فعلته ! وجلست مكاني طويلاً ، وعندي أنني مقبوض عليَّ ، ثم حملت نفسي على أن أقوم وأسبر الأمر ، وقمت وخرجت من الخيمة ، فدعا البوابون دابتي على العادة ، ورجعت إلى خيمتي منكسر النفس منكسف البال ؛ فصار الوقت الذي أدعى فيه للخدمة ، فجاءني رسول ابن الحلاج على الرسم ، وحضرت المجلس فلم يرفع الملك إليَّ طرفاً ، ولا لوى إليَّ وجهاً ؛ ولم يزل الحال على ذلك خمسة وأربعين يوماً ، ثم استدعاني وهو في خركاه وبين يديه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وعلى رأسه أبو الثناء شكرٌ الخادم فقال : ويلك ! أصدقني عما حكاه أبو الفضل بن أحمد ؛ فقلت كذبٌ منه ؛ ولو ذكرت لمولانا ما يقوله لـما أقاله العثرة ؛ فقال : أوَ مِنْ حقوقي عليكم أن تسيئوا غيبتي وتتشاغلوا بذكري ؟ فقلت : أما حقوق النعمة فظاهرة ، وأما حديثك فنحن نتفاوضه دائماً ... ثم قال عضد الدولة : عرِّفنا ما قاله أبو الفضل . قلت : هو ما لا ينطق لساني به ؛ فقال : هاته ... وكان يحب أن تعاد الأحاديث والأقاويل على وجهها من غير كناية عنها ولا احتشام فيها . فقلت : نعم ؛ قال : (وذكر له بعض النقائص فقربها) ... ثم قال : وقد ذكر هذا الأستاذ وأومأت إلى أبي القاسم وأبي الريّان وجماعة الحواشي فقال : ما قال في

(١) لغة التركية فارسية معربها خركاهة

أبي القاسم ؟ قلت : قال : إنه ابتاع من ورثة ابن بقية ناحية الزاوية من رازان[١] بأربعة آلاف درهم بعد أن استأذنك استئذاناً سلك فيه سبيل السخرية والمغالطة ، واستغلها في سنة واحدة نيفاً على ثلاثين ألف درهم ، وأنه أعطى فلاناً وفلاناً ثمانية آلاف درهم على ظاهر البضاعة والتجارة ، فأعطاه نيفاً وستين ألف درهم . فات أبو القاسم عند سماعه ذلك ، وأوردت ما أوردته مقابلته — أي معارضته — على ما ذكرني به . وحضرت آخر النهار المجلس في ذلك اليوم على رسمي ، فعاود التقريب لي والإقبال عليّ . ثم رحلنا عائدين إلى بغداد ، فرآني الملك في الطريق وعليّ ثياب حسنة وتحتي بغلة بمركب وجناغ[٢] جواد ؛ فقال لي : من أين لك هذه البغلة ؟ قلت : حمّلني عليها الصاحب أبو القاسم بمركبها وجناغها ، وأعطاني عشرين قطعة ثياباً ، وسبعة آلاف درهم ؛ فقال : هذا قليل لك مما تستحقه عليه . فعلمت أنه اتهمني به وبأني خرجت بذلك الحديث إليه ، وما كنت حدثته به

وذكر غرس النعمة بن هلال قال : حدثني بعض السادة الأصدقاء ، وأنسيته وأظنه أبا طاهر محمد بن محمد الكرخي قال : كانت بنت عضد الدولة لما زفت إلى الطائع بقيت بحالها لا يقربها خوفاً أن تحمل منه فتستولى الديلم على الخلافة ، وكان الطائع يحبها حبا شديداً زائداً موفياً . . . . . . وتقدم عضد الدولة إلى أبي علي التنوخي في أواخر أيامه بأن يمضي إلي الطائع ويطارحه بناظره ... في المعنى ... بأسباب يتوصل إليها وأقوال يصفها ، ويومئ إلى الغرض فيها ... رتبها عضد الدولة ولقنه إياها وفهمه

قال التنوخي بعد قدومه إلى بغداد مع عضد الدولة فحكى لي أن الطائع لله متجاف عن ابنته المنقولة إليه . . . فثقل ذلك عليه وقال لي : تمضي إلى الخليفة . . . ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال ويزول معه الانقباض فقد كنت وسيط هذه المصاهرة ، فقلت : السمع والطاعة . وعدت إلى داري لألبس ثياب دار الخلافة ، فاتفق أن زَلِقَتْ وَوَثِئَتْ رجلي ، فأنفذت إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره فلم يقبله وأنفذ إليّ مَنْ يستعلم خبري ، فرأى الرسول لي غلماناً رَوْقَةً وفرشاً جيلاً ، فعاد إليه وقال : هو متعال وليس بعليل . وشاهدته على صورة كذا وكذا والناس يغشونه ويعودونه . فاغتاظ غيظاً مجدداً حرك ما في نفسه مني أولاً ، فراسلني بأن الزم بيتك ولا تخرج عنه ، ولا تأذن لأحد في الدخول عليك ، فيه إلا نفراً من أصدقائي استأذنت فيهم فاستثنى بهم . ومضت الأيام وأنفذ إلى أبو الريان فطالبني بعشرة آلاف درهم وكنت استلفتها من أقطاعي فأديتها إليه ، واستمر عليّ السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة .

ثم قال غرس النعمة : فقال التنوخي السمع والطاعة ، ومضى إلى بيته ولم يُقدم على الطائع ، وخاف عضد الدولة إن خالف ما رسمه له ، فأظهر مرضاً وعاده أصدقاؤه منه واعتذر به إلى عضد الدولة ، فوقع لعضد الدولة باطن الأمر وأمر بعض الخدم الخواص بالمضي إلى التنوخي لعيادته وتعرف خبره ، وأن يخرج من عنده ويركب إلى أن يخرج من الدرب ، ثم يعود فيدخل عليه هاجماً فإن كان علي حاله في فراشه لم يتغيَّر له أمر ، أعطاه مائتي دينار أصحبه إياها لنفسه وأظهر أنه عاد لأجلها لأنه أنسيها معه ؛ وإن وجده قاعداً أو قائماً عن الفراش قال له : الملك يقول لك لا تخرج عن دارك إلينا ولا إلى غيرنا وأنصرف . قال الخادم : فدخلت إليه وهو في فراشه وعليه دثاره وخاطبته عن الملك وأعاد جواباً ضعيفاً لم أكد أفهمه ، وخرجت ثم عدت على ما رسم الملك فهجمت عليه فوجدته قائماً يمشي حول البستان ، فلما رآني اضطرب وتحيَّر فقلت له : الملك يقول لا تَبرَح دارك إلينا ولا إلي غيرنا ، وخرجت فبقي على ذلك إلى أن مات عضد الدولة[١] »

نقول وذكره من بعد هؤلاء ابن خلكان ؛ ولم يزد على ما ذكره المؤرخون ممن ذكرنا هنا سوى كتاب (المستجاد من فعلات الأجداد) وقد نوهنا به وأشرنا إلى أمره آنفاً في غير هذا . وقد نقل ابن خلكان عن الثعالبي والخطيب البغدادي

أما شعره فإننا نذكر منه هنا ما ذكره المؤرخون استطراداً في ترجمته وما اختاروه من شعره لما كان ديوان شعره من الدواوين المفقودة ، لعل فيه شيئاً من الفائدة . ومن السابقين إلى رواية شعره الثعالبي قال : ومما علق بحفظ أبي نصر سهل بن المرزبان وأنشدنيه للقاضي أبي علي قوله وهو معنى طريف ما أراه سبق إليه :

خرجنــا لنستسقي بيمن دعائه
وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا[٢]
فلما ابتدا يدعو تقشعت[٣] السما
فما تم إلا والغمام قد انفضَّا

وأنشدني غيره له وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته :

(١) رازان الأعلى والأسفل كورتان كانتا بسواد بغداد
(٢) ضرب من آلات السرج

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي . ج ١٧ ص ١٠٦ — ١١٦ ط . دار المأمون (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان « بحق » ج ١ ص ٥٦٤ ط . بولاق (٣) في وفيات الأعيان لابن خلكان « تكشفت » ج ١ ص ٥٦٤ ط . بولاق

أقول لها والحي قد فطنوا بنا ... ومالي عن أيدي[١] المنون براح
لما ساءني أن وحشتني[٢] سيوفهم ... وإنك لي دون الوشاح وشاح

قال الثعالبي ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة :

لئن أشمت الأعداء[٣] صرفي ورحلتي ... فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد
مقام وترحال وقبض وبسطة ... كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد[٤]

وسنذكر بقية الأبيات من مقدمة ناشر كتاب « الفرج بعد الشدة » . ولقد وجدت قطع لمؤلف الكتاب عينه مدرجة في الفصل الأخير من بحوثه تلائم مقاصد المؤلف لكتاب الفرج بعد الشدة . ومن أولى هذه القطع ما يأتي :

اصبر فليس الزمان مصطبراً ... وكل أحـــداثه فنقشعه
كم من فقير غناه في شبع ... قد نال خفضاً في عيشه ودعه
ومن جليل جلت مصائبه ... ثم تلافاه بعد ما وضعه
فعاد بالعز آمناً جـــذلاً ... وعاد أعداؤه له خضعه[٥]

والقطعة الثانية :

متى تصفو لك الدنيا بخير ... إذا لم ترض منها بالمزاج
ألم تر جوهر الدنيا المصفى ... ومخرجه من البحر الأجاج
ورب مخيفة فجأت بهول ... جرت بمسرة لك وابتهاج
ورب سـلامة بعد امتناع ... ورب مثقف بعد اعوجاج[٦]

والقطعة الثالثة ، قال مؤلف الكتاب وفي محنة لحقتني فكشفها الله تعالى فقلت :

هوّن على قلبك الهموم فكم ... قاسيت هماً أدنى إلى الفرح
ما الشر من حيث تتقيه ولا ... كل مخوف يفضي إلى الترح[٧]

والقطعة الرابعة :

لئن عداني عنك الدهر يا أملي ... وسل جسمي بالأسقام والعلل
وشت شمل تصافينا وألفتنا ... والدهر ذو غير والدهر ذو دول
الحمد لله حمد الشاكرين على ... ماشاء من حادث يوهي قوى الأمل
قد اشتكت بصروف الدهر والتحقت
على فيك غواشي الحزن والوجل
واعتضت منك بسقم شأنه خلل ... ومن وصالك بالهجران والملل
وبعد أمني من عذر ومثنية ... عذراً يسرح بالألفاظ والرسل
ومن لقائك لقى الطب أرحمهم ... قسط وأرفقهم يدني إلى الأجل
فلست آيس من رجع الوصال ولا ... عود الموافي ولا آمن من السبل[١]

والقطعة الخامسة من قصيدة في محنة لحقته :

أما للدهر من حكم رضي ... يدال به الشريف من الدني
ويستعلي الرؤوس من الذنابي ... وينتصف الذكي من الغبي
ومن عاصاه دمع في بلاء ... فليس بكاء عيني بالعصي
وما أبكي لوفر لم يفـــده ... زمان خان عهد فتى وفي
ولا آسى على زمن تولى ... بعيش ناضر غض ندي
وما تلقى الحوادث إن ألمت ... سوى قلب عن الدنيا سخي
وصبر ليس تنزحه الليالي ... كنزح الدلو صافية الركي
وليس بآيس من كان يخشى ... ويرجو الله من صنع قوي[٢]

أما القطعة السادسة فقد قال ناشر الكتاب : وله عند صرفه من تقلدة القضاء بالأهواز وقبض ضيعة من ضياعه وحضوره إلى بغداد وقد نقلنا منها آنفاً بيتين مطلعهما : لئن أشمت الأعداء الخ

وما زلت جلداً في المهمات قبلها ... ولا غرو في الأحيان أن يغلب الجلد
فكم ليث غاب شردته ثعالب ... وكم من حسام فله غيلة غمد
وكم جيفة تعلو وترسب درة ... ومنحسة تقوى إذا ضعف السعد
ألم تر أن الغيث يجري على الربا ... فيحظى به إن جاد صيبه الوهد
وكم فرج والخطب يعتاد نيله ... يجيء على يأس إذا ساعد الجد
لقد أقرض الدهر السرور فإن يكن ... أساء اقتضاء فالقروض لها رد
فكم فرحة تأتي على أثر ترحة ... وكم راحة تطوى إذا اتصل الكد
وكم منحة من محنة تستفيدها ... ومكروه أمر فيه للمرتجي وفد
على أنني أرجو لكشف الذي غدا ... مليكاً له في كل نائبة رفد
فيمنع منا الخطب والخطب صاغر ... وتمس عيون الدهر عنا هي الرمد
ونعتاض باللقيا من البين أعصرا ... مضاعفة تبقى ويستهلك البعد[٣]

والقطعة السابعة هي :

قل لمن أودى به الترح ... كل هم بعـــده فرح
غالط الأحـداث مجتهداً ... كل ما قد حل منتزح
لا تضق ذرعاً بنازلة ... وارمها بالصبر تنفسح
وأزح بالراح طارقها ... لجلاء القـــربة القدح
ألق بالمزج المريح أذى ... حدها إن شئت تنشرح[٤]

هذا ما تمكنت من العثور عليه عند مطالعتي لهذا الكتاب

(١) معجم الأدباء لياقوت « عن » ج ١٧ مادة محسن
(٢) في معجم الأدباء أيضاً « وشحتني » وهو الصواب في مادة محسن
(٣) في معجم الأدباء أيضاً « الحساد » عن المصدر .
(٤) يتيمة الدهر للثعالبي ج ٢ ص ٣١٩ وما بعدها
(٥) الفرج بعد الشدة للتنوخي ج ٢ ص ٢١٤ آخر صفحة .
(٦) كذلك ج ٢ ص ٢١٩ (٧) كذلك ج ٢ ص ٢٢٤

(١) كذلك ج ٢ ص ٢٢٩ (٢) كذلك ج ٢ ص ٢٢٩
(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخي ج٢ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ من آخر صفحة
(٤) كذلك ج ٢ ص ٢٤٣

غراب وطفل (*)

[مهداة إلى أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات]

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

نشب الجناح وضل فى الأغصان	فإذا الغراب يخر للأذقان
حيران يلتمس النجاة فلا يرى	قلبا يرق لذلك الحيران
جهد الأسير لكى يفك جناحه	بالخفق آونة وبالدوران
لم يغن عنه كفاحه فأثارها	شعواء تسمع جلمد الآذان
ورأى غراب صنوه فى أسره	فمضى وأسرع للأسير العانى
وهوى يحاول جذبه ... وإذا به	هو والأسير لدى الردى صنوان
أعياه إنقاذ الزميل ، فطار فى	فزع ينادى شيعة الغربان
وإذا غراب ، ثم ثان ، خلفه	من قومه زمر ... أتت لثوان
وتجمع الغربان فى الدوح الذى	ضم الأسير تجمع الفرسان
عقدت عصائبها عليه مناحة	وبكت لديه بدمعها الهتان
وكأنما كانت تضرع للورى	أن يسعفوا ذاك المهيض العانى
وأتى بنو الإنسان فاحتشدوا على	بله ... زرافات بلا وجدان
وتجمعوا شيعا لكى يهدوا له	نظر الفضول ، ولمحة المجان
وإذا البلاهة والفضول تجمعا	لم تلق للأخلاق أى مكان ...

وأتى الظلام ... ولف فى أحشائه	هذا الوجود ... فما ترى عينان
واستيأس الغربان فانصرفوا على	مضض ، ولم ينسوا فتى الأغصان
تركوا له بعض الرفاق تزقه	بالحب تحت رعاية الرحمن
حتى يجىء الصبح فى أعطافه	فرج الكروب وجلوة الأحزان
يا للوفاء وللإخاء تراهما	بلغا الذرا فى عالم الحيوان ...

لم تفرغ الغربان من أشجانها	والليل مهد غرائب الأشجان
وإذا صراخ من وليد قد بدا	فى الجو يبعث كامن التحنان
يا للشقاء وللتعاسة ... جمعا :	هو ذا «لقيط» لف فى أكفان!
قذفت به «الأم الخئون» جريمة	ورمته فى ركن من الأركان!
وتسللت طى الظلام ، ولم تخف	عند الجريمة نقمة «الديان»!

وتحدث الراءون فيما أبصروا :	أن اللقيط كزهرة البستان!
مرت به أنثى ، فصاحت — بعد ما
جسته — صيحة رحمة وحنان :
يا لعنة الجبار : لنى أمه ...	أزنى وقتل يا بنى الإنسان ؟!
ومضت تهرول فى الظلام كأنما	تبغى النجاة ، وماهما كفان ...
وتجمع السارون حول مهاده	والطفل مضطرب : يدا لسان
كل يحوقل ، ثم يركض هاربا	فكأنه من لعنة الشيطان !
تركوه خوف العار يذوى عوده	ويعيش فى جو من الحرمان !
وأتى الصباح ففيض الرحمن من	نجى الغراب ، وفاز بالطيران
ومضى الأسير مع الرفاق ممتعا	بالعيش فى صفو وفى خلان ...
ومضى اللقيط لمنجا يلقى به	عيش الهوان على مدى الأزمان

(*) انظر العدد ٤٧٢ من الرسالة

الجميل ، ولعل له مقطوعات من شعره لم نعثر عليها بعد ؛ وقد تحقق الأيام من ذلك شيئا فنعود إلى ذكر ما تركه هذا الشاعر الفحل والكاتب البليغ والمؤرخ الثقة

قال الثعالبى ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء فى التهنئة بشهر رمضان :

نلت فى ذا الصيام ما ترتجيه	ووقاك[1] الإله ما تتقيه
أنت فى الناس مثل شهرك فى الأ	شهر بل مثل ليلة القدر فيه[2]

هذا وقد أورد ياقوت فى معجم الأدباء أخبارا فى ترجمته فى نقد الشعر الذى يغنى به عضد الدولة البويهى بحضرته ومجالس أنسه وصحة قائليه وناظميه وذلك ما يدل على قوته في نظم الشعر وحفظه أيضا لمنظومات الشعراء الذين سبقوه ، فكان خير حكم للتمييز بين الغث والسمين منه ؛ هذا علاوة على قوته فى النثر ، فقد اتبع أسلوبا يكاد يكون خاصا به لم يصل إلى مجاراته فيه أهل عصره

هذا ما تيسر لى جمعه من الأخبار عن نابغة القرن الرابع الهجرى العباسى فى القضاء والتأليف والشعر والأدب والاجتماع عسى أن أكون قد قمت بقسط مما يستحقه هذا العلم الفرد ، وسنواصل بحول الله تعالى البحث عن غيره ممن كانت لهم المنزلة العظمى فى دولتى العلم والأدب لذلك العهد العباسى الزاهر .

(بغداد)	يوسف يعقوب مسكونى

(١) فى ابن خلكان « كفاك » ج ١ ص ٥٦٤ ط . بولاق
(٢) يتيمة الدهر للثعالبي ج ٢ ص ٣٢٠ وما بعدها

البريد الأدبي

الأستاذ العقاد في السودان

لا يزال الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد منذ نزل الخرطوم موضع التكريم والتجلة من أهله . وللسودان الكريم أريحية للأدب ورجاله هي نصيب المصرية منه وسر العروبة فيه . وقد انتعشت الروح الأدبية في القطر الشقيق بزيارة الأستاذ له ؛ فحفلت الأندية ، ونشطت الصحافة ، وكثرت المآدب ، وافتنت الأحاديث ، وتلاقت الآراء ، وتجاوبت المشاعر ، وبان من كل أولئك فضل الأدب على السياسة والاقتصاد في إبلاغ الرسالة وإحسان السفارة ؛ لأن رجال الأدب هم أهل الرأي والتوجيه ، فليس بعد اتفاقهم خلاف ، ولا بعد اهتدائهم حيرة . وقد نشرنا في هذا العدد أولى رسائل الأستاذ من الخرطوم ؛ وستكون هذه الرسائل ولا شك طرفاً من الأدب الرفيع كان يتمناها قراء الرسالة وأصدقاء السودان وعشاق الأدب . ومن طرائف هذه الرحلة المباركة أن العقاد أرسل إلى جريدة النيل هـذه الأبيات تحت هذا العنوان :

من جزيرة القاهرة إلى مقرن الخرطوم

تفسير حلمي بالجزيـ ... ـرة وقفتي في المقرن[1]

حلمان حظهما خيا ... لاً دون حظ الأعين

ما دمت بينهما فـا ... أنا سائل عن مسكني

وإذا التذكر عاد بي ... عطف الجديد فردني

يا جيرة « النيل » المبا ... رك ، كل نيل موطني

وله سميٌّ في الصحا ... فة معرب لم يلحن

حييت فيـــه سميه ... وحمدت فيه مأمني

(الخرطوم) **عباس محمود العقاد**

فأجابه الأستاذ المبارك ابراهيم أحد محرري النيل بهذه الأبيات :

يا من نزلت أعالي الوا ... دي حميد المأمن

أهلاً ، فنزلك القلو ... ب وفي سواد الأعين

ولأنت يابن النيل با ... قعة البيان الأرصن

فتغن في الخرطوم ما ... شاء التغني وافتن

فالنيل في أرض الكنا ... نة مثله بالمقرن

« وله سميٌّ في الصحا ... فة معرب لم يلحن »

لهج برمز العبقر ... ية أو بديع الأزمن[2]

(دار جريدة النيل بالخرطوم) **المبارك ابراهيم**

(١) المقرن اسم للمكان الذي يقترن فيه النيلان الأبيض والأزرق عند مدينة الخرطوم ثم ينحدران إلى مصر ويعرف هذا المكان أيضاً باسم الملتقى أو ملتقى النيلين

(٢) الضمير في رمز العبقرية وبديعه الأزمن يعود إلى الأستاذ العقاد

لَا أُمَّ رَاعِيَةً ، وَلَا أَبَ عَاطِفاً ... فَلْيَحْيَ بَيْنَ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ

تَتَنَكَّرُ الدُّنْيَا لَهُ ، وَتُذِيقُهُ ... هُوناً بِلَاعَطْفٍ وَلَا تَحْنَانِ ...

يَالَابْنِ « آدَمَ » : عَاشَ فِي أَقْوَامِهِ ... فَظًّا بِرَغْمِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ !

يَا لَلطُّيُورِ : تُرِيكَ مِنْ أَخْلَاقِهَا ... مُثُلاً بِهَا تَسْمُو عَلَى الْإِنْسَانِ !

لَمْ تَحْظَ بِالتَّعْلِيمِ ، أَوْ يُبْعَثْ لَهَا ... رُسُلٌ ، وَلَمْ تَتَهَدَّ بِالْأَدْيَانِ

مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ دَفْنَ سَمِيِّهِ ؟ ... شَتَّانِ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْغِرْبَانِ !

يَا لَيْتَ لِي خُلُقَ الطُّيُورِ ، وَجَوَّهَا ... وَصَفَاءَهَا ... فَأَعِيشَ فِي اطْمِئْنَانِ

مَنْ صَوَّرَ الْمَأْسَاةَ أَبْرَعَ صُورَةٍ ؟ ... مَنْ صَاغَهَا لِلنَّاسِ سِحْرَ بَيَانِ ؟

الْكَاتِبُ الْفَذُّ الْأَدِيبُ هُوَ الَّذِي ... أَضْفَى عَلَيْهَا بَاهِرَ الْأَلْوَانِ

وَتَمَثَّلَتْهَا رُوحُهُ ، فَبَدَتْ لَنَا ... سِفْرًا يُرَدِّدُ آيَهُ الْمَلَوَانِ

أَذْكَتْ لَهِيبَ الْقَوْلِ بَيْنَ جُنُودِهِ ... وَمَضَتْ تُحَرِّكُ رَاقِدَ الْأَذْهَانِ

كَمْ مِنْ فُؤَادٍ كَانَ شَاهَدَ أَمْرَهَا ... مَا اهْتَزَّ أَوْ نَطَقَتْ لَهُ شَفَتَانِ !

رَبَّ الرِّسَالَةِ : أَسْمِعِ الدُّنْيَا كَمَا ... شَاءَ النُّبُوغُ رَوَائِعَ التِّبْيَانِ

هَذِّبْ شُعُورَ النَّاسِ وَاسْمُ بِرُحْمِهِمْ ... فَالنَّاسُ قَدْ جَازُوا مَدَى الطُّغْيَانِ

مِنْ كُلِّ عَابِرَةٍ أَنِلْهُمْ عِبْرَةً ... فَلَأَنْتَ فَارِسُ ذَلِكَ الْمَيْدَانِ

صُغْ مِنْ دُمُوعِكَ[1] آيَ وَحْيِكَ إِنَّهَا ... ذَوْبٌ لِأَكْرَمِ مُهْجَةٍ وَجَنَانِ ...

حَسْبُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مَثُوبَةً ... مِنْ دَهْرِهِمْ شُكْرٌ بِكُلِّ لِسَانِ ...

(١) أخبرني الأستاذ البشبيشي أن الأستاذ الزيات عند ما شهد منظر الغربان ترقرقت الدموع في عينيه

أعداد الرسالة الخاصة

كنا وما زلنا حريصين على أن يكون أكثر ما يُكتب في أعدادنا الخاصة بأقطار العروبة، لأقطاب البيان المسئولين في كل قطر يصدر عنه العدد. وكان هذا الحرص سبباً في هذا البطء الملحوظ في إعداد هذه الأعداد، لأننا لم نتلق من العراق حتى اليوم ما طلبناه من المقالات والصور. وقد يكون للأحوال الحاضرة أثر في هذا البطء، ولكنه الأثر الذي لا يستطيع أن يتغلب على إرادة أمة تريد أن تتعارف وتتآلف وتسير في جهادها المشترك على هدى وعلم.

وإنا مع تكرار الرجاء لإخواننا الأدباء أن يستجيبوا لما طلبت الرسالة، نعلن إليهم أننا لم نكلف أحداً بجمع المقالات والوثائق غير الأستاذ فخري شهاب السعيدي في بغداد؛ أما في الأقطار الأخرى فلم يقع اختيارنا على أحد بعد.

وفاة السير وليم فليندرس بترى

توفى مساء اليوم الثامن والعشرين من شهر يوليو بمستشفى الحكومة بالقدس السير وليم فليندرس بترى، عالم الآثار المصرية عن ستة وثمانين عاماً

وكان الفقيد من العلماء الثقات في تاريخ مصر القديم وتاريخ الغابرين في القسم الشرقي من حوض البحر المتوسط. وهو الذي وضع قواعد علم الآثار في مصر، واستخدم الآثار المدفونة في الكشف عن أسرار الحضارات القديمة

ومما كان يقوله، إن الخزف والجواهر من أهم موارد العلم له. وأن الأبنية كانت ترشده إلى كل ما يريد الوقوف عليه، وإن لم يكن هناك شيء مكتوب عليها

وقد ولد السير فليندرس في ٣ يونيو ١٨٥٣ ببلدة (شابلتون) بجوار جرينوتش، وكان والده مهندساً، وجده لأمه ضابطاً بحرياً

ولما بلغ الثامنة من عمره كان يتكلم أربع لغات. وفي سن الخامسة عشرة كان طالباً مجداً في القسم المصري بالمتحف البريطاني

وفي السابعة والعشرين من عمره، قدم مصر حيث بدأ حياته العملية

وكان إلى جانب إلمامه التام باللغات القديمة، رياضياً من الطراز الأول، ومهندساً ومصوراً بارعاً

وأمضى السير وليم فليندرس العامين الأولين، من أعوام إقامته في مصر، وهو يقيس الأهرام والمعابد، ثم درب على ذلك جماعة من العمال المصريين، وبدأ أعمال التنقيب عن الآثار. وظل يقوم بهذه الأعمال وكتابة المذكرات عن استكشافه حتى سنة ١٩١٤

وقد ألف أكثر من مائة كتاب استغرق في كتابة أحدها وهو «تاريخ مصر» ١٩ عاماً، إذ بدأه في سنة ١٨٩٤ وانتهى منه سنة ١٩٢٣

وكذلك أنشأ مدرسة إنجليزية لتدريس الآثار في مصر ولبث يقوم بالتدريس فيها حتى سنة ١٩٣٤، إذ غادرها إلى القدس؛ حيث بدأ أعمال الحفر في صحراء سينا وسورية

من أي يومىّ من الموت أفر

جاء في العدد ٤٧٣ من (الرسالة) تحت عنوان «تصويبات» في مقال للأستاذ أحمد يونس محمد تعليقاً على البيت الآتي الذي ذكره الأستاذ السيد يعقوب بكر للامام علي:

من أي يومىّ من الموت أفر أيوم لم يقدرَ أم يوم قُدر؟

أن البيت على هذا الوضع لا يتفق مع ما جاء بعده لأنه من بحر الرجز، وقد جاء في ديوان الإمام على هكذا:

أيّ يومىّ من الموت أفر يوم ما قدر أو يوم قدر

يوم ما قدر لم أخش الردى وإذا قدر لم يغن الحذر

وهما من الرمل، ثم قال: على أنه إذا صح أن ديوان الحماسة لم يذكر غيره، فإنه يكون مكسوراً، لأن (لم) تقتضى الجزم، وهو لا يتمشى مع الوزن. انتهى كلامه

فالشق الأول لا اعتراض لي عليه. أما قوله بكسر البيت، فهذا خطأ، لأن الرواية بفتح راء يقدر، كما بسطت في كتب القواعد كالأشموني والمغنى منسوبة للحارث بن منذر الجرمي؛ فقد زعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بلم كقراءة بعضهم (ألم نشرحَ لك صدرك)؛ وقول الشاعر:

في أي يومىّ من الموت أفر أيوم لم يقدرَ أم يوم قدر ؟

وخُرجا على أنّ الأصل نشرحن ويقدرن ، ثم حذفت نون التوكيد الخفيفة ، وبقيت الفتحة دليلاً عليها . وقال أبو الفتح : الأصل يقدر بالسكون ، ثم لما تجاورت الهمزة المفتوحة والراء الساكنة ، أبدلوا الهمزة المحركة ألفاً ، كما تبدل الهمزة الساكنة بعد الفتحة (إعطاء للجار حكم مجاوره) ؛ ثم أبدلت الألف همزة متحركة لالتقائها ساكنة مع الميم

وأقرب للقياس أن يقال : نقلت حركة همزة أم إلى وراء يقدر ، ثم أبدلت الهمزة الساكنة ألفاً ، ثم الألف همزة متحركة لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحة إتباعاً لفتحة الراء ، كما في (ولا الضالين) فيمن همزه

قال الدماميني : ويمكن أن تكون الحركة حركة إتباع ، وإن كان في كلمة

فعلى هذا يكون البيت موزوناً ، حيث لا ضميمة إليه من أبيات أُخر

علي حسين محمد
المدرس بمعلمات أسيوط

سير النبلاء للذهبي

تذييلاً لما نشر الأستاذ الفاضل كوركيس عواد في العدد ٤٧١ من الرسالة ، نشير هنا إلى أن الأستاذ سعيد الأفغاني نشر جزءاً في ٤٠ صفحة من سير النبلاء للحافظ الذهبي بدمشق سنة ١٩٤١ وطبع بمطبعة الترقي . وهذا الجزء خاص بترجمة الإمام ابن حزم الظاهري مع مقدمة ضافية في حياة الذهبي بقلم الناشر ، نسخ له من خزانة إمام اليمن صاحب الجلالة يحيى حميد الدين . وسير النبلاء كتاب ضخم للذهبي في عشرين مجلداً ، وفي الخزانة المذكورة منه بضعة مجلدات .

وقد كتب وجيه الحجاز الشيخ محمد نصيف إلى الأستاذ الأفغاني يبشره أن جلالة الإمام يحيى أمر أن يبحث عن بقية المجلدات في أطراف المملكة اليمنية كما أمر بالشروع في نسخ المجلدات الموجودة لترسل النسخة إلى دمشق وتهيأ للطبع . وفي ذلك بشرى لأهل العلم والتاريخ في إحياء سفر نفيس يتفرد بمزايا ليست في مرجع آخر مطبوع ولا مخطوط كما يظهر ذلك من مقدمة هذا الجزء المطبوع .

(مطلع)

كم ذا

قرأت في العدد « ٤٦٢ » من مجلتكم الغراء كلمة بعنوان (كم ذا) يستوضح فيها الكاتب عن مدى صحة قول حافظ رحمه الله :

كم ذا يكابد عاشق ويلاق في حب مصر كثيرة العشاق

واطلعت على بعض الردود التي لم تنه الموضوع ، لذلك أحببت الإدلاء بهذه الكلمة إكمالاً لما سلف أن نشر

إن (كم) في البيت استفهامية ومميزها محذوف تقديره (كثيراً) أو ما هو في معناه :

إلى كم ذا التملق والتواني وكم هذا التمادى في التمادى

و(ذا) في بيت حافظ في محل نصب مفعول مقدم لـ(يكابد) وهو مما أضعف التعبير إلى حد كبير وكان مثار استيضاح الكاتب . وسبك الشطر منثوراً يكون هكذا : « كم كثيراً يكابد عاشق مصر هذا الألم » ، و « يلاق » زائدة جيء بها للوزن والقافية . على أن في البيت غلطة نحوية باستعمال لفظة (كثيرة) فهي إن نصبت على الحالية لم يستقم المعنى ، لأن كثرة عشاق مصر لا يكون حالاً من المكابدة . وإن جرت على الصفة احتاجت إلى التحلية بأل المعرفة . وبذلك ينكسر الوزن . وعليه يكون من الضرورة استبدال لفظة (الجمة) بلفظة (كثيرة) ليستقيم الوزن والمعنى معاً . وفي هذا الكفاية .

حسين الظريفي

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٧ يونية سنة ١٩٤٢ في القضية ن ١٠٧٦ سنة ١٩٤٢ ضد على قطب محمد طباخ بشارع صلاح الدين بكفر الدوار بالحبس شهرين مع الشغل وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة المنوفية العسكرية في الجنحة ٨٠٣ سنة ١٩٤٢ بحبس ابراهيم السيد سلامة البقال بميت بره مركز قويسنا شهراً بالشغل وإغلاق محله ثلاثة أيام لامتناعه عن بيع سكر بالسعر المحدد

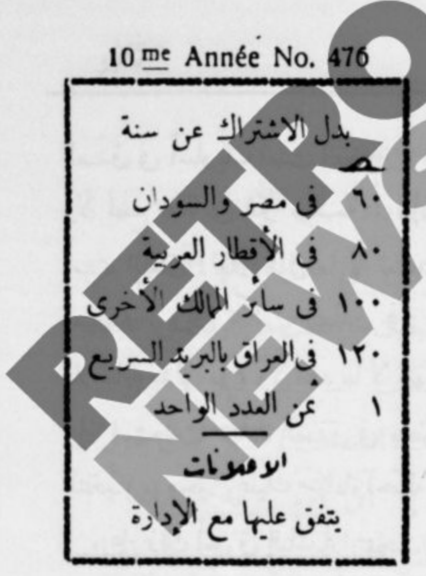
حكمت محكمة محافظة مصر العسكرية في القضية رقم ٦٦٩ قسم السيده سنة ١٩٤٢ ضد محمد حسن مرسى ش ٣٨ بقال بشارع الحنفي ن ٢ لأنه باع صنفا من الأصناف الواردة بالجدول (سكر) بسعر ازيد من السعر المحدد فيه بالحبس خمسة عشر يوما بالشغل ونشر الحكم على نفقته بجريدتي الرسالة والأثنين والتعليق على متجره والقسم التابع له لمدة شهرين والغلق لمدة يوم واحد

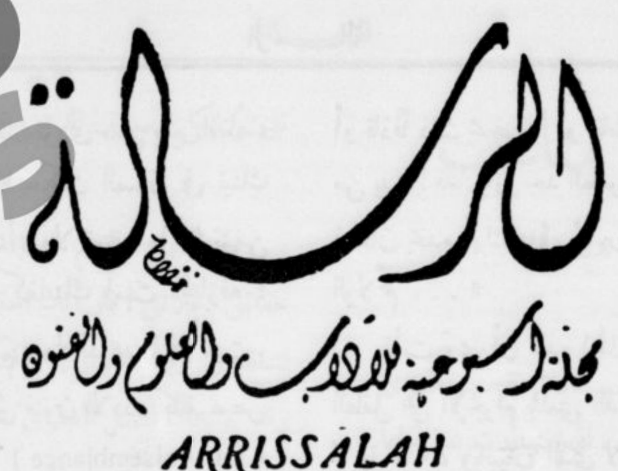
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 476

Lundi - 17 - 8 - 1942





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٧٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الصدق في الأدب

الصدق هو جُمّاع الصفات الجوهرية للأدب الصحيح . هو مطابقة الخبر للواقع ، ومجانسة الشيء للطبيعة ، ومشابهة المثال للأصل ، ومجاوبة العمل للعقيدة ، وموافقة الأسلوب للقاعدة ، ومناسبة الكلام للمقام ، وملاءمة اللفظ للمعنى ، ومواءمة الموضوع للكاتب . فلو ذهبت تتقصى أسباب ما تجد في العمل الأدبي من النقص أو الخطأ أو العبث أو الزيف أو الفساد أو التعمّل ، لما وجدتها في غير الإخلال بالصدق في واحد أو أكثر من مدلولاته التي ذكرتُ . فالصفة التي لا تدل على شيء من حقيقة الموصوف ، والكلمة التي لا تقع في وضعها من المعنى ولا في موضعها من الجملة ، والصورة التي لا تتألف من خطوط الحاضر وألوان البيئة ، والصناعة التي لا تقوم على أساس من الطبع والذوق ، والحِلية التي لا تساعد الأسلوب على التأثير والإبانة ، والموضوع الذي لا يسفر عن جانب من الجمال أو الحق أو الخير ، والكاتب الذي لا يقف عند ما يحسن من فنون القول ؛ كل أولئك تزوير على الطبع ، وافتئات على الفن ، وتلفيق من الهراء لا يدخل في الأدب ولو دفعوه دفعاً في أوسع أبوابه

إذا حكّمت الصدق في رأيك أمنتَ التناقض ؛ فلا يخالف ظاهرك باطنَك ، ولا يعارض آخرك أوّلك . وإذا حكمتَ

الصدق فى أسلوبك أمنت الفضول ؛ فلا تؤدى معنى بغير لفظه ، ولا تضع لفظا فى غير موضعه . وإذا حكمت الصدق فى نيتك أمنت النفاق ؛ فلا تقول ما لا تعتقد ، ولا تعتقد ما لا تؤمن بصحته . وإذا حكمت الصدق فى كفايتك أمنت المجازفة ؛ فلا تعالج ما لا تعلم ، ولا تنقد ما لا تفهم ، ولا تدَّعى ما لا تُثبت . وإذا استحالت مراعاة الصدق فى بعض فنون الأدب كالقصص المتخيَّل ، وجبتْ عليك مراعاة احتماله (La vraisemblance)

على ذلك أسوق إليك إذا سمحت جملة من إحدى افتتاحيات الرسالة لأطبق عليها شرط الصدق فى الشكل والموضوع والغرض . ولم أختر هذه الجملة لأنها من نوابغ الجمل ، ولكننى اخترتها لغرض لا يشق عليك أن تلحظه فيما بعد

موضوع الجملة طفولة مجرم بالغريزة لم تفارقه نية الإجرام منذ درج إلى أن اكتهل . نشأ هذا الطفل فى (قريتنا) وفى (حارتنا) ، فأنا أصف حاله كما كان ، وأقص أمره كما وقع . الحارة ساحة فسيحة تستدير عليها البيوت ، فكأنها صحن دار كبيرة . والأطفال — وأنا منهم — يلعبون فى بُهرتها شتى الألعاب فى مرح وبهجة ؛ فإذا طلع عليهم هذا الصبى الشرير من داره انقطع اللعب وخبَّأ كل طفل لعبته . ثم لا يلبث الشجار أن ينشب بينه وبين الأطفال بنين وبنات بغير رفق ؛ فالقوى يثبت له فيضربه ، والضعيف يفر منه فيقذفه ، والبنت ترتاع فلا تدفع عن لعبتها يده . والبيوت على الحارة مفتحة الأبواب لا يحرس أمتعتها غير الأمانة ؛ ولكن المجرم الصغير ينتهز غفوة الأمانة فى نفسه فيدخل هذه البيوت ليسرق حبلاً أو وتداً أو كرة صبى أو بيضة دجاجة . فلما أيفع دخل (صبيًّا) فى خدمة (جدعان) القرية ؛ وهم فى الريف كالفتوات فى المدن ، دأبهم الشجار والسرقة والفجور . وكان لهؤلاء الجدعان ليال مذكورة بالسطو واللهو ؛ فكانوا إذا فرغوا من تدبير الجريمة وتنفيذها ، أقاموا لزملائهم (وعملائهم) ولائم يكثر فيها اللحم والخمر والحشيش ، ويقوم عليها أحداث المجرمين مقام الخدام والنُّدُل ، كما يقومون فى تدبير الجرائم مقام الطلائع والرُّسل . ولا أطيل عليك فقد صغَّرت هذه الصورة فى هذه الجملة :

« نشأ بين لِداته من أطفال القرية كما ينشأ الزنبور بين النحل أو الثعبان بين الحمام ؛ فكان لا ينفك ضارباً هذا بعصا ؛ أو قاذفاً ذاك بحجر ، أو خاطفاً لعبة من بنت ، أو سارقاً شيئاً من بيت ! فلما جاوز حد الطفولة دخل فى خدمة الفجّار والمجّان ، فكان يخدم أولئك فى تدبير الجرائم ، ويخدم هؤلاء فى إعداد الولائم . . . »

فأنت ترى أن هذه الجملة على إيجازها قد صورت نشأة هذا الطفل على الإجرام بالمعنى الذى لا تَزَيُّد فيه ، وباللفظ الذى لا بد منه ، وبالبيان الذى لا بأس به ؛ وإذا سلمت الجملة الفنية من اللغو والخطأ والغثاثة سلم فيها عنصر الصدق وهو جوهر الأدب

ولكنك مع ذلك لا تعدم ناقداً يزعم أنه يضع (الميزان الجديد) للنقد فى (الثقافة) ، ثم يجازف باستخدام علمه بالأدب الغربى ، فى الحكم على أساليب الأدب العربى ، فيعتسف الرأى اعتسافاً لا يتسع له فيه عذر . فهو ينكر منطق العقاد ، ويظلم شعر على طه ، ويغمز أسلوب طه حسين ، ويحكم على سائر الأساليب المعروفة بمجافاة « الموسيقى والإيحاء والطبيعية »

هذا الناقد الفاضل قد اختار الجملة التى اخترتها ليبرهن بها على كذب الأسلوب لا على صدقه ! فهو يقول إن أسلوبها أشبه بأسلوب « المقامات » (كذا والله !) وأن القارئ يقرأها « فلا يتصور أن مثل هذا الرجل موجود » ودليله على ذلك أن وجوده لو كان ممكناً ما سألنى القراء عن حقيقته . والواقع أن الذى سأل فى الرسالة طالبٌ فى المعهد الجنائى ، وما كان سؤاله إلا عن مكان المجرم لا عن حقيقته . ثم يمضى الناقد على أن القطعة من الأدب المصنوع فيقول : « يا لله ! ولم لا يخطف لعبة من ولد وهو مجرم كبير ؟ (كذا !) ولم لا يسرق من جامع وذلك أيسر من السرقة من بيت ؟ وهل هو حقيقة لم يخطف إلا من بنت ؟ ولم لا يسرق إلا من بيت ؟ ... وهو يخدم المجرمين بتدبير الجرائم ، ولكن لم لا يخدم المجان بإعداد المقاصف ؟ وهل الوليمة أشهى من المقصف ؟ » فالناقد لا يرى بأساً فى أن نضع الولد بدل البنت ، والجامع بدل البيت ، والقصف بدل الوليمة ، لأننا فى ظنه لم نقصد إلى معانى هذه الكلمات وإنما قصدنا إلى المزاوجة والسجع ! هذا النقد أعوزه الصدق فصدر عن هوًى أو جهل . وأىُّ الآفتين كانت المصدر فإنها ورَّطت الرجل فى نقد كلام لا يصدُق نقده إلا على افتراض الكذب فيه ! !

احمد حسن الزيات

أوهام تخلق متاعب

للدكتور زكي مبارك

في صدر هذه الليلة عانيتُ متاعب كادت تقصهم ظهري ، وكدت أخشاها على حياتي ، ثم لطف الله فتبددت بعد ساعات كانت أطول من الآباد

فما تلك المتاعب ؟

هي متاعب خلقتها أوهام في غاية من السخف ، ولكن النص عليها واجب لمنفعة القراء ، فقد يكون فيهم من تعتريه مثل تلك الأوهام في بعض الأحوال

التفتُّ بغتةً فرأيت نفسي تراجع طوائف من الذكريات الموصولة بمعاملاتي مع جماعات من المعارف والأصدقاء ، فانقبض صدري أشد الانقباض ، وتجسمتْ أمام خيالي ألوان الأوهام بصورة لم أشهد مثلها من قبل ، صورة مروِّعة قاسيتُ منها ما تقاسي النار من الريح العَصُوف

وفي فورة تلك الكروب جاء لطف الله فرأيتني أقول : ومَن أولئك وهؤلاء حتى أعاني في العتب عليهم مثل هذا العذاب ؟

إذا غدر بك القريب فليس بقريب ، وإذا تجنَّى عليك الصديق فليس بصديق ، ومن واجبك أن تحفر قبراً تدفن فيه من لا يرعى حق القرابة ، ولا يحفظ عهد الإخاء . ما اهتمامُك بمن يرضيهم أن تَشقَى نفسُك ؟ وما عتبُك على من يسرهم أن تزلّ قدمك ؟ وما حزنك على ضياع مودّة كان يجب أن تضيع لأنها في رعاية الضائعين ؟! أمن أجل خلائق مِراض القلوب تُمرض نفسك ؟ أمن أجل إخوانٍ غَدَرة تؤذي قلبك ؟ أهؤلاء وأولئك يستحقون أن تفكر فيهم ساعةً من ليل ؟ وهل أكرموا أنفسهم حتى يكرموك ؟ وهل أعزوا حياتهم حتى يُعزوك ؟

إن حزنك لما صنعوا معك دليلٌ على أنك دائم الإشفاق عليهم ، وقد نصحك الشاعر صادق رستم حين قال :

شرُّ البليَّة إشفاقٌ على فئةٍ
لو كنتَ تؤكل ما عفُّوا ولا شبعوا
تبيتُ تبكي لصَرف الدهر يفجعهم
ولو رأوكَ على الأعناق ما دمعوا !

لا تشفِق عليهم ، وأشفق على نفسك أيها الغافل عن حقائق الخلائق ؛ فلو أنك استبقيت ما أنفقت من الوقت في صحبتهم لتنفقه في تربية الخنازير ، لكنتَ اليوم من كبار الأغنياء ...

وقد نصحك المَثَل المصريُّ فما انتصحت ، المَثَل الذي يقول : « كلُّ ما تزرع ينفعك ، إلا ابن آدم تزرعه فيقلعك » !

وهؤلاء يحققون صدق هذا المثل أفظع تحقيق ، فهم يقوّلونك ما لم تقل ، ويذيعون عنك أغرب الأحاديث ، وقولُهم فيك مسموع ، لأنهم عرفوك ، ومن حق من عرفك أن يقول فيك ما يشاء

وما ضرَّني إلا الذين عرفتُهم
جزَى الله خيراً كلَّ من لست أعرفُ

ما جزَعُك من غدر صديق ؟ وما حزَنُك من لؤم أليف ؟ أنتَ أنتَ ، ولن يكون بلاؤك بأولئك وهؤلاء غير سحابة صيف ، ثم ترجع إلى إسباغ نعمائك على الجاحدين

تذكَّر يا غافل فضل الله عليك . تذكَّر أنه عصمك من الجحود حين أغناك عن الناس ، والجحود رذيلة لا يتعرض لها غير المبتَلَيْن بتقبُّل إفضال المفضلين من أهل الكرم المطبوع أو المصنوع

أنت تتحدث كثيراً عن التأدب بأدب الله ، فهل تأدبت بذلك الأدب الجميل ؟

إن الله يسبغ نِعمه على الكافرين بعزته السامية . إن الله يعطي الملحدين أضعاف ما يعطي المؤمنين ، كما يفعل الأب الرحيم حين يؤْثِر الابن السقيم على الابن السليم ، فما أنت وذلك الأدب الرفيع ؟

وأراك تبدئ وتعيد في أحاديث البر بأصدقائك ، ولو ناقشوك لأفحموك ، فما قبلوا بِرك إلا حين اطمأنوا إلى أنك رجلٌ كريم ، والكريم غير منَّان

وما الوقت الذي تقول إنك أغدقته على الجاحدين من إخوانك ؟ لقد دفعوا ثمن المعروف أضعافاً مضاعفة ، لو كنت تنصف ، دفعوه تحيات وابتسامات ، وهي معان تفوق كرائم

الأثمان ، ودفعوا ما هو أعظم ، لو كنت تعقل ، فقد أشعروك بلسان المقال أو لسان الحال أنك رجلٌ نفّاع ، وذلك أعظم ما يوصف به أكابر الرجال

أنت تمنّ على أصدقائك ؟ فما ذا أبقيت للمتجرين بالأخلاق ؟!

كان الظن أن تنسى جميلك إن كنت من أصحاب الجميل ، ولكنك . . .

وهنا أفقتُ قليلاً فسألتُ نفسي عن سبب التفوه بذلك المنّ السخيف :

ماذا أكلت اليوم من الطعام ؟ ومن لقيت من الناس ؟

يجب أن أعرف ما وقع فى يومى هذا ، لأعرف سبب السخف الذى وقعت فيه حين مننت على معارفى وأصدقائى

فى عصرية اليوم - وهو الخامس من شهر آب - كنت أهنئ فلانة بعيد ميلادها السعيد ، وفى لحظة من لحظات الصفاء حدثتها أنى ولدتُ فى مثل هذا اليوم ، فهتفت بحماسة مصحوبة بالحنان :

Nous arrivons en même temps !

نعم ، يا سيدتى ، وثمرات الأعناب فى شهر آب

ثم قُلقِلتْ نفسى قلقلة عنيفة حين تذكرت أنى لا أحتفل بعيد ميلادى كما يحتفل أكثر الناس ، وكيف يتيسر ذلك وأنا أُخلَق فى كل لحظة خلقاً جديداً ، باعتبار ما يَرِدُ على عقلى وروحى من شتيت الآراء والأهواء ؟

وسألتْنى عما أستظرف من هدية الميلاد فأبيت الإفصاح عما أريد، وإن كنت أشرت إلى أنى معجب بدالية مسلم بن الوليد !

وغفلة فلانة عن مدلول هذه الإشارة لم تزعجنى ، لأنها قليلة المعرفة بقصائد صريع الغوانى !

فما السبب الأصيل لاضطرابى وانزعاجى فى هذا المساء ؟

لعل السبب يرجع إلى أنى قضيت صباحية اليوم بوزارة المعارف ، وهى مملوءة بالمراوح ، ولتفصيل ذلك أقول :

فى مكاتب كبار الموظفين بوزارة المعارف مراوح كهربائية تدور من جانب إلى جانب ، ليقلّ خطرها فيما يقال ، وأنا رجلٌ يؤذيه البرد الطبيعى أشد الإيذاء ، فكيف يتحمل البرد الصناعى وهو ثقيلٌ ثقيل ؟

أنا لا أخاف المراوح الثابتة ، لأن تجنب تيارها مستطاع ، وإنما أخاف المراوح الدوارة ، المراوح التى تغزو الصدور والمفاصل برغم التحرز والاحتراس

وهذه المراوح كثيرة فى وزارة المعارف ، وأنا منها فى شقاء وعناء ، ولا سيما المروحة الجائمة بمكتب تفتيش اللغة العربية ، ومن أجل هذا أوصي زائرىّ بمقابلتى فى مكتب الأستاذ على أدهم سكرتير الرجل النبيل شفيق بك غربال ، لأنه مكتبٌ مضنونٌ عليه بالمراوح ليساير الطبيعة فى أمان

وآه ثم آه من المراوح فى وزارة المعارف !

إنها تخلق تيارات عنيفة الإيذاء ، وهى السبب فى بلبلة بالى فى هذا المساء

وأعجبُ العجب أن المراوح الدوّارة تحتلّ جميع المكاتب الحكومية ، وكأنها التمائم المبذولة بغير حساب ، فأين من يرحمنا من تلك الرياح الباغية ؟ وأين من يعرف أن القيظ فى أحر أحواله أروح من البرد ؟

عرفتُ بالضبط والتحديد سبب اعتكارى فى هذا المساء ، فما عن لؤم أو حقد غمزت معارفى وأصدقائى ، وإنما هى جناية المراوح بوزارة المعارف ، وسيأتى يومٌ قريب أو بعيد تُرفَع فيه تلك الآصار الثقال

إن قوماً يعجبون من ثورتى على الناس والزمان ، فهل يعرفون أن المراوح تلفح وجهي فى كل مكان ؟

لو صفا دهرى لصفوت ، ولو عدل زمنى لعدلت ، واختلالُ الموزون يُخلّ الميزان

بمن أثق ؟ وعلى من أعتمد ؟ وما اطمأننت إلى صديق إلا رأيته بعد حين أو أحيان وصوليًّا عديم الروح والوجدان

ومع هذا أصفح عن أبناء زمانى ، لأنهم أبناء الزمان

ومع هذا أيضاً أبتسم حين يلقانى فلان وعلان

فضحتكم يا جماعة المنافقين ، فالتمسوا قلباً غير قلبي ، وجيباً غير جيبي ، وانتظروا غضب الله على جميع المرائين

ثم ما ذا ؟

ثم أشير إلى غربتى فى وطنى بالفكر والروح ، غربة قاسية لا ترحم ولا تلين ، غربة أتوحّد بها توحُّد الليث فى العرين .

زكي مبارك

سيكولوجية إدلر

تلخيص وتبسيط

للأستاذ محمد أديب العامرى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

مجتمعنا اليوم فى الشرق قلما يضع الفرد فى موضعه المناسب فى الحياة . ولذلك يلازم المرء شعور الوحشة مما يجده فى نفسه من نقص ومما يجده فى المجتمع من عدم إفساح الطريق له ليعوض بالبروز فى ناحية منه شعوره بالنقص . وليس المجتمع فى الغرب أحسن بكثير مما هو عليه فى الشرق ؛ ولكن إدلر يرى أن المجتمع الراقى لا يتخلف عن إسداء كل فرد منه ما يستحقه بالنسبة لكفايته . وهذا يفسح المجال للمواهب . فإذا فحصنا عباقرة التاريخ وجدنا فى كل واحد منهم نوعاً من النقص . فضعف البصر ضعف شائع فى العظماء . وبعض العظماء والناس يعانون ضعفاً فى معدهم وأمعائهم . وفى الأطفال والناس من يكون أيسر فلا يستطيع أن يستعمل يده اليمنى ، ومنهم من يكون غبياً يتلعثم ، ومنهم من يكون بالغ القصر الخ ... كل هـذه عوامل تولد الشعور بالنقص

فإذا أثر النقص فى الإنسان تأثيراً شديداً تولد فيه « مركب النقص » ، وظهرت لذلك بوادر كثيرة مختلفة . فبعض الناس تراهم فى حركة دائمة ، فإذا مشوا ضربوا الأرض بأرجلهم ، وإذا تحدثوا رفعوا أصواتهم ليسمعهم الناس ، ولهم أمزجة حادة وانفجارات عاطفية فجائية . ومن الناس من يتناقض فى آرائه وأعماله ، ومنهم من يتردد تردداً عظيماً ، فلا يستطيع أن يحزم فى أمر . كل ذلك من علائم المرء وقد أصيب بشعور بالنقص . ومما يدل على شعور النقص فى إنسان ، الوقوف المعتدل المتوتر الذى يدفع المرء فيه برأسه إلى الأعلى على شكل ملحوظ ، أو طأطأة الرأس إلى الأرض أثناء المشى ، أو الاعتماد المستمر على الطاولة أو الجدار أو العصا حين الوقوف . والطفل الذى يحب الاستناد إلى أمه أو يخاف من مواجهة الناس فيظل متهيباً منفرداً طفل يحس بالنقص . والرجل الذى يتجافى عن المجتمع ويتحاشاه إنما يفعل ذلك فى الغالب لأنه يتملكه شعور بالنقص . والخوف صفة من هذا القبيل كذلك . وهنالك نوع من الجرأة لا يختلف عن الخوف ، فالإنسان أحياناً يتملكه تهور فجائى نادر يدفعه إلى الهلاك

ويرى إدلر أن الخوف والشجاعة مرتبطان بالإيمان بالقضاء والقدر . وهو يقول : « إن الإيمان بالقضاء والقدر مخرج يخلص به الإنسان من الجهاد والبناء المفيد فى الحياة . إن هذا الإيمان دائماً دعامة واهية يستند إليها الإنسان »

والغيرة باعتدال صفة عادية معروفة ، ولكنها إذا اشتدت كانت من علامات الشعور بالنقص . أما الحسد فدليل مركب نقص شديد عميق . ويوافق علم النفس الفردى على أن « الحسود لا يسود » وأنه لا يمكن أن يكون الحسد مفيداً على أى شكل من الأشكال .

التحليل النفسى

تصبح بذلك طريقة التحليل النفسى عند إدلر واضحة . إن هذه الطريقة تعتمد على فهم الشخصية الإنسانية المحلَّلة ، وترمى بشكل خاص إلى النفاذ إلى هدف هذه الشخصية فى الحياة ، وعلى أساس من ذلك يوصف العلاج النفسى . وللوصول إلى هذا يجب أن يفهم (طراز الحياة Style of Life) للانسان المحلل . وأن تدرس التذكارات القديمة ، والأحلام التى يحلها . [وطراز الحياة] هذا هو الشكل الذى تكون شخصية المرء قد استوت عليه بعد نموها خلال السنوات الأولى . ويمكن أن يفهم هـذا الطراز من دراسة أوضاع الإنسان وخاصة فى حالاته غير الطبيعية ؛ فالإنسان السوى هو الإنسان الذى يستفيد المجتمع منه ، والذى يكون له من الإقدام والجهود ما يتقوى به على مشكلات الحياة . إن الرجل الذى ينحرف عن هذا لا يكون سوياً ، ويمكن مراقبته ومعرفة دائه ، ومن ثم معرفة طريقة إصلاحه

ويروى إدلر حكاية رجل كان من صفاته أنه خجول شديد الشك فى أصدقائه . فثل هذا الرجل لا يمكن بشكه أن يكون ذا أصدقاء ، ولا يمكن لشدة خجله أن يخالط الناس . ثم إنه كان شديد الخوف من الفشل فى عمله ؛ فحمله ذلك على شدة العمل حتى أنهك نفسه . ويعتبر هذا الرجل فاشلاً فى علاقاته الاجتماعية

كما يعتبر فاشلاً فى عمله . إنه يحس إحساساً عميقاً بالضعف . وقد لوحظ أنه فى مشكلة الحياة الثالثة — الحب — كان شديد التردد . فإنه كان يتنقل فى حبه من فتاة إلى أخرى ، ثم لم يتزوج قط . وكان هـذا الرجل بكر أبويه . وبكر أبويه فى نظر إدلر يتعرض فى الغالب للحرمان كله أو بعضه من جراء العناية بالطفل الثانى التى يشاهدها البكر . وهذا الحرمان يولد فى نفسه الشعور بالنقص . ومثل هذا الرجل إذا أردت أن تمكنه من أن يتغلب على شعوره بالنقص وجب أولاً أن توضح له أنه يقدر نفسه دون ما تستحق ، كما يجب أن توضح له تزمته فى ملاقاة الناس ووجه خطئه فى تخوفه من أن يفضّل عليه أحد من الناس

وأما عن ذكريات الإنسان القديمة ، فإن المرء يتذكر ما له أهمية فى نفسه . ولا عبرة بأن تدل ذكريات الإنسان على نموذجه الأول (الـ Prototype الذى تقدم ذكره) ، لأنهـا تشير إلى ما وقع من أمر هام ، وإلى ما يقع على مثاله ، لأن شخصية الإنسان الأساسية لا تتغير . ويصلح هذا الموضوع للمقارنة بما اكتشف عن الإنسان بوسائط أخرى . وللحصول على الذكريات القديمة يطلب إلى الإنسان أن يرتد بذاكرته إلى حداثته وأن يتذكر من ذلك ما يتذكره

وقد يجد المحلل صعوبة فى هذا ، لأن المريض قد يقول إنه لا يذكر شيئاً . ولـكن الإلحاح عليه يثمر دائماً ثمرة طيبة ، فيذكر المريض شيئاً . إن ما يذكره الآن له أهمية لأنه يدل على وصفه الأول ـ الحالة التى نشأ عليها . والذاكرون من الناس يذكرون أشياء كثيرة مختلفة بالطبع ، ولـكن براعة المحلل تردها إلى أصول محدودة

فبعض الناس مثلاً يقول إنه يذكر أنه سمع صوت قاطرة ، وبعضهم يذكر أنه أكل أكلة لذيذة ، وبعضهم يذكر أشياء تتعلق بأمه وأبيه ، وبعضهم يذكر حالات مرضية أصابته ، وبعضهم يذكر شيئاً يتعلق بملابسه أو أنه ضُرب أو حُرم ... الخ فوظيفة المحلل هنا أن يرد هذه الأشياء إلى أصولها ، ليجد منها شخصية المرء الأولية وليربط ذلك بشخصيته الحاضرة على اعتبار أن أساس شخصية الإنسان لا يتغير بتقدم السن

يذكر الإنسان مثلاً من قديم ذكرياته أن أمه ضربته وعنفته حتى فر منها هارباً ، وضل الطريق حتى خاف على نفسه الموت . فمثل هذه الذكرى تشير إلى عامل قوى من عوامل التخوف ، لا بد وأن يكون قد دخل فى تكوين شخصية الإنسان ، وهذه الحالة تقرب من الواقعية ، فإن صاحبها حين دخل الجامعة ليتعلم ظل خائفاً من الرسوب فى الامتحانات الجامعية بالرغم من ذكائه . فلما تخرج قتل نفسه اجتهاداً فى الحياة لئلا يفشل فيها ، فهو يلعب فى حياته من حيث الأساس دور الرجل الخائف ، وهذا هو شعور النقص الأساسى فى نفسه

ونموذج الحياة الأول للانسان يظهر منه شىء فى الأحلام ، فالحلم عند إدلر لا يخرج عن كونه قسماً من طراز الحياة . والنموذج الأول دائماً منطوٍ فيه . ومن هنا كانت معرفتك لإنسان مؤدية إلى معرفة نوع أحلامه ، ومعظم أحلام الناس أحلام خوف ، لأن النوع البشرى جبان . ويحلم المرء أحلاماً مخيفة ، لأنه فى يقظة ، دائماً يتوجس من الفشل ، ويحاول أن يتخلص من الحياة بالهرب من مشاكلها . هو يبحث عما يجنبه متاعبها ، هذا هدفه ، والحلم يؤيد له هذا الهدف ، ولا فاصل عند إدلر بين النوم واليقظة ، فإن طرف أحدهما منساب فى طرف الآخر ، فنحن فى النوم نسمع ونفكر ونحس إحساسات عامة ، وتستهدف أحلامنا — على العموم — هدفاً من المظمة يخلصنا مما نحس به من شـعور بالنقص ، ولـكن فى الأحلام نوعاً من التشويش أو الغش والتمويه على النفس ؛ ولذلك فالذين يفـكرون تفـكيراً منطقيًّا ويواجهون حقائق الحياة لا يحلمون إلا قليلاً ، أو لا يحلمون قط . إن المرء يضع أحلامه ، فأحلامه تتجه فى محتوياتها إلى ما يتجه هو إليه فى الحياة ، ومن أحلامه يتضح لك شىء من هدفه فيها

فأنت تستطيع إذن بمختلف هـذه الأساليب أن تتصل بمعرفة « النموذج الأول » الذى ينشأ عليه الإنسان و « طراز الحياة » الذى يتبعه . ونستطيع من ذلك أن نعرف النقطة المركزية التى يدور عليها شعوره بالنقص ، والطريقة التى يحاول أن يعوض بها عن هذا النقص . وإن النقطة المركزية على كل

حال نوع من النقص . وهذا الضعف نفسه يحمل المرء رجلاً ، كما حمله طفلاً على التزام جانب المجتمع والشعور بحاجته إليه . فطريق الإصلاح الأساسى لأى إنسان أصبح شعوره بالنقص مركباً أنه يؤثر فى حياته فيدفع به إلى نواح غير مفيدة ، هو تعديل مركز الفرد فى المجتمع وتسويته . ومرة أخرى يتلخص هـذا التعديل فى تحسين موقف المرء من الناس ومن مهنته ومن مسألة زواجه

ولا أقصد أن أطيل أكثر مما قد فعلت ؛ فالطريقة التى يمكن أن ينشأ بها طفل لـكى يكون إنساناً سوياً هى أن يعامل بعدل واحترام . ولـكن الشاب الذى يتم تكوين طراز حياته على صورة معوجة يجب أن يدرس وأن تعرف مزاياه وأن يوجه نظره إليها . فإدلر يعتقد أن « كل إنسان يصلح لـكل شىء » . فإذا فتحت للشاب آفاق جديدة وسوعد فى التغلب على ضعفه ، اندفع فى الحياة من جديد . وقد عولجت عملياً حالات كثيرين من المرضى العصبيين ومن حالات قريبة من الجنون على هذا الأساس فنجحت طريقة العلاج

أما فى ناحية المهنة فيحذر إدلر من الاستعلاء الذى يجده كل شاب فى نفسه حين يعمل مع غيره . هذا الاستعلاء يحمله على الفوضى وعدم الطاعة للرؤساء . وليس من السهل إيجاد عمل لمبتدئ لا رأسه فيه أحد . فإذا لم يعرف كيف يتلق الأمر من رئيس له لم يقدر على التقدم . وإذا لم يحسن التصرف مع الناس على اعتبار أنه رجل اجتماعى فلا سبيل إلى نجاحه . ولا يُعنى إدلر فيما اطلعت عليه من كتاباته إلى اليوم ، بمظالم عميقة تقترفها البشرية فى حق نفسها ولا تفيد فيها نصائحه ، ولـكنا نغض النظر عن ذلك الآن

وحل مشكلة الحب عند إدلر يدخلنا فى بحث يختلف عما تثيره حياتنا الاجتماعية فى الشرق من مشكلات فى هذا السبيل . ولـكن مما لا ريب فيه أن الرجل المصاب بداء الشعور بالنقص قد يحجم عن الزواج خوفاً من تبعات الحياة الجديدة . وضعف الإنسان عامة عن مواجهة إنسان من الجنس الآخر ينتج عن إحساس بالنقص يحمل صاحبه على التردد والحياء

(السلط) محمد أديب العامرى

شعر على بن أبى طالب

للأستاذ محمد محمود رضوان

تمهيد

وفق الأستاذ السيد يعقوب بكر فى بحثه الذى نشرته الرسالة[1] عن شعر على بن أبى طالب أحسن التوفيق . والحق أن هذه المسألة من المسائل المشكلة الكثيرة التى تحتاج إلى البحث والتمحيص فى أدبنا العربى ، وقد سبقنا المستشرقون إلى هذا النوع من البحث فجلوا كثيراً من الحقائق ، وكشفوا كثيراً من الشبهات . ولو لا ما يلبس آراءهم فى كثير من الأحيان من تعصب تمليه النعرة الدينية ، وما يجرمهم من شنآن تزكية العصبية الجنسية ، لكان لبحوثهم شأن غير هذا الشأن .

وهذه المسألة — شعر على بن أبى طالب — كتب فيها المستشرقون ، وقد ناقش الأستاذ بكر فى بحثه آراءهم ومن ثم اهتدى إلى رأيه الأخير . وعندى أنه أقرب إلى الحق والمعقول ، وأعنى به أن على بن أبى طالب كان يقول الشعر وإن كان مقلاً ، وأن بعض ما نسب إليه فى المراجع العربية صحيح ، وأن أكثر ما فى ديوانه من الشعر مكذوب مصنوع .

لسنا نخالف الأستاذ إذن فيما وصل إليه ؛ ولكن عنّت لنا فى بحثه بعض آراء ومآخذ نجملها فيما يلى :

الشعر المنسوب لعلى

ذكر الأستاذ جملة أشعار منسوبة إلى على فى عيون الأخبار ومعجم الأدباء ومقاتل الطالبيين والعمدة وحماسة البحترى وكامل المبرد والعقد . ثم قال : « نستطيع أن نقول واثقين إن هذه الأشعار التى وجدناها هى معظم ما فى هذه المراجع من الشعر المنسوب إلى على » اهـ

وأقول إن ما رواه الأستاذ — وهو لا يعدو ثمانية وعشرين بيتاً — قُلٌّ من كثر مما نسب فى المراجع العربية المعتمدة إلى على ، ولو أحصى لكان أضعاف ما روى . وأذكر على سبيل المثال ما رواه صاحب تاج العروس (ج ٧ ص ٨٥) أنه قال يوم خيبر :

دونكها مترعة دهاقا ... كأساً زعافاً مزجت زعاقا

وما رواه ابن هشام فى المغنى . وقال السيوطى فى شواهده « عزاه المصنف لعلى بن أبى طالب » :

فلما تبينا الهدى كان كلنا ... على طاعة الرحمن والحق والتقى

وغير ذلك كثير مما تجده فى مروج الذهب والعقد وتاج العروس ونهاية الأرب ، وشرح المضنون ، وتاريخ ابن عساكر وكامل المبرد والتحفة الناصرية وجمهرة ابن دريد واللسان وغيرها .

ويلحق بهذا المأخذ فساد الاستدلال الذى بناه الكاتب على وجود هذه الأشعار فى المراجع العربية إذ استدل بوجودها فيها ووجودها فى ديوان علىّ على صدق نسبتها إلى على .

أقول إن هذا استدلال فاسد إذ من البدهى أن الذى وضع ديوان على أو جمعه قد نقل ما فى المراجع العربية جميعاً منسوباً إلى على ولعله زاد عليه ... فليس فى هذا دليل .

من أسباب الخطأ فى نسبة الشعر إليه

ويرى الكاتب أن هذه الأشعار قد وضعها أناس مختلفون معظمهم من الشيعة وأنهم نسبوها إلى على حباً فيه ... ثم جاء جامع الديوان فجمع كل ما عثر عليه من الشعر المنسوب إلى علىّ الخ

وأنا مع موافقتى على هذا الرأى أرى أن هناك سبباً آخر غير مقصود فى عزو كثير من هذه الأشعار لعلى ، ذلك أن علياً رضى الله عنه كان كثير التمثل بشعر العرب . ومن ثم ظن الرواة أنه قائل الشعر الذى تمثل به فنسبوه له خطأ :

١ — خذ مثلاً قول الشاعر :

أفلح من كانت له مزخّة ... يزخُّها ثم ينام الفخّة[1]

ذكره صاحب اللسان فقال : « وفى حديث على رضى الله عنه ... أفلح ... البيت » (اللسان ج ٤ ص ١٠) وعبارة ابن الأثير « وفى حديث على ... أفلح ... البيت » (النهاية ج ٣ ص ١٨٧)

فأنت ترى أن البيت ورد فى حديث لعلى ، ومن ثم ظن الرواة أنه قائله فنسبوه إليه ... ففي المزهر (ج ٢ ص ٢٠٦) ما نصه : « وقال ابن دريد : روى عن على رضى الله عنه . أفلح . البيت »[2] . والذى رواه البطليوسى فى (الاقتضاب ص ٣٨٣)

أفلح من كانت له قوصرّة ... يأكل منها كل يوم مرّة

قال الشارح : « يروى هذا الرجز لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه » ثم ذكر البيت الذى معنا على أنه مثل هذا البيت[3]

---

(١) راجع الأعداد ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٢

(١) ينام الفخة أى يغط فى نومه

(٢) وراجع أيضاً جمهرة ابن دريد (ج ١ ص ٦٦)

(٣) رواه البكرى فى سمط اللآلى ص ٥٠٢ بقوله : « قال الراجز » وعلق محققه الأستاذ الميمنى بقوله : « الشطران رويا فى حديث لعلى فنسبا إليه » قلت : ورواهما ابن سيدة أيضاً فى المخصص بقوله : « وأنشد » ج ٥ ص ١١٢

٢ — وقال المبرد فى (الكامل ج ٢ ص ١٥ طبعة التجارية) « وأحسن ما سمع فى هذا ما يعزى إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقائل يقول هو له ، ويقول آخرون قاله متمثلاً ، ولم يختلف فى أنه كان يكثر إنشاده :

فلا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا
وإنى رأيت غواة الرجا ل لا يتركون أديماً صحيحاً[1]

فأنت ترى تشابه القول على الرواة فيما كان يتمثل به

٣ — وأبلغ من هذين الشاهدين ما نقله العينى عن البيت المنسوب لعلى :

أى يومى من الموت أفر يوم لم يقدر أم يوم قدر

أن ابن الأعرابى قال : « هو للحارث بن المنذر الجرمى وليس لعلى رضى الله عنه ، ولكنه رضى الله عنه تمثل به » (المقاصد النحوية بهامش خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٤٧)

الزيادة فيما صح من شعره

وثم طريق آخر سلكه المزيفون على علىّ رضى الله عنه من الشيعة وغيرهم . ذلك أنهم عمدوا إلى البيت أو الأبيات اشتهرت نسبتها لعلى فزادوا عليها — قبلها أو بعدها — وتستطيع بقليل من النظر أن تتبين الزيادة من اختلاف النظم والأسلوب وتهافت المعنى

خذ مثلاً بيتيه اللذين أجمعت كتب الأدب على أن علياً قائلهما ، بل إن المازنى — وصوبه الزمخشرى — لم يكن يصحح نسبة شعر لعلى إلا هذين البيتين وهما :

تلكم قريش تمنّانى لتقتلنى فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتى لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ثم ارجع إلى شرح شواهد المغنى ص ١٧٦ تجد قبلهما ثلاثة أبيات وبعدهما ثمانية أبيات لا تشك بعد أن تقرأها أنها مصنوعة وترى فيها أثر الصنعة والتشيع والحديث عن المهدى المنتظر

وسوف يبعث مهدى بسنته فينشر الوحى والدين الذى قهروا
وسوف يعمل فيهم بالقصاص كما كانوا يدينون أهل الحق إن قدروا

وغير ذلك كثير نمسك عن ذكره خوف الإطالة

رأى آخر فى شعر على

وثم رأى آخر أرادوا به التوفيق بين ما قاله المازنى والزمخشرى ويونس وغيرهم أن علياً لم يقل من الشعر إلا البيتين السالفين ، وبين ما ذكره الآخرون من شعره

وقد وجدت هذا الرأى للزبيدى فى تاج العروس « مادة خيس » ؛ فقد روى أن عليًّا بنى سجناً سماه المخيس فقال فيه :

أما ترانى كيِّساً مكيَّساً بنيتُ بعد نافع مخيَّسا[2]
باباً حصيناً وأميناً كيِّسا

قال الزبيدى : «قال شيخنا تبعاً للبدر : وهذا ينافى ما سيأتى له فى ورق أنه لم يثبت عنه أنه قال شعراً . . . الخ » ؛ قلت : « ويمكن أن يجاب أن هذا رجز ولا يعد من الشعر عند جماعة »

وأنت ترى أنه تخريج تافه ، لأن كثيراً مما روى لعلى من الشعر ، وإن كان له بعض الرجز . والبيتان اللذان سلف القول فى صحته نسبتهما له من الشعر لا الرجز . هذا علاوة على أن الرجز من الشعر كما صححه جلة العلماء

تصويبات فى الشعر المنسوب له

١ — نقل الأستاذ عن العمدة لابن رشيق أبياتاً لعلى قالها يوم صفين يذكر همدان ونصرهم إياه ، منها :

ونادى ابن هند فى الطلاع وحمير وكندة فى لخم وحىّ جذام

قلت : يلوح لى أن فى هذا البيت تحريفاً كبيراً ؛ وأرى أن صوابه :

ونادى ابن هند ذا الكلاع وحميراً وكندة فى لخم وحى جذام

و « ذو الكلاع » : رجل من حمير قاتل مع معاوية فى صفين أخرجه معاوية حين أخرج علىٌّ سعيد بن قيس الهمدانى سيد همدان ؛ وأخرج معاوية أيضاً عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى حمير ولخم وجذام : (راجع مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠) ؛ وقد قتل ذو الكلاع فى صفين

٢ — ونقل عن العمدة أيضاً من شعر على فى صفين :

لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قيل قدِّمها حصينُ تقدَّما
فيوردها فى الصف حتى يَردْنها حياضَ المنايا تقطر الموت والدما

قلت : فى هذا الشعر تحريف فى موضعين : الأول فى حصين والصواب : « حضين » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف واقع فى أكثر كتب الأدب : كالعمدة والعقد ومروج الذهب والبيان والتبيين والتصويب عن الأمالى (ج ٢ ص ١٥٨) وسمط اللآلى ص ٨١٧ ، وابن عساكر ج ٤ ص ٣٧٤ ، وتاج العروس ج ٧ ص ٨٠ . قال البكرى فى سمط اللآلى : « هو حضين بالحاء المهملة والضاد المعجمة ابن المنذر بن الحارث الرقاشى يكنى

---

[1] البيتان فى مجموعة المعانى ص ٧١ على أن علياً كان ينشدهما كثيراً

[2] « نافع » : اسم سجن قبل المخيس نقبه اللصوص

أباساسان ، وكان رئيس بكر وحامل رايتهم يوم صفين وله يقول علي بن أبي طالب : لمن راية ، البيت »

وفي تاريخ ابن عساكر ترجمة له قال فيها : « ولا أعرف من يسمى حضيناً بالضاد المعجمة والنون غيره »

والتحريف الثاني في « حتى يردُ بها » : وهو ظاهر لأنه لا عامل يجزم الفعل

والبيت ورد في « العقد الفريد » ثلاث مرات : ثنتان منهما « حتى يزيرها » وواحدة « حتى يردها[1] » ؛ وكل ذلك تحريف ؛ والصواب : ما في تاريخ ابن عساكر من أبيات خمسة تختلف روايتها قليلاً : وفيها « حتى يقيلها[2] » ؛ وهي كذلك أيضاً في « تاج العروس » من أبيات أربعة ج ٧ ص ٨٥

هذا ، ورواية العمدة « راية حمراء » أصح الروايات خلافاً لسائر كتب الأدب التي ترويها « راية سوداء » ، لأن راية علي بصفين كانت حمراء لا سوداء

٣ — ونقل عن حماسة البحتري لعلي — رضي الله عنه — :

من أي يوميَّ من الموت أفر أيومَ لم يقدرَ أم يوم قُدِرْ

قلت : الرواية كذلك في مروج الذهب (ج ٢ ص ٢٥)

وهذا البيت من شواهد الأشموني والمغني ، والنحاة يستشهدون به في باب الجوازم على النصب بلم في لغة ؛ ولهم في تخريجه كلام كثير وروايتهم له « في أي يومي الخ ... »[3]

والبيت كما ترى من بحر الرجز ، ولكن كتب الأدب تذكر معه بيتاً ثانياً من بحر الرمل وتحرف في الأول بعض التحريف لإخراجه من الرجز إلى الرمل ليتفق البيتان ، فرواية العقد الفريد (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١ — ١٢٣ ، وطبعة العريان ١ — ٨٣)

أي يوميّ من الموت أفر يوم لا يقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لاينجي الحذر

وهي شبيهة بالرواية في ديوان علي

ولم يشذ عن ذلك — على ما أعلم — إلا النويري ، فقد ذكر البيتين من الرجز فقال (نهاية الأرب ٣ — ٢٢٧)

من أي يومي من الموت أفر أيوم لا يقدر أم يوم قدر[1]

فيوم لا يقدر لا أرهبه ثم من المقدور لا ينجو الحذر

ثم نعود إلى نسبة هذا البيت لقائله ؛ فبعضهم ينسبه لعلي رضي الله عنه، وآخرون ينسبونه للحارث بن منذر الجرمي، ومن هؤلاء العلامة الأمير في حاشيته على المغني (١ — ٢١٧) والسيوطي في شرح شواهد المغني (ص ٢٣١) ، ويظهر أنهم نقلوا ذلك عن ابن الإعرابي الذي نسب له العيني هذا الرأي فيما ذكرناه آنفاً .

أما العيني فيقول « أقول : قائله هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كذا قاله أبو عبادة البحتري في حماسته »[2]

وقد أخطأ السيوطي ، فذكر في شرح شواهد المغني البيت — من الرجز — ثم قال إنه أول مقطوعة للحارث بن مَنذر الجرمي وذكر بعده أبياتاً منها

إن أخواليَ من شقرة قد لبسوا لي عمساً جلد النمِر

وهذه الأبيات من الرمل كما ترى . والبيت كما تذكره كتب النحاة ومنها المغني من الرجز ، فلا يكون مطلعاً لها إلا إذا رجحنا رواية العقد الفريد وديوان علي التي ذكرناها آنفاً

(بني سويف) **محمد محمود رضوان**

المدرس بالمدرسة الابتدائية

(١) العقد طبعة العريان ج ٤ ص ١٢٠ و ٥ — ٩٦ و ٦ — ١٣٤

(٢) ابن عساكر (٤ — ٣٧٥) والقيل شرب نصف النهار وإقالة الإبل سقيها في هذا الوقت « القاموس »

(٣) وبذلك يسقط استدراك الأستاذ أحمد يوسف محمد في العدد ٤٧٣ من الرسالة ، وقد ظن البيت مكسوراً برواية (لم يقدر) ، لأن لم تقتضي الجزم وهو لا يتمشى مع الوزن . وراجع حاشية الصبان والأشموني (٤ — ٦)

(١) في الأصل (يوم لا يقدر) وقد أصلحته ليتفق الوزن

(٢) العيني بهامش الخزانة (٤ — ٤٤٧)

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١ / ٧ / ١٩٤٢ في القضية رقم ٦١٦ سنة ١٩٤٢ ضد دردير عباس ابراهيم صاحب مخبز بدمنهور بالغرامة عشرة جنيهات وغلق المخبز ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه دقيقا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٤ — ٦ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١١٠٤ سنة ٩٤٢ ضد محمد الشناوي تاجر بأم حكيم مركز شبراخيت بالحبس شهرين مع الشغل وغرامة ٢٠ جنيه وغلق المحل أسبوعا والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١ — ٧ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٢١٢ سنة ١٩٤٢ ضد محمد محمد الفيومي بقال برشيد بالحبس شهرا مع الشغل وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه أرزا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١ — ٧ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٣٠٦ سنة ١٩٤٢ ضد الصاوي أحمد الفنام صاحب مخبز برشيد بتغريمه عشرين جنيها وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لبيعه خبزا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

طلعت حرب
ورسالته الأدبية
لمناسبة الذكرى الأولى لوفاته
للأستاذ مصطفى كامل الفلكى

أشاد الكتاب بالناحية العامة من حياة فقيد الوطن (طلعت حرب) وهى الناحية المتصلة بالرسالة العظمى التى أداها لبلاده ، رسالة الاقتصاد وتدبير المال وانتشال مصر من وهدة الخراب التى عمل الأجانب على سوقها إليها بإقبالهم على استثمار مرافقها جميعاً بحيث لم يدعوا لأبناء البلاد سبيلاً

وتلك هى الناحية العظمى فى حياة الرجل الفذ ، ولو أننا أنصفنا لحددنا هذه الناحية بأنها هى الغالبة عليه عند الناس لظهورها وبروزها

والواقع أن طلعت حرب كان ذا رسالة أدبية خاصة ، فإن الأديب لا بد أن يكون ملماً بجميع أحوال أمته وأطوارها وعاداتها وتقاليدها مستخلصاً لنفسه فكرة عن إصلاح المعوج من أمورها ، وذلك هو (طلعت حرب) فى جميع أدوار حياته ، فهو صاحب فكرة فى الإصلاح القومى العام ، ظل يدعو إليها من بدء حياته حتى وفاته

فقد عرفه الناس لأول مرة وفى صدر شبابه مؤلفاً تخرج له المطابع ثمرات ناضجة من تفكيره وشجونه، وتحتشد أنهار الصحف برائع مقالاته ودراساته ، وله من الكتب كثير ، منها :

المرأة والحجاب

وفصل الخطاب فى المرأة والحجاب

وقناة السويس

وعلاج مصر الاقتصادى وإنشاء بنك للمصريين

وله رسالة فى الإسلام ، ورسالة أخرى باللغة الفرنسية فى الرد على مسيو هانوتو الوزير الفرنسى المعروف حين هاجم المسلمين والإسلام .

هذا وغيره من إنتاج طلعت حرب نعرف فيه نضوج الرأى والغيرة على ملته وقوميته ، ونلمس فيه قوة الروح وشدة العارضة فى إيراد الحجج والاعتماد على المنطق وحكم العقل ودراسات العلماء ، فهو لا يرسل القول إرسالاً دون بيان ، ولا يعتمد على الرجم بالظن ، وإنما قوله كله تحقيق وتدقيق ، وتآليفه توفيق فى توفيق . وفضلاً عن هذا فإن خطبه الضافية العظيمة تعتبر مرجعاً من أهم المراجع للباحثين فى الاقتصاد وفى أحوال المجتمع المصرى ، فكلها حافلة بالمعلومات ، مليئة بالأفكار الناضجة والتعاليم الوطنية الرائعة ، تشف عن قلب مفعم بحب بلاده ، وعقل حاشد بأهم ما ينبغى لرجل العمل أن يعرفه وأن يلم به . على أنك حين تطالع هذه الكتب وتلك المقالات والخطب والأحاديث والرسائل تخرج منها بنتيجة فى غاية العجب ، إذ ما من رجل اشتهر بعلم أو شغل بعمل استطاع أن يجمع إلى علمه أو عمله قوة فى البيان أو بلاغة فى الأداء

ولكن طلعت حرب استطاع أن يفعل هذه الأعجوبة ويحقق ذلك المقصد البعيد المنال

فأنت حين تقرأ له لا تشعر أنك تقرأ لعالم كل همه إيراد علمه ، وإنما تعتقد أن أديباً كبيراً أو منشأ بليغاً يسوق إليك هذه المعلومات والبيانات ويعرض عليك ألواناً من المعرفة ، وأشتاتاً من الثقافات

ولو أننا جمعنا الكتب والمقالات التى أنشأها طلعت حرب لكانت أسفاراً عديدة ، فإذا أضفنا إليها الأحاديث الصحفية التى أدلى بها فى شتى المناسبات ، وما كتب من خطابات ، لكان من ذلك مكتبة من أرق وأضخم المكتبات ، وهذا كله شىء معترف به ، ليس فى حاجة إلى إثباته ، لأن الجميع يعرفونه ولا ينكرونه ، فإعادته والإشارة إليه تكرار ليس ما يدعو إليه

والآن وقد مر العام على وفاة طلعت حرب الأديب فماذا فعل الأدباء لتخليد ذكراه وقد كان نصير الكتاب والأدباء والصحفيين ؟

لقد وعد الدكتور زكى مبارك أن يكتب أو أن يؤلف عن طلعت حرب الأديب فأين وعده ؟

يا شباب مصر أذكروا طلعت حرب تذكروا مجدكم ، وتفخروا بما فعله لتمجيدكم .

مصطفى كامل الفلكى

الفــــن (*)

ليس من خصائص الإنسان أن يعرف الجمال الطبيعي ويحبه فحسب، بل خلق مزوداً بالقدرة على إنتاجه أيضاً. فحين يرى جمالاً طبيعياً، سواء أكان جمالاً فيزيقياً أم خلقياً، فإنه يحسه ويعجب به ويتأثر به، فينجذب نحوه، وتتملكه عاطفة الجمال وتسيطر عليه. فإذا كانت تلك العاطفة فعَّالة مثيرة ونشيطة، فإننا نميل إلى رؤية ما سبب لنا تلك اللذة وإلى إحساسه ثانيةً، ونرغب في تحقيقه وإحيائه، لا كما هو عليه في الخارج، بل كما تصوره لنا مخيلتنا، حتى تظهر فيه ذاتية خاصة، وهذا هو الفن

فالفن إذن إنتاج حر للجمال، يصدر عن قوة كامنة في الإنسان هي ما نسميه العبقرية (Le génie)؛ ويلزم لذلك الإنتاج الحر للجمال قوى، هي نفس القوى اللازمة لمعرفته وإحساسه. فالعبقرية هي الذوق السامي، مضافاً إليه عنصر آخر هو القدرة على الابتداع. والذوق ملكة مركبة يدخل فيها ثلاث قوى، هي: المخيلة والعاطفة والعقل. هذه القوى الثلاث لازمة بالضرورة للعبقرية، ولكنها ليست كافية، فإن الذي يميز العبقرية عن الذوق، إنما هو القدرة الخالقة، أو القدرة على الابتداع والابتكار. فالذوق يحس ويحكم ويناقش ويحلل ولكنه لا يبتكر، والعبقرية مبدعة وخالقة قبل كل شيء. والعبقري إنما يكون عبقريًّا بواسطة رغبة مشبوبة لا يمكن مقاومتها للتعبير عما يحس به من عواطف وانفعالات وصور وأفكار تضطرم في صدره. وقد قيل: إنه لا يوجد رجل عظيم بدون بذرة من الحماقة فيه، هذه الحماقة هي الجزء الإلهي من العقل، وهذه القوة الخفية سمَّاها «سقراط»: «شيطانة»؛ وأسماها «ڤولتير»: «بالشيطان في الجسد»، وهي التي تلهم العبقرية وتثيرها حتى تبوح بما أضناها. وعلى ذلك، فهناك شيئان يميزان العبقرية: حيوية الرغبة في الإنتاج، ثم القدرة على الإنتاج، لأن الرغبة بدون القدرة ليست إلا مرضاً.

فالعبقرية بالضرورة هي قدرة على العمل والإبداع والخلق، بينما يختص الذوق بالملاحظة والإعجاب. والعبقرية الزائفة — أعني المخيلة المشبوبة العاجزة معاً — تضني في الأحلام المجدبة، وتفنى دون أن تنتج شيئاً ذا أهمية، وقد لا تنتج شيئاً على الإطلاق؛ ولكن العبقرية الحقيقية هي التي يمكنها أن تحول تصوراتها إلى خلق وإبداع جديدين

وإذا كانت العبقرية تخلق، فإنها إذن لا تقلد، ولذا قد يظن أنها أعلى من الطبيعة ما دامت لا تقلدها، والطبيعة من صنع الله، فالإنسان بذلك منافس لله؛ ولكن ليس ذلك بصحيح فإن الطبيعة تفسر الأشياء وتنتجها حسب طبيعتها الخاصة، كذلك العبقرية الإنسانية تنتجها حسب طبيعتها هي ... ولنقف لحظة أمام تلك المسألة التي أُثيرت مراراً، وهي: هل الفن ليس شيئاً آخر إلا تقليد الطبيعة؟

الفن من جهته تقليد بدون شك، لأن الخلق المطلق لا يمكن أن يُعزى لغير الله، والعبقرية لا تأتي بالعناصر التي تعمل عليها إلا من الطبيعة ... ولكن، هل تقتصر العبقرية على إخراجها مثلما صنعتها الطبيعة؟ وهل هي ليست إلا مجرد نسخ ونقل للواقع؟ إذا كانت العبقرية كذلك، فإن ميزتها الوحيدة تكون هي الأمانة في النسخ والنقل، وإذا كان الأمر كذلك كان الفن عاجزاً، مثله مثل طالب كسول بليد، لا يفعل شيئاً إلا أن يقلد كل ما يفعله جاره، وينقله منه بكل أمانة

والفنان الحق يحس ويعجب بالطبيعة إحساساً وإعجاباً عميقين ولكن ليس كل ما في الطبيعة باهراً ومدهشاً بدرجة واحدة. وفي الطبيعة شيء ما تتخطى به الفن إلى ما لا نهاية، أعني الحياة؛ ولكن الفن يتخطى الطبيعة ويفوقها حين لا يقلدها تقليداً دقيقاً. وكل ما هو طبيعي لا بد أن يكون معيباً من ناحية ما مهما كانت درجة جماله. وكل ما هو واقعي لا بد أن يكون ناقصاً. وعلى ذلك نجد الشناعة والقبح مختلطين بالسمو والجلال من ناحية، ونجد الظرف والرشاقة بعيدين عن العظمة والقوة من ناحية أخرى، وهكذا. وخطوط الجمال منفصلة بعضها عن بعض؛ فإذا اتحدت اتفاقاً وبدون قاعدة ينظم بمقتضاها هذا الاتحاد أخرجت لنا المسوخ. ولكن السماح بوجود قاعدة للنظام يعني السماح بوجود مثال يخالف جميع الأفراد. هذا المثال هو ما يؤلفه الفنان حين يدرس الطبيعة والواقع فيحكم عليهما وينازلهما به

والمثال موضوع تأمل عاطفي للفنان. فالتأمل الدائم الهادئ العميق الذي تحييه العاطفة يوقظ العبقرية ويثير فيها تلك الرغبة

(*) ملخصة عن الفرنسية عن كتاب V. Cousin: Du vrai, du beau et du bien

اللحة لرؤية ما يرغب فيه متحققاً وحياً ؛ ولذلك تأخذ العبقرية من الطبيعة كل المواد التي يمكن أن تساعدها ، وتضفي عليها يدها القوية مثلما فعل ميكلانج مثلاً بإزميله على الرخام الخام . فتخرج منها أعمالاً ليس لها نماذج في الطبيعة ؛ أعمالاً لا تحاكي شيئاً آخر إلا المثال المتصوَّر ؛ أعمالاً هي من ناحية خلق آخر أقل من الأول بالفردية والحياة ، ولكنها من جهة أخرى أعلى منه بالجمال العقلي والخلق والجمال الخلقي أساس لكل جمال حقيقي ، وهذا الأساس منطق محجوب قليلاً في الطبيعة والفن يطلقه ويظهره . وغاية الفن هي التعبير عن الجمال الخلقي بمساعدة الجمال الفيزيقي ، فهذا الأخير ليس إلا رمزاً لذاك ، وهو مظلم غير واضح في الطبيعة ، والفن حين يوضحه يصل إلى أعمال لا تنتجها الطبيعة دائماً . نعم إن الطبيعة قد تسبب سروراً وانشراحاً أكثر لأنها تحوز الحياة وتملكها ، ولكن الفن يثير أكثر لأنه في تعبيره عن الجمال ـ وبخاصة عن الجمال الخلقي ـ يصل مباشرة إلى منبع الانفعالات العميقة . فالفن بذلك قد يكون أبعد تأثيراً من الطبيعة ، والتأثير هو علامة الجمال ومقياسه

وطالب الفن ودارسه يجب عليه أن يعرف ـ في بدء دراسته ـ الواقع والمثال ويدرسهما معاً لا أحدهما أولاً . والطبيعة نفسها لا تقدم الجزئي بدون الكلي ولا الكلي بدون الجزئي ، فالواقع والمثال شرطان من شروط الفن ، والعبقري يعرف كيف يوحد بين المثال والواقع ، بين الصورة والفكرة . وهذا الاتحاد هو كمال الفن . والأعمال الفنية الكبرى تقتضي هذا الثمن ، ولكن يجب التفرقة والتمييز بينهما ووضع كل منهما في مكانه الصحيح ، فإنه لا يوجد مثال حقيقي بدون صورة معينة ، ولا توجد وحدة بدون اختلاف ، ولا نوع بدون أفراد ؛ ولكن أساس الجمال هو الفكرة l'idée ، والذي ينتج الفن هو تحقيق تلك الفكرة لا تقليد الصورة الجزئية .

في بدء القرن التاسع عشر ، عقد المجمع الفرنسي مسابقة عن أسباب كمال فن النحت القديم ، وعن عوامل انحطاط ذلك الفن . وكان الفائز في هذه المسابقة إمري داڤيد Emerie David الذي قرر أن دراسة الجمال الطبيعي هي التي قادت وحدها الفن القديم نحو الكمال ، وبالتالي تقليد الطبيعة هو الطريق الوحيد للوصول إلى الكمال . ولكن كاترمير دكانسي Quatremère de Quincy هاجم نظرية داڤيد ودافع عن الجمال المثالي ، وبين أن الفن عند الإغريق لم يعتمد على تقليد الطبيعة ولا على نموذج واقعي لأن النموذج ناقص مهما كان جميلاً ، بل كان يعتمد في الحقيقة على الجمال المثالي الذي لا يوجد في الطبيعة . وكان داڤيد قد ادعى أن كلمة « الجمال المثالي » تعني عند اليونان ـ بفرض أنهم كانوا يعرفونها ـ « الجمال المرئي » ، لأن « المثال ideal » يأتي من eidos اليونانية وهذه تعني ـ في رأيه ـ « الصورة المرئية » ولكن دكانسي أتى بأمرين رد بهما على داڤيد : أحدهما من طيماوس حيث بين أفلاطون بوضوح كيف يكون الفنان الحق أعلى من الفنان المادي ، والآخر من « الخطيب » Ortor حيث يشرح شيشرون كيفية عمل الفنانين العظام ممثلاً لذلك بعمل فيدياس أعظم أستاذ في أكمل عصر فني . فهو حين كان يصنع تمثالاً ما لم يكن يضع تحت ناظريه نموذجاً معيناً يعكف على تقليده ، ولكن كان يوجد في نفسه صورة أو مثالاً تام الجمال . وطريقة فيدياس هذه هي نفس طريقة رفائيل التي وصفها في خطابه إلى Castiglione بقوله : « لما كان ينقصني نماذج جميلة استخدمت مثالاً معيناً صنعته بنفسي »

هناك نظرية تجعل من الوهم غاية للفن ، وهي نظرية ترجع الفن إلى التقليد بطريق غير مباشر . فالجمال المثالي للنفس مثلاً هو وهم العين وخداعها ، ومنتهى الفن في قطعة مسرحية هو أن تقنعك أنك أمام الواقع . وكل ما في هذا الرأي من حقيقة هو أن العمل الفني لا يكون إلا إذا كان حيا . ففي الدرامة مثلاً يجب ألا تأتي بأشباح الماضي الشاحبة ، بل بشخصيات مستعارة من المخيلة أو من التاريخ ، ولكنها شخصيات حية وعاطفية ، تتكلم وتعمل كما يعمل الناس لا كما تعمل الأشباح . ولكننا لا يمكن أن نجعل الغاية من الفن هي الخداع والإبهام ؛ فإننا لو جعلنا ممثل دور بروتس نسخة منه وألبسناه ملابسه وأعطيناه نفس الخنجر الذي طعن به بروتس قيصر ، لما مس ذلك الخبراء الحقيقيين إلا مساً رفيقاً . والمغالاة في الخداع تجعل عاطفة الفن تختفي لتظهر مكانها عاطفة طبيعية صرفة ، فإن كنت أتوهم أن أفيجينيا على وشك أن يذبحها أبوها على بعد عشرين خطوة مني ، فإنني قد أخرج من صالة المسرح مرتعداً من الخوف

وقد يقال رداً على ذلك إن غاية الشاعر هي إثارة الشفقة والخوف مثلاً . هذا صحيح ، ولكن إلى حد ، وبعد ذلك يختلط بذلك عاطفة أخرى تعدل منهما أو تمحوهما وتكون لها غاية أخرى . فإن كان الغرض من الدرامة هو إثارة الشفقة والخوف والحزن فقط بدرجة كبيرة ، فإن الفن يكون بذلك غريماً عاجزاً للطبيعة ، وأي مستشفى أكثر امتلاء بالشفقة والرعب والحزن من كل مسارح العالم . ونحن حين نعجب بمنظر عاصفة أو حادثة

٣٩ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثاني عشر – السحر والتنجيم والكيمياء

تحدث الساحر إليّ وسألني إذا كنت أرغب في أن يرى الصبي شخصاً ما غائباً أو متوفى . فذكرت اللورد نلسون ؛ ومن الواضح أن الصبي لم يسمع عنه أبداً لأنه نطق اسمه بصعوبة كبيرة بعد محاولات . وأمر الساحر الصبي أن يقول للسلطان : « إن سيدي يحييك ويطلب منك إحضار اللورد نلسون . أحضره أمام عيني حتى يمكنني رؤيته سريعاً » فقال الصبي ذلك وأضاف في الحال : لقد ذهب رسول وعاد وأحضر رجلاً يلبس ملابس أوربية سوداء[1] والرجل فقد ذراعه اليسرى . ثم وقف لحظة وقال وهو ينعم النظر عن قرب في الحبر : لا ، إنه لم يفقد ذراعه اليسرى وإنما وضعها على صدره . وقد جعل هذا الاستدراك بيان الصبي أكثر تأثيراً مما لو كان بدونه ، لأن اللورد نلسون كان يعلق كمه الخالي إلى صدر سترته ، ولكنه فقد ذراعه اليمنى لا اليسرى . فسألت الساحر دون أن أبين أنني أتهم الصبي بالخطأ ، إذا كانت الأشياء تبدو في الحبر كما لو كانت أمام العين فعلاً أو كما لو كانت تنعكس في المرآة التي تظهر اليمين يساراً . فأجابني إنها تبدو كما في المرآة . فجعل هذا وصف الصبي صحيحاً[2] .

وكان ثاني من دعوتهم مصرياً أقام في انجلترا بضع سنوات

(١) يسمى المصريون المحدثون الأزرق القاتم أسود

(٢) كنت كلما طلبت من الصبي أن يدعو أحداً انتبه بدقة إلى الساحر وعثمان معاً . فلم يوجه الأخير كلمة أو إشارة ما ، ولقد كان حقاً يجهل مظهر الشخص المطلوب . وقد عنيت بألا يتصل من قبل بالصبيان . وقد رأيت التجربة تفشل عند ما كان يستطيع إرشادهم أو إرشاد الساحر . وقصارى القول أن من الصعب أن يتصور احتياطاً لم أتخذه . ومن المهم أن أضيف أن لغة الساحر كانت أكثر وضوحاً لي منها للصبي ، فبينما كنت أفهمه فوراً كان يضطر أحياناً إلى تغيير كلامه ليجعل الصبي يدرك ما يقول .

غرق ، فإن سبب إعجابنا ليس ما يثيره هذا المنظر من شفقة أو رعب ؛ بل هناك سبب آخر هو استيقاظ عاطفة الجمال والسمو التي هاجتها عظمة المنظر وامتداد البحر واصطخاب الأمواج المزبدة وقصف الرعود المدوية، ولكننا لا نفكر لحظة في أن هناك بؤساء يقاسون ويألمون وقد يموتون وإلا صار المنظر فظيعاً لا يمكن احتماله

وهناك نظرية أخرى تخلط عاطفة الجمال بالعاطفة الخلقية ، والعاطفة الدينية ، وتضع الفن في خدمة الدين والأخلاق ، وتحيل غايته أن يرفعنا نحو الله ويهذب من أخلاقنا . وهنا يجب أن نذكر تفرقة ضرورية : إذا كان كل جمال يحوي جمالاً خلقياً ، وإذا كان المثال يرقى دائماً نحو اللانهاية ، فإن الفن المعبّر عن الجمال المثالي يطهر الروح ويرفعها نحو اللامتناهي أي نحو الله . فالفن يؤدي إذن إلى كمال الروح بطريق غير مباشر . والفيلسوف الذي يبحث عن المعلولات والعلل يعرف المبدأ الأخير للجمال ومعلولاته الحقيقية والبعيدة ، ولكن الفنان فنان قبل كل شيء ، وما يحييه هو عاطفة الجمال ، وما يريد إيصاله إلى القلوب هو نفس العاطفة التي تملأ قلبه هو . هذه العاطفة هي رباط بين العاطفة الخلقية والعاطفة الدينية ، توقظهما وتحفظهما ، ولكنها متميزة عنهما . والفن المؤسس على تلك العاطفة هو استطاعة غير حرة ، فهو يشارك بطبعه في كل ما يعظم الروح في الأخلاق والدين ، ولكنه لا يرقى إلا بنفسه . وحين يسترد الفن حريته وكرامته وغايته الذاتية ، فإنه لا يمكن فصله عن الدين والأخلاق والوطن ، لأن الفن يقتبس إلهاماته من هذه المنابع العميقة ، كما يقتبسها من الطبيعة . والفن والوطن والدين قوى لكل منها عالمه الخاص ، وبينهما اتحاد متبادل ، فإذا ابتعد أحدها عن الآخرين ضل السبيل . ولكن ذلك لا يجعل الفن خاضعاً لقوانين الدين والوطن وإلا فقد سحره وجماله بفقدانه حريته

واتحاد الفن والدين والوطن لا يضر باستقلال كل منها ، ونتأدى من ذلك إلى أن الفن نوع من الدين . فالله يتضح لنا بواسطة فكرة الحق وفكرة الخير وفكرة الجمال ، وهي ثلاث فكرات متساوية فيما بينهما ، تؤدي كل واحدة منهما إلى الله لأنها تأتي منه . والجمال الحقيقي هو الجمال المثالي ، وهذا الأخير انعكاس اللامتناهي ، وعليه فالفن يعبر في أعماله عن الجمال الأبدي . وكل عمل فني ، إذا كان جيلاً سامياً ، تمثالاً كان أو أغنية ، أو غير ذلك ، يأتي بالروح في حلم عظيم يحملها نحو اللامتناهي . واللامتناهي هو الحد المشترك الذي تتوق إليه الروح على أجنحة الخيال والعقل بواسطة الجمال والحق والخير

أحمد أبو زيد
كلية الآداب

فاتخذ الملابس الأوربية . وكان المرض قد ألزمه الفراش طويلاً قبل إبحاري لمصر ، فرأيت أن اسمه وهو شائع في مصر ، قد يحمل الصبي على الخطأ في وصفه ؛ مع أنه حدث في زيارتي السابقة للساحر أن وصف صبي آخر هذا الرجل ذاته بأنه يلبس ملبساً أوربياً مثل ذلك الذي رأيته به آخر مرة . أما الآن فقد قال الصبي ها هو ذا رجل لف في ملاءة وجيء به على نعش . ويدل هذا الوصف على أن الشخص المذكور لا يزال ملازماً فراشه أو أنه مات[1] . وقال الصبي إن وجهه مغطى ، فقال له الساحر أن يأمر برفع الغطاء . ففعل ثم قال « إن وجهه شاحب ، وله شاربان ولا لحية له » وهذا صحيح .

وقد استدعيت عدة أشخاص آخرين على التوالي ولكن أوصاف الولد لهم كانت ناقصة وإن لم تكن جميعها غير صحيحة . فكان كل وصف يبدو أقل وضوحاً عن السابق كما لو كان بصره يغشى شيئاً فشيئاً . فكان يلبث برهة أو أكثر قبل أن يستطيع أن يصف من يراهم . فقال الساحر إن من العبث إجراء التجربة معه ؛ فجيء بصبي آخر ورسم المربع السحري على يده إلا أنه لم يستطع رؤية شيء ؛ فقال الساحر إنه فوق السن المناسبة .

أدهشتني هذه الأعمال تماماً ، غير أنها خيبت ظني قليلاً لفشلها مرات في حضور بعض أصدقائي ومواطني . وقد سخر منها في إحدى هذه المناسبات إنجليزي من الحاضرين وقال : لا شيء يقنعه غير وصف صحيح لهيئة أبيه إذ كان على يقين من أن أحداً من الجالسين لا يعرف عنه شيئاً . فدعا الصبي والد الإنجليزي باسمه ، ثم بيّن أنه يلبس الملابس الإفرنجية ويضع يده على رأسه ، ويلبس منظاراً ويقف على قدم واحدة ويقيم الأخرى وراءه على نحو ما يفعل النازل من المقعد . وكان الوصف دقيقاً من كل الوجوه . فقد كان وضع اليد على الرأس ناشئاً من صداع دائم ، ووضع القدم من تصلب الركبة لسقوط الرجل عن ظهر حصانه أثناء الصيد . وقد أكد لي الحاضرون في هذه الجلسة أن الصبي أحكم الوصف في كل دعوة . ووصف الصبي مرة أخرى شكسبير شخصه وملبسه وصفاً دقيقاً . ويمكنني أن أضيف إلى ذلك عدة أحوال أخرى أثار فيها الساحر ذاته دهشة معارفي الرزناء من الإنجليز . وفي يوم آخر جهز الساحر ، بعد أن قام بالتجربة بواسطة الصبي كالعادة ، المرآة السحرية في يد إنجليزية شابة ، فلم تكد تنظر فيها لحظة حتى قالت إنها ترى مكنسة تكنس الأرض دون أن يمسكها أحد . وتملكها الفزع فرفضت استئناف النظر

قررت هذه الوقائع بعضها من تجاربي الذاتية والبعض الآخر مما وصل إلى علمي عن قوم محترمين . وقد يظن القارئ أن الصبي كان يرى في كل مرة صوراً تنعكس في الحبر ، أو أنه كان متفقاً مع الساحر ، أو أنه يرشد بطريق الأسئلة . كل ذلك لم يكن . أما أنه لم يكن هناك اتفاق فقد تحققت من ذلك تحققاً مرضياً باختيار الصبي الذي قام بالعمل من بين المارين بالشارع ، علاوة على رفضه رشوة عرضتها عليه فيما بعد لحثه على الاعتراف بأنه لم ير حقاً ما كان يقرر رؤيته . وقد امتحنت صدق صبي آخر في مناسبة لاحقة وبالطريقة نفسها ، فكانت النتيجة واحدة . وكثيراً ما تخيب التجربة تماماً ، ولكن عند ما يصيب الصبي القائم بالعمل مرة يستمر في النجاح على العموم ، وعند ما يخطئ بادئ الأمر يصرفه الساحر تواً قائلاً إنه كبير السن . وقد يفترض البعض أن البخور أو الخيال المتأثر أو الخوف يؤثر في نظر الصبي ؛ ولكن لو كان الأمر كذلك لما أبصر تماماً ما كان يطلب من أمور لا يمكن أن يكوّن عنها معلومات خاصة سابقة . ولم أستطع أنا ولا غيري اكتشاف طريق ما ينفذ بنا إلى السر . ورجائي من القارئ إذا كان مثلنا عاجزاً عن إيجاد الحل ألا يدع البيان السابق يثير في ذهنه ريبة فيما يتعلق بأجزاء الكتاب الأخرى[1] .

---

(١) وقد سرني أن أسمع ، بعد كتابة هذا بشهور قليلة ، أن الرجل المشار إليه هنا قد تماثل . ولم أستطع أن أحقق ما إذا كان ملازماً فراشه وقت إجراء هذه التجربة .

(١) لقد طيب خاطري أن أرى رجائي يتحقق . وأود أن أضيف أن الحادث فسر الآن . فقد أشار بعضهم في العدد ١١٧ من مجلة Quarterly Review ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ إلى أن هذه الأعمال كانت تتم بواسطة انعكاس الصور على سطح مرآة مقعرة وإرسالها إلى نظر الصبي على سحب الدخان . على أنني لا أستطيع التسليم بذلك لأن مثل هذه الطريقة لا يمكن أن تكون قد استعملت دون أن أراها ، ولا الصورة تنقلب (ما لم تكن الصورة هكذا) بانعكاسها على سطح المرآة واستقبالها على سطح آخر ، لأن الصبي كان مطرق الرأس يتفرس في راحة يده ، فلا يمكن أن تتكون الصورة فوق الدخان الذي كان كثيراً وليس كثيفاً ، بين عين الصبي =

الفصل الثالث عشر

الأخلاق

إن طباع المصريين المحدثين تتأثر إلى درجة كبيرة بالدين والشرع والحكومة ، كما تتأثر بالمناخ وأسباب أخرى . ومن ثم يصعب جداً أن نكون رأياً صحيحاً عنها . غير أنه يمكننا أن نقرر بثقة أن المصريين يمتازون أكثر من الشعوب الأخرى ببعض الصفات الذهنية العظيمة ، وبخاصة سرعة الإدراك وحضور الذهن وقوة الحافظة . وهم فى حداثتهم موهوبون على العموم بهذه الصفات وبقوى عقلية أخرى . غير أن العلل السابقة الذكر تحط منها تدريجاً

وليس فى أخلاق المصريين الأصلية ما يستحق الاعتبار مثل الكبرياء الدينية . فهم يعتبرون كل من خالفهم فى الدين هالكين . وقد ذكر القرآن فى سورة المائدة فى الآية الحادية والخمسين : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم [(١)] »

ومن بواعث الأدب أو الصالح الذاتى أن يتحدث المسلم أحياناً إلى المسيحى ، وخاصة الأوربى ، ببهجة كريمة ، وقد يصرح بصداقته وهو يضمر الازدراء له . ولما كان المصريون المسلمون يحكمون على الفرنج بمقتضى ما يظهر من الذين يسكنون مدنهم ، وأكثرهم من شذاذ الآفاق ونفاية البلاد ، فمن الصعب لومهم على ازدرائهم . ويعامل أهل مصر المسيحيين مع ذلك بلطف . فالمسلمون قد عرفوا بالتسامح كما اشتهروا باحتقار الكفار .

ويعتقد المسلم أن التقى يرفع صاحبه ، إلا أن رغبة الظهور بالتقوى تفضى بالكثيرين إلى الرياء . وكثيراً ما يلهج المسلم ببعض الأدعية إذا لم يكن مشغولا بعمل أو تسلية أو حديث ، وإذا أقلقته فكرة أثيمة أو ذكرى شر ارتكبه يصيح متنهداً « أستغفر الله العظيم » . وكثيراً ما يشغل التاجر نفسه فى حانوته بتلاوة القرآن أو بالتسبيح إذا فرغ من مساومة حرفائه أو من تدخين شبكه

(يتبع) عدلى طاهر نور

= والمرآة المزعومة . والصعوبة الكبرى هى وصف الهيئة الصحيحة لأفراد من عامة الناس غير مشهورين كما لاحظت المجلة المذكورة فى مقال ألحق به حاشية غريبة تقدم بعض صور جديدة لهذه الصعوبة . وقد كنت عارفاً لأهم الوقائع المذكورة هناك ، ولكن كان ينقصنى الاقدام على نشرها . غير أنه يمكننى الآن أن أذكرها هنا . فقد روى أن سائحين أحدهما مسيو ليون دى لابورد Léon De Laborde ، والآخر إنجليزى لم أستطع معرفته ، تدربا على يد الساحر عبد القادر ونجحا فى إجراء أعمال مماثلة . وقد أنكر المسيو ليون قطعا كل مؤامرة للخداع . وأكد أنه لم يفعل شيئاً غير ترديد ما علمه الساحر . ومنذ كتابة الملاحظة السابقة شاهدت مرتين أعمالا يجريها هذا الساحر الحديث الشهرة ، وكانت جميعها فاشلة تماما ، وهكذا كانت جميع تجاربه الأخيرة كما أخبرنى البعض . ومن هنا ومن ملاحظة أبداها لى فى حضور المرحوم اللورد نوجنت Nugent أنه كان ينجح على العموم إذا كان الوسيط عفان مترجه . وقد توفى بعد زيارتى الثانية لمصر . يصعب على أن أستنتج أن الأسئلة المرشدة التى كان يلقيها فى أغلب الأحوال عثمان وغيره ، وهم قوم متعلمون أذكياء ، بدون وعى وأن التخمينات الحاذقة فى أحوال أخرى هى أسباب نجاحه الرئيسية . ولا أستطيع بافتراض الأسئلة المرشدة ، أن أحصى نجاحه فى الأحوال التى كنت أراقبها بنفسى . ولكن هذه كما سبق القول فشلت كثيراً فى حضور بعض الأصدقاء والمواطنين .

(١) وقد فسرت الآيتان السابعة والخمسون والثامنة والخمسون من السورة نفسها سبب هذه الوصية بقولهما : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين . وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »

الساقية الجـــافة

للأديب محمود عماد

برغمىَ أيتهـا الساقيه وقوفكِ صامتة صاديه
و بالأمس كنت ترويّن تلك الحقول بأمواهك الجاريه
فتجرى النضارة فى زرعها وفى أهلها البِشْرُ والعافيه
وكم قد أغارت عصافيرها أهازيجُكِ العذبة الصافيه
فأين تحوّل عنكِ الغديرُ ، وأين المراوةُ والماشــيه ؟
وأضراسُكِ الصامداتُ الشِّدادُ
هى اليوم من سوسها ماهيه ؟
وصفصافك الغض كيف استحال
عِصيًا منكّسة جافيــــه ؟
يمرّ النسيمُ بها لا تميل ، وكانت تراقصه حانيه !
وتَلقى العناكبُ منها سَدًى متيناً لِلُحْمتِها الواهيــه
كأنكِ فى نسجها جثــة تردّت بأكفانها البـاليه
وأنّ طنينَ الذباب ترا تيل تُزجَى إلى روحكِ النائيه
فنحن أمام وفاةٍ ... أجل وفاة تعزّ على الناحيه
و إنّ حياةً هنـا اليوم ماتت بموتكِ أيتهـــا الساقيه
أليس دليـلَ الحياةِ الـكلامُ ،
فكم قد خطبتِ على الرابيـه ؟
وهل بعد موتٍ سوى وحشةٍ أرى وحشةً لكِ تُغرى بيه
ألا أيها السالـكانِ إلى الحىّ أقفَى الطريق ، أصيخا ليه
وقولا لزوّارِ مقبرةِ الحىّ للحىّ مقبرة ثانيـــه
تثــير الشجونَ بإيحاشِها وأطيافِ أيامها الخاليه
فحيُّوا ثراهـا بِحَفْنَةِ ماء زلال وريحانةٍ نادبه

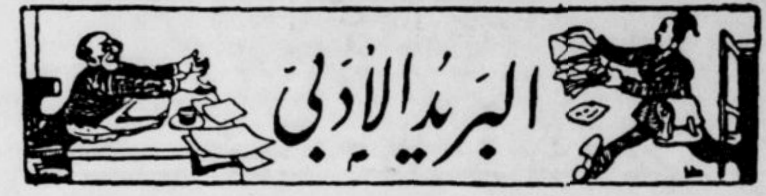
محمود عماد

ذكريات ...

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

أشرق فى نفسِىَ الحيرى مُنًى تُذْهِبُ ما بِى
من أسى دهرى وما ألقاهُ من مُرِّ العذابِ
ودعينى أملأُ العينين من نورِ الشَّبابِ ...
فنداء الحبِّ يدعو خافِقَينا أينَ ماضٍ من حُمياهُ انتشَينا ؟
قد ملأناهُ غراما ورشفناهُ مُداما
وسعتْ فى نورِهِ الدُنيا إلينا
ذاع أمرى... آهِ من أمرى و يالى من هوى قلبى و من كيد الليالى !
طالت الشكوى ولـكن من يُبالى بشكاتى وعذابى ، من يُبالى ؟
يا عزاء النفسِ إن جلّ العزاء
هلْ لنا من حُرْقَةِ الوجدِ ارتواء ؟
أينَ وَلّى الأمس والدنيا هناء ؟
ونعيمُ العمرِ نُغْمَى ولِقاء ...
ورجاء شاعَ فى ظلِّ الوصالِ وصفاء ذَاعَ فى كلِّ مجالِ
« ذكرياتٌ » كلما مرت ببالى هام قلبى بين شكٍ وضلالى ...
يا ليالى ... أيْنَ أيَّامِـــىَ أينــا ... ؟
أنا أشــقى فإلاما لا ترى عينى المَنَامَا
ونداء الحبِّ يدعو خافقينا والمنى والسحر ملكٌ يدينَا !
وشـــبابى لم يزل يَنْدَى بأنداء الشباب
وشِراعى يتغنَّى بأمانينا العِـــذَاب
فتعالى ... كأسُنَا نَشْوى وملأى بالشراب

مصطفى على عبد الرحمن



السويبة هي الصوبة أو الصويبة

سأل حضرة الأستاذ الفاضل عبد الرحمن افندى أحمد سعد عن أصل (السويبة) فى العربية، وعن دلالتها على معنى يقارب معنى المطمورة التى على وجه الأرض فنقول - قبل الجواب - هذه الكلمة:

زارنى أحد أدباء البغداديين، بعد أن وقف على كلمة (المطمورة) المدرجة فى العدد ٤٦٤ من الرسالة فقال: «بأى لغة كتبت يا سيدى مقالتك على (المطمورة)؟» قلنا له: باللغة المالطية، وسبب هذا الجواب أنى لاحظت فى طبعها أغلاط طبع كثيرة، حتى كان يصعب عليَّ معرفة ما كتبتُ. ولولا عناية خاصة من الله لما تمكنت من فهم ما جاء فيها. ولم أبعث بتصحيح ما جاء فيها من الأوهام، لبعد المسافة بين بغداد ومصر، ولكثرة ما كان فيها من الأوهام. ولهذا اكتفيتُ بأن خططت خطاً أزرق تحت كل زلةٍ وردت فيها، تنبيهاً للقارئ لا غير، وذلك فى نسختين فقط.

وبعد أن نبهت هذا التنبيه العام أقول:

ورد فى سؤال الأستاذ الأبيفى الوارد فى ١٠ : ٦٣٢ «ثم يسيفونها» والصواب «ثم يسيعونها» وقوله «ويصمدونها» والصواب «ويصومعونها».

والآن نجاوب على سؤاله فنقول:

إن (السويبة) من أفصح كلام العرب وأحسنه بعد إزالة التصحيف عنه. والصواب أن يقال (الصويبة) مصغرة، أو (الصوبة) مكبرة. وبكلا اللفظين ينطق بعض أعراب العراقيين. قال الشارح:

«والصوبة، بالضم: كل مجتمع. عن كراع، أو الصوبة: الجماعة من الطعام. والصوبة: الكدسة من الحنطة والتمر وغيرهما. والصوبة: الكبشة من التراب، أو غيره. وعن ابن السكيت: الصوبة: الجرين، أى موضع التمر، وحكى اللحيانى عن أبى الدينار الأعرابي دخلت على فلان، فإذا الدنانير صوبة بين يديه، أى كدس مهيلة. ومن رواه فإذا الدينار، ذهب بالدينار إلى معنى الجنس، لأن الدينار الواحد لا يكون صوبة. هكذا فى لسان العرب؛ غير أنى رأيت فى الأساس قولهم: والدنانير صوبة بين يديه، مهانة. فلينظر انتهى.

قلنا: قوله «مهانة» من خطأ الطبع. والصواب «مَهِيلة» من هال التراب أو نحوه: إذا صبَّهُ

فأنت ترى من هذا أن أهل السودان متفقون وأهل العراق على اتخاذ هذه الكلمة، إلا أن أبناء الرافدين يستعملونها مكبرة ومصغرة على السواء، من غير تفضيل صيغة على صيغة، إنما يأتون بها بحسب ما يمر بخواطرهم، ويفعلون مثل ذلك بكثير من الحروف

ثم إن نقل الصاد إلى السين كما فى (الصُوَيْبة) و(السويبة) لغة قديمة معروفة عند العرب، فمنهم من كان يرقق الصاد فيجعلها سيناً، ومنهم من كان يفخم السين فيجعلها صاداً. والشواهد لا تحصى. والأمور جارية هذا المجرى إلى عهدنا هذا. ونحن نذكر بعض الشواهد من كلام الأقدمين فقد قالوا:

«الخِرس كالخِرص. والخربسيس والخربصيص. والسويق والصويق. قال ابن دُريد فى الجمهرة: وبالصاد، أحسبها لغة لبنى تميم، وهى لغة ابن الفبر خاصة» (كذا فى تاج العروس. وهو خطأ أيضاً والصواب: «وهى لغة بنى العنبر، إذ لا وجود لابن الفبر»

والتاج كثير أغلاط الطبع، ويجب أن يطالعه القارئ بكل تحفظ وتحرز وقد صححت فيه أوهاماً لا تحصى، ولو طبعت لجاءت فى مجلد كبير، وكذلك يقال فى لسان العرب، فإن مطبوعات مصر القديمة كانت تجئ بأقبح حلة وأسوأ حالة.

وأنتهز هذه الفرصة لأقول: إنى لم آتِ على ذكر جميع مترادفات المطمورة أو ما يجانس معناها من الألفاظ المستعملة فى العراق. فقد نسيت مثلاً الصوبة والصويبة. والمنثر، وزان المِنبر وهى مستعملة فى ديار المنتفق وأرجائها، وهو مخزن الطعام فى الصحراء ويسمى صاحبه الجبَّان بجيم مفتوحة، يليها باء موحدة تحتية مشدَّدة، فألف، فنون

والمنثر، غير واردة فى معاجم اللغة، وقد وردت فى (كتاب عمدة الطالب، فى أنساب آل أبى طالب)، وصاحبه من أبناء المائة التاسعة للهجرة

هذا ما تيسر لنا جمعه. وهو الهادى إلى الصواب

(بغداد) الأب أنستاس مارى الكرملي

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

كم ذا

يرى الأستاذ الظريفي في العدد (٤٧٥) من الرسالة الغراء أن الموضوع لم ينته بالردود التي قرأها في الأعداد السالفة ، ثم يُغفل بيت أبي الطيب ويتناول بيت حافظ رحمه الله بالنقد القاسي تارة وبالتجريح تارة أخرى . ولنا أن نتناول كلمته بالنقد الهادئ تقريراً للحق ودفاعاً عن شاعر النيل . وإنا لنوجز البحث فنقول : ذهب الأستاذ إلى أن (كم) في بيت حافظ استفهامية ومميزها محذوف تقديره (كثيراً) أو ما هو في معناه ؛ ثم أورد بيتاً لا ندرك تماماً صلته بالموضوع وهو قول أحد الشعراء :

إلى كم ذا التملق والتواني وما هـذا التمادي في التمادي

فأما كون المميز (كثيراً أو نحوه) فلا نفهمه ، والوَجْه أن يكون المميز (شدةً أو شوقاً مبرحاً) أو لفظاً مجروراً بمن مناسباً للمقام ؛ وإذاً فقول حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق

يحمل على الصورة التالية (كم شدةً أو كم من الشدائد والأشواق المبرحة يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر) ؛ أما أن يكون المعنى (كم كثيراً يكابد عاشق مصر هذا الألم) فلا نكاد نسيغه .

وظاهر أن (ذا) في البيت الذي أورده الأستاذ اسم إشارة وليس بهـا رائحة الاستفهام بقرينة الاستفهام في الشطر الثاني . ثم يرى الأستاذ الظريفي أن (ذا) مفعول مقدم ليكابد ؛ وقد يكون في هذا تعسف لا داعي إليه ؛ وقد بدا أثر ذلك فيما أورده من تأويل . ويرى أن كلمة (يلاقي) حشو أُريدَ به تكملة الوزن والقافية ، ومثل هذا القول يفهم في مثل قول الشاعر (وألفى قولها كذباً ومينا) أما فرضه على قول حافظ فقسوة بالغة ، فإن لكلمة (يلاقي) معنًى يزيد البيت قوة والمعنى روعة ؛ فالشاعر يكابد في حب بلاده ما يكابد ، ويلاقي كل يوم شوقاً وعنتاً جديداً في سبيل ذلك الحب . والقول بأن في البيت غلطة نحوية لا يقل عن سابقه قسوة . نعم إن إضافة (كثيرة) لا تكسبها تعريفاً فلا تصلح وصفاً لكلمة (مصر) وهي معرفة ، ولكن من الممكن قراءتها منصوبةً على الحالية من (مصر) لا من (يكابد) كما جاء في كلام الأستاذ .

وقديماً قالوا : إن الحال وصفٌ لصاحبها قيدٌ في عاملها (فكثيرة العشاق) وصف لمصر قيد في المكابدة والملاقاة ؛ كما يمكن حملها على أنها منصوبة بعامل مقدر مناسب للمقام ، وقد يقع مثل ذلك للمدح (كما هنا) وللذم أو الترحم أحياناً . وإذاً فلا موجب لتصويب البيت بالصورة التي رآها الأستاذ الظريفي بعد ما استقر في النفوس وتنقلت روعته في قلوب الأدباء جيلاً بعد جيل

وبعد ، فقد أغفل الأستاذ بيت أبي الطيب (وكم ذا بمصر من المضحكات ...) وقد أصبح شطراً ذا خطر في موضوع البحث ، ولا أدري أهو مُسلَّم به ، وإذاً ففيم قوله : إن الردود لم تنه الموضوع ؟ أم هو لا يزال منه في ريب وإذاً فما رأيه ؟ على أني أعود فأقول : إن أبا الطيب جارٍ في بيته على عرف أهل الكوفة الذين أجازوا زيادة الأسماء ومنها (ذا) وجوزوا وقوع أسماء الإشارة أسماء موصولة ومنها موضوع النزاع . وفيم العجب والرجل واسع الثقافة متأثر بآراء مدرسة الكوفة ، ثم هو بعد من دعائم الشعر ومفاخر العروبة ؟!

غفر الله لك يا أبا الطيب ؛ طالما عَنَّيْتَ حسَّادك وأنصارك! وكأني بروحك اليوم تطل على هذا الخلاف ، ثم تبتسم وتومئ إلى قولك الخالد :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرَّاها ويختصم

(المنصورة) محمود البشبيشي

حول الردف والسناد

رداً على كلمة الأديب الفاضل أحمد يونس محمد أقول : إن علماء العروض نصوا حقيقةً على أن الردف هو حرف مدٍّ قبل الروي ؛ وعليه فتكون الياء في مثل : سريرتي والحميلة ، ليست من قبيل الردف ، لعدم وقوعها قبل حرف الروي مباشرة ... ولكني أضيف إلى هذا أن الشعراء قد أجمعوا من قديم على التزام مثل هذه الياء – إذا وردت – في سائر الأبيات ، حتى لتوهموها من الردف وأضافوها إليه ؛ وهم محقون في ذلك ، لأنها لا تستساغ في الواقع إلا ملتزَمةً مع سائر الأبيات ...

وقد بلغ من إجماعهم على اعتبارها ردفاً ، واحترازهم من

الوقوع في « سناد الردف » بإهمال التزامها ، أن نص ابن رشيق على هذه الشبهة في كتابه « العمدة » ؛ فقال في باب القوافي (ص ١٠٦ من الجزء الأول) :

« وقد يلتبس بالردف ما ليس بردف ، فيجتنبه الشعراء مثل « فيهم » مع « منهم » وهو جائز ، لأن الهاء ليست رويًا فتكون الياء ردفا ، وإنما الروى الميم » : أي أن ياء « فيهم » لم تقع قبل حرف الروى « الميم » مباشرة ، بل فصلت بينهما الهاء ؛ فالياء هنا ليست ردفاً بسبب ذلك الفصل ...

ونحن لم نضف هذه الياء إلى باب الردف إلا أخذاً بإجماع الشعراء ، وهم ألطف إدراكاً لدقائق العروض من « العروضيين » أنفسهم . ولئن كان ابن رشيق شاعراً أيضاً ، إلا أنه أصدر حكمه هذا وهو لابس ثوب « العروضيين » ومتحدث بمنطقهم ؛ وما نظن أنه أتى في شعره بمثل الذي أجازه هنا ...

ثم إننا نحاسب الأستاذ محمود حسن إسماعيل باعتباره شاعراً مرهف الإحساس ... لا نظَّاماً ولا عروضيًّا

على أن قصيدته إن خلت من الردف ومن سناده ، وفقاً للقاعدة العروضية ، فهي لم تخل من التأسيس - في بعض أبياتها دون بعض - كما أشرنا إلى هذا في كلمتنا السابقة ؛ وعليه فيكون السناد الذي تطرق إليها ، هو سناد التأسيس دون غيره من « أنواع السناد الخمسة » التي يتساءل عنها الأديب صاحب الكلمة

(جرجا) محمود عزت عرفة

في كتاب « الإمتاع والمؤانسة »

... أصحح للأب الفاضل أنستاس ماري الكرملي خطأً وقع فيه وهو قوله إن « هيردوس أتيقوس » روماني لا يوناني ؛ فهذا أبعد في الخطأ من استنكاره أن يعتبر « تيودسيوس » يونانيًّا ، وذلك لأن « أتيقوس » هذا Atticus أي « الآتيكي » نسبة إلى « آتيكا » مقاطعة آتينا « معلم خطابة » ، أو على الأصح « معلم بلاغة » يوناني صميم ولد في ماراتون سنة ١٠١ بعد الميلاد وكان أبوه « آتينيا » صميماً تولى القنصلية أيام « نرفا » ، ولقد مات « أتيقوس » سنة ١٧٧ م ، ونحن نعرف عنه أنه أنفق شبابه في « آتينا » ، وأنه درس بها الفلسفة آخذاً بمذهب « أفلاطون » ، وأنه أتى إلى « روما » ليشرف على تربية الأمبراطور الفيلسوف مارك أوريل وأخيه في التبني « نرفوس » وأنه بعد أن صار قنصلاً ، وبعد أن جمع ثروة ضخمة ، عاد إلى « آتينا » ، حيث بنى عدة مبان هامة ، لا يزال قائماً منها إلى اليوم « أوديون أتيقوس » الشهير بسفح « الأكروبول » ... وإذن ، « فأتيقوس » يوناني ، ولغته هي اليونانية

وإذا ذكرنا أن « كومودوس » هو ابن « مارك أوريل » وأن « أتيقوس » قد أشرف أيضاً على تربيته ، كما أشرف على تربية أبيه ، وإذا كان من الممكن أن يكون « قومودس » إمبراطور روما قد كتب إلى « أتيقوس » باللغة اليونانية يطلب إليه كتباً وأشعاراً ، وأن العرب قد علموا بذلك - مترجماً عن اليونانية - ترجمة لا نعلم مبلغ دقتها ، فأي غرابة في أن يكونوا قد جعلوا من « أتيقوس » شاعراً يونانيًّا ، ومن « قومودوس » ملكاً لليونان ، ما دام مصدرهم كان يونانيًّا ، وما دام « التوحيدي » يورده على سبيل الرواية ؟ وهل العرب كانوا يعرفون شيئاً دقيقاً عن الشعراء اليونان ومعلمي البلاغة عندهم ، حتى نستبعد أن يخلطوا بين الشاعر ومعلم البلاغة ، أو أن يستنتجوا من يونانية النص أنه تبودل بين يونانيين ؟

وأما قصة « الكراكي » ، فقصة لا أثر لها فيما عثرت به من كتب اليونان ، فهي خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودوس وأتيقوس شيئاً ، وإن يكن هناك احتمال في أن تكون من بين الأساطير الكثيرة التي راجت عن وفاة الشاعر اليوناني الكبير لوسيان المعاصر لقومودوس وأتيقوس

وهكذا يتضح أن القراءة التي نظنها أقرب ما تكون إلى الصحة ، هي قومودوس Commodos وأتيقوس Atticus ، اللهم إلا أن تكون عند الأستاذ كرواس معرفة خاصة بأبقوس الشاعر اليوناني ، وذلك ما ننتظره منه إن تفضل فجاد بعلمه الغزير

ولعل في هذه القراءة ما يطمئن إليه - ولو مؤقتا - الأب الفاضل إلى أن يقترح غيرنا قراءة أصح

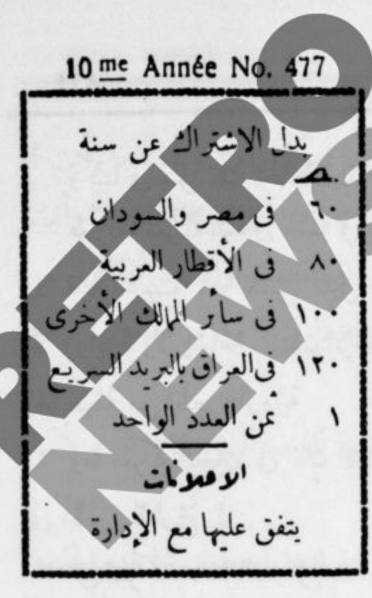
محمد مندور
مدرس بكلية الآداب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 477

Lundi - 24 - 8 - 1942



بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

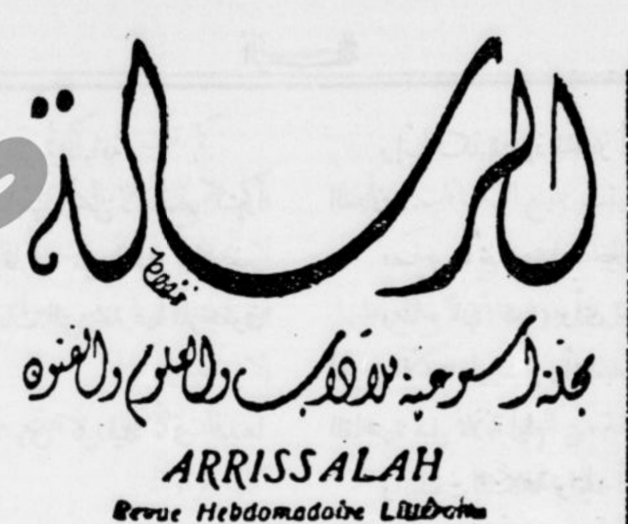
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٧٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

أبو سمبـــل

للأستاذ عباس محمود العقاد

أمسينا فى جو مفعم بالزجر والعيافة ، مغلف بالأحاجى والأسرار ؛ يتكلم المتكلم فإذا هو عائف أو زاجر من حيث يريد ولا يريد ، وإذا هو معرض عما بين يديه وتحت عينيه لينظر إلى عالم الغيب ويستعجل العلم بغده المحجوب ، وبالذى يجرى فى ساعته تلك على مدى الألوف من الأميال

وحق للناظر تلك الليلة أن يعرض عما بين يديه وتحت عينيه ! فماذا كان فى الحق بين يديه وتحت عينيه ؟

منظر واحد يتكرر ثم يتكرر ثم يتكرر فى غير تبديل !

هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ...

ثم نيل ينتظمها ويجرى فى خلالها ، ليزيد التشابه بينها ولا يزيدها شيئاً من التبديل أو التنويع

فإذا طالت نظرة العين إلى تلك المتشابهات فهى كالعين المنوَّمة التى حدجت بالنظر شيئاً واحداً حتى غاب عنها وغابت عنه ، فاستسلمت لما يوحى إليها من الأنباء ، وما يكشف لها من الأسرار

هنالك علمنا منشأ الزجر والعيافة من قديم . فلا يزجر الزاجر ولا يعيف العائف إلا وبه نقص من حظ العيان ، وحاجة إلى العلم بالفهم والسماع

الفهرس

صفحة

وكنا فى مثل تلك الحاجة ليلة الزجر والعيافة

فتركنا معركة العلمين ناشبة في بدايتها ونحن لا نسمع كثيراً ولا قليلاً عنهـا ، وانقضى الليل وطرف من النهار ولا خبر ولا رواية ، ولا إشاعة كتلك الإشاعات التى يخترعها المرجفون ولها صبغة من الخبر والرواية

وما معركة العلمين فى تلك الليلة وفى كل ليلة تأتى بعدها إلى أقاصى التاريخ ؟

هي معركة سماها القدر ولم يسمها الجيشان ولا صحف الأنباء أو مطلقو الأسماء على معارك القتال

هى معركة علمين اثنين تتلخص فيهما جميع الأعلام التى تظل المتقاتلين اليوم فى كل ميدان

علم الحرية وعلم الطغيان !

علم الدفاع وعلم الفتوح والغارات !

وأى العلمين ارتفع فى تلك المعركة ففيه مصير عالمين وخافقين ومشرقين ، وفيه ابتداء زمان وانتهاء زمان

وتلك تلك المعركة التى انقطعنا عن أخبارها ليلة وطرفاً من نهار . ثم بلغنا الشلال ، فعلمنا أننا سنقضى فى الباخرة نيفاً وأربعين ساعة ، لا نحن بالعالم متصلون ، ولا العالم بنا متصل ، حتى نستأنف الصلة به عند تخوم السودان

نيف وأربعون ساعة بغير أخبار !

وفى الباخرة مع ذلك طائفة من رجال الصحافة ورجال الأعمال تعودوا عشرين سنة على الأقل ألا تنقضى عليهم أربعون دقيقة بغير خبر جديد ، عن أمور بالغ ما بلغ شأنها فهى من سفساف الحديث إلى جانب الحديث عن العلمين

فمن لم يتعلم الزجر والعيافة فى تلك الليالى المحجبات فما هو متعلم ، وقد تعلمناها فأحسنـّا العلم بهما من درس واحد لم تسبقه دروس ...

***

أقبل الليل فألقت الباخرة مراسيها عند الشاطىء إلى الصباح وخرجنا من القماصير نتنسم الهواء جادين ونتنسم الأخبار متفكهين ، وذهب كل منا يسأل صاحبه مازحاً : ما أحدث أنباء المساء ؟ فيجيبه : أى مساء ؟ الجمعة أو الخميس أو الأربعاء ! فكل أخبار هذه الأيام سواء

وإنـّا لكذلك إذ انحدر أمامنا مركب سريع موقر بالأبقار السمان ...

فصاح صائح : بشارة خير !

وصاح ثان : نعم ، وأى خير ! فهى أبقار لا تذهب إلى مصر لتموين الأستاذ روميل وأصحابه بطبيعة الحال ! ... ولا تصل إلى القاهرة قبل ثلاثة أيام

وانطلقت الفكاهة والجد أى منطلق فى ذيول هذه المجاوات ؛ فمن قائل : إنها تكلمت وسكت الناس ؛ ومن قائل : إن بقرات يوسف عليه السلام كانت سبعاً وكانت فى المنام ، وهذه سبعون وفوق السبعين نراها في اليقظة رأى العين . فما أحسن البشارة وما أصدق التعبير !

وكان صاحب القدح المعلى فى تلك العيافات والتعبيرات طبيباً لوذعيـّا يسخر من الخرافات

فقلنا : وقد تمت المعجزة بحمد الله ، واصطلح الطب والسحر لحظة فى هذه الليلة بفضل الجهل بالأنباء ... وللجهل فضله الذى لا ينكر فى بعض الأحايين

ثم توالت الأنباء من هذا الطراز : كل مركب منحدر يعبر عن شىء كثير ، بغير سؤال وجواب ، وبغير اعتساف فى التأويل والتعبير

***

وأسفرت ليلة الزجر والعيافة عن صباح مشرق كأوضح ما يكون صباح وتشرق شمس فى سماء

ونظرنا ... فماذا رأينا ؟

عجيبة من عجائب التوفيقات : فقد رأينا على الشاطىء قبالتنا هيكل الصباح المشهور بين الهياكل المصرية ، ورأيناه فى اللحظة التى بنى لها ، وأعدت محاريبه للقائها والامتلاء بشماعها وضيائها : وهى لحظة الشروق

هذه مطالع هاتور

هذه محاريب أبى سمبل ، وهذه تماثيلها الأربعة الفخام لا تسأم النظر إلى الدنيا فى مجلسها ، ولا تسأم الدنيا من النظر إليها

وهذا هو الوادى الذى قدسوه قبل ثلاثة آلاف سنة ، وجعلوه حرماً لربته هاتور ، ولأرباب كثيرين

فهى إذن ظلال الهيكل الساحر التى شملتنا فى جو الزجر

والعيافة منذ ألممنا بواديها ونحن لا ندرى

وهى إذن بقية من كهانات سبقت جميع الكهانات ، وأخذ منها الوادى أو هى قد أخذت من الوادى بنصيب

وكان تمام التوفيق أن نبيت الليل فى جوارها ثم لا نطلع عليها إلا مع طلوع الصباح ، وقد فضت له مغالقها وكشفت له محاريبها ، وعانقته هنيهة عابرة فى لجة من النور

وعبرنا صامتين

وأنصتنا وأطلنا الإنصات ، لأننا نختلس السمع من وراء ثلاثة آلاف عام . وماذا يمنعنا أن ننصت فنسمع ؟ ... ثلاثة آلاف عام لا تنأى بنا عن السمع فى ذلك السكوت

كانوا يقولون فى تلك اللحظة من وراء الجدران الضخام ، ومن وراء جدران أضخم منها وأفخم ، وهى جدران الدهور :

« أتيت أيها البصر الهادى وتمزقت الظلمات ورجعت الأشباح إلى ظلماتها ، واهتزت الأرض بالبشائر ، وافترت الثغور !

« تحيات يا رائد السماء . إنّا لك خاشعون

« وإن الحياة لتبسم بك يا كريم . وإن الماء ليتنفس بك يا واهب الأنفاس ، وإن الزهرة لبك تزهر ، وإن الوردة لبك تعطر ، وإنها لتحيات إليك يا رائد السماء ، وإنّا لك لخاشعون !

« صورت نفسك فما لك مصور ، وكذلك صورت فى ملكك أول نهار ، وخلقت نفس الصباح ، ونفس الإنسان ، وكل ما نماه عالم الإنسان

« حجبت سرك فى النور الأعظم فلا يستشفه بصر مبصر ، وإنا لنحييك يا رائد السماء ، وإنّا لك فى سرك لخاشعون !

« يأيها الوليد القديم لكل نهار جديد ، نستقبلك فنرقص فرحاً فى كرامتك ، ونحنو لك خاشعين ! »

كانوا ينشدون هذا النشيد من وراء الجدران

كانوا ينشدونه بكل لسان ، ويرسلونه إلى كل سمع ، فلا يضيرهم أن يخذلهم لسان واحد فى تلك اللحظة ، وهو اللسان الذى لا يقول بعد الموت ، ولا يخترق حجاب القبور

***

إيه أيتها التماثيل الضخام ! فيم تتحدثين فى تلك الجلسة وقد طالت بك آلاف السنين ؟

كم قلت ؟ وكم لم تقولى ؟ ! وكم رأيت وكأنك ما رأيت ؟ وكم غمرتك الرمال وأنت لا تحفلين ، وغمرتك الأنوار وأنت لا تحفلين ، وغمرتك الأنظار المستطلعات وأنت لا تحفلين . . . فيم احتفالك ! وفيم صبرك وانتظارك ؟ وإلام تجلسين ؟ إلام إلام تجلسين ؟ !

قلت لأصحابى : هذه جلسة تاريخية ليس لها قرار ، لأنها كلها قرار !

قال قائل منهم : طوبى لها قرارها ! وطوبى لها هذه الجلسة التى اطمأنت إليها : لا حروب ولا أشجان ، ولا أهواء ولا أضغان ، ولا اكتراث للانسان ولا لعالم الإنسان

قلت : على رسلك يا صاح . . . لو استطاعت أن تبتسم لكلامك لامتلأت أفواهها بالابتسام ، ثم جلجلت بالضحك حتى ارتجت لها الهضاب والآكام

أهذه التماثيل الضخام بمعزل عن الحروب والأشجان ، وعن الأهواء والأضغان ، وعن الاكتراث للانسان وعالم الإنسان ؟

هى حديث حرب ، وهى حديث حب ، وهى حديث شجن ، وهى حديث إنسان يتكلم من وراء الزمن إلى إنسان

وخطوة واحدة وراءها تريك رمسيس فى مركبة الحرب يقلب الصفوف على الصفوف ، ويرسل الحتوف وراء الحتوف ، ويفخر بالنجاة وهو مارق من بين ألوف

وخطوة أخرى وراءها تريك الفاتنة « نفرتارى » وهى كالغصن الريان بهواه وهوى عاشقيه

وخطوة أخرى وراءها تريك المطامع والأهواء ، تلعب بالكهان والرؤساء ، وتزدلف إلى السطوة والثراء ، وتنطق بالهجر والمراء

كلا . يا صاح ! هى الحرب فى هذا المكان والحرب فى كل مكان ، وهى الأهواء الآن والأهواء فى كل آن ، وهى الصخور الصلاب تسكت سكوتها فتسمع منها لجب الفرسان ، ونجوى الحسان ، وسعاية الأقران والأعوان

هى حرب ينبئنا بها حجر ، وحرب ينبئنا بها بقر ، وحرب ينبئنا بها كل قائل وأعجم ، ولا يعوزه ترجمان .

عباس محمود العقاد

غرام « سعد زغلول »

للدكتور زكي مبـارك

درجتُ في الأعوام الأخيرة على كتابة مقالة سنوية في (الرسالة) بمناسبة ذكرى « سعد » ، رعايةً لفضل هذا الرجل في بعث الحياة الأدبية عند اختلافه مع زملائه الذين شاطروه أعباء الثورة المصرية ، لا رعايةً لمقامه الوطني « وهو مقام محفوف بالإجلال عند جمهور المصريين والشرقيين » ؛ وإنما أحترس هذا الاحتراس لأن حقدي على « سعد » كان يفوق الوصف ، ومقالاتي في الهجوم عليه كانت أقوى ما كتبت في صدر شبابي ، فقد كانت مبادئُ الحزب الوطني غزت قلبي غزواً عنيفاً

أكتب هذا والحزن يعصر قلبي ، فقد انقضى ذلك العهد ، وخمدت النار التي كانت تتأجج في صدري ، ولم أعد أقبل الانضمام إلى أي حزب من الأحزاب السياسية

كانت لنا مبادئُ نقتتل في سبيلها اقتتال المجاهدين الصادقين ، وكنا نرحّب من أجلها بالسجن والاعتقال طائعين فرحين ، مبادئُ سليمة تفرّق بين الابن وأبيه ، والأخ وأخيه ، في غير بغي ولا عدوان ، فعلى عهدها الكريم ألف تحية وألف سلام !

ولو لم يكن هذا الحديث متصلاً بذكرى « سعد » الذي عاني ما عاني من بلايا النفي والاعتقال لطويته بلا تردد ، مراعاةً لظروف هذه الأيام ، فلتكن هذه السطور فنًّا من الإحياء لذكراه بين أبناء هذا الجيل

* * *

حديث اليوم عن « غرام سعد زغلول » ، وهو حديثٌ لم يُفضِ به إلا لأفراد قلائل ، فما ذلك الحديث ؟

أذكر أولاً أنني لن أجترح إثماً ، ولن أسنّ سنّة سيئة ، حين أتحدث عن غرام رجل عظيم شرّق صيته وغرّب ، فمن المحال أن تخلو قلوب العظماء من صبَوات وأهواء

يضاف إلى ذلك أنني سأتحدث يوماً عن « غرام مصطفى كامل » ؛ الغرام الذي جمله من كبار الخطباء بلغة الفرنسيس ، والذي فرض عليه أن يهتف هتاف الشوق إلى هواه ، وهو يعاني سكرات الموت ...

وأذكر ثانياً أن الدار التي سيجري اسمها في الحديث عن « غرام سعد » لن تتألم ولن تتأفف ، لأن سعداً أحبها وأحب أهلها حب الشرفاء ، ثم ارتدّ عنها بحسرة دامية لم يخفّ كربها إلا بعد سنين تزيد على الخمسين

فكيف كان « سعد » حين استعر في صدره ذلك الحب ؟

كان طالباً في الأزهر الشريف ، وكان طلبة الأزهر في العهود السوالف على جانبٍ كبير من التوقر والاستحياء

ولو شئت لقلت : إنه كان من الصعب على أي فتًى مصري أن يتخيل كيف تكون المرأة وهي عارية ؛ ولو شئت لقلت أيضاً : إن التصون كان مما يتباهى به الفتيان ، في ذلك الزمان ، قبل أن تصاب الدنيا بأوضار التمدن الجديد

وكان « سعد » أزهريًّا عفّ القلب ، ولم يكن يعرف من نعيم الحواس غير اللحظات التي يقضيها مع زميله ابراهيم الهلباوي متربِّعَيْن على الرصيف بجانب المحكمة المختلطة لمشاهدة الرائحات والغاديات في عصرية كل خميس

فهل تكون تلك المصريات علّمتْ سعداً معانيَ الغزَل الملفوف ؟

هل تكون أوحت إليه أن قلب الفتى قد يتوهج من حين إلى حين ؟

حين قصّ علينا الهلباوي بك — رحمه الله — تلك الحكاية لم يشأ أن يطنب في الشرح والتعليق ، فقد كان في المجلس رجال يؤذيهم التبسط في مثل ذلك الحديث ولم أكن أنا أعرف أني سأتكلم عن غرام سعد بعد حين أو أحايين

المؤكد أن سعداً قضى شبابه في تصون وعفاف ، ولولا ذلك لكان من العسير أن يظل في نشاطه المعروف إلى أن يجاوز السبعين

ومن هنا نعرف كيف اصطلى بنار الوجد في صباه ، فالشاب المصون يعاني من الغرام لذعات أحر من لذع النار ، لحرمانه من التصعيد الذي يجود به الحب الأثيم

فأين كان حب سعد ، حبه السليم من آفات العبث والمجون ؟

أطلّ يوماً من غرفته فرأى في دار الجوهري فتاةً كحيلة

العينين مُشرقة الجبين ، ثم غضّ بصره بسرعة حين تذكَّر أن ما زاد على النظرة الأولى حرام لا حلال

وما احتياجه إلى نظرة ثانية وقد رُسمتْ صورة الفتاة على ألفاف قلبه رسماً جعلها أقرب إليه من متن الألفية ، وأوضح من شرح ابن عقيل ؟

هل يُطلّ من النافذة فيراها مرة ثانية ليتأكد من التماثل بين الصورة والأصل ؟

لا بأس ، ولكن الفتاة لم تكن تظهر فى صحن البيت إلا عند الأصيل ، وهو الوقت الذى يعود فيه فتحى افندى من المدرسة ، وهو شقيقه الذى صار فيما بعد فتحى باشا زغلول ، وكان الشيخ سعد يراعى فتحى افندى ، ويتعمد الظهور أمامه بصورة الناسك المتعبد ، ليصرف عنه سوء التلفت إلى النساء ، فقد كان يعرف أن التلاميذ « الأفندية » معرَّضون من هذه الناحية لأخطار تزلزل رواسيَ الجبال

النظر إلى المرأة حرام ، فما حكم الشرع فى سماع بُغام الملاح ؟

وإنما عرضَ له هذا الخاطر الطريف ، لأن مناغاة الفتاة لأترابها كانت تداعب أذنيه من وقت إلى وقت ، وكان شديد العَجب من أن تكون لفتيات الحواضر أنغام لم يسمع مثلها من بنات الريف ، أنغام تصنع بلُبّه ما تصنع الراح بألباب الشاربين

ما حُكم الشرع فى هذه القضية ؟ أيستفتى أشياخه بالأزهر الشريف ؟ أيرجع إلى مطوّلات الفقه بالكتبخانة الخديوية[١] ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما اكتفى بوضع القطن فى أذنيه عند سماع ذلك البُغام إلى أن يقضى الله فى أمره ما هو قاض

كان يتمنى أن تتاح النظرة الأولى مرة ثانية ، النظرة التى يُرمَى بها الفتى عن غير عمد ، وهى حلال على أرجح الأقوال ، ولكن آباءنا قبل ستين سنة لم يكونوا يسمحون لفتاة بالخروج من البيت حين تصبح وهي فى نضرة الغصن الفينان ، فمن المستحيل أن يظفر الشيخ سعد بنظرة بريئة من تلك الفتاة عند الخروج لدروس الصباح ، أو عند الرجوع لتناول الغداء

وهل كان الفتى الأزهرى الذى يصلى ويصوم يستبيح التطلع إلى بنات الجيران ؟ هيهات ثم هيهات ، فقد حلف على المصحف ليصيرنّ إلى آخر حياته وهو فى طهارة القانت المنيب

ثم يضطرم قلب سعد أعنف الاضطرام ، ويزداد بلاؤه بهواه المكتوم ، من يوم إلى يوم ، والفتاة لا تعرف أن بجوارها فتًى يدعو الله فى أعقاب الصلوات أن يجعلها نصيبه من دنياه ، أو يجملها على فرض الحرمان نصيبه من الحُور العين

ويمضى فيقلب كتب النحو والفقه والتوحيد ليحفظ ما فيها من الأشعار الغزلية ، ولا يكتفى بذلك ، بل يمضى فينسخ ديوان ابن الفارض ، ليتخذ منه سميراً يؤنس وحشته حين تخفت الأصوات فى دار الجيران

إن سعداً فلاّح وابن فلاّح ، والفلاحون يخمدون نار الصبوة بالزواج ، فما الذى يمنع من أن يسلك مسلك الفلاحين الشرفاء ، فيطلب القرب من أهل تلك المليحة الحوراء ؟

وهنا تثور مشكلة من أقبح المشكلات ، مشكلة اجتماعية يعانيها الحيّ الأزهرى فى جميع الأزمان ، وهى إصرار سكانه من كبار التجار على أن الأزهريين غرباء

لا جدال فى أن الأزهريين هم شرايين الحياة فى ذلك الحى ، وبفضلهم تحيا متاجر وتقوم أسواق ، ولكن هذا الفضل مجحود ، لعلة يحار فى فهمها اللبيب . وقد كانت كلمة « مجاور » كلمة مدح ، لأنها منقولة عن مجاورة الحرم النبوىّ الطاهر ، ثم صارت كلمة هجاء ، بسبب التحامل على الأزهريين ، فاعجبْ لكلمة ينقلها سوء المعاملة من مدلول إلى مدلول ، بلا موجب معقول !

ومع أن الشيخ سعد زغلول كان يعرف أن حيّ الأزهر حيٌّ غادر ختّال ، فقد قهره الهوى على أن يطلب يد ابنة الجوهرى ، ليسلم من وَقْد هواه ، وليعرف كيف يُقبل على دروس الأزهر بعناية والتفات . وهل من المحال أن يبنى ذلك الحىّ مرة فى العُمر لشرّفيه من فتيان الريف ؟

تشجّع الشيخ سعد فطلب يد ابنة الجوهرى ، فردّهُ الجوهرى برفق ، وهو يجهل ما ينتظر عمامة سعد من سيطرة أدبية وسياسية على أبناء هذه البلاد

ورجع سعدٌ حزين القلب ، كاسف البال ، وقد خاب أمله فى هواه إلى آخر الزمان ، ثم نظر فرأى أن الفرار من الحيّ

(١) اسمها اليوم : دار الكتب المصرية

الأزهرى واجبٌ مفروض ، لينجو من غمزات الذين شهدوا ردّهُ الأليم عن مناسك هواه . وأبناء الريف تؤذيهم ثرثرة السفهاء

لا بُدّ من ترك الحيّ الأزهرى ، ولكن أين يذهب ؟ وماذا يصنع ؟

إن أباه كان يرجو أن يصير من علماء الأزهر الشريف ، ومن أئمة الدين الحنيف ، فكيف يخلف ظن أبيه بلا تهيّب ولا استحياء ؟

ثم بدا له أن الكرامة الذاتية من مقاصد الكرامة الدينية ، فخلع العمامة والجبة والقفطان ، ولبس الحُلة الأفرنجية واحترف المحاماة ، فأصبح وهو الأڤوكاتو سعد أفندى زغلول ، بشارع عابدين ، وأمسى مكتبه سامراً يلتقى فيه كرام الرجال

ولكن لوحة صغيرة كانت تثير جواه حين يدخل ذلك المكتب ، لوحة رُقِشَ فى صدرها الأبيض هذا البيت :

وإذا دُعيتُ إلى تناسى عهدكم ألفيت أحشائى بذاك شِحاحا

ولم يكن بدٌّ للقلب المجروح من دواء ، وهل يُداوَى القلب المفطور بغير العمل الموصول ؟

مرّ عامٌ وعامٌ وأعوام ، وسعدٌ يجاهد فى سبيل المجد ليعرف من ردُّوه جاهلين أنهم أضاعوا « جوهرة » لن يرى « الجوهرىُّ » مثلها ولو أضاع العمر فى البحث والتنقيب

ثم استجاب الله لدعوات الوالدَيْن الصالحَيْن ، فاقترن سعدٌ بفتاةٍ كريمة العمّ والخال هى بنت مصطفى باشا فهمى رئيس الوزراء فى ذلك العهد ، وهى اليوم صفية زغلول أم المصريين ، أسبغ الله عليها نعمة الصحة والعافية ، إنه قريبٌ مجيب

وجاءت أيام فى إثر أيام ، وتنقّل سعدٌ من حال إلى أحوال ، إلى أن نفاه الإنجليز فى سنة ١٩١٩ بسبب قضية الاستقلال

ثم سمح الإنجليز بأن يسافر من مالطة إلى باريس ليقنع « مؤتمر السلام » بعدالة القضية المصرية إن استطاع

وعجز سعدٌ وأصحابه عن الوصول إلى قصر فرساى ، فرجع إلى مصر وهو آسف غضبان

فماذا رأى بعد الرجوع ؟

أقيمت له حفلتان فى الحىّ الأزهرى ، أولاهما فى دار البكرى ، وقد فرح بها فرحاً عظيما ، فقد كان يظن أن خذلانه فى الوصول إلى « مؤتمر السلام » قد يصرف عنه قلوب المصريين وفى تلك الحفلة هُتف عند دخول عدلى باشا بعبارة « تحيا وزارة الثقة » ، وهُتف لسعد باشا بعبارة يحيا « الشيخ سعد »

أما الحفلة الثانية فكانت ... أين كانت ؟

كانت فى دار الجوهرى ، الدار التى ردّت سعداً خائباً قبل أعوام تزيد على الخمسين

وجرى الهتاف لسعد : « يحيا الشيخ سعد »

والتفت سعد باشا ذات اليمين وذات الشمال ، فرأى أنه فى أمان من ثرثرة السفهاء ، وأن الشيخ القديم لن يغلب الباشا الجديد ، وأن من حق الأزهريين أن يفتخروا به مشكورين

ثم التفت الرجل مرة ثانية ذات اليمين وذات الشمال ، وسمح لعينيه بدمعتين مُحرقتين ، هما التحية لهواه الذى ذهب إلى غير معاد

هذا سعد باشا خليفة الشيخ سعد ، ولكن أين بنت الجوهرى ؟ وأين مكانها فى هذا الوجود ؟ أغلب الظن أنها ماتت وإلا فكيف صبرت عن خلع العذار لتقبِّل الحبيب الذى انتصر على مكايد الزمان ؟

وأقام سعدٌ فى « بيت الأمة » يتلقى تهنئة الوفود بعودته سالماً من باريس ، وكان يمدُّ يده فينزع اللثام عن كل امرأة تعتصم بالحجاب ، وكانت حجته أنه يؤيد رأى صديقه الحميم قاسم أمين

ولعله كان يرجو أن يطلُع عليه القمر الجوهرى ، لو كان للقمر الآفل طلوع

لقد حدثتنى النفس بزيارة دار الجوهرى قبل أن أسطر هذا الحديث ، ولكنى خِفت أن أضاف إلى المجانين

كان لى فيك هوًى ، يا دار الهوى ، فأين غرام سعد وأين غرامى ؟

إن اعتدل الميزان فسنكتب على بابك العالى سطراً يقول :

« هنا تهاوتْ أحلام وقلوب »

وأين دار الجوهرى ؟ لا تسألوها عن مكانها ولا تسألوني ، فقد ناب عنى وعنها أبو تمام حين قال :

لا أنتِ أنتِ ولا الديار ديارُ خفّ الهوى وتقضّتِ الأوطارُ

وأنت ، يا سعد باشا ، ما رأيك فى هذا الحديث ؟ ألا ترى أنه من أشرف ما يتصل بتاريخك الجليل

زكى مبارك

من معهد الاسكندرية
إلى جامعة فاروق الأول

للأستاذ محمد محمد المدني

أيتها الجامعة الناشئة :

سلام الله ورحمته وبركاته عليك ، وهنيئاً لك هذا البدء السعيد لحياة أرجو أن تكون طويلة مباركة حافلة بالعمل والنشاط والإنتاج إن شاء الله !

أتدرين ممن تَلَقَّيْنَ هذا الكتاب ؟ إنه من أخ لك لم تلده أمك الشابة الحسناء ، المشرفة على ضفاف النيل بالجيزة الفيحاء ، ولكن ولده عمك أو جدك « الأزهر » ! ذلك الشيخ العجوز الرابض تحت سفح المقطم منذ ألف عام ... أريد أن أهنئك من قلب مخلص صادق لم يداخله الحسد ، ولم يكدره التعصب ، بما تلقينه من عناية بك ، واهتمام بأمرك ... ثم أشكو إليك ما أتجرّع أنا من غصص الضعف ، وما أذوق من ذل الغربة وويل الشتات[1] !

أنت الآن — أيتها الأخت — فى فترة من الزمان تغبطين عليها : لم تبتدئ بعدُ عامك الدراسى الأول ، وأرى الدنيا عليك مقبلة ، والأيام عنك راضية ، والدولة إليك دائلة !

أنت كالعروس المدللة الأثيرة عند أهلها : يُعدون لها ، ويتطلعون إلى يوم جلوتها ، ولا يدخرون وسعاً فى سبيل إرضائها ، وتهيئة الحياة السعيدة المترفة الناعمة لها ... وأهلك أغنياء كرماء قد عرفوا الحياة وأدركوا أسرارها ، ومُرّنوا على السير فيها بخطوات ثابتة جريئة متوالية ، حتى احتلوا المكان الأول ، ونالوا الحظ الأوفر ، وتركوا الخاملين المتخلفين من ورائهم ، يكادون يتميزون غيظاً ويموتون غمًّا !

هذه وزارة المعارف كثيرة الحركة دائبة النشاط : قد حشدت قواها ، وعبأت رجالها : تجتمع لجانها ، وتنعقد مجالسها ، وتكتب تقاريرها ، وتؤلف فيها الهيئات الفنية وغير الفنية ، ويسهر وزيرها ، ويدأب فى السعى مستشاره ، وتشتغل الصحف والمجلات ودار الإذاعة بأمرها ... وكل ذلك من أجلك أنت — أيتها الأخت — السعيدة ! ومن قبل شغل المجلسان فى دار الندوة بهذا الأمر : تقبلاه بقبول حسن ، وأقراه فى مثل لمح البصر ، وأوسعا له فى البذل والعطاء ، ولم يضنا عليه بالحرّ من المال ، والعالى من المناصب ، والرفيع من الدرجات ...

فاسعدى — يا أختُ — بهذا العطف ، واهنئى بهذه الرعاية ، واستمتعى بمجد آلك ، واستطيلى فخراً بأسمائهم ، واستظلى مما عقدوه عليك بلواء من الأمن والطمأنينة والرضا ، واسلكى سبل العلم ، وفجاج البحث ، ذُللاً لا أشواك فيها ، ولا عقاب تعترض من دونها !

سيرى يا أختاه بجنان ثابت ونفس مطمئنة وصدر لم تفسده الوساوس ، ولم تحوم حوله الشكوك ، فقد وفتك الدولة حقك ، وكفتك ما يهمك ، وجعلتك فى يمنى يديها حين جعلت غيرك فى يسارها ومن وراء ظهرها !

معاذ الله — أيتها الأخت الناشئة — أن أتطاول إلى مثل مقامك ، أو أمنى النفس بمثل منزلتك ، فإنما أنا معهد ثانوى صغير لا يزيد على هذه المدارس الكثيرة التى تعمل فى خدمتك ، والتى ستمدك كما مدّت أمك الرءوم من قبل بالبنين والبنات ؛ ولست قريباً لك ولا نداًّ لخطابك ، ولكنى أشاركك فقط فى معنى واحد ، به أكتب إليك وبه أجترئُ عليك : أنا معهد الإسكندرية وأنت جامعة الإسكندرية ، ولقد كنت مثلك يوم نشأتُ منذ ثلاثين عاماً : كنت معهداً من المعاهد العليا عنيت به الدولة يومئذ كما تعنى بكِ الآن ، واحتفلت به الأمة كما تحتفل بك الآن ، وأسندت إدارته إلى رجل عبقرى حازم لم تزل آراؤه وإصلاحاته وهمته ونشاطه مسك الأحاديث وعطر المجالس ، هو المغفور له الشيخ محمد شاكر ، وقال الناس عنى كلاماً كثيراً ، قالوا : هذا معهد الإسكندرية عاصمة مصر الثانية ، هذا هو « أزهر » الدولة المحمدية العلوية سينافس أزهر الدولة

---

(١) معهد الأسكندرية مقيم بدمنهور بسبب الغارات على الأسكندرية ، وقد أدمج القسم الثانوى منه فى معهد طنطا .

الفاطمية ، وقد حققت بى الأيام بعض هذا الظن ، فكنت نموذجاً فى أساتذتى ، وكنت نموذجا فى طلابى ، وكنت نموذجا فى دراساتى ونظامى ، وخرجت رجالاً أئمة يكادون يستأثرون بالفضل فى كل ناحية من نواحى الأزهر الحاضر : فى العلم ، فى الخلق ، فى الإدارة ، فى الحزم ، فى الشجاعة ، ولكن الزمان صدمنى مرتين : فأما إحداهما فيوم بدا لرجال الأزهر أن يجعلونى معهداً كمعاهد الأقاليم فأصبحت معهـداً ثانويًّا كمعاهد طنطا وشبين وقنا ، أعد أبنائى ، وأجدّ فى تعليمهم وتثقيفهم وتهذيبهم وتقويم أخلاقهم ؛ حتى إذا سويتهم فتيان علم وعمل وخلق كريم دفعت بهم إلى الأزهر فغرقوا فى لجته وضلوا فى تيهه . والأزهر كما ينبئ عنه التاريخ قوة خارقة غلابة تحيل الأشياء ولا تحيلها الأشياء : كم من رجال تأبَّوا عليه ثم خضعوا له من حيث لا يشعرون ، وأرادوا له صيداً فكانوا هم المصيدين ! وكم من علوم لم تهضمه ولكنه هضمها ، ورامت منه فأخضعها وأذلها ! وكم من أخلاق فيه تبدلت وملكات ثابتة تأرجحت ! فماذا عليهم لو تركونى كما أنشأونى معهداً عالياً نموذجيًّا ولم تمتد أيديهم إلىّ ، إذن لكنت اليوم جديراً أن أكون قريناً لك بل منافساً شريفاً يحاول أن يسبقك فى ميادين العلم والبحث والإنتاج !

وأما صدمتى الأخرى فقد أصابتنى قريباً ، وكانت صدمة عنيفة زلزلت مكانى ، وقوضت أركانى ، وشطرتنى شطرين رمت بأحدهما إلى عاصمة الغربية فزحمت به معهد طنطا ، واحتفظت بأيسر الشطرين فى دمنهور فأقامته فى « كُتَّاب » لجمعية تحفيظ القرآن ثم قالوا عن هذا « الكُتَّاب » وأنا أكاد أذوب خجلاً : هذا معهد الأسكندرية !

لقد أنزلوك على الرحب والسعة إحدى دورهم الفسيحة الأرجاء العالية البناء ، ولن تمضى عليك بضع سنوات حتى تكون لك مدينة جامعية فى رمل الأسكندرية تشرق على بحر الروم كما تشرق مدينة الجامعة الأولى على نهر النيل ، أما أنا فقد قضيت حياتى فى مكانين متباعدين فى مدينة الأسكندرية شمالاً وغرباً : أحدهما زقاق غير نافذ من أزقة السيالة تكتنف البيوت فيه دارى ، ويعلو للباعة المتجولين فى كل صباح ضجيج من حولى ؛ والآخر دار بنوها ، وكأنما كان مهندسها ينظر فى ضمير الغيب إلى ما حدث الآن[1] فبناها على نظام ثكنات الجيوش . نعم بنوها ، ولكن فى أى مكان ؟ فى « القبارى » موطن المصانع ومستودعات البترول و « منالق » الخشب ، ومخازن السكك الحديدية وطريق الأسكندرية كلها إلى « السلخانة » ومدابغ الجلود !

« وفكر » الأستاذ الأكبر المراغى فى أن يبنى لى داراً تليق بمكانتى ، فأمر رجاله أن يرودوا الأسكندرية وضواحيها مكاناً مكاناً فرادوها ، وقيل للناس إنهم قد انتخبوا مكاناً فيها ، ثم انتهى الأمر بالمشروع إلى هذا الحد فَكُتبتْ فيه تقريرات أضيفت إلى سجل التقريرات عن سائر المشروعات !

وليتنى بقيت فى الأسكندرية حيث كنت ، ولكنهم حفظهم الله قد خافوا الغارات ، وقذائف الطيارات ، ففروا بى من قضاء الله إلى قضاء الله . فهذه هى الصدمة الأخيرة التى حدثتك يا أخت عنها ، فإذا بدا لك أن تسأليني : كيف جاز لمعهد أزهرى أن يفر من الأسكندرية قبل أن تفر مدارسها الابتدائية بل مدارسها الإلزامية ورياض أطفالها ، فإنى أجيبك على البداهة بأن لنا معاشر الأزهريين فلسفة خاصة فى القضاء والقدر والصبر على النوازل والثبات للشدائد ؛ فلسفة تقضى علينا أن ننصح الناس بالرضا عن ذلك كله ، واحتمال ذلك كله وننسى أنفسنا ، وأن نبالغ فى نهى الناس عن الجزع والفزع ثم نخالفهم إلى ما نهاهم عنه ! وقد يكون فى الأمر سر آخر لا أعلمه ولا أعتقد أنك حريصة على أن تعلميه ، وربما علمه فضيلة شيخى الجليل الناشط الأستاذ الشيخ أبى العيون . وبهذه المناسبة أذكر لك أن هذا الشيخ الناشط لا يباشر عمله فى إدارتى الآن منذ عام أو يزيد ، لأن الأزهر رأى أن ينتفع بنشاطه فى منصب من مناصب التفتيش « فى إدارته العامة » فيا لله لمعهد قسمه الثانوى فى طنطا وقسمه الابتدائى فى دمنهور ، وشيخه ومدير إدارته فى القاهرة بين المفتشين !

أيتها الأخت السعيدة : هنيئاً لك ، وعزاء لى .

أخوك
معهد الأسكندرية
« بطرف » جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمنهور

(طبق الأصل) محمد محمد المدنى
المدرس بكلية العربية

(١) تحتل القوات العسكرية الآن بناء المعهد بالقبارى .

من ونبات العبقرية

نظام الضرائب فى الاسلام

وهل روعى فيه الوضوح والملاءمة

للأستاذ على حسين الوردى

لقد وضع الاقتصادى الأشهر آدم سميث ، كما سبق ذكره ، أربع قواعد يجب أن تتوفر فى الضريبة الصالحة : هى العدل والاقتصاد والوضوح والملاءمة[١] .

أما وقد انتهينا فى مقالاتنا السابقة من بحث قاعدتى العدل والاقتصاد فى الضريبة ، فقد بقى علينا أن نأتى إلى موضوع الوضوح والملاءمة فيها .

قاعدة الوضوح

يريد العلماء بالوضوح فى الضريبة أن تكون الضريبة معينة فى مقدارها وزمان جبايتها ومكانها ، بحيث يكون الناس على علم من ذلك كله فلا يبقى إذن مجال للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ، مما يؤدى إلى إساءة الاستعمال والاختلاس والإرهاق ، إذ يغتنم الجباة فرصة جهل الناس فيستخلصون منهم ما لاحق لهم به

والحكومات الحديثة تحرص على اتباع هذه القاعدة كل الحرص ، فنجدها تنشر على الناس الميزانية العامة فى رأس كل عام ، وتحاول بكل وسيلة أن يطلع المكلفون على ما فرض عليهم من ضرائب لكى يعدّوا أنفسهم وأعمالهم وأموالهم فى سبيل ذلك ، ولكى يعلموا بشىء من اليقين ما تزيد به الضريبة على كلفة الإنتاج وما ينبغى لهم من تقرير الأسعار وتهيئة العرض حسب الطلب المقبل .

ولقد قيل بهذه المناسبة إن القديم الخبيث من الضرائب خير من الطيب الجديد[٢] . ويريدون بهذا القول : أن الضريبة القديمة ، مهما كانت سيئة ، فقد عرفها الناس وتعودوا عليها منذ زمن طويل ، ثم اطمأن المنتجون إلى آثارها فهم ينتجون بعد أن يضعوا مقدارها فى حسابهم وضعاً معيناً . وإذا كان السعر من جرائها مرتفعاً علم المنتجون بما يستطيعون بها من بيع وما يأتيهم بعد ذلك من أرباح . وعلى هذا يكون ميزان العرض والطلب فى الميدان الاقتصادى هادئاً ، ومحتملاته القبلة على شىء من الوضوح

أما إذا وضعت الحكومة ضريبة جديدة ، اختل هذا الميزان طبعاً وأخذ يترجح يمنة ويسرة ، لأن المنتجين تفاجئهم الضريبة فيضطرون إلى تحملها فى أرباحهم أو إلى زيادة أسعارهم بها ، وفى كلا الحالين يطرأ الارتباك على سوق البضاعة : لقلة فى العرض ناتج عن ضآلة الأرباح ، أو لقلة فى الطلب ناتج عن ارتفاع الأسعار

هـذا هو ما دعا الحكومات الرشيدة إلى الإبطاء فى تبديل نظام الضرائب الجارى فى بلادها وقصر التعديلات فيه على أقل حد ممكن ، لأنها تعلم خطر التغييرات المتعاقبة على النظام الاقتصادى المستقر على حالة راهنة[١]

وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد ضرائبه على قسط كبير من الوضوح والاستقرار ، ولعله قد فاق كل نظام فى هذا المضمار ، إذ أن رسول الله قد وضع نظاماً ثابتاً للصدقات لا يتغير على مدى الأيام ، وها هو ذا جزءاً من الفقه يتدارسه المسلمون جيلاً بعد جيل ، وعند ما حدثت فى الإسلام أوضاع جديدة احتاجت إلى أنواع أخرى من الضرائب كما حدث فى عهد عمر ، وضع الفقهاء كما بينا سابقاً ضرائب جديدة أثرت من بعدهم واتبعت اتباعاً طويلاً

وكأن الإسلام قد شعر بما يشعر به علماء اليوم من أن الضريبة القديمة ليست ضريبة An old tax is no tax[٢] . فشرع للناس شرعة الضرائب الثابتة ، وهى ما كانت الأمم القديمة لا تعرفه ولا تهتم به

فلا ريب فى أن الملك فى الزمن القديم كان يبغت الناس بين كل آن وآخر بضريبة جديدة ، تبعاً لما كان يشعر به من حاجة إلى مال ، أو رغبة فى ادخار

(١) Justice, Economy, Certaivety, Convenience.

(٢) موجز فى علم المالية ، فارس الخورى (ص : ٢٠٤) (مطبعة الحكومة بدمشق ١٩٢٤)

(١) أصول علم المالية العامة ، الدكتور زكى عبد المتعال سنة ٩٤١ (الطبعة الأولى ص ٢٠٠)

(٢) Public Finance, Bastable (الطبعة الثالثة ، لندن ، ١٩٢٢ ، ص ٤١٦

وبهذه المناسبة نود أن نطلع القارئ على طريقة فى الجباية كانت مستعملة فى الزمن القديم ، ولا تزال بعض الدول اليوم تعتمد عليها أحياناً ، تلك هى طريقة التوزيع Apportional ، ويلاحظ فيها أن الحكومة لا تعين نسبة الضريبة فى قانون ثابت ، حيث تؤخذ من الفرد كل سنة كما تقتضى قاعدة الوضوح إنما تعين الحكومة مقدار حاجتها من المال فى رأس السنة المالية ثم تقسم هذا المقدار على الولايات لتؤدى كل منها حصتها المتناسبة من الضريبة العامة . وحاكم الولاية بدوره يفرض على أفراد ولايته ما يشاء من وزيعة ، إذ هو مسؤول عن وفاء ما تطلب منه الحكومة المركزية بكل وسيلة

حقاً ، إن هذه الطريقة سهلة الإدارة واضحة المعالم بالنسبة للحكومة ، لكن فيها ظلماً وفيها غموضاً بالنسبة لدافع الضريبة ، ذلك لأنه لا يعرف مقدار الوزيعة التى تؤخذ منه كل سنة ، فهى تختلف عاماً بعد عام

فإذا كانت حاجة الحكومة كبيرة فى إحدى السنين ، أرهق الفرد فى دفع حصته من ذلك من غير اهتمام كبير فى ما ينتج الفرد أو يستطيع ؛ ولذلك يبقى حائراً فى كل حين ، لا يدرى مقدار الوزيعة التى ستفرض عليه ، ولا يقدر إذن أن يتضح أثرها الاقتصادى فى تكاليفه المقبلة وأسعاره

أما الإسلام ، فلا نعلم أنه لجأ مرة إلى مثل هذه الطريقة ، وكل الذى نعرفه فى هذا الموضوع ، هو أنه كان يوصى عمال خراجه وصدقاته دائماً بالرفق والعدل من غير اكتراث بالمقدار الذى يستحصلونه بعد ذلك . وقد قال أحد العمال لعلى بن طالب عندما أوصاه بالرفق : يا أمير المؤمنين ، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك (يعنى من غير جباية) ؛ فأجابه على : وإن رجعت كما ذهبت ... ويحك ! إنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو (يعنى الفضل[1])

***

وقاعدة الوضوح هذه تكون واجبة أشد الوجوب عندما تجبى الضريبة بطريق الالتزام ، لأن الملتزم الذى يتقبل جباية الضريبة على مقدار معين من المال ، يرغب دائماً فى أن يستفيد من غموض الضريبة ، أو جهل الناس بها ، وهو قد يتوخى تعمية الأمر ليتسع له مجال ابتزاز المال منهم تحت ستار من القانون !

وفى الحقيقة أن الحكومة مهما حاولت توضيح الضريبة للناس ، فلا بد أن يبقى ثمت كثير من البلهاء الجاهلين

وهذه السيئة هى التى جعلت الحكومات الحديثة تتجنب — جهد الإمكان — منح الجباية إلى الملتزمين

هذا ، والالتزام — فضلاً عن ذلك — مخالف لقاعدة الاقتصاد فى الضريبة :

فلقد قلنا فيما مضى : إن الفرق بين ما يخرج من جيوب الدافعين ، وما يدخل إلى خزينة الدولة ، يجب أن يكون أقل ما يمكن ، لكى يتوفر في الضريبة عنصر الاقتصاد

وفى جباية الضريبة عن طريق الالتزام ، يحاول الملتزم أن يجبى لنفسه أكبر مقدار ممكن ، لكى يوفر لجيبه الفرق العظيم بين ما يؤدى للحكومة وما يجبى من الناس ، ونجده لذلك يعذب الناس باسم الحكومة ويرهقهم إرهاقاً

وقد تضحك يا سيدى القارئ إذا علمت بما صنع عبد الله ابن العباس برجل جاء إليه فقال : أتقبل منك الأبلة بمائة ألف . فضربه ابن عباس مائة وصلبه حياً[1]

من هذا نعلم أن الإسلام كان يبغض الالتزام كل البغض ، ويحرمه كل التحريم . وإليك ما قال أبو يوسف فى هذا الشأن يوصى به الخليفة هرون :

« ورأيت ألا تقبل شيئاً من السواد ولا غير السواد من البلاد فإن المتقبل (الملتزم) إذا كان فى قبالته فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم ، وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه . وفى ذلك وأمثاله خراب

---

(١) الخراج ، يحيى ابن آدم القرشى (المطبعة السلفية ١٣٤٧ ص ٧٥)

(١) الأموال ، القاسم بن سلام (ص ٧٠) تصحيح محمد حامد الفقى ١٣٥٣ .

البلاد وهلاك الرعية . والمتقبل لا يبالى بهلاكهم بصلاح أمره فى قبالته . ولعله أن يستفضل بعد ما يتقبل به فضلاً كثيراً ، وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية ، وضرب لهم شديد ، وإقامته لهم فى الشمس ، وتعليق الحجارة فى الأعناق ، وعذاب عظيم ينال أهل الخراج بما ليس يجب عليهم من الفساد الذى نهى الله عنه . إنما أمر الله أن يؤخذ منهم العفو ، وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم ... »[1]

قاعدة الملاءمة:

ويسميها بعض المؤلفين بقاعدة الرفق والسهولة . يقول فيها آدم سميث : يجب جباية الضريبة فى الزمان والمكان وبالطرق الأكثر ملاءمة للمكلف[2]

وهذه القاعدة لم يكن معنياً بها كثيراً لدى الأمم القديمة ، ذلك لأن علاقة المصلحة بين الحكومة والفرد لم تكن متبادلة

أما الحكومة الحديثة فقد بدأت تشعر بأهميتها فى حياة الأمة ، وبأثرها فى الإنتاج العام . واليوم ينصح علماء المالية بأن الجباة يجب أن يذهبوا بأنفسهم إلى حيث يجبون الضريبة فى الأماكن التى يختارها المكلف ، وليس بجائز أن يتخذوا لهم المكان المطمئن ويأمرون المكلف بجلب الأموال إليهم وهم ناعمون . . .

والإسلام قد نظر فى الأمر نفس هذه النظرة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا جَلَب ولا جَنَب ولا شغار فى الإسلام ، ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا على مياههم وبأفنيتهم[3] »

يقول الإمام القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية فى شرح ذلك : « ... لا ينبغى للمصدّق (الجابى) أن يقيم بموضع ثم يرسل إلى أهل المياه ليجلبوا إليه مواشيهم فيصدّقها ، ولكن ليأتهم على مياههم حتى يصدقها هناك ، وهو تأويل قوله على مياههم وبأفنيتهم[1] »

أما وقت الجباية فيجب أن يكون فى الحين الذى يستسهل فيه المكلف دفع الضريبة أو عند ما تتوفر لديه النقود بعد حصاد زرعه أو بيع بضاعته

سأل عمر واليه على حمص سعيد بن عامر بن حذيم : مالك تبطئ بالخراج ؟ فأجابه أمرتنا ألا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير فلسنا نزيدهم على ذلك ولكنا نؤخرهم إلى غلّاتهم . فقال عمر : لا عزلتك ما حييت[2]

قال الإمام أبو عبيد القاسم : « لم يأت عن رسول الله أنه وقّت للزكاة يوماً من الزمان معلوماً ، إنما أوجبها فى كل عام مرة . وذلك أن الناس تختلف عليهم استفادة المال ، فيفيد الرجل نصاب المال فى هذا الشهر ، ويملكه الآخر فى الشهر الثانى ، ويكون للثالث فى الشهر الذى بعدهما . ثم كذلك شهور السنة كلها . وإنما تجب على كل واحد منهم الزكاة فى مثل الشهر الذى استفاده فيه من قابل . فاختلفت أوقاتهم فى محل الزكاة عليهم لاختلاف أهل الملك . فكيف يجوز أن يكون للزكاة يوم معلوم يشترك فيه الناس ... »[3]

حقاً لقد كان الإسلام رفيقاً بدافعى الضرائب كل الرفق موصياً بهم أجل الإيصاء . أنظر إلى على بن أبى طالب يوصى عامله على مصر فى أهل الخراج : « ... فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالّة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش ، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم . ولا يثقلنّ عليك شىء خفّفت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به فى عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم[4] ... »

(١) الخراج ، الامام أبو يوسف (المطبعة السلفية ١٣٤٩ ، ص١٢١)
(٢) Wealth of Nations, Smith (الكتاب الخامس ، الفصل الثانى ، البحث الثانى)
(٣) الأموال لأبى عبيد القاسم (ص ٤٠٤)

(١) الأموال لأبى عبيد القاسم (ص ٤٠٥)
(٢) الأموال لأبى عبيد القاسم (ص ٤٤)
(٣) الأموال لأبى عبيد القاسم (ص ٥٩١)
(٤) نهج البلاغة ، شرح الامام محمد عبده (مطبعة الأستقامة ص١٠٧)

تلك تعاليم سامية بلا ريب وهى مطابقة لما تملى قاعدة الرفق والملاءمة ولما يُلحّ على اتباعه علم المالية العامة إلحاحاً .

ولا مراء فى أن الإسلام قد شرع للناس شريعة الضرائب الصالحة فى الزمن الذى انغمر فيه العالم فى دياجير الظلم ، وانحطت فيه الروابط الاجتماعية والاقتصادية انحطاطاً عظيماً .

وكأن الإسلام قد جاء بتجربة اقتصادية كبرى برهنت للناس بالبرهان الحسى على أن العدل أساس الملك حقاً ، وأن الرفق أولى بإنماء الجباية من التعسف والتكالب .

فقد يأخذنا العجب حين نرى الجباية قد بلغت — على عهد الإسلام — مبلغاً لم يحلم به القياصرة والأكاسرة ، وهم الذين كانوا يستنزفون أموال الناس بالباطل ، وهم على زعمهم غانمون .

بلغت الجباية على عهد المأمون — حسب قائمة ابن خلدون التى أوردها فى تاريخه — ما يناهز الأربعمائة مليون درهم عدا الحيوانات والسلع والعروض ، وهى أموال طائلة لا يجوز مقارنتها بعملة اليوم لأن الدرهم كان حينذاك ذا قوة شرائية كبرى [1] .

ولا يخفى أن هذا المبلغ كان حصة الخزينة المركزية الخاصة بالخليفة ، حيث تأتى إليه خالصة بعد الإنفاق على إدارة الحكومات المحلية وإعانة الفقراء فيها . هى حصة الخليفة وحده يتصرف بها كما يرى فى تدبير الشؤون العامة . فياليت شعرى كم هو مجموع الجباية العامة إذن قبل الإنفاق !

هذا مع العلم أن أقصى ما وصل إليه مجموع الجباية العامة عند الرومان فى عنفوان مجدهم لم يتجاوز الأربعمائة مليون درهم [2] وهم الذين كانوا فى دقة القانون وبراعة الإدارة مشهورين .

أليس فى هذا حجة بالغة على أن العدل أساس الملك ، وأن الرفق أولى من التعسف فى إنماء الجباية .

كاظمية — عراق **على حسين الوردى**

(١) موجز فى علم المالية ، فارس الخورى (ص : ٣٣)
(٢) « « « « « « «

المساهمة والشركة في مصر

لمناسبة ذكرى وفاة « طلعت حرب »

للأستاذ عبد الله حسين

في يوم الخميس ١٣ أغسطس احتُفل بالذكرى الأولى لوفاة الزعيم الاقتصادى الكبير المغفور له محمد طلعت حرب باشا، المؤسس الأول لبنك مصر وشركاته المساهمة المعروفة. ولقد كان مما يتفق وطبائع الأمور، أن يعرض المحتفلون بهذه الذكرى، والمعزون والجماهير التى عرفت « طلعت »، أو استمعت إلى أحاديثه وخطبه، أو وقفت على آثاره وأعماله وتصرفاته، إلى بنك مصر وشركاته، وما يتصل بها من خطط، وما تعرضت له من أزمات؛ وكان من الطبيعى أيضاً أن يكون للفقيد — شأن كل عظيم وعصامى ومبرز — الأصدقاء والحساد والأعداء... والخصومة للعظيم — وخاصة لمن بلغ منزلة « طلعت » — لا تغض من مكانته، بل لعلها تزيده منزلة، وتُجلّى على الأيام فضائله وشمائله. ذلك أن النقد وحده هو الذى يستطيع أن يكشف عن اللؤلؤة الصحيحة من دفائن المعادن

لست أريد أن أتناول هنا ترجمة حياة الفقيد، ولا أن أقوم ببحث فى شئون الشركات الوطنية؛ وإنما حسبى أن أعرض لأشياء تحدث بها أُناس منذ أعوام ثلاثة، وكان من وراء هذه الأحاديث ذلك القانون الذى صدر فى العام الماضى بدعم بنك مصر وتقوية الروابط بينه وبين الحكومة

كانت هذه الأشياء من المسائل التى بالغ حساد « طلعت » وخصومه فى الخفض من مكانته، والغض من شأوه، وفاتهم بادئ ذى بدء، أن « طلعت » كان رجلاً، وكان مجرباً، وكان بادئاً، وكان بشراً، وكان يعمل فى بيئة لم تُتمهد من قبل... كل هذا قمين أن يدعو إلى شيء من الخطأ والتراخى والتشاؤم. ولقد كنت أشفق من هذه الأشياء، وكنت أخشى أن تعدو من جرائها العوادى على البلاد والمشروعات الوطنية

غير أننى بعد أن هدأت العاصفة، وقضى « طلعت »، راجعت نفسى، وشئت أن أكون فى منزلة القاضى، يفصل بالحق، ويورد فى حيثيات حكمه الأسباب التى يتألف منها اعتقاده، والمقدمات التى انتهت إلى رأيه

أراد « طلعت » — حين فكر وحين مضى يحقق ما فكر فيه — أن يستعين فى مشروعه بالعناصر التالية:

١ — « الأعيان »: للافادة من أموالهم فى الاكتتاب برأس المال، ثم يجذبهم إلى نقل مودعاتهم من البنوك الأجنبية إلى البنك الوليد

٢ — « الحكومة »: بوزاراتها ووزرائها وكبار موظفيها. لكى تكون يداً مع المشروع وما تفرع عنه من الشركات، وذلك بأن تودع أموالها البنك، وبأن توصى بتفضيل منتجات شركاته وما إلى ذلك من مزايا

٣ — « الصحافة »: للدعوة والدعاية والتخفف من المهاجمة أو النقد، إذ أن المشروع جديد ومالى يتأثر بالنقد السريع

٤ — بالجمهور — عامة، وخاصة — الطلبة والشباب:

فإذا كان قد حدثت أشياء غير صالحة، فإن منجم ذلك هو العيوب التى نشهدها فى تصرفات الأعيان والحكومات والمصالح الأميرية وبعض الصحافة والجمهور. ذلك أن كل عنصر من هذه العناصر، حسب أن له حقاً على طلعت أو على البنك، بأن يترخص وأن يتسامح فيما لا يجوز الترخص والتسامح فيه. فإذا وقف طلعت موقف الحزم، غضب طلاب المنفعة؛ وإذا تسامح — وهذا ما كان يؤثر طلعت دفعاً للكيد — استتبع هذا ألواناً أخرى من التسامح، بالاستزادة من الأقراض والتراخى فى الأداء. والرجل يريد أن يرضى جميع الحكومات خشية أن يقال إنه حزبى، على حين أن مشروعاته مستقلة وواجب أن تكون مستقلة عن الأحزاب السياسية والتجارية والشخصية.

وعندى أنه إذا شئنا أن نتقى ما حدث من الأزمات والأخطاء، أن نمضى قدماً فى علاج شئوننا، فنعرف أين يبدأ حقنا وأين ينتهى عند حق غيرنا من بنك أو شركة أو مساهمة أو مصلحة عامة. علينا أن نفرق بين منافعنا الخاصة وبين المصالح العامة. بل علينا أن نعرف كيف نضحى منافعنا الخاصة لنصالح شئوننا العامة. فالمجاملة والتسامح (سياسة معلهش) والتراخى والاستغلال الحقير للنفوذ هذا كله مرجع العيوب فى مشروعاتنا ومساهماتنا وشركاتنا. فإن أصلحنا، صلحت أداتنا المالية والاقتصادية، وأدركنا أن الداء فينا وعلاجه بين ظهرانينا، وأنصفنا الموتى من الأحياء

عبد الله حسين

نحن في صراع دائم

للأستاذ حسين الظريفي

كان يعتقد فى العقل أنه ليس إلا ما تمليه علينا تجارب الحياة ؛ فالطفل يولد ولا عقل له ، حتى يأخذ عن الوسط ما هو فيه ، ويظل رهين شروط حياته الخاصة والعامة بلا حد ولا أمد ، ومن شب عن الطوق وتفرد عن المجموع فقد أوتى حظاً كبيراً

تلك كانت نظرة العلم إلى العقل من حيث يظهر ومن حيث يتطور . غير أن فقهاً تمخضت عنه بداية القرن الحديث ، نظر إلى هذا العقل الذى يولد بعد الولادة ويظل محدوداً فى نموه وسموه بين المهد واللحد ؛ فأحاط به ثم تجاوزه إلى ما وراءه فأيقن أن هناك عقلاً باطناً يكمن وراء عقلنا الظاهر أورثتنا إياه قرون تتصل بأول الخليقة ؛ فهو ميراث ماضينا من حيث يبدأ إلى حيث يتصل به حاضرنا الذى نحن فيــه ، ولا تزيده الأحقاب إلا شدًّا ومدًّا

وقد أسفرت بحوث العلم عن إثبات ما لهذا العقل الـكامن من الأثر البالغ ، فى تلوين النزعة والفـكرة والإرادة واقتيادها إلى حيث يريد ، على غير شعور منا بما نفعل وما لا نفعل

إن موضع القوة فى هذا العقل قائم وراء ما له من مظهر الخفاء ؛ ففى غفلة عما نعيه ونسترعيه من شئون عقلنا الشاعر ، يقوم العقل الباطن بعمليات التفاعل حتى تنبعث من أعماقه كلمته الآمرة أو الزاجرة فتدين لها الجوارح . ونحن لا نعى ما يدبر ويقرر إلا ذلك الأثر الذى نقوم به ، غير شاعرين بالبواعث

إن قوة العقل الباطن آتية مما يبطن فى فعله وانفعاله ، فى ذات نفسه وفيما وراءه من عقــل واع تحيط به الظروف والوقائع . فالرغبة فيه خفية يضغط عليها ما تواضع عليه الناس من عرف وتقليد . والحركة فيه قائمة دائمة ولـكنها فى قعر غير قريب ، وما أقول باستحالة الوصول إلى قاعه البعيد . ولـكن دون ذلك أهوال

هنالك حيث لا يصل سمع ولا بصر ، إلا ما ندر ، تزدحم الرغائب وتتصادم ، ويعلو بعضها على بعض درجات وطبقات ، وكل رغبة منها تريد بلوغ القمة والخروج من الزاوية إلى النافذة ، لتلقى النور ، وتعرب عن نفسها بأعمال الجوارح ؛ ولـكنها لا تكاد تصل السلم حتى تجد عليه رقيباً عتيداً يدفع بهـا إلى الحضيض . وهكذا تبقى الرغائب حية فى القبر تتنازع وتتصارع والرقيب يأبى عليها إلا أن تنحدر إلى ما وراء مجرى الشعور ، مهما استحر هناك القتل وطال عليه الأمد . وما ذلك الرقيب إلا الضمير

فالرغبة الجامحة تصدم بقوة الضمير ، فيضغط عليها حتى تنحدر إلى قاع النفس وتستقر فيه ، غير قانطة من بلوغ منطقة الوعى من العقل وفرض نفسها عليه ، وتحريك الجوارح به وفق ما تريد .

وما دامت الرغائب محجوراً عليها فى قرارة النفس ، فإنها تبقى فى نزاع لا يهدأ ، تستنفذ فيه ما هى بحاجة إليه مما نملك من طاقة . ونحن إن لم نشعر بجلبة هذا الصراع فى داخل النفس فإن تأثرنا به ولا ريب كبير . وقد تبلغ شدة التنازع بين الرغائب إلى حد تبتلع فيه كل نشاطنا ، حتى نظهر وكأنا لا نملك شيئاً من قوة الاندفاع إلى العمل وتجللنا مظاهر التردد والخمول .

إن الرغبة المقموعة تريد حرية التصرف فيأبى عليها العرف الاجتماعى إلا أن تقهر ، حتى إذا كثرت الرغائب المقهورة واستطال عليها الزمن بلغ التنازع فيما بينها ذروته وأصبحنا ونحن من أنفسنا فى ساحة حرب تضيع فيها الجهود سدى . ذلك لأن من طبيعة الرغبة أن تمتلك حرية الاستمتاع بالإرادة ، فإذا هى قهرت وانحدرت إلى ما وراء الشعور ، اتخذت لنفسها هناك موقفاً عدائياً لـكل رغبة فيه ، تليدة أو جديدة ؛ حتى إذا ازدادت الرغائب وتمادت على ما هى فيه من تكالب على الظهور ، نشأ عندنا ما يعبر عنه بالقلق الداخلى أو النفسى ، ونحن فى مثل هذه الحالة لا نشعر إلا بذلك الشعور الغامض العميق الذى تسودنا فيه بلبلة الفـكر فلا نعرف ما ينبغى أن يدرك أو يترك . وبهذه الحرب الدائرة بين مختلف الرغائب نستهلك الـكثير ممـا نملك من طاقة عصبية وذهنية ، فيبدو احتياجنا إلى مثل هذه الطاقة فى أعمال وعينا الأخرى ، ونظهر وكأنا عاجزون .

كتاب الامتاع والمؤانسة

حول نقد الأب أنستاس الكرملي

للأستاذ محمود البشبيشي

قرأت ما كتبه العلامة الأب أنستاس فى « الرسالة » الغراء ناقداً طبعة كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى، وقد دفعنى حب الإنصاف والغيرة على الحق والرغبة فى تمحيص المسائل اللغوية إلى كتابة هذه الكلمات مخالفاً فيها الأب أنستاس فى بعض ما أورده من النقدات؛ ويقينى أنه لا يضيق صدراً بها، فهو من رجال البحث الذين لا يبغون من وراء بحثهم إلا الحقيقة وحدها :

١ — رسم الحروف :

خطَّأ الأب أنستاس كتابة (رءوساً . يبدءوا . مشئوم) بصورتها الحاضرة ، ورأى أن الصواب أن تكتب هكذا : (رؤوساً — يبدأوا — مشؤوم) والقاعدة المأثورة تنص على أن (كل همزة بعدها حرف مدّ من جنس حركتها ترسم مفردة كما فى (رءوس ويبدءوا) أو على نبرة إذا لم يمكن فصل ما بعدها عما قبلها كما فى (مشئوم) . وهذا ثابت فى كتب الإملاء (رسم الحروف) ، وقد يكون فيها رأى آخر ، ولكن صحة رسمها على الصورة التى خطأها أمر لا شك فيه

٢ — اللغة

خطَّأ قولهم (نعم وكرامة) ورأى أن الصواب أن يقال : (حباً وكرامة) والعبارتان صحيحتان ، ولكن الجهة منفكة كما يقولون ؛ فقد ورد فى المحيط (أفعلُ هـذا وكرامةً لك) ، وفى الأساس كذلك على معنى (وأ كرمك إكراماً) فالكرامة هنا مصدر ، وفى قولهم (حباً وكرامة) اسم ذات ؛ فكل منهما فى موضعها صحيحة

٣ — الصرف :

خطَّأ (المسكَن) بفتح الكاف ورأى أن الصواب الكسر مع أن القياس الفتح والمحيط والمصباح ينصان على جواز الفتح

إن مجهودنا العصبي محدود بقدر ، فإذا نحن لم نحسن التصرف فيه ونضعه فى موضعه الذى يجدى ظهر عجزنا عما خلقنا قادرين عليه . وما استنفاد هذا المجهود فى صراع الرغائب إلا كذلك الجيش الذى اقتتل أفراده قبل منازلة العدو فأبيد بأيديه ، والفارق هنا أن قتال الرغائب لا يزول ولا يفتر وإنما تزيده الأيام حدة وشدة ، ويختلف مصير المصاب به باختلاف قوة احتماله لهذا العبء الثقيل .

والرغبة لا تقتل مهما استطال زمن جهادها وجلادها فى سبيل استعلائها على أخواتها من الرغائب ، ولا يدركها الفناء مهما امتد بها عهد السكوت فى باطن النفس ، حيث لا يصل وعى ولا شعور ، وإنما تبقى فى القاع تفعل فيما فيه وتنفعل به ، حتى تنفجر من النفس فتثور وتظهر بأعراض قد تصل إلى حد الجنون ، أو تحتال على الوعى ، بالرمز تارة وبالمظهر مرة أخرى ، وتخدعه عن نفسه وتظهر فيه

كل أولئك يفصح لنا عن مدى صراعنا ، ويبعث فينا الرغبة فى الوقوف على تطورات هذا الصراع وما يستخدم فيه من معدات النزال والقتال ، ويود كل امرىء لو يعجل ببدء المعركة الفاصلة ، وانتصار التفريج فيها على القمع والإرهاب

ونشير إلى أن لنا من صراع الرغائب فى عقلنا الواعى مثالاً متناهياً فى الصغر قد يفصح — ولو من طرف خفى — عن هول المعارك التى تدور فى منطقة العقل غير الواعى ، وتلقى خافت النور على مالها من مركز ثقل دائم فيما ندرك وما نترك . وفى الواقع أن الرغائب المتناقضة لا يندر وجودها فى ساحة العقل الشاعر ، فقد تتنازعنا الرغبة فى الراحة وفى الاستمرار على المطالعة ، ونقف لحظة قد تطول وقد تقصر بين هاتين الرغبتين حتى تتغلب الواحدة على الأخرى فنجيب تلك دون هذه ؛ غير أن الشأن فى صراع العقل الباطن يصل إلى مدى يضيق عن تصوره خيال الشاعر العبقرى ؛ ونحن بعد ذلك لا ندرى من أمره شيئاً إلا من أوتى حظاً غير قليل من علم النفس الحديث

حسين الظريفي

والكسر معاً . وخطّأ ضبط الدال الأولى من (جُددٍ) جمع جديد بالفتح والقياس يساعده ولكن ورد فى المصباح ص ٩٥٩ الطبعة السادسة لسنة ١٩٢٥ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة قوله : (بعض بنى تميم يخفف الجمع فى نحو سُرُر وذُلُل بفتح العين (الحرف الثانى) وطَرَدَ بعض الأئمة ذلك فى الصفات فيقال : (ثياب جُدَد) . ولا أدعى أن الفتح كثير ، ولكنى أراه وجهاً أقره بعض الأئمة للتخفيف ونطق به من يوثق بعربيتهم فالتخطئة المطلقة هى محل الخلاف

٤ — الرواية

خطأ رواية بعض أبيات لأعشى باهلة فى رثاء أخيه المنتشر فقال ما معناه : الصواب أن يقال : (أحوى نوءها المطر) بدل (أخطا نوءها المطر) وأن يقال : (لا يضعف الأمر) بدل (لا يصعب الأمر ...) ولتمام الإيضاح نورد البيتين كما أوردهما الشيخ حمزة فتح الله فى المواهب الفتحية (الجزء الثانى) ونصهما :

ينعى امرأً لا تغب الحىَّ جفنته
إذا الكواكب أخطا نوءها المطر

لا يُصعِب الأمرَ إلا ريث يركبه
وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

وظاهر من سياق الكلام أن رواية المواهب صحيحة وقد أخذ بها الناشران وإن المعنى عليها لا غبار عليه ؛ وإذا فلا معنى لهذه التخطئة

٥ — النحو

لايزال الأب أنستاس مصمما على وجوب جمع (أفعل وفعلاء) إذا كانا وصفين على (فُعْل) ولهذا خطأ قول الناشرين (حجارة ملساء) وأوجب أن يقال (حجارة مُلس) . ولنا أن نطلب إلى حضرته نشر خلاصة رأيه الذى أوده فى (مجلة المجمع العربى) ليمكن أن يبحث في روية . ونحن مع تسليمنا بأن هاتين الصيغتين لم تردا فى الفصيح إلا مجموعتين على (فُعْل) نستطيع أن نحكم بجواز استعمال الوصف بهما مفرداً قياساً على قولهم : « إن الجمع بمعنى الجماعة فيجوز وصفه بالمفرد » ولذلك شواهد لا تحصى ، والأصل عدم المنع إلا بنص قاطع ؛ فهل عند الأب أنستاس ذلك النص ؟

إنى لأذكر ما دار بينه وبين الدكتور زكى مبارك حول هذا الموضوع فى مجلة (أبولو) وأعلم رأى الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربى فى تخريج عبارة أبى العباس التى وردت فى (الكامل) وتمسك بها الأب أنستاس ، ولكنى أرجو أن يزيد الرأى إيضاحاً ، والحقيقة بنت البحث .

وخطأ الأب أنستاس هذه العبارة من الاستقصات الأربع جارياً على أن (الاستقصى) مذكر فيجب تأنيث العدد بالتاء خضوعاً للقاعدة المشهورة (تذكير العدد مع المؤنث وتأنيثه مع المذكر) . وهنا أكتفى بإيراد نص عبارة توارد عليها (الصبان والخضرى) فى باب العدد وهى :

(محل وجوب هذه القاعدة إذا ذكر المعدود بعد اسم العدد ، فلو قُدّم وجعل اسم العدد صفةً له جاز إجراؤها وتركها كما لو حذف . تقول مسائل تسع ورجال تسعة وبالعكس كما نقله النووى عن النحاه) ، ثم يقول الشيخان فاحفظها فإنها عزيزة النقل

وبعد فإنى من المقرين للأب أنستاس بسعة العلم وغزارة الفضل .

(المنصورة) محمود البشبيشى

عدنا . . والتقينا

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

التقينا !
والتقينا
عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا !
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا

* * *

بعد عصر
أيّ عصر
والنوى تجرى وسر الحب فى الأكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر
قُضى الأمر كما شاء ، فعدنا والتقينا

* * *

كم بكيتِ ؟
واشتكيتِ
ثم ألممتِ على الغيب فأصغينا وقلتِ :
قلت فى السابع والعاشر من شهر سيأتى
ها هنا سوف ترانى ، فرأينا والتقينا !

* * *

يوم ذكرى
هو أحرى
بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
فى سماء تعبر الشعرى وتدنى كل شعرى
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عامٍ
ثم عام
كان يومٌ ، أىُّ يوم ، فى صفاء وابتسام
يوم لاقى الحبُّ لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

وتدانى ...
وكلانا
زائغ الطرف يناجي الأفق قلباً ولسانا
ثم ماذا ؟ ثم كنْ يا بُعْدُ لى قرباً ، فكانا !
واستعان الحب بالداء حليفاً ، فالتقينا

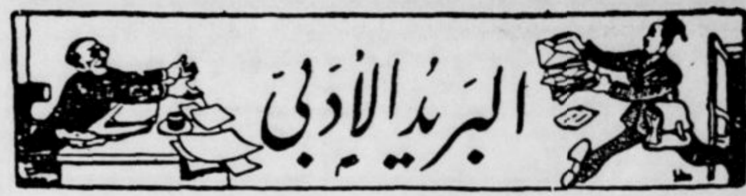
* * *

كم غرام
وسقام
عرفا الحلف على غير سلام ووئام
فإذا ما اجتمعا فانتزعانى من مقامى
فبحسبى منهما أنّا شكونا فالتقينا

* * *

يا فتاتى
يا حياتى
لا تُراعي بعد هذا من فراق أو فوات
قَدَر الله كفيلٌ لك فى ماض وآت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا ... !

عباس محمود العقاد



الأب أنستاس مارى الكرملى فى عيد ميلاده

احتفل الشيخ الجليل الأب أنستاس مارى الكرملى فى ٥ آب بعيد ميلاده السادس والسبعين ، منزوياً فى صومعته الهادئة ، منصرفاً إلى العمل الذى وقف عليه حياته

إن سيرة الأب الكرملى مثال حى للفكرة التى تتسلط على ذهن الإنسان فتعلق بشغاف قلبه ، وتغدو جزءاً من أجزاء نفسه ؛ وأية فكرة هذه التى ملكت لب الأب وهيمنت على جوارحه منذ حداثة عهده ؟

هى اللغة العربية ، وأكْبِرْ بها فكرةً ينزع إليها العقل ، وتروَى عنها النفس ، تراءت له وهو فتى لم يكد يبلغ أشده ، فبهره منها الحسن والسناء ، وقطع لها راضياً عهد المودة والوفاء . وها هو ذا بعد ستين سنة أو تزيد لا يزال وفيًّا بالعهد ، متحمساً للغة الضاد حماسة الشباب الفوّار ، مخلصاً لها إخلاص الشيخوخة المحنكة الحكيمة

كانت اللغة العربية مذ وجدت — ولن تزال — وسيلة للخطاب والتفاهم ، تحمل الأفكار من ذهن إلى ذهن ، وتنقل الأخبار من جيل إلى جيل ، حتى قرّبت بين الناس ، ووصلت بين الأزمنة الغابرة والحاضرة . وإذ أصبحت بعد تهذيب أطرافها وتنميق أسبابها أداة الآداب الرفيعة ، لم تخرج عن كونها وسيلة لا غناء فيها إلا بما اتخذت له من غاية الإفصاح والتبيان . لكن لكلماتها وتراكيبها — مع ذلك — جِرْساً فى الأذن ، ورسماً على القرطاس حبباها أحياناً إلى النفوس ، وقرباها من الأذهان بصرف النظر عن مدلولها ومؤداها

ولقد أشار إلى ذلك أناتول فرانس فى كتابه : « الحياة الأدبية » عند الكلام على معجم جديد ظهر فى اللغة الفرنسية ، فقال إن بودلير كان يقرأ معجمات اللغة ويبتهج بقراءتها ، وأن تئوفيل غوتييه كان مولعاً بالكلمات يحبها حباً جماً ، وأن جوزه ماريادى هريديا كان يجهر بأن مطالعة المعجم تستثيره وتدخل على نفسه من اللذة والسرور ما لا تدخله قراءة رواية « الفرسان الثلاثة » . وأضاف أناتول فرانس قائلاً بأسلوبه الساحر : «أما أنا فلا أجد عادة للكلمات معنى يفوق المعنى الذى تحمله لها المصطلحات ، فقد كنت فى أغلب الأوقات أهيم فى معاجم كبيرة كأنها الرياض الملتفة . وسبب ذلك أنى أرى أن الألفاظ إنما هى صور ، وما المعجم اللغوى سوى عالم قد رتب بحسب ترتيب حروف الهجاء . وإذا نظرنا إلى الأمور نظرة صادقة فإننا نجد أن معجم اللغة إنما هو الكتاب الذى لا يفوقه كتاب ، فإنه يشتمل على التصانيف بأجمعها ، فما عليك إلا أن تستدرجها منه ... وإنى لأشعر فى قلبى بحنوٍّ عظيم إزاء كل كلمات اللغة . إنى أشعر برأفة كبيرة أمام طائفة التعابير البسيطة والفخمة . إنى أحبها كلها ، فهى تستميلنى وتستفزّنى ، وإنى لأمسّ الكتاب الذى يضمها مساً شديداً ينم على مبلغ تأثرى وارتياحى »

غير أن هذه الوسيلة التى يستعملها الناس فى خطابهم ، ويستعين بها الأدباء فى أداء رسالتهم ، قد أصبحت غاية فى حد ذاتها للعلماء الذين انقطعوا إلى دراستها ، ووقفوا حياتهم على استجلاء غوامضها .

فلا عجب أن نهج لغوينا العربى نهج من سبقه من علماء اللغة الأعلام ، من أبى منصور الأزهرى صاحب التهذيب ، وأبى نصر الجوهرى صاحب الصحاح ، ومجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس ، إلى البستانى ، والشدياق ، والشرتونى ، وسواهم من المحدثين ، وأن ترسّم خطى من سلف من أئمة التدقيق والتحقيق من أمثال جونسن وويستر ، وأميل لِتْره ، فاتخذ من اللغة غاية ما بعدها غاية ، يكب على نقد مفرداتها نقد الصيرفى

وما أشبه لغوينا من بعض الوجوه بزميله الإنكليزى صموئيل جونسن الذى سبقه بنيف وخمسين ومائة سنة ! فغيرة الأب على اللغة العربية تشبه غيرة جونسن على لغته الإنكليزية ، وأسلوب الأب المتين اللاذع يعدل أسلوب جونسن (وإن يكن هذا الإنكليزى الصميم لم يرض قط أن ينزل إلى ميدان المساجلات والمناظرات بالرغم عن الحملات التى كثيراً ما حملت عليه .) ومجلس الأب شبيه بالمنتدى الأدبى الذى أنشأه الدكتور جونسن

وصحبه وحضره مؤرخه بُوزْوِلْ ، فسجل مباحثاته ومداولاته .

ومقام لغوينا العراق بين أقطاب العربية معروف مرموق ، وجهاده فى سبيل الفصحى مرئىّ مسموع ، ورأيه فى التمسك بأهدابها مقبول متبوع . ولنا عليه أن يكلل مساعيه الموفقة فى خدمة اللغة الشريفة بإخراج معجمه الكبير الذى وسمه « بالساعد » ، فيتفرغ لإنجازه وتنقيحه وتبييضه ، فهو عصارة سعيه وخلاصة جهده .

(بغداد) مير بصرى

« سعد زغلول من أقضيته »(*)

لم يكن الأستاذ عبده حسن الزيات ينتظر أن أكتب كلمة عن كتابه الجديد « سعد زغلول من أقضيته » ، لأنه يعرف أنى فرطت فى التنويه بمؤلفاته وأبحاثه التى ظهرت من قبل ، وإن كان يعرف مع ذلك أن ثقتى بفضله وكفايته لا تحتاج إلى دليل

الكتاب يُعرَف من عنوانه ، كما يقال ، وعنوان هذا الكتاب غاية فى الدقة والتحديد ؛ ومن غريب ما وقع لهذا العنوان أن الخطاط الذى كتبه — وهو حسنى — قد استطاع أن يبرزه فى أبهى حلة من حلل الجمال ، مع أنه يقع فى أربع كلمات يصعب الربط بينهما برباط الانسجام والاتساق ؛ وما أذكر أنى رأيت الكتاب معروضاً فى أية مكتبة ، إلا وقفت أمتع ذوقى بخط العنوان . فإلى « حسنى » الخطاط تحية خالصة لا يشوبها غير الحرص على إعزاز الفن الجميل

ثم أتحدث عن الكتاب بإيجاز ، فأذكر أنه من أقوى الشواهد على حصافة المؤلف ، وعلى مبلغ فهمه للدراسات الجدية ، وعلى أنه جدير بثقة الذين كرّموه عند ظهور هذا الكتاب النفيس

وأذكر أيضاً أننى ما تحدثت عن الأستاذ عبده حسن الزيات إلا وصفته بصدق الوطنية ، فهو عندى من الشبان النوادر الذين يفهمون الوطنية على وجهها السليم ، وقد جاء كتابه تأييداً لهذا الوصف : فهو خدمة صادقة لمصر ، ممثلة فى إبراز جوانب من الفقه والعدل عند أفراد من رجال القضاء ، على رأسهم « سعد » ،

(*) كتاب فى ٤٠٠ صفحة بالقطع المتوسط ، وفى الرونق المعروف عن « مطبعة الرسالة »

وهذه الخدمة تؤكد ما أشرنا إليه غير مرة من أن رجال القانون فى مصر جعلوا لمصر المقام الأول بين الأمم الإسلامية فى شرح القوانين باللغة العربية ؛ ولو أن الأقدار كانت بخلت بأن يظفر « سعد زغلول » بذلك المجد الضخم ، المجد الوطنى والسياسى ، ثم جاء كتاب الزيات يحدد نفسيته وعقليته من أقضيته ، لكان كافياً فى جعل « سعد » من أعاظم الرجال

هذا الكتاب جيد جدًّا ، فليس من الإسراف أن نرجو عميد كلية الحقوق أن يؤلف لجنة تنظر فيه ، تمهيداً لمنح المؤلف درجة جامعية ، وإغراء لأمثاله من الشبان بالتعمق والاستقصاء

وإذا كانت « ذكرى سعد » هى التى حدت المؤلف فى بعض السنين الماضية على التفكير فى موضوع كتابه الجليل ، فأنا أرجو أن تكون كلمتى عن كتابه فنًّا من الاحتفال بذكرى « سعد » ، سعد القاضى على أعدل ما تكون فكرة القضاء

فإن لم يكن بدٌّ من النص على السرّ فى التوفيق الذى يحالف الأستاذ عبده حسن الزيات ، فأنا أرجح أنه يرجع إلى البر بالوالدَين ، كتب الله له دوام التوفيق ... والسلام

زكى مبارك

تصحيح

نشرت « الرسالة » فى العدد (٤٧٥) كلمة للأستاذ الفاضل حسين الظريفى عن بيت حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاق   فى حب مصر كثيرة العشاق

جاء فيها « على أن فى البيت غلطة نحوية باستعمال لفظة (كثيرة) فهى إن نصبت على الحالية لم يستقم المعنى ، لأن كثرة عشاق مصر لا يكون حالاً من المكابدة ، وإن جرت على الصفة احتاجت إلى التحلية بأل المعرفة ، وبذلك ينكسر الوزن ، وعليه يكون من الضرورة استبدال لفظة (الجمة) بلفظة (كثيرة) ليستقيم الوزن والمعنى معاً » ا . هـ

أقول : وهذه غفلة عجيبة فإن (كثيرة) تصلح أن تكون حالاً وأن تكون صفة ، فإذا كانت حالاً فهى حال من مصر ، والعامل فيها ليس يكابد كما توهم الكاتب ؛ بل هو لفظ (حب)

المضاف؛ والمعنى يكابد العشاق فى حب مصر حال كونها كثيرة العشاق أى حبهم لها فى هذه الحال

وعلى أنها صفة تجرى على الرأى القائل إن إضافة الصفة المشبهة محضة أى إضافة معرفة، وعلى ذلك فكثيرة معرفة

على محمد حسن

فى الشعر التمثيلى

كتب الأستاذ البشبيشى فى العدد ٤٧٣ من الرسالة يقول: (فقد رأيت أن الشاعر البدوى الجليل عبد المطلب كان قد عالج الرواية الشعرية علاجاً استكمل شرائط الفن واستوفى أوصاف الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء ... فقد ألف عبد المطلب عدة روايات شعرية تمثيلية ... وبذلك ينفرد وحده بفضل السبق فى هذه الناحية الخطيرة من الفن الأدبى، فقد افترع هذا اللون من الشعر الروائى افتراعاً) وكل ذلك لم يكن؛ فعبد المطلب وإن عالج الشعر التمثيلى ومشى فيه خطوات لا تحمد ولا تذم، لم يكن السابق ولا المفترع، وإن كان له فضل الاستجابة السريعة لتلك الموجة الجديدة بين شطآن أدبنا العربى الحديث؛ وإنما السابق إلى ذلك، الشاعر خليل اليازجى كما يحدثنا أستاذنا المرحوم محمود مصطفى فى الجزء الثالث من أدبه العربى حيث يقول ص ٤١٣ (وعلى ذكر روايات شوقى التمثيلية نذكر أن أول من حاول جعل الرواية العربية كلها شعراً هو المرحوم الشيخ خليل اليازجى فى رواية «المروءة والوفاء» وقد مثلت فى الشام، ويذكر المرحوم جورجى زيدان أنه شاهدها فى بيروت ١٨٧٨ م) ولا شك أن حادثة كهذه بلقاء فى الأدب قد وصلت إلى سمع الشيخ عبد المطلب، وعلى فرض أنها لم تصل إلى سمعه فقد ملأ الشعر التمثيلى فى القرن التاسع عشر أرجاء أوربا، هذه واحدة؛ أما الثانية فعبد المطلب على فضله لم يستكمل شرائط الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء. فهـذا القول أقرب إلى الغلو منه إلى أى شىء آخر؛ فشعر عبد المطلب فى هـذا الباب لا يصح أن يذكر بجانب شوقى وخولته. فهما وإن اشتركا فى الجنس فقد اختلفا فى النوع أيما اختلاف، وإنك لن تستطيع أن تتم قراءة تمثيلية لعبد المطلب إلا بعد حمل على النفس وإعنات لها وإجهاد. حاشا شوقى فإنه يطير بك فلا تشعر أن لعقلك أو لقلبك منازعة معه، وإنما هى الفحولة الشعرية تفرض عليك أن تطير معها حيثما تطير

عبد الرحمن عيسى
خريج كلية اللغة العربية

من توارد الخواطر

كتب «قاف» فى العدد ١٨٨ من الثقافة تحت عنوان «شخصية العامل وعمله» ما يلى:

تعودنا منذ قريب أن نقول كلما عرضنا للحديث عن شخص من رجالنا العاملين، وحاولنا الموازنة بين عمله وبعض شئونه الخاصة — تعودنا أن نقول معتذرين من بعض سلوكه «هذه مسائل شخصية»

وهو يضرب لذلك الأمثلة ثم يقول: «مستحيل أن يكون الرجل رجلين: رجلاً فى الشارع والبيت، ورجلاً فى الديوان. إن الرجل الذى هنا هو الرجل الذى هناك وإن اختلف الزى والشارة.

فهل يعلم «قاف» أن هـذه الفكرة ذاتها قد وردت فى مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف تحت عنوان «مقتول يبكى على قاتله» فى العدد ٣٧١ من «الرسالة» الصادر فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ حيث قال الأستاذ:

إن هذا التفريق بين السلوك السياسى والسلوك الروحى قد صار أمره عجباً من أعاجيب الحياة الأوربية! وقد بات خطراً على الحياة الإنسانية الشخصية، لأنه تسرب إلى موازين الحكم على الأفراد، فهم يحترمون الذكى ويقدرونه ولو كان شيطاناً شريراً مفسداً ويقولون هناك حياة خاصة يحل للانسان فيها ما يحرم عليه فى الحياة العامة حتى تعددت الشخصيات. ثم يقول بعد ذلك: هـذا كذب وتدليس على الطبيعة كما أرادها الله فاحذروه، «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» إلى آخر المقالة

فهل يرى «قاف» أن هذا من توافق الخاطر؟

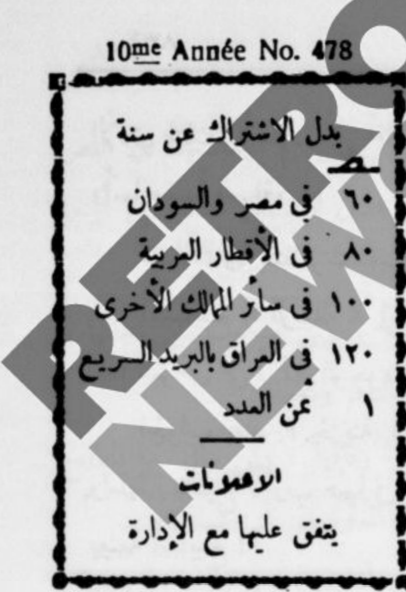
أحمد جودانه

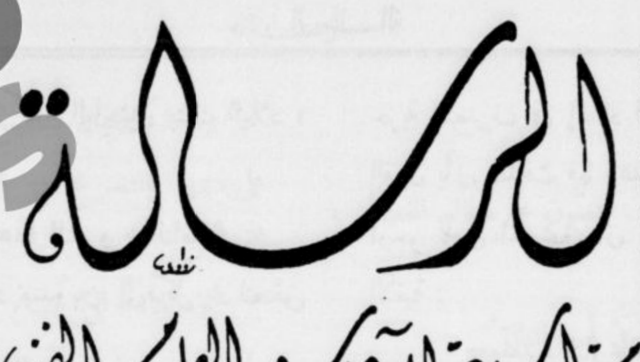
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 478

Lundi - 31 - 8 - 1942





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٧٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحديث ذو شجون

عواطف عربية

للدكتور زكى مبارك

في خطاب من حضرة الأستاذ سعيد العيسى إشارة صريحة إلى أننا لا نهتمّ بالحديث عن الحياة الأدبية في « فلسطين » ، وفي خطاب من حضرة الأستاذ رشاد المغربي عبارة تقول : إن مجلة « الرسالة » لم تنوّه بروايته الجميلة « خطيئة الشيخ » ؛ وفي مقال حضرة الأستاذ عباس العقاد أن جماعة من اللوبيين يأخذون على مصر سكوتها عن الأدب في وطنهم المحبوب

وهذا العتاب ليس بجديد ، وهو يعاد من يوم إلى يوم ، وما دخل أديبٌ مصريٌّ بلداً عربيًّا إلا سمع ألواناً من هذا العتاب ، فهل أستطيع الجهر بكلمة الحق مرة واحدة ، ليعرف الإخوان هنالك أن عليهم تبعات فيما يُنسب إلينا من تقصير وإهمال ؟

ولشرح هذه الكلمة أقول :

أعلنت مجلة « الرسالة » أنها ستصدر أعداداً خاصة بالبلاد

الأدبى لتلك الأعداد من أقلام كبار الباحثين بتلك البلاد ، وأنها ستبدأ بالعراق

فما الذى يُنتظَر لتحقيق هذا المشروع النافع ؟

أتستطيع « الرسالة » إيفاد مندوبين إلى كل بلد لتحقق هذا الغرض على أكمل الوجوه ؟

الجواب عند « خزينة الرسالة » إن كانت تستطيع ، ولعلها تستطيع لأنوب عنها فى زيارة بغداد أو دمشق أو بيروت بضعة أسابيع !

فلم يبق إلا أن نقترح خطة سديدة لتنفيذ الاقتراح بلا عناء والخطة سهلة جداً ، فماذا نصنع إذا أردنا إصدار عدد خاص بالسودان ؟

يقوم « نادى الخرّيجين » بواجبه : فيجمع الموادّ بعناية رجاله ، ثم يرسلها إلى مجلة « الرسالة » قبل انعقاد مؤتمرهم السنوى بأكثر من أسبوعين ؛ وعندئذ يسر مجلة « الرسالة » أن تشترك اشتراكا فعليًّا فى ذلك المهرجان

وماذا نصنع إذا أردنا إصدار عدد خاص بالعراق ؟

يقوم « نادى القلم العراق » بواجبه : فيجمع المواد بعناية رجاله ، ثم يرسلها إلى مجلة « الرسالة » فى الوقت الذى يريد ، فيكون هو المسئول أمام قراء « الرسالة » فى (العراق) ، وهو بحمل هذه المسئولية خليق

وفى العدد الخاص بسورية ، يقوم رجال « المجمع العلمى » بواجبهم : فيصورون ما فى وطنهم من أفكار وآراء وآمال ...

وفى العدد الخاص بلبنان يُلقَى العبء على كاهل إحدى الجمعيات الأدبية هناك ... وكذلك يقال فى سائر البلاد !

تلك هى الخطة السديدة ، ومن توهم أن مجلة « الرسالة » تصدر أعداداً خاصة بلا اطمئنان إلى هيئات تحمل المسئولية ، فهو يهيم فى بيداء الخيال ...

وللأستاذ سعيد العيسى أن يتأمل فى هذه الكلمة إن كان يحب أن نؤدى خدمة صحيحة لوطنه العزيز فلسطين

العدد الخاص بالسودان

أنا أرجو من أخى الأستاذ الزيات أن يتفضل فيترك لى حرية التصرف فى إعداد العدد الخاص بالسودان ، لأستطيع القول بأنى صدقت فيما وعدت به إخوانى هناك . فإن سمح فأنا أرجو نادى الخريجين أن يشير على أعضائه بدرس الموضوعات الآتية :

١ — تحديد التاريخ الذى أشرق فيه الإسلام بآفاق السودان
٢ — المذاهب الفقهية والصوفية بالسودان
٣ — التيارات الفكرية الحديثة فى الحواضر السودانية
٤ — اللهجات العربية فى السودان
٥ — قيمة السودان من الوجهة الاقتصادية
٦ — الأساطير السودانية
٧ — منزلة السودان فى تاريخ الأدب العربى
٨ — المعاهد المصرية فى السودان
٩ — شعراء السودان وكتّابه وخطباؤه فى القديم والحديث
١٠ — مبلغ انتفاع الطلبة السودانيين بالحياة فى المدارس المصرية
١١ — المكتبات العمومية والخصوصية بالسودان
١٢ — الأغانى الشعبية ودلالتها على العواطف السودانية
١٣ — تأثير الأدب المصرى الحديث فى الجيل الجديد بالسودان
١٤ — آراء السودانيين فى الروابط العربية والإسلامية
١٥ — الفكاهة السودانية فى الأشعار والأقاصيص

تلك خمسة عشر موضوعاً تستحق اهتمام نادى الخريجين ، وأنا لا أفرض وإنما أقترح ، فقد تكون لديهم موضوعات أعظم من هذه الموضوعات ، والمهمّ هو المبادرة إلى تحقيق الاقتراح بإرسال الموادّ قبل انتهاء الأسبوع الثانى من شهر رمضان

إن وصلنا إلى إصدار عدد عن السودان بهذا الروح فلن يقول السودان إن مصر تنساه أو تتناساه ، ولن يقول أبناؤه عادلين أو ظالمين إن أشقاءهم فى مصر لا يحفظون عهد الإخاء .

وإلى الفتيان من أعضاء نادى الخريجين أعهد تحقيق هذا الأمل الجميل

أرانى الله وجوههم بخير وعافية ، إنه قريبٌ مجيب

مطلع قصيدة

كان نقاد الأدب من العرب ينصون على مطالع القصائد ، كأن ينوهوا بهذا المطلع :

إنا محيُّوك فاسْلَمْ أيها الطللُ

فهل فى مطالع القصائد لهذا العهد ملامح تذكّر بتلك المعانى الصِّحاح ؟

نعم ، ثم نعم ، فقد نظم الدكتور رشيد كرم قصيدة ليلقيها فى المؤتمر الطبى العربى الذى سيُعقَد فى بيروت ، وكان سيُعقد فى هذه الأيام ، لو سمحت هذه الأيام !

ابتدأ قصيدته فقال :

متى كانت لنا « سينا » حدودا

وأنا أسأل السؤال نفسه فأقول :

متى كانت لنا « سينا » حدودا

ومتى ترفع الحواجز الجمركية بين الأمم العربية والإسلامية ؟

إلى بعض الناس

إن شقاءكم بأنفسكم طال وطال ثم طال ، ولن نملك إبراءكم من ذلك الشقاء ، لأنه أخطر من أن يطب له أطباء النفوس والقلوب

لن تنفعكم الدسائس فى كثير ولا قليل ، فقد كانت الدسائس ولن تزال أسلحة الضعفاء

إستعينوا بالقوة مرةً واحدة ، وحاربوا الحق بسلاح الظلم ، لا بسلاح الإسفاف ، فقد يعفو الله عن الظالمين الأقوياء ، ولا يعفو عن الآثمين الضعفاء

لن أفرّط فى تعليمكم أصول الأخلاق ، فكونوا ظلامين ، ولا تكونوا دساسين ، لأن الظلم قوة ، والدسيسة ضعف ، وباطل الأقوياء أشرف من حق الضعفاء

وطنى وبلادى

إلى الفتيَيْن العظيمَيْن « م . ن ج » و « ع . ع »

— وما اكتفيت بالتلميح إلا لأننى لم أستأذنهما فى النص على اسمهما بالتصريح — إلى هذين الفتيَيْن العظيمَيْن أوجه القول :

إن بلادنا لن تُضام أبداً ، ولن تسكون لغير أهلها ، ولو تألبت عليها جيوش البر والبحر والهواء

بلادنا باقية باقية ، فى عزة وعافية ، ولن تنال منها المطامع الدولية إلا بقدر ما ينال النسيم المعلول من قمم الجبال

بلادنا طوّقت جميع البلاد بأغلال الديون العقلية والروحية ، ولن يتنفس بلدٌ فى شرق أو فى غرب إلا وهو مدينٌ لمصر بديون ثقال

لا تنسوا أن بلادكم دانت الفكر والعقل والروح ألوفاً من السنين ؛ ولا تنسوا أن أكبر مجد يظفر به الأوربىُّ المثقف هو أن يحل رمزاً من رموز آبائكم الأولين

كان الخط المصرى القديم إشارات من ملامح الطير والحيوان ، فما تفسير ذلك ؟

يقول الجاهلون إنه دليل على الطفولة التاريخية

وأقول إنه دليل على العبقرية المصرية ، لأنه يجعل كل حرف كائناً حيًّا من طير أو حيوان ، والحروف خلائق حية عند من يعقلون

ثم ماذا ؟

ثم أذكر أن بلادنا هى التى صدّت المغول الوافدين من الشرق ، وهى التى صدت الصليبيين الوافدين من الغرب ، فكنّا الميزان لأبناء ذلك الزمان

ومن نحن اليوم ؟

برغم قسوة الظروف قد استطعنا أن نقول نحن ، وأن نفى بالعهد ؛ لأن مصر لا تكذب ولا تخون

لن تضام مصر أبداً ، لأنها وطن الرجال ، ولأنها أول وطن غلب الدهر الخوّان

أحبك يا وطنى ، أحبك يا بلادى ، حبًّا لا ينتظر أى جزاء ، لأنه أعظم من أى جزاء !

زكى مبارك

أطوار الوحدة العربية

الصراع بين العرب والترك

للأستاذ نسيب سعيد

حدثنا فى مقالنا الأول عن مراحل الوحدة العربية ، وكيف تطورت فكرة العروبة فى التاريخ ، فبعد أن كانت حلماً ذهبياً جميلاً فى مخيلة محمد على الكبير عزيز مصر خرجت إلى الوجود وأصبحت حقيقة واقعة ؛ فالمرحلة الأولى إذن انقضت والوحدة العربية لا تزال حلماً من الأحلام ، أما المرحلة الثانية فقد طبعها الجهاد فى سبيل تحقيق هذا الحلم بطابعه الخاص . وقد استهل هذا الجهاد العربى المبين بالنضال بين أبناء العروبة الأبرار وبين الأتراك وانتهت هذه المرحلة من سلسلة تاريخ القضية العربية عام ١٩١٨ وتشمل حوادث الفترة الممتدة من إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ حتى دخول الجيش العربى إلى دمشق فى أول أكتوبر سنة ١٩١٨ ، وإنشاء الحكومة الفيصلية فى ربوع الشام

ولئن ذهب بعض المؤرخين المعاصرين من الشرقيين والغربيين إلى اعتبار ما حدث فى العهد الحميدى التركى من حوادث فردية لا انسجام بينها ولا ارتباط كصدور كتاب أم القرى وطبائع الاستبداد ، ونشر كتاب يقظة العرب فى آسية التركية بالفرنسية فى باريس عام ١٩٠٥ من مقدمات الحركة العربية وطلائعها ، أو إنشاء الجمعية السرية التى أنشئت فى بيروت خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فالنهضة العربية المادية الحقيقية لم تبدأ إلا بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وقد قامت على دعامتين جديدتين : حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، فقد كفلها النظام الحكومى الجديد لسكان تلك المملكة ، فانطلقت الألسنة والأقلام ، وارتفع الضغط عن الأفكار ، وانتشرت العلوم ، فساعد هذا الانقلاب وهو خطير الشأن على إيقاظ العرب ، فأدركوا أنهم كمية مهملة فى العالم ، وأن لهم حقوقاً يجب أن ينالوها ، وكرامة يجب أن تصان ، ومجداً يجب أن يعملوا لإحيائه وتجديده.

وصدرت صحف عربية عديدة فى ظل النظام الدستورى الجديد فى دمشق وبيروت والقدس وبغداد والبصرة وغيرها من بلاد العرب ، وفى الآستانة نفسها ، وإلى هذه الصحف ، وبصورة خاصة إلى الصحف العربية التى كانت تصدر فى القطر المصرى الحبيب ، يعود معظم الفضل فى تكوين « الرأى العام العربى » وإنشائه ، وبث الروح القومية بين طبقاته

ولم يغتفر لها الترك ذنبها يوم نصبوا الميزان فى عاليه لمحاكمة أحرار العرب ، فكان الصحافيون أكثر الطبقات ضحايا ، فقد استشهد منهم فى هذه المرحلة الكثيرون ، وحكم فى هذا الدور بالإعدام غيابيًّا على فريق من رجال الصحافة فى مصر ؛ ويأتى رجال الجمعيات والأحزاب السياسية بعد الصحافيين . ولئن كان ضحايا هؤلاء أقل من أولئك ، فما ذلك إلا لعجز الترك عن اكتشاف أسرار الجمعيات السرية لما تذرع به رجالها من تكتم شديد خلال التحقيق والمحاكمة . ومن تحصيل الحاصل القول بأن المنتدى الأدبى فى الآستانة كان أكثر الجمعيات العربية ضحايا ، لأنه كان أشهرها وأهمها ، ولأنه كان مقر الدعاية العربية فى الآستانة ؛ فانتقم الترك من مؤسسيه انتقاماً مريعاً . ويأتى حزب اللامركزية بعد المنتدى الأدبى العربى ، فقد فتك الترك بكل من استطاعوا القبض عليه من رجاله ، كما حكموا على المقيمين بمصر كافة بالإعدام . ثم يأتى بعد ذلك عنصر الضباط العرب فى الجيش التركى ، فكانوا يرسلونهم إلى خطوط النار فى ميادين الحرب ، وقد استشهد كثيرون منهم على هذا المنوال

ولا بد لنا من القول بأن « القضية العربية » مرت فى هذه المرحلة بثلاثة أدوار :

١ — يبدأ الدور الأول بإعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، وينتهى بإعلان الحرب العظمى عام ١٩١٤ ؛ فقد نهج العرب فى خلاله نهج الأمم الناهضة العاملة للحرية والاستقلال ، فألفوا الجمعيات السرية ، وأصدروا الصحف ، ونظموا القصائد الحماسية القومية ، وأنشأوا الأحزاب السياسية ، وعملوا على التنظيم الداخلى ، وأنشأوا الروابط بين لجانهم وجمعياتهم وأنديتهم ،

واستعدوا للعمل الكبير الذى وضعوا نصب أعينهم القيام به ، تحقيقاً لحلم عزيز مصر العظيم محمد على باشا

ولا يسع الباحث فى أعمال هذا الدور إلا الإعجاب بما يشهده من انتظام وتضامن وتعاون بين أبناء العرب فى جميع الأقطار والأنحاء

٢ — أما الدور الثانى ، وهو دور الإرهاب والظلم ، أو دور مطاردة رجال «القضية العربية» وأحرار العرب ومفكريهم ؛ فيبدأ من أوائل عام ١٩١٥ ، أى من زمن وصول جمال باشا السفاح إلى دمشق وإصداره أمره بإلغاء كتيبة الضباط العرب الشباب من خريجى المدارس العليا ؛ وكانوا يمرنونهم فى دمشق ويعدونهم ليكونوا ضباطاً ، على أثر ما سمعه من أناشيدهم القومية ؛ فأرسلوا إلى ميادين القتال فى شتى الجهات ، وهلك معظمهم . وينتهى هذا الدور بإعلان الثورة العربية الكبرى رسميًّا يوم ١٠ يونيو سنة ١٩١٦

على أن أقطاب الاتحاديين قرروا فى شهر يناير عام ١٩١٤ ، أى قبل وصول جمال باشا إلى سورية بسنة تقريباً اتخاذ تدابير متعددة للقضاء على الحركة العربية ، وتتريك العرب ، إلا أن تأثير هذه التدابير ظل محدوداً ، لأنها سلبية فى طبيعتها لا تتعدى المقاومة الخفية . ولقد تحول الحال حينما أعلنت الحرب العظمى عام ١٩١٤ ، وبسطت الأحكام العسكرية ، ونصبت المحاكم العرفية وأوقف البرلمان ، ووضعت المراقبة ، وعطلت الصحافة ، وانطلقت أيدى الاتحاديين فى البلاد العربية يفعلون ما يشاءون ، لا رقيب ولا حسيب . ويلوح لنا أن اختيار جمال باشا لمنصب القائد العام فى بلاد العرب — وهو المعروف بشدة الشكيمة ، والميل إلى سفك الدماء — وتحويله إلى سلطة لا حد لها ، ليس من قبيل الصدف ، بل هو نتيجة خطة أحكم الترك تدبيرها ، وأرادوا من ورائها الفتك برجال العرب ومفكريهم وشبابهم الذين أشربوا الروح القومية أملاً بأن يخرجوا منصورين من الحرب الكبرى ، وكانت الدلائل تدل فى سنيها الأولى على أن النصر سيكون فى جانبهم ، فينفذون سياسة التتريك ، ويقضون على كل نغمة عنصرية ، وينشئون امبراطورية طورانية تحيى مجد جنكيزخان وتيمورلنك ، وبقية عهد الذئب الأغبر

لا تلحق تبعة ما جرى فى ذلك العهد الدموى جمالاً وحده ، بل تشمل أقطاب الاتحاديين الذين كانوا مسيطرين على البلاد العثمانية وفى مقدمتهم أنور باشا وزير الحربية ووكيل القائد العام والدكتاتور الحقيقى ؛ فقد كان مصدر كل سلطة فى الدولة . وقد استمد نفوذه من سيطرته على الجيش ، ولو أراد لوضع حداً لتلك الأعمال ، ولكنه تغاضى عنها ومنح جمالاً كل ما طلبه من سلطة ، ووضع تحت تصرفه كل ما أراد من قوى . على أن سير الحوادث ، وقد جرت على غير ما يشتهونه جعل أنور يعدل عن تلك السياسة فيضيق اختصاص صاحبه ويسلبه ما كان منحه إياه ، يؤيد ذلك ما جرى حين النظر فى قضية خان الباشا بالشام والحكم على أحرار العرب ، فهو لم يجسر على إعدام الذين ألح بإصدار الحكم بإعدامهم بل أرسل الإعلام إلى ديوان التمييز العسكرى لفحصه عملاً بالأوامر الجديدة ، وقد سلبت منه اختصاصاته فعاد منقوضاً يقول إنه لا وجه لإقامة الدعوى على أحد لأن الجرم الذى حوكموا لأجله لم يدخل فى حيز التنفيذ

وينقسم العمل السياسى فى خلال هذا الدور إلى ثلاث حلقات :

(ا) فالحلقة الأولى تبدأ من إعلان الحرب العظمى أى من شهر أغسطس عام ١٩١٤ حتى شهر أغسطس سنة ١٩١٥ وقد انضم العرب فى خلال هذه الفترة إلى الدولة قلباً وقالباً وأيدوها رغم ما كان بينهم وبين الاتحاديين ، ورغم ظهور دلائل تدل على سوء نية هؤلاء ، وترقبهم دوائر السوء بالعرب لأنهم أدركوا أن الاحتلال التركى أهون من الاحتلال الأجنبى مهما كان الحال وأقل شراً ، ولأنهم اعتقدوا أنهم لا يعدمون وسيلة للتفاهم مع أوليائها حينما تضع الحرب أوزارها ، وتنقشع غمامتها . وأطمع هذا العطف الاتحاديين كما غرهم ما كانوا ينعمون به من قوة ومن سلطان عظيم لم ينالوا مثله فى غابر أيامهم فقالوا إنها فرصة ثمينة لا يجود الدهر بمثلها ، فأقدموا على تصفية حساب الحركة العربية ، ونصبوا الميزان فى عاليه كما نصبوه من قبل فى أشقودرة يوم أرسلوا شوكت طورغود إلى ألبانيا فى سنة ١٩١١ للقضاء على الحركة الألبانية القومية فعجلت أعمالهم تلك فى إخراجهم من ألبانيا وطردهم من البلقان ، كما عجلت حركة عاليه على إخراجهم من بلاد العرب وطردهم منها .

ولا يسع المؤرخ النزيه إلا التنويه بإخلاص العرب للدولة

فى هذه الفترة ، وإذا اضطروا إلى الاتصال بأعدائها بعد ذلك وتعاونوا معهم على هدمها أو القضاء عليها ، فالذنب ذنب الترك أنفسهم قبل أن يكون ذنب العرب والتبعة لاحقة بهم وحدهم ، فلو جزوا العرب على إخلاصهم بإخلاص ، وصافحوا اليد الممتدة إليهم ، وتغاضوا عن كل حادث فى الماضى وهو ما جرى العرف أن يحدث فى الشدائد ، وأى شدة أعظم من تلك الحرب ، لما وقع ما وقع ولما كان ما كان

(ب) وتبدأ الحلقة الثانية بعد إعدام الرعيل الأول من شهداء العرب ومجاهديهم الأبطال ، فقد كشر (جمال) السفاح عن أنيابه وتنكر للعرب ، ولبس ثوب الأسد بعد ما نزع ثوبه الجميل ، وأخذ ينادى بأنه لا بد من عقاب الخونة ، والخونة فى عرفه واصطلاحه هم أحرار العرب ، والناهضون المجاهدون من رجالهم ، مع أنه دعا هؤلاء فى الخطبة التى خطبها فى النادى الشرقى شهر يناير عام ١٩١٥ إلى إحياء شهامة العرب ، وإعادة مجد العرب . ولا بد لنا من الاعتراف بأن العرب فوجئوا بأعمال جمال السفاح مفاجأة ، فتشتت رجال الجمعيات فى كل ناحيـة من أنحاء السلطنة العثمانية بعضهم منفى ، وبعضهم سجين ، وبعضهم مقتول ، وأرسـل آخرون إلى ميـدان الصراع العالمى ، وجند آخرون فى الجيش ، وفرَّ غيرهم . أضف إلى هذا أن الصلة كانت مقطوعة بين الشام وبين العراق والحجاز من أقطار العرب فضلاً عن العالم الخارجى لصعوبة السفر والانتقال فى تلك الأيام العصيبة السوداء ، ولوجود مراقبة شديدة على المراسلات . والحقيقة أنه لم يبق خارج القفص في تلك الأيام سوى عدد ضئيل جدًا كان يقيم فى دمشق على حذر ووجل يترقب القبض عليه من ساعة إلى ساعة ، ويودع أهله وأسرته عند خروجه من المنزل فى الصباح لأنه قد لا يعود إليهم فى الظهيرة ، وكذلك يودعهم فى الأصيل لأنه ما كان واثقاً من الرجوع إليهم فى الغسق . فهـذه الفئة القليلة كان بقاؤها فى الفيحاء بفضل عوامل محلية خاصة ؛ فبعضها أقام بصمانة الوالى خليص بك والى الشام كالمرحوم الدكتور شهبندر ، وبعضها أقام فى جلق لأن الوحدة العسكرية المنسوب إليها كانت تقيم فيها كالدكتور أحمد قدري ، وبسن الهاشمي وغيرهما ، نقول إن هذه الفئة هى التى اتصلت بالأمير فيصل عند مروره من دمشق فى غدوه إلى الآستانة ورواحه منها . وهى التى أطلعته على ما يقاسيه العرب من الترك ، فنقل شكايتها إلى رجال الدولة ، وعمل على تعديل هذه السياسة فى دمشق وفى الآستانة فلم يوفق . وهى التى نفخت فيه روح الثورة ، وكان معروفاً فى إعلان الحرب العظمى بمصافاة الترك قائلاً بعدم الخروج عليهم مهما كانت الظروف . وهى التي أقنعته بوجوب العمل لإنقاذ العرب من خطر محقق ؛ فضم جهوده إلى جهود أخيه الأمير عبد الله ، وكان متصلاً بالبريطانيين فتقررت الثورة ووضعت أسسها . ومما لا ريب فيه أنه كان للعامل المحلى والشخصى يد لا تنكر فى إعدادها وتكوينها

(ج) وتبدأ الحلقة الثالثة بمؤتمر الطائف فى خريف سنة ٩١٥ وقد قرر إعلان الثورة العربية ، وإعداد معداتها فى الداخل ، والاتصال برجال بريطانيا العظمى فى الخارج . وقد سارت الأمور على أفضل ما يرام ، فأقام الأمير علي فى المدينة يستميل القبائل الضاربة فى تلك البطاح ، وأخذ عليها العهود والمواثيق ، كما انصرف الأمير عبد الله من ناحية إلى جمع كلمة قبائل العرب فى الطائف وإعدادها لليوم العصيب

أما الأمير فيصل ، فـكان يقيم فى دمشق يفتل خيوط الرأى ليجد مخرجاً يخرجه من معتقله ، فقد استبقاه الترك رهينة يهددون بها والده ، ويغلون يده عن كل عمل ، ولولا تخلصه منهم بكل لباقة وإفلاته من قبضتهم الحديدية لتأخر إعلان الثورة ولسارت الأمور فى غير هذا الاتجاه . وامتدت المكاتبات بين الحسين أمير الحجاز يومئذ والإنجليز سنتين وأشهراً ، وانجلت عن تلك العهود التى بذلها السر هنرى مكماهون للعرب باسم حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبالإضافة إليها

(د) ويبدأ الدور الثالث بإعلان الثورة العربية الكبرى رسمياً ، ونزول العرب إلى ميدان الصراع والنضال وينتهى بإرسال الحسين أمير الحجاز يومئذ بلاغه الشهير إلى الدول العظمى يوم ٣٠ أغسطس عام ١٩١٨ مما سنفصله فى حديثنا المقبل فقد ضاق النطاق اليوم ، فإلى اللقاء ...

(دمشق) نسيب سعد
المحامي

مفاوضات الفتح العربى لمصر

للأستاذ السيد يعقوب بكر

[هذا البحث قسمناه قسمين : فنى القسم الأول حققنا هذه المفاوضات من الوجهة التاريخية ووصلنا إلى التسليم بصحة وقوع بعضها ونفى وقوع البعض الآخر . وفى القسم الثانى حاولنا أن نتلمس الروح المسيطرة على طرفى كل مفاوضة صح عندنا وقوعها]

القسم الأول

(١) المفاوضة الأولى

١ — ذكرها أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ١٣ — ٢٤ ط دار الكتب) نقلاً عن ابن كثير فى تاريخه المسمى بالبداية والنهاية . قال : « لما استكمل المسلمون فتح الشام ، بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص إلى مصر . وزعم سيف : أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوّام وفى صحبته بُسر بن أبى أرطاة وخارجة بن حذافة وعمير بن وهب الجمحى ، فاجتمعوا على باب مصر ، فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام فى أهل النيات ، بعثه المقوقس صاحب الإسكندرية لمنع بلادهم .

فلما تصافوا قال عمرو بن العاص : لا تعجلوا حتى نعذر إليكم . ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد فبرزا إليه ، فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا : إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ، وأدّى إلينا كلّ الذى أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة . وقد أعلمنا أننا مفتتحوكم وأوصينا بكم حفظاً لرحمنا منكم ، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ؛ ومما عهد إلينا أميرنا : « استوصوا بالقبطيين خيراً » فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيراً لأن لهم ذمّة ورحما فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء ، معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك منهم ، فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا ، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام . مرحباً به وأهلاً وأمناً حتى نرجع إليك .

فقال عمرو : إن مثلى لا يخدع ، ولكنى أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما ، وإلا ناجزتكم ؛ قالا : زدنا ، فزادهم يوماً ؛ فقالا : زدنا ، فزادهم يوماً ؛ فرجعا إلى المقوقس ... »

فواضح من هذا الكلام أن هذه المفاوضة وقعت عند باب مصر بين عمرو بن العاص من جانب وأبى مريم جاثليق مصر والأسقف أبي مريام من الجانب الآخر

٢ — وذكرها ابن الأثير (ج ٢ ص ٤٤٠ — ٤٤١ ط ليدن) . قال : « فأخذ المسلمون باب اليون وساروا إلى مصر فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم لا تعجلونا حتى نعذر إليكم ؛ وليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام فكفوا وخرجا إليه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبي (ص) بأهل مصر بسبب هاجر أم إسماعيل عليه السلام ؛ فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء . آمنّا حتى نرجع إليك . فقال عمرو مثلي لا يخدع ؛ ولكنى أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا وأمر بمناهدتهم »

فواضح من هذا أن ابن الأثير متفق مع ابن كثير فى مكان المفاوضة وطرفيها

٣ — وذكرها ابن خلدون (ج ٢ ص ١١٤ — ١١٥ ط بولاق) . قال : « ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو ابن العاص فى فتح مصر فأغزاه ، ثم أتبعه الزبير بن العوام ، فساروا سنة عشرين أو إحدى أو اثنين أو خمس فافتتحوا باب اليون ثم ساروا فى قرى الريف إلى مصر . ولقيهم الجاثليق أبو مريم والأسقف قد بعثه المقوقس . وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم وأجلهم ثلاثاً ورجعوا إلى المقوقس »

فواضح من هـذا أن ابن خلدون متفق مع ابن كثير وابن الأثير

٤ — وذكرها الطبرى (مجلد ٥ ص ٢٥٨٤ — ٢٥٨٩ ط ليدن) . قال : « خرج عمرو بن العاصى إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة حتى انتهى إلى باب اليون واتبعه الزبير فاجتمعا فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف فى أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم : لا تعجلونا لنُعذر إليكم وترون رأيكم بعد؛ فكفوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو أنى بارز فليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام؛ فأجابوه إلى ذلك وآمن بعضهم بعضاً . فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا ... » ويذكر بقية الحديث بما يوافق ما ذكره ابن كثير تماماً

فواضح من هذا أن الطبرى متفق مع المؤرخين الثلاثة فى طرفى المفاوضة ، ولكنه يختلف عنهما فى مكان المفاوضة ، فيقول إنها كانت عند باب اليون ويقولون إنها كانت عند مصر .

نترك الآن المؤرخين العرب وننتقل إلى كتاب حنا النقيوسى المؤرخ القبطى المشهور فلا نجد فيه ذكراً لهذه المفاوضة

ويقول الأستاذ بتلر فى كتابه « فتح العرب لمصر » (ص ١٩٠ من الترجمة العربية) بصدد هذه المفاوضة : « والظاهر أن قصة بعث المقوقس باثنين من الأساقفة وهما أبو مريام أو (أبو مرتام) وأبو مريم لمفاوضة العرب لم تكن سوى قصة بعث بها الوهم . فلم يكن بين الأساقفة أحد بتلك الأسماء ، ولعل تلك القصة لم تنشأ إلا من الخطأ العظيم الذى وقع فيه مؤرخو العرب عند ما قرأوا أخبار هذه الحوادث ، وقد اختلطت فيها حوادث التاريخ بالخرافات اختلاطاً فاحشاً ، ومسخها النساخون عند نقلهم منها منذ لم يتحروا فيها الدقة . ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقول إنه قد جاءت جماعة عليها أحد الأساقفة وإنهم فاوضوا عمراً فى ذلك الوقت »

والأستاذ بتلر يقول هذا القول أثناء حديثه عن سير العرب الفاتحين إلى بلبيس ، مما يفهم أنه يرى أن هذه المفاوضة كانت فى بلبيس لا فى مصر كما يقول ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون. ثم هو يرى بعد ذلك أنها لم تكن بين عمرو من جانب وأبى مريم ومعه أبو مريام من الجانب الآخر؛ بل كانت بين عمرو وجماعة عليها أحد الأساقفة

ونحن لا نملك رفض ما يقوله الأستاذ بتلر ؛ فنحن لا نملك رفض قوله بحصول المفاوضة فى بلبيس ، لأن اتفاق ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون على أنها حصلت عند مصر وتفرد الطبرى بأنها حصلت عند حصن بابليون مما لا يمكن التعويل عليه لما عرفناه ولمسناه من خلط مؤرخى العرب فى كلامهم عن حوادث الفتح . أضف إلى ذلك أن جعل المفاوضة عند بلبيس أكثر ملاءمة لسير حوادث الفتح من جعلها عند مصر . والقارئ لحوادث الفتح يدرك هذا تمام الإدراك . ونحن بالطبع ليس لنا أن نطالب الأستاذ بتلر بالمصدر الذى اعتمد عليه فى القول بأن المفاوضة حصلت فى بلبيس، وذلك لأنه لم يعتمد فى ذلك على مصدر ما وإنما قال به توفيقاً منه بين حوادث الفتح العربى التى تعرضت لشىء كثير من الخلط

نذر مقبــول

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

أرأيتِ حين نذرتِ ؟ ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لبّاك ؟ من ذا أجاب مُناك ؟
قدّيسة عطفت على المكنو ن من نجـــواك
ووعدتهـــا نوفيتِ

* * *

قدّيسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يعيب هواك ؟ من ذا إذن يلحاك ؟
والعـذر عذر صبابتى والحق حـــق صباك
كذبوا إذن وصدقت !

* * *

بالشمع كم أغريتها أتراك أنت خدعتها ؟ !
كلا . وما أقـــواك فى خــدعة وشباك !
فالنــور لب غذائها والنــور صفو رضاك
شُـــغفت به وشُغفت

عباس محمود العقاد

والتشويه فى معظم المصادر العربية وغير العربية

هذا من ناحية مكان المفاوضة، وأما من ناحية طرفيها فنحن لا نستطيع رفض قوله فى ذلك أيضاً، لأننا لا نملك على ذلك الرفض قدرة علمية، ولا سيما أنه عاد فى الملحق الثالث من ملاحق كتابه فأكد قوله وقوّاه. قال (ص ٤٥٠ — ٤٥٢):

« (٢) أبو مريم. وصف الأستاذ (لين بول) هذا الشخص بأنه «جاثليق» مصر، وأنه انضم إلى جيش عمرو. ولفظ جاثليق لامعنى له إلا (بطريق)، وأول من ذكره من مراجعنا الطبرى، فقد جعلته معلوماته الفارسية يذكر ذلك اللفظ على أنه اسم كبير أساقفة مذاهب النسطوريين والأرمن. ويكثر ذكره فى كتب سبيوس وسواه، ويعرفه دكانج Du Cange حق المعرفة. والحقيقة أن الطبرى نفسه يفسر ذلك اللفظ بأنه كبير أساقفة النصارى، ولكنه يقول بعد ذلك عبارة محيرة وهى أن اسمه كان «ابن مريم». ويمكننا أن نسلم بأنه قد كان فى مصر رئيسان للأساقفة أو بطريقان فى وقت الفتح وهما قيرس وبنيامين؛ ونزيد على ذلك أنه قد يجوز أن بطريقاً ثالثاً كان موجوداً عند ذلك وهو بطريق مجهول (للجايانيين)، ولكن ذلك غير مهم فيما نحن فيه. وابن مريم لا يمكن أن يكون هو (قيرس)؛ ولكنه قد يمكن أن يكون المقصود به (بنيامين). ونرجو أن نستطيع البرهان على أن ذلك هو المقصود؛ فإنه فى مدة ابن الأثير كان الاسم قد حرف إلى (أبو ميامين)، فى حين أن أبا المحاسن يذكر - وهذا طبعاً صحيح - أن الأسقف القبطى فى الإسكندرية كان اسمه بنيامين. ويذكر السيوطى أن الأسقف القبطى هو (أبو ميامين) وليس على المرء إلا أن يقرن هـذه الحقائق بعضها إلى بعض فيرى لأول نظرة أن من أسهل الأمور تحريف اسم (أبا بنيامين) إلى (أبو ميامين) ثم إلى (أبو مريم)، فى حين أن (ابن مريم) يجوز أن يكون تحريفاً للاسم بنيامين؛ فإن كتاب العرب كانوا يعرفون أن اسم مريم اسم يجله النصارى إجلالاً عظيماً، فأخطأوا فى لفظ (أبا) فظنوا أنه اللفظ العربى (أبو)، فى حين أنه نُزع الجزء الأول من (بنيامين) وهو (بن) وخُلِط باللفظ العربى (ابن) ونشأ من ذلك الخلط أسماء عجيبة زادها تحريف النساخ خطأ فذهبوا إلى تسمية الأسقف باسم (أبو مريم) و(ابن مريم).

ونستطيع الآن أن نستبعد اسم (أبو مريم) ونحن واثقون من أن ذلك الاسم لم يكن، وكذلك أسماء (أبو مرتم) و(ابن مريم) و (أبو ميامين)؛ وأن نجعل مكان هذه الصور الغريبة اسم (بنيامين) الذى كان كبير أساقفة القبط فى الإسكندرية. غير أنه لا يكفى أن نستبعد هذه الخيالات فإنا إذا سلمنا أن الشخص التاريخى المقصود هو بنيامين فإنه من المحال أن نقبل ما قيل عنه من أنه اشترك مع عمرو أى اشتراك فيما ذكر عنـه، فلم يحاربه ولم يفاوضه. وأما ما ذكره الطبرى ومن اتبعه كابن الأثير عن بنيامين فإنه قول سخيف. فقد جعلوه قائداً حربيًّا تحت حكم المقوقس. وقد سعى الطبرى إلى جعل خبره مقبولاً لا تناقض فيه فجعل المقوقس أميراً للقبط؛ ولكن كل الأدلة المستمدة من المؤرخين المصريين تدل على أن هذين الرأيين غير صحيحين (وكان الطبرى غريباً عن مصر، ولكنه زارها).. فالمؤرخون المصريون مجمعون على أن بنيامين بقى مختفياً فى الصعيد مدة عشر سنوات قبل الفتح العربى، وثلاث سنوات فى مدة الفتح. ولو لم يكن لدينا غير ما كتبه ساورس «حياة بنيامين» لكان ذلك كافياً للبت فى هذا الأمر. غير أن كل المؤرخين من حنا النقيوسى إلى ما بعده متفقون في هذا الرأى. فكيف إذن نستطيع أن ندرك علة ما يعزوه مؤرخو العرب إلى بنيامين من الاشتراك فى الأمور عند الفتح؟ والتعليل هو ما يلى: أنهم وجدوا فى الأخبار القديمة أو الروايات السابقة أن زعيم الدافعين والرئيس الذى فاوض فى شروط الصلح مع الفاتحين هو كبير أساقفة الإسكندرية، ووجدوا بعد الفتح وفى التاريخ القبطى أن كبير الأساقفة في الإسكندرية المعترف به هو بنيامين؛ وفوق ذلك لقد كان بنيامين هو الذى جاء إلى عمرو وصالحه فى وقت الفتح الثانى للاسكندرية عند ثورة منويل؛ فاختلط هذا الخبر بالصلح الذى كان مع قيرس؛ وعلى ذلك اختلط الشخصان وعُزى إلى بنيامين ما فعله قيرس عند الفتح »

فبقى علينا إذن أن نأخذ رأى الأستاذ بتلر فى هذه المفاوضة

(للبحث بقية) السيد يعقوب بكر

مشاركة الأدب الانجليزى في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »(*)

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

١ — العصور الوسطى

كان رأى الباحثين مجمعاً منذ مدة على أن أولى الاتصالات الثقافية المهمة بين الإسلام والفرنك كانت نتيجة للحروب الصليبية . وفى الحق أن الحروب الصليبية هى الفرصة الأولى التى اجتمع فيها الشرق العربى بالغرب المسيحى اجتماعاً قريباً ، وحصلت من جراء ذلك مبادلات ثقافية ؛ غير أن الدراسات التاريخية المتأخرة أبانت أن هذه المبادلات كانت محدودة من ناحيتى المجال والمفعول ؛ وهو أمر يجب أن يكون منتظراً بسبب سيطرة الناحية العسكرية في ذلك الدور . ولقد وصل الفكر العربى عن طريق آخر إلى الغرب بصورة عامة ، وإلى انجلترا بصورة خاصة

لقد دخل العرب المنتصرون إلى أوربا بعد غزوهم شمال أفريقية ، واستعمروا منطقتين فى حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة هما : اسبانيا وصقلية ، وأنشأوا لهم مدنية بالغة فى التقدم ما لم يكن يوازيه أى تقدم آخر فى الأراضى المسيحية فى ذلك الحين . ذلك التقدم الذى لم يعجز عن التأثير على معاصريهم من المسيحيين ، حتى أنه بعد أن استعاد المسيحيون تلك البلاد ظلت التعاليم العربية مزدهرة مدة طويلة . وكان الملوك المسيحيون يتكلمون العربية ، ويؤازرون العلماء العرب ، وبقيت الثقافة العربية العالية نافذة فى بلاد الفرنك ، وأصبح المسيحيون الذين يتكلمون العربية فى أسبانيا واسطة مهمة لبسط ذلك النفوذ ، كما أن اليهود الذين ينطقون بالعربية فى أسبانيا وصقلية — والذين كانت لهم لغة عامة هى العبرية — مع مشاركيهم فى الدين من الفرنك ، كانت لهم يد طولى فى نشر الثقافة العربية فى الغرب .

وينبغى أن نشير فى هذا المقام بصفة خاصة إلى الفيلسوف الأسبانى اليهودى « ابراهام بن عزرا » من مدينة طليطلة الذى زار لندن فى سنتى ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، واشتغل بالتعليم هناك مدة ؛ كما أن الإنجليزى « توماس براون » ولى القضاء فى صقلية ، ويذكره العرب فى كتاباتهم باسم « القائد برون »

وفى القرن الثانى عشر أخذ العلماء يفدون من الشمال ، وعلى الأخص من انجلترا ، لزيارة الجامعات العربية فى أسبانيا فى سبيل تحصيل العلم ، وكان أول كبير من هؤلاء هو الإنجليزى «أديلارد» من مدينة (باث) أحد رواد الثقافة العربية فى الغرب

وقد ساح « أديلارد » فى الربع الأول من القرن الثانى عشر فى إسبانيا وسورية ودرس اللغة والعلوم العربية ، وترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللاتينية لفائدة معاصريه من المسيحيين ، واشتغل فى عودته ترجماناً للملك هنرى الثانى — ولم يصر بعد ملكاً — وكان قد أهدى إليه أحد كتبه أيضاً . ويتألف أهم كتبه وهو « القضايا الطبيعية » من حوار بينه وبين قريب له درس فى الجامعات الفرنكية بينما درس « أديلارد » بين العرب . وعلى ذلك فإن الجدل الذى يقوم بين الاثنين يتطرق إلى المقابلة بين الدراستين ، وقد قال فى مقدمة كتابه هذا : « إنى سأدافع عن قضية العرب ، لا عن قضيتى » وشدد فى نهاية كتابه على تفوق الطريقة العربية كما ساعد بنفوذه على نشرها فى الغرب ، فترجم عدداً من الكتب العربية فى علم الهيئة والرياضيات وبذلك مد فى نشر هذه العلوم فى أوربا .

وقد اقتفى أثر « أديلارد » كثيرون من الإنجليز . فقد درس « روبرت » — وهو من أهالى جستر — فى القرن الثانى عشر أيضاً ، الرياضيات وترجم الكتب العربية . وهناك شخصية طريفة هى شخصية « دانيل مورلى » الذى يحدثنا عن نفسه أنه كان بَرِماً بالجامعات الفرنكية فذهب إلى إسبانيا « فى طلب أحكم الفلاسفة على وجه الأرض » على حد تعبيره ، وقد عاد إلى انجلترا بمجموعة كبيرة من الكتب التى لقيت جمهرة كبيرة من القراء . « وميخائيل سكوت » الذى درس

(*) هو محاضر فى التاريخ الاسلامى فى فرع الدراسات الاسلامية والافريقية فى جامعة لندن . وقد ألقى هذا البحث بشكل أحاديث فى الاذاعة البريطانية

— فى القرن الثالث عشر — فى صقلية وأتقن اللغتين العربية والعبرية، وترجم كتب أرسططاليس من اللغة العربية، وكان كثير منها قد تلقاه الغرب لأول مرة، كما أنه ترجم التعقيبات العربية على فلسفة أرسططاليس، وألف عدة كتب فى علم التنجيم والكيمياء

ولقد كان عمل هؤلاء وغيرهم من الإنجليز المغامرين الذين زاروا بلاد العرب كبير الفائدة من الناحية الثقافية، فبفضل أعمالهم ذاعت آثار العرب الفلسفية والعلمية العظيمة فى انجلترا والغرب، وتقدمت الثقافة الأوربية خطوة كبيرة إلى الأمام. وكان التأثير الذى تركته كتبهم المترجمة والموضوعة عظيما. وفى وسعنا أن نضع الفيلسوف الإنجليزى العظيم «روجر باكون» فى عداد الذين تأثروا تأثراً عميقاً بالثقافة العربية، وكذلك الشاعران «شوصر» و «ليد كيت». ومن المهم ذكره فى هذا المجال أن أول كتاب طبع فى انجلترا وهو كتاب «أمالى وأقوال الفلاسفة» (سنة ١٤٧٧) وقد وضع على أساس كتاب عربى هو كتاب: «مختار الحكم ومحاسن الكلم» الذى صنفه فى سنة ١٠٥٣ الأمير المصرى «مبشر بن فاتك»، ولم يطبع النص العربى، ولكن هناك نسخة خطية منه لا تزال موجودة فى هولاندة، وهو مجموعة أمثال وأقوال حكمية، وكان كثير الشيوع مدة من الزمن فى الشرق وقد ترجم إلى عدة لغات أوربية

إن الدَّين الذى تدين به أوربا فى العصور الوسطى لمعاصريها من العرب ومترجميهم لهو دَين مضاعف، فى الدرجة الأولى كان العرب هم الذين نشروا القسم الأكبر من ميراث الفكر والعلم الإغريقى الذى كان الغرب قد أضاعه، واحتفظ به العرب وأذاعوه؛ وفى الدرجة الثانية أن أوربا قد تعلمت من العرب طريقة جديدة فى الدراسة، تلك الطريقة التى وضعت العقل فوق السلطة، ودافعت عن البحث العلمى الحر، وقد كان هذان الدرسان هما اللذين لعبا أكبر دور فى إعطاء نهاية للعصور الوسطى، وبعث النهضة «الرينسانس» وولادة أوربا الجديدة، كما أن العلماء الإنجليز ساهموا بدور كبير فى نقل هذه الدروس. وإن من مآسى التاريخ الآن أن العرب ينسون فى هذا الوقت الأشياء التى علموها هم لأوربا، وأن يقوموا بدراستها مرة أخرى بعد مضى عدة عصور

ونود أن نختم هذا الفصل بالرجوع إلى أقوال «إديلارد» نفسه فى حديثه مع قريبه عن الطريقة التى تعلمها فى أسبانيا؛ ورأيه هذا قد سجل منذ ثمانمائة سنة:

«إننى، والعقل دليلى، قد تعلمت أمراً واحداً من أساتذتى العرب. أما أنت فعلى خلاف ذلك قد تلجمت بلجام من المظهر الخارجى للسلطة ـ وبماذا نصف السلطة إلا بأنها لجام؟ ـ على شاكلة الحيوانات المتوحشة، فإنها تساق إلى حيث يشاء المرء بدون أن ترى لماذا وإلى أين تساق، بل تتبع المِقود الذى توقف به، وكذلك الكثير منكم قد رُبطوا بقيود وسلاسل من التسليم المنحط، وسيقوا إلى الخطر بسطوة الكتاب... لقد منح العقل للأفراد لكى يكون هو الحكم الرئيسى للتفريق بين الحق والباطل... فيجب أن نسمى بداءة ذى بدء إلى البحث عن العقل، فمتى وجد قُبلت حينئذ السلطة إذا أريد إضافتها إليه، فإن السلطة فى حد ذاتها لا يمكن أن توحى بالثقة إلى الحكيم، ولا ينبغى لها أن تستعمل لهذه الغاية»

والذين يعرفون كتابات العرب سيؤيدون رأى «إديلارد» هذا على الفور، أما الذين يعرفون علم الغرب فسيدركون مغزاه حالاً

عبد الوهاب الأمين

أرواح وأشبـــاح

للأســتاذ خليل هنداوى

لقد صدق حدسى ! وها هى برهة تمر كرجع الطرف تزورنا فيها مواكب جديدة لهذا الشاعر المبدع من « أرواحه وأشباحه » والحق أن هذه القصيدة الجديدة تعد بذاتها فاتحة « للشعر العربى الحديث » الذى آن له أن يخلع تلك الثياب الرثة التى بالغنا فى ترقيعها وتزويقها ، حتى نصلت صبغتها ، وبليت جدتها ! ومما يزيد فى قيمة هذه القصيدة أنها أول قصيدة تلدها مصر من الشعر الصحيح ، ولا نستطيع القول أنها مبتكرة بأسلوبها وغرضها ، لأن بعض السوريين سبقوا إلى هذا النوع من القصائد الواحدة التى يختلف وزنها وقافيتها ، ويبقى غرضها واحداً . وأعرف من هـذه القصائد (المواكب) لجبران خليل جبران ، و (بساط الريح) لفوزى المعلوف ، وعبقر (لشفيق المعلوف) و (إرم ذات العماد) لنسيب عريضة ، ولكن قصيدة شاعرنا (اللاح التائه) قصيدة وحدها بميزاتها وغايتها ، لأن صاحبها اتجه بها شطر الفن الخالص ، وجردها من أى غرض يرمى بها إلى الابتذال ، اعتقاداً منه بنظرية « الفن الخالص للفن الخالص » بينما نجد قصيدة « المواكب » تزحف فى جو ثقيل مرهق بالفلسفة الشاكة الحائرة ، وقصيدة (على بساط الريح) ترمى إلى غرض فلسفى آخرى توجهه العاطفة ، وقصيدة «عبقر» تكاد تكون أكثر تجرداً للفن ؛ أما قصيدة (إرم ذات العماد) فهى أشواق صوفية هائمة على رمال الوجد والحنين . وأصحاب هـذه القصائد جميعها ثائرون على ماضى الشعر العربى وأسلوبه الضيق الموروث ، ولذلك تجردوا من قوالبه ، وانطلقوا من غاياته ، وانقادوا إلى عوالمهم الذاتية المجردة ، ولكل غايات استقبلها وبلغها بمقدار ما هامت نفسه ، وسما فنه . ولعل أبرز ما فى « هذه القصائد » هـذه الوحدة فى الغاية ، تنطلق معها من فاتحتها إلى خاتمتها . وإنا لنجد هذا النوع غريباً فى أدبنا ، لأن الأدب العربى لم يسجل مثله ، فى حين أن الآداب الغربية طافحة بهذا النوع الذى يدل على امتداد الفن ، وبعد الغرض ، وسمو التحليق. وهنالك دواوين قائمة بنفسها لتوحى إليك بفكرة واحدة ، على طرائق مختلفة ، كهذا الذى فعله الشاعر الفرنسى ـ فرناند جريك ـ فى ديوانه جمال الحياة ، فجمال الحيـاة فكرة تفاؤلية تسيطر على نفس الشاعر ، والشاعر فى كل مظهر من مظاهر الكون يتوسم هذا الجمال ، ويتغنى به ، ومهما يكن من شىء ، فإن هذا يدلنا على أن الشاعر الحقيقى يعتنق رسالة أو فكرة يجمعها من مزاجه الخاص يحاول أن يبثها ويبشر بها

* * *

كانت هذه القصيدة بيدى فتناولها صديق لى أديب فما لبث أن أبدى نفوره منها واستنكاره لهذا الضرب من الشعر لأنه خالٍ — بحسب اعتقاده — من الغاية والغرض ؛ وما كنت بلوَّام لمثل هذا الصديق على اعتقاده ، لأن المدرسة الشعرية العتيقة لا تزال على اعتقادها فى أن الشعر خاضع للغاية ينزع إلى الحكمة أو إلى القومية ، أو . . . أما هذه القصيدة فما نزعتها ؟ وما غايتها ؟ إننا نحب أن نعتق شعرنا من هذه التقاليد ، ونرفعه من هذه الأغراض الدانية ، لنتوجه به شطر الفن الخالص . إذ أن الشعر العالى لا يتجلى فى هذه العواطف الصافرة التى تؤز فوق الرؤوس ، ولا فى هذه الأصباغ الكثيفة غير المتناسقة ؛ وإنما الشعر هذه اللمحات الفنية الهادئة والرعشات الوديعة التى تذكرك برعشة الطبيعة حين يقظتها . ومن عجب الدهر أننا نتخطى تعاليم المدرسة القديمة ، ونلمس نقائصها ، وننقى أكثر شعرها ، ثم نرى من لا يزال يتحمس لها ، ويناضل من أجلها

الآن نستطيع القول — إزاء هذه المقطوعة — أننا إزاء قصيدة شعرية بلغت من السمو والفن والدقة ما لم تعرفه قصيدة عربية من قبل . ولكى يستطيع الشاعر أن يبث لمحاته الفنية لم يجد إلا جوًّا يونانيًّا . والعلة فى ذلك أن الجو العربى نفسه محدود الشاعرية ، محصور الخيال ، ليس فيه هذه الوثبات التى توحى للشاعر المطلق أن يحلق فى جو مطلق ، فليس فى هذا الالتجاء نفسه ما يعيب الشاعر أو القصيدة ، لأن الجو اليونانى — فى اعتقادى — برىء من كل غرض ، يملكه الفن وحده .

ولا يجد الأدباء الغربيون حرجاً فى الرجوع إلى هذه المملكة الفنية بشوارد الفن ، على رسوخهم وغناهم . ولأدبائنا الحق فى تفهم الأدب اليونانى والفن اليونانى . بعد أن درس العقل العربى العقل اليونانى ، كانت بينهما صلات متينة ، وجولات مشبعة بروح الصداقة . والفن اليونانى - على اعتقادى — أشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية

أشخاص هذه القطعة أشخاص يونانيون لهم محلهم فى الفن اليونانى والجمال اليونانى . وقد أحسن المؤلف صنعاً فى الإعلان عن كل شخص فى مقدمته . ومن هؤلاء « سافو » الشاعرة الإغريقية ، وتاييس الراقصة الأثينية ، وبلتيس صاحبة الشاعر الإفرنسى « بير لويس » . أما الحديث فيدور حول روح شاعر يبعث بعثاً جديداً يزف إلى الأرض كالشبح العابر . أو الوهم مثله الخاطر . تعرفه إحدى الحوريات أو الأرواح — تاييس — وتقول لسافو إنه (فتى تملأ ألحانه الأرض غداً) . وبلتيس يؤلمها أن يمر متكبراً ، وقد أصابته لوثة أهل الفنون فليمض شقياً ! أما تاييس فهي أكثر إشفاقاً عليه . لا تلومه لأنه (كف عينيه برق الحياة) فتحاول بيليتس أن تثير حقد صاحبتها فتذكر لها ما صنع أترابه الشعراء من قبل يوم أغووا حواء ولدات حواء . والمرأة — دائماً — حديث الفن !

أنالته أجمل أزهارها ، فأهدى لها شر أزهاره!

ولعل هذه الأزهار تذكرنا بأزهار بودلير!

وهنا تستشهد بيلتيس بقصيدة (الحية الخالدة) التى قدم لها صديقنا الأستاذ الكيالى بأن المرأة هى الحية الخالدة التى يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها . وفى هذه القصيدة يهبط الشاعر بمعشوقته من المنزلة العالية التى تصورها فيها إلى المنزلة الدانية التى تضج بها الشهوة الجائعة ؛ وتصبح فيه المرأة كتلة من لحم يثير الدماء ، بعد أن كانت جمالاً صور من نقاء — فانحدرت المرأة وانحدر بانحدارها الرجل لأنه أصبح شيئاً ككل الرجال ، وأصبحت هى شيئاً ككل النساء

أما بيليتس فلا تحب أن تنتقد بخطيئة المرأة ؛ لأن الرجال ...

وكم في الرجال سعار الوحوش إذا لمسوا الجثة الدافئة . . .

أما المرأة ... !

ألم ينسم الخلد من عطرها ألم يعبد الحسنَ فى زهرها

ألم يقبس النور من فجرهـا ألم يسرق الفن من سحرها

شفت غلة الفن حتى ارتوى وإن دنس الفن من طهرها

وهامت على ظمأ روحهـا وكم ملأوا الكأس من خمرها

والمرأة تبقى بعد هذا أحجية الفن .

« خطيئتها قصــة اللهمين » « وإغراؤها الفرح المفتقد. »

لقد قربت جــداً عاريا وقلباً يضن بأسراره

ثم تنتقل هذه الغوانى من حديث الشعر إلى الفن الممثل فى — تمثال جميل — فلا تجد سافو الفنان أعلى روحاً من الشاعر لأنه كمثله .

غداً يستغل غرام الحسان سبيلاً إلى الشهرة الذائعة

يصيب بهن خلود اسمه وهن قرابينه الضائعة

ولكن بيليتس تريد أن تنتقم لنفسها ولأترابها ، وتطلب النزول إلى الأرض .

لنشرب من دم هذا الفتى مصفى الرحيق بأكوابنا

ونجعل من حشرجات الرجال تحيـة شاد لأنخابنا

ولكن تاييس تدرك أن الجمال والحب يضيع عالمهما بدون الشعراء والفنانين فتقول :

إذا خلت الأرض من طيرهم فمن ذا يحيى الجمال القسيم ؟

فتغضب بيليتس وتعود إلى حبهـا المعروف ، كما أوحته (أغانى بيليتس)[1] ، هذا الحب الذى ليس به حاجة للرجال !!

وهنا تستعر المشادة بين تاييس وبيليتس ، هذه تميل إلى كل هوى بين اثنين ، وتلك تمثل هوى المرأة المتعلق بالرجل ، وترى هذا الهوى ضرورة لا مناص منها لحياة الفنون . والجمال وحده هو الذى يهذب قلب الرجل ، وينيم فيه الشرس المستخف !

وبعد محاورة تختلف ألحانهـا بين هؤلاء ، يعود الإله — هرميس — الذى ترك الشاعر على أفق الأرض ، فيرى حورياته

---

(١) راجع هذه الأغانى فى مجلة الصباح الدمشقية مترجمة بقلم الكاتب

فى غضب وثورة ، فيصف لهن هـذا الفنان الذى ساء أمره عندهن ، وفى وصفه هذا أروع ما وصل إليه فنان وهو يتحدث عن الفن ...

الفنان عنده ...

يسف إلى حيث لا ينتهى ويسمو إلي قمة لا ترام
ويُسقى بكأس إلهية مرنقة بالهوى والأثام

* * *

هو المرح الشارد المستهام شرود الفراشة عند المساء

ولعلك تلمس معى هذه القطعة المزدحمة باللمحة الفنية التى تظن أنها لا تنزل إلا على الشعراء الملهمين

أرته السماء أعاجيبها وروته من كل فن بديع
فضن بلألاء هـذا الجمال وخاف على كنزه أن يضيع
أبى أن يبدده ناظراه فأطبق جفنيه ما يستطيع
فإن شارف الأرض نادت به ففتح عيناً كعين الربيع

أتستطيع أن تحدد لى عين الربيع هـذه ؟ ألست معى هذه الدنيا من الرفيف والألوان والأعاجيب ؟

ولا يزال — هرميس — يصف لحورياته هذا الفنان حتى يستل من أفئدتهن كل سخيمة ويعدن راضيات عنه ، مؤنسات بفنه ، مغضيات عن عثراته . لأن عثرات الفنان بشائر للفن ، والفنان نفسه يعبد المرأة — على ما تحمله إليه — لأنه كما يقول :

وكانت حياتى محض اتباع فصارت طرائف من فنها
وكان شبابى صمت القفار ورجع الهواتف من جنها
فعادت ليالى الصبا والهوى أرق المقاطع فى لحنهـا
وأفرغت بؤسى فى حضنها وأترعت كأسى من دنها

وهكذا تنتهى القطعة برحيل الشاعر ، بعد أن ترك فى حورياته نظرات العطف والابتسام

هذه هى القصيدة التى أهداها الشاعر خالصة لوجه الفن ، سلسة التعبير ، لينة القوافى ، هائمة الألوان ، ولن يغنى عن قراءتها شىء من هذا الموجز المشوه الذى ذكرته ، لأن القطعة الفنية لا تنقل

والذين يتـذوقون الشعر المجرد ، ويحبون للفن المجرد ، سيستمعون فى هذه القطعة خير لحن يجاوب ألحانهم ، ويتذوقون منها أصفى سلسال يروى ظمأهم

حقاً إن هذه القصيدة طليعة تلك المواكب الجديدة الهائمة فى تيه المرح والعذاب والحب ، وستتلو هذه الأرواح أرواح ، وهذه الأشباح أشباح ، ما دامت هنالك قيثارة صافية النغم ، ومخيلة مجردة الخيال ، هى قيثارة ومخيلة ملاحنا التائه .

(حلب) — [الحديث] **خليل هنداوى**

٤٠ ـ المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر
تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين
للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر ــ الأخلاق

كثيراً ما يقسم المسلم بالله وبالرسول وبرأس مخاطبه ولحيته. وعند ما يُخبَر أحدٌ بخبر يثير دهشته وعدم تصديقه يصيح: والله؟ فيجيبه الآخر: والله. وكما أن العادة أن يبسمل المسلم قبل الطعام والشراب، يفعل ذلك أيضاً عند ما يتناول دواء أو يكتب شيئاً أو يبدأ مشروعاً مهماً، ثم يحمد الله بعد البسملة

وعند ما يتعاقد اثنان يتلوان الفاتحة معاً. والعادة عند ما يتجادل البعض في عمل أو رأى أن يصيح أحد الطرفين أو آخر يود فض النزاع أو تهدئة المتخاصمين: «الصلاة على النبي»، أو «صلوا على النبي» فيقولان بصوت منخفض: «اللهم صل عليه» ثم يستأنفان المجادلة ولكن باعتدال على العموم.

كثيراً ما يُسمع في المجتمع المصري العبارات الدينية تعترض الحديث في الأمور الحقيرة والخليعة أيضاً. وقد يكون ذلك أحياناً بطريقة تحمل من يجهل أخلاق هذا الشعب على أن يظنه هزؤا بالدين. ويكرر المصريون اسم الله في الكثير من أغانيهم الماجنة من غير قصد للاهانة طبعاً، وإنما يفعلون ذلك لاعتيادهم إقحامَ اسم الله في كل ما يدعو إلى الدهشة أو العجب، فيعبر الماجن عن انفعاله بالجمال عند رؤيته فتاة فاتنة بقوله أثناء كلامه الفاحش:

«تبارك الذي خلقك يا بدر»

وسأورد المقطوعة الأخيرة من أحد الموشحات مثالاً للطريقة الغريبة التي يختلط بها الفجور والدين في الأدب العامي المصري:

قابلني الرشيق بعد البعد والاحتجاب. فقبلت ثناياه وخده، ورن الكأس بيديه، وفاح المسك والعنبر من محبوب أرشق قواماً من غصن البان. وبسط سريراً سندسياً، وقضيت الوقت في سعادة متصلة. لقد استعبدني ظبي تركي

والآن أستغفر الله ربي من كل خطاياي ومن كل ما يجس في نفسي. إن أعضائي تشهد عليّ. ومتى قهرني الحزن فأنت أملي يا ربي في كل ما يحزنني. أنت تعلم ما أقول وما أنوى. أنت الكريم الغفور. إني ألوذ بجاهك فاغفر لي.

وقد زارني أحد أصدقائي المسلمين بعد كتابة الملاحظات السابقة توا فقرأت عليه القصيدة وسألته أيليق أن يمزج الدين بالخلاعة هكذا؟ فأجاب: «نعم، يليق كل اللياقة. فهذا رجل يذكر خطاياه ثم يستغفر الله ويصلي على الرسول». فقلت: «ولكن هذه قصيدة قيلت لتسلية هؤلاء الذين ينهمكون في اللذات المحرمة. ثم لاحِظْ أن الصفحة التي تصف الفسق تقابل التي تذكر أسماء الله عند ما أطوى الكتاب فيكون وصف اللذات الأثيمة فوق ذكر الاستغفار». فأجاب صديقي: «ذلك عبث. اقلب الكتاب جاعلاً أسفله أعلاه ينعكس الحال فيغطي الغفران المعصية. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً وهو الغفور الرحيم» (الآية ٥٢ من سورة الزمر). وقد ذكرتني إجابته ما لاحظته كثيراً من أن غالبية العرب — وهم شعب كثير التناقض — يستمرون في مخالفة الشرع اعتماداً على أن عبارة: «أستغفر الله» تمحو كل خطية. وكان بين يدي صديقي نسخة من القرآن فوجدت فيها عند بحثي على الآية المقتبسة ورقة عليها كلمات من الكتاب الكريم، وكان الرجل على وشك أن يحرقها لئلا تسقط فتداس. فسألته: أيجوز ذلك؟ فأجاب: إما أن تحرق وإما أن تلقى في مجرى ماء. والأفضل حرقها، إذ أن الكلمات تصعد مع اللهب فتحملها الملائكة إلى السماء. ويستشهد المسلمون حتى أشدهم تُقىً بالقرآن عند المزاح. وقد حدث مرة أن طلب أحدهم أن أهدى إليه ساعة فأوعز إليَّ بهذه العبارة المقتبسة: إن الساعة آتية أكاد أخفيها (الآية ١٥ من سورة طه)

وكثيراً ما يشاهد المرء في المجتمع المصري ناساً يتلون آيات وأحاديث تناسب المقام، ولا يعتبر مثل هذا الاقتباس — كما هو الحال في مجتمعنا — نفاقاً أو مملاً، وإنما يثير إعجاب المستمعين ويصرفهم

عن تافه الحديث إلى جده . ويشغف مسلمو مصر وغيرها من البلدان ، على ما أعتقد ، بالحديث الديني . وتحيي أكثر الحفلات عند الطبقتين الوسطى والعليا في القاهرة بتلاوة (خاتمة) أو إقامة (ذكر) . وقلما يجرؤ أحدهم على التصريح بتفضيل الموسيقى على الخاتمة أو الذكر اللذين لا جرم يبتهجون بهما . والحق أن الطريقة التي يرتل بها القرآن أحياناً حسنة جداً ولو أن سماع الخاتمة كلها قد يمل غير المسلمين

يدهشني شدة تمسك المسلمين بدينهم على الدوام ؛ غير أنني أعجب لقلة محاولتهم دعوة الغير إلى الإسلام . وكثيراً ما عبرت عن دهشتي لتغافلهم عن نشر دينهم مخالفين أسلافهم في صدر الإسلام فكانوا يجيبونني : « أي فائدة في هداية ألف كافر ؟ هل يزيد ذلك عدد المؤمنين ؟ أبداً . لقد قدر الله عدد المؤمنين ولا يستطيع الإنسان أن يزيده ولا أن ينقصه » . ولم أخاطر بالرد خشية أن يؤدي اعتراضي إلى جدال لا حد له . وقد سمعتهم يدافعون عن إهمالهم إدخال الناس في دينهم بذكر الآية السادسة والأربعين من سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب » دون أن يذكروا العبارة التالية مباشرة : « إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » . ولو كان المسلمون عملوا بهذه الوصية لأدى جدالهم إلى تحرير أفكارهم وترقية معارفهم

يقدس المسلمون المحدثون الرسول غاية القداسة ويقسمون كثيراً باسمه . ويلتمس شفاعته المتعلمون والجاهلون على السواء . ويتأثر الحجاج من زيارة القبر النبوي أكثر مما يتأثرون بقيامهم بالشعائر الأخرى . وهناك فئة لا تأتي عملاً لم يتقرر قيام الرسول به فيمتنعون خاصة عن أكل ما لم يأكله ولو ثبت إباحة تناوله . وما كان الإمام أحمد بن حنبل يأكل البطيخ لأنه مع علمه أن الرسول أكله لم يستطع أن يعرف ما إذا كان يتناوله بقشره أو بدونه أو إذا كان يكسره أو ينهشه أو يقطعه ، كما أنه نهى امرأة جاءت تستفهمه عن الغزل ليلاً على ضوء مشاعل الغير أثناء مرورهم في الشارع ، لأن الرسول لم يذكر شرعيتها ولا يعرف عنه أنه انتفع من ضوء غيره بدون إذن . وقد أعجبت مرة بمنافض جميلة ينفض فيها رماد الشبُك ؛ فسألت صانعها لماذا لا يسمها باسمه ؟ فأجاب : معاذ الله ! إن اسمي أحمد وهو أحد أسماء الرسول فهل تريد أن أضعه في النار ؟ وقد سمعت شكوى الناس من الباشا لأنه وسم جمال الحكومة وجيادها باسمه (محمد علي) . وقال الذي ذكر لي هذا الحادث : إن الميسم الذي نقش عليه هذان الاسمان الواجب احترامهما ، اسم الرسول (ص) واسم ابن عمه رضي الله عنه ، توضع في النار وهذا منكر ، ثم يوضع على رقبة الجمل فيسيل الدم النجس فيدنس الاسمين المقدسين على الحديد وعلى جلد الحيوان . والمحتمل عند ما يندمل الجرح بل المحتم أن يضع الجمل وهو راقد رقبته على شيء قذر

ويبعث مثل هذا الشعور المسلمين على أن يعترضوا على طبع كتبهم . ويندر أن يكون لهم كتاب لا يتضمن اسم الله ، ولا أذكر أني رأيت كتاباً خلا منه . فالقاعدة أن يصدر الكتاب بالبسملة وتبدأ المقدمة بحمد الله والصلاة على الرسول . ويخشى المسلمون أن يدنس المداد الذي يطبع به اسم الله ، أو الورقة التي يطبع عليها . ويخشون أيضاً أن تصبح كتبهم عند طبعها رخيصة الثمن فتقع بين أيدي من لا يصونها . وفكرة استعمال فرجون من شعر الكلب ، وكانت تستعمل أولاً هنا ، لوضع الحبر على اسم الله أو على كلامه تكدرهم كثيراً . ومن ثم لم يطبع الكتب في مصر حتى الآن إلا الحكومة ؛ غير أن اثنين أو ثلاثة استأذنوها في طبع بعض الكتب في مطبعتها فأذنت لهم . وأعرف كتبياً هنا رغب طويلاً في طبع كتب كان يثق بعظيم ربحها ولكنه لم يستطع أن يتغلب على تردده في شرعية هذا العمل

(يتبع) عدلي طاهر نور

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشاً ، و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

من صور اليوم

فستان قصير

للأستاذ على شرف الدين

بالَغْتِ فى التَّقْصِيرِ يا غانِيَهْ خَلِّى قَصِيرَ الثَّوْبِ لِلْجارِيَهْ

ثَوْبٌ بخيلُ الذَّيلِ تمشى بهِ فَزّارَةٌ مِنْ خدرِهَا نَائِيَهْ

كالْبائعِ الجوّالِ فى يومِهَا لم تخلُ من تجْوَالِهَا نَاحيه

وتَذرَعُ الأرضَ بريداً سرى

كأنهــا فى شَــعبِه ساعيه

رِعايةُ الأطفالِ قد أصبحتْ — فيما تراهُ — عادةً باليه

وَتُرْسلُ الضِّحْكاتِ إنْ أبصرتْ

ســيدةً فى بيتها طاهيــه

تَهَشُّ للنـــاسِ وفى بيتها عبـاسةٌ صخّابةٌ عاويه

تمشى (كَبَلْقيسَ) وقد شمرتْ

فى القَصْرِ عن سيقانِها العــارِيه

والجودُ فى الثوبِ دليلُ التُّقى وآيةٌ للعفةِ الواقيــه

جودى على ثوبك يا هــذه جودى له بالفَضْلةِ الباقيه

إنى — على فقرى — كفيلٌ بها

رخيصةً — فى السعر — أو غاليه

مَنْ جاد بالجسم — على قدسه —

ما بخلُهُ باللبسةِ الفــانيه ؟ !

مَنْ جاوَزَتْ عِشرينَ أَوْلى بها

أنْ تلزمَ المنزلَ فى عافيــه

يا ربَّةَ المــنزلِ ما بالُهُ تصدّعتْ أركانُه العاليه ؟

فى البيتِ مُلْكٌ أنتِ فى عرشِــهِ

مليــكةٌ فى شَــعبِها راعيه

عُودى إلى خِدْرِكِ واستأنفى ســعادةً كانتْ به ماضيه

« فالنسرُ » لا ينقضُّ إلا على « حمامةٍ » عن وكرِها نائيه

وإنمــا يفتكُ ذئبُ الورَى

— فى وثبــه — بالنعجةِ القاصيهْ

على شرف الدين

مفــارقات

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كل ما فى « مصر » يدعو للعجب !

طالب الطب شــغوف بالخطب

والحقوق بتدليــل الدُّمَى والزراعى بأخبار الأدب

وبنو الأزهر صاروا ســاسةً

وبنــو الآداب أعداء الكتب

والغــوانى رائحــات غاديات

فى (عماد الدين) من غير سبب

ورجال الحكم للــنرد خــلوا

وحديث الحكم يقفى فى (الكُلُب)

ويد الضيف وما نجحدها تنبع الفضة منها والذهب

والسويسرى بآثار اللغى والفرنسى بآثار العرب

وخطونا خطوة واحــدة رحمة الله على قبر ابن حرب

عبد اللطيف النشار

١٢ ـ ١٩ ***



كم ذا ؟

ما كنت أعلم — حين تفضلت الرسالة بنشر كلمتي الأولى عن « كم ذا » هذه — أني أثير عاصفة يدوى صوتها فى آذان هؤلاء القراء الكرام أمثال الأستاذ الكبير « البشبيشى » الذى تناولها بالرد والمناقشة أكثر من مرتين ... ولا أزال آخذ عليه وعلى غيره أن المناقشة لم تذهب إلى ما نريد ... وأنهم جنحوا إلى الإعراب والتخريج ، وهو مطلب غير مطلوب ، وبحث غير مرغوب ... وقد طلب إلىّ بعض الأصدقاء أن أحسم النزاع فى « كم ذا يكابد عاشق ويلاقي » ... فلم أجد أحسن من هذا الرأى القائل : « إن اللغة العربية — وإن كانت تعتمد على السماع والنقل — لا تحتم استعمال لفظ إلى جانب لفظ ، أو كلمة إلى جانب أخرى ، اللهم إلا إذا اقتضاها المقام ، أودعت إليها المناسبة . فمثلاً اختص الفعل المضارع بالسين وسوف لأن معناهما التنفيس والتسويف . . . وذلك لا يناسبه غير المضارع لوقوعه فيه . فلا نقول سَقُمتُ ولا سوف قام . وعلى هذا فلا مانع من دخول « كم » على « ذا » فى التراكيب العربية وسواء لدينا كونها للاستفهام أو الإشارة أو الموصولية أو الزيادة ، فإن هذا يرجع إلى الإعراب وهو لا يتأبى شيئاً ، ولا يضيق عن تأويل

ابراهيم على أبو الخشب

١ — شعر على بن أبى طالب

أطلعت على مقالات الأستاذ السيد يعقوب بكر فى تحقيق شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم قرأت ما عقب به الأستاذ محمد محمود رضوان (فى العدد ٤٦٩ من مجلة الرسالة وما بعده)

وإن من المصادر الوثيقة التى أوردت ذرواً من شعره كتاب (معجم الشعراء للمرزبانى) وفيه زيادات أبيات فى بعض القطع التى نشرها الأستاذ يعقوب ، واختلافات فى بعض كلماتها ، وبيان لرواتها :

قال المرزبانى فى الصفحة ٢٧٩ : أمير المؤمنين أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه . يروى له شعر كثير ، منه قوله يوم خيبر لما خرج مرحب يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح بطل مجرب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره ... كليث غابات كريه المنظره

وله فى رواية سعيد بن المسيب :

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بلئيم
لعمرى لقد جاهدت فى نصر أحمد ... ومرضاة رب بالعباد عليم
أريد ثواب الله لا شىء غيره ... ورضوانه فى جنة ونعيم

وله :

يا شاهد الله علىّ فاشهد ... آمنت بالخالق رب أحمد
يا رب من ضل فإنى مهتد ... يارب فاجعل فى الجنان مقعدى

إلى غير هذا مما أورده المرزبانى فى معجمه المذكور

٢ — تخطىء

مررت على تصحيح الأب الكرملى للجزء الثانى من (الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى) فى مجلة الرسالة ، فرأيت فيه (فى العدد ٤٧٤) : وفى ص ٦٧ « أسكرُّجة » ، والمشهور أنها بلا ألف فى الأول

أقول : أغفل الأب تصحيح ضبط الراء . وفى المعرب للجواليقى : « السُّكُرَّجة بضم السين والكاف وفتح الراء وتشديدها فارسية معربة ، وترجمتها : مقرب الخل ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الصواب أسكرَّجة »

وفى شفاء العليل للخفاجى : « الصواب فتح الراء المشددة »

محمد غسانه

تصحيح بيتين

ورد فى مقال (أوهام تخلق متاعب) للدكتور زكى مبارك بالعدد السابق من الرسالة بيتان للشاعر صادق رستم

هذا نصهما :

شر البلية إشـفاق على فئة لو كنت تؤكل ماعفوا ولاشبعوا
تبيت تبكى لصرف الدهر يفجعهم
ولو رأوك على الأعناق ما دمعوا !

أما النص الذى جاء به الشاعر فى قصيدته (أخلاق العصر) بالعدد الثامن من مجلة الثقافة فهو :

رأس الحماقة إشفاق على نفر لو كنت تؤكل ماعفوا ولاشبعوا
تبيت تبكى لصرف الدهر يدهمهم ولو رأوك على الأعناق مادمعوا !

هذا ومع أن النص الأول لم يحد عن المعنى الذى أراده الشاعر فإن من واجب الـكاتب الحرص على أمانة الرواية والنقل مهما بلغت قدرته على توليد الألفاظ وتشقيق الجمل ومهما وصلت خبرته بأوزان الشعر وتفاعيله خصوصاً ، وإن البيتين المذكورين من الشعر الحديث الذى لم يغبر عليه الزمن ، ولم يتقادم به العهد ، ولم تختلف فيه الرواة .

محمود محمد حسن
المدرس بمدرسة البلينا الأولية

أغلوط

١ — كان سيدنا عبيد الله بن عباس جواداً وله قصص فى الجود مذكورة فى الـكتب ، وقد ظن كثيرون أن هذا الجواد هو سيدنا عبد الله الراوية المشهور ، وبالرغم من أن الكتب تذكره بصيغة التصغير ، فإن بعض الخاصة لا يزالون يعتقدون أن الجواد هو عبد الله . وقد ترجم بعض الـكاتبين لسيدنا عبد الله فساق هذه القصص ، وجهدت جهدى لإقناع أحد أساتذتى بهذا الخطأ فـما استطعت ، وادعى أن غاية ما فى الأمر أن الاسم ذكر مصغراً ، وأخيراً قرأت فى النوادر لأبى على العالى فصلاً يذكر فيه أبناء العباس بن عبد المطلب فيقول : وعبد الله الحبر مات بالطائف وعبيد الله الجواد مات بالمدينة (رضى الله عن الجميع) فهو صريح فى أنهما شخصان لا واحد ذكر مرة مكبراً ومرة مصغراً

٢ — تعرض المرحوم الرافعى فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » للهجات العرب ، فذكر أن هذيلا تقلب ألف المقصور ياء حين إضافته لياء المتكلم وتـكسر ما قبل الياء قال شاعرهم :

سبقوا هـوِىَّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولـكل جنب مصرع

وضبط هـوِىّ بكسر الواو ، وما هكذا تنطق هذيل ، وإنـما ينطقون بفتح الواو فيقولون « هوَىّ » ... قال العلماء : لـمّا كان من الحتم كسر ما قبل ياء المتكلم ، وهو غير ممكن فى هذا ، لأن الألف لا تقبل الحركة ، قلبت هذيل الألف ياء ، إذ الياء أخت الـكسرة

فذهب على الرافعى — رحمه الله — إلى ما إليه قصد العلماء ، فظن أن الـكسرة قبل الياء المشددة لازمة ؛ فليصحح ذلك من عنده نسخة من القراء

على محمد حسن

فى « عبقرية محمد »

هـذا الـكتاب جليل فى بابه ، زاد مكانة العقاد وسموّه فى الأدب والتفـكير ، وقد وقفنى منه أمران :

١ — فى ص ١٤٤ يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدل وزنها كلما أمكن تبديله : فـكان يقول مثلاً : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » ، لأنها لا تقبل التبديل ، ولـكنه إذا نطق بقول سحيم عبد بنى الحسحاس « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » قدّم كلمة الإسلام فقال : كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا »

٢ — وفى ص ١٤٥ يورد الحديث هكذا : « كما تـكونوا يولّ عليـكم »

١ — وتقسيم ما يتمثل به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يمـكن تبديله لم يورد المؤلف ما يؤيده ويقتضيه . والمثال الذى ذكره لـما لا يمـكن تبديله غير صحيح ؛ فإن تبديله ممكن ، وقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام تمثل به هكذا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار . راجع السيرة الحلبية فى باب الهجرة إلى المدينة

٢ — والمعروف فى رواية الحديث : كما تكونوا يولّ عليكم . وحذف النون فى تكونوا للتخفيف على حد لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لحمل ما المصدرية على أن فى نصب الفعل بها ، وروى كما تـكونون يولى عليكم . راجع الجامع الصغير ، والمغنى قبيل ختامه والسلام . محمد النجار

من صميم الواقع

الحياة على المسرح تجرى حارة فى أوصال مضحكاته ومبكياته ، رغم أنها فـكـرٌ مركزة ، وصور مصغرة لـما يجرى فى دنيانا ، فماذا بنا إذن لو شاهدناها حقيقة واقعة على مسرح الحياة ؟

إنها لمأساة وأية مأساة ! !

هو اجتماعى زعيم نبض قلبه بحب الناس فوقف عليهم العمر دائباً يشتغل بحل عقدهم، فكم أنجى وأشقى . كان رحمة لم تحرمها أسرةٌ . أرشد وهدى ، وهو فى شغله وكدحه راض لسميه ، لا يطمع فى غير جزاء الله الحسن ، لكن الله اختار له سعادة الآخرة لا الأولى ، فقاسى فى حياته ما قاسى ، مما يذيب النفس أسًى عليه وإشفاقاً . سيق سَوقاً إلى جحيم الحب فاكتوى بِحَرِّه

لَبَّى نداء زوجته وراح ينقذ أختها . كانت تصغرها ، وكان لها خطيب منذ صغرها شبَّ فاجراً فسَّاقاً ، وراح ينفق على قانصته من بنات الهوى باليمين وبالشمال . لكن أمّهُ التى هى أصل جاهه ومصدر ثرائه ، تريد خطيبة الصغر له زوجاً ، وهو إن خالف أمه، فقد المالَ الذى من أجله يُحب، ومن أجله يُحترم . وإذ شكا الأمر إلى رفيقته الفاجرة ، خشيت أن يفلت منها ذلك الصيد الثمين ، فكادت ودبرت ، وعمل هو بكيدها ، فأقنع أمه بما جعلها هى نفسها ترجع عن تحقيق ذلك الزواج

لقد استغلا رقة عود تلك الخطيبة البريئة ، وأشاعا عنها أنها مريضة بذلك المرض الذى تنفر الدنيا ممن يصاب به ... السل ... حرمت المسكينة إذن كل خطيب وفقدت الثقة بنفسها كأنثى ، ثم رأت الناس عنها بالفعل ينفرون ، ففقدت الثقة بنفسها كانسان صحيح . وفقدان الثقة فيما يتعلق بهذين الأمرين هو أصل عقدة نفسها، وأصل توهمها أنها مريضة ، ذلك التوهم الذى خلق بالفعل علّتها .

لجأت الأخت الكبرى فى ذلك إلى زوجها الإنسانى الرحيم ، مستنجدة متوسلة ، عسى أن يفعل شيئاً لإنقاذ أختها البائسة التى تذوى سريعاً قبل أن يكمل ازدهارها . وعقدتها مزدوجة ، وعلتها مشتركة . فحرمانها من الرجل فى المرتبة الأولى وإن كان فى تتابع الحوادث فى المرتبة الثانية . لقد أرهقها فأضناها وهى الرقيقة التى لا تحتمل الضنى . أرهقها ، فأعلها ، بما ساعد على انتشار الأشاعة الخبيثة وزكاها . فالرجل داؤها ، والرجل لا غير دواؤها .

المرأة كالعود الرطب ، ينمو وينضر ويفرع إذا ما تُعهد فغُذِّى ورُوِّى بالأمل ، وساقي ذلك الأمل هو الرجل ، يسكبه فى عبارات التقدير والإعجاب ، ويفيضه من عيون البث والوجدان ، فمن لهذه المعطشى بساق يُروِّى ، فيجرى الحياة ويُحيى الموات ؟!

شاء القدر ألا يكون غير الزوج الوفى ، والمصلح الاجتماعى ، فأقنعته زوجته بأن يمثل دور العاشق مع أختها

راح يقوم بدوره بإخلاص وبراعة . ومرت الأيام على تلك الحال ، فما أعجب ما حدث للأختين ! تماثلت الصغرى ، فاعتلت الكبرى ! أجل . إن رشفة الحب الأولى حلوة ومسعدة ، وجرعة الغيرة الأولى مرة ومجهدة ...

وفى أثناء ذلك ، كان يرنو القدر إلى ذلك المخلوق المُسَيَّر إلى هاوية شقائه ، رُنُوَّ طفل على فمه ابتسامة درجت معه تنمو ما نما ، وتكبر ما كبر ، وتشيب ما شاب ، فإذا ما اخضرت على الشجرة ورقة ، واصفرت أخرى ، ونضج الثمر الشهى ، وحان القطاف ، خرجت البسمة العجوز عن صمتها ، وأرسلها الكهل الرهيب قهقهة ساخرة مدوية ، أثارت عاصفة هوجاء ، وزعزعا نكباء ، زلزلت فى شبوبها أسس السعادة ، فلم تبق ولم تذر غير مجد فى الأثر

ناء الجسد بحمل ذلك القلب الكبير ، وماد بذلك الصراع الجبار بين العاطفة والواجب ، ففزع إلى أمه الأرض فاحتضنته مات ... لكنه عاش مجسداً فى كل أثر من آثاره الطيبة ، وعمل من أعماله الجليلة . عاش مخلداً فى قلوب الناس وأفواههم يجتمعون كل عام حول نصبه التذكارى الذى أقاموه له ، يتغنون بحمده والثناء عليه ، وتتصاعد الأنغام تترى مستبقة إلى تمثاله العالى ، فإذا ما بلغت مواطئ قدميه ، ارتمت ركعاً سجداً .

عباس يونس

بين الفلسفة اليونانية والأدب اليونانى

ورد فى مقال الأستاذ خليل هنداوى وهو يبحث الصلات الفنية اليونانية فى قصيدة شاعر الحب والجمال « على محمود طه » صاحب ملحمة (أرواح وأشباح) نص هذا الاقتراح :

« أكان خيراً للعرب تناولهم الفلسفة اليونانية كما فعلوا ، أم أن يتناولوا الأدب اليونانى والفن اليونانى ؟

١ — ماهى الفوائد التى اجتناها العرب من الفلسفة اليونانية ؟

٢ — ماهى الفوائد التى كان بإمكان الأدب العربى أن يجنيها لو انكب على الأدب اليونانى وفنه ؟

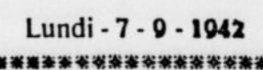
٣ — أية فوائد ترجح للعرب ؟

والمجلة تحيل هذا الاقتراح على أدباء الشباب ليتناولوه بالبحث والدرس ، ومجلة « الحديث » الحلبية تمنح جائزة أدبية لأحسن مقال يعرض لهذا الموضوع عرضاً شاملاً .

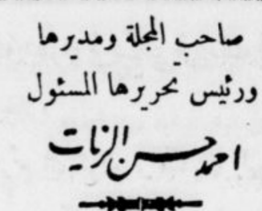
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 479

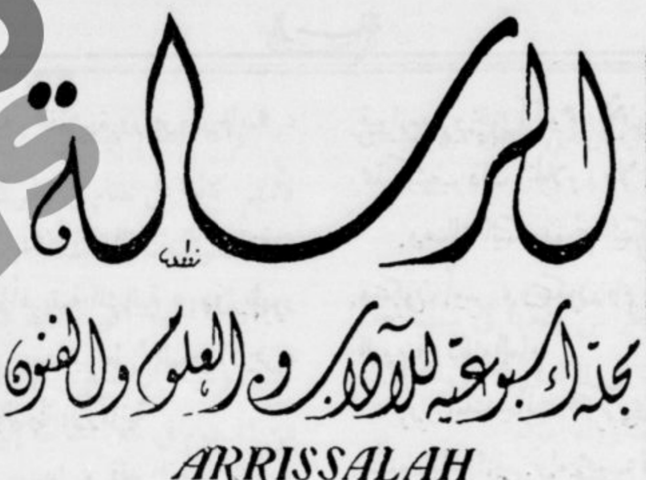


Lundi - 7 - 9 - 1942



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

كَــرَري ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

وما كَرَرى ؟

شيء من الشرق أو من الغرب ، ويشار إليه بضمير المذكر أو ضمير المؤنث ، وقديم هو أم حديث ؟ كثير من الناس لا يعلمون ! وكان ينبغى أن يعلموا ولو بعض العلم ، لأنه شيء متصل بما نحن فيه ، وبما العالم كله فيه ، ولو بعض الاتصال

اسم كَرَرى متصل بتاريخ مصر والسودان فى العصر الحديث .

ومما لا شك فيه أنه على اتصال بالحرب العالمية الحاضرة فى جملة أسبابها البعيدة التى توارت الآن وراء أسبابها القريبة . فإن كانت للحرب العالمية الحاضرة ، وللحرب العالمية التى قبلها أسبابٌ لها عشرات السنين ، وأسبابٌ لها سنوات ، فاسم كَرَرى لا ينفصل من أسبابها الأولى أقل انفصال ؛ لأن علاقته بالأطوار الأوربية أواخر القرن الماضى كأوثق علاقة تكون .

كَرَرى كان له شأن فى تحول المآرب الاستعمارية عند كثير من الدول التى أثارت الحرب العالمية الماضية ، وعادت فأثارت الحرب العالمية الحاضرة

كان له شأن فى سياسة « بين القاهرة ورأس الرجاء » ، أو « بين القاهرة والكاب »

وكان له شأن فى اندفاع الألمان إلى القارة الأفريقية ، وفى موقف فرنسا من مراكش وأفريقية الشمالية ، وفى ظهور إيطاليا على شواطئ البحر الأبيض بعد شواطئ البحر الأحمر ، ثم فيما تلا ذلك فى تجدد الأحلام بالدولة الرومانية

ومتى اتصل شأن كررى بهذا ، فقد اتصل بجميع ما يخوض فيه العالم اليوم ، وكان له من قبل ذلك اتصال بمصر والسودان .

كررى هو الوادى الذى انهزمت عنده جيوش الخليفة عبد الله ، ودخل وادى النيل من جرائه فى تاريخ جديد ، ولك أن تقول : بل هو العالم كله قد دخل من جرائه فى طور جديد .

* * *

وقفتُ على ساحة « كَرَرى » فى مثل الوقت الذى جرت فيه وقعته الفاصلة

كانت زيارتى للوادى في أوائل أغسطس ، وكانت الوقعة فى أوائل سبتمبر ، قبل أربع وأربعين سنة

فالمنظر الذى رأيته هو منظر الوادى يوم الوقعة بغير كبير اختلاف : هو النهار الضاحى ، وهى السحب التى تبشر وتنذر : تبشر بالمطر وتنذر بالصواعق ، وكانت وما يبالى بها أحد صبيحة يومه المشهود ، لأنهم كانوا يرجون ما هو أرجى من المطر ، ويرهبون ما هو أرهب من الصواعق ، ويستقبلون مشرقاً يعرفون ما يستقبلهم من مغربه إذا انتصروا ، وما يستقبلهم منه إذا انهزموا : مجد أو موت ، والفاصل بينهم وبين واحد منها بضع ساعات

وكم تصنع بضع ساعات فى تواريخ الأمم ؟

* * *

هناك التلال المتجهمات للشمس ، أعلاها لا يعلو فوق مائة متر فى الفضاء

وهناك الحجارة والحصباء ، أحدث أخبارها التى تتحدث بها إليك غضبة بركان قديم !

وهناك الأخدود الذى كانوا يتوارون فيه من المستطلعين فيوارِيهم ويخفى آثارهم ، لأن مطية الهواء لم تكن فى ذلك العهد مما يكشف ذلك الخلاء ، ولا أى خلاء

وهناك السكون ثم السكون ثم السكون . سكون اليوم ، وسكون أمس ، وسكون عام مضى ، وسكون أعوام ، ما عدا ذلك اليوم فى ذلك العام

ولو أنك سألت « كررى » ماذا صنعت يا كررى ؟ أو ماذا صُنع فيك ؟ فبم تراه يجيب ؟

أكبر الظن أنه يستعيدك السؤال مرات ! ما ذا صنعت ؟ ما ذا صنعت ؟ لا أدرى !

— لا بل صنعت كثيراً « يا كررى » . . . أفلا تذكر ؟ ألم يبق فى ذكراك غير هذا السكون ؟ ثم هذا السكون ، ثم هذا السكون ؟

— غضبة بركان قديم لم يغضب منذ آلاف السنين ؟ أتسألنى عن هذا وتلك آثاره تنبئك بغير سؤال ؟

— لا . بل غضبة بركان أقرب من ذاك جداً إلى ذاكرة من يذكر ، ولا أثر له فيك يغنى عن سؤال ! ألا تعرفه ؟ ألا تعرف تلك الحمم ؟ ألا تعرف تلك النيران ؟

— تلك براكينكم يا صاح تسألون عنها أنفسكم وتصلون منها بحممكم ونيرانكم ، وتحتفظون بآثارها وآثاركم ، وتسمونها الأسماء ، وإن هى إلا هواء يعبر بى كهذا الهواء

وكررى لا يقول غير هذا لسائله ، إذا قال

* * *

لكن « كررى » جماد مسكين لا يعلم إلا ما يعلمه الجماد المسكين ، ولم يدخل قط في علم الجماد المسكين أن براكينه صرخة فى فضاء ما لم تتصل بهذا المخلوق الضئيل الذى هو نحن الآدميين ! وأين غضبة ذلك البركان الذى تنبئنا به حجارة كررى من براكين هذه الأيام ؟ وأين هو من معقبات ذلك اليوم الذى تقدم قبل أربعة وأربعين عاماً فى خلاء أم درمان ؟

ذلك بركان غضب ولم يعرف كيف يغضب . ذلك بركان حليم جد حليم . ذلك بركان يعرف نار الأرض ويعرف نار الصاعقة ولا يعرف النار التى يجمعها الإنسان فى أوعية صغار ، كل وعاء منها كأنه جبل من نار !

أو هو قد عرفها فرت به كما يمر كل شيء بالجماد ، وبالإنسان الذى فيه قرابة من الجماد

* * *

وغمضة العين هنا هى أولى بالنظر من فتحها فى سطعة هذا الضياء ، فلن ترى إن فتحت عينك فى الوادى إلا يومك الذى أنت فيه ، وقد تغمضها فترى أعواماً وراء أعوام

وكأنى رأيت الوادى يموج بالعمائم البيض والطرابيش الحمر والقبعات الصفر والوجوه التى فيها من اختلاف الألوان كل ما فى العمائم والطرابيش والقبعات

وكأنى رأيت النصر يدور بين المعسكرين ، فلا يدنو حتى يبتعد ولا يبتعد حتى يدنو ، ولا يزال بين إقبال وإدبار ، وبين طلوع وأفول فى سحابة نهار

لقد كان فى الميدان جيشان من الماضى والحاضر ، ولم يكن به جيشان من عصر واحد . فحكم الزمن بمصير المعركة قبل أن يلتقى الجيشان

كانت الحضارة والمدفع الرشاش والأسطول الصغير فى أحد الجانبين

وكانت البداوة فى الجانب الذى يناضله ، وليس معها من سلاح غير الحراب أو راميات بالنار تشبه الحراب ، وكل أولئك من عمل الحضارة نفسها فى أوان فات

وقيل إن السيف الذى شهره المهدى كان سيفاً لبعض الفرسان التيوتون فى الحروب الصليبية عليه طابع شارل الخامس ثم انتقل إلى سلاطين دارفور ، وهو تاريخ فيه من الحق أكثر مما فيه من الأساطير

فهذا السيف كان رمز القوة التى اعتز بها الخليفة عبد الله ، فلم يزد عليه من العصر الحديث ما هو أقوى منه بكثير ، إلى جانب المدفع الرشاش

لقد حارب بعد زمانه بسبعمائة عام ، فأحرى ألا يصيب فى غده ما لم يصبه فى أمسه ، وهو إذ ذاك أمضى سلاح

وأما الشجاعة فلا شجاعة فوقها ، يتمناها لجيشه كل قائد فى كل قتال

وأما النظام فيخطئ من يحسبه لغواً فى جيش الدراويش لأنهم كانوا على نظام فى الحركة لا يخرج من زمام القيادة ، وإن كانت القيادة نفسها مضللة الزمام

وأما الحيلة فهى ليست فى ذلك الجيش بالقليلة ، بل لعلها كانت وشيكة أن تفلح فى يومها ، لو لم يتأخر الموعد ببعض القادة عن الهجوم فى حين الحاجة إليه

إنما كانت الغلبة لزمن على زمن ، ولغد على أمس ، وكل معركة فيها الغد والأمس قرنان متصاولان فالغد صاحب الغلبة فيها لا مراء

* * *

وكنت أقرأ عن حروب عمر بن الخطاب وأنا أطوف بين بيت الخليفة وكررى وأذكر هذا الصراع إلى جانب ذلك الصراع

أكان القدر هو الذى ساقنى فى تلك الفترة إلى كررى ، أم هو الذهن يشتغل بالشيء فى حين من الأحيان فيرد كل ما يراه وكل ما يسمع به إليه ؟

ليكن هذا أو ذاك . فقد علمت شيئاً من « كررى » وأنا أنظر فى حروب الفاروق مع دولتى الفرس والروم ، ولم أكن لأجمع بين العبرتين لولا أن وقفت بكررى وعرضت فتوح عمر وأنا واقف هناك

إن العقيدة لتظفر بما تريد وهى مع الغد على وفاق ، ولا تظفر بشيء ذى بال وهى مع الغد على عداء

ولم تكن العقيدة ناقصة فى جيش الخليفة عبد الله ، بل كان له حظ منها كأوفى الحظوظ ، وكان الرجل من الدراويش يهجم على النار بغير سلاح ولا يبالى الموت . فقصارى جزائه من هذه الشجاعة كان أن يموت

وكانت العقيدة زاد المسلمين فى جيوش عمر فشجعوا وظفروا وعاشت عقيدتهم بعد من ماتوا ، لأنها كانت عقيدة يحارب معها الغد وتجرى فى طريق التقدم ، فلا تتصارع العقيدة والغد إلا كان النصر للغد على العقيدة ، ولا يتفقان ويغلبهما غالب كائناً ما كان حظه من الجند والسلاح .

عباس محمود العقاد

منهاج الذاتية الأدبية

للدكتور زكى مبـــارك

صديق ...

كتبت إلىّ تسأل عن المراد من « الذاتية الأدبية » وهى كلة يكثُر ورودها على سنان قلمى ، ثم تدعونى إلى رسم المنهاج ، إن كان لها منهاج

وأجيب بأن الذاتية الأدبيــة هى أن تكون أنت أنت فيما تكتب وفيما تقول ، بحيث يشعر من يقرأ لك ، أو يستمع إليك ، أنك تنقل عن قلبك وضميرك ، وأن لك خصائص ذاتية لا يزاحمك فيها سواك ، وأنك لو نشرت مقالاً بدون إمضاء لنمّ عليك الروح قبل أن ينم عليك الأسلوب ، فإن الأساليب قد تتشابه فى كثير من الأحايين تشابهاً يسمح بإضافة آثار كاتب إلى كاتب ، أو شاعر إلى شاعر ، أو مؤلف إلى مؤلف ، عند طىّ الأسماء

أما التشابه فى الأرواح فهو نادر الوجود ، ولعله لا يقع إلا عند ضعف الأرواح ، كما تتشابه الغرائز أو تتماثل عند صغار الطير والحيوان

ولتوضيح هذه النظرية أذكِّرك بمعلقة امرئ القيس ومعلقة لبيد ، فعلقة امرئ القيس يمكن أن تضاف إلى غيره من الشعراء ، ويمكن لأىّ شاعر أن ينظم مثلها بلا عناء ، أما معلقة لبيد فهى شعر لبيد ، ولن يحاكيه فيها شاعر ، ولو قضى العمر فى رياضة النفس على الاقتداء

وبفهم هذه النظرية تتضح مشكلةٌ عجز عن حلها من تحدثوا عن المنحول من الشعر الجاهلى ، لأنهم يبنون أحكامهم على الأساليب لا على الأرواح ؛ فرقّة الأسلوب هى عندهم خصيصة حضرية ، وجزالة الأسلوب خصيصة بدوية ، وعلى هذا يقاس ، كما صنع سعادة الدكتور طه بك حسين

الروح هو الأصل فى تقدير القِيم الأدبية ، وعن الروح يتفرع الأسلوب . ولو شئت لقلت إن لكل كاتب أساليب تختلف باختلاف مقامات الإنشاء ، كما تختلف نظرات العيون باختلاف مقامات الحديث ، وكما تختلف نبرات الأصوات لمثل تلك الأسباب ، ثم يبقى الروح الذى يدل على صاحبه فى جميع الحالات بلا استثناء

فانظر أين أنت من هذه الحدود : أينمّ عليك روحك ؟ أينمّ عليك أسلوبك ؟ أتنمّ عليك التبعيّة الذليلة فى الروح والأسلوب لأحد الكتّاب أو أحد الشعراء

أنظر أين أنت ، فأنا أحب أن أعرفك بالروح قبل أن أعرفك بالأسلوب ، وافهمْ جيداً أنه لا قيمة لأديب بلا روح ، روح أصيل تعرفه بسيماه ، ولو أقبل عليك ملثّماً مع ألوف من الأرواح

هل قرأت سورة يوسف ؟

فى تلك السورة الكريمة آيةٌ صريحة فى أن يعقوب وجد ريح يوسف قبل أن يصل القميص ، وأنه شُفِى من عماه عند وصول القميص

فهل تفهم المراد من هذا الرمز الطريف ؟

هل تفهم كيف يدرك الأعمى أشياء بطريق لا سمع فيه ولا لمس ؟

هذا هو الروح الذى أحب أن تلتفت إليه فى حياتك الأدبية ؛ الروح الذى يدل عليك من أول سطر ، أو من أول حرف ، قبل أن يرى القارئ اسمك فى خاتمة مقالك ، فإن وصلت إلى هذا فأنت من أصحاب الذاتية

ولكن كيف تصل ؟

هنا يبدأ الحديث عن المنهاج :

يجب أولاً أن تحرر عقلك وقلبك وروحك من جميع الأوهام والأباطيل والأضاليل . ومعنى هذه الوصية أنه يجب أن تنظر فى جميع الأشياء وجميع المعانى نظرة استقلالية منزهة عن الخضوع لنظرات من سبقوك ولو كانوا من أعاظم الرجال ، لأن الغرض هو أن تصبح روحك جارحة من الجوارح ، وهى لا تصير كذلك إلا إن عودتها الفهم والإدراك بلا وسيط . وهل تكون الروح أقل قيمةً من الرِّجل ، يا بنى آدم ، والرجل لا تمشى إلا إن عودناها المشى ؟

وإذا كان علم السباحة لا يُعرف بالوصف ، وإنما يُعرف

بالتدريب على مغالبة الماء فى أيام أو أسابيع ، فَعِلْمُ الروح لا يُدْرَك بالوصف ، وإنما يدرَك بتدريب الروح على التذوُّق والتفهم فى أعوام أو أزمان

أراد سابحٌ عبور النيل فغرق ، وأراد سابحٌ عبور المانش فنجح ، مع أن السابحين توأمان . فكيف نجح هذا وغرق ذاك ؟ يرجع الفرق إلى اختلاف التمرن والتدريب . وما يقال فى القوة الجسمية يقال فى القوة الروحية . فعاودْ روحك بالتمرن والتدريب فى كل وقت ، واحفظها من الغفلة عن إدراك دقائق الفروق بين الأشياء والمعاني ، وعوِّدها التفكير فى جميع ما ترى عيناك ، وما تسمع أذناك ، وما يهجس به الخاطر فى اليقظة أو فى المنام ، فالنوم كلمة سوقية وليس له مع حياة الروح وجود

إن عملت بهذه الوصية عاماً أو عامين ظفرت حتماً بالحاسة الذوقية ، وهى مفتاح الظفر بالذاتية الأدبية ، فتوكلْ على الله وابدأ من هذا اليوم

ويجب ثانياً أن توطِّن النفس على الغُربة الأبدية ، ولو كنت فى دارك وبين أهلك ، فالمفكرون فى جميع العصور غرباء

لن يكون لك ظهير غير قلمك ، ولن يكون لك نصير غير روحك ، فاعرف أين تضع قدمك قبل أن تخاطر بنفسك فتصحب رجال القلم البليغ

إن صُحبتنا متعبة ومضنية ومؤذية ، لأن طريقنا أشواك مِن تحتها أشواك ، وقد رحَّبنا بالظمأ والجوع ، وبما هو أفتك من الظمأ والجوع ، فى سبيل الذاتية الأدبية ، فانظر كيف تصنع إذا ضَعُفتَ عن السير فى بداية الطريق ، أو فى منتصف الطريق ، طريق الموت أو الخلود

أنا أرحمك فأنهاك عن الاحتراق بنار الأدب ، وليتنى وجدت من ينهانى قبل أن أحترق !

إن صريع الأمواج يجد من يمدّ له يد الإنقاذ والإغاثة ، أما صريع النيران فلا منقذ له ولا مغيث ، ونحن صرعى النيران لا الأمواج

إن اللصوص يتعاطفون فلا يشهد بعضهم على بعض ، ولا يكيد أحدهم لأخيه ، ولسنا لصوصاً حتى نعِدك ونمنّيك ، وإنما نحن أدباء يكتب أحدنا لزميله صحيفة الاتهام ، بلا تورع ولا استحياء

إرجع قبل أن تحترق ، أيها الخاطب لما يسمّونه الأدب الرفيع ولو أننى أملك الرجوع لرجعت ، فارجع أنت قبل أن يصعب عليك الرجوع ، وقبل أن تصير الاستغاثة فوق ما تطيق

كان شيخنا المظيم « عبد الحميد بن يحيى الكاتب » زوّدنا بنصائح تحفظ كرامة رجال الأقلام ، فهل سمعنا وأطعنا ؟ هيهات ثم هيهات !

لا يخدعنْك السراب الخدّاع فتتوهم أن احتراف الأدب أنفع من الاتجار بالتراب ، ولا تُطِع المضللين من أدعياء الأدب إلا إن ارتضيت إطاعة الشياطين

لقد نصحتُك ونصحتك ثم نصحتك ، فإن رأيت أن هذا النصح لم يؤثر فى نفسك ، ولم يصدّك عن عزمك ، فأقبلْ ثم أقبلْ على الاحتراق بالهب المقدس ، لهب الأدب ، فنحن وحدَنا الأحياء ، ونحن وحدَنا الخالدون ، ولأعدائنا الموت والفناء !

إنَّ كلمةً تُضَمُّ إلى كلمة فى ذكاء ولوذعية أشرف وأعظم وأنفع من كنوز تضاف إلى كنوز ؛ وإن جود الله بالفكر والروح على من يصطفيهم من عباده ، لهو أطيب الهبات ، وأكرم الأرزاق

أقسمَ الله بالقلم ، ولم يُقسم بالمال ، ونحن بالله مؤمنون !

هل رأيت الله تخلّى عن أديب سليم القلب قويّ الروح ؟

لقد خرج المتنبى هارباً من مصر فى ليلة عيد ، فكم ألوفاً من الدنانير أنفقت مصر فى تعليم أبنائها حكمة المتنبى ؟

وقد مات محمد عبده بعلة أورثه إياها عقوق معاصريه ، فكم ألوفاً من النفوس حاولت التشرف بأنها رأته قبل أن يموت ؟

وعانى مصطفى كامل الكاتب والخطيب أشتات التهم الأوائم ، ثم كان من خصومه وحاسديه ومبغضيه من اشترك فى صنع التمثال

ومرّتْ آلاف السنين ، والناس جميعاً يستوحشون من الليل ، فكان غناء المصريين : يا ليل ... يا ليل ! !

صديق :

أتراني شرحت المراد من الذاتية الأدبية ، ثم رسمت لك المنهاج ؟

هذه ومضة من ومضات ، وسأرجع إلى إرشادك بالتفصيل ، حين أطمئن إلى أنك أحد الأوفياء بالعهود .

زكى مبارك

مهمة التعليم الجامعى

لمناسبة إنشاء جامعة فاروق الأول

للأستاذ عبد الله حسين

لعل من أمارات التوفيق أن يتاح لمصر إنشاء جامعة جديدة شاملة لمختلف الكليات، وهى جامعة فاروق الأول فى الإسكندرية التى ستفتتح فى العام الدراسى الجامعى القريب. فقد حقق هذا أمنية طالما جاشت فى الصدور؛ وسيكون من علائم التوفيق أيضاً أن يتاح لأبناء الصعيد جامعة فى عاصمته «أسيوط»، وأن تتوالى بعدئذ الجامعات، فتصبح مصر موطناً صادقاً للثقافة فى الشرق الأوسط، وتستعيد مصر حضارتها العلمية القديمة، حيث تخرج الأساتذة للعالم الشرقى العربى، وإن شئت للعالم كله

غير أن إنشاء الجامعات لا يحقق وحده هذه الأمانى، متى كان الأمر مقصوراً على الصور والهيا كل والأشكال. كما أن إنشاء البرلمانات وإقامة الدساتير ذات المواد الكثيرة، لا يحقق بذاته المعنى النيابي التمثيلى المنشود، مهما تتألف هذه البرلمانات من مجالس الشيوخ والنواب، بما تضمه من مكاتب ولجان؛ ومهما يكن للنواب من الحق فى تقديم الأسئلة وتوجيه الاستجوابات وحق طرح الثقة، ما دام أن النواب لم يستطيعوا أو لا يستطيعون بالفعل، لا بعمل الدستور، أن يسقطوا الوزارات؛ بل إن من الوزارات ما يستطيع أن يسقط المجالس النيابية، ويلغى الدساتير، ويستبيح كل ما حرمته

***

ليس من شك فى أن كل أمة تشغل بالعرض عن الجوهر، ويصرفها الشكل عن الموضوع — لن تظفر بما تبتغى من الأغراض، إذ أن هذه الأغراض ستظل أمنية وخيالاً بديعاً وحلماً جذاباً

من أجل هذا، نرجو أن يتاح لجامعة الإسكندرية ما لم تتحه الملابسات لجامعة القاهرة. فإن هذه الجامعة لا تزال جامعة شعبية أو فى حقيقتها مجموعاً من المدارس العالية، غايتها عقد امتحانات وتوزيع شهادات، وانصراف حملتها بعدئذ إلى الوظيفة.

لم يتهيأ لجامعة القاهرة إلى اليوم أن ينصرف أساتذتها وطلبتها إلى البحث العلمى كغاية أولى للجامعة. ذلك أن نشأة الجامعة الأولى بجمع المدارس العالية التى كانت قائمة يومئذ تحت اسم الجامعة، والوقت السياسى، والتيار الحزبى الذى قامت فيه الجامعة، وفترة التحول من السيطرة الأجنبية على التعليم إلى الحكم التعليمى الوطنى، وتشبع الكثيرين من رجال الجامعة وطلبتها بالطموح السياسى، والحفاوة بالأعمال الإدارية التى تطفى على القائمين بها لوناً من الجاه الحكومى؛ كل هذا قد صرف الأذهان كثيراً عن التجرد للبحث العلمى دون سواه من الغايات المادية والسياسية

وحسبنا أن نشير إلى ذلك العدد الكبير من رجال الجامعة الذين غادروا مقاعد التدريس إلى مناصب الدولة الأخرى، وتطلع من خلفوهم إلى هذه المناصب ذاتها

فإذا استطاعت الجامعة الوليدة، جامعة الإسكندرية الجديدة، أن تحقق المعنى الجامعى، بأن يقف أساتذتها وطلبتها جهدهم على المساهمة فى البحوث العلمية، وأن يشاركوا فى المجهود الذى تقوم به الجامعات الأخرى، حققنا الغاية من إنشاء الجامعة، على أن ندع لجامعة القاهرة مهمتها الشعبية من حيث تخريج حملة شهادات للتوظف، تاركين للزمان أن يهيئ لها تحولاً صادقاً إلى المعنى الجامعى الحقيقى.

كان المعنى الجامعى متحققاً فى الأزهر فى أشد الأزمات التى نزلت به، ذلك أنه كان هناك شيوخ وطلبة تجردوا عن المادة والجاه، للعلم الأزهرى، يدرسونه فى الأزهر والمسجد والدار وعلى قارعة الطريق وفى الأفراح والمآتم: كان الشيخ يتحدث إلى الناس فى كل مكان جاعلاً علمه شائعاً لا يبغى من وراء ذلك جزاء أو شكراً. أما إذا كان شيوخ الأزهر لم يوفقوا يومئذ فى المساهمة العامة للبحث العلمى الإنسانى، فإن مرجع هذا إلى الأحوال السياسية وفساد الحكم والحكام وعدم التشجيع.

فالتجرد للعلم والانصراف عن المادة أو توجيهها لخدمة البحث العلمى — هو العنصر الأولى للجامعة لكي لا تكون اسماً أو رمزاً لا يدل على حقيقة

مشاركة الأدب الإنجليزى في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٢ — بداية الاستشراق

لقد رأينا كيف ذهب العلماء الإنجليز فى القرون الوسطى إلى أسبانيا وصقلية لتلقى العلوم من العرب ، وكيف نشروا ما اكتسبوه بعد عودتهم إلى انجلترا . وسنتطرق الآن إلى تطور جديد فى الدراسات العربية ، وهو ظهور ما ينبغى أن يسمى أوائل المستشرقين بالمعنى الذى تؤديه كلمة الاستشراق فى العصر الحاضر . فقد حدثت تغيرات كبيرة فى خلال السنين التى مرت على الزمن الذى مرّ بين الدور الذى درسناه فى حديثنا السابق ، والدور الذى سنأتى إليه الآن . فتقدمت أوربا تقدماً ذا شأن فى العلم والمعرفة ، وفقد العرب تفوقهم القديم ، ولم يعد من الضرورى للدارسين من الأوربيين أن يتطلعوا إلى مدرسين من العرب ، ليتلقوا منهم العلوم العامة ، وأخذنا نشاهد نوعاً جديداً من الاستشراق ، وهو ذلك النوع الذى يعتبر أساً للاستشراق الحديث ؛ فقد أخذ الباحث الإنجليزى يدرس العربية لا لتحصيل ما يمكن أن يأخذه من العالم العربى من فلسفة وعلم ، بل من أجل الثقافة العربية نفسها . وللمرة الأولى شرع الإنجليز فى دراسة اللغة العربية والآداب العربية دراسة جدية . وكان عملهم — كعمل المستشرقين المحدثين — ذا نفع للعرب بقدر نفعه للفرنك ، وهو ينطوى على جمع القواميس العربية والنحو والصرف ونشر المخطوطات العربية — قبل أن يتم طبعها فى الشرق بزمن طويل — والبحث العلمى فى تاريخ العرب وآدابهم ، وغير ذلك من مظاهر النشاط التى تدخل فى هذا المضمار . وقد بدأت هذه الحركة فى القرن السابع عشر ، وفى هذا القرن أُنشئ منصب أستاذية اللغة العربية فى جامعتى اكسفورد وكامبردج ؛ وأخذ الأساتذة الإنجليز يدرسون اللغة العربية لعدد من المتشوقين لها من الطلاب ، وطبعت أوائل الكتب العربية فى انجلترا . وعلينا أن نأتى بشىء من التفصيل لحياة بضعة أفراد من ذوى المشاركة فى هذه الأعمال :

إن الرجل الذى يعرف بصورة عامة بأنه « أبو الدراسات العربية » فى انجلترا هو « وليم بدويل » (١٥٦١ — ١٦٣٢) وله مقالة طريفة يؤكد فيها أهمية اللغة العربية وضرورة تعلمها ، وهو يصفها بكونها « لغة الدين الوحيدة ، واللغة الرئيسية للدبلوماسية والأعمال من الجزر السعيدة إلى بحار الصين » . وتكلم عن نفعها فى الآداب والعلوم . ولقد كان لبدويل بعض الشهرة فى عصره ، وعرف فى جميع أوربا بأنه عالم بالعربية ، وكان أهم آثاره معجماً عربياً فى سبعة مجلدات لم يطبع لسوء الحظ . وفى وسعنا أن نذكر بين كتبه بعض الأصول العربية التى طبعت فى انجلترا ، وبعض الدراسات عن القرآن ، ومعجماً للألفاظ العربية المستعملة فى اللغات الغربية من المهد البيزنطى إلى عهده هو

وهناك شخصية أخرى هى شخصية « أدموند كاستل »

نريد علماء لا تشغلهم بالتقليب ولا يشغلون أنفسهم بالدرجات والرتب والأوسمة واتخاذ التدريس وسيلة إلى الجاه الحكومى على صورة من الصور . علماء يحج الناس من مختلف البقاع للتشرف بالاستماع إليهم والمباهاة بلقائهم واتخاذ مؤلفاتهم مصابيح للاهتداء ومراجع للاقتداء

وعندى أن هذا سيكون ميسوراً لجامعة الإسكندرية أكثر من جامعة القاهرة ؛ ذلك أن القاهرة ، حيث تتجمع فيها أندية السياسة والصحافة والأحزاب والألقاب وألوان الجاه ، لن تنفأ تجذب إلى جاهها رجال الجامعة والتعليم . أما الإسكندرية فهى بمنجى عن هذا الجاه . فى الإسكندرية الهدوء والصفاء وزرقة السماء والماء — الأمر الذى ينشده العلماء ولا يجدونه فى القاهرة الصاخبة المتقلبة الضخمة

فعلى رجال الدولة — والأمر كما أوضحنا — أن يهيئوا الجامعة الإسكندرية ذلك الجو الجامعى ، وتلك البيئة العلمية الحقة ، لكى تستعيد مفاخر جامعة الإسكندرية القديمة

عبد الله حبيب

(١٦٠٦ — ١٦٨٥) وهو أحد أوائل أساتذة كامبردج فى اللغة العربية ، وقد كان الأثر الذى أفنى فيه حياته هو (قاموس اللغات السامية) ، استنفد تصنيفه منه ثمانية عشر عاماً ، وطبع لأول مرة فى سنة ١٦٦٩ . ويتكلم مؤلفه فى مقدمته عن « الإثنى عشرة عاماً التى انقضت فى العمل المستمر لما يزيد على ١٦ أو ١٨ ساعة فى اليوم — ونادراً ما قل عن هذا المقدار — من السهاد ، وضنى الجسم ، وضياع المال » . وقد كان هذا القاموس — وهو الأول من نوعه — عظيم الأهمية وأعيد طبعه عدة مرات فى انجلترا وأوربا . ونذكر من جملة آثار كاستل الأخرى مجالة عن أهمية اللغة العربية ، وتعليقاً على ابن سينا ، ومجلد أشعار عربية مهدى إلى الملك شارلس الثانى ملك انجلترا

ومنهم « جون كريفس » (١٦٠٢ — ١٦٥٢) ، وهو أحد الرياضيين المشهورين . وكان وقتاً ما أستاذ علم الهيئة فى جامعة اكسفورد . وكان كثير الأسفار إلى الشرق الأدنى وعلى الأخص إلى مصر ، ودرس اللغة العربية والفارسية دراسة جدية ، واقتنى مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والفارسية ، والنقود والجواهر ، وطبع أجرومية صغيرة للغة الفارسية . وكان اهتمامه الرئيسى فى الناحية الرياضية من أدب المسلمين فنشر عدة نصوص ودراسات فى هذا الموضوع ، وكان أخوه « توماس كريفس » يعرف العربية أيضاً والفارسية ونشر بضع مقالات

ونذكر من جملة العلماء فى العربية الآخرين فى القرن السابع عشر « إبراهام ويلوك » وهو أول أستاذ للغة العربية فى جامعة كامبردج ؛ و « ساموبل كلارك » صاحب مجالة فى القريض العربى ومفردات بعض أسماء الأماكن العربية ؛ و « بريان والتون » الذى طبع الإنجيل بعدة لغات شرقية ؛ و « دَدْلى لوفتس » وهو أحد علماء وفقهاء القانون الإرلندى . وقد لعب « جون سلدان » (١٥٨٤ — ١٦٥٤) ، السياسى القانونى دوراً مهماً فى الحياة الإنجليزية فى ذلك العهد ، وكان يعرف عدة لغات شرقية منها اللغة العربية فضلاً عن معلوماته الأخرى . وقد نقح ونشر بعض النصوص العربية التاريخية ، وترك وراءه مجموعة من المخطوطات الشرقية

ولقد كان أعظم العلماء بالعربية فى ذلك الحين بلا منازع هو « ادوارد بوكوك » (١٦٠٤ — ١٦٩١) الذى كان أول من شغل منصب أستاذ اللغة العربية فى جامعة أكسفورد ، وأول المستشرقين الأوربيين الذين قاموا بأعمال من الدرجة الأولى حقاً ؛ فقد بدأ بوكوك دراسته للغة العربية فى أوائل عمره ؛ وكان وليم بدويل يرعاه ، كما قام « ماتياس باسور » — وهو أحد النازحين من ألمانيا بسبب الاضطهاد — بتعليمه مدة من الزمن فى جامعة أكسفورد . وذهب فى سنة (١٦٣٠) إلى حلب حيث قضى هناك خمس سنوات أتقن فى خلالها اللغة العربية كتابة ولفظاً ، واقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية جاء بها معه عند عودته إلى اكسفورد ، وبذلك أنقذها من التلف الذى كان من المحتمل أن يحل بها ، وأنشأ لنفسه صداقات مع كثير من الحلبيين وعلى رأسهم « الشيخ فتح الله » أحد العلماء الذين درس عليهم، وقد بقى صديقاً له مدى حياته .

وفى سنة ١٦٣٦ عند ما عاد بوكوك إلى انجلترا عين فى المنصب الذى أنشئ حديثاً للغة العربية فى أكسفورد ، حيث حاضر فى الأدب العربى وقواعد اللغة العربية ، وبدأ فصوله تلك بمحاضرة عن أهمية اللغة العربية والأدب العربى . وشرع فى سلسلة محاضرات يدرس فيها أقوال الإمام على .

وفى سنة ١٦٣٧ زار مصر للمرة الثانية بغية الحصول على معلومات جديدة ومخطوطات جديدة ، وقد عاد إلى أكسفورد فى سنة ١٦٤١ وخصص أيام حياته الأخيرة للعمل المنتج فى انجلترا ، وكان « جون كريفس » الرياضى قد صاحبه فى رحلته الثانية .

وفى خلال إقامته الطويلة فى أكسفورد — حيث كان يجلس فى ظل شجرة التين التى جاء بها معه من سوريا ، والتى لا تزال موجودة إلى الآن ، وهى أقدم شجرة من نوعها فى انجلترا — أخرج بوكوك عدداً كبيراً من الكتب المهمة نذكر منها ما يلى :

١ — « نموذج من تاريخ العرب » : وهو نصوص من تاريخ أبى الفرج ، مردفة بسلسلة من الدراسات المستفيضة عن النواحى المختلفة لتاريخ العرب ، وعلومهم ، وآدابهم ، ودينهم . وهذا الكتاب من أهم آثار المستشرقين ، وظل يحتل هذه المنزلة لدى العالم مدة طويلة . طبع فى أكسفورد سنة ١٦٤٩ وأعيد طبعه فى سنة ١٨٠٦

٢ – لامية العجم : وهى طبعة انتقادية لقصيدة الطغرائى الخالدة ، وقد أرفقت بترجمة وشروح وملاحظات ، وطبعت فى أكسفورد سنة ١٦٦١

٣ – المختصر فى تاريخ الدول : وهو النص الكامل لتاريخ أبى الفرج مع ترجمته .

لقد وسم « بوكوك » بحياته وآثاره دوراً من أدوار الدراسات الأوربية الشرقية بميسمه ، وكان ذا شهرة مستفيضة فى زمنه ، ويدين له جميع العلماء الذين خلفوه بدين كبير . وكان العلماء فى جميع أنحاء أوربا والشرق يكتبون إليه طالبين المعونة والإرشاد ، ويفد إليه العدد الكبير من الطلاب من البلاد القصية – كرومانيا مثلاً – إلى أكسفورد ، لدراسة اللغة العربية على يد أعظم أساتذتها الأحياء فى أوربا . ولقد وصفه قرينه فى معرفة اللغة العربية المستشرق الهولندى كوليوس أستاذ اللغة العربية فى جامعة ليدن نفسه بأنه « لا يدانيه أحد فى عالم الاستشراق » . وقد ترك زيادة على الكتب التى مر ذكرها عدداً من الدراسات الأخرى ومجموعة من (٤٢٠) مخطوطة اقتنتها بعد موته مكتبة اكسفورد ولا تزال هناك حتى الآن ، وهى تكون جناحاً ذا قيمة من القسم العربى من تلك المكتبة .

ولقد خلف ستة أبناء كان أكبرهم – واسمه إدوارد بوكوك أيضاً – (١٦٨٤ – ١٧٢٧) قد تابع خطة أبيه واعتنق الدراسات المشرقية ، وقام بطبع عدة كتب من ضمنها الطبعة التى لم تكمل لتاريخ مصر لعبد اللطيف ، وترجمة لإحدى خولد ابن طفيل الفلسفية

وعلى ذلك كان القرن السابع عشر دور تطور عظيم فى تاريخ الدراسات العربية فى انجلترا . ويمكن إرجاع سبب الاهتمام الجديد بالدراسات المشرقية إلى عدة عوامل يأتى العامل اللاهوتى فى أولها ولا شك ، فقد كان من المفهوم فى ذلك الحين أن اللغتين العربية والعبرية متقاربتان كل التقارب . ومن المؤمل أن تؤدى دراسة اللغة العربية إلى إلقاء ضوء جديد على « العهد القديم » . وأوغل من ذلك فى الأهمية هو الإدراك الجديد لمنزلة اللغة العربية والتاريخ العربى من الوجهة الثقافية . ولقد شهد العصر المتقدم عهد إحياء جديد للدراسة على أوسع معانيها ؛ فشملت الاهتمام الجديد باللغات والدراسات الكلاسيكية ، وكان من الطبيعى أن يدرك طلاب التاريخ البشرى والمدنية أهمية اللغة العربية العظمى بين تواريخ الإنسان ، وأن يعملوا على طلب المزيد من معرفتها . وقد كتب كل من بدويل وكاستل وبوكوك جميعاً مقالات عن أهمية اللغة العربية بصورة عامة ، والحاجة إلى أن يدرسها رجال أكفاء .

وينبغى أن نذكر أخيراً العلاقات المستجدة فى التجارة والسياسة بين انجلترا والشرق الأدنى ، وما أطلقته من مصالح ومناسبات ، فبفضل تلك المناسبات أتيح لبوكوك أن يقوم برحلتيه المثمرتين إلى الشرق ، وكانت تلك المصالح متسعة الأرجاء ولم تقتصر على رئيس الأساقفة « لور » ولم يكن هو الوحيد الذى اهتم بنشر الدراسات العربية فى انجلترا ، والمتبرع بالكرسى الأدبى للغة العربية فى اكسفورد

وبالرغم من الاضطرابات التى أحدثتها الحرب الأهلية فى نهاية القرن السابع عشر ، فإن هذا العصر كان جديراً بالاعتبار ، فقد تألفت فيه مراكز للدراسات العربية فى اكسفورد وكامبردج ، وطبع عدد كبير من الكتب ، وأنشئ عالم جديد أنتج فيما تلا ذلك من العصور عدداً متتابعاً من الباحثين المشهورين الذين زادت آثارهم فى ثروة الميراث الثقافى لكل من العرب وأوربا ، وسنتكلم عنهم فيما يلى من هذه الفصول .

عبد الوهاب الأمين

ضرورة الأفصاح عن الرغائب

للأستاذ حسين الظريفي

كان مما تناولناه فى مقال لنا سابق عن الرغائب ، تلك القوة الديناميكية التى تتمتع بها الرّغبة ، وتندفع إلى الظهور ؛ وما تلك القوة إلا وليدة ذلك الرباط الذى ترتبط به بالغريزة . والغريزة لا ريب تراث ذلك الماضى الطويل الذى يظل يتقهقر ويتقهقر حتى يتصل بأول الخليقة ؛ فليس مما يقع فى الإمكان أو يتصور فى الأذهان ، أن تبطل هذه الغرائز ، أو ينعدم ما تتمخض عنه من الرغائب ، ونحن لم نزل فى ظروف وبين وقائع إن لم تكن مثل تلك التى احتضنت الإنسان الأول فإنها لها مقاربة . وما كان لبشر أن يحيا مجرداً عن الرغائب ، وهى التى تشعره بوجوده وتدفع به فى طريق الأمل والعمل

والحقيقة التى يدور عليها مركز ثقل الموضوع فى هذا المقال ، هى أن الرغبة لا تخلو إما أن تكون تطوراً لغريزة ، أو عوضاً عنها . فنحن كنا نعيش بالغريزة العمياء ، حتى إذا أبعدت الحياة فى مراحل التقدم ، أخذت بعض الغرائز تستحيل إلى رغائب بحيث لا يبقى لها من أثر فيما استحالت إليه ، إلا ذلك المعنى الذى يدفع أو يمنع . ونحن إنما نطوّر الغريزة إلى رغبة ، أو نستبدل هذه بتلك ، بذلك العامل الفكرى الذى تمتع به الإنسان منذ عهده الأول فحدا به إلى التقليد تارة وإلى التجربة مرة أخرى ، حتى انتهى به المطاف فى مراحله الكثيرة إلى أن أصبح مجموعة رغائب بقدر ما كان مجموعة غرائز

وأخذت الرغبة عن أمها الغريزة ما لها من قوة وفتوة ، وأصبحت فى نفس الإنسان مظهر قلق من هذا ، وعامل إقدام أو إحجام من ذاك ، ولكنها على كل حال تأبى إلا أن تُدرك ما لا يُترك ، وإلا بقيت فى النفس شغلاً شاغلاً أو علة دفينة . فنحن لا يمكن أن نشعر بالسعادة ولو كانت محدودة فى النوع وفى الزمن ، ما دامت إحدى رغائبنا القوية لا نصل إلى ما تريد الوصول إليه . تلك هى العلة فى شكوى أكثرنا مما يقع لهم فى الحياة ، حتى تكاد تضيق بهم على رغم ما لها من سعة وما فيها من متعة . فتيار هذا الشعور إنما يرجع إلى مصدره فى أعماق النفس ولا شأن له مع الخارج

غير أن قضاء هذه الرغبة وحده لا يكفى فى إيجاد الشعور بالسعادة ، وإنما يجب أن يرى هذا القضاء على شكله النافع لمن قامت هى عنده ولغيره من الناس . فالرغبة فى ذاتها لا تمثل خيراً ولا شراً ، وإنما تضر أو تنفع بالقياس إلى طريق إشباعها من جوع وإروائها من ظمأ ؛ لذلك أمكن أن نتخذ من الرغبة مهما كان نوعها أو لونها ، عامل نصر فى معركة الحياة

إن فى طيات النفس ضروباً من الغرائز إحداهن غريزة المقاتلة ، غير أن هذه الغريزة لم تَعُد تفصح عن نفسها فى أوساط الحضارة وفى أغلب الأحيان ، كما كان يفصح عنها الإنسان الأول فى بيئته المتأخرة وإدراكه المحدود ؛ فبعد أن كان الأوائل من أهل القرون الموغلة فى القدم لا يكتفون فى إشباع هذه الغريزة بغير القتل والتمثيل ، أصبح لنا من وازع الضمير ومن قوة القانون ما يحول دون الإفصاح عن هذه الغريزة بلغتها الأولى ، فقد تثور فى داخلنا الرغبة فى القضاء على الخصم ، إلا أن ما نماًيقيمه الضمير ، أو رهبة تبعثها العقوبة ، أو هذه وذاك مجتمعين ، يحولان دون تلبية تلك الرغبة الأولية بذلك اللسان القديم ، فنختار طريقاً آخر فى تأمين حاجة النفس إلى إيذاء العدو ، فنتعقب عيوبه ونعلنها للملأ أو نريه أنّا له مهملون

إن من طبيعة الغريزة أنها لا تظهر إلا بما هى فيه وعليه من غير تلوين أو مراوغة . ذلك لأنها خلو من التبصر والتدبر ، فلا تعرف معنى لاختيار الأصلح فى الهدف وطريقة الوصول

إليه . ثم هي لا تقيم وزناً لقوة الظروف وماهية الوقائع ، وإنما تتجه إلى الغاية في ذات الطريقة . لا تتلفت ولا تتكلف . ولكن بظهور حياة التمدن وتقيُّد هذه الحياة بآداب الوسط الجديد وبأحكامه الآمرة أو الزاجرة ، وجد المرء نفسه بحاجة إلى تعديل ما في بعض غرائزه الفطرية وإلى الاستعاضة عن بعضها الآخر بما دعوناه بالرغائب . وكانت هذه التطورات والتغيرات المتلاحقة على الغريزة أثراً لتلك المراحل الطويلة التي قطعها الإنسان في سبيل التقدم ، وصدى لذلك الصوت العميق المنبعث من أعماق الضمير

يتضح من كل ما تقرر أن الخلق ليس إلا مظهراً لرغبة تقيم في العقل ، ما أعلن منه وما أبطن ، فإذا نحن أردنا استبدال خلق بآخر أو إجراء تعديل فيه ، فلا مندوحة لنا عن التعرف بتلك الرغبة التي صدر عنها ذلك الخلق ، ومن ثم إشباعها بصورة حميدة تقضي على كل شذوذ في السلوك . أما إذا نُظر إلى الخُلق وحده ، وأهملت الرغبة التي تكمن وراءه ، فإن كل مسعى في إصلاحه يذهب سدى

وأفضل ما يضرب به المثال في هذا المجال ، ذلك الباعث الأول والدافع الأصيل في النفس وأعني به (الغريزة الجنسية) فإن إشباعها وإرواءها مما لا مفر منه ولا محيص عنه . فإذا اصطدمت هذه الغريزة بما حال دون الإفصاح عنها ، واضطرها إلى التواري من مجرى الشعور إلى ما وراءه — أبت وهي في قاع النفس إلا أن تضطرب وتلتهب وترسل في وسطها المظلم تيارات خفية من الأوامر والنواهي ، تظهر على المصاب عند تلبيتها بمظاهر الشذوذ

فنحن نبدو عاجزين عن معالجة العليل إذا فصلنا الشذوذ عن الرغبة الغريزية التي تحيط به وتغذّيه ؛ فالإصلاح يجب ألا يتناول الخلق ذاته ، وإنما يجب أن يتجاوزه إلى ما وراءه من بواعث خفية هي ولية الأمر في كل شذوذ عن المجموع ، وفي كل ظاهرة تمر ، وأخرى قد تصل إلى مرتبة الجنون ، أو تؤدي إلى ارتكاب الجريمة

وقد ظهر أن هذه الغريزة قد تستنفد طاقتها وتستفرغ وسعها في صور شتى هي خلاف اجتماع الذكر بالأنثى ، كالانصراف إلى الرياضة ، والاشتغال بالفنون الجميلة ؛ فإذا نحن عرفنا مصدر الشذوذ في الخلق وأرجعناه إلى ظمأ هذه الغريزة ، كان في مكنتنا تسوية هذا الشذوذ بإزالة ذلك الظمأ . . . تلك هي الطريقة الصحيحة في تقويم ما اعوج وبناء ما انهدم من جوانب أخلاقنا واتجاهاتنا وأهدافنا في الحياة . والأمر أهون مما يُظن متى كشف عن دخيلة النفس ، واستجيبت دعوة تلك الرغبة بما يرفع عنها الضغط ويعلو بها من القاع

حسين الظريفي

التصوير عند العرب

كتاب المرحوم أحمد تيمور باشا

للأســتاذ صلاح الدين المنجد

كان أحمد باشا تيمور ، أمّة فى النبل والعلم والأخلاق ؛ وركناً من أركان العربية فى الشرق ؛ وكان نقّابة بحّاثة متتبعاً . ما طرق موضوعاً إلا محّص وحقّق وجلّى ، وما ألّف إلا جمع وأطرف واستقصى . ثم مضى ، رحمه الله ، وخلّف ما يدل على سعة اطلاع ، وغزارة علم وَفِرَة مطالعة . وما خزانته النادرة إلا دليل فضله وآية غزارته وعلمه

كان ، رحمه الله ، إذا ألّف أتى بما يعجز الكثيرون من التتبعين والمحققين والجامعين عن إدراكه وجمعه . ولقد ترك لنا كثيراً من التواليف النوادر الحسان ، منها كتاب « التصوير عند العرب » هذا . ولقد عنيت فى الأيام الخوالى بهذا الموضوع ، فلم أعرف أحداً بلغ فيه ، من دقة الاستقصاء ، وجودة الانتقاء ، وندرة المنتخب ، وحسن التبويب والترتيب ، ما بلغه العلامة المؤلف . فقد جعله على خمسة عشر باباً ؛ فساق ما جمعه عن التصوير على الثياب والستور ، والأقداح والأوانى ، والمصابيح والسلاح ، والنقود ، والشارات والبنود ، والكتب والصحف والألواح . ثم بحث فى التماثيل ، منذ أيام الجاهلية إلى عصور المتأخرين الثابتة منها والمتحركة ، الصامتة والمصوّتة ، وتماثيل الصبيان ، وتماثيل الزهر ، والحلوى ؛ وختم الكتاب بفصل نادر ذى شأن عن المصورين العرب

وقد خص الدكتور زكى محمد حسن هذا الكتاب الثمين بعنايته ، فرد نصوص الكتاب إلى أصولها وصفحاتها ، وألحق به تعليقات وشروحاً وتفصيلات بلغ فى بعضها الذروة من حيث التحقيق والتمحيص وجمال البحث ، كـكلامه على التصوير عند المسلمين

وقد بدت لى ، أثناء مطالعتى هذا الكتاب ، ملاحظات من مآخذ وإضافات أردت نشرها تباعاً فى هذه المجلة الغراء

١ — ساق المؤلف خبر بساط أم المستعين الذى صُوِّرت عليه صورة كل حيوان ص ٢٩ ؛ فقال الأستاذ زكى محمد حسن فى التعليقة ذات الرقم (١٣٦) : لم نقف على المرجع الذى أُخذ هذا الخبر منه . وقد وجدنا نحن هذا الخبر فى كتب شتى ؛ كعيون التواريخ (مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) وكالمستطرف فى كل فن مستظرف . فقد جاء فى المستطرف ، وهو لا يختلف عما ذكره ابن شاكر فى عيون التواريخ ما يلى : « قال أحمد بن حمدون النديم : عملت أم المستعين بساطاً على صورة كل حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كل طائر من ذهب ، وأعينها يواقيتُ وجواهر »

ويُستدل من تتمة الخبر أن بعض هذه الصور كان تماثيل ، وربما كانت كلها تماثيل . . . فقد جاء بعد ذلك « . . . وأنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، وسألته أن يقف عليه ، وينظر إليه ، فكسل ذلك اليوم عن رؤيته . قال ابن حمدون : فقال (يعنى المستعين) لى ولأترجة الهاشمى إذهبا فانظرا إليه . وكان معنا الحاجب ، فمضينا ورأيناه ؛ فوالله ما رأينا فى الدنيا شيئاً أحسن منه ، ولا شيئاً حسناً إلا وقد عمل . فمددت يدى إلى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان ، فوضعته فى كمى . ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأينا . فقال أترجة الهاشمي يا أمير المؤمنين إنه قد سَرق منه شيئاً ، وغمز على كمى . فأريته الغزال . فقال بحياتى عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما . فمضينا ، فملأنا أكمامنا وأقبيتنا ، وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك ضحكاً وسُر سروراً عظيماً . . . »[1]

(١) انظر المستطرف (ج ١ ص ١٥٠)

٢ — نقل المؤلف عن النويرى وصف قصر المتوكل « البرج » فقال :

« وكان فيه صور عظيمة من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة وجعل عليها شجرة من ذهب فيها طيور تصفر سمّاها طوبى ... »

قلت : وفى كتاب الديارات للشابشتى الذى فرغت من تحقيقه تتمة للوصف لها علاقة بالبحث . قال الشابشتى : « وعُمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعين عظيمين ، ودرج عليها صور السباع والنسور وغير ذلك مما يوصف به سرير سليمان ابن داود عليه السلام . وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب »[١]

أضف إلى ما ذكره المؤلف فى باب التصوير على الجدران ما يلى :

« وقد وُجد على جدران قصر الحير الغربى (وهو القصر الذى كان لهشام بن عبد الملك ، وا كتشف أخيراً فى بادية الشام بين تدمر والقريتين ، ونقل إلى دمشق ، وأعيد تركيب أجزائه) أقول : وجدوا على جدرانه وأرضه كثيراً من الصور والزخارف الملونة ؛ من أعظمها ما عُثر عليه داخل غرفتين فيه ، رُصّفتْ أرضهما بالجص المصوَّر . تمثل الأولى سماوة امرأة تحمل بين ذراعيها سلّة فيها ثمار ، وقد التف حول عنقها ثعبان ، وفوقها صورة (قنطورسين) بهيئة رَجُلين نصفهما الأسفل ثعبان له مخالب سبع . ورسم فى أرض الغرفة الثانية مرزبان على جواده يطارد غزلاناً يرميها بالسهام . وصورة قينتين ، الأولى تنفخ بمزمار ، والثانية تضرب بمرهب الخشب على عود ذى خمسة أوتار . وحجم هذه الصورة يعادل حجم الإنسان ويزيد عنه فى بعضها ، وهى متقنة الصنع ، زاهية الألوان ، ساذجة الخطوط طبيعية الحركات »[١]

٤ — أضف إلى ما ورد فى باب التماثيل ما يلى :

« ومما وُجد على قصر الحير المنوه به فى الفقرة السابقة ، تمثال امرأتين كانتا فى مدخل القصر إحداها جالسة ، والثانية مستلقية على ظهرها تشبه صنعتهما التماثيل التدمرية المعروفة . وكأنهما نقلتا عن صورة الجاريتين اللتين مر بهما أوس بن ثعلبة فاستحسنهما وأنشد فيهما :

فتاتىْ أهلُ تدمر خبّرانى ألمّا تسأما طول المقام
قيامكما على غير الحشايا على جبل أصمّ من الرُّخام[٢]

٥ — أضف إلى الباب نفسه (التماثيل) ما ذكره البيرونى فى الجماهر (طبع كرنكو حيدر آباد الدكنى (« أن زبيدة اشترت لعبد الله بن الخلوع قضيباً من زمرد قدر ذراع بأربعة وثمانين ألف دينار ، ليلعب به يوم إعذاره . وكان على رأسه طائر من ياقوت أحمر وعيناه من الجوهر »[٣]

٦ — ذكر المؤلف نقلاً عن طبقات الشافعية للسبكى ص٨٦ أن أبا على الروذبارى اشترى أحمالاً من السكر ، فصُنع له منه جدار عليه شرفات »

قلت : وفى ربيع الأبرار للزمخشري خلاف هذا ، قال : « اشترى رجل أحمالاً من السكر ، وأمر باتخاذ مسجد من السكر

---

(١) انظر « الديارات » للشابشتى — دير السوسى . مخطوطة المجمع العلمى العربى الفوتوغرافية . وانظر أيضاً : « عيون التواريخ لابن شاكر » فقد ساق صاحبه هذا الخبر على نحو مما ذكرت

(١) انظر مقالا ذا شأن عن قصر الحير الغربى هذا ، للأمير جعفر الحسنى مدير دار الآثار السورية ، فى المجمع العلمى العربى — المجلد الثالث عشر ، الجزء الثامن ، آب سنة ١٩٤١ ص ٣٤٠

(٢) انظر مقالة الأمير جعفر الحسنى المذكورة فى الفقرة السابقة وارجع إن شئت تفصيلاً إلى :

Sulumberger. Les fouilles de Qaçr el Heir el Gharbi. Syria T. xx P. 195

(٣) انظر مقالنا عن جواهر الخلفاء العباسين فى مجلة المجمع العلمى . المجلد السادس عشر ، الجزء الثانى عشر ، سنة ١٩٤١ ص ٥٠٨

ذى شُرَف ومحاريب وأعمدة منقوشة . ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه »[1]

٧ — وثمة خبر آخر عثرت عليه يدخل في هذا الباب . قال صاحب ذيل زهر الآداب عند كلامه على وليمة العباس بن الحسين ابن . . . لأحمد بن بويه « واصطنع فى البستان الأعظم على البركة التى يجتمع بفنائها دجلة والفرات ، قصراً مبنياً من السكر على أربع طبقات ، بأبواب تدور به ، وأبواب تنلق عليها ، من فوقها طبقة فطبقة ، تطلع من تلك الأبواب صور من السكر على هيئة الجوارى والغلمان ، بصنوف الملاهى ، فى أحسن الملابس والحلل ؛ وجعل على شرفاتها وطبقاتها وحناياها صور أنواع الطير والحيوان والوحش . وجعل من ورائها رجالاً تنفخ بالبوقات والمزامير ، كل صنف يخرج منه صوت يليق بصورته ، وكل ذلك من السكر المموه بصنوف الأصباغ والنقوش والذهب »[2]

٨ — أضف إلى باب التماثيل ، ما ذكره التنوخى فى نشوار المحاضرة ، وهو يدل على أنهم كانوا يصنعون تماثيل على هيئة الفاكهة . قال من قصة طويلة يصعب تلخيصها « . . . وأُدخلنا إلى فازة لطيفة من ديباج (وهى مظلّة كبيرة تمد بعمود على قول الجوهرى ، أو بعمودين على قول الفيروزابادى) ؛ وفيها صندل محلاة بفضة ؛ فيها دُسُت ديباج وحُصُر طبرية . ونحو ثلاثين طاولة مسبكة بالذهب كلها ، عليها تماثيل العنبر على هيئة الأترج والبطيخ والدستبو ... »[3]

٩ — أضف إلى ماذكره المؤلف الفاضل عن تماثيل الأندلس ص ٧٠ ما قاله ابن حمديس أيضاً فى تماثيل أسود على أبواب دار بناها المنصور بن أعلى الناس :

(١) انظر ربيع الأبرار للزمخشرى ، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ، وانظر أيضاً مطالع البدور ج ٢ ص ٨٠

(٢) انظر جمع الجواهر فى الملح والنوادر للحصرى . طبعة الخانجى ص ٢٧٦

(٣) أنظر نشوار المحاضرة — الجزء الثامن — مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٣٠

وإذا الولائد فتّحت أبوابه جعلت ترحّب بالعفاة صريرا
عضّت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهها تكبيرا

فهو يصف حلقات الأبواب ، وكانت مصنوعة بحيث تمض عليها تماثيل أسود فاتحة أفواهها كأنها تكبر الله[1]

١٠ — أضف إلى باب التصوير على الجدران ... ما يروونه عن أعمدة جامع قرطبة . قال المقرى صاحب النفح عند كلامه على جامع قرطبة نقلاً عن صاحب نشق الأزهار : « وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر ، مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى ، وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح عليه السلام » وإن كان المقرى يشك فى ذلك

***

هذا ما رأيت إضافته إلى ما ساقه العلامة المرحوم تيمور باشا أما ما أخذته على الدكتور محمد حسن فى تعليقاته فسيأتى

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ص ١٨٤ طبعة الرفاعى
انظر الأبيات التى قالها أيضاً فى صور دار بناها المعتمد على الله — المصدر السابق
انظر ماقاله الوزير الجزيرى فى وصف مجلس للمنصور ابن أبى عامر (بركة وأسود) نفح الطيب ج ٤ ص ٢٨٦
(انظر أبيات أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، فى وصف قصر يسمى منزل العز فيه تماثيل فرسان ووحوش وطير جو ... النفح ج ٤ ص ١٩٨

من الأدب التركي

الدرويش العازف

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

في غروب الشمس ، في الأفق البعيد
ربوة لاحت لعين الناظر
من ترى يمشي لها المشي الوئيد ؟
يا له تحت الدجى من عابر

صاعدًا ... في كفه قيثاره يملأ الآفاق باللحن الحنون
مفردًا ... قد عافه سماره ورماه الناس طرًّا بالجنون

يا لشيخ هدلت من شعره فوق فوديه أفاعيل السنين
الليالي قوست من ظهره والعوادي غضنت منه الجبين

يتراءى كل يوم في الأصيل
في المروج الخضر ... في الوادي الخصيب
يصعد الربوة للكوخ الضئيل
حيث يأوي عند ما يأتي الغروب

سار يشدو لحنه الحلو البديع وتبعت الخطو كالظل النحيل
والمروج الخضر تصغي والقطيع
والدجى نشوان بالعزف الجميل ...

وبدا الكوخ ... فولى تجاهه واختفى فيه ، وغطاه الظلام
وسمعت اللحن يسري خافتًا كأنين من فؤاد مستهام

كان صوتًا هادئًا يبكي القلوب صيغ من بؤس الليالي والدموع
رحت أصغي ، وهو يشدو في لغوب
يسكب الألحان من ذوب الضلوع :

« يا حطام المنى في الظلام الرهيب »
« جئت أشدو هنا فاستمع للغريب »

« في يدي قيثارة من ذهب
حطمتها كف دنياي الخئون »
« لم أجد في الدهر من يحفل بي
قد رموني — لهف نفسي — بالجنون »

« في يميني عازف يمتعني رغم ما يلقاه من فعل الليال »
« لا أرى في الناس من يسمعني
حين أشدو ، فاسمعي لي يا جبال » :

« يا طيور الربا يا عيون الزهر »
« يا نسيم الصبا يا غصون الشجر »

« إسمعي عني أغاريد الحياة إسمعيها قبلما ألقى المنون »
« إسمعيها فهي للوادي شذاه وارشفي عنها نفاثات الشجون »

« فوق هذي الأرض ألفا شاعر لفظهم زيف ونجواهم هواء »
« هل لهم لحن كلحني الساحر وأنا المجنون منبوذ العراء ؟ » :

« معشر تاجهم فوقهم زائف »
« بينما برقهم خلب خاطف »

« معشر : إن يكتبوا بالقلم فأنا الشادي بأوتار الفؤاد »
« هل لهم أن يخلقوا للنغم
من هواء الكون ، أو دنيا الجماد ؟ »

« هل لهم أن يخضعوا مثلي القطيع
عند ما يمشي بلا راع يصون ؟ »
« أين صوت الخلق من صوت الضلوع ؟
أين رجع القول من شدو الغصون ؟ »



مسابقة كتب الدين للمدارس الابتدائية

إلى الأستاذ « قاف »

كتبت فى عدد الثقافة الأخير كلمة عن المسابقة التى أذاعتها وزارة المعارف بشأن كتاب فى الدين للمدارس الابتدائية . وقد قرأت كلمتك هـذه بعجب وإعجاب . أما العجب فمن أنك تنعى على الوزارة اليوم ما كنت تتمناه عليها بالأمس ؛ فلعلك تذكر — وما أظنك إلا ذاكراً — مجلسنا فى أحد النوادى العلمية منذ قريب ، وما كنا نتناوله فيه من أحاديث شتى أسلمتنا إلى تقرير الكتب وكيف كانت تقرر لا لجودتها ولا لرسوخ قدم مؤلفها فى مادتها بل لجاهه ونفوذه حتى احتكرها أصحاب الجاه والنفوذ وصارت وقفاً أهلياً عليهم — على حد تعبيرك — لا يغل إلا لكبار موظفى الديوان العام ومن إليهم من المراقبين والمفتشين الأوائل ؛ ولعلك لم تنس كذلك ما قلته أنت فى تلك الليلة — بل ما كتبته فى الثقافة منذ شهر أو يزيد قليلاً من أن أولئك المؤلفين الكبار أو كبار المؤلفين لم يكن لهم فى الحق والواقع من التأليف إلا تشريف الكتاب باسمهم ومد اليد لتناول نصيبهم والوقوف فى الميدان لطاردة من تحدثه نفسه باقتحامه واتخاذ كل وسيلة شريفة وغير شريفة لإقصائه . لقد كنا سبعة نتحاور الكلام فى هذا الموضوع وكنت — أنت — أصرحنا كلاماً وأبسطنا لساناً وأغزرنا استشهاداً حتى لقد ضربت بنفسك المثل وذكرت أنه قد طلب إليك أن تكون جندياً مجهولاً يصرع فى الميدان ليرتفع القائد على أشلائه ، فتأبيت على المريد . كل هذا عجيب ، وأعجب منه أن تقترح على الوزارة فى كلمتك الأخيرة ترك المدارس والمدرسين أحرارا فى التأليف وفى اختيار ما يشاءون من الكتب لتلاميذهم . يا لله ! أى حرية أوفى من أن تدعو الوزارة رجالها جميعاً للتبارى وتكافئ السباقين فيهم ولا تجعل الأمر احتكاراً أو وقفاً أهلياً على جماعة منهم ؟ وأى حرية أسمى من أن تسوى فى هـذا الميدان بين المتسابقين جميعاً ولا تنظر إليهم من حيث الجاه والمنصب ، وإنما تنظر إليهم من حيث البراعة والمقدرة والكفاية ، وبهذا ترد إلى رجال التعليم اعتبارهم العلمى وتشجعهم على الإنتاج وتبث فيهم روح الإقدام على التأليف الذى يهابونه لذاته أو للمحتكرين له ! على أن للمسابقة فضلاً آخر أرشدت إليه السابقات الماضية هى أنها تكشف عن بعض الأفذاذ المجلين الذين يعملون فى وزارات أخرى غير وزارة المعارف ، فليست الكفاية والبراعة والمقدرة وقفاً على هذه الوزارة

« يا بقايا المُنَى حولَ كُوخِي الصَّغيرْ »
« أنصتِي . . . إنّنا قدْ حُرِمْنَا السَّمِيرْ »

« أنصتِي لِي، وَاسْمَعِيني يا جِبالْ وَاخفِضِي الألْحَانَ عَنِّي يا نُجُومْ »
« إنّ قِيثَارِي فَرِيدٌ فى الخَيالْ وَهوَ فى يُمْنَايَ سُلْوانُ الهُمُومْ »

« كُلُّ مَا فِي الأرْضِ مِلْكِي : مِنْ هَوَاءْ
أوْ جَمادٍ ، أوْ دُمُوعٍ ، أو زُهُورْ »
« سَوْفَ أشْـدُو ، فَإذَا حَلَّ القَضَاءْ
لَمْ أُفَكِّرْ أيْنَ تَطْوِينِي القُبُورْ . . . ؟ »

. . . وَانتهَى العَازِفُ مِنْ ألْحَانِهِ وَتَلاشَى الصَّوْتُ فى جُوفِ الفَضَاءْ
وَانطوَتْ رُوحِي عَلَى أحْزَانِهِ وَبَكَتْ عَيْنِي لَهُ دَمْعَ الوَفَاءْ !

يَا لَشَـادٍ لَفَّهُ هـذَا الظَّلامْ
لَيْتَ شِعْرِي : كَيْفَ يَحْظَى بالرُّقَادْ ؟ !
أتُرَاهُ ذَائِقـاً طِيبَ المَنَـامْ ؟
أمْ سَيَقْضِي اللَّيْـلَ مَوْصُولَ السُّهَادْ ؟

أيُّهَا العَـازِفُ فى الكُوخِ الضَّئِيلْ :
أنتَ أسْمَى مُلْهَمٍ فى ذَا الوُجُودْ
كَيْفَ تَأْسَى – أيُّهَا الشَّادِي الجَمِيلْ –
وَنَصِيبُ الفَـذِّ فى النَّاسِ الجُحُودْ ؟

عِشْ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا شَاءَ الصَّفَاءْ وَاصْطَبِرْ إنْ رُحْتَ تَرْمِي بالجُنُونْ
مَنْ يَسَعْ فى قَلْبِهِ هذَا الفَضَاءْ لَمْ يُنَغِّصْ عَيْشَهُ الدَّهْرُ الخَئُونْ

الحق أنه ليس لمنصف نزيه خصيف الرأى أن ينقد هذه الطريقة المثلى العادلة التى تقضى على القالة والقيل وتسد الطريق أمام الريب والشكوك. على أن الوزارة لم تلجأ إليها إلا بعد دراسة وبحوث وعقد لجان واستشارة مجربين فانتهى الأمر بهم جميعاً إليها

وأما ما يقوله الأستاذ «قاف» من ترك المدارس والمدرسين أحراراً فى اختيار ما يشاءون من الكتب لتلاميذهم فحسبى فى الرد عليه أن أردد له ما كان يقوله تلك الليلة من أنه جريمة رسمية تفسد الخلق والعلم، وأن المدارس والمدرسين — بالرغم من تحريمه ومحاربة الوزارة إياه محاربة لا هوادة فيها ولا لين — كانوا يتخذونه وسيلة دنيئة تقرب إلى ذوى الجاه من المؤلفين الرسميين وهؤلاء يستغلونه استغلالاً وضيعاً تأباه كرائم النفوس، فقضت على هذه المفاسد كلها طريقة المسابقات. ذلك عجبى. أما إعجابى فبقدرة الإنسان — وهو الذى حارت البرية فيه — على الدفاع عن رأيين متناقضين يدلى بأحدهما وهو يعمل فى المدارس، وبالآخر وهو يعمل فى الديوان حيث اختيار الأعضاء للجان التأليف.

«سمير»

استدراكات لغوية

فى تصحيحات العلامة المحقق الأب الكرملى للجزء الثانى من كتاب الإمتاع والمؤانسة مواضع تحتاج إلى بيان، أعرض على الأب الفاضل منها موضعين فى العدد (٤٧٥) من الرسالة الغراء:

١ — قال: وفى ص ١١٠ ويجعلها (أى الأحجار) ملساء، وضبطت كحمراء؛ والصواب مُلساً بضم الميم... (راجع فساد قول القائل صخور ملساء فى مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٣ و ٢٣٤) اهـ

وقد رجعنا إلى الموضع المذكور فلم نجد للأب مستنداً فى إنكاره، لأن نص سيبويه قاصر على بيان أن جمع التكسير لأفعل فعلاء هو فعل بضم العين، وما أظن أن كيفية تكسير هذه الصيغة كانت محل خلاف، وليس فيها شاهد على خطأ قولهم صخور ملساء.

وإنما كان الأب بحاجة إلى نص صريح يستثنى فيه هذه الصيغة من القاعدة العامة التى جرى عليها كلام العرب وذكرها النحاة وهى: أن نعت جمع التكسير يكون بالمفرد المؤنث وبالجمع على السواء، فلك أن تقول: أشهر محرمة وأشهر محرمات، و «أياماً معدودة» و «أياماً معدودات» كما فى القرآن الكريم وغيره، فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النعت بحكم خاص؟ هذا ما يحوج الأب الإبراء عليه. أما استقراؤه الشخصى وطلبه من يخالفه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة، لأن المقيس لا يلزم له شاهد.

٢ — وقال: ومن الأغلاط الشائعة فى مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية ما يأتى: ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ... أم خطاء وزان سحاب لضد الصواب، على ما فى كتب اللغة. اهـ

وقد كتب الجملة الأولى بخط عريض مذيل بخط أفقى زيادة فى لفت الأنظار. ولم يبين أى كتب اللغة هذه التى حرمت أن يقال خطأ لضد الصواب؛ وقد تصفحت بعض كتب اللغة فإذا هى تتفق جميعاً على أن الأب الفضال مخطئ كل المخطئ فى ذلك، وإليك الشواهد:

فى لسان العرب: الخطأ والخطاء ضد الصواب

تاج العروس: الخطاء والخطأ والخطأ ضد الصواب

المصباح المنير: والخطأ مهموز بفتحتين ضد الصواب، ويقصر ويمد

الصحاح: الخطأ نقيض الصواب وقد يمد... الخ

فأنت ترى أن الخطأ قدمت على الخطاء فى جميع هذه النقول، وأن أعلى هذه المصادر وهو الصحاح ضعّف الحرف الذى ذكر الأب أنه هو الصواب دون غيره.

هذا ما أحببت عرضه على العلامة المحقق الفضال، وله إعجابى وتحيتى.

(دمشق) سعيد الأفغانى

فى الشعر التمثيلى

تعقيباً على ما نشر بالرسالة فى عدديها ٤٧٣ و ٤٧٧ للأستاذين الأديبين البشبيشى وعبد الرحمن عيسى — لا جدال فى أن واضع الحجر الأول فى بناء الرواية الشعرية فى الأدب العربى الحديث هو المرحوم الشيخ خليل اليازجى فى روايته (المروءة والوفاء) وقد طبعت أكثر من مرة بمطبعة المعارف بالفجالة. ومن حق الأدب والتاريخ أن يعرف المتتبعون لهذه الناحية الجميلة من الفن الأدبى أن المرحوم الشيخ نجيب الحداد أول من ترسم خطى خاله المرحوم الشيخ خليل فى معالجته الشعر التمثيلى قبل المرحومين شوقى

وعبد المطلب فى روايته (صدق الوداد) وقد طبعت من زهاء ثلاثين عاماً فى مطبعة غرزوزى بالإسكندرية وقل أن يظفر أحد بنسخة منها الآن لكثرة ما كان من الإقبال عليها ونفادها بمجرد ظهورها . والروايتان لا تقلان عن روايات المرحوم أمير الشعراء بلاغة وروعة وحسن سبك ، وشعرهما يتدفق سلاسة وطبعاً وعذوبة

ولعلى أوفّق فى فرصةٍ أخرى إلى نشر شواهد من شعر الروايتين إذا اتسعت له صفحات « الرسالة » الغراء وآنست من قرائها الأدباء ترقباً وارتياحاً

يوسف كركور

تعقيب

جاء فى بريد « الرسالة » الأدبى من العدد ال(٤٧٦) للأب الفاضل أنستاس الكرملى فى بحث السوبية ما نصه : قال ابن دريد فى الجمهرة : « وبالصاد (أى الخِص) أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن الغبر خاصة » كذا فى تاج العروس . وهو خطأ أيضاً والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن الغبر » اه

وقد يقال : عدم الجزم بهذه التخطئة أولى ، فبنو الغُبَّر لهم وجود . جاء فى القاموس المحيط فى (فصل الطاء وباب اللام) : وككتاب (أى طحال) كلب وع لبنى الغبر . راجع القاموس المحيط ففيه شاهد لا يليق ذكره

داود حمدان
(اللد — فلسطين)

حوائج

رداً على الكاتبة الفاضلة « بثينة » أقول إن هذه الكلمة « حوائج » وردت فى الحديث الصحيح والشعر الفصيح . فقد روى عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون يوم القيامة » . وقال الشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يعتسفن مع الجرى

وقال الفرزدق :

ولى ببلاد السند عند أميرها حوائج جمات وعندى ثوابها

ابراهيم السعيد عجلاده

على هامش السيرة

لفت نظرى وأنا أقرأ الجزء الثانى من كتاب « على هامش السيرة » للمرة الثالثة عبارة وردت فى الحديث عن « راعى الغنم » ص ١٥٨ هذا نصها : « والغريب أن الخواطر التى كانت تملأ نفسيهما ـ يعني أبا طالب وخديجة ـ همًّا وحزناً وتفعم قلبيهما خوفاً وقلقاً ، هى بعينها تلك الخواطر التى كانت تملأ نفس عبد المطلب بن هاشم وآمنة بنت وهب ، وتشغل قلبيهما منذ ستة عشر عاماً حين سافر عبد الله مع العير إلى الشام فى التجارة لأول مرة ولآخر مرة أيضاً »

وهذا القول يناقض الحقيقة ويتعارض مع عبارة أخرى وردت فى ص ١٦١ وفيها يقول الدكتور : « ولكنه — يعنى أبا طالب — كان يستحىْ أن تقول قريش : ضعف أبو طالب وجزع على فتى قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره »

والمعلوم أن رحلة عبد الله كانت بعد زواجه بأيام وكان محمد عليه السلام لا يزال جنيناً فى بطن أمه ، فى حين أن الرسول صلوات الله عليه كان قد أوفى على الخامسة والعشرين أو كاد يوم أن رغبت إليه خديجة فى أن يصحب تجارتها إلى الشام . وإذن تكون الفترة بين رحلة عبد الله ورحلة محمد عليه السلام حوالى خمسة وعشرين عاماً لا ستة عشر كما ذكر الدكتور ، ولعله يكون أقرب إلى الصواب لو أنه قال ستة وعشرين عاماً

وذلك ما تكاد تجمع عليه كتب السيرة

محمد الدهة

استدراك

فى الحلقة السابقة من ترجمة كتاب « المصريون المحدثون » ، وقع تحريف فى الآية الكريمة : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » . فوجب نشرها صحيحة

عدلى طاهر نور



الشيخ الأعزب

للأديب لبيب السعيد

في صدر أيامه لم يطاوعه طموحه على الزواج من ابنة عمه ؛ بدا له يومئذ أنه خليق بالفِرار من بيئته إلى بِيئة أعلى وأقدر .

ولما قيل له : بنت فلان أشهر تاجر في الحي مهذبة وجميلة ، رأى أن آماله أسمى أيضاً من هذه البنت وأبيها ، ورأى قُدْرته أجدرَ أن تُنيله نسباً أجلّ ...

وأحسّ أن آمال كثيرات من صبايا الحيّ وذويهنّ تترامى إليه ، لأنه موظف في الحكومة بخمسة عشر جنيهاً ، والموظفون المماثلون من أبناء الحيّ آحاد ، فزهاه ذلك وسرّه ، ولكنه ظل على طموحه وعلى اعتقاده في إمكان إحراز زوجة غنية جدًّا من أسرة بارزة جدًّا ، يتسامى بها في الوظيفة ، ويوارى في غناها حقره ، ويجبر بجاه أبيها وذويها صدعه ...

كان يأمل في زواج الغنية ذات الجاه دنيا سعيدة : دنيا خالها يرف عليها الروح والريحان ، وتنتثر على مدارجها الزهور الضواحك

ومضت من عمره أربعون سنة ...

وعرف عندئذ الهدف الذي ينبغي له – فيما يعتقد – الرمي إليه ... عرف « حنيفة » بنت « أمجد باشا » ، فعرف فتنةً ضلّ في تيهها فكره ... لقد رأى زواجه منها معراجاً إلى كل الغنى والشرف ، وحلم سريعاً في قهر أعدائه من الأقارب وزملاء الديوان ، ومواجهتهم بأنسباء يشرّفون ، واستحضر في خاطره ما سيلقى من سعادة حين يذكر اسمه إلى جانب اسم « أمجد باشا » وود من كل قلبه لو تمت الخِطبة حالاً ، ونُشر اسمه واسم الباشا معاً ولو في إعلان وفاة !

وترقرق في صدره الأمل ، فأذاع بالأمر لبعض خاصّته ، وشاع لوضوحه ذكر .

ولكن « أمجد باشا » استمهل معتذراً ، ثم ماطله غير مكترث ، ثم ترامي عنه أنه يأبى هذا الزواج ، لأن « أميناً » ليس من طبقته ، ولأنه لم يستوف طَلِبَةَ فتاته من الغنى والمنزلة والوسامة .

وصدم هذا الرفض «أميناً» ، ولكنه رأى أن لا بد من عدم التخاذل ، وعزم ليستأسرن من أيّ معقل مَن تعادل « حنيفة » نشباً ونسباً . ولكن — واخيبتاه — إن سنه الصاعدة ، وراتبه المتواضع خيَّبا مطمحه وأعجزاه عن منيته

واليوم – وما أسرع كرّ الغداة ومرّ العشى ! – ذرّف أمين على الخامسة والخمسين ، فهو يطامن كثيراً من جماح آماله ، ويتطلع راضياً إلى الأسر التي على شاكلته ، ولكن مرضه الظاهر يصرف عنه النظر ، وهو بعْدُ غاد قريباً على أمر شديد كريه : المعاش !

كل شيء يشعر أميناً أنّ الأيام تقف به على ثنية الوداع ، ولكنه مع ذلك متشبث بالأمل ... إنه ينشد زوجة تخلص له الحبّ ، وتأسو الجراحات ، وإنّ طيف هذه الزوجة المجهولة ليُراوحه ويغاديه ! لقد نهل في سني عمره الذاهب من كل شيء ولكنه يشكو الأوام ... فهو يريد لقلبه الكسير قلباً يروَى من رحمته ؛ يريد مثابةً ينفض لديها شكاياته ونجواه ؛ يريد لنفسه المعنَّاة تسليةً وتأسيةً وولاء ... إنّ به حنيناً مبرّحاً إلى جناح يكنفه في شيخوخته ، ولكنّ الحقيقة الممضة : حقيقةَ صحته التي تحيَّف منها السنّ والمرض ، حقيقة معاشه المحدود الذي لا يكفل العيش الرافع لعروس تُساق إلى شيخ ، وطفل سيغشاه اليتم في مطالع حياته . هـذه الحقيقة كانت تدفع ذلك الطيف في عنف ، وتؤكد لأمين أن أمانيه فوق ما يجوز له تمنيه ، وأنه يحاول العَدْوَ وراء فائتٍ ليس يُلْحق

***

ويرى «أمين» رجلاً وزوجته يسيران في طريق ، أو يجلسان في طنف ، فيغبط الرجلَ على نعمـة الشريكة ، ويُبدئ ويُعيد فيما تريق الأليفة لأليفها من العطف ، وتبذله من العون ، وتطعمه من الحنان ... ويسبح في خيالات ما لها قَرار ...

ويدعى « أمين » إلى حفلات الزواج ، فتهفو مناظرها بروحه إلى الزوجة ، وتصيب كلمات المأذون في فضل الزواج الوتر الأرنّ من قلبه ، وتطلق فيه عاطفة الأبوة الحبيسة ، وتزيده شعوراً بالوحشة ويسائل « أمين » نفسه : ألَـمْ يأن لي أن أتمد هذا المقعد

الحبيب : مقعد « عريس » من والد عروس ، وأن أقولَ وأسمع هذه الصيغة العــذبة : صيغة القران ؟ أمات الأمل فى أن يتجه إلى يوماً جمع من هذه الجموع بتلك العبارة العذبة : « مبروك ، مبروك ، يا عريس » ؟

وينثنى أمين وطرفه غارق فى الدمع

ويزور أمين صديقاً مريضاً فيغبطه — مع ما يشاهد من كربات المرض — أشد الغبطة ، لأنه يرى زوجته تحدب عليه ، وتحتمل مشقة تمريضه ، ولأنه رأى صبياً يافعاً يقود الطبيب إلى النزل ، ويجرى إلى الصيدلية محزوناً ، ويرى طفلاً مبغوم الـكلام يخطر لاهياً أمام سرير أبيه المريض، فتأنس به نفس الأب وتُشرق

هذه البسمات التى يراها فى ثغور الأطفال لا بد أنها تنير لآبائهم سبل الحياة وتـكشف عنهم غواشى اليأس ! ليت له مثلها فى دنياه التى لا شية فيها من النور !

ويرى أمين الآباء أشقياء مُملقين من كثرة الإنفاق على بنيهم ، فيتمنى من كل قلبه لو شقى شقاءهم وأملق إملاقهم . إنه يؤمن بأن الآباء هم كل السعادة وهم كل الغنى ، وأن فى كلمة « بابا » وحدها كنوزاً يهون فى سبيلها كل عزيز !

ويسائل نفسه أيضاً : هذا الـكدّ الذى أبذل ، ما جناه ؟ فينثنى مسلوب اللُّبّ حين تجيبه : لا شئ ! وغداً تموت ، ولـكن لا كميتة الناس ، فهم يَحْيَـوْن فى بنيهم ، وأنت ستموت كأقسى وأوفى ما تعنى اللّـغة بلفظة الموت

بمن يتأسى فى أشجانه ؟ الظاهرو البؤس فيا حوله هم كتبة الدرجة الثامنــة والخارجون عن الهيئة وخدم المطعم ونُدُل القهوة ، ولـكنه أشقى من هؤلاء جميعاً . إنهم سيَحْيَـوْن بعد مماتهم ... وإن الفرد منهم ليجد آخر اليوم قسيمة لحياته ، يطرح لديها أثقاله . فأما هو — فياويح له — محرومٌ يبثّ شكاته جدراناً لا تسمع ، وينشد الحنان والألفة هنا وهناك فلا يجد غير قسوة الحياة وظمأ الروح وشقوة الضمير

ما أشد عوزه إلى يد رقيقة يمسها وتمسه !! فى صــدر «أمين» فيوض من الحنان تريد الانسياب فليت له من يتلقاها ! ألا قلوب تنبض مع قلبه نبضات واحدة بشعور واحد !؟

ويعالج « أمين » مع ذلك كله البسمات ، ويتكلف جاهداً المظهر الشاب ، ويحاول أن يدفع عنه الوهن ، ولـكن البسمات أماتها الزمان ، والمظهر الشاب غطى عليه الجهد الثقيل والعمر اليائس ؛ والوهنَ ... احتلّ بَدَنَ أمين فى غير ا كتراث !

حدثنى عن « أمين » معارفه القدماء ، فجلوا لى كثيراً من ماضيه . وكنت وإياه أخيراً منتدبين فى الأسكندرية ، وكنا فى فندق واحد ، فخلا إلىّ ذات مساء ، وأفضي إلىّ بكل قصته . كان يتحدث بلهجة مذنب يريد أن يثأر لضميره من نفسه . . . وكان كطفل بيّن السذاجة لا يعمى على سامعه شيئاً من وصف مشاعره وسرائره ؛ وكان يسرق الدمع حياء ؛ وكانت له زفرات وجيعة .

وأخرج فجأة من جيبه صورتين ، فأطلعنى عليهما . كانت إحداهما لفتاة رائعة الجمال ، وكانت الأخرى لطفلين كلهما عذوبة . وسألته مستغرباً وأنا أرى من نظراته أنه جدّ حفىّ بأصحاب هاتين الصورتين : ما شأن هؤلاء ؟ فأجاب ، والبراءة في وجهه : « اخترت صورهم من محل بيع الصور ... أعجبونى ... أنظر ... ما أحسن هذه زوجة تجمل بها الحياة ! وما أحسن هذين ولدين ينضر ان العيش ! »

أوجع أمين قلبي تلك الليلة !

وانقطع عن التردد علىّ وعلى زملائنا أمسيتين على غير عادة ، وسألناه فى الصباح عن السبب ، فأجاب فى اختصار : أمر خاص واستحينا أن نستجليه هذا الأمر فسكتنا

وأتى صبىٌّ إلى الفندق فى الأمسية التالية يسأل عن الأستاذ « أمين » المقيم بالحجرة رقم ٨ ، وكنا نحن زملاء أمين فى بهرة الفندق جالسين نسمر ، فسألنا : لم ؟ فقال : لأعطيه صورة عائلته فهو يتعجلها . وعجبنا ، فأمين حقيقة ينزل فى الحجرة رقم ٨ ، ولـكنه لا عائلة له . وسأل أحدنا الغلام : أية عائلة ؟ ربما كنت تقصد أميناً آخر . فقال الغلام وهو يناوله الصورة : أريد الأستاذ أمين المرسوم هنا . وضحك صاحبنا ضحكات تمتزج فيها السخرية بالدهشة ، وقام يطلعنا جميعاً على الصورة ، والجمع يضج بالضحك .

ونظرت فيهــا فوجدت أميناً بعينه ، وقد جمع الرسام بينه وبين الصور التى سبق أن أبدى لى إعجابه بها : صورة الفتاة الرائعة الجمال التى يستحسنها زوجة ، والطفلين المذين اللذين يستحسنهما ولدين . لقد اتخذ من هذه الصور المختارة أسرة طيبة يبدو هو فيها كأنه أب آمن السرب ، له من أهله قرب وأنس ، وله فيهم رجاء !

وأقبل أمين والصورة فى أيدينا ، فحاول الابتسام أولاً ، ثم انطفأ وجهه مرة واحدة ، ثم ارتمى فى أقرب مقعد يبكى وينشج .

(المنصورة) لبيب السعيد

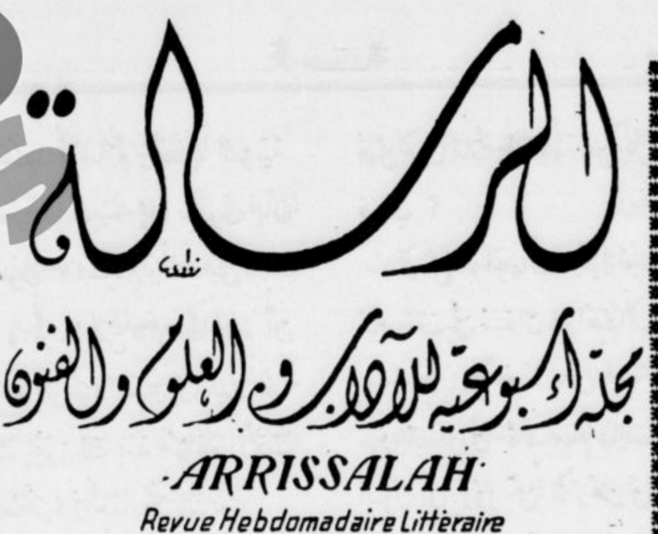
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 480

Lundi - 14 - 9 - 1942





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٨٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبــارك

تخطيط القاهرة — فكاهات هندسية — النــور القدير على تمزيق الظلمات — أبناء دار العلــوم بوزارة المعارف

تخطيط القاهرة

أيام هذا الصيف آذتنى أعنف الإيذاء ، بسبب صعوبة المواصلات ، الصعوبة التى خلقها الازدحام فى الترام والأُوتوبيس فى أكثر الأوقات ، ولا سيما وقت انصراف الموظفين ، فكنت أقطع الطريق على قدمىّ فى حرّ الظهيرة من وزارة المعارف إلى باب الحديد ، وكانت الظروف قضت بأن تكون محطة الترو فى باب الحديد بضعة أسابيع

وقد غنمت من هذه الظروف غنيمتين : الغنيمة الأُولى هى لفح الوجه بوهج الشمس ، فما رآنى صديق إلا توهم أنى قضيت على شــواطئ الإسكندرية شهراً أو شهرين . وليت الأمر كان كذلك ، فقد سمعت بعد فوات الوقت أن شواطئ الإسكندرية كانت فتنة العيون والقلوب فى هذا الصيف !

أما الغنيمة الثانية ، فهى أغرب وأنفع ، لأنها هدتنى إلى أفكار تستحق التسجيل ، أفكار متصلة بتخطيط القاهرة ، عاصمة

الشرق بلا نزاع ، وأعظم مدينة دينُها الإسلام ولغتُها العربية

هدانى السير على قدمىّ فى حرّ الظهيرة إلى القول بأن القاهرة لم تجد مهندسين يراعون أصول الانسجام والتنسيق

وقبل أن أُفصِّل هذا القول ، أرجو من زار القاهرة أن يتمثل شارع محمد على فهو الشارع الوحيد الذى روعيت فيه أصول الانسجام والتنسيق ، بحيث يجوز لك بعد مراعاة الأدب مع الله أن تقول إنه بين شوارع القاهرة واحدٌ بلا شريك

تقف على رأس هذا الشارع من ميدان العتبة الخضراء « ميدان الملكة فريدة » ثم تنظر فتروعك منارة جامع السلطان حسن ومنارة جامع الرفاعى ، مع أن بينك وبين هاتين المنارتين مسافات طويلات

فما اسم المهندس الذى خط هذا الشارع منذ أعوام طوال ؟

وأين قبره لننثر عليه زهرات الأقحوان المفطورة على التنسيق ؟

وفى ميدان العتبة الخضراء يبدأ شارع حديث العهد ، شارع أنشأناه بعد أن كثُر عندنا المهندسون ، وهو شارع الأزهر الشريف

وهنا أرجو أيضاً من زار القاهرة أن يتمثل واجهة الأزهر وما يصحبها من منارات رشيقات ... ليعرف كيف كان من الجناية على تخطيط القاهرة أن تُحجَب واجهة الأزهر عمن يقف متطلعاً إلى محاسن القاهرة فى ميدان العتبة الخضراء

وما يقال فى شارع الأزهر يقال فى شارع الأمير فاروق ، فقد كان يجب أن يستقيم هذا الشارع بحيث تمكن رؤية ميدان فاروق ، وعلى ناصيته سبيل أم عباس ، لمن ينظر فيه من ميدان العتبة الخضراء

فما اسم المهندس الذى خط هذين الشارعين قبل بضع سنين لنغرى به أحد المستجوبين فى مجلس النواب ؟

أنا لا أدعو إلى أن تكون جميع الشوارع بريئة من الانحراف إلى اليمين أو إلى الشمال ، فذلك تكليف بما لا يطاق ، وإنما أدعو إلى مراعاة الذوق فى إبراز محاسن القاهرة عند التخطيط ، ولتوضيح هذه الفكرة أقول :

أجمل واجهة فى قصور القاهرة هى واجهة قصر عابدين ، فهل يرى تلك الواجهة من يمرّ بميدان الاسماعيلية ، مع أنه منها قريب ؟

ومن الواجهات الجميلة واجهة محطة باب الحديد ، فهل يراها من يقف فى ميدان ابراهيم ؟

وعلى من يرتاب فى صحة القول بأن مدينة القاهرة لا تجد من يفكر فى الانسجام والتنسيق ، على من يرتاب فى صحة هذا القول أن يزور حىّ الأزهر فى أحد الأيام ليرى العجب العاجب فى تعمد الخروج على الذوق ، فهنالك قامت بناية عالية فى العهد الحديث ، بعد اكتهال الزمان وبعد الشعور بقيمة التنسيق فى التخطيط ، فكانت حجاباً كثيفاً يفصل بين واجهتين جميلتين : واجهة الجامع الأزهر وواجهة جامع الحسين

إن الذوق من أطيب الأرزاق ، فهل يتفضل الله فيزيد مهندسى القاهرة ذوقاً إلى ذوق ؟

فكاهات هندسية

حين زرت البصرة فى سنة ١٩٣٨ تلطف معالى السيد تحسين على فمضى بى فى سيارته لنزهة جميلة تخترق غابة النخيل فى طريق اسمه « طريق أبى الخصيب » وهو طريق كثير الاعوجاج بلا موجب معقول ، فلما سألت معاليه عن سبب ذلك الاعوجاج ابتسم وقال : « كان المهندس الذى شق هذا الطريق يحب المال بعض الحب ، فاعوج الطريق بعض الاعوجاج ! ! » فأدركت أن أصحاب الأملاك كانوا أصحاب الرأى فى تخطيط ذلك الطريق

وفى السنة الماضية زرت الدير المحرَّق فرأيت فى الذهاب إليه طريقاً كثير الاعوجاج بلا موجب معقول ، فلما سألت عن سبب ذلك الاعوجاج كان الجواب أن المهندس الذى شق هذا الطريق عُرف بشراهة الجيب فكان يراعى خواطر أصحاب الأملاك

فليحذر من يشق طريقاً معوَّجا فى أى بقعة بعد اليوم ، فقد يُتهَم بأنه من سلالة المهندس الذى شق طريق الدير المحرَّق ، أو المهندس الذى شق طريق أبى الخصيب .

النور القدير على تمزيق الظلمات

هو نور الله ، النور الغلاّب القهَّار الذى لا يصده حجاب ، ولو كان فى كثافة أنفس المحجوبين عن كرم واجب الوجود

وما تمر بنا لحظة من لحظات الكدر أو الغيظ إلا كانت شاهداً على أن إيماننا بالله إيمانٌ مدخول

ولا تمر بنا لمحة نعتمد فيها على هذا المخلوق أو ذاك إلا كانت دليلاً على أن ثقتنا بالله مزعزعة الأركان

فما بالُ قومٍ تطير نفوسهم شَعاعاً حين يهدَّدون بغضب بعض الخلائق ؟ وما بال قوم لا يستطيعون النوم إلا حين يطمئنون إلى أنهم تحت حماية بعض الخلائق ؟

لا يجوز لمن يخاف الناس أن يرجو الله ، فإنه عز شأنه لا يسبغ نعمته الصحيحة إلا على المؤمنين ، والمؤمن لا يخاف الفانين

وما ذا يملك بنو آدم حتى يرجوهم من يرجو ، أو يخافهم من يخاف ؟

الأمر كله لله ، ولا أمر لمخلوق ، وإن زيّن الوهم للمخاليق أنهم أقوياء

جرِّب الثقة بالله ، إن كنت لم تجرِّبها من قبل ، فسترى أن الأنس بالله يرفع عنك آصار الثقة بالناس ، وما اعتمد أحدٌ على خلق الله إلا باء بالخذلان

كن رجلاً مؤمناً فى جميع أحوالك ، والرجل المؤمن ينظر إلى الناس كما ينظر الأسد إلى النمال

تواضعْ لله وحده ، ولا تتواضعْ للناس ، فهم بحكم فنائهم أذلاء

تواضع لله أدباً لا خوفاً ، فهو يحب أن يراك فى أخلاق السادة لا أخلاق العبيد

لا تعامل باللطف والرفق إلا أهل اللطف والرفق ، ثم امنح ظلمك وعدوانك لمن تحدثهم النفوس الأواثم بالتطاول عليك

نزّه نفسك عن الكفر بالله ، ومن صور الكفر الوبق أن تقيم وزناً لمخلوق لا يؤمن بفكرة العدل ، ولا يجعل هواه من هواك فى الاحتكام إلى صاحب العزة والجبروت

إن زمانك قد أُصيب باختلال الموازين ، ولم يبق من أهله من تحدثك ملامح وجهه بالخوف من الظلم والكذب والافتراء ، فكن أوحد زمانك فى الفرار من تلك الأخلاق السُّود ، ولا عليك أن تعيش عيش الفقراء ، فما يغتنى فى أزمان الانحطاط غير التجار السفهاء

وما أوصيك إلا بما أوصيت به نفسى ، فما يستطيع ابن أنثى أن يقول إنى استعنت به فى جليلٍ من الأمر أو دقيق ، ولا خطر فى بال مخلوق أن ينال ودادى بغير الصدق فى الوداد

دنيا كم سخيفة يا بنى آدم ، وأنتم منها أسخف ، وسبحان من تجاوزَ عنها وعنكم فأمدّها وأمدّكم بالشمس والقمر والماء والهواء !

لست منكم ، ولستم منى ، فبينىَ وبين الله عهدٌ وثيق ، وإلا فكيف جاز أن تحاربونى عشرين سنة ، ثم لا تكون شكواى إلا من متاعب الغنى والثراء ؟

آمنت بالله ، آمنت ، آمنت ، وإنى لأكاد أصافحه بيمناى

ومن أنت يا ربى ؟ أجبنى ، فإننى

رأيتك بين الُحسن والزَّهر والماء

فى كلية الآداب

كتب إلىَّ طالبٌ لا أسميه « إشفاقاً عليه من بعض المصاعب » كلمةً يقول فيها إن المحصول الأدبى فى مجلة الرسالة قد استهواه فنقله من قسم اللغة الإنجليزية إلى قسم اللغة العربية ، فماذا أقول فى توجيه ذلك الطالب الأديب ؟

أقول إن قسم اللغة الإنجليزية مَطالبُه أسهل من مَطالب قسم اللغة العربية ، وإليه البيان :

المتخرجون فى قسم اللغة الإنجليزية لا يطالَبون بالتفوق الذى يسمح بأن يكونوا من شُرّاح الأدب الإنجليزى فى مناحيه العقلية والاجتماعية ، ولا يراد منهم إلا أن يكونوا أساتذة صالحين لتدريس اللغة الإنجليزية فى المدارس الابتدائية والثانوية

أما المتخرجون فى قسم اللغة العربية فهم مطالبون بالتفوق المطلق ، التفوق الذى يسمح بأن يكونوا من أئمة الأدب العربى فى هذا الجيل

يضاف إلى ذلك أن كلية الآداب شحيحة بالرجال ، فمنذ إنشائها فى سنة ١٩٠٨ إلى اليوم لم يبرز من أبنائها غير آحاد ، لأن المثل الأعلى فى تصور كلية الآداب لا يسمح بنبوغ العشرات والمئات . ومن حسن الحظ أنها كانت كذلك ، ليظل النبوغ الأدبى بعيداً من أوضار النسبة العددية ، ولتظل كلية الآداب كلية آداب

والحياة الجامعية فى مصر تؤرَّخ بنشأة هذه الكلية ، فهى النواة الصحيحة للجامعة المصرية ، وهى الفيصل بين عهدين : عهد المحاكاة وعهد الإبداع

وكان قسم اللغة العربية أساس كلية الآداب ، كما كانت كلية الآداب أساس الجامعة المصرية ، وهى عصارة الأمانى الوطنية ، فقد أنشئت لأسباب ما أظنها تخفى عليك ، إلا أن يجب العلم بالتاريخ القديم مع جواز الجهل بالتاريخ الحديث ! !

وكليتنا الغالية موسومة بقوة الروح ، فما ذكرت الحياة الجامعية إلا كانت أول ما يخطر فى البال ، ولا جاز الاضطهاد إلا على أبنائها الأوفياء ، لأنهم سبقوا زمنهم بأزمان

فإن وجدت من قوة العزيمة ما يساعد على أن تكون من أساطين قسم اللغة العربية فأقبل غير هياب ، حرسك الله ورعاك !

أبناء دار العلوم بوزارة المعارف

أمضى معالى الأستاذ أحمد نجيب الهلالى باشا قراراً بترقية جماعة من كبار الموظفين بوزارة المعارف إلى الدرجة الأولى الفنية وعلى رأسهم الأستاذ جاد المولى بك كبير مفتشى اللغة العربية ، فالتفت الذهن إلى نصيب أبناء العلوم من الترقيات بوزارة المعارف ، وقد طالت شكواهم من الإغفال والإهمال عدداً من السنين الطوال

والظاهر من البحث الذى بذلته فى درس هذه القضية أن أبناء دار العلوم لم يفز منهم بالدرجة الأولى قبل جاد المولى بك غير رجلين اثنين : عاطف بركات وعبد العزيز جاويش

ومع هذا فالطعم مختلف كل الاختلاف : فالمغفور له عاطف بركات رقته وزارة الحقانية لا وزارة المعارف ، لأنه كان ناظر مدرسة القضاء الشرعى ، وكانت تلك المدرسة تحت إشراف وزارة الحقانية ، وكان مفهوماً أنها تملك فى إنصاف الرجال ما لا تملك وزارة المعارف

أما الشيخ عبد العزيز جاويش فلم يراعَ فى منحه الدرجة الأولى أنه من أبناء دار العلوم ، وإنما روعيت شخصيته العظيمة الفخيمة ، وكان رجلاً ملء العين والقلب ، وكان يتكلم الإنجليزية والألمانية والتركية بسهولة تستوجب الالتفات ، وكان له فى خدمة الوطنية تاريخ طويل عريض ، فصار من الصعب أن تجهله وزارة المعارف فى منزلة تعلوها منزلة أى كبير من كبار الموظفين

فكيف ظفر جاد المولى بك بالدرجة الأولى ، وهو رجل لا يعرف غير عمله الرسمى وعمله الأدبى فى هدوء وسكون ، ولم يُعرف عنه التقرب إلى هذا الحزب أو ذاك ، ولو شئت لقلت إنه ضعيف الحيلة إلى أبعد الحدود ؟ كيف ظفر بهذه الدرجة ؟ كيف ؟ كيف ؟ وهو لا يرى وزير المعارف إلا إن دعاه للتشاور فى بعض الشؤون ، ولا يعرف من أندية القاهرة غير القهوة التى يَسمُر فيها مع بعض المفتشين بميدان الاسماعيلية فى مساء كل خميس ؟ . . . تلك التفاتة نبيلة من الهلالى باشا أراد بها إعزاز اللغة العربية ، ولعلها كرمٌ أضفاه الله على رجل يصلى ويصوم ، فى زمن جُهلت فيه آداب الصلاة والصيام عند بعض الكبار من الموظفين زاده الله فلاَحاً إلى فلاَح .

زكى مبارك

تاريخ التـــاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

كان التاريخ أول أمره قصصاً يختار القصاص من أنبائه ما يبهرهم وما يستثير إعجاب الجمهور، وكان يدور حول حوادث الآلهة والأبطال فكان عند اليونان مصوغاً شعراً قصصيًّا يرتل وينشد، شعراً يتغنى بمجد اليونان، ويشيد بما كان لأبطالهم من بلاء في الحروب؛ وأول أثر تاريخي وصلنا في ذلك القالب شعر «هوميروس»

ومثل ذلك كان موجوداً عند الشعوب التي لم تبلغ بعد حظًّا من الحضارة، تاريخها قصص يتناقله الرواة ومركزه الأبطال. ظهر ذلك عند العرب في الجاهلية، وعند الترك قبل دخولهم المسيحية، وعند الفرس القدماء وغيرهم. ويغلب في ذلك النوع من التاريخ الأسطورة أو الأخبار، لأن العنصر الشخصي ظاهر فيه من ناحية الشاعر والناقل والقاص، فكل منهم ينتقى ما راقه — في الغالب — دون نقد أو تفكير، ثم يضيف إليه ما يضيف، أو ينقص منه ما شاء أن ينقص. فأمثال هوميروس ينسبون إلى أبطالهم وآلهتهم ما شاءوا من أعمال لا يستطيع العقل تصديقها، وسبح بهم الوهم والخيال ... ولم يخف ذلك على بعض عقلاء اليونان من أمثال «أيزوكراتيس Isokrates» الذي يقول: «فلم ينسبوا إليهم — أي إلى الآلهة والأبطال — الوقوع في أسر من يموت ويفنى، ولكنهم يمثلونهم آكلين أطفالهم، معذبين آباءهم، ومقرنين أمهاتهم في الأصفاد»[1].

وأول من اهتم بالتاريخ وبذل جهداً للوصول إلى الحقيقة هو «هيرودتس»: فيسافر لجمع الأخبار بنفسه، ويهتم بالناحية الجغرافية في دراسته، ويعرض الآراء المختلفة أمام جمهرة قارئيه أو سامعيه ليختاروا منها ما شاءوا. ولكن هيرودتس كان قبل كل شيء قاصا أخباريا، يجمع ما له قيمة في نظره وما يلذ جمهوره فهو في الواقع أب المؤرخين القاصّين الأخباريين

وتمت المرحلة الثانية في البحث التاريخي على يد ثيوكيديدز Thucydides مؤرخ حرب البلبونيز ـ انتقد ذلك الرجل سرعة الناس إلى التصديق، وعدم تمييزهم ما بين الصحيح وغير الصحيح ولذا فهو يهتم بتنظيم حقائق هذه الحرب حتى يبين الحوادث؛ وهو يعنى بنقد حقائقه ويقول: «إنني ما وصفت شيئاً رأيته، أو سمعته، ولم أحققه بكل تدقيق وعناية». ويختلف في مرماه عن هيرودوتس فهو يرمى إلى غرض تعليمي وإلى إعطاء دروس في السياسة حقيقية

ولم تهتم حكومة في القديم بتدوين أخبارها مثلما اهتمت الحكومة المصرية. فعنى الملوك والأمراء والعظماء بتسجيل أعمالهم، وتدوين حوادثهم، ووصف نواحي حياتهم المختلفة: الحياة السياسية والدينية والاجتماعية، وحاولوا إعطاء الخلف صورة واضحة عن حياة السلف. وكانت فلسفتهم التاريخية الاستعداد في هذه الحياة الدنيا للحياة الآخرة، فالحياة الدنيا ليست دار قرار ولا دار عدالة. وكما اهتم المصريون القدماء بتدوين أخبارهم حاولوا تشويه معالم تاريخهم. فكانت هناك محاولات فردية قام بها بعض الملوك لطمس معالم تاريخ من سبقوه. ولكن لحسن الحظ لم تنجح مثل هذه المحاولات نجاحاً تاماً

وقد ظل مظهر القصص والسياسة يغلبان على دراسة التاريخ مدة طويلة في العصر القديم. ومن بعد عهد المؤرخين الرومان من أمثال سالوست Sallust وليفي Levy وتاكيتوس Tacitus أصبح التاريخ فرعاً من فروع الأدب وانحطت دراسته. ولقد أغفل المؤرخون القدماء ما نسميه الآن بالتاريخ العام فما كانوا يعترفون بغير الإغريق والرومان؛ وما عداهم من الأمم فكانوا «متبربرين»

ثم جاءت المسيحية ونمت، فلم يعد المؤرخون يهتمون بأنباء الوثنية أو بالماضي الوثني، وإنما اهتموا بالمسيحية ذاتها. وكان للمسيحية فلسفتها التاريخية الخاصة بها، فحوادث هذا العالم — كما ترى — سائرة وفق نظام إلهي لتمهيد الطريق لظهور المسيح؛ وعلى فكرة ظهور المسيح يتوقف تاريخ ما قبل المسيح وما بعده، فبعده تقاسي الإنسانية أنواع العذاب إلى يوم القيامة. وقد وجدت هذه الفلسفة أحسن تعبير لها في كتاب القديس أغسطين «مدينة الله». وقريب من هذا فلسفة المسلمين التاريخية في العصور الوسطى إذ يرون أن العالم سائر وفق نظام وضعه الله له إلى يوم القيامة، في ذلك اليوم يجزى الله الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى

أما نظرية التطور والتقدم[1] فلم تظهر واضحة في العصور

(١) Freeman and Rendall : Schools of Hellas ص ٢٣٠، ٢٣١

(١) لتاريخ نظرية التقدم في التاريخ انظر: Bury : The Idea of Progress.

الوسطى ، وإن كانت مبادؤها قد وضعت فى الماضى الإغريقى . لأن الفكرة المنتشرة فى أوربا فى هذه العصور كانت فكرة الخطيئة الأولى ، خطيئة آدم وحواء وليس هناك مجال للتقدم والتحسن . ويغلب على التاريخ فى ذلك الوقت نوع الحوليات ، يضعه فى الغالب رجال الدين الذين يهتمون بانتقاء المعجز والغريب من الأخبار ، وربما كان خير مثل لهؤلاء جريجورى التورى . أما فى الشرق عند المسلمين فكانت الحالة قريبة الشبه فكان الاهتمام « بالنقل » هو الظاهرة البارزة ، وكانت النزعة الدينية غالبة ، أما روح النقد الحقيقى كما نعرفه فى الوقت الحاضر فما كانت موجودة إلا عند القليل

سادت فكرة تفوق القديم بصفة عامة فى العصور الوسطى ، بل كانت مسيطرة على عقول عدد كبير من رجال النهضة . فكانوا يعتقدون فى تفوق الإغريق والرومان فهم أرباب العلم والأدب والفن فما وصلوا إليه هو درجة الكمال لا يمكن الزيادة عليه . ولكنه بالرغم من ذلك بدأت تظهر فكرة التقدم واضحة فى عصر النهضة نفسه . فكمياڤلى لا يرى الإنسانية سائرة فى طريق التقهقر — بدأت تظهر فكرة التقدم واضحة عند ما أخذ الإنسان يشعر بأنه حر الإرادة يستطيع تحديد مستقبله إلى حد كبير . فبودن Bodin وهو من أعلام المؤرخين يرى أن التاريخ يعتمد على مشيئة الإنسان ، ففى كل وقت تظهر قوانين وعادات ونظم جديدة كلها من صنع الإنسان ، ويلاحظ قانوناً عاماً هو أنه ليس هناك انحطاط مستمر بل رقى تدريجى .

نشبت إذن معركة بين القدامى والمحدثين ، بين الذين يقولون بتفوق الماضى والذين يقولون بتفوق الحاضر ، وظهر الإيمان بنظرية التقدم على يد فونتنل Fontenelle [1] فى القرن السابع عشر . يقول فونتنل : « ليس هناك فرق بيننا وبين أجدادنا إلا أنهم سبقونا فى ميدان العلم فكانوا المخترعين الأول ، ولو كنا محلهم لقمنا بمثل ما قاموا به ، ولو كانوا محلنا لعملوا مثل ما نعمل ، فنحن نجلهم أكثر مما ينبغي كما سيجلنا أبناؤنا فيما بعد » . وجاءت ثورة ديكارت الفكرية التى أعلنت استقلال الإنسان فى أعماله مؤيدة فكرة التقدم . ويضيف ليبنتز فيقول : « وعلى مر الأيام سيصل الإنسان إلى درجة من الكمال لا نتصورها اليوم »

ازدادت العناية بالتاريخ فى العصور الحديثة لحركة النهضة وللكشف الجغرافى . درس الإنسانيون التاريخ ، لأنه يفسر لهم العالم الإغريقى والرومانى القديم ، وكان فى نظرهم خادماً للأدب ، ولما قامت حركة الإصلاح الدينى زادت أهمية التاريخ إذ وجد فيه المصلحون أسلحة قوية ضد ادعاءات البابا ؛ واهتم به المفكرون الاجتماعيون لأنه يفسر فى نظرهم نظرية التقدم والنمو . فلا عجب إذا عنى المؤرخون بجمع الوثائق وتنظيمها . والاهتمام بالعوامل الجغرافية فى دراسة التاريخ

ولقد جاء منتسكيو وڤلتير وقالوا بقيمة العوامل الطبيعية فى تسيير التاريخ « فليست الصدف هى التى تحكم العالم فى نظر منتسكيو [1] » ، فالظواهر السياسية كالظواهر الطبيعية لها قوانينها العامة » ويرى أن الأخلاق تعمل على رفع الشعوب وأن العوامل الجغرافية والمناخية تؤثر فى مجرى الحياة الإنسانية . أما ڤلتير فقد اهتم بتاريخ الشعوب ففى كتابه « عصر لوى الرابع عشر » أعلن أن غايته ليست وصفاً لعمل فرد وإنما لعقل الأفراد وللروح التى تسيطر عليهم . ولقد نحا نحوها الطبيعيون أو الفيزيوقراط وقالوا إن الإنسانية ولو أنها ترتكب كثيراً من الأخطاء إلا أنها سائرة فى طريق التقدم، وأن الناس يعملون بوحى قوانين إلهية لا يستطيعون النكول عنها ، هذه القوانين ترمى إلى صالح الفرد وإلى صالح الجماعة

وكان للثورة الفرنسية فلسفتها التاريخية ، فكوندرسيه يرى أن التاريخ يوضح نظرية التقدم ويساعد على تعيين اتجاهها فى المستقبل ، وحوادث التاريخ فى اعتقاده تدل على أن الطبيعة لم تضع حداً لنمو الإنسان ، وأن رقيه نحو الكمال رهين ببقاء العالم ، وأن تقدم الإنسان بطئ تارة وسريع تارة أخرى ، ويستطيع الإنسان التكهن بالحوادث إذا عرف القوانين العامة للظواهر الاجتماعية ، ويمكن معرفة هذه الظواهر من دراسة التاريخ

ومن القرن الثامن عشر لم يعد الاهتمام التاريخى مقصوراً على دراسة الأشخاص والشعوب ، بل أخذ يمتد إلى دراسة الحضارة أو ما يسميه الألمان Kulturgeschichte . وقد زاد الاهتمام بدراسة التاريخ فى القرن التاسع عشر على يد نيبور Niebuhr رانكه Ranke المؤسس للمدرسة التاريخية الحديثة ، فزادت العناية بالرجوع إلى المصادر الأصلية للتاريخ وإلى دراسة نواحيه المختلفة وامتد نفوذ هذه المدرسة إلى بقية أجزاء أوربا وأمريكا .

(البقية فى العدد القادم) **محمد مصطفى صفوت**

(١) هناك فصل جيد على فونتنل فى Bury : The Idea of Progress ص ٩٨ — ١٢٥

(١) Considerations on the Greatness and Decadence & the pomns (١٧٣٤)

مفاوضات الفتح العربى لمصر

للأستاذ السيد يعقوب بكر

- ٢ -

(ب) المفاوضة الثانية

ورد لنا عنها روايتان :

الرواية الأولى

١ — ذكرها أبو المحاسن (ص٩) نقلاً عن ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر قال : « ودخل عمرو إلى صاحب الحصن فتناظرا فى شىء مما هم فيه ؛ فقال عمرو : أخرج وأستشير أصحابى ؛ وقد كان صاحب الحصن أوصى الذى على الباب إذا مر به عمرو أن يلقى صخرة فيقتله ، فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له : قد دخلت فانظر كيف تخرج . فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له : إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت . فقال العلج فى نفسه : قتل جماعة أحب إلىّ من قتل واحد ؛ فأرسل إلى الذى كان أمره بما أمره من أمر عمرو ألا يتعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم ؛ فخرج عمرو » .

فواضح من هذا أن المفاوضة كانت فى حصن بابليون نفسه بين عمرو وصاحب الحصن (وهو المقوقس بدون شك ؛ لأن ابن عبد الحكم يقول قبل ذلك فيما نقله عنه أبو المحاسن (ص٨) إن المقوقس كان حاضرا الحصن حين حاصره المسلمون) .

٢ — وذكرها المقريزى (الخطط ج ٢ ص ٦٥ ط النيل) نقلاً عن ابن عبد الحكم أيضاً .

٣ — وذكرها السيوطى (حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٤ — ٦٥ ط إدارة الوطن) نقلاً عنه أيضاً .

٤ — وذكرها الواقدى (فتوح الشام ومصر ج ٢ ص٣٠ — ٣٢ ط اليمنية) . قال : « ... وإذا برسول أرسطوليس قد أقبل وقال : يا معاشر العرب إن ولى عهد الملك يريد منكم أن تبعثوا له رجلاً منكم ليخاطبه بما فى نفسه فلعل الله أن يصلح ذات بينكم ...

فلبس عمرو ثوباً من كرابيس الشام وتحته جبة صوف ، وتقلد بسيفه ، وركب جواده ، وسار ومعه غلامه وردان ، وسار الثلاثة إلى قصر الشمع ... فدخل عمرو وهو راكب حتى وصل إلى قبة الملك ، ورأى السريرية والحجاب وقوف والبطارقة وهم فى زينة عظيمة ، فلما رأى عمرو ذلك تبسم وقرأ : (فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ... فأمروا عمراً أن ينزل عن جواده ، فنزل وترجل ، وجلس حيث انتهى به المجلس ، وأمسك عنان جواده بيده ويده اليسرى على مقبض سيفه ، ونظر إلى زينتهم وزخرفة قصرهم فقرأ : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون ، وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ثم قال : اعلموا أن الدنيا دار زوال وفناء ، والآخرة هى دار البقاء . أما سمعتم ما كان من نبيكم عيسى وزهده وورعه ؟ كان لباسه الشعر ووساده الحجر وسراجه القمر . وقد قال نبينا صلوات الله عليه : إن الله أوحى إلى عيسى أن نح على نفسك فى الفلوات ، وعاتبها فى الخلوات ، وسارع إلى الصلوات ، واستعمل الحسنات ، وتجنب السيئات ، وابك على نفسك بكاء من ودع الأهل والأولاد ، وأصبح وحيداً فى البلاد . وكن يقظان إذا نامت العيون ، خوفاً من أمر لا بد أن يكون . فإذا كان روح الله وكلمته خوف بهذا التخويف ، فكيف يكون المكلف الضعيف ؟ وأول من تكلم فى المهد قال : إنى عبد الله ، فإذا كان أقر لله بالعبودية فلم تنسبون إليه الربوبية ؟ تعالى الله ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولا أشرك فى حكمه أحداً ، جل عن الصاحبة والأولاد ، والشركاء والأضداد . لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ، ليس لأوليته ابتداء ، ولا لآخريته انتهاء ، ولا يحويه مكان ؛ ليس بجسم فيمس ، ولا بجوهر فيحس ، لا يوصف بالسكون والحركات ، ولا بالحلول والكيفيات ، ولا تحتوى عليه الكميات ولا النافع ولا الضرات . ثم إنه (يعنى عمراً) قرأ (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) . فقال له الوزير : أصح عندكم معاشر العرب أن المسيح تكلم فى المهد ؟ قال : نعم .

قالوا له : فهذه فضيلة قد انفرد بهـا عن جميع الأنبياء . فقال عمرو : قد تكلم فى المهد أطفال منهم صاحب يوسف وصاحب جريج وصاحب الأخدود وغيرهم . فقالوا : يا عربى ، أتكلم نبيكم بغير العربية ؟ قال : لا ، قال الله فى كتابه : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم فيُضلّ الله من يشاء ويهدى من يشاء) . قالوا : أبعث الله منكم أنبياء غير نبيكم ؟ قال : نعم . قالوا : من ؟ قال صالح وشعيب ولوط وهود . قال : فلمـا سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر قالوا بالقبطية للملك : إن هذا العربى فصيح اللسان جرىء الجنان ولا شك أنه المقدّم على قومه وصاحب الجيش ، فلو قبضت عليه لانهزم أصحابه عنا . قال وغلام عمرو وردانُ يسمع ذلك . فقال الملك : إنه لا يجوز لنا أن نغـدر برسول لا سيما ونحن استدعيناه إلينا . فقال وردان بلسان آخر ما قالوه ، ففهم عمرو كلامه . ثم إن الملك قال : يا أخا العرب ، ما الذى تريدون منا وما قصدنا أحد إلا ورجع بالخيبة ؟ وإنّـا قد كتبنا إلى النوبة والبجاوة ، وكأنـكم بهم قد وصلوا إلينا . فقال عمرو : إننا لا نخاف من كثرة الجيوش والأمم وإن الله قد وعدنا النصر وأن يورثنا الأرض ، ونحن ندعوكم إلى خصلة من ثلاث : إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال . فقالوا : إنّـا لا نبرم أمراً إلا بمشورة الملك القوقس ، وقد دخل خلوته ، ولـكن يا أخا العرب ما نظن أن فى أصحابك من هو أقوى منك جناناً ولا أفصح منك لساناً . فقال عمرو : أنا ألـكن لساناً ممن فى أصحابى ، ومنهم من لو تـكلم لعلمت أنى لا أقاس به . فقال الملك : هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك . فقال : إن أحبّ الملك أن آتيه بعشرة منهم يسمع خطابهم . فقال الملك : أرسل فاطلبهم . فقال عمرو : لا يأتون برسالة وإنما إن أراد الملك مضيت وأتيت بهم . فقال الملك لوزرائه : إذا حضروا قبضنا عليهم ، والأحد عشر أحسن من الواحد . ووردان يفهم ذلك . ثم إن الملك قال لعمرو : امض ولا تبطىء علىّ . فوثب عمرو قائماً وركب جواده ، فقال الملك بالقبطية ، لأقتلنهم أجمعين . فلما خرج من مصر قال له وردان ما قاله الملك . فلمـا وصل إلى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم يقولون : والله يا عمرو لقد ساءت بك الظنون . فأقبل يحدثهم بما وقع له معهم وبما قالوه وبما قاله وردان فحمدوا الله على سلامته »

فواضح من هذا أن الواقدى متفق مع ابن عبد الحـكم فى مكان المفاوضة ، ولـكنه يختلف عنه فى أحد طرفى المفاوضة ؛ فبينما يقول ابن عبد الحـكم إنها كانت بين عمرو وصاحب الحصن القوقس ، يقول الواقدى إنهـا كانت بين عمرو وأرسطوليس ؛ وأرسطوليس هذا هو ـ فيما يحدثنا الواقدى (ص ٢٥ ـ ٣٠) ـ ابن القوقس ، وقد قتل أباه لما أدركه من ميله إلى الإسلام ورغبته فى أن يُسلم ملـكه للعرب ، ثم قام مقامه والناس جميعاً يظنون أنه يقوم مقام أبيه أثناء غيبته تلك التى اعتاد أن يتغيبها طول شهر رمضان من كل سنة

ولا يرد ما يؤيد هذه الرواية فى كتاب حنا النقيوسى

وإذا صح ما ترويه الرواية العربية من وقوع مفاوضة فى ذلك الوقت فى حصن بابليون ، فليس من شك فى أنها كانت بين عمرو من ناحية ، والقوقس من ناحية أخرى كما يقول ابن عبد الحـكم ، لا بين عمرو وأرسطوليس كما يزعم الواقدى . ونحن نرفض ما يقوله الواقدى لسببين جوهريين : الأول أننا لم نلتق بهـذا الاسم (أرسطوليس) فيما قرأناه من سائر الـكتب التى تتحدث عن وقائع الفتح . والثانى أن القوقس توفى فى ٢١ مارس سنة ٦٤٢ (بتلر ص ٣١٣) فى حين أن الحصن سُلّم للعرب فى ٩ إبريل سنة ٦٤١ (بتلر ص ٣٢٨) ، فليس صحيحاً إذن أن القوقس قُتل قبل تسليم الحصن . ويخيل إلينا أن الواقدى قال بوقوع المفاوضة بين عمرو وأرسطوليس لا القوقس ، لأنه كان يعتقد فى حب القوقس للعرب ، وإيمانه بدعوتهم ، وتصديقه لرسولهم ، صلوات الله عليه ونقده لما جاء به بولس (الواقدى ص ٢٤ و ٢٧) فلا يكون من طبائع الأشياء إذن أن يحاول اغتيال عمرو قائد العرب ، وإنما يلزم أن يكون غيره هو الذى دبر هذه المـكيدة .

على أن الأستاذ بتلر يرفض هذه الرواية فيقول (تعليق ٣ ص ٢٢٣) : « ولا نشك فى تـكذيب هذه الرواية ووصفها بأنها اختلاق ووهم ، ونقول هنا إن هذه القصة نفسها قد ذكرها (ابن بطريق) عن غزة فى فلسطين » .

ونحن ، اعتماداً على ما يلقيه الأستاذ بتلر على هذه الرواية من ظلال الشك ، نرفض هذه الرواية كذلك أو نشك فيها على الأقل . وواضح جداً أن القصة التى تقصها إنما وضعت للتدليل على دهاء عمرو وسعة حيلته .

(للبحث بقية) السيد يعقوب بكر

ســـــقوط بولنــــدة

للشاعر « توماس كامبل »

للأستاذ محمود عزت عرفة

انطوت ثلاثة أعوام كوامل على حادث اجتياح « بولندة » الذي اندلعت بسببه نيران هذه الحرب القائمة ؛ وفى الواقع أن بلداً من البلاد لم يُمنَ بمثل ما مُنيتْ به « بولندة » من عدوان جاراتها المتتابع عليها ... ففى منتصف القرن الثامن عشر — وكان نظام الإقطاع إذ ذاك يفتك بعوامل الاستقرار والهدوء فيها — أحست الدول الطامعة فى امتلاكها — لأول مرة — بسنوح الفرصة التى طال ارتقابها ؛ فاقترح فردريك الأكبر ملك بروسيا على كل من النمسا وروسيا الاشتراكَ معه فى اجتياح هذه البلاد . وتم ذلك عام ١٧٧٢ م ، حيث اقتسم الجميع ثلث مساحتها ، فى حين وضعوا لسائرها استقلالاً اسميًّا ، وتركوا السلطة الحقيقية فى يد معتمد روسى يقيم فى « وارسو »

وبعد عشرين عاماً من هذا التاريخ ، اتجهت أنظار أوربا جميعها إلى فرنسا وثورتها العارمة ؛ واختلس الروس هذه الفرصة فاجتاحوا بقية بولندة واحتلوا عاصمتها عام ١٧٩٢ م

وقد لاذ الوطنيون البولنديون بأذيال الفرار ، حيث تجمعوا بإقليم سكسونيا (فى شمال بوهيميا) ، وكونوا حزباً سياسيًّا قويًّا برئاسة كوشيسكو

وكان هذا الأخير ممن تعلموا فى فرنسا ، وتغلغلت فى نفوسهم روح الحرية منذ طفولتهم ؛ وقد اشترك فى حرب الاستقلال الأمريكى انتصاراً منه للروح الوطنية أنَّى وجدت ... فكان فى الواقع خير من يقود مثل هذه الحركة !

وقد بدأ بتأليف جيش قوى تربص به حتى اندلع لهيب الثورة فى بولندة عام ١٧٩٤ م . فدخل البلاد منتصراً ، واحتل « وارسو » ، حيث أنشأ حكومة وطنية حرة ... وهنا استنجد الروس بالبروسيين ، وتمكنوا متحدين من هزيمة الوطنيين واحتلال وارسو مرة أخرى عام ١٧٩٥ م

وقد وقع « كوشيسكو » يوم ذاك أسيراً ، وجرت مذبحة رهيبة عند جسر مدينة براغة (شرق وارسو) راح ضحيتها عدد وفير من الوطنيين البولنديين ... واتفقت حينئذ كلمة روسيا وبروسيا والنمسا على محو بولندة نهائيًّا من مصور أوربا السياسى ! فكانت تلك أشنع صورة للطغيان يسجلها تاريخ القرن الثامن عشر ؛ وقد ضجت أوربا والعالم المتحضر جميعاً لهذا الحادث الذى بدا فيه مبلغ استهتار القوة المسلحة بحقوق الأعزل الضعيف !

وفى هذه القصيدة يصور لنا « توماس كامبل » — وقد عاش بين سنتى : ١٧٧٧ م ، ١٨٤٤ م — مأساةَ « بولندة » فى عام ١٧٩٥ م

وهو يبدو فيها معبراً عن شعور الوطنيين ومحبى الحرية فى العالم جيماً ، ممن آسفهم هذا الحادث وأرمض نفوسهم ... ولسنا هنا بسبيل ذكر كفاح بولندة لتخليص استقلالها طيلة القرن التاسع عشر ، أو إيضاح ما تلا ذلك من أحداث انتهت باحتلالها الأخير فى أول هذه الحرب الحاضرة ؛ فلكل ذلك مواضعه من أبحاث التاريخ ؛ وإنما نختم هذه المقدمة الضرورية بقولنا : إن قصيدة « سقوط بولندة » نشرت — لأول مرة — فى عام ١٧٩٩ م — أى بعد مأساة السقوط بأربع سنوات — ضمن ديوان للشاعر عنوانه « مباهج الأمل » ... وها هى ترجمتها :

أيتها الحقيقة المقدسة ! لقد تخلى عنك النصر ، ولكن إلى حين ، وفارقتْ أختكِ « الأملَ » ابتسامتُه أسفاً عليك ... عندما توجه الظلم الغاشم بجحافله إلى معترَك الشمال ، وتحركت فرسانه من العُتاة أولى القوة ، ومشاته من « البندوريين[1] » ذوى السبال والشنانين : خافقة أعلامهم الرهيبة مع نسمات الصباح مدويةً طبولهم فى دقات كهزيم الرعد ، مرتفعاً رنين أبواقهم فى شبه العويل ... !

إنه الفزع الأكبر فى ضجيجه وعجيجه ، يتحدَّر مع طلائع الشر منذراً بولندة والعالم كله بالويل والثبور !

... أشرف بطل فارسوفيا الأخير[2] من مربأه العالى على

---

(١) فرقة من الجيش النمسوى تنسب إلى بندور Pandour ، وهى قرية من قرى هنغاريا

(٢) هو كوشيسكو Kosciusko الذى أشرنا إليه ، وقد اعتقل عقب هزيمة فارسوفيا عام ١٧٩٥ م ثم أطلق سراحه بعد حين . ولما رد عليه الأمبراطور سيفه تكرمة له رفضه قائلا : « ما حاجتى إلى حمل مثله ولست بذى وطن فأذود عنه ! » وقضى بقية أيامه فى فرنسا حيث توفى عام ١٨١٧ م

مهول ألم بها الخراب واجتاحتها جوائح الدمار ، فصاح من قلب منكوء :

يا إلهى ، ضمد جراح وطنى الكليم ... أما ثمة يد قوية تشد أزر الأبطال المجاهدين ؟ ولكن ... لِتعثْ في أرضنا شياطين الفناء ، ولتُشْجِم عليها سحائب المنايا ... فالوطن حى برغم ذلك باق ؛ وباسمه الرهيب نشهر أسيافنا البواتر ... فانهضوا يا رفاق ؛ وأقسموا جميعاً أن تعيشوا من أجله أو تموتوا فداء له !

* * *

قال البطل هذا ، ثم انكفأ إلى رجاله البواسل يَنظمهم صفوفاً خلف الأسوار الحصينة ... فئة قليلة لا ينقصها الإيمان ولا تعوزها النجدة ... قوة متماسكة مرهوبة السطوة ، تخطو فى ثبات وفى أناة معاً : مترفقة كأنها النسيم العابر ، متدفقة كأنها العواصف الهوج !

... وانتقلت الأصوات خفيضة هامسة تموج مع الهواء موج البنود ، مرددة شعارهم الذى به يتعارفون : « الانتقام ... أو الموت » ؛ ثم ارتفع الضجيج عالياً قوياً يستلب النهى ، وطنّت نواقيس الإنذار تعلن الخطر الداهم ، وتبلغ التحذير الأخير !

* * *

ولكن . . . يا للأسف ! عبثاً أيتها القلة الباسلة أن تنثال قذائفك مدوية كالرعد بين الصفوف ... إنها لأشنع صورة وأدماها يسجلها التاريخ فى سِفر الأيام ! (سَرْماتيا[1]) تسقط صريعة فى غير جرم ، فما تُبكى عليها عينٌ بقطرة من دمع ... !

واهاً لها ... لم تجد الصديق كريماً ولا العدو رحيماً ... !

لم تسعفها القوة وهي فى سلاحها وعدتها ، ولا أبقت عليها الرحمة وهى فى محنتها وبلواها ...

هو ردينيُّها العسَّال من يدها الواهنة قِصَدا ، وأغمضت عيناها الوامضتان ببريق الحياة ، وناءت بكاهلها أثقال الطغيان ، فــا أطاقت النهوض

ها هو ذا الأمل يقرع سمع الدنيا بكلمة الوداع مولياً عنها إلى حين ؛ والحرية تعول صارخة إذ ترى (كوشيسكو) يهوى من عليائه ...

* * *

(١) سرماتيا Sarmatia : اسم قديم لبولندة

انحدرت الشمس إلى مغربها وما وقف سيل الدماء المواثر ، وبدد ضجيج القتل والقتال سكون الليل الغارق فى غفوته ، وألقت لُهب الدمار ظلالها على قناطر (براغة) الفخمة[1] ؛ وتحدرت المياه من أسفلها مخضوبة بالدم القانى . ثم أعولت العاصفة فطغت على صرخات الجزع وصيحات الوهل المتصاعدة ؛ بينا أفسحت الحصون العماء للغزاة طريقاً مهادها الأشلاء

ألا أصيخوا ... إن الأبنية المحترقة لتنهار فى دوى يصم الآذان ؛ ومئات الأصوات الواهنة تجأر فى طلب الرحمة والغوث وهى يائسة منهما ؛ حتى لكأنما الأرض تزلزل زلزالها ، والسماء ترمى من رجومها بكل شهاب ثاقب ! ...

إنها الطبيعة وقد أدركت هول الفاجعة تضطرب من أعماقها؛ والكون بأجمعه يهتز جزعاً لهذا البكاء والإعوال

* * *

أيتها الأرواح الذواهب . أرواح الأبطال الكماة وكل ذوى النجدة من الهالكين ... يا من استنزفوا دماءهم ولفظوا آخر أنفاسهم فى ساحات القتال من مَراثون[2] ولِكترا[3] ... يا حلفاء العالم وأصدقاء الإنسانية جميعاً : أشهروا سيوفكم من جديد لأجل (الإنسان) ؛ حاربوا فى سبيل غايته المقدسة ؛ وقودوا طلائعه إلى النصر . ثم كفروا بالدم الصبيب عن دموع « سرماتيا » التى تحدرت وهى بالنجيع مخضوبة ؛ واجعلوا لها من العتاد والعدة كما جعلتم لأوطانكم ...

آه لو يرتد إلينا الزمن برب الوطنية وربيبها (تيل)[4] ... أو بالملك الفارس (بروس)[5] بطل (بانُكبِرن) ... إذن لكان للحرية بهما قوة ؛ ولأوى الحق منهما إلى ركن شديد !

(جرجا) محمود عزت عرفة

---

(١) براغة Praga : مدينة شرقي وارسو ، عندها جرت المذبحة الهائلة التى ذهب ضحيتها كثير من الوطنيين البولنديين . وهى غير (براج) الكائنة بتشكوسلوفاكيا

(٢) تقع مراثون Marathon على مدى ٢٥ ميلا من أثينا ، وفيها انتصر الاغريق بقيادة ملتيادس على جيوش الفرس عام ٤٩٠ قبل الميلاد

(٣) لكترا Leuctra : قرية واسم موقعة فى اليونان هزم فيها إبا منداس الطيبي قوات اسبرطة عام ٣٧١ ق . م

(٤) تيل Tell : محرر سويسرا وبطلها القومى ، ولا يعرف تاريخ حياته على وجه التحقيق

(٥) Bruce : روبرت بروس ملك اسكتلندا الذى استرد حرية وطنه من الانجليز بعد أن انتصر عليهم فى موقعة بانكبرن عام ١٣١٤ م

في معبد الشاعر المصري

للأستاذ ابراهيم صبري

مترجمة بقلم الأستاذ عثمان علي عسل

إبراهيم صبرى : شاعر موهوب من شعراء اللغة التركية ، وهو يعيش فى مصر فى غربة متصلة أكثر من عشرين عاماً ، يعيش فى داخله لا أنيس له إلا شيطان شعره . شاعر يترنم أو ينوح لنفسه . شعلة تتوهج لا يراها إلا الظلام الدامس ، يا للعجب !

ثم انتقل الشاعر إلى جو جديد من الشعر بين صحابة يعيشون فى بلادهم فى غربة كغربته . استمع الشاعر التركى إلى أنين الشعر العربى الذى تناثر فى جو « المعبد » وأصغى إلى الترنم الحزين الذى اشتركت فى إيقاعه نفوس تحن فى غربتها ، وتلقف روح الآلام العربية فعانقها بشوق وصبابة احترقت النفوس فى نار الغربة المستعرة ، وحول دخانها العطرى طافت أشباح الصحابة : « الشاعر محمود حسن إسماعيل الذى تهدى إليه القصيدة ، ويحيى ... ، وسعيد ... ، وعبد السلام ... ، وعبد الرحيم .. ، والشاعر التركى إبراهيم صبرى ، ومحمود ... وعثمان ... » . وفى معبد الغربة المحترقة أقيمت شعائر الألم المتوهج ، والأحزان المتضرمة ، وانبعثت روح العطر تتصاعد من نار غريبة متأججة ، ومن هذا الجو المشتعل قبس الشاعر التركى لأشعاره ناراً خالدة أضاء بها زاوية من المعبد قد نامت فيها ساعة من الزمن فرت إليه من جنة الخلد . (عثمان)

ذات يوم حوّم شيطان شعرى فى جوّ حياتى ، وحدّثنى حديثاً من الشعر ، قال :

« لقد اتخذتُ من أودية الحقيقةِ مسكناً وبقيتُ فيها إلى الآن ، فليكن هَدَفُ جناحَك الذى يُسِفّ بك إلى الأرض جوًّا جديداً متعاليا . ولا ريبَ أن السمٰواتِ الحرّة لا تُشبه مَنفاكَ الضيق ، فليرافقنى يَراعك محلّقاً فى سماء الخيال ، ليطّلع على المعنى الخفىّ فى « ديوان » الفلك ، فيكتب أشعاراً أسطورية دَعْ عنك هذه الأفكار التى صوَّرتَ بها هذه الأرض البالية ، وليكن لونُ أشعارك من لونِ الفجر والشفق ، ولتكن أنغامَ نظمك من وزن نظام النجوم »

***

وإذا بقوة سحرية قد تسلطت على سمعى وخيالى فعَرَجْتُ إلى السماء كأنى فى غيبوبة ، واحترقت روحى بلهيب لا يُرَى ، وتصاعدت كالبخار حتى انتهيت إلى السحاب . وكانت نظرتى هى صلتى الأخيرة بالأرض التى احتجبت وراء الغيوم . لا أدرى كم مكثتُ فى الظلام حين وجدت نفسى فى ساحة معبدٍ التقيت فيه بشيطان شعرى ؟ وبدا لى أن هذا المكان الذى يسمى « المعبد » كأنه يحتوى على الدهر : قبته رأس شاعر عبقرى شيد عرشه السامى فى مملكة الخيال ، وقد بسط سلطانه على دولة الشعر ، اشتعلت نار العبقرية فى رأسه كالبركان فتألق جو المعبد بأضواء هذه النار . وبعد لحظة ترددت فى المعبد أنغام وألحان ، وتقدمت لاستقبالنا حور أمسكن بأيديهن مجامر البخور ، فانتقلنا إلى عالم خرافى يفوح بالعطر ، وقد تربع الشاعر منزوياً بغير اكتراث فى زاوية الصمت ، وأمامه موقد النار قد وضع على حجر سحرى . من نظر إلى هذه النار خيل إليه أنها صيغتْ من الشمس لأنها تتوهج بضياء كأنه احتوى على لألاء النجوم . وكأن الشاعر قد أذاب العلوم وألقاها فى سعيرها فتصاعد دخان براق يتمثل فيه الذكاء . أنشأ فى الجو قوساً متموجاً تخال أمواجه مصقولة من لجين وعسجد ، فاعتلى الشاعر هذا القوس وبيده آيات شعره ، بينما رقصت أشباح أبدعت فى الرقص وغنت بألحان لا تسمع . كأن فى حلقات الدخان معانى مبهمة أحاطت بالنفوس فأثارت فيها عاطفة سامية غير بشرية تكاد تشبه السكر ، لو أن السكر يأتلف مع العبقرية . كان بريق النظرات وهّاجاً بينما كانت الأجسام خامدة كأنها احترقت بطلّسم ، تاركة الروح وحدها .

***

رقص الشاعر مع شيعته كأنهم يتهادون فى الفضاء ، وأقام شعائر المعبد ، ثم أطرق كأنه يسجد . ولو أقامها كاهن مجوسى لما أبدع كما أبدع ، ولما اهتزت له أركان المعبد كما اهتزت للشاعر ، وكأنما الشاعر يستمد ألهامه من الهند والصين ، فهو ينشر فى جوّه من محرابه خيالات تتضوّع بالعطر ، فتسرى فى نظمه قوة سحرية تجعل قوافيه تتجلّى فى صورة بوذا

***

اجتمعت بالشاعر فى ساحة المعبد ، وتآلفت روحى مع أعماق

مرريرته . لمحت فى يده يراعاً قد أمسكه بقوة سحرية شيطانية ؛ هو يُصَـوِّر العالم بهذا اليراع . إن شاء استرسل فى وصف العشق فأبكى القلوب الميتة كما بكي هو من الهجر والضّنى ، وإن شاء أَوْدَعَ الرياح أسراراً تحملها إلى سَـوالِـف حبيبته . إن البحار صورة حية للحرية ، لـكنها تبدو له أحياناً كأنها أسرَى مقيّـدةٌ بسلاسل أمواجها ؛ وإنه ليستنشق النسيم فيتحوّل فى صدره إلى زفرات تترنم بالأنين . لو شاهدت ألهامه لرأيت عالماً آخر . العالم بلا حبيبة ، هو — عنده — عالم لا وجود له ! ومن هى حبيبته ؟ وما هى ؟ سرٌّ مجهول !! فى عينيه ظلال لا تزول حتى فى الظلام . نظراته غاسقة كأنها ممتلئة بألوان حسناء سمراء . وهو يرسل هذه النظرات إلى النيل فيخيل إلىّ أن غرامَـه غارق فى لججه ، فهو يبقى على ضفافه ساهراً ساهداً لعـلّ الحبَاب يتحدّث بغرامه ؛ والدموع تنحدر من مقلتيه فى محاذاته كأنها تسيل وراء شعر حسنائه المسترسل فى مجراه ... ! لقد اتخذ وادى النيل معبداً لعبقريته ، كأنه أفُـقٌ يشرف على حدود الدّهر المطلقة ، والقارئُ أمامه كذرّة لا يدرى ما هو هذا العالم ، ولا يدرك ما هى هذه الأفلاك ؟

عثمان على عسل

حق الامام في نسخ الأحكام

لعـالم فاضـــل

نشرت مجـلة (الرسالة) الغراء كلة قصيرة تحت عنوان « محاولة قديمة جريئة فى الفقه الإسلامى » ؛ وقد ذكر فى هذه الـكلمة أن من الفرق الإسلامية من يعطى الإمام حق نسخ الأحكام ، وأن الإمام أبا جعفر النحاس ذكر ذلك فى كتابه « الناسخ والمنسوخ » ؛ ولا شك أن ما تذهب إليه تلك الفرقة - إن صح - هو الوسيلة الوحيدة لمـا يراد الآن من تطويع الفقه الإسلامي لمجاراة الظروف والأحوال ، حتى لا يجد المسلمون فى العمل به حرجاً فى أى زمن من الأزمان ؛ وقد قال الله تعالى : (وما جعل عليـكم فى الدين من حرج) ؛ وقال أيضاً فى بيان الغاية من بعثة النبى صلى الله عليه وسلم : (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) . فالدِّين الذى جاء لرفع ما كان فى الأديان قبله من أغلال ، لا يمـكن أن يقر أغلالاً على أتباعه فى أى زمن ، لأن هذا لا يتفق مع غايته ، ولا تتحقق معه تلك الميزة التى امتاز بها على الأديان قبله

وإنما كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال ، لأن ما يذهب إليه بعضهم فى ذلك من جعل وظيفة الإسلام روحية بحتة ، لا يتفق مع حقيقة هذا الدين ، فقد جاء بعد أديان بعضها يغلب جانب الروح على المادة ، وبعضها يغلب جانب المادة على الروح ؛ فعمل على الموازنة بينهما ، وجعل من غايته إعطاء كل منهما حقها ، حتى لا تطغى إحداهما على الأخرى ، ليتم بهذا نظام العمران ، ويتلاءم الدين مع طبيعة الاجتماع البشرى ، لأن كل دين لا يتلاءم مع هذه الطبيعة ، يكون غلا عليها ، وتـكون تكاليفه فوق طاقتها ؛ وقد قال الله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)

وكذلك ما ذهب إليه بعضهم من تقسيم التشريع الإسلامى إلى دائم ومؤقت ؛ فهو لا يفى أيضاً بتطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال ، لأن جعل التشريع المؤقت ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم بشخصية الإمام المجتهد ، وجعل التشريع الدائم ما صدر عنه بشخصية الرسول المبلغ عن الوحى ، ومن يدرس التشريع الإسلامى يعرف أنه من المتعذر تمييز ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم بهاتين الشخصيتين ، ويرى أنه مع إقرار الوحى لأحكام الاجتهاد ، لا يكون هناك فرق بينها وبين الأحكام الصادرة عن الوحى الصرف ، وهذا إلى أن ما يراد الآن هو تطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال ولو لم يكن مصدره شخصية الإمام المجتهد ، حتى يكون تطويعاً شاملاً كاملاً ، ولا يوجد فيه ما يعوق هذا الفقه عن مسايرة أى زمن ؛ وهذا لا يمـكن إلا بمـا تذهب إليه تلك الفرقة من إعطاء الإمام حق نسخ الأحكام ؛ ولهذا قلنا : إنه هو الوسيلة الوحيدة لتطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال

ونريد بعد هذا أن نبين أن الإمام أبا جعفر النحاس لم ينصف فى عرض مذهب تلك الفرقة فى إعطاء الإمام حق نسخ الأحكام لأنه لم يعن إلا بالرد عليها ، ولم يبين ما استندت عليه فى إعطاء الإمام ذلك الحق ، مع أن كل عاقل لا يمكن أن يصدر فى أحكامه عن الهوى ، بل لا بد له من سند قوى أو ضعيف يعتمد عليه

فى أحكامه ، ويحمله على مخالفة غيره ؛ وقد فاته أيضاً أن يبين كيف يستعمل الإمام هذا الحق عند تلك الفرقة ؟ أيستعمله كما يشاء ويهوى ، فيكون الحكم فى ذلك للهوى المذموم ولمصلحة الإمام دون مصلحة الرعية ؟ أم يستعمله للمصلحة العامة ، ويحكم فيه بالاجتهاد منه ومن أهل الحل والعقد فى الأمة ؟ ولا بد أن هذه الفرقة لا تعطى الإمام ذلك الحق إلا على الوجه الثانى ، لأنه لا يوجد عاقل يعطى الإمام حق نسخ الأحكام بحسب الهوى ، فيكون عرضة لسوء استعماله ، واستخدامه فيما يضر الرعية ولا ينفعها

وإذا كان الإمام أبو جعفر النحاس قد فاته بيان مستند تلك الفرقة ، وجرى فى ذلك على عادة فقهائنا فى العمل على إماتة كل مذهب يخالف المذاهب المشهورة ، حتى فقدنا بذلك ثروة فقهية لا يستهان بها ، وكانت تنفعنا فى كل أزمة تشريعية تحصل لنا ، كالأزمة التشريعية التى نعانيها فى عصرنا ، إذا كان قد فاته ذلك فإنا نحاول أن نبين هنا ما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة فيما ذهبت إليه ، بدون أن نحمل أنفسنا تبعة ما نسوقه ونحكيه ، لأن من يحكى ما يمكن أن يكون مستند القول من الأقوال لا يصح فى أدب المناظرة تحميله تبعته ، وإنما هو كناقل لا يلزم إلا بتصحيح النقل

فما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة أن الله تعالى ذكر فى كتابه الكريم أنه شرع لنا من الدين ما وصى به نوحا والأنبياء من بعده ، فشريعة الله إذن واحدة لا تقبل التغيير والتبديل ، وليس الإسلام فى صميمه إلا تلك الشريعة الثابتة من عهد نوح ، أما تلك الفروع التى تضاف إليها فإنها ليست من صميمها ، ولهذا تختلف فيها الأنظار ، وتقبل التغيير والتبديل بحسب الظروف والأحوال

ومما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة أن الله تعالى ذكر تشريع النصارى للرهبانية بعد عيسى عليه السلام ، فلم يذم تشريعها منهم ، بل أقر ابتداعهم بقوله تعالى : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) فلا بأس إذن فى كل تشريع حسن بعد الأنبياء ، والإسلام فى ذلك مثل غيره من الأديان

ومما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى المسلمين حق التشريع بعده ، وذلك بقوله : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » ، وبقوله أيضاً : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر فاعلها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر فاعلها إلى يوم القيامة »

ومنها أن أهل الصدر الأول لم يتحرجوا من التغيير والتبديل فى الأحكام على ما اقتضته المصلحة العامة فى عصرهم ، فأبطل عمر التغريب فى الزنا حين فرَّ بعض من غرَّبهم إلى بلاد الروم فتنصر ، وقد طلب منه نصارى تغلب أن يجعل جزيتهم صدقة كالمسلمين على أن يدفعوا ضعفها له فقبل ذلك منهم ، وكذلك زاد عثمان فى أذان الجمعة حين كثر سكان المدينة فى خلافته ، وأسقط معاوية حد السرقة عن قوم أشراف سرقوا فى عهده ، وقدم مروان بن الحكم خطبة العيد على صلاته حين رأى الناس ينصرفون بعد الصلاة ولا يجلسون للخطبة

فهذه كلها وجوه يمكن استناد تلك الفرقة عليها ، كما يمكن أيضاً ردَّها عليهم ، ولو أن الإمام أبا جعفر ذكر ما تستند عليه لأغنانا عن تكلف تلك الوجوه ، وقضى بذلك حق الإنصاف والتاريخ

(ع)

الفن والحيـــاة (*)

فهمُ الشيء رؤيتُه في موضعه الحقيقي بين سائر الأشياء. ولا يقف العلم عند الجزئي أو عند الفرد إلا لكي يكشف عن القوانين التي تربط ذلك الجزئي أو ذلك الفرد بباقي العالم. ولكن إذا نظرنا إلى الأشياء من الناحية الجمالية، فإن كل شيء يبدو لنا كأنه كلٌ متميز تام ومحدد، ونحن لا نتمتع بصورته إلا لأنها تمثل لنا شيئاً متميزاً له خصائص تعريفية خاصة. ولما كنا نحن — وحدنا — عاجزين عن خلق مثل تلك الصورة، فإن الفن يسارع لمساعدتنا.

وتنتمي العاطفة العقلية sentiment intellectuel إلى طائفة العواطف الوجدانية sent. sympathique، مثلها في كل ذلك مثل العاطفية الجمالية sent. esthetique. ولكن العاطفة الجمالية تتجلى فيها المشاركة الوجدانية أكثر مما تتجلى في العاطفة العقلية، لأن هذه الأخيرة تحددها علاقة الأشياء فيما بينها أكثر مما تتحدد بعلاقة الشيء الجزئي نفسه بماهيته الخاصة. كذلك تنتج العاطفة الجمالية مما نبحث عنه لنوحد به بيننا وبين الأشياء فنحيا حياتها وندخل عنصر المخيلة في حياتنا الخاصة. وهناك لذة جمالية تنتج من استخدامنا لأعضائنا استخداماً حراً، أي أنها ترجع إلى اللعب الذي نقلد فيه أعمالاً يباشرها الإنسان بحكم العادة من أجل غايات هامة وعملية. ويمكن أن نسمي كل فن لعباً ما دام يقدم لنا صورةً ما، أعني إنتاجاً مثالياً للحياة الواقعية كلها أو أجزاء منها.

وتتخذ العاطفة الجمالية في نموها وانتشارها مظهراً خلقياً هاماً، فحين تسيطر على الإنسان تجعله ينسى نفسه أمام قيمة الأشياء، فلا يعود يفكر في نفسه ذلك النوع من التفكير الأناني المبتذل. ويتضمن الجمال الحقيقي قوة تجبرنا على تذكره وإرادة رؤيته ثانية وعلى حبه والإعجاب به. والشخص القادر على إنتاج الأشياء الجميلة، مثل من ينظر إلى الأعمال الفنية أو أعمال الطبيعة من وجهة النظر الجمالية، يحس ميلاً نزيهاً نحوها (أي غير أناني) وفي نفس الوقت تتيقظ فيه قوى الحدس والانتباه والإنتاج بحركة قوية متسقة ويضاف إلى ذلك عنصر مثالي آخر.

عرّف أرسطو التراجيديا بأنها تقليد حدث عظيم يثير الشفقة والخوف في الإنسان ويظهرهما. وما يقال عن التراجيديا يمكن أن يقال عن كل ألوان الفن المختلفة. فاللعب (وكذلك الصورة) يثير نفس ما تثيره الأحداث الواقعية التي يمثلها من عواطف، ولكن بشكل آخر تستخفي فيه العناصر المؤلمة والأنانية في تلك الأحداث. والحوادث الواقعية تفاجئنا وتقع مباغتة، فلا نتمكن من كشف ما بينها من ارتباط واتصال، ولذا يبدو لنا أنها تحدث بمقتضى الاتفاق والصدفة فقط، وهذا هو السبب في أنها تقدم لنا أشكالاً متعددة ومختلفة تثير عواطف متعددة ومختلفة. ولكن الأمر على عكس ذلك في الفن؛ فكل شيء هنا له غرض معين هو إثارة انفعال كلي واحد يتناسب مع خطوط الشيء أو الحدث الضرورية والتعريفية المميزة. ويستخرج الفن سماته الضرورية من صورة الشيء الفردية دون أن يذهب إليها، وبذلك نتخلص من التنافر ونستقبل تأثيراً واحداً معيناً، فيكون من السهل أن نندمج ونتوحد بعواطفنا في الشيء الممثل، وهذا هو سبب أن الإنتاج الفني يجعلنا نفهم الأشياء فهماً أحسن، وإن كان لا يقدم لنا طبعاً شرحاً علمياً. ولكن إذا كانت التراجيديا تثير الشفقة والخوف وتظهرهما، فإن الكوميديا تظهر عاطفة القوة والعاطفة الشخصية؛ وما تثيره من ضحك ليس في الحقيقة تهكماً أو استهزاء، ولكنه عاطفة تحرر وخلاص، تأتي من رؤيتنا الصغائر والدنايا والمتناقضات والشرور ظاهرة عارية ساخرة، على معرفتنا في نفس الوقت أنها جزء من الحياة

وقد بحث كثيرون في علاقة الجمال بالأخلاق، وإلى أي حد يتفق العمل الجمالي أو الظاهرة الجمالية مع مطالب الأخلاق، وتساءلوا هل الصور والنقوش المحسوسة وغيرها جائزة ومباحة ولا تتعارض مع الأخلاق أم لا؟ وفي الحقيقة ليس هناك محل لمثل هذا التساؤل؛ ففيما يختص بمادة العرض وشكله لا يوجد أي اختلاف أو تنافر بين ما يقتضيه الجمال في الواقع وما تسمح به الأخلاق، فكل ما له قيمة جمالية لا بد أن يكون متفقاً مع التعاليم الأخلاقية. وفي صلة الفن بالبيداجوجيا نجد أنه لا يمكن السماح بوضع كل قصيدة، ولا أي قصيدة، بين أيدي الأطفال فيتداولونها فيما بينهم. ولكن ذلك لا يتصل بالقيمة الجمالية ولا

(*) ملخصة عن الفرنسية عن كتاب: H. Höffding. Morale

يحط منها ، فإن الذى تهيج نزعاته الحسية أو الشهوية من أثر نقش مثلاً إنما يحدث له ذلك لأنه لم ينظر إليه من الناحية الجمالية فلم يتطهر ميله وهواه ، بل جاء الأمر على العكس وهاجا بشدة . وذلك الشاب الذى يحدثنا عن لوسيان أنه أغلق على نفسه معبد أفروديت وقضى فيه ليلته يعتنق تمثالها ، لم تدفعه إلى ذلك فى الواقع العاطفة الجمالية ، بل شىء آخر

وعليه ، إذا كان الفن يعنى حياة مثالية ، فإن القيمة الفنية يجب أن تطابق القيمة الحيوية وتناسبها . وبالتالى قيمة العمل الفنى لا ترتكز فقط على النبوغ أو العبقرية ، بل على الحياة التى يمثلها كذلك . ويجب على الفنان القيمى أن يصارع فى سبيل سيادة وجهة نظره نحو الأشياء حتى يقبلها الناس . ويرجع جزء كبير من المعارضة ضد الواقعية الجمالية الحديثة إلى أن الناس يبحثون فى الفن عن اللهو أو الراحة فقط ، فهم لا يحبون أن يواجهوا مرارة الحياة وأحزانها ، ولا يريدون أن يثيرهم الخوف والشفقة ؛ قد اعتادوا على تذوق التراجيديا القديمة والإعجاب بما فيها من ضربات القدر القاسية ، ولكنهم لا يمكنهم احتمال تراجيديا حديثة مثل تراجيديا « إبسن » مثلاً المسماة «أشباح» . والواقعية الحديثة فى الأعمال الكبرى لم تصنع شيئاً إلا أن جعلت النظر إلى الحياة الواقعية أعمق عن ذى قبل . فالفن إذن يباشر عملاً تربيوياً إذ يفتح عيوننا ويقوى مشاعرنا وأنفسنا لمقابلة الحياة وجدها ، ويهيج وجداناتنا ضد ما فيها من شرور ، ويرينا كيف أن الحياة الإنسانية مغلولة ومسجونة فى سجن سحيق بعيد . فالشاعر مثلاً يمكنه أن يعلمنا ويهيئنا لتقويم الأعمال أحسن من أى فلسفة خلقية

وبالرغم من عِظَم المكان الذى يشغله الفن فى الحياة ، فإنه لا يمكن أن يقوم مقامها . ولا يمكن أن ينظر الفنان الحق إلى الحياة الواقعية كشىء فنى بسيط . فهو فى فنه يبحث عن العمل أكثر مما يبحث عن التسلية ، وينظر إلى فنه كعمل جِدّى اجتماعى . ومَثل الفنان مَثل العالِم يرى الحياة فيحاول أن يريها للآخرين مثلما رآها هو . ولكن الهواة يرون الحياة لعباً حتى إن شيللر يقول : « إن الإنسان لا يكون إنساناً إلا حين يلعب » فهو يرى أن العيش فى دنيا الخيال واللعب هو عمل الإنسان الذاتى ، ويجب أن يكون للانسان قلب حر كيا يتخلص من ضغط الواقع وسيطرته ويذهب إلى الحياة المثالية والواقعية فى الفن — مثلها فى ذلك مثل الرومانتيكية تماماً — تجعلنا نعيش فى عالم خيالى أغراباً عن الواقع . فالواقعى حقيقة غارق بدوره فى الخيال كالمثالى ؛ وخطر ذلك أعظم على الواقعى منه على المثالى ، لأن المثالى المعتدل يعيش فى عالمين : عالم الأحلام المثالى ، والعالم السفلى الوضيع ، فهو يتهكم من هذا الأخير ، ولكنه بالرغم من ذلك يعرف كيف يقبله ويراه على ما هو عليه ، فلا يكون الاستهواء الجمالى عليه كبيراً مثلما هو عليه عند الواقعى الذى يريد إشباع مخيلته من المؤثرات الواقعية نفسها

وليس الفن عملاً صغيراً بسيطاً يختص به بعض الناس دون غيرهم ، أو ينفرد به عصر دون غيره من العصور . بل الفن شىء عام لكل أمة ولكل عصر منه حظ مقسوم . فلا بد أن يكون لكل أمة فنها الخاص ، ولا بد أن يكون لكل عصر فنه الذاتى . ومن العسير أن تكتفى أمة من الأمم بفن غيرها دون أن يكون لها فن خاص بها ، لأن كل أمة لا تعرف تماماً إلا نفسها وما يمكن أن يؤثر فيها من مظاهر حياتها تأثيراً جمالياً . والفنان يعكس تلك المظاهر الجمالية انعكاساً كاملاً ، لأنه يعيش فيها وقد اندمجت عواطفه بها . وعلى العموم يمكن أن يُقال إن هناك أساساً مشتركا من الفكر والحساسية لكل شعب وكل عصر يمثله الفنانون لنا ويعكسونه ، فنرى أنفسنا كما لو كنا نحيا فيه ، مثلما فعل هوميروس ، ودانتى ، وشكسبير ، وجوته ، وغيرهم . إذ عرفونا تمام التعريف — خلال آثارهم وأعمالهم — بالحياة العقلية الإنسانية المثالية عند الأوربيين .

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

بجماليون

تحية المؤلف وعرضه للكتاب

للأستاذ فخرى شهاب السعيدى

جاء كتاب توفيق الحكيم الجديد فى شكل حوار لأبطال بعضهم من أساطير اليونان ، وابتدع لهم من خياله الخصب عبارات ذلك الحوار ، وهيأ لهم جواً رمزيًا يصلح لهم ، وتتناوبهم فيه العواطف والمشاعر

ما الحياة ، وما الفن ، وما ميزان الحكم عليهما ؟ وما المرأة ، وما الرجل ، وما وجه المفاضلة بينهما ؟ وما فكرة الآلهة والمخلوقات وما مقاييس الأحكام على الأمور عندها ؟ ما الخلود ، وما الفناء ؟ وما العقل ، وما الجنون ؟ ! ما هى الحكمة ؟ وكيف توصف وتعرف وتقدر ، وما البطش بالقياس إليها ، وكيف يكون اتقاؤه والحذر من التورط فيه ، وهل إلى ذلك من سبيل ؟ ؟

وما هو الجمال وما هو الحب ؟ وما مقدار لصوقهما بالحياة واتصالهما بها ، وهل هما وقف عليها ؟ !

تلك — ومثلها أكثر منها — أسئلة البشرية الخالدة التى مرت بكل فكر ، وطلبت أجوبتها من كل حكيم ... وما دام البشر محدود القوى بالنقص والفناء ، فإنه سيفتن فى التساآل والأجابة ، وفى الأخذ والرد ، والإقناع والاقتناع ، كل هذا تطميناً لفضول القوى العاقلة التى تثيرها فى نفسه مشاهد الكون !

... أما عن الفن والحياة ، فهما لدى توفيق الحكيم فكرتان إحداهما تتم الأخرى لإبداع الكمال المطلق الذى يتخيله فى أذهانهم أرباب المثل العليا فى الحياة ، وهما من أجل إيجاد هذا الكمال ينبغى أن يكونا متلازمين تلازماً يضيق عنه إدراك البشر المحدود ؛ ومن هنا تبدأ عقدة القصة الفلسفية فى الظهور : فصانع التماثيل (المثَّال) « بجماليون » رجل فنى نزاع إلى الكمال المطلق ، ولكن نزوعه هذا نزوع يكتنفه الغموض ، لأنه لا يدرى به ولا يدرى كيف يستقيم له هذا الكمال : هو يريد الحياة ، لأن فى أعماق نفسه شعور الإنسان الحى الذى إذا رنا إلى غاية نفسه الحية ألفاها متمثلة فى الجسم النابضة عروقه بالحرارة والحياة ... وهو يحب الفن لأن فى طبيعته قبساً من عبقرية الخالقين المبدعين ... وفى سريرة نفسه الصافية التى مزجت قوة الإبداع بجمال الحياة ، استطاع أن يجمع بين النقيضين ؛ وإلى ذلك توصلت روحه ؛ ولكن عقله — وهو بشرى محدود — لم يهتد إلى سر التوفيق بين ما يقع تحت فهمه من تناقض ظاهر فى فكرتى خلود الفن وزوال الحياة ، وبين طمأنينة روح « بجماليون » ونفسه إلى هذا التنافر البين الواضح ..؟ وفى هذه المرحلة من القصة ، تصل الفكرة الفلسفية إلى أبعد أغوارها ، وتبدو عقدة الرمزية فيها رائعة الجمال ، تمثل أبرع تمثيل وأصدقه ما يقوم من خلاف بين العقل فى حدوده المادية من جهة ، وبين الروح والنفس فى جوهرهما المتجانس الموحد من جهة أخرى . وعلى قدر سعة اختلاف النظرتين ، وبمقدار قصور العقل عن فهم ما تشمله الروح من آفاق ، وما تصل إليه النفس من حقائق ، يشتد الغموض على المثال البطل ، ويشتد كرب نفسه ، وتغشاه هموم العماء والعيش فى المجهول ... ولا يدرك هذا الألم النفسى الهائل الناشئ بين العقل والروح عن اختلافهما فى الفهم واختلاف طبيعتهما فى شمول الأشياء والنفوذ إليها ، إلا عبقرى كالبطل المثال ، أو عبقرى كالبطل الكاتب الحكيم !

وإذا عرفنا بعد هذا أن العقل هو الحكم فى هذه الخصومة التى بينه وبين الروح عرفنا شقاء هذا البطل الشاب « بجماليون » ومقدار الحيف الذى لحق روحه الشاعرة وقواه المبدعة وصفاء نفسه الجميل !

قال العقل (١) : « قوة الفن ! وما قوة الفن تلك التى يستطيع بها الهالك أن يخلق الخالد ! »

وقال الفن (٢) : « ردوا علىّ عملى ... ردوا علىّ « جالاتيا » كما كانت تمثالاً من عاج ... أيها الآلهة ، دعونى وشأنى ، لنفسى ومخلوقات نفسى ، ما أنا إلا صنوكم ونظيركم ؛ بل إنى عليكم

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٨١

سموت ، وعلى قدرتكم تفوقت ، فأنتم ما فعلتم غير أن أفسدتم الجمال الذى أقت . . . أفسدتم جمالى الخالد ، أفسدتم جمالى الخالد » .

وقالت الحياة كلاماً كثيراً ولكن على غرار ما نطقت به قولها[1] : « نعم ! المودة والرحمة . . . أشياء تعطيها الحياة ، ولا يستطيع أن يعطيها الفن ! »

وقال التمثال كلاماً أطول من كلام الحياة ولكن كلمتين صدرتا منه أدين بهما في هذه الخصومة ، وهما قوله فى موقف المقارنة بين « جالاتيا » صنماً و « جالاتيا » امرأة[2] : « كل ما فيك محدود وكل ما فيها غير محدود » وقوله فى معرض الاعتراف بانكساره وخطيئته[3] : « الخطيئة التى كُتِبَ على كل فنّان أن يحمل وزرها . . . الافتتان بالنفس ، الافتتان بالذات ! » ولولا صدور هذين الاعترافين لما حُكِم على « بجماليون » التال العبقرى الحىّ أن يموت وعلى آيته « جالاتيا » الخالدة أن تحطم تحطيماً[4] !

* * *

تلك هى الفكرة الرئيسية التى تقوم القصة عليها ؛ ولكن ليس معنى ذلك أن الأفكار الفلسفية الأخرى أقل منها روعة أو أضعف شأناً ؛ ففكرة الرجل والمرأة والمفاضلة بينهما ، وتميز الرجولة بشهامتها على الأنوثة بضعفها ومكرها ، وحبها الإطراء وانخداعها به ، وولوعها بالمكابرة ورغبتها فى الانتقام ، فكرة واضحة تامة الوضوح فى تصرفات الآلهة « ڤينوس » وفى هباتها وكلامها وكل دورها الذى قامت به فى المسرحية

أحب بعد هذا أن أشير إشارة سريعة إلى فكرة أحسبها أسمى الأفكار الرمزية التى وفق إليها الأستاذ فى هذا الجهد الرائع الجديد ، تلك الفكرة التى أزال بها الحجاب بين الحى والجماد ، وسما إلى نوع من الرمزية الحلولية الروحية التى لم تُقم للفارق العقلى الذى يأبه الناس له وزناً فى التفريق بينهما . بل

(١) ص ١٦٤ (٢) ص ١٤٧ (٣) ص ١٧٣
(٤) آخر الفصل الأخير

اعتبرهما جدولين لا يلبثان أن ينصبا فى خضم الوجود العظيم ، وهما إذا نمّا عن شيء فمن وحدة متجانسة ينضم إليها كل ما فى الكون والوجود . وإنك لترى ذلك واضحاً متمثلاً فى مخاطبة الجماد بأسلوب الأحياء ، وإنطاقه بما يعرب عن مثل أحاسيسهم ومشاعرهم . على أنه فى هذه المحاولة الناجحة لم يخرج عن كونه جاء بصورة أخرى للعذاب الذى لقيه المبدع البديع « بجماليون » حين تعذر عليه أن يمزج جمال الفن الخالد الذى أنطق الجماد به ، برقة الطبيعة الحية الفانية التى تمثلها جلاتيا امرأة سوية الخلقة رائعة التكوين . ولكن الفرق بين العبقريين : العبقرى المثال ، والعبقرى الكاتب الأديب ، أن الأول أطاع عقله واحترم مقاييسه المادية ، أما الثانى فقد استعار الحلول وسيلة إلى إظهار ما يريد بمظهر يصدق الاعتماد عليه[1]

أكتفى بهذا القدار لأسمع رأى الناقدين فى هذا الأثر الخالد المجيد . وإذا أذن الصديق فى سماع تحيتى وقبول تهنئتى فليسمع ذلك إذاً متجلياً فى قولى إن أثره هذا وإن يكن مصدره الغرب ، سيرتد بعد أن اتشح بوشاح من عبقرية شرقية إلى مصدره بعد قليل على قلم ناقل أو أسلة مترجم معجب محب !

فخرى شهاب السعيدى

(١) ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٤٥



أشــــعار صينية (*)

— ٧ —

أغنية «لو ـ فوه»

لشاعر صينى مجهول

(عاش حوالى عام ٦٠٠ م)

إذا ما برزت الشمس من الأفق ، أضاءت مسكننا ، مسكننا المنير فى إقليم تسان

فى إقليم تسان فتاة جميلة ، فتاة جميلة تسمى لو ـ فوه

لو ـ فوه فاتنة وعاقلة ، لو ـ فوه التى ترعى دائماً دود القز ، تسير أشواطاً بعيدة لتجمع له أوراق التوت

ولكى تذهب لجمع أوراق التوت ، تلبس لو ـ فوه عصابة يابانية ، تعلق أحجاراً مستديرة فى أذنيها ، ترتدى ثوبين : أحدهما أصفر ، والآخر وردى ، وتحمل سفطاً صغيراً مضفراً بالحرير الأزرق ...

وفى ذات يوم قابل حاكم المقاطعة لو ـ فوه فى طريق الغرب ، فأوقف أفراسه الأربعة ، وخاطب رئيس حراسه : « سل هذه الجميلة ما اسمها وكم عمرها ؟ »

أجابت لو ـ فوه : « فى إقليم تسان فتاة جميلة تسمى لو ـ فوه لم تتعد العشرين ، ولكنها لم تعد صغيرة فقد جاوزت السادسة عشرة »

خاطب حاكم المقاطعة رئيس حراسه مرة أخرى : « إذهب واطلب إلى هذه الجميلة إذا كانت تريد أن تصعد إلى عربتى ؟ »

أجابت لو ـ فوه وعيناها إلى الأرض : « أليس للحاكم زوجة يحبها ؟ للو ـ فوه فى إقليم تسان خطيبها »

— ٨ —

زهرة الخوخ

للشاعر الصينى تسيه ـ تيه

(٦٤٣ — ٧٠٦ م)

قطفت زهرة خوخ حمراء ، وأهديتها إلى حبيبتى ، التى فمها صغير أيضاً كزهرة الخوخ ، أحمر مثلها

أحضرت « سنونو » ذا أجنحة سود من عشه ، وأهديته إلى حبيبتى التى حاجباها يشبهان جناحى السنونو

وفى الصباح ، كانت زهرة الخوخ قد ذبلت ، وطار السنونو من النافذة التى تطل على الجبل الأزرق

ولكن فم حبيبتى ظل دائماً أحمر ، وحاجباها بقيا سوداوين

— ٩ —

سُرى ليلة صيف

للشاعر الصينى لى · تيى · بو

(٧٠٢ — ٧٦٣ م)

إنّا نبتعد عن الجبل الأزرق ، والقمر يتبعنا . الندى قد أثقل أكمام أثوابنا . إنا نعود ثانية قبل أن يطول بنا السير ، لكن ضباباً أبيض قد غطى القرية

اليد فى اليد وقد اقتربنا من حاجز مسكننا القديم ، حيث ينتظرنا أصدقاء

والآن نحن نسلك طريقاً على جانب الغاب الذى يمسنا مساً خفيفاً فى سيرنا

نحن جميعاً مؤتلفون . أية سعادة ! النبيذ المعطر يصب لى وأنا أغنى أغنية الريح بين الصنوبر . البلابل تردد معى ، والضفادع والحشرات كلها أيضاً

— ١٠ —

أمنيــة

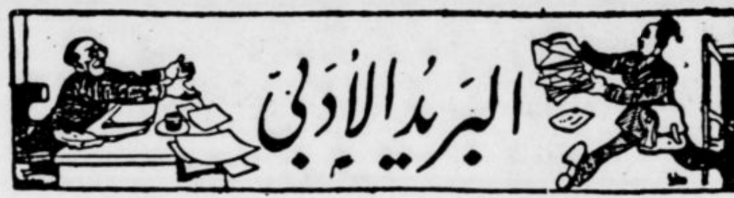
للشاعر الصينى هنج · سو · فانه

(١٨١٢ — ١٨٦١ م)

أيها الليل الفاتر ، يانور القمر ، ياأرائحة أشجار التوت ، هبوا حبيبتى حلماً لذيذاً . اجعلوها لا تطيق الصبر عن رؤيتى ، وتأتى عند الفجر تدق بابى . ياأرائحة أشجار التوت ، يانور القمر ، أيها الليل الفاتر ، ستدفئنى قبلاتها ، إذا استمعتم إلىّ

(بور سعيد) محمد وهبة

(*) راجع الرسالة العددين ٤٤٨ ، ٤٧١



فى ديوان صردر

اطلعت أخيراً على نسخة من ديوان « صرّدُر » الذى أشرفت دار الكتب المصرية على طبعه ، فأخرجته منقحاً مضبوطاً بالشكل مع شروح وتعليقات مفيدة . ولكن يبدو لى أن هذه العناية لم تحل دون وقوع أخطاء بيّنة ينبغى النص على أمثلة منها . وأنا مثبت هنا بعض ما عرض لى فى القصيدة الأولى ؛ وهى السينية التى قيلت فى مدح الخليفة القائم بأمر الله ، والتى مطلعها : (كما قلتما ، بُرء الصبابة فى اليأس)

يقول صرّدُر :

جيوشٌ من الأقدارِ تُفْنى عداتِه
بلا ضَرب إيتاخٍ ولا طعْن أشناسِ

وقد جاء فى شرح هـذا البيت : (إيتاخ وأشناس : كذا بالأصل ، ولعل الأولى « أثباج » جمع ثبج وهو ما بين الكاهل إلى الظهر ، والثانية لم نوفق إلى مراد الشاعر منها) !

وأقول إن الصواب فى ذلك أن إيتاخ وأشناس اسمان لقائدين تركيين من أشهر قواد الخليفة المعتصم العباسى : اشترى أولهما عام ١٩٩ هـ — وكان غلاماً خَزَرَيا طباخا — فرفع من شأنه ورشحه لأخطر المناصب ، حتى كان على رأس إحدى الفرق الثلاث التى دخلت بلاد الروم لفتح حصن عمورية عام ٢٢٣ هـ . وكانت حاله عند الواثق كحاله عند أبيه

وقد قتل فى أول عهد المتوكل عام ٢٣٥هـ

أما أشناس فكان غلاماً تركياً اشتراه المعتصم ورباه ، حتى تبوأ رفيع المراتب ؛ وقد توجّه ووشحه فى احتفال مشهود عام٢٢٥هـ ؛ وجدد الواثق من كرامته والاصطناع إليه سنة ٢٢٨ هـ وبعد عامين من ذلك التاريخ توفى وهو فى أوج عظمته

... ويقول صردر بعد هذا بيتين :

وقد عَلم المصرىُّ أن جُنودَه
سِنُو يوسفٍ منها وطاعونُ عَمْواسِ

أحاطت به حتى استراب بنفسه
وأوجس منها خيفةً أىَّ إيجاس

وجاء فى التعليق على كلمة (المصرى) : يشير الشاعر إلى الغلاء الذى حصل فى مصر أيام المنتصر العباسى الخ .

والغريب أن هـذا الخليفة الذى يذكره الشارح حكم فى بغداد بين عامى (٦٢٣ ، ٦٤٠ هـ) فى حين توفى صردر عام ٤٦٥ هـ ؛ وتوفى ممدوحه القائم عام ٤٦٧ هـ أى قبل وفاة المستنصر العباسى بقرن وثلاثة أرباع القرن . فكل ما ذكره إنما هو خلط بين الحوادث ووهم فى تبيُّن مراد الشاعر : والذى يبدو لى أن صردر يشير فى بيته إلى حادث تاريخى هام ، أوجزه فيما يلي :

قبيل منتصف القرن الخامس الهجرى تضعضع شأن آل بويه فى بغداد وآذنت دولتهم بالزوال . وقد نجحت وقتئذ فتنة أبى الحارث أرسلان المعروف بالبساسيرى (نسبةً إلى بَسا : مدينة بفارس) ؛ وهو غلام تركى من مماليك بهاء الدولة البويهى كاتب الخليفة المستنصر العلوى بمصر وعرض عليه الدخول فى طاعته والقضاء على خلافة العباسيين فى بغداد . ولما علم الخليفة القائم بذلك استنجد بسلطان السلجوقيين طُغرل بك الذى انتهز هذه الفرصة فدخل بغداد وقضى على بقية ملك البويهيين (أوائل عام ٤٤٧هـ) ثم خرج بعد حين لقتال أخيه لأمه « ابراهيم ينال » الذى خانه بإغراء بعض المصريين ومكاتباتهم ، فتمكن البساسيرى فى أواخر عام ٤٥٠ من اقتحام بغداد ؛ واستقام له الأمر فيها عاماً كاملاً لاذ الخليفة أثناءه ببعض من تكفلوا بحمايته من العرب .

ولما رجع السلطان من حربه عجز البساسيرى عن الصمود له ؛ فخرج بجيشه إلى الشام وتبعه طغرل بك إلى هنالك حيث أوقع به وقتله وحمل رأسه إلى بغداد

فالشاعر يشير بقوله : (وقد علم المصرى أن جنوده الخ ...) ؛ إما إلى ابراهيم ينال الذى انتقض بتحريض المصريين ، وإما إلى أبى الحارث البساسيرى الذى كاتب خليفتهم ودخل حاضرة العراق باسمه ، كما أنه لا يبعد أن تكون الإشارة إلى الخليفة المستنصر (العلوى) نفسه . ويكون ضمير « جنوده » فى كل ذلك راجعاً إلى ممدوح الشاعر الخليفة العباسى القائم بأمر الله .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

فى الشعر التمثيلى

ردًّا على كلمة الأستاذ عبد الرحمن عيسى خريج كلية اللغة العربية – التى وجهها إلى والدى الأستاذ محمود البشبيشى وكان الصواب أن يوجهها إلى ، لأن كل ما يدور على لسانى فى حوار « جيل وجيل » فهو لى صياغة ومعنى – نقول إننا لسنا ممن يعتسفون الأحكام اعتسافاً ، وإنما استندنا فى حكمنا إلى قراءة واستيعاب وإلى مقال نشرته مجلة (المعرفة) ، ثم إننا لم نرد غير التأريخ لشعراء مصر والاعتراف بفضل شاعر كبير منهم . ولكن الأستاذ سكت طويلاً ثم وقف على الكنز الدفين فطلع على قراء (الرسالة) الغراء بحكم عام يصب النفى صباً على كل ما قررت ، وقد أبت عليه ثورة الفكرة واعتلاج الرأى فى صدره إلا أن يستعير صيغة عموم السلب المعروفة فيقول : (كل ذلك لم يكن) ! ! ولقد كان أليق بالأستاذ أن يقول : (لم يكن كل ذلك) ! وإذاً لهان الخطب ، وهو بحمد الله جد يسير ، فأى منصف يكابر فى أن عبد المطلب عالج الرواية الشعرية ؟ وأى منصف ينازع فى أن لعبد المطلب حيوية شعرية دفعت به إلى أن يسبق غيره من فحول شعراء مصر فى هذه الناحية ؟ ... أما إقحام الأستاذ لانتشار الشعر التمثيلى فى القرن التاسع عشر فى أرجاء أوربا فلا نجد له مكاناً فيما ذهبنا إليه من الكشف عن أثر الحيوية فى شعراء العربية بمصر فحسب . وفرق كبير بين الأدب العربى والأوربى ! . . . وأما قوله : (ولا شك أن حادثة بلقاء كهذه قد وصلت إلى سمع عبد المطلب ...) فنحن لا ننكر أن يكون شيخنا الجليل قد سمع بها ، لأننا نعترف بصدق حيويته وسعة اطلاعه . ولكننا ننكر كل الإنكار توهم الأستاذ أننا قررنا حكمنا من غير أن نعلم (حادثة اليازجى البلقاء . . .) فإننا لم نرد غير التأريخ للشعراء المصريين

وأخيراً هل يتفضل الأستاذ فيذكر لنا أى شرائط الفن تنقص روايات عبد المطلب ؟ ! . . . لسنا فى مقام المفاضلة بين (عبد المطلب وشوقى) طيب الله ثراهما حتى نوازن بين شرائط الفن عند كليهما ، ولكننا نعرض فى حوارنا لحيوية الشاعرية ونثبت أنها تدفع بصاحبها دفعاً إلى أبعد الغايات . وهذا ما ظفر به عبد المطلب فى مصر مهما تكن قيمة إنتاجه . ولن أندفع اليوم إلى ما ليس له صلة بموضوع الخلاف ويكفى أن نسجل على الأستاذ قوله : (إنهما اشتركا فى الجنس) ولا يعنينا أن يكونا (مختلفين فى النوع) – على حد تعبير الأستاذ –

وبعد ، فما من شك عندى فيما قرره المرحوم الأستاذ محمود مصطفى . ومن حقى أن أقول إن المقام يحدد مجال البحث ، وأنا إنما بحثت فى حيوية عبد المطلب شاعراً مصريًّا افترع فن الشعر التمثيلى بين شعراء مصر فلا يضيرنى أن تنسب للشيخ اليازجى رواية مثلت أو طبعت فى سنة (١٨٧٨) أو قبلها

(المنصورة) حسين محمود البشبيشى

الخطأ والخطاء

وقفت (فى العدد ٤٧٩ من مجلة الرسالة) على استدراك الأستاذ الأفغانى على الأب الكرملى فى تسرعه إلى تخطئة استعمال كلمة (الخطأ) وزعمه أن الصواب هو (الخطاء) بالمد .

وإليكم فرقاً دقيقاً بين (الخطأ والخطاء) حققه الإمام أبو هلال العسكرى فى كتابه (الفروق اللغوية) حيث قال فى الصفحة ٤٠ :

« الفرق بين الخطاء والخطأ أن الخطأ هو أن تقصد الشىء فتصيب غيره ، ولا يطلق إلا فى القبيح ، فإذا قيد جاز أن يكون حسناً ، مثل أن يقصد القبيح فيصيب الحسن فيقال أخطأ ما أراد وإن لم يأت قبيحاً . والخطاء : تعمد الخطأ فلا يكون إلا قبيحاً ، والمصيب مثل المخطئ إذا أطلق لم يكن إلا ممدوحاً ، وإذا قيد جاز أن يكون مذموماً كقولك مصيب فى رميه قبيحاً . فالصواب لا يكون إلا حسناً والإصابة تكون حسنة وقبيحة . والخاطئ فى الدين لا يكون إلا عاصياً لأنه قد زل عنه لقصده غيره ، والمخطئ يخالفه لأنه قد زل عما قصد منه ، وكذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مطيعاً لأنه قصد الحق واجتهد فى إصابته »

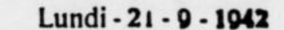
محمد غسانه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

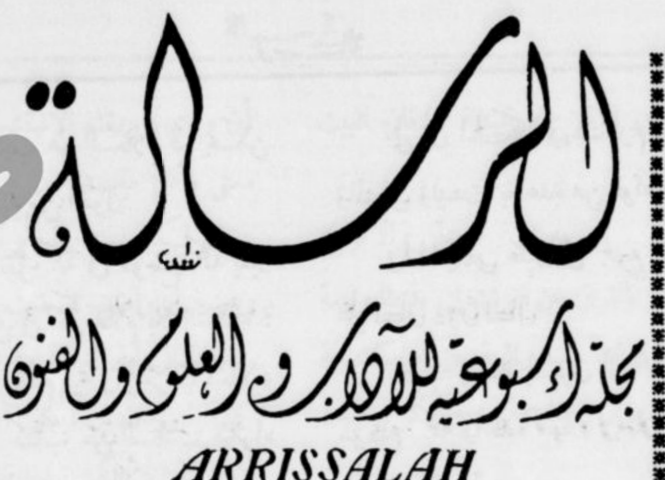


10me Année No. 481

Lundi - 21 - 9 - 1942







مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٨١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

ما يمكن تبديله

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى عدد مضى من (الرسالة) تعقيب على كتاب « عبقرية محمد » يستدعى التعقيب عليه ، لأن الكلام فيه باب من الكلام فى الأدب والتاريخ

ونريد به ملاحظة الأديب « محمد النجار » على ما كتبناه عن رواية النبى عليه السلام للشعر إذ يقول : (... فى ص ١٤٤ يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدل وزنها كلما أمكن تبديله . فكان يقول مثلاً : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » لأنها لا تقبل التبديل ، ولكنه إذا نطق بقول سحيم بنى الحسحاس « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » قدم كلمة الإسلام فقال : « كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا)

ثم يعقب الأديب فيقول : (وتقسيم ما يتمثل به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يمكن تبديله لم يورد المؤلف ما يؤيده ويقتضيه . والمثال الذى ذكره لما لا يمكن تبديله غير صحيح ، فإن تبديله ممكن ، وقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام تمثل به هكذا « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » . راجع السيرة الحلبية فى باب الهجرة إلى المدينة)

* * *

والذى نعقب به على تعقيب الأديب هو الكلام فيما يمكن تبديله من الشعر والنثر وكل ما له معنى من القول

فإذا كان المقصود بالتبديل هو نقل كلمة فى موضع كلمة بغير نظر إلى المعنى والسياق فالتبديل ممكن فى كل كلام بلا استثناء ؛ إذ ليس للكلام قوة مادية تمنعك أن تقدم فيه وتؤخر كما تشاء ، وفى وسع كل قارئ أن يعمد إلى كتاب من الكتب فيقرأه عكساً وطرداً ومن أسفله إلى أعلاه ويضع الأول فى موضع الوسط والوسط فى موضع الأول ، ثم يعود فيصنع به مثل ذلك إلى غير انتهاء ، فلا يستعصى عليه عصى ولا يحول دونه حائل

وليس هذا بالبداهة هو التبديل المقصود حين نقول بإمكان التبديل أو استعصائه ، وإنما المقصود هو التبديل مع بقاء المعنى وبقاء المزية الكلامية أو المزية البلاغية التى من أجلها كان الشعر أو النثر مستحقاً لروايته والاستشهاد به

وكثير من المعنى ومن المزية البلاغية يتوقف على تقديم كلمة إلى موضع أخرى حتى فى العبارة التى لا تتجاوز كلمتين أو ثلاث كلمات

فالعالم زيد غير زيد العالم ، وما اختلف منهما إلا تبديل موضع الكلمتين

لأن « العالم زيد » قد تفيد أنك تخص زيداً بالعلم وتنفيه عن غيره ، وليس هذا مستفاداً من « زيد العالم » على هذا الوجه

وقد شرح علماء البلاغة دلالة التقديم والتأخير وعرض لها الإمام الجرجانى فقال مما قال فى دلائل الإعجاز : « ... إنه قد يكون من أغراض الناس فى فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه ، كمثل ما يعلم من حالهم فى حال الخارجى يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى، إنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شىء ، فإذا قتل وأراد مريد الأخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجى فيقول : قتل الخارجىَّ زيدٌ ، ولا يقول قتل زيد الخارجى ، لأنه يعلم أن ليس للناس فى أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذى هم متوقعون له ومتطلعون إليه . متى يكون وقوع القتل بالخارجى المفسد وإنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ... » إلى آخر ما قال

على أن الحكمة فى التقديم والتأخير معنى من معانى العقل والمنطق وليست بقاعدة من قواعد اللغة وحسب

ولهذا ينص عليها فى جميع اللغات ولا يقتصر التنبيه إليها على لسان دون لسان

فالإنجليز مثلاً ينبهون إلى الفرق بين معانى العبارات إذا تغير موضع كلمة واحدة فيها ، ويمثلون لذلك بأمثلة كثيرة منها هذه الأمثلة الأربعة

١ — أنا « فقط » أتحدث بهذه القصة إلى فلان

٢ — أنا أتحدث فقط بهذه القصة إلى فلان

٣ — أنا أتحدث بهذه القصة فقط إلى فلان

٤ — أنا أتحدث بهذه القصة إلى فلان فقط

فالفرق بعيد جداً بين كل عبارة من هذه العبارات وبين سائرها لتغير الموضع الذى توضع فيه كلمة واحدة

لأن العبارة الأولى معناها أننى وحدى أتحدث بهذه القصة إلى الشخص المذكور

والعبارة الثانية معناها أننى أتحدث فقط ولا يصدر منى شىء غير الحديث ، وقد يتحدث به غيرى كذلك

والعبارة الثالثة معناها أننى أتحدث بالقصة فقط إلى فلان ، ولا يتعدى التخصيص ذلك ، فكل ما عدا هذا التخصيص فهو عام لا تقييد فيه

والعبارة الرابعة معناها أن المتحدث إليه هو فلان فقط وليس إنساناً غيره ، ولا تخصيص للقصة ولا للمتحدث ولا للحديث

وتبديل الموضع الذى توضع فيه كلمة فقط ممكن جداً لكل من أراده ، ولكن المهم هو المعنى الذى يترتب على هذا الإمكان . فإن كان المقصود أن نحافظ على معنى لا يتغير فالتبديل مستحيل أو كالمستحيل ، وإن لم يكن هنالك معنى مقصود فبدّل وقدّم وأخر كما تشاء

***

ونأتى إلى الأبيات التى نطق بها النبى عليه السلام فننظر ما ذا كان يترتب على التبديل فى مواضع كلماتها ؟

إن منها لأبياتاً لا يتغير منها شىء غير الوزن كالبيت الذى أنشده عليه السلام حين قال للعباس بن مرداس : أأنت القائل :

أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ فإن البيت موزون على قول الشاعر :

وأصبح نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع

ولا فرق بين الوضعين إلا كالفرق بين قولك إن طنطا واقعة بين القاهرة والإسكندرية ، وقولك إنها واقعة بين الإسكندرية والقاهرة ، أو كالفرق بين قولك إن زيداً يجلس بين بكر وخالد ، وقولك إنه يجلس بين خالد وبكر

فهل الفرق بين قول الشاعر « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » وقولنا « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » هو فرق من هذا القبيل ؟

إن كان الفرق من هذا القبيل فالتبديل ممكن ، وإن لم يكن كذلك فهو مستحيل أو كالمستحيل

والمفهوم الذى لا يغيب عن سيد الفصحاء هو أن المعنيين مختلفان .

فالمفهوم من قول الشاعر أن الأخبار هى المقصودة ، وأن الشاعر يورد قوله على سبيل الاستغراب أو التحدث بالغريب الذى لا ينتظر فى الأغلب الأعم أن يكون : تسمع الخبر الذى تنتظره من مسافر لم تودعه ولم تحفل بسفره ولم تنتظر إيابه ، وهذه هى الغرابة ! وهذا موقع التنويه والاستشهاد

أما قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » فهو شىء آخر فى معناه ، أو هو شىء لا يستشهد به فى الموقع الذى عناه الشاعر

فنحن لا نزود التاجر المسافر بزاد ، ولكنه يعود إلينا من السفر بالبضائع والتحف ولا نستغرب ذلك ، إذ لا وجه للغرابة فى أن يسافر المسافر ولا تزوده ثم يعود إليك بشىء من الأشياء . أما أن عنيت غرابة الأمر ، وعنيت الأخبار خاصة فلا بد من التقديم ومن إظهار ما يفيد هذه الغرابة

وهذا فضلاً عن التباس آخر فى قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار »

إذ يحتمل أن يفهم السامع أن المقصود : « من لم تزوده أنت بالأخبار » ثم ينتظر تتمة الكلام

ولا وجه لهذا الالتباس إذا لم يتبدل موضع الكلام

فتبديل مواضع الكلمات ممكن إذا نحن لم نحفل بهذا الالتباس وممكن إذا نحن تركنا المعنى الذى من أجله نظم البيت واستحق أن يروى فى مقام الاستشهاد ، وممكن إذا صرفنا النظر عن كل معنى وكل مقصد

ولكنه مستحيل أو كالمستحيل إذا أردنا المحافظة على معناه .

وهو فرق واضح لا يغيب عن سيد الفصحاء كما أسلفنا ، ولهذا رجحنا الرواية الغالبة ولم نكترث لغيرها من الروايات ، ولهذا كان ينبغى للأديب المعقب أن يتريث طويلاً قبل أن يجزم ويتحقق أن قولنا « لا يمكن تبديله غير الصحيح » فغير الصحيح هو ما قال وما قالته كل رواية توهم أن محمداً عليه السلام قد غاب عنه الفرق الواضح بين الروايتين

* * *

وما دمنا بصدد التعقيب على كتاب « عبقرية محمد » فلنذكر تعقيباً سمعناه من المذياع لطالب نجيب من طلاب الجامعة كان يتحدث عن هذا الكتاب ؛ فقد أشار إلى كلامنا عن موت إبراهيم بن النبى عليه السلام حيث نقول : « مات ذلك الطفل الصغير ومات ذلك الأمل الكبير : مات كلاهما والأب فى الستين . . . أى صدمة فى ختام العمر ؟ أى أمل فى الحياة ؟ الدين قد تم وهذه الآصرة قد انقطعت ، فليس فى الحياة ما يستقبل ويُنتظر : كل ما فيها للاشاحة والإدبار »

ثم عقب الطالب النجيب بما فحواه أن هذا يأس يتنزه عنه مقام الأنبياء

وكل ما نجيب به أن هذا ليس بيأس يتنزه عنه مقام الأنبياء ، وإنما هو علم بأن الحياة قد أصبحت للاشاحة والأدبار ، ومحمد عليه السلام كان يقول إن « معترك المنايا بين الستين والسبعين » فلا يأس فى انتظاره إدبار الحياة بعد الستين

إنما اليأس الذى يتنزه عنه مقام النبى أن ييأس من أداء الرسالة التى بعث بها إلى الناس ، وهذه قد تمت يوم مات ابراهيم ، فلا يأس فيها ، ولا حرج أن يقبل النبى بعدها على أخراه .

وما قلنا عن محمد عليه السلام بعض ما قاله بلسانه الشريف حين قال إن ما به من موت ابراهيم ليهد الجبال . ثم استرجع . وما يكون الاسترجاع إلا أن يذكر الإنسان فى كل عمر أنه تارك الحياة وراجع إلى الله !

عباس محمود العقاد

تحية الأزهر فى عيده

للأستاذ محمد محمد المدنى

« مرت بالأزهر فى هذا الأسبوع ذكرى فريدة ، لم يسجلها التاريخ لجامعة سواه : أتم ألف عام من عمره المبارك فى اليوم السابع من هذا الشهر الكريم « رمضان سنة ١٣٦١هـ » ، وقد أثارت هذه الذكرى فى نفس الكاتب ألواناً من المعانى رأى أن يسجل بعضها فى هذا الكتاب ويجعله تحية العيد »

أيها الشيخ الوقور :

يرفع هذا الكتاب إلى مقامك المعظم - فى أدب واحترام ، وإكبار وإجلال - واحد من أبنائك أنعم الله عليه وأنعمت عليه ، إذ بسطت له جناحك غلاماً ، وتعهدته برعايتك ناشئاً ، ومددت له من ظلالك كهلاً ، فأنت مولاه ذو الطول عليه ، وهو غرسك وسقيك وثمرتك . يحبك ويحسب لفرط حبه أنه أبر الناس بك ، وأوفاهم لمهدك ، ويغار عليك فيحمّل نفسه ما حمّلته وما لم تحمله من أعبائك ، ويرى حقاً عليه أن يشاطرك - بروحه وقلبه وقلمه - أفراحك وأحزانك ، فيشيد بأيامك ، ويرثي لآلامك ، ويكافح عنك ، ويسهر الليالى ضَنِيًّا بك ، مفكراً فيك ، يود لو يمتد به العمر حتى يراك وقد عاد لك سابق مجدك ، واجتمع إليك ما تفرق من أمرك !

واليوم ، وهذه ذكرى من ذكرياتك المجيدة ، يقف هذا الابن البار بين يديك خاشعاً مطرقاً ، يغضى حياء من مهابتك ، وينحنى إجلالاً لماضيك ، ويزجى إليك التهنئة فخوراً بك ، ويحيى فيك مهد العلم ، ومهبط الحكمة ، ومنبت الأدب ، وحصن الدين واللغة ، ومطلع الكواكب اللامعة من سماء مصر ينبعث بها النور فى الشرق والغرب يفيد منه أصدقاؤك وأعداؤك ، ويهتدى به من آمن بك ومن صدّ عنك !

***

هذا عيدك الألفى الفريد ، ذكرى لم تعرف مثلها الدنيا ، ولم يشهد مثلها الناس : ألف عام تقف من البشرية الحيرى موقف الرسل الهداة ، تحمل على الجهل وتبدد ظلامه ، وتنصر العلم وتحمى أعلامه

ألف عام تغالب الأهواء والنزعات ، وتختلف عليك الدول والنظم والسياسات ، ويبتسم لك الدهر حيناً ، ويعبس فى وجهك أحياناً ؛ ومرة تحتضن فأنت العزيز المقرب ، وأخرى تضطهد فأنت الشريد المطرَّح ، ولكنك فى جميع أحوالك ثابت كالطود الشامخ ، تتكسر السهام حواليك ، وتتفرق الأعاصير على جانبيك

أنت تلقيت ميراث الإسلام يوم خلت الأرض كلها ممن يتلقى هذا الميراث الكريم . تلقيته فصنته ، وحفظت أمانته ، ورعيت حقه ، ووقفت دون العبث به والكيد له :

هذا كتاب الله بين يديك : تتلى آياته ، وتجوَّد لهجاته ، وتروى قراءاته ، وتفسر معانيه ، وتستنبط أحكامه ، وتدرس أسراره !

وهذه هى السنة المطهرة قد أينعت بك ثماراً ، وتباركت آثاراً ، وزكت أصولاً وفروعاً !

وإليك صار علم المدينة ، وفقه العراق ، ونحو البصرة ، وأدب الكوفة ، وتصنيف بغداد ، وفن قرطبة ، وما كان من فلسفة المتفلسفة ، وكلام المتكلمة ، ونزعات المتصوفة !

وبك وقى الله المسلمين عوادى الفتن ، فلم ترُج عندك شبهة ، ولم تدخل عليك نحلة ، ولم تخدع عن عقيدة ، ولم تستدرج إلى هوى ، ولم يطمع فيك من المبطلين طامع !

أنت حملت شعلة العلم عالية السناء ، وهاجة الضياء ، حين كان العالم فى أكثر بقاع الأرض سابحاً فى الأوهام

ألف عام ! يا له من ماض طويل ، فى جهاد نبيل ! فما لى إذن أراك وقد انفردت فى موقفك يوم عيدك الفريد ؟ أين مهرجانك ؟ أين مهنئوك ؟ أين الوفود تفد إليك من الشرق والغرب لتجعل على مفرقك التاج ؟ أين المستشرقون المستعربون ليضفروا لك أكاليل الغار ؟ أين كتابك ؟ أين شعراؤك ؟ بل أين « لجانك » التى ألفوها لهذا العيد تحضر له ، وتخط برنامجه ، وترتب نظامه ؟ أباقية هى ؟ فأين أعمالها ؟ أم حلت ؟ فمن ذا الذى أشار بحلها ؟ أم أدركها « داء اللجان » من قبلها ومن بعدها فقضى عليها فى مهدها ؟ !

أيها المهد العتيق :

لقد ختمت بالأمس ألفاً ، وبدأت اليوم ألفاً ، ولكن ما أبعد الفرق بين أمسك ويومك :

كأني أرى حلقاتك العلمية تحفها السكينة ، ويزينها الوقار ! عرفتها قبل أن تعرف أوربا نظام الدرجات الجامعية ، وأجريت فيها العقل على سجيته حراً كما خلقه الله ، نافذاً كما يجب أن يكون : يقول الشيخ ما يريد أن يقول ، ويناقش الطالب ما يرى أن يناقش ، وتجلّى النوامض على هيْنة ، وتحل العقد فى صبر وتؤدة ، لا وقت يعجلهم ، ولا شغل يشغلهم ، ولا رقيب عليهم إلا من ضمائرهم ! فأين منك اليوم هذه المجالس العلمية الجادة ؟ لقد أبدلك الزمان منها فصولاً دراسية متفرقة على نظم مقلدة غر أولياءك ظاهرُها الجميل فاكتفوا به ، وتغافلوا عما وراءه ، ولو فتشوا عن العلم فى هذه الفصول المبتْرة لما وجدوا إلا ألفاظاً وكلمات تلاك ولا تستساغ ، وأطرافاً من أوائل الكتب ومقدمات العلوم تمس مساً رفيقاً فى كل عام !

كأنى أرى علماءك الأولين ، وقد عكفوا على المكتبة العربية يدرسون نوادرها ، ويقلبون صحفها ، ويكشفون عن أسرارها ، ويشتارون للناس جناها ، ويعتصرون من ثمارها وثمارهم شراباً صافياً سائغاً للشاربين ! فأين من هؤلاء علماؤك الحاضرون ، وقد ذكروا أنفسهم ونسوك ، واشتغلوا بشئونهم وتركوك ؟ أليسوا إلى اليوم عالة على كتبك التى ألفها سلفهم الناشط ، لولاها لضلوا فى البحث والدرس سواء السبيل ؟ بلى ، وإن أحدهم على ذلك لو ألف كتاباً أو نشر بحثاً لتجدنه يملأ الدنيا صياحاً ، وينفخ أوداجه كبراً ، ويحسب أنه أتى بما لم يأت به أحد من الأولين والآخرين !

ما أبعد الفرق — أيها المعهد العتيق — بين يومك وأمسك ! لقد كان طلابك مُثلاً عُليا في الجد والإقبال على العلم ، ينقطعون إليك ، ويؤثرونك على أوطانهم وأهليهم ، ويرتشفون من مناهل علمك ، ويغترفون من بحار فضلك ، تدفعهم الرغبة المخلصة ، وتغريهم اللذة العلمية ، وكانوا مثلاً عُليا فى الخلق والاستقامة وحسن الطاعة ، لا يشارون ولا يمارون ، ولا يصيحون ولا يصخبون ، ويخفضون رءوسهم لأساتذتهم متأدبين ، ويستمعون إلى رؤسائهم طائعين ، أما اليوم فقد جرأهم الأساتذة ولحظهم الرؤساء ، وشغلتهم عن العلم المطالب والرغاب ، وأصبحوا لا يعملون إلا لاجتياز عقبة الامتحان : يُسألون فى ورقات معدودات دورين من لم يفز فى أولها كان فى الآخر من الفائزين !

أيها المعهد العتيق

لقد كان الشعب كله : أغنياؤه وفقراؤه ، حكامه ومحكوموه ، ريفه وحضره ، ينظرون إليك نظرة الإجلال والإكبار ، ويرفعونك إلى مرتبة التقديس ، ويمنحون أساتذتك ألقاب التكريم ، وأوصاف التعظيم : فهم « العلماء » من بين أهل العلم أجمعين ، وهم « أصحاب الفضيلة » من بين سائر الفاضلين ، وهم أعلام التقى ، ومثل الهدى ، وأهل الرأى ، وقادة الفكر ، وحماة الدين ، ورعاة الخلق ! وكان « رجل الدين » إذا أهل بطلعته على أهل حى عظموه وأجلّوه ، والتمسوا بركته ، ورجوا خيره . وكان إذا تكلم فى قوم أصغوا إلى ما يقول فى خشوع وخضوع : أمره الأمر ، وحكمه الحكم ، ورأيه فى المعضلات هو الرأى !

أما اليوم فأنت ورجالك على هامش الحياة :

أنت سليب حريب . نقصوا أطرافك وعدوا على اختصاصك ، واستباحوا حماك ، وأغروا بك المنافسين ، يمدونهم بالمال والمناصب ، ويؤيدونهم بالجاه والسلطان ، ويحاسبونك على النقير والقطمير ، بينما يكيلون لغيرك بالشمال وباليمين !

ورجالك ! والهف نفسى على رجالك ! لقد اجتواهم المجتمع ، ونكرهم الناس ، وهانوا حتى على أنفسهم ، وفقدوا أو كادوا يفقدون مجدهم القديم ، وكأنى بهم الآن يقفون وراء الصفوف فى معترك هذه الحياة ، ينظرون بعيون كسيرة ، وقد وضعوا أيديهم على قلوبهم ، واحتبسوا أنفاسهم فى صدورهم ، خائفين وجلين لا يدرون متى تعصف العاصفة أو ترجف الراجفة !

أيها الأزهر :

بين ماضيك وحاضرك ! أحدهما يثير الفخر والإعجاب ، والآخر يثير الهم والاكتئاب ! وإنى مع ذلك أهنئك بالعيد ، ولا أحب لك أن تيأس « فإن مع العسر يسراً ؛ إن مع العسر يسراً » وإن الله الذى رفع لك ذكرك ، سيضع عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك . سلام عليك فى الأولين ، وسلام عليك فى الآخرين !

ابنك البار

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

فرحة الأديب بالأديب — عصا إلياس — مع الأستاذ ملوبة باشا — هلال شعبان وهلال رمضان — تقليد جيــل — آداب إسلامية

فرحة الأديب بالأديب

عبارة « فرحة الأديب بالأديب » تُعدّ من مبتكرات ابن الرومى من حيث الصورة والمعنى ، برغم كثرة النظائر والأشباه فى تصوير هذا الخاطر الطريف . ومع أن أدباء هذا الزمان لا يفرح بعضهم بلقاء بعض إلا فى أندر الأحيان ، فأنا أفرح من أعماق القلب حين يصل إلى سمعى أن أحد الأدباء بَسَم له الدهر بعد عبوسٍ ، وقد أطيل الشكر لله حين يظهر كتاب يشرّف أحد الباحثين ، كالذى صنعتُ حين ظهر كتاب « عيد الأزهر الألفى » للأستاذ محمد عبد الله عنان ، وكالذى سأصنع كلما ظهر كتابٌ جيّد ، ولو كان مؤلفه من ألدّ خصومي ، فقد قضيت أعواماً وأعواماً فى الحديث عن الحب إلى أن فاض القلب وامتلأ فلم يبق فيه لنائرة الحقد مكان

ولكن ما سبب هذه الخاطرة الوجدانية ؟

كان ذلك بعد قراءة مقال فى مجلة الجمهور البيروتية ، مجلة الأستاذ « ميشال أبو شهلا » وهو أديبٌ مرّ بمصر مرةً فرأى الأستاذ الزيات أن يكرمنى بمعرفته فى مسامرة أدبية ، وكان الزيات يقيم بالقاهرة « فى ذلك الزمان » وكانت أسمارنا لا تنقطع ، فقد كنا نتلاق روحاً إلى روح فى كل مساء عن طريق الهتّاف ، وإن لم نتلاق وجهاً إلى وجه إلا لحظة واحدة فى كل شهرين

متى يرجع الزيات إلى القاهرة ؟ متى يرجع ؟

المقال الذى أثار هذه الخاطرة الوجدانية هو مقال نشره الأستاذ « إلياس أبو شبكة » وهو أديب تحرّش بى عدة مرات ولم أغضب عليه لأنه حقاً أديب ، والأديب الحق مغفور الذنوب

وما أثارنى هذا المقال إلا بفضل ما فيه من الدلالة على حيوية الأريحية العربية فى الديار السورية ، فقد ذكّرنى بماضينا الغالى ، يوم كان الأديب لا يتألم إلا تألمت له أقطار وديار وشعوب ، ثم ذكّرنى بحاضرنا المزعج ، الحاضر المثقل بالعقوق ، الحاضر الذى يقضى بأن يعيش الأستاذ أحمد علام أسابيع وهو معصوب العينين بعد عملية خطيرة ، ولكنها بإذن الله مرجوّة النجاح ، ثم لا تقرأ فى إحدى المجلات الأدبية كلمة يتوجع كاتبها لفنان كانت عيناه أجمل ما رأت العيون

لقينى الأستاذ أحمد علام مرة بعد فراقٍ طال ، فاعتذرت عن تقصيرى بكثرة الشواغل ، فابتسم ابتسامة العاتب ثم قال : سيكون نصيبى منك نصيب الأستاذ محمد السباعى ، فلا تؤدّى حقى من الوفاء إلا بعد أن أموت !

ولقينى مرةً بعد ذلك فقال : كيف تُشيد فى مجلة الرسالة بمواهب الأستاذ ابراهيم الجزّار فى إنشاد الشعر ثم تنسانى ؟

فقلت : إن ابراهيم الجزار مات ، ولم يبقَ له غير وفائى

فقال: عيبُ الدكتور مبارك أنه يذكر الأموات وينسى الأحياء

ومنذ يومين كنت أسيرُ فى شارع فؤاد فهتف هاتفٌ والترامُ يَعْدو به عَدْواً : دكتور ، دكتور ، دكتور ! فالتفتّ فإذا الأستاذ عباس فارس ، فقلت : نعم ، نعم ، نعم ! فقال : هل زرت الأستاذ أحمد علام ؟

ومضيت إلى ما أريد قبل أن يمضى الترام إلى ما يريد ، فلن أرى أحمد علام إلا بعد أن يرفع العصائب عن عينيه الساحرتين . فهل يكرمنى الله فيُبْرِئُ هذا العليل النبيل لأزور معه شواطئَ النيل قُبَيْل الغروب ، ولنقول معاً بصوت الشكران للواهب المنان : هنا وقفنا قبل عشرين عاماً أو تزيد !

أنا أقدّم جائزة لمن يُثبت ولو عن طريق التلفيق أن الأستاذ أحمد علام نَكَث بعد عهد ، أو خان بعد وفاء

ذلك روح لا تجود بمثله الأقدار إلا فى القليل من الأحايين

فارفع العصائب عن عينيك يا أحمد لتقرأ هذه الكلمات ، ولتعرف أن أخاك لا ينساك ، ولتفرح « فرحة الأديب بالأديب » يا أجمل أمثلة الأدب فى هذا الجيل

عصا إلياس

هى عصاً شعرية ، وإليها يرجع الفضل فى تذكيرى بالواجب نحو الأستاذ أحمد علام ، عصاً سوداء ورثها الأستاذ إلياس أبو شبكة عن أبيه ، ثم أوحت إليه هذه الأبيات اللطاف :

عروسٌ تزيّتْ بزِيِّ الدُّجُنَّهْ
ولكنها ساحِرُ اللّيــل فنَّهْ

تناهتْ إلى والدى من أبيه وأورثنيها عجوزاً مُسِنَّهْ
لئن كُسِّرت فى الدُّجى عن بريق
أخافت طيوف الظلام وَجِنَّهْ
إذا هبَطَ الليلُ أرخِي لها على حَصَبات الطريق الأعنَّهْ
فيَسمع من صُلبها العاشقون وقد أرِقوا رنَّةً إثر رَنَّهْ
أنينٌ سَرَى من عروقى إليها فرَنَّ بها كصَليل الأسِنَّهْ

ثم وقَع أن أخِذ أبو شبكة إلى دار الشُرطة بتهمة التجمهر فى أحد الأيام السُّود ، ولم يَنجُ من السجنْ إلا بعد أن سمع بخبره وزير الداخلية ، وردَّت إليه الشرطة كل ما أخذت منه إلا عصاه ، فصرخ : هاتوا عصاى ! فقال أحد الرؤساء : عصاك التى قلت فيها شعراً ؟ فأجاب : نعم ، عصاى التى قلت فيها شعراً . ولم تَعُد العصا برغم هذا الصراخ، فكتب فى جريدة المعرض يقول :

« أيها الجندىُّ الذى خطف عصاى من يدى ، مَن أنت ؟ ومَن تكون ؟ وأىُّ شأن لكْ بعصاى ، عصاى التى قُلت فيها شعراً ؟ »

وبعد أسبوع تبارى اللبنانيون بالهدايا ، هدايا العِصِىّ إلى الشاعر الذى فقد عصاه الشعرية ، وسرَى الخبر إلى اللبنانيين فى المهاجر فتلقَّى عصاً من الأرجنتين وعصاً من البلجيك ، وبهذا كان أعظم شاعر « مضروب » فى هذا الزمان

أكرَم الله أهل لبنان ، فما يزالون من أمثلة الأريحية العربية !

مع الأستاذ علوبة باشا

الحديث ذو شجون ، كما يُقال ، فليس من الإسراف أن أستطرد فأقول :

منذ عامين لقيت الأستاذ الجليل محمد على علوبة باشا بقصر عابدين وفى صحبته الأستاذ أنطون بك الجميِّل ، فدعانى برفق ليُسرّ إلىّ إحدى نصائحه الغالية ، فاشترطت أن يسمع الأستاذ الجميِّل خشية أن يستوحش من إبعاده عن حديث هو منه قريب

علوبة باشا — أنا أقرأ مقالاتك بإعجاب

زكى مبارك — يشرفنى أن يكون معالى الباشا من قرائى

— ولكن ...

— من حق القراء أن يعلقوا على مقالاتى بألف « لكن » لأنى أكتب فى كل يوم ، ولا يَسلم المِكثار من العثار ، فما « لكن » عندك يا معالى الباشا ؟

— لكنى أراك كثير الشكاية من زمانك

— هذا صحيح ، و « لكن » هل يذكر الباشا أنه كان وزير المعارف ؟

— أذكر ذلك ، فماذا تريد أن تقول ؟

— أريد أن أقول : إنى لم أكن أملك الدخول عليك بدون استئذان ، ولهذا صحت نيتى على أن لا أرى وجه وزير إلا إن دعانى

— أنت مسرفٌ فى سوء الظن بالوزراء ، فلهم شواغل لا تخفى عليك

— هذا الاعتذار مقبول ، إذا كان الزائر رجلاً من أصحاب المطالب ، وأنا رجلٌ نفضتُ يدىَّ من الدنيا ومن الناس ، فما حجة الوزير الذى لا يرى أن أراه بدون استئذان ؟

— الوزراء مشاغيل

— والأديب غير مشغول ، يا معالى الباشا ؟ إن للأديب شواغل وجدانية وروحية وعقلية وفلسفية لا تخطُر لبنى آدم فى بال ، وهو مسئول عن رعاية وطنه فى حاضره وماضيه ، فيعادى من يعادى ويصادق من يصادق فى سبيل الوطن الغالى ، ثم يكون جزاؤه أن يعتذر أحد الوزراء عن مقابلته بحجة أنه مشغول

— أنت مزعج ، يا دكتور مبارك !

— الزعج هو الذى يطالب بالإنصاف ، وأنا لم أطلب من أحدٍ إنصافى ، وإنما أسأل كيف يسرنى أن أستصبح بوجه أحد الوزراء فلا يتم ذلك بدون استئذان ؟

— إن رجعتُ إلى الوزارة فسأبلغ من إنصافك ما تريد

— وإن رجعتَ إلى الوزارة فلن ترانى ولن أراك ! !

— ما هذا الذى تقول ؟

— أنظُر ثم انظر إلى ذلك الجانب تر (معالى ... باشا) ، فهل ترانى هرعت للتسليم عليه ؟

— أنت مخطئٌ ، فهو رجلٌ جليل

— ولكنه وزيرٌ أديب !

— وما عيب الوزراء الأدباء ؟

— عيبُهم أنهم كانوا معنا فطاروا هنا ، وأنهم لا يحفظون حق الأديب على الأديب

— وهل تحفظ حق إخوانك إذا صرت من الوزراء ؟

— حقق الله نبوءتك ليكون لى إخوان !

ثم نظرت فرأيت وزير المعارف السابق قد انصرف (بدون استئذان) ؛ ورأيتنى أهتف بقول ابن درّاج :

سلامٌ على الإخوان تسليم يائس ... وسقياً لدهرٍ كان لى فيه إخوانُ
مضى عيشهم بعدى وعيشى بعدهم ... كأنىَ قدخنتُ الودادوقدخانوا

هلال شعبان وهلال رمضان

فى الأشعار الشعبية التى تقصّ أخبار الزناتى خليفة وأبى زيد الهلالى يوصف الوجه الجميل بأنه كهلال شعبان ، وقد التفتُّ إلى هذا المعنى مرات كثيرة فرأيت هلال شعبان يبدو غاية فى الإشراق ، بصورة تميزه عن سائر الشهور ، وبجمله هلال شعبان بلا جدال ، فهل يتفضل الفلكيون بتعليل هذه الظاهرة الطبيعية ؟ وقد أدركت الجماهير آثارها منذ أزمان ، ودوّنوها فى أشعارهم الشعبية بدون تفكير فى عللها الأساسية

أما هلال رمضان فهو فى أغلب أحواله نحيل ، وينبنى على نحوله أن تراه عيون ، ويُغمّ على عيون ، بحيث يجوز أن يصوم المصريون فى يوم الأحد ، ويصوم العراقيون فى يوم الإثنين ، والتونسيون فى يوم الثلاثاء ، كالذى وقع منذ بضع سنين

فما الحكمة فى نحول هلال رمضان ؟

إن راعينا الحساب الذى يُجريه الفلكيون فالهلال يولد فى وقت واحد ، بلا تفريق بين هذا القطر أو ذاك ؛ وإن راعينا « الرؤية » فهى تختلف فى القطر الواحد ، وقد صمنا مرة ثم أفطرنا ثم صمنا ، وكان لذلك حديث بين الشيخ سليم البشرى والسلطان حسين ، وهذا شاهد على نحول هلال رمضان

وفى حل هذه المشكلة رأى قومٌ أن نعتمد على الحساب لا على الرؤية ، لنتقى شر الخلاف حول بداية الصوم ، وهو فى بعض مظاهره من المضحكات

ولكن الحساب فى هذه السنة كان مُحرجاً ، فهو يقول بأن هلال رمضان يمكث دقيقة واحدة بعد غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان

وما دقيقة واحدة يمكث فيها الهلال بعد الغروب ثم يغيب ؟

أمن أجل دقيقة واحدة نقطع ما بين الفجر والمغرب صائمين بدون تكليف من الشرع الشريف ؟

لا ، الرؤية هى الأساس ، وهى أيضاً الشاهد على أن الإسلام يبنى قواعده على أصول لا تحتمل الشك والامتراء . أصول يستوى فى إدراكها العوامّ والخواصّ

وهنا تظهر الحكمة الحقيقية لاشتراط الرؤية فى ثبوت هلال رمضان

تقليد جميل

قالت إحدى الجرائد إن المحكمة الشرعية جرت على العادة التقليدية فى ثبوت الرؤيا فصنعت كيت وكيت

وأقول إن هذا تقليد جميل ، ويعزّ علىّ أن تضعف مظاهره من عام إلى عام ، فلا نرى « موكب الرؤية » فى الفخامة التى شهدها الآباء والأجداد

هذا الموكب هو « التهيؤ » لاستقبال شهر الصيام ، وهذا التهيؤ هو فى ذاته قربان من أعظم القرابين ، وهو يعدّ النفوس لروحانية هذا الشهر الجليل

أتذكرون اختلاف الفقهاء فى صحة الصيام لمن فاته أن ينوى الصيام ؟

هذا دليلٌ على أن النية هى الأساس فى جميع الأعمال الأخلاقية ، والنية رياضة تقوى بها عَضلات النفوس . والنفوس كالأجسام لها جوارح وعَضَلات وأعضاء ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون

آداب إسلامية

إن من يقرأ كتب الفقه الإسلامى يعجب من ترفق الإسلام بالصائمين ، فهو لا يفرض الصوم على من يتأذى بالصوم لسبب من الأسباب ، ثم يفتح له باب التحرر من تلك الفريضة بتعويض خفيف تقدر عليه أكثر الجيوب ، وهو الجود بصدقات ينتفع بها بعض الفقراء والمساكين

فإن عجزتَ عن الصوم فتصدّق ، وأنا أُومن بأن الله يجزى المتصدقين أضعاف ما يجزى الصائمين ، لأن الجود بالمال يحتاج إلى عزيمة دونها عزيمة الإمساك عن الطعام والشراب

ومع هذا ، فلا يجوز لك الخروج على آداب الصيام بحجة الاعتصام بالصدقات ، فما يخرج على آداب الصيام غير السفهاء

وإن استطعت أن تصوم وتتصدق ، فتلك غاية لا يتسامى إليها غير عظماء المؤمنين

المهم هو أن تكون لك نية فى جميع أعمالك ، فتصوم عن نية ، وتفطر عن نية . المهم هو أن تحفظ أدبك مع الله الذى ترفق بك فلم يكلفك ما لا تطيق ، كن رجلاً فى إيمانك ، ليجعلك الله أحد عظماء الرجال !

زكى مبارك

تاريخ التـــاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

هل التاريخ عـــلم ؟

يرى بعض المفكرين أن للتاريخ قوانينه الطبيعية ، وقامت محاولات للوصول إلى معرفة هذه القوانين، وتوالت نظريات مختلفة : فهناك النظرية الدينية التى سادت فى العصور الوسطى ، وهناك نظرية التقدم والنمو ، وهناك محاولات باتستا Battista ومنتسكيو وغيرهما ؛ وهناك نظرية كارليل التى تقول بأن الأبطال وحدهم هم الذين يغيرون مجرى التاريخ ؛ ونظرية هجل Hegel التى تجعل الدين مفتاح التطور والنمو ؛ فاليهودية - فى نظره - تمثل الواجب ، والكونفيوشية تمثل النظام ، والبوذية الصبر ، والمسيحية الحب ، والإسلام العدالة

ولقد تعرض أوجست كنت لتفسير قوانين التطور ، فقال : إن التاريخ تفسره الأفكار ؛ فالإنسان مر خلاله فى ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى مرحلة تفسير الظواهر الطبيعية بأنها ناشئة من عمل آلهة خياليين ؛ ثم مرحلة تفسير هذه الظواهر بمعنويات مجردة ، والأخيرة محاولة فهمها بالطرق العلمية ، بالملاحظة والتجريب

ولما وضع كارل ماركس نظريته المادية فى تفسير التاريخ قال : إن تطور الجماعة متوقف على الظروف الاقتصادية وحدها . ولقد بنى ماركس نظريته على أساس فكرة كفاح الطبقات فى سبيل الرق المادى ، ذلك الكفاح الذى ينتهى ، فى نظره ، بانتصار الطبقة الأكثر عدداً والأسوأ حالاً على طبقة المثرين القليلة العدد . ويسمى ماركس ذلك قانون التطور الاجتماعى ، ويظل ذلك التطور مستمراً حتى يتلاءم نظام الملكية مع نظام الإنتاج ، أى إلى ذلك الوقت الذى تصير فيه الملكية اشتراكية وتنتصر فيه طبقة العمال انتصاراً حاسماً . ولقد سبق كارل ماركس إلى الإشادة بأهمية العوامل الاقتصادية آدم سميث وأتباعه من أمثال ريكاردو

وجاء (بكل Buckle) فى كتابه « تاريخ التمدن فى انجلترا » ينحى باللائمة على المؤرخين لأنه لم يجد أحداً منهم اهتم بإيجاد وحدة مترابطة من حقائق التاريخ . فهو يرى أنه فى كل ميادين البحث قد صار للتعميم قيمة عظمى ، وبذلت جهود للخروج من حيز الحقائق الجزئية إلى المعانى العامة بينما لا يرى أثراً لذلك فى التاريخ ، فهَمُّ المؤرخين فى نظره هو سرد الحقائق ، ولذا يرى أنه أصبح من السهل على كل مكسال لا يحسن التفكير قراءة بضعة كتب ليصير مؤرخاً . ويرى (بكل) أن أعمال الإنسان ما زالت ترسف فى أغلال القوى الروحية ، فلا يمكن وجدان سبب أو نتيجة ؛ ويقول لقد وجدنا فى ناحية مهمة من الأعمال الإنسانية قوانين طبيعية ، لا سيما فى ميدان الاقتصاد السياسى ، فقد فسرت لنا قوانين الاقتصاد الأزمات التى كانت تقع فى الماضى . ويتساءل (بكل) : لماذا لا نجد قوانين لأعمال الإنسان الأخرى . يرى أن هناك عوامل كالمركز الجغرافى والجو والتربة والوسط الاجتماعى تحدد أعمال الإنسان ، ويعزو تقدم البشرية إلى العقل لا إلى العاطفة والأخلاق[1]

ومن أهم من قال بوجود قوانين للتاريخ فسيولوجى أمريكى (دريبر J. W. Draper) . ففى تاريخه « نمو أوربا العقلى »[2] يمثل المجتمع بالفرد ويرى أن التقدم الاجتماعى خاضع لقوانين طبيعية كالنمو الجسمى ، فحياة الفرد ما هى إلا تصغير حياة الشعب . والإثنان لهما طفولتهما وشبابهما وكهولتهما وهرمهما

هذه المحاولة من جانب المؤرخين لوضع التاريخ فى مصاف العلوم ، ناشئة عن أن الاستقراء والتجريب قد شملا كل العلوم الطبيعية فى القرن التاسع عشر . والاستقراء والتجريب لا يمكن تحقيقهما فى التاريخ ، لأن العلم الطبيعى يبحث فى أشياء هى فى متناول الإنسان يستطيع أن يقلبها على وجوهها المختلفة ويجرى تجاربه كما يريد . فالعلوم الوصفية والطبيعية دقيقة لأن البحث فيها موضوعى صرف . أما التاريخ فهو من العلوم الإنسانية ، وكل العلوم الإنسانية غير دقيقة لأن حياة الإنسان لا يمكن قياسها ولا وصفها بنفس الدقة التى نستطيعها فى العلوم الوصفية ، فنحن لا نستطيع قياس عقلية الإنسان ولا عواطفه ولا معلوماته قياساً دقيقاً . بل وأكثر من هذا أن كلا منا لا يستطيع أن يتعرف ما فى نفوس الذين يشاركونه المعيشة ، فنحن كما يقول پرسى نان Percy Nunn فى كتابه :

---

(١) انظر : Bury : The Idea of Progress ص ٣٠٩ وما بعدها

(٢) History of the Intellectual Development of Europe. ظهر هذا الكتاب فى سنة ١٨٦٤

« التربية ... » بجزائر منعزلة يفصلها بحر لا يمكن عبوره ، وأن وسيلة التفاهم بيننا وهى اللغة غير كافية ، فشتان بين ما يجده الإنسان فى نفسه وبين ما يصنعه للغير . فكيف إذن يعرف الإنسان ما فى نفوس الناس الذين مضوا ، وكيف يقدر الدوافع لأعمالهم والظروف التى قامت فيها هذه الأعمال . ثم إن الإنسان من جهة أخرى يفسر أعمال الناس وفق شخصيته ومزاجه وثقافته لا يرى فى الأشياء إلا ما يحب أو ما يستطيع أن يراه فيها . فقد يرى المؤرخ فى عمل ما العظمة وما هو بعظيم ، وذلك لتأثره بطريقة لا شعورية بشخصية من قام بذلك العمل . ومن جهة ثالثة هل لدنيا مقاييس ثابتة نحكم بها على أعمال الناس ؟ هل نقيس هذه الأعمال بحب الشخص لذاته أو بحبه للآخرين أو برغبته فى أداء الواجب . الواقع ليس هناك مقياس متفق عليه . وكيف نفسر الحوادث بمنطق العقل أم بمنطق الجوع أم بمنطق الدين ؟ ثم بعد ذلك هل من الممكن فى تقدير أعمال الناس فى الماضى أن نفصل بين ما ورثه الإنسان من آبائه وأجداده وبين ما اكتسبه من بيئته ؟

التاريخ يدرس حقائق الإنسانية الماضية ، هذه الحقائق ليست فى متناول أيدينا ، وهى لن تعود مرة أخرى . ثم هى مجرد آثار ومخلفات تعطينا فكرة عامة ، وعلينا نحن تكميل التفاصيل باستعمال الخيال . فهناك فعلاً حلقات مفقودة فى التاريخ . وكثير من الحقائق المهمة قد عفا دون أن يترك وراءه أثراً . ثم من الذى كتب أو أنشأ هذه الآثار ؟ أليسوا من بنى الإنسان لهم ميولهم وأغراضهم الخاصة ! ومصادر التاريخ فوق ذلك لا تستلزم معرفة بالتاريخ فحسب ، بل معرفة تامة باللغات وطرق الكتابة والسياسة والاقتصاد والاجتماع مما جعل البحث فى التاريخ عسيراً .

ويظهر أن محاولات بعض المفكرين لوضع قوانين للتاريخ لم تنجح تماماً ، فالنظريات مختلفة ، حتى نظرية التقدم لا زالت طائفة محترمة من المفكرين ترفضها لا سيما فى النواحى الروحية . والديانات تحدثنا بأن الإنسان خرج من حياة نعيم دائم وعيش موفق إلى حياة كلها تعب وشقاء لا ينتهى . ثم ما الذى يدرينا أن العالم لا يزال فى شبابه أو هو فى طريق الفناء . وكثير من حوادث التاريخ بعد ذلك قائمة على الصدق لا دخل لإرادة الإنسان فيها ولا يمكن تعليلها .

ويرد على هذه الاعتراضات بالقول إن هناك ظروفاً تقع فتغير الموقف وليس للانسان دخل فيها ؛ ولكن بالرغم من ذلك هناك تطور وتقدم فى الحياة لا يمكن مدافعته . وكما يرى جيبون Gibbon بأن لكل عصر قيمته فى زيادة ثروة الجنس الإنسانى وسعادته ونواحى فضائله : فالإنسان فى القديم عارى الجسم والعقل لا يعرف قانوناً ولا فناً ولا أفكاراً . ثم تحسنت حالته فعمل فى الأرض وطوف فى أرجاء المحيط واستثمر قواه الجسمية والعقلية كما استثمر قوى الطبيعة وذللها لنفسه . ثم إن كثيراً من الصعوبات السابقة قائمة على النقص وعدم الكمال الإنسانى . ويجب ألا نبالغ فيها ، فكثرة الناقدين والباحثين قد أظهرت إلى حد كبير ما هو صحيح وما هو خطأ ، أو هى على الأقل تحاول ذلك . ولذلك لا محل للاعتقاد بأن التاريخ ما هو إلا جملة خرافات أجمع الناس على تصديقها . والواقع أننا نجد لمعظم عصور الماضى آثاراً خالدة مادية وروحية لا يمكن الطعن فيها . ومنها ما هو فى أنفسنا وثقافتنا وعقائدنا وتقاليدنا .

التاريخ فن وعلم وفلسفة : فهو فن وفلسفة من حيث أنه يستلزم من المؤرخ معرفة واسعة بنواحى الثقافة وبأمور العالم ، وقدرة على اللغة والتعبير والتصوير . فالمؤرخ كالمصور أمامه الحياة الاجتماعية وعليه هو وضع صور لها . وكما أن المصور يصور الناحية الطبيعية التى تروقه بالطريقة التى يرضاها ، فكذلك المؤرخ . والتاريخ علم من حيث أنه قائم على أسس صحيحة فى البحث والتفكير فى المصادر الأصلية والوثائق ومقارنتها ومناقشتها والحكم عليها . وطريقة البحث فى التاريخ ولو أنها علمية إلا أنها فى ذات الوقت فنية وشخصية ، لأن دراسة التاريخ ليس معناها كشف الماضى فحسب وإنما تقدير الماضي ، فلا بد من إحساس بنى الإنسان بشعور خاص عند دراستهم للانسان . فهل هم إلا أبناؤه وورثته !

محمد مصطفى صفوت

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩ - ٧ - ٩٤٢ فى القضية رقم ١٤٤٦ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد رزق محمد رزق الصاوى بالحبس ثلاثة شهور شغل والنفاذ والمصادرة والتعليق على مركز البوليس والنفر على مصاريفه لبيعه أقمشة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٥ - ٧ - ٩٤٢ فى القضية رقم ١١٨٢ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد ابراهيم على الشرقاوى ش ١٦ بقال المحمدية بالغرامة ٢ جنيهين وغلق المحل أربعة أيام والتعليق على محل المتهم ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

طلاب الالتحاق بالجامعة

للأستاذ عبد الله حسين

في ختام كل عام دراسي، تقترن بنتائج الامتحانات العامة صيحة تنادي بوجوب إنصاف الطلبة، حين يقدر الممتحنون الدرجات على الإجابة، أو بضرورة الرفق بحال الطالب لأسباب تُبسط من أمثلتها صعوبة الأسئلة، أو ملابسات أحاطت بالطلبة ينبغي وزن آثارها في استذكارهم!

وفي مستهل كل عام دراسي ينادي الناس بوجوب فتح أبواب الكليات لجميع من يطلبون الالتحاق بها، حرصاً على مستقبلهم وتوطيداً لأركان التعليم الجامعي، أو استجابة لأسباب أخرى!

وقد روت إحدى الصحف اليومية — في معرض المباهاة والاغتباط — أن الذين طلبوا الالتحاق بالكلية الحربية بلغ عددهم حوالي الألفين. ثم عقبت الصحيفة على هذه الرواية بأن مدلولها يبرهن على أن الروح العسكرية قد أصبحت تملأ نفوس طلبتنا، بعد أن كان الالتحاق بالجندية أمراً لا يرتاح إليه الكثيرون منذ عهد غير بعيد

وثمة أنباء أخرى عن حركة الكليات وكثرة طلاب الالتحاق بها، وعن الجهد الذي يبذله المشرفون على التعليم، والقائمون على شؤون الجامعة في سبيل تيسير التحاق الطلبة بالكليات، وخاصة بعد أن وَسِعَ جامعة فاروق الأول في الأسكندرية أن تقبل ما يزيد على حاجة جامعة فؤاد الأول في القاهرة

وما من ريب في أن اطراد الزيادة في طلاب الالتحاق بالكليات والمعاهد العالية أمر جدير بأن يقابل بالارتياح حقًّا من الوجهة النظرية

أما من الوجهة العملية، فإن من بواعث الأسف حقًّا، أن يتبين أن طلاب الالتحاق بالكلية الحربية، لا يصدرون في طلبهم هذا عن رغبة صادقة في الجندية وفي المساهمة في ذلك الجهد الوطني الأول — وهو الدفاع عن البلاد بالتضحية بالذات وهو أعز ما يملك الإنسان — وإنما وجهتهم في هذا الطلب، أن يكفلوا لأنفسهم مستقبلاً ثابت الدعائم موفور الرزق والترقية المطردة، بأن يُمَكَّنَ الطالب حين يتخرج من غير شفاعة شفيع ولا وساطة وسيط، وبأن يرقى سلم الترقي، فيبلغ أعلى رتب الجيش وهي الآن «الفريق»، وفي المستقبل غير البعيد «المشير» أو «المارشال»

كذلك مما يدعو إلى الألم والإشفاق أن يكثر طلاب الالتحاق بكلية التجارة، مع أنهم حُملوا على هذا، لأن درجات نجاحهم لا تُيسر لهم الالتحاق بكليات أخرى، دون الاستجابة إلى أية رغبة في العلوم التجارية، ودون التهيؤ السابق للنهوض بالأعمال الاقتصادية والحسابية

ومما يبعث على الأسف أيضاً، أن يكثر طلاب الالتحاق بكلية الزراعة، على حين أنهم لم يُعِدُّوا أنفسهم أو لم تُعِدَّهم دراستهم وطبائع نفوسهم، أو بيئتهم أو ثروتهم لمزاولة الأعمال الزراعية.

* * *

في كل أمة مهما تبلغ من الرقي ومهما تبلغ الذروة في الحضارة القائمة، فريقان من الناس: الفريق الأول وهو الأكبر أيضاً، هو الذي تعول عليه الأمة في العمل المأجور في الزراعة والصناعة، وهذا لا غنى لكل أمة عن استخدامه في سن مبكرة، لكي تستفيد من شبابه ونشاطه ومُنته البدنية، ولكي يسعه أن يبادر إلى إعفاء ذويه الفقراء أو الدولة نفسها من نفقات تربيته، لأن ميزانية أية دولة في العالم لا يسعها أن تدفع نفقات مراحل التعليم كلها بالمجان إلى الجميع، حتى سن الثلاثين مثلاً

أما الفريق الثاني فهو الفريق الأقل عدداً وهو الذي لا غنى للدولة عن أن تتيح له أن يتفرغ لشئون الحكم وإدارة الأعمال والبحوث العلمية المنوعة

هذان الفريقان قائمان في كل أمة مهما يكن نوع نظام الحكم: فهو قائم في روسيا السوفيتية لأن المساواة النظرية فيها تقوم على إلغاء الرأسمالية لا على إلغاء نظرية التفوق العقلي الطبيعي، وفي البلاد الديكتاتورية ذاتها. أما في البلاد الديموقراطية فقيام الفريقين فخر من مفاخرها

مفاوضات الفتح العربى لمصر

للأســتاذ السيد يعقوب بكر

— ٣ —

الرواية الثانية

١ — يذكر أبو المحاسن (ص ١٠ — ١٦) نقلاً عمن لا يسميه . ونحن نورد خلاصة ما قال :

لمـا حاصر المسلمون حصن بابليون وجدّوا فى فتحه خشى من فى الحصن ـ وكانوا جماعة من الروم وأكابر القبط وعليهم المقوقس ـ أن يظهر عليهم المحاصرون ، فلحق المقوقس وجماعة من أكابر القبط بالجزيرة تاركين وراءهم فى الحصن جماعة لقتال العرب . ومن هناك — أى من الجزيرة — أرسل المقوقس إلى عمر رُسُلاً يحملون هذه الرسالة : « إنكم قد ولجتم فى بلادنا ، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ؛ وإنمـا أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلّتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العُدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجلاً منكم نسمع من كلامهم ، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن يغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لمطلبكم ورجائكم ، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء » . فرد عمر على المقوقس رسله بعد يومين كاملين ومعهم هذا الجواب : « إنه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إما أن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا ، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين »

فلما رجع الرسل استخبرهم المقوقس عمـا وجدوه من حال العرب ؛ فأخبروه أنهم قوم يؤثرون الموت على الحياة والتواضع على الرفعة ، وأنهم لا رغبة لهم فى الدنيا ولا نهمة ، وأنهم فى معيشتهم سواء : وضيعهم كرفيعهم وسيدهم كعبدهم وأميرهم كواحد منهم ، وأنهم لا يتخلفون عن صلاة . فلما سمع المقوقس من حال العرب ما سمع أيقن أنه إن لم يغتنم صلحهم وهم محصورون بالنيل فان يغتنمه حين تمكنهم الأرض . فرد رسله إلى عمرو يقول له : « ابعثوا إلينا رُسُلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم »

فبعث عمر عشرة نفر جعل عليهم عبادة بن الصامت ، وأمره ألا يجيب المقوقس إلى شىء غير هذه الخصال الثلاث سالفة الذكر.

وكان عبادة أسود طويلاً موغلاً فى السواد والطول ، فلمـا دخل على المقوقس هابه هذا وسأل النفر العرب الذين جاءوا معه أن ينحوه عنه ويقدموا غيره للكلام . فقالوا جيمعاً إن عبادة أفضلهم رأياً وعلماً ، وإن أميرهم قد أمره عليهم فهم لا يخالفونه فى رأى أو قول . فدهش المقوقس وأظهر لهم عجبه من أن يفضلهم رجل أسود . فأجابوه بأن السواد لا ينكر فيهم ، وأنه لا يضع لصاحبه رفعة هو قَمِنٌ بها أو يغمط له حقاً هو جدير به

ولما كانت الحضارة القائمة ، هى حضارة صناعية أى مؤسسة على التقدم الصناعى الآلى ، كان التخصص فى كل فرع من فروع الحضارة ركناً من أركانها وظاهرة من ظواهرها .

وعلى هذا أصبح لزاماً على القائمين بأمور التعليم الجامعى ، أن يتعرفوا مدى جدارة الطالب بدراسة العلوم التى اختصت بها الكلية التى طلب الالتحاق بها ، لكى يتحقق المعنى الجامعى ، وهو الرغبة الصادقة فى متابعة دراسة هذه العلوم فى الجامعة وبعدها وإلى ما يشاء الله ، ولكى تحقق الأمة ما تطلبه من الكفاية الفنية الدقيقة فى أبنائها البررة .

ومن أجل هذا ينبغى أن يُوَجّه المحبون للفنون العسكرية إلى الكليات الحربية ، وأن يتجه المُمَدُّون للشئون الهندسية إلى كلية الهندسة وهكذا ...

ومتى وفقنا إلى هذا ، أى إلى رد الأمور إلى مستقرها الطبيعى وتوجيه كل طالب إلى ما يصلح له — حق لنا أن نبدى ما نشاء من الاغتباط . أما قبل هذا فليس يسعنا إلا أن نبدى الأسف والإشفاق ونطلب من الله الرحمة والمغفرة .

عبد الله حسين
المحامى

فقال المقوقس لعبادة : « تقدّم يا أسود وكلمني برفق ، فإنني أهاب سوادك وإن اشتدّ كلامك عليّ ازددت لك هيبة » .

فتقدم إليه عبادة فقال : « قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشد سواداً مني وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني . وأنا قد ولّيت وأدبر شبابي ، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوّي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي ؛ وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوّنا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً . وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ؛ وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى . . . لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة ؛ بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه »

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : « هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هِبتُ منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها » . ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فأقره على ما وصف به نفسه وأصحابه ، ثم حاول أن يخوّفه ويصرفه عن الهدف الذي يقصد إليه العرب فقال له : « وقد توجّه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يُحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لم تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم . وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلة ما بأيديكم . ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوّة لكم به » . فقال عبادة : « يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوّفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقّاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم . . . وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا . . . وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه . . . » .

ثم يخيّر عبادةُ المقوقس بين هذه الخصال الثلاث التي عهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين وأمر أمير المؤمنين عمراً بها ثم تلقاها عبادة عن عمرو : إما الإجابة إلى الإسلام الذي يوحد بين معتنقيه ويكف بعضهم عن بعض ، وإما جزية مقدرة يؤديها القبط والروم للعرب في كل عام ولهم في مقابل أدائها أن يقاتل العربُ عنهم من يناوئهم ويعرض لهم في شيء من أرضهم ودمائهم وأموالهم ، وإما الاحتكام إلى السيف

فيقول المقوقس : « هذا لا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا » . فيجيبه عبادة : « هو ذلك فاختر ما شئت » . فيسأل المقوقس : « أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث الخصال ؟ » . فيرفع عبادة يديه ويقول : « لا وربّ هذه السماء وربّ هذه الأرض وربّ كل شيء ، ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا لأنفسكم » .

فيلتفت المقوقس حينئذ لأصحابه ويسألهم رأيهم ؛ فيجيبونه بأنهم يأبون ترك دين المسيح بن مريم إلى دين لا يعرفونه ، وأنهم يرون الموت أيسر لهم من أن يذعنوا للعرب ويسلسوا لهم القياد ويملكوهم منهم الرقاب ، وأنهم يرضون أن يضاعفوا للعرب من المال حتى يتركوهم ويتولوا عن ديارهم .

ويخبر المقوقس عبادة بما انتهى إليه رأى أصحابه ، فيقوم هذا وأصحابه . وهنا يقول المقوقس لصحبه : « أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم

طاقة ؛ ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبُنهم إلى ما هو أعظم كارهين » فيسألونه : « وأى خصلة نجيبهم إليها ؟ » فيجيب : « إذن أخبركم . أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة » . فيقولون : « فنكون لهم عبيداً أبداً ؟ » . فيقول : « نعم ، تكونون عبيداً مسلّطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعون وتمزقون فى البلاد مستعبدين أبداً أنتم وأهلكم وذراريكم » . فيقولون : « فالموت أهون علينا » .

* * *

فواضح مما لخصناه عن أبى المحاسن أن المفاوضة كانت فى جزيرة الروضة بين المقوقس وعبادة بن الصامت .

٢ — ويذكرها المقريزى (ص ٦٥ — ٧٠) نقلاً عن كتاب ابن عبد الحكم بما لا يخرج عما ذكره أبو المحاسن .

٣ — ويذكرها السيوطى (ص ٦٥ — ٦٩) نقلاً عن كتاب ابن عبد الحكم بما لا يخرج عما ذكره أبو المحاسن أيضاً

٤ — ويشير إليها القضاعى فيما لخصه فى كتابه « الخطط من قصة فتح مصر » ؛ وذلك فيما ينقله عنه السيوطى (ص ٧٧) يقول القضاعى : إن العرب لما ظفروا بالحصن (حصن بابليون) لحق المقوقس وأهل القوة بالجزيرة ، وتحصنوا هناك والنيل حينئذ فى مدّه ، فسأل المقوقس فى الصلح ، فبعث إليه عمرو بعبادة ابن الصامت ، فصالحه المقوقس على القبط والروم ، على أن للروم الخيار فى الصلح إلى أن يوافى كتاب ملكهم ، فإن رضى تم ذلك ، وإن سخط انتقض ما بينه وبين الروم ؛ وأما القبط ، فبغير خيار ...

فواضح أن القضاعى متفق مع من ينقل عنه أبو المحاسن ، وكذلك مع ابن عبد الحكم في مكان المعاهدة وطرفيها ، ولكنه يختلف عنهما فى وقتها ، فهو يقول : إنها كانت بعد سقوط (حصن بابليون) ؛ وهم يقولون إنها كانت قبل ذلك

ولا يرد فى كتاب حنا النقيوسى شىء من ذلك

والأستاذ بتلر لا يجد ما يشككه فى هذه الرواية ، فهو يسلّم بها ولا يرفضها ؛ وهو ينقل إلينا فى كتابه (ص ٢٢٣ — ٢٧٧) طرفاً من هذه المفاوضة ، وهو يتفق مع ابن عبد الحكم ، ومن ينقل عنه أبو المحاسن فى أن المفاوضة كانت قبل سقوط الحصن

ونحن نسلّم بما يراه الأستاذ بتلر بصدد هذه الرواية ، ولكننا لا نظن بعد ذلك أن الحديث الذى دار فى المفاوضة هو نفس الحديث الذى نقلته إلينا تلك المراجع التاريخية العربية ؛ إذ يظهر أن يد أديب صنَاع قد امتدّت إلى هذا الحديث الذى دار فى المفاوضة فنمّقته ووشّته وهذّبت حواشيه وخرجت به عن صورته الأولى الساذجة ، إلى صورة أخرى أدبية ، لا نشك فى روعتها وجمالها ... نقول : إننا لا نظن أن الحديث الذى دار فى المفاوضة هو نفس الحديث الذى نقلته إلينا المراجع التاريخية العربية ؛ ولكننا — مع ذلك — لا نظن أن الحديثين يختلفان فى الروح السيطرة عليهما المنبثّة فيهما

(للبحث بقية أخيرة) السيد يعقوب بكر

رمضان

للأستاذ يحيى محمد على

بعد جهاد مضن فى سبيل الحياة والبقاء ، ونضال منهك من أجل القوت والعيش ، تعود النفوس رازحة لاغبة ضارعة قد أرهقها النصب فوهنت وتراخت ، وهدّها الإعياء فتثبطت وتوانت ، وفدحها الإخفاق فقنطت وتخاذلت ؛ لتنعم فى ظل رمضان بالراحة التى تجدد قواها المكدودة ، والرجاء الذى يرهف عزمها الكليل ، والرشاد الذى يقيها مغبة الضياع فى مجاهل الغواية

وبعد خصام ملث على المال المدنس ، ونزاع متواصل على الجاه المزيف ، تعوج القلوب مرمضة صادية قد غمرها الإثم فصدها عن الخير ، وغشيها الجشع فصرفها عن الإحسان ، وتألب عليها الغرور فكبحها عن التواضع ؛ لتستمد من وحى رمضان الإيمان الذى يقر فى مطاويها فورة البغى ، والقناعة التى تسكن فى أحنائها سورة الشره ، والإباء الذى يخمد فى ثناياها جذوة الحسد

وبعد صراع عنيف على المجد الزائل ، وتهافت شائن على السطوة الكاذبة ، واندفاع يائس وراء الظنون والأوهام ، تدلف العقول حائرة مفتونة حائرة قد ران عليها الباطل فحجب عنها ضوء الحق ، ووطئها الغى فجنحت للطيش ، ولازمها الحرص فزين لها الصلف والزهو والعجب ، لتقتبس من قدسية رمضان اليقين الذى يبدد لها دجى الشكوك والريب ، والهدى الذى يرفع عنها آصار المروق والزيغ ، والحلم الذى يكفكف فيها غلواء الجهالة والنزق

فلا يلبث ذلك الإنسان السادر فى المعصية والجامح فى الشر والمصر على المنكر أن يدرك أسرار الوجود فيرق ويلين ، ويترفق ولا يتمرد ، ولا يتجبر ولا يتكبر ، ويعرف قيمة الحياة فيتعفف عن الرذيلة ويتصون عن الرجس ويترفع عن الغش والخداع ولا يخضع لسلطان الهوى ولا يخنع لطغيان الشهوة ولا يصغي لهمسات الشيطان ، ويفهم معانى الإنسانية فلا يتغلظ ولا يقسو ولا يظلم ، وتتيقظ فى أعماقه أحاسيس الرحمة والشفقة فيعطف ويحسن ولا يسيء ، وتتفجر في أغواره منابع البر والرأفة فيرفد ويتصدق ولا يبخل

هذا هو رمضان أيها المسلم ...

ترويض للنفس على الكفاح والمجالدة والاحتمال ، وتدريب للقلب على الصبر والثبات والمثابرة ، وسمو بالعقل إلى الصلاح والسداد والتبصر ، وتقويم للطباع وردع للأهواء

وهو يلوح لنا من أفق الزمن هذا العام والكون مغتلم الأمواج صخاب اللجج عصوف الريح يكاد سيله العاتى يطم ويطغى فيجتاح ما ظل من آثار الحضارة المنكوبة ، ويكتسح ما بقى من أطلال المدنية المحروبة ، والإنسان المجنون محمول على غوارب اللجج وقد غلبه الجزع فأفقده وسيلة النجاة ، وملكه الذهول فضيع عليه معالم الطريق ، فلم يعرف كيف يتفادى العاقبة المؤلمة ولم يدر كيف يتقى الغبّ المر .

فلا ريب أن حاجة المسلمين اليوم إلى التعاون والتقرب والتضامن أشد منها بالأمس .

فليكن رمضان وازعاً للتعاون وسبباً للتقرب ودافعاً للتضامن

ولا ريب أن المصاعب التى تعانيها الطبقة الفقيرة الآن أعظم منها فى أي وقت مضى .

فليكن رمضان سبيلاً لتخفيف وطأة هذه المصاعب عن كاهل هذه الطبقة .

تذكر أيها الغنى المترف المتقلب فى الرخاء والمتمرغ على الذهب والديباج أولئك المعوزين الذين جار عليهم الدهر ، وأغار عليهم الإملاق ، وأناخ عليهم الداء ، وقعد بهم العجز ، وادرء عنهم بالصدقة عرام الفاقة .

وتذكر أولئك اليتامى الذين نكبهم القدر فحرمهم عناية الأم ورعاية الأب وحنان الناس ، وأجهدهم السغب فسلبهم الدعة والاطمئنان ، وطاردهم التشرد فضن عليهم باللقمة التى تسد الرمق ، والسمل الذى يستّر الجسد ، والمأوى الذى يلوذون به من الحر والقر ، وكن لهم الردء والمساعد والمعين .

فقد يمن الله علينا بعد خلاص النفوس من الأهواء ، وصفاء القلوب من الأحقاد ، وتجرد العقول من الأوهام ؛ بالسلامة من أوار هذا الجحيم المتأجج وخطر هذه النكبة البشرية المروعة !

وإن العقبى للصالحين .

(بغداد) يحيى محمد على

شهـــداء المعلمين

للأستاذ على الجندى

[كثر فى السنوات الأخيرة موت المعلمين فجأة فى أثناء تأدية واجباتهم ، كما فشا فيهم مرض الذبحة الصدرية والفالج وضغط الدم ! حتى لفت ذلك أنظار الناس ! وسر هذا البلاء معروف لا يجهله أحد ، وهأنذا أرفع صوتى بهذا الشعر الباكي لعله يصل إلى أسماع القادرين على تخفيف الضر عنهم]

مَا غَالَهُ الْمَوْتُ ، بَلْ أَوْدَى بِهِ الْعَمَلُ
كَيْفَ الْحَيَاةُ وَلَا سَلْوَى وَلَا أَمَلُ !

قَالُوا : هُوَ الأَجَلُ الْمَحْتُومُ ؛ قُلْتُ لَهُمْ :
لَوْ لَمْ تَخُنْهُ الْمُنَى مَا خَانَهُ الأَجَلُ

يَأْسٌ وَبُؤْسٌ يَضِيعُ الْعُمْرُ بَيْنَهُمَا
كِلَاهُمَا شَرُّ مَا يُبْنَى بِهِ رَجُلُ

أَغْرَتْ بِهِ الْمَوْتَ أَعْبَاءٌ تَحَمَّلَهَا
لَا يَشْتَكِي ... بَعْضُهَا يَعْيَا بِهِ الْجَبَلُ

أَمَانَةٌ تُثْقِلُ الأَعْنَاقَ مَا بُعِثَتْ
إِلَّا لَهَا أَنْبِيَاءُ اللهِ وَالرُّسُلُ

قَالُوا : بِهَا انْهَضْ وَسِرْ فَوْقَ الْقَتَادِ وَلَا
تَمْشِ الْهُوَيْنَى ! لِمَنْ جَاءَتْ بِكَ الْهَبَلُ ؟

هُوَ الشَّهِيدُ وَإِنْ لَمْ تَرْوَ مِنْ دَمِهِ
بِيضُ السُّيُوفِ وَلَا الْخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ

تَنْغِي الشُّئُونُ وَلَا يَفْتَرُّ مَبْسِمُهُ
وَلَا يُرَنَّحُ مِنْ أَعْطَافِهِ الْجَذَلُ

وَلَا يَخِفُّ — عَلَى الأَيَّامِ — مَحْمَلُهُ
إِنَّ الشَّقِيَّ بِهِ الأَرْزَاءُ تَتَّصِلُ

مَشَى بِنَفْسِهِ إِلَى غَايَاتِهِمْ ، وَمَشَتْ
بِهِ إِلَى قَبْرِهِ الأَوْصَابُ وَالْعِلَلُ

سَاعٍ إِلَى دَرْسِهِ وَالضُّرُّ يُثْقِلُهُ
كَمَا مَشَى يَتَشَكَّى الشَّارِبُ الثَّمِلُ

تَكَادُ تَعْرِفُهُ مِنْ فَرْطِ صُفْرَتِهِ
كَأَنَّ مِنْ وَجْنَتَيْهِ يَطْلُعُ الأُصُلُ

مَا جَازَ سِنَّ الصِّبَا وَالْوَجْهُ مُكْتَهِلٌ
وَالرَّأْسُ مُشْتَمِلٌ بِالشَّيْبِ مُشْتَعِلُ

وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ... كُلٌّ لَهُ شُغُلٌ
عَنْ هَمِّهِ ... وَلَهُ مِنْ هَمِّهِ شُغُلُ

سَارُوا عَلَى نُورِهِ الْهَادِي ، فَبَانَ لَهُمْ
قَصْدُ السَّبِيلِ ، وَسُدَّتْ دُونَهُ السُّبُلُ

وَخَلَّفُوهُ صِرَاعَ الْخَطْوِ ، وَهْوَ لَقًى
كَمَا تَخَلَّفَ فِي دَارِ الْبِلَى الطَّلَلُ

وَلَمْ تَضِقْ بِهِمُو فِي عَيْشِهِمْ حِيَلٌ
تُدْنِي الأَمَانِي ... وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحِيَلُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا صَرْعَى نُشَيِّعُهُمْ
إِلَى الْقُبُورِ ، وَفِي أَكْبَادِنَا شُعَلُ

قَدْ عَاجَلَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ فَمَا فَزِعُوا
إِلَى طَبِيبٍ ، وَلَا أَوْصَوْا بِمَنْ نَجَلُوا

أَنْضَاءُ حَرْبٍ مَقَاتِيلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ
عَلَى بَلَائِهِمُو غُنْمٌ وَلَا نَفَلُ

لَهْفِي عَلَيْهِمْ ضَحَايَا لَا يُحَسُّ بِهَا
فِيمَنْ أَقَامُوا مِنَ الأَحْيَاءِ ، أَوْ رَحَلُوا !

الصَّابِرِينَ عَلَى الضَّرَّاءِ مَا نَبَسُوا
يَوْمًا بِشَكْوَى ، وَلَا مَلُّوا ، وَلَا بَخِلُوا

وَالْقَانِعِينَ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوتِهِمُو
وَغَيْرُهُمْ بِغِنَاهُ يُضْرَبُ الْمَثَلُ ! !

وَالسَّاهِرِينَ عَلَى الْأَوْرَاقِ مَا عَرَفَتْ
طَعْمَ الْكَرَى فِي الدُّجَى السَّاجِي لَهُمْ مُقَلُ
إِنْ أَحْسَنُوا لَمْ يُجَازُوا بِالَّذِي صَنَعُوا
وَإِنْ أَسَاءُوا فَذَنْبٌ لَيْسَ يُحْتَمَلُ ! !

هِيَ الْحَيَاةُ ... فَمَوْلُودٌ أُتِيحَ لَهُ
« سَعْدُ السُّعُودِ » وَمَوْلُودٌ لَهُ « زُحَلُ » !
كَمْ دَائِبٍ فِي نَوَاحِيهَا قَضَى سَغَباً
وَقَاعِدٍ جَاءَهُ بِالنِّعْمَةِ الْكَسَلُ ؟ !
لَوْ أَنْصَفَتْ بَاتَ كُلٌّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ
فَلَمْ يَنَلْ نَهْلَةً مِنْ وِرْدِهَا الْوَكِلُ
كَيْفَ احْتِيَالُكَ فِي دُنْيَا يَطُولُ بِهَا
عُمْرُ الْجَبَانِ ، وَيَلْقَى حَتْفَهُ الْبَطَلُ
لَا يَجْتَنِي صَابَهَا إِلَّا أَخُو كَرَمٍ
وَلِلَّئِيمِ سُلَافُ الرَّاحِ وَالْعَسَلُ
صَبْرًا عَلَى نُوَبِ الْأَيَّامِ ، عَلَّ لَكُمْ
أَوَاخِرًا ، عِنْدَهَا تُنْسَى بِهَا الْأُوَلُ
الدَّهْرُ : أَنْعُمُهُ ظِلٌّ وَأَبْؤُسُهُ
وَالظِّلُّ يَسْجُو قَلِيلًا ثُمَّ يَنْتَقِلُ

(التوفيقية) علي الجندي

صرخة الألم !

للأديب عبد العليم عيسى

أَأَنَا الَّذِي رَدَّدْتُ أَلْحَانِي عَلَى
قِيثَارِنِي السَّكْرَى طَرُوباً حَالِماً ؟
أَأَنَا الَّذِي ضَحِكَتْ عَلَى كَوْنِي الرُّؤَى
فَمَشَيْتُ مِطْرَاباً عَلَيْهِ هَائِماً ؟
أَأَنَا الَّذِي وَهَبَ الْعَذَارَى رُوحَهُ
وَوَهَبْنَهُ أَرْوَاحَهُنَّ بَوَاسِماً ؟
أَأَنَا الَّذِي دَفَنَتْ يَدَايَ كَآبَتِي
وَمَضَيْتُ وَضَّاحَ الْأَسِرَّةِ نَاعِماً ؟
... أَنَا غَيْرُ هَذَا كُلِّهِ ... أَنَا لَمْ أَكُنْ
إِلَّا جَحِيماً مُسْتَفِزًّا عَارِماً ؟

يَا بَحْرُ كَمْ غَنَّيْتُ فَوْقَكَ سَابِحاً لَا أَعْرِفُ الْأَشْجَانَ إِلَّا وَاهِماً !
يَا زَهْرُ كَمْ رَشَفَتْ جَمَالَكَ مُهْجَتِي
وَاسْتَلْهَمَتْ مِنْكَ النَّشِيدَ الْبَاسِمَا !
يَا لَيْلُ كَمْ فَجَّرْتُ فِيكَ مَلَاحِنِي
وَسَهِرْتُ فِيكَ مُسَامِراً وَمُنَادِماً !
كَانَتْ لِقَلْبِي فِي دُجَاكَ مَلَاعِبٌ سَكَبَتْ بِهِ نَغَماً يَهُزُّ الْعَالَمَا...
أَسْيَانُ.. وَالدُّنْيَا تَمُوجُ بِحُسْنِهَا فَعَلَامَ أُنْكِرُ حُسْنَهَا مُتَشَائِماً!
ظَمْآنُ ... وَالْأَقْدَاحُ تَطْفَحُ فِي يَدِي
فَعَلَامَ أَسْكُبُهَا حَزِيناً وَاجِماً !
مَا لِي أَسِيرُ عَلَى اللَّهِيبِ مُجَرَّحاً وَأُعَانِقُ الْهَوْلَ الْمُحَطِّمَ سَائِماً!
وَأَنَا الَّذِي عَبَرَ الْحَيَاةَ كَأَنَّهُ
طَيْرٌ عَلَى الْأَغْصَانِ يَهْتِفُ دَائِماً !
وَاحَرَّ أَشْوَاقِي لِفَجْرٍ ضَاحِكٍ يَمْحُو ضَبَاباً فِي وُجُودِي قَاتِماً!

عبد العليم عيسى



العيد الألفي للجامع الأزهر

هذه ألف سنة طوتها يد الدهر على أقدم جامعة باقية فى العالم كما يطوى الخيال أغشية النور على كوكب النهار . وكان القدر أن يحتفل العالم الإسلامى كله بالذكرى الألفية للجامع الأزهر فى اليوم السابع من شهر رمضان لولا أن الحرب التي لا تزال تزلزل الأرض قد أذهلت الناس عن كل شيء وأعجزتهم عن كل أمر ، فانتهى العزم بالقائمين على إعداد هذا الاحتفال أن يفعلوا ما فعله الخليفة الفاطمى يوم افتتاحه . وعلى ذلك تقرر أن يؤدى صلاة الجمعة فيه صاحب الجلالة المعز لدين الله فاروق الأول يتبعه كبار حاشيته ورجال دولته ، وأن يستمع إلى درس دينى يلقيه الأستاذ الأكبر عقب الصلاة ، وأن يتفضل جلالته فيشرف العلماء والطلاب بدعوتهم إلى الإفطار على موائده الكريمة ، وأن تصدر لجنة من كبار العلماء مختصراً فى تاريخ الأزهر يوزع على الناس . وقد نشرنا فى هذا العدد كلمة قيمة للأستاذ الدنى تعبر أصدق التعبير عما يعتلج من الآلام والآمال فى نفوس المصلحين البررة من أبناء الأزهر الحديث . وفى العدد القادم سنصف هذا الاحتفال وما قيل فيه[1] .

تاريخ الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى

كان صدور هذا الكتاب القيم فى هذه الأيام تحية طيبة قدمها صديقنا الأستاذ محمد عبد الله عنان إلى الأزهر المعمور فى عيده . والأستاذ عنان من الكتاب القلائل الذين توفروا على دراسة مصر الإسلامية وخدموها بالتأليف والبحث . وكان الظن به أن يضع للأزهر تاريخاً كاملاً فى نواحيه شاملاً فى عصوره « ولكن ظروف الوقت العصيبة واضطراب الأذهان وافتقاد المراجع ، حالت كلها دون تحقيق هذه الأمنية » . فاكتفى الأستاذ بأن قدم تاريخ الأزهر فى العصر الفاطمى موصولاً ببعض الفصول التكميلية استعرض فيها أحوال الأزهر منذ العصر الفاطمى إلى هذا العصر بإيجاز .

والكتاب حسن الطبع جيد الورق . يباع فى المكاتب الشهيرة باثنى عشر قرشاً .

مكتبة المستشرق المجرى جولد زيهر

فى سنة ١٩٢١ توفى المستشرق المجرى أغناطيوس جولد زيهر أول من كتب من المستشرقين فى الإسلام كتابة علمية دقيقة ، وخلف وراءه مكتبة نفيسة تحتوى زهاء ٦٠٠٠ مجلد جمعها من مختلف الأقطار الغربية والشرقية ، وبخاصة من القطر المصرى الذى نزح إليه لإتمام دراسته فى الأزهر الشريف

وهذه الكتب جليلة القدر عظيمة النفع لأنها تكاد تشتمل على جميع المؤلفات الأساسية فى الفقه الإسلامى ، والفلسفة الإسلامية ، واللغة العربية ، والأدب العربى ، وما إلى ذلك من الموضوعات . ومما يجعل لها قيمة خاصة تلك التعليقات الهامة التى علقها جولد زيهر على هوامشها لإبداء ما يخطر له من ملاحظات ، وانتقادات ، وتصحيحات ، وإشارات

وإلى جانب هذه الكتب ، تحتوى مكتبة جولد زيهر على طائفة كبيرة تبلغ الألف من نسخ الأبحاث التى كان يرسلها إليه المستشرقون مما ينشرونه فى الصحف والمجلات العلمية عن الشرق والإسلام والعرب ، وهى مطبوعة على حدة

فلما توفى جولد زيهر آلت هذه المكتبة إلى دار الكتب الوطنية والجامعية فى القدس الشريف

مقدمة أسكار وايلد فى الفن

اطلعت - متأخراً مع الأسف - على ترجمة الأستاذ على كمال لمقدمة أسكار وايلد الخالدة فى الفن فى عدد الرسالة (٤٧٤) فلاحظت على ترجمته المشكورة أنها خلت من بعض الفقرات المهمة من النص الأصلى ، كالفقرة المختصة بفن الترجمة Autobiography مثلاً حيث يقول وايلد :

(١) تأجل الاحتفال إلى موعد آخر لشكاة ألمت بصاحب الجلالة الملك أسبغ الله عليه ثوب العافية

« إن أرفع أشكال النقد – كأحطها – هو نمط من فن الترجمة » . وكذلك فإنى رأيت التسلسل فى الترجمة مبتوراً فقد جاء فيها : « إن الذين يجدون معانى قبيحة فى الأشياء الجميلة إنما هم فاسدون مجردون من الجمال » .

وهى على هذا الشكل مبتورة كما أسلفت . فقد أعقبها وايلد فى النص بقوله :

« إن أولئك الذين يجدون معانى جميلة فى الأشياء الجميلة مهذبون . والأمل فيهم » .

كما أنه ترجم كلمة Medium بمادة فى قوله :

« حياة الرجل الأخلاقية (؟) تكون جزءاً من مادة الفنان غير أن أخلاق الفن تتألف من الاستعمال التام لمادة ناقصة .

وهى ليست كذلك وإنما هى وسيلته . وجرى على هذا الأسلوب من التصرف فى النص وذلك شائع فى الترجمة .

وقد أسقط منها ما هو بالغ فى الأهمية بالنسبة لفكرة وايلد الأصلية فى الفن والنقد كقوله مثلاً :

« الفن كله سطحى ورمزى ... »

وهو ترجمة النص التالى :

All art is at once surface and symbol.

وترجمها على هذا الشكل فيها إغفال تام لكلمة At once . فإن القصد من هذا القول تأكيد كون السطحية والرمزية متلازمين ولم تظهر هذه الناحية فى الترجمة .

وكم كنت أود – كما يود غيرى من المعجبين بهذه المقدمة وبفن أسكار وايلد – أن تكون ترجمتها أكثر دقة

(بغداد – العراق) **عبد الوهاب الأمين**

البطريرك

قرأنا فى الرسالة الغراء العدد ٤٧٢ فى « الحديث ذو شجون » للدكتور زكى مبارك قوله « البطريرك كلمة يونانية الأصل ، أو لاتينية الأصل : ومن الطريف أن نذكر أن كازيميرسكى يجعل البطريق (بالقاف) من اللاتينية ، ويجعل البطرك (بالكاف) من اليونانية ، برغم تقارب مدلول الكلمتين » .

والذى نعرفه أن البطريرك تعريب للفظ رومي معناه أبو الأسرة أو رب البيت . فقد جاء فى كتاب التنبيه والأشراف للمسعودى أنه بالرومية بطرياركس تفسيره رئيس الآباء ثم خفف . وقد سماه المسعودى والإسلاميون بطريرخ ثم بطريرك ثم خفف فى الاستعمال فصرنا نقول بطرك ونكتبها بطريرك ، كما نقول بيه ونكتب بك ، وكانوا قبلنا يقولون جنبية ويكتبون جنباواى وجنبوية ، ويقولون أبشيه وأبشاى ويكتبون أبشواى وأبشويه .

رضوان العوادلى

« شباب قلب »

[مجموعة من الأقاصيص التحليلية أصدرها الأستاذ حبيب الزحلاوى ، وقدم لها بهذه الكلمة الأستاذ العقاد] :

من المزايا التى يحسن أن تتوافر للكاتب القصصى أن تكون حياته صالحة لموضوع قصة أو قصص كثيرة ، سواء فى مساعيه الخارجية أو تجاربه النفسية

وهذه مزية قد توافر منها النصيب الوافى لصديقنا الكاتب الفاضل صاحب هذه المجموعة منذ نشأته الأولى ، فعرف الجهاد فى سبيل الوطن ، كما عرف الجهاد فى سبيل العمل ، وتمرس بالناس كما تمرس بنفسه ، واختبر حياة الأسرة وملابساتها ، كما اختبر حياة المجتمع الشرقى وملابساته ، وزار – مع هذا – بلاداً غير بلاده الشرقية ، فسنحت له فرص شتى للمقابلة والموازنة والاستفادة من هنا وهناك

وليس أيسر على القارئ من أن يلمس هذه الحقيقة فى صفحات هذه المجموعة القصصية . فهى ترجمة الأديب كاتبها موزعة بين قصة وقصة وبين صفحة وصفحة ، يكاد من له ولع بالمشابهات والتوفيقات أن يستخرجها ويجمعها فى نسق واحد ، فإذا هى قصة واحدة ، وإذا هى ترجمة حياة

توخى الأستاذ حبيب أساليب شتى فى سرد الوقائع وإبلاغها إلى نفس القارئ ، ووفق فى جميع هذه الأساليب إلى التشويق الذى ينبغى أن يكون غرضاً من أوائل أغراض الكتابة القصصية على خلاف مذهب الطائفة الأخيرة من متحذلقة العصر الحاضر ، التى تنكر التشويق أو تمجز عنه ، كأنما تنفير القارئ غرض من الأغراض فى اعتقادها يقابل ترغيب القارئ فيما اتفق عليه القصصيون والكتاب على الإجمال

وشاعت فى ثنايا الوصف أوالسرد عبارات متفرقة فى مواضعها اللائقة لها ، تشتمل على بلاغة وحسن تمثيل ، كقوله فى وصف لحظة انتظار : « تمضى الثوانى والدقائق والساعات ، بل العمركله يمضى فى طريق الزمن ، والزمن لا ينفك منذ الأزل ، وسيبقى مدى الآباد يسير بنظام محكم الضبط ، فعلام اختل اليوم نظامه ، وهدأت دورته ، وتركنى وحدى أنا : الشاذ المضطرب ، الصاخب والهادى ، المفكر البلبل ... أنا السعيد الحزين ، والباكى الضاحك ... علام تركنى فى أرض يلوح لى الآن أنها تدور دورة معكوسة ... »

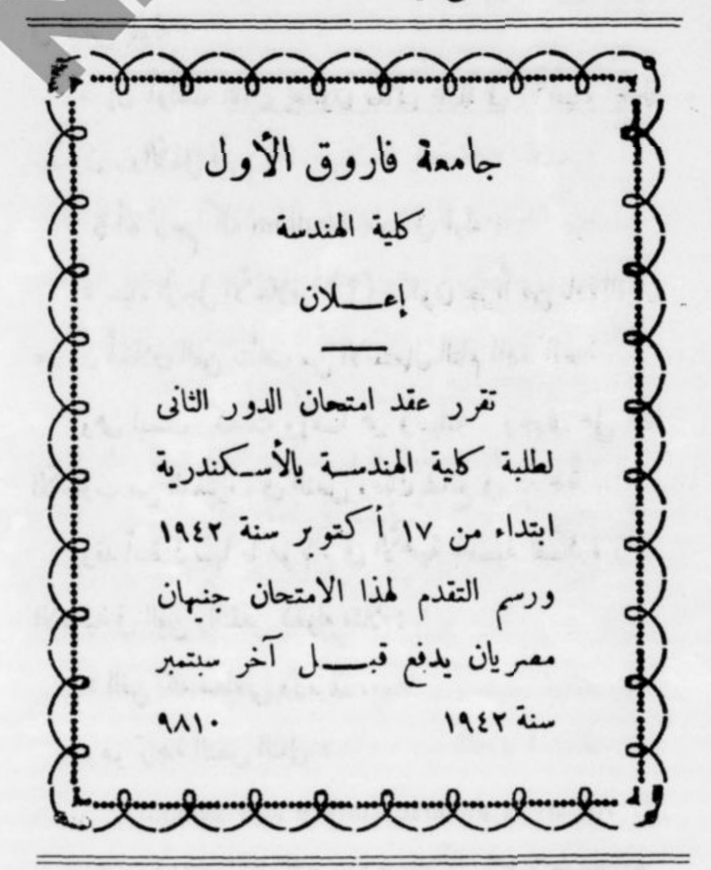
أو كقوله على لسان البطلة فى قصة مع الريح : « قلت له مرة ، هل تستمد الوحى من أغصان الشجر أو من أفواه النيل الجارية ؟ إنك دائم ترويح النظر بين هذه وتلك . وكأني به ارتاح إلى ملاحظتى فابتسم ابتسامة رقيقة : من القلب وحده يستمد الإنسان وحيه »

أو كقوله على لسان تلك البطلة تخاطب أختها : كتبت لى تعنفنى على استرسالى فى معاشرة ذاك الشيخ الذى توسل بوعد الزواج بى للوصول إلى غاية تدنى نبالة القصد من الزواج فتنبهت . اطلقنى ملامك الصارخ من البحر الخضم فصيرنى كالضفدع أقفز على اليابسة ولا أجرأ على الابتعاد من المستنقع الآسن ... »

وهكذا فى أمثال هذه التعبيرات الموفقة فى معارض شتى تتخلل الأقاصيص التى اشتملت عليها المجموعة

ولا حاجة بالكاتب إلى سبب يرجع إليه وهو يقدم قصته لقرائه بعد أن يكفل لهم المزيتين اللازمتين فى كل كتابة و فى كتابة القصة وحدها وهما : صدق الرواية عن الحياة وحسن التمثيل لما رواه

وكلتا المزيتين بينة فى قصص الأستاذ حبيب على ما نلاحظ خلالها من هفوات لغوية تمهد فى العصر الحاضر عند كتاب كثيرين ، وتشفع لها هنا حسنات تميل إلى الرجحان ويخرج منها القارئ وهو راجح الميزان



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

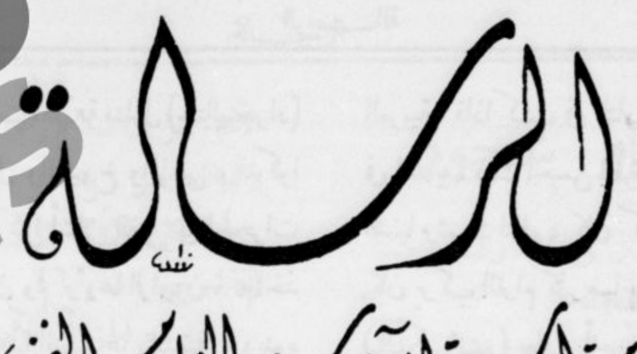


10me Année No. 482

Lundi - 28 - 9 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique



بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

من عجائب النـــاس

لعل ابن آدم هو المخلوق الوحيد الذى يرى الشىء الواحد بعينيه الاثنتين أبيض تارة وأسود أخرى على حسب الصبغ الذى يلوّنه به الهوى ؛ فقد يتحد الشىء فى ذاته وصفاته ، ولكنه يختلف وا عجباه فى نظره أو فى رأيه ، فيكون حسناً وقبيحاً ، أو خيراً وشراً ، أو حلالاً وحراماً ، أو نافعاً وضاراً ، لا باعتبار حقيقته فى نفسه ، ولكن باعتبار ما تقتضيه الحاجة أو الأثرة أو الرياء أو المحاباة . وبفضل هذه الميزة العجيبة فى الإنسان تعددت مقاييسه ، وتضاربت أهواؤه ، وتناقضت أحكامه ، وتباينت عقائده ، وتفرقت سُبله

ذلك كلام لا نكير فيه ولا لبس فلا أحلل ولا أعلل ، وبحسبى أن أدع الحوادث تُحدِّث والأمثلة تُمثِّل

أذاع راديو (بارى) منذ ليلتين أن فريقاً من الطلاب الهنود تظاهروا فى بمباى فاعترضتهم فئة من الشرط الإنجليز فتفرقوا فى شوارع المدينة أباديد بعد أن أصيب نفر منهم بجروح . ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب ينافى المدنية ، ويجافى الخلق ، ويصم الذين ارتكبوه بالقسوة الوحشية والبربرية الأثيمة . وفى هذه الإذاعة نفسها أعلن هذا المذيع نفسه أن مليوناً من جنود المحور قد اقتحموا بالدبابات

الثقيلة والطائرات المنقضة والسيارات المدرعة منازل (ستالينجراد) على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى، فدكوا كل بناء، وسحقوا كل حى، وركموا أشلاء القتلى فى الحجرات والطرقات على صورة لم يرها الراءون ولم يَرْوها الراوون. ثم أخذ هذا البوق البشرى يهذى بفضل هذا النصر على المدنية، وينوه بعظيم أثره فى مستقبل الإنسانية!

***

كان لكاتب من كبار المصلحين حصة مأكولة فى وقف أهلى، فظل يكتب فى وجوب حل هذا النوع من الوقف حتى نضب مداده، ويخطب فى جشع النظارة وإهمال الوزارة حتى جف ريقه. وتداول الناس مما كتب وخطب جملةً من البراهين المُلزمة والنصوص الصريحة والوقائع الثابتة لا تدع لوجود الوقف الأهلى مبررا ولا للدفاع عنه حجة. فما هو إلا أن آلت النظارة على هذا الوقف إليه حتى بلع لسانه فلم يخطب، وكسر قلمه فلم يكتب، وفرغ لاستغلال الوقف والاستبداد بريْعه فلم يقبل رقيباً عليه، ولم يقابل مستحقاً فيه!! ذكرت بهذا الكاتب المصلح ذلك الاشتراكى المفلسَ الذى كان يرى الرأسمالية وبالاً على المجتمع، والرأسماليين كلاً على الناس. وكان يسوّغ فى سبيل اشتراكيته الإرهاب والإضراب والمصادرة والقتل، حتى ورث عن أحد أقربائه الأباعد قطعة من الأرض، فنصب على كل جهة من جهاتها الأربع لوحة كتب عليها بالخط العريض: (ممنوع المرور)!

***

وكان خطيب من خطباء المساجد عليه سمات التقى والزهد لا ينفك يقرع آذان المصلين بالعظات الزاجرة عن احتكار السلع وإغلاء الأسعار وإرهاق الناس فى هذه السنين العجاف. فإذا فرغ من الوعظ وخرج من المسجد جلس فى حانوته الصغير يسبح لله ويقسم لطالب السكر أو الزيت أو الرز أن دكانه من كل أولئك خلاء. فإذا وجد الضعيف المضطر أعطاه بالسعر المضعّف والكيل المطفف بعض ما يطلب! وهيهات أن تنفذ إليه عيون الحكومة من وراء الحجب الأربعة التى ضربها عليه من وظيفته وعمامته ولحيته ومسبحته!

هذا الشيخ يحسب أن حدود الدين لا تتعدى حدود المسجد، فإذا عالج شؤون الدنيا عالجها على النهج الذى سنه الشيطان لأوليائه؛ فهو كالتلميذ الذى يحسب أن قواعد النحو لا تتعدى (حصة) اللغة العربية، فإذا كتب فى التاريخ أو فى الكيمياء كان مطلق الحرية فى إنشائه. ذلك أحسن الفروض، فإذا كان يعتقد أن الدين طعم الدنيا وشرك المال، كان كذلك الصوفى الهرم الذى زعموا أنه كان يركب الترام كل صباح إلى ضريح الشافعى فكلما أقبل عليه (الكمسارى) يطلب أجر الركوب أدبر عنه وشغل لسانه بالذكر ويده بالتسبيح حتى ينصرف إلى غيره. ففى ذات يوم ألح المحصل على تنافل الشيخ وسأله عن (التذكرة) فلم يرَ بدًّا من أن يدفع هذه المرة ويقول فى هيئة المفجوء ولهجة الذاهل: «معذرة يا بنى! فقد شُغلت بالله عن كل شىء».

***

كبير من الكبراء له فى الصوم مذهب جديد؛ فهو يصوم الصوم (الصحى) الذى يفيد الجسد ولا يفيد الروح: يتعاطى كل ساعتين كوباً كبيراً من عصير العنب أو الليمون أو المانجو، ثم يمسك عن التبغ فى النهار وعن الخمر فى الليل، ويصر على أن تُساقط أصابعه الثلاث حبات المسبحة منذ أذان العصر، وأن يفطر على أشربة رمضان وآكاله عند أذان المغرب. فإذا بلغه أن أحد مرءوسيه غفل عن آداب الصيام، فى النظر أو الكلام، أخذه أخذاً شديداً (بتعليمات الوزارة)

***

أستاذ من أساتذة الأدب لا يحاضر إلا فى الدين ولا يجادل إلا فى الخلق، له فى الحرية الشخصية مذهب فضفاضٌ يسحب أطرافه السابغة على كل معروف من الدين والخلق. ثم لا يعوزه أن يجد لكل رغيبة من رغائب نفسه الشهوانة سنداً مما يسميه هو الدين والخلق. فمثله كمثل ذلك الفقيه الثقة الذى تبحر فى القانون وتقصّى فى الإفتاء حتى لا تند عن ذهنه مسألة، ولا تعزب عن براعته حيلة. فلما تولى أمور الناس وجد لكل مأزق من مآزق الضمير مخرجاً من مخارج الرأى لا يضيق عن أمر من الأمور فى أى غرض من الأغراض!

***

هذه أمثلة من الواقع المشهود تؤيد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى. ولو طاوعت القلم لسردت عليك ما هو أعجب؛ ولكن ...

قالت الضفدع قولاً ردّدته الحكماء:
فى فمى ماء وهل ينطق مَن فى فيه ماء؟

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

مكانة الأديب فى الجهاد — أدب المعاش — نفحة سودانية

مكانة الأديب فى الجهاد

اقترح أحد النواب المحترمين إحياء ذكرى « شوق » باقامة تمثال له فى أحد شوارع القاهرة ، وتلك التفاتة لطيفة تدل على قيمة الشعر فى أنفس بعض النواب

ولكن أديباً فاضلاً تعقب هذا الاقتراح فى جريدة (الدستور) فقال : يجب أولاً إقامة تمثال لمحمد فريد ، وتمثال لمحمد عبده ، وتمثال لقاسم أمين ، قبل أن يقام تمثال لأحمد شوقى أو حافظ إبراهيم

ولا بأس بهذا الكلام ، ولكن الأديب الفاضل علله فقال : نحن فى عصر السيادة فيه للشجاعة والبأس ، والعبادة فيه للبطولة والأبطال ، لا للفن والجمال ، وكلٌ مقتحم ميداناً ، ودالك سوراً ، ومنتزع نصراً ، مقدم على من يجلس فوق رابية آمنة ، ليرسل من قيثارته ألحاناً مشجية

ومعنى هذا التعليل أن أمثال محمد عبده ومحمد فريد كانوا جماعة من المجاهدين ، وأن أمثال أحمد شوقى وحافظ ابراهيم كانوا جماعة من المغنين ! !

ومن يعش فى مصر ير العجب ، وإلا فكيف يجوز القول بأن صورة الشاعر هى صورة « من يجلس فوق رابية آمنة ، ليرسل من قيثارته ألحاناً مشجية » ؟ وكيف يجوز القول بأن الشعراء ليسوا إلا جماعة يسبحون للفن والجمال ، ولا صلة لهم بالبطولة والأبطال ؟

إن هذا الناقد لا يعرف كيف يحيا الشعراء ، ولا يفهم من الشعر إلا أنه غناء ، والأدب عنده متعة ذوقية يلهو بها الفارغون من أهل العبث والمجون

فتى يعرف أهل مصر أن حامل القلم هو الوطنى الأول ، والمجاهد الأول ، وأن معانى البطولة تمتلج فى صدره قبل أن تمتلج فى صدور القادة والزعماء ؟

وما أساس البطولة الحقيقية عند أمثال : محمد فريد ومحمد عبده وقاسم أمين ؟

أساسها الفكر والبيان ، ويجب حتماً أن نضيف هؤلاء إلى الأدباء قبل أن نعدهم زعماء ، فما ارتفعوا إلا بالفكر المُشرق والبيان الجميل

وحكاية دك الأسوار واقتحام الميادين وانتزاع النصر تحتاج إلى شرح :

فهل من الحق أن الأديب لايدك أسواراً ولايقتحم ميادين ؟

إن الأديب يقضى عمره فى جهاد ونضال وعراك مع الدنيا والناس ، ومع الأوهام والأباطيل والأضاليل ، وما شرق مشرق أو غرب مغرب فى دعوة وطنية أو اجتماعية إلا على هدى من وحى الأديب ؛ ولا استبسل جبان ، أو استقتل شجاع ، إلا بتحريض من عبارة فاه بها شاعر أو كاتب أو خطيب

فى أعقاب الحرب الماضية ظهر كتاب فرنسى اسمه : La Barbarie All وهو كتاب أقيم على أساس القول بأن الوحشية الألمانية ترجع إلى إيحاء من شعراء الألمان ومفكريهم فى القرن التاسع عشر ، وأن السيوف تتاق الوحى عن الأقلام فى تلك البلاد

وقبل هذه القولة الفرنسية فى تعليل الوحشية الألمانية ، قال أسلافنا منذ أزمان طوال : إن أبياتاً من شعر عمر بن أبى ربيعة نقلت قلب هرون الرشيد من مكان إلى مكان ، فصنع بالبرامكة ما دونه التاريخ بإسهاب

وإلى الأدب العربى يرجع الفضل فى تأريث البطولة العربية ، وكذلك حظ جميع الآداب فى جميع الشعوب

حين تزاور الرؤساء من الإنجليز والأمريكان بعد انتصار الحلفاء فى الحرب الماضية لم يجدوا عبارة تفصح عن الألفة بين الأمتين أفضل من العبارة التى تقول بأن لغة شكسبير هي الرباط الوثيق بين الإنجليز والأمريكان

فهل سمعتم أن شكسبير دك أسواراً واقتحم ميادين ؟

ومنذ أسبوع نقلت البرقيات أن المسيو هريو رد وسام « اللجيون دونير » إلى المُشير بيتان[1] — وكان تلقاه من كليمنصو العظيم — لأن حكومة ڤيشى منحت هذا الوسام لضابطين يحاربان فى صفوف الألمان ، فممن تلقى هريو هذا الوحى الرائع ، الوحى الذى يأبى على الضمير الفرنسى أن يستبق وساماً يُهدى إلى من يحارب فى صفوف الأعداء ، ولو أصبحوا بحكم الضرورة حلفاء ؟

(١) المشير باللغة العربية هو الماريشال باللغة الفرنسية

هذه التفاتة أدبية لا سياسية ، والأدب يوحى معانى تنفر منها السياسة ، بحيث يجوز الحكم بأن الأدباء أشجع من السياسيين ، وما مُدح سعد زغلول بأفضل من النص على أنه كان خطيباً وطنيًّا لا سياسيًّا ، كما قال الأستاذ كامل بك سليم

التفاتة المسيو هريو التفاتة أديب ، وكان هريو فى مطلع حياته أستاذ الأدب الفرنسى بجامعة ليون ، وكان يعاب عليه الإسراف فى شرح أصول الغزَل والتشبيب ، فلم يكن يرتاد محاضراته بجامعة ليون غير عرائس ليون

ثم تحولت العواطف الوجدانية عند المسيو هريو إلى عواطف وطنية ، وهل كانت خطبه فى مجلس النواب الفرنسى إلا روائع من الأدب المضمّخ بعبير الروح ؟

ولم يقف الأدب بالمسيو هريو عند الوطنية المحلية ، بل سما به إلى رعاية اللغة الفرنسية فى البلاد الأجنبية ، فرأس جمعية المسيو لابيك رياسة حقيقية لا صورية ، وأمدها بما استطاع من الوقت والمال

عتب عليه المسيو بينار فى المؤتمر الذى عُقد فى يوليه سنة ١٩٣٣ خُلف الوعد بحضور افتتاح الليسيه فرانسيه فى حلب ، فاعتذر بأسلوب لن أنسى وقعه فى نفسى ، اعتذر بأنه يبيت فى القطار ثلاث ليال من كل أسبوع ، ثم أعلن استعداده لدفع النفقات التى توجبها الدعوة لنشر اللغة الفرنسية فى البلاد الأجنبية

فهل تصدر هذه الأريحية إلا عن أديب ؟

وفى ذلك اليوم دعوته لزيارة القاهرة فقال فى حماسة : سنلتقى هنالك يا صديقى

وقد برّ بالوعد لحضر لافتتاح الليسيه فرانسيه بمصر الجديدة فى سنة ١٩٣٨ ، ولكنى ما رأيته ولا رآنى ، فقد كنت فى بغداد ، عليها أطيب التحيات

وخلاصة القول أن الأدب عماد الوطنية ، ولا قيمة لوطن ليس فيه أدباء

وإذا تحذلق متحذلق فادّعى أن الأدباء لا يحسنون غير التغريد فوق أفنان الجمال ، أجبناه قائلين بعزة وخُيَلاء :

إن الجمال هو أعظم نِعم الله فى هذا الوجود ، ولا يعيب التغنى بالجمال غير مرضَى الأذواق والقلوب . . . الأمم العظيمة هى التى تتغنى بالجمال ، كما يصنع الإنجليز والألمان ، وكما صنع العرب فى شباب الزمان ... فمن بدا له أن يغض من شعرائنا لأنهم يتحدثون عن الجمال ، فليبادر باستشارة أحد الأطباء

أدب المعاش

لا جدال فى أن الأدب العربى الحديث قد سما سموًّا عظيماً فى كثير من الفنون ، ولكنى مع ذلك أراه تخلف أقبح التخلف فى دعوة الناس إلى تدبير المعاش ، وأنا أقترح أن يكون عندنا أدب يسمى « أدب المعاش » وهو الأدب الذى يعلم الناس كيف يقتصدون ، وكيف يدّخرون ، وكيف يواجهون مطالب الحياة فى الشباب والمشيب ، بجيوب سليمة من مرض الأفلاس ، فما يُذلّ الرجال غير الفقر ، أعاذنا الله وأعاذ جميع الأحرار من رؤية وجهه البغيض

ولتوضيح هذا النقص فى اتجاهاتنا الأدبية أسوق الفكاهتين الآتيتين : لقينى الشاعر حافظ ابراهيم يوماً فقال :

— هل رأيت ما صنع شوقى ؟

— وما ذا صنع شوقي ؟

— نظم قصيدة فى « بنك مصر » مع أنه لو اختلف مع هذا البنك على مليم واحد لساقه إلى ساحة القضاء !

— ومعنى هذا أنك لا ترى أن تقال فى « البنوك » قصائد ؟

— القصائد لا تقال إلا فى الأزهار والرياحين

ولقينى الشاعر عباس العقاد يوماً فقال :

— قد نفيناك عن فردوس الأدب

— وما سبب هذا النفي ، يا حضرة الأستاذ ؟

— لأنك بنيت بيتاً فى مصر الجديدة ، والأدب لا يعرف مثل هذا الثراء

وقد اعتذرت للأستاذ العقاد بعبارة لطيفة ، عبارة تقول بأن شهرتى بالأدب هددت سمعتى المالية ، فكان من واجبى أن أبنى بيتاً ولو بالتقسيط ، لتحسُن سمعتي فى سنتريس

والحق أن أدباءنا قد انصرفوا عن تعليم أنفسهم وتعليم قرائهم فكرة المعاش ، ولو شئت لقلت إنهم يتباهون بالتبديد لما يملكون . وهذا خطرٌ يجب التحذير من عواقبه السُّود ، وأنا أنبه نفسي وأنبه تلاميذى وقرائى ، فلأسمعْ وليسمعوا ، ولعل فيهم من يعى كلامي بأكثر مما أعى كلامى

لا يعاب على الأديب أن يقصَّ بعض وقائعه الغرامية ، فمنذ عهد امرئ القيس إلى اليوم والشعراء يتباهون بحوادث الضم والعناق والوصال ، والأمر كذلك عند شعراء الأمم الأجنبية ، ولكن يعاب على الأديب أن يقصَّ بعض مسالكه فى تدبير

المعاش وما وقع من ذلك لم يقابَل بغير السخرية والاستهزاء.

وأخرج على هذا التقليد فأقول: إنى جريت منذ أعوام على الادخار فى حدود الاعتدال، فلا أحرم نفسى ولا أحرم أبنائى نعمة العيش المقبول، ولكنى لا أسمح لنفسى ولا لأبنائى بتبديد ما يسوق الله من الرزق الحلال

وعند اشتغالى بالتدريس كنت أسأل تلاميذى عما يدّخرون ولم يفتنى أن ألقى درساً فى الادخار على تلاميذى فى بغداد، راجياً أن يلقوه على تلاميذهم فى جميع أرجاء العراق

ومهنتى اليوم لا تتسع لأمثال هذه الدروس، ومع ذلك يغلبنى حب الخير فأسأل المدرسين الذين أتشرف بتوجيههم إلى المناهج الصحيحة فى التدريس، أسألهم عما يدّخرون، لأطمئن إلى صلاحيتهم لمهنة التعليم؛ فالمعلم الحق فى نظرى هو الذى يروض نفسه ويروض تلاميذه على تدبير المعاش. ولا يمكن لمدرس يبدد مرتبه فى الأسبوع الأول من الشهر أن يجد عقله فى الباقى من الأسابيع وتدبير المال فى الحدود المعقولة يشهد بالقدرة على ضبط النفس، وضبط النفس هو أوثق صور الأخلاق، وما يجوز لمبذّر أن يتوهم أنه يصلح لشىء من جلائل الأعمال

أكتب هذا وأنا أعرف أن فى بنى آدم من يطيب له أن يتهمنى بالشح والبخل، لأنهم ألفوا وصف المدخرين بالشح والبخل؛ ولأن الشعر القديم صوّر لهم التبذير بصورة السخاء مع أن أكثر المدائح كانت تمائم أريدَ بها انتهاب ما يملك الخلفاء والملوك

ومهما نهيتكم عن الإسراف فلن أنهاكم عن البر بالفقراء والمساكين. ولى هنا غاية تجارية: فقد عرفت بالتجربة أن الله يعوّض ما ننفقه على المعوزين أضعافاً مضاعفة، ومن الواجب أن نستغل كرم الله أجمل استغلال فى حدود ما نطيق

وأنا بعد هذا أرجو من يؤلفون كتب المطالعة لتلاميذ المدارس أن يكثروا من الحث على الادخار، ليساعدوا على إنشاء جيل جديد، جيل متماسك لا يتباهى أبناؤه بالسرف والتبديد، وإنما يتباهون بالبرّ والإفضال

نغمة سودانية

كان من توفيق الله أن نلتفت إلى الأدب فى السودان بعض الالتفات، فبه أتيحت فرصة للتعرف إلى ما هنالك من روائع لو نُشرت لبهرت شعراء مصر والشام والعراق

أقول هذا وأمامى قصيدة للشاعر محمد سعيد العباسى، قصيدة خفيفة الروح، حنّ فيها إلى أيامه بمصر فقال:

ولو كان لى عِلمُ ما فى غدٍ ... لما بِعتُ مصرَ بسودانيهْ
عدتنىَ عن طِيب ذاك الثواء ... نَوَى قَذَفٌ خيلُها عاديهْ
فودّعتُها أمسِ لا عن قِلًى ... ولم تسكن النفسُ بالساليه
إلى بلدٍ عشتُ فيه غريبًا ... بعيدًا عن الناس فى ضاحيهْ
أقيم بها من صدور المطىّ ... للمرخِ نُحدى وللصافيه[(1)]
لعلى أصيبُ بتلك البطاح ... صِبــاى وذاهب أياميهْ
فلله كم جَنَت الحادثات ... علىّ وأودتْ بآماليـهْ
رَعى الله مصرَ فكم للأديب ... بها ثَمَّ من عيشةٍ راضيه
وأحبِب بأيامها الذاهبات ... على ما بهـا وعلى ما بيـهْ
قضينا بها غفلات الشباب ... بأحلى مذاقًا من العافيهْ
تولّتْ سراعًا فيا ليتَها ... تعود لنا مرةً ثانيهْ
ويا قِبلة الخير لا تبعـدى ... وحُيِّيتِ زاهرةً زاهية
ويا برقُ زُرها بوطف الغمام ... وحَلِّ عزاليك يا ساريه
وإن تبخلى إن لى مُقلةً ... هى المزن هامعةً هاميه
بنى مصر حيًّا كم ذو الجلال ... بعَرف تحياته الزاكيه
وأسدى بإحسانه منعماً ... لكم كلَّ صالحةٍ باقيه
بكم غدت اليومَ أم اللغات ... كحسناء فى بُردِ ضافيه
حمَلتم بمصرَ وبالشرقَين ... رسالةَ آدابها العاليه
أجلْ وشأوتم بسحر البيان ... عباقرة الأعصر الخاليهْ
بيانٌ هو البدر فى تمّه ... يشقُّ حشا الليلةِ الداجيه
وكالورد يعبــق مطلولهُ ... أو المسك أو جونة الغاليه
بَلونا الكرام فكانوا البناء ... وكنتم به حَجَر الزوايهْ

فما رأىُ قراء «الرسالة» فى هذا الكلام النفيس؟ ما رأيهم فى شاعرٍ سودانىّ يحنّ إلى مصر هـذا الحنين؟ وما جزاؤه على هذا التلطف النبيل؟

نحن لا نملك الجزاء على مِثل هذا الوداد، فهو فوق الجزاء، ويكفى أن نقول إنه شاعرٌ من السودان، السودان المصرى، أعزّه الله ورعاه وحماه من جميع الأسواء

وداد مصر للسودان ودادٌ صحيح، فليعرف السودانيون أننا لا نقبل أن يكونوا أوفى منا بأى حال، وسنعارض هذه القصيدة بقصائد، وسنريهم أن مصر تجزيهم صدقاً بصدق، وإخلاصاً بإخلاص

(١) المرخ والصافية ماءان لبادية الكبابيش بالسودان

مفاوضات الفتح العربي لمصر

للأستاذ السيد يعقوب بكر

(تتمة)

(ح) مفاوضة ثالثة

يحكى لنا الواقدى (ص ٢٥ — ٢٨) أن أرمنوسة ابنة المقوقس كانت فى طريقها إلى قيسارية لتُزَفّ إلى فلسطين (يقصد قسطنطين) بن هرقل، فلما علمت أن قيسارية قد حاصرها العرب، عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والمال، فما وصلت إلى بلبيس، حتى جاءتها جيوش عمرو وحاصرتها. ثم يقول الواقدى: إن العرب اقتحموا المدينة وأسروا أرمانوسة، ولكن عمراً أرسلها إلى أبيها المقوقس، اعترافاً منه بحسن صنيعه (أى صنيع المقوقس)، حين أتته منذ سنين عدة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، يحملها إليه حاطب بن أبى بلتعة. أرسل عمرو أرمانوسه إلى أبيها مع قيس ابن سعد، فيصل هذا ويدور بينه وبين أبيها حديث طويل يسجّله لنا الواقدى (ص ٢٨ — ٢٩). ونحن يَعنينا هنا الجزء الأخير من هذا الحديث (ص ٢٩): «فقال المقوقس لقيس ابن سعد: يا أخا العرب، إرجع إلى أصحابك وأخبرهم بما سمعت وبما رأيت، وانظر فيما يستقر عندكم وبينكم؛ فقال قيس: أيها الملك، لا بد لنا منكم، ولا ينجيكم منا إلا الإسلام أو أداء الجزية أو القتال. فقال المقوقس: أنا أعرض ذلك عليهم، وأعلم أنهم لا يجيبون، لأن قلوبهم قاسية من أكل الحرام»

فهل نعد ذلك الحديث مفاوضة؟ لا شك فى ذلك. ولكننا نعتقد اعتقاداً جازماً أن هذه المفاوضة لم تكن، وذلك لسببين: الأول أن قصة أرمانوسه نفسها موضوعة؛ فالأستاذ بتلر يقول فيها (ت ٣ ص ١٩١): «ولا حاجة بى إلى إضاعة الوقت فى تفنيد هذه القصة، فإن مجرد العلم بأن المقوقس كان بطريق الإسكندرية كاف لدحضها ... ويجدر بنا هنا أن نذكر أن أبا صالح قال: إن «أرمنوسه» هى الإسم المصرى القديم لمدينة أرمنت (ص ٢٧٩). وقد ذكر ابن عبد الحكم بغير دقة أنها امرأة المقوقس، وذكر كرماً كان لها أغرقته فصارت منه بحيرة مريوط. وإنه مما يؤسف له أن هذه القصص التى يمليها خيال ألف ليلة وليلة مما يجب علينا إبعاده من التاريخ»؛ والثانى أن المقوقس لم يكن هو الذى تسلَّمَ رسالة النبى عليه الصلاة والسلام وإنما الذى تسلّمها هو «جرج» الذى سمى «بالمقوقس» فى (الرسالة) خطأ، وهو حاكم الإسكندرية ونائب الملك فى مصر (بتلر ص ١٢٥)

(د) مفاوضة رابعة

يحكى لنا الواقدى (ص ٣٥ — ٣٩) ما فعله العرب الذين كانوا سائرين لنصرة عمرو — مع العرب المتنصرة الذين كانوا سائرين لنصرة أرسطوليس وكيف أن أرسطوليس هذا استهدف لمكيدتين: مكيدة عمه أرجانوس الذى أدرك مقتل أخيه على يد ابنه (أى ابن أخيه)، ومكيدة العرب المسلمين الذين انبثّت طائفة منهم فى معسكره متظاهرة بأنها جماعة العرب المتنصرة الذين جاءوا لنصرته؛ ثم كيف هُزم بسبب هاتين المكيدتين أمام الحصن وفر إلى الإسكندرية. وبعد ذلك يقول الواقدى (ص ٣٩): «(قال ابن إسحق) حدثنى من أثق به أنه قُتل فى تلك الليلة من عسكر القبط خمسة آلاف، وغنم المسلمون أثقالهم وما كان فيها من الأموال. فلما أقبل الصباح اجتمع خالد بالمسلمين وسلم بعضهم على بعض وهنوهم بالسلامة، ودخلوا مصر وملكوا ديارها وأحاطوا بقصر الشمع. فأشرف عليهم أرجانوس بن راعيل أخو المقوقس، وقال لهم: يا فتيان العرب، اعلموا أن الله قد أمدكم بالنصر، وقد فعلت فى حقكم كذا وكذا، ولو لا حيلتى على ابن أخى

أيها الأرواح الشوارد بأعالى النيل، أيها الحافظون لأمجاد الإسلام بالوادى السحيق، هل تعرفون مكانتكم فى أنفس المصريين؟

لذلك حديث وأحاديث، فانتظروا قليلاً، فسأقصّ من أخباركم ما تجهلون

أيها الشاعر الذى حيّا مصر، حيّاك الله وحيّاك ثم حيّاك، فقد طوّقت جيد مصر بقلائد صيغت من حبات القلوب

أهذا شعرٌ أم سِحر؟

هو فوق الشعر وفوق السحر، هو إلهامٌ جادت فطرةٌ كريمة الأصل، فى بلادٍ أبناؤها أصلاء

وإلى الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد تحيتى وثنائى، فهو الذى حمل إلىّ هذا القصيد، كما يحمل النسيم رسائل المحبوب إلى الحبيب

زكى مبارك

لما انهزم منكم ، وقد ظفرتم الآن ، ونحن نسلم إليكم على شرط أنكم لا تتعرضون لنا ولا تمدون أيديكم لنا بسوء ، ومن أراد منا أن يبقى على دينه يؤدى الجزية ، ومن أراد أن يتبعكم يتبعكم . فقال له معاذ بن جبل : قد نصرنا الله على الكفار بصدق نياتنا وصالح أعمالنا واتباعنا للحق ، وإنا ما قلنا قولاً إلا وفيناه ، ولا استعملنا الغدر ولا المكر ، وأنتم لكم الأمان على أنفسكم وأموالكم وحريمكم وأولادكم ، ومن بقى منكم على دينه فلن نكرهه ومن اتبع ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا . فلما سمع أرجانوس ذلك نزل إليهم بالمفاتيح ، فأمنوه وأمنوا من كان معه فى القصر ، وجمعوا أكابر مصر ومشايخها ... »

فهل نعد ذلك مفاوضة ؟ لا شك فى ذلك . ولكن القصة كلها من أولها إلى آخرها موضوعة ليست فيها أثارة من صواب فقد قلنا من قبل إن القوقس لم يمت فى ذلك الوقت ، وإن اسم أرسطوليس لم يرد فى غير كتاب الواقدى ؛ ونقول الآن إن اسم أرجانوس لم نجده كذلك عند غير الواقدى . وليست بنا حاجة لتنفيذ هذه المفاوضة إلى القول بأن قصة العرب المتنصرة موضوعة وإننا لم نجدها فى غير كتاب الواقدى .

* * *

فخلاصة القسم الأول من البحث أنه لم يصح عندنا إلا وقوع مفاوضتين : الأولى عند بلبيس بين عمرو وجماعة عليها أحد الأساقفة ، ولم يرد إلينا نص ما دار فى هذه المفاوضة . والثانية فى جزيرة الروضة أثناء حصار حصن بابليون بين القوقس وعبادة ابن الصامت ، وقد ورد إلينا ما يقول مؤرخو العرب إنه دار فى هذه المفاوضة ، ولكننا لا نظن أن الذى نقله إلينا هؤلاء هو ما دار فى هذه المفاوضة بالضبط ، وإن كنا لا نشك فى أنه لا يختلف عنه من حيث الروح المسيطرة على الطرفين المتفاوضين

فلنشرع إذن فى القسم الثانى من البحث فى تلمس هذه الروح فى ما نقله إلينا مؤرخو العرب وتنسمها منه

القسم الثانى

كان عبادة بن الصامت وأصحابه تسيطر عليهم تلك الروح التى كانت تسيطر على العرب جميعهم فى ذلك الوقت : الانصراف عن الدنيا وأعراضها وملذاتها ، تلك الدنيا التى طلقوها ونبذوها وخلفوها ظهريًا ؛ ثم السعى إلى لقاء الله تعالى والاستشهاد فى سبيله والظفر بجنته ونعيم آخرته

وكان عبادة بن الصامت وأصحابه لا يجدون ما يصلح أساساً للمفاوضة بينهم وبين القوقس وأصحابه غير هذه الثلاث الخصال : إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال . ذلك لأنها الأساس الوحيد الذى يرضى به المسلم المعمور القلب بالإيمان الخالص الضمير من أعراض الدنيا الموطن النفس على الاستشهاد

أما القوقس فكان فى أول الأمر تسيطر عليه نزعتان : الأولى هى خوف العرب وخشيتهم . والثانية هى الحرص على سلطان هرقل من أن يزول عن مصر . ولذلك وجدناه يصطنع الحيلة لصرف هؤلاء العرب عن البلاد ؛ فيأخذ فى تخويف عبادة وصحبه من جموع الروم التى تتجمع للقائهم وتوشك أن تنقضّ عليهم فلا يستطيعون لها ردا ، ويأخذ فى إظهار شفقته على هؤلاء العرب الذين يقاسون شظف العيش وضيق الحياة ، ثم يأخذ أخيراً يقول : «ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار »

ولكن عند ما يدرك أن العرب قوم ليسوا كالأقوام وأناس ليسوا كالأناسىّ ، وأنهم قد طلّقوا الدنيا فلا يرضيهم منها إلا شظف العيش وضيق الحياة ، وأنهم يتمنون لقاء الروم الذين يوشكون أن ينقضوا عليهم ليظفروا بالشهادة إن غُلبوا أو ليُعلوا منار الإسلام إن غَلبوا ، عند ما يدرك ذلك تغلب عليه نزعة الخوف والرهبة ، وينصح لأصحابه أن يسلموا البلاد للعرب ويدفعوا الجزية

ولكن أصحاب القوقس كانوا قوماً لا يرضون الخروج من دين ابن مريم إلى دين لا يعرفونه ، ولا تطيب نفوسهم بأن يذلوا ويهونوا ، ولا يرون إلا القتال سبيلاً لهم . لذلك رفضوا نصح القوقس وعادوا إلى القتال

* * *

هذه هي الروح المسيطرة على الطرفين المتفاوضين . ولكنا لا نحب أن نختم البحث قبل أن نقول إنها الروح المسيطرة على العرب والروم ؛ فقد كان القوقس رومياً (بتلر ، اللحقان ٣ و٧ من كتابه) ، وكان أصحابه روماً . أما القبط فلم يكن لهم اشتراك فى سياسة البلاد ومفاوضة الغزاة ، فقد كان القوقس (قيرس) لا يزال على عهده العدو الأكبر لمذهب القبط (بتلر ص ٢٢٠، ٢٢١)

(تم البحث)

السيد يعقوب بكر

زواج الأدباء ... (*)

للمغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

... أما احتراف الأدب، والكتابة فى الصحف، ومعالجة الشعر، فهذه فى الشرق ضروب من الفقر — كما هى ضروب من الحرفة — غير أنه فقر عاقل مميز يذهب بنفسه إلى السمو، وينزع إلى الحق، ويستنكف أن ينحط إلى منزلة الفقر العامى الجاهل ... !

فالحوذى، والكناس، والمتسول، وأمثالهم من هؤلاء الذين يضطربون فى معاشهم اضطراب الكرة الأرضية، يقطعون كل أربع وعشرين ساعة دورة حول أنفسهم ... هؤلاء يتزوجون إذ لا يتورعون أن يظلموا المرأة، وأن يزيدوها من فقرهم فقراً، ومن قلهم قلّة؛ ثم هم لا يبالون حاجتها من الحياة، ولكن حاجتهم منها هي ...

***

فالمرأة عندهم وظيفة حياةٍ طبيعية لا يشترط فيها إلا شرط الغريزة والعادة الاجتماعية. وفى طبقاتها فى النساء من لا يصلحن إلا لهم؛ وقد أعدتهن رحمة الله إعداداً طبيعياً، وأمدتهن بنفوس صابرة قوية ... فنها أن تعمل وترضى وتنقاد

إذ الرجل عندهن هو الجواد الأخير فى عربة الحياة ... ومتى فرشت دار الفقير بحصير فهذا هو بساطها وسجادها الفاخر!

***

بيد أن الشاعر والأديب وكاتب الصحف لا يريدون على فقرهم إلا البساط والسجاد الفاخر والحشايا ... !

فهؤلاء فقرهم هو الفقر، ما دام لأنفسهم، فإن اتصل بالمرأة التى تصلح زوجة لهم — أو تكون قريبة من أن تصلح — لم يكن فقراً فحسب، بل فقراً وظلماً وبلاء إنسانيًّا أسود ... ومن ثم لا يتزوجون. وهذه ناحية من العدل فى ذلك الفقر العاقل المميز الذى يحترف الأدب والشعر والفلسفة والكتابة فى الصحف ... فليس هنا طبيعة عبقرية ولا شعر، وإنما ذاك عمل النفس الطيبة لا غير ... !

***

ولكنك واجد منهم من ينتحل العبقرية، ويقلد الشاعر الفحل والعبقرى الكريم. وهذا شخص مضحك فإن الملك لا يكون بالتمثيل على خشبة المسرح. أما الشاعر الحق والعبقرى الصحيح، فكلاهما واحد من ثلاثة:

الأول — أن يكون من مؤنثى الرجال، قد خلق كذلك، أو عرضت له آفة تنقص الفحولة فيه أو تمحقها محقاً ... وهذا معه عذره البيّن

والثانى — أن يكون رجلاً قد طغت فيه الحياة طغيانها العصبى الشديد المجتاح، ثم يكون الفن طاغياً فيه طغيانه الخيالى المنيف المتمرد — وهذا لا يصلح زوجاً ولا تصلح الزوجة له؛ فإنه إنما يريد المرأة المغِلَّة، كأنها ضيْعة من الفن الحىّ تُغِلُّ عليه من ريعها وثمراتها ... وقد أبى الشيطان لعنه الله أن تكون المرأة المغلة فى الفن إلا امرأةً محرَّمة ... ومتى كان الشيطان فى الأمر استطاع أن يجعل لكل امرأة فنا على حدة ... !

ومن ههنا فسوق الكتاب والكثرة من العباقرة. وهذا سر تعزبهم وانصرافهم عن الزواج أو انصراف الزواج عنهم. وهؤلاء بركة على الفن، ولكنهم بلاء على الدين، وعلى الفضيلة، وعلى النسل، وعلى الإنسانية كلها ... ومن سخرية الحياة بهم أن يكون العبقرى العظيم فيهم هو من ناحية أخرى الحيوان العظيم ... ! وليس إبليس مغفلاً ولا أحمق فيتخذ له أدوات من المساجد والكنائس، ويشتغل ببيع السبَح والتعاويذ للمصلين، بل هو كما يتخذ المرأة من الومسات فى موضعها ... يتخذ الرجل من أولئك فى موضعه أيضاً. وهذا شأن ظاهر

***

أما الثالث — فى رأيى أنه خير الأزواج جميعاً — ولن تجد المرأة خيراً منه وهو العبقرى إذا كان تام الفحولة، وكان ذا دين يمسكه وضمير يردعه، فهذا يكون الحيوان الذى فيه قيده، ويكون شذوذه كالليل الممتاز من ليالى الشهر يأتى ظلامه وفيه البدر

نعم إن هذا العبقرى قد يخسر أشياء من وسائل الفن، ولكنه مستعيض عنها بخياله، ويشعر بها محروماً أكثر مما لو نالها. ثم إن الفن ليس فى جميع أدواره وأغراضه تخنثاً للحياة ولا تفككا وخلاعة ورقاعة

هناك ما هو أسمى من كل أعمال العبقرى ... هو إيجاد فضيلة عبقرية ... !

مصطفى صادق الرافعي

(*) أرسل إلينا هذه القطعة الأديب نعمان أحمد عسكرية ولم يذكر فى رسالته من أين نقلها

من وثبات العبقرية

٥ ـ نظام الضرائب فى الاسلام

للأستاذ على حسين الوردى

خراج الأرض وجزية الرؤوس

اختلف علماء المالية حول ضريبة الأرض ، فمنهم من استحسن فرض المبلغ المعين على الوحدة من مساحة الأرض ليؤخذ من غير زيادة أو نقصان عاماً بعد عام

يقول أنصار هذا الرأى بأن تمسح الأراضى — فى أول الأمر — مسحاً عادلاً متقناً ، ثم تصنف بعد ذلك على أنواع حسب خصوبة التربة ، أو طريقة سقيها ونوع الزرع فيها ؛ ثم توضع الضريبة على كل نوع من هذه الأنواع ، فيكون مقدار الضريبة كبيراً أو صغيراً تبعاً لما اعتادت الأرض أن تعطى من ريع ضخم أو ريع ضئيل

ومن العلماء من يخالف هذا الرأى كل المخالفة ويدلى بالحجج على بطلانه أو المضرة التى تنتج عن اتباعه

ومن رأى هؤلاء ألا ينظر إلى مساحة الأرض بشئ من الاهتمام ، إنما الواجب — على قولهم — هو أن تؤخذ الضريبة نسبةً محدودة من إنتاج الأرض كل سنة

وإنهم بهذا يفندون الرأى الأول ، إذ يرون من الظلم أن يفرض المقدار الثابت على جريب الأرض سنة بعد سنة ، بينما نجد الزراعة لا تنتج مقداراً ثابتاً على توالى السنين ؛ فقد يأتى المحل على أرضٍ فى موسم ، ثم يأتى جباة الحكومة — وفيهم الغاشمون والطامعون — ليأخذوا نفس المبلغ الذى كانوا يأخذونه فى أيام الرخاء . أو قد يأتى — على العكس — عهد الخير والإنتاج الوفير ، ثم لا تستطيع الحكومة أن تجبى منه مبلغاً كبيراً ، فهى تجبى المبلغ المعين على جريب الأرض ، سواء أكان الإنتاج فى تلك السنة قليلاً أم كثيراً

وما دامت الزراعة تتبع فى إنتاجها تقلبات الطبيعة من رياح وحرارة وأمواه ، فليس من العدل إذن أن تفرض الضريبة ثابتةً متساويةً فى جميع السنين

أما أرباب الرأى الأول فهم لا يردون هذا الاعتراض القوى ، وكأنهم يعترفون بصحته ضمناً ، أو لعلهم لا يستطيعون له رداً ؛ ولكنهم مع ذلك يقولون إن الضريبة الثابتة لها من المحاسن ما يوازن تلك السيئة أو ينيف عليها ؛ خصوصاً إذا كانت الأرض منتظمة الخصوبة تابعة لنظام محكم من الرى أو عناية مستمرة من الحكومة ، إذ يكون الإنتاج آنئذ متناسق المقدار فى أغلب السنين

ومن حسنات الضريبة الثابتة ، كما يقولون ، أنها تشجع الإنتاج ، وتحرض أصحاب الأراضى على الزراعة

فهم يعتقدون أن بعض أصحاب الأراضى من الأغنياء قد يتقاعسون عن زراعة أرضهم حباً للراحة أو ضيقا من الضريبة إذا كانت الضريبة مفروضة على الإنتاج . وقد يجرؤ كذلك بعض من يملكون الأراضى فى المدن وضواحيها ، فيتركونها بوراً سنوات عديدة ، احتكاراً لها وانتظاراً للأسعار العالية فيها .

أما إذا وضعت الضريبة على مساحة الأرض ، سواء زرعت أم لم تزرع ، فسيضطر أولئك المالكون المترفون إلى عمارتها أو بيعها ، هرباً من دفع الضريبة كل عام عبثاً ، وبذلك يزداد إنتاج الأمة وتتقدم اقتصادياتنا تقدماً مبيناً

* * *

هذه خلاصة ما قام حول ضريبة الأرض من جدال . وقد يستغرب القارئ إذا علم أن هذا الجدال كان له مثيل فى عهود الإسلام الأولى ، ولعله سيعجب حين يرى أغلب البراهين التى يدلى بها علماء اليوم فى تأييد كل من ذينك الرأيين ، قد سبق ذكرها فى كتب فقهائنا الأقدمين رضى الله عنهم

ولهذه المسألة فى الإسلام قصة شيقة نلخصها فيما يلى :

عند ما فتح المسلمون أرض العراق جمع عمر لجنة من أولى الرأى ، منهم على بن أبى طالب ، وعثمان ، وطلحة ... للتشاور فى أمر الأراضى المفتوحة

وقد قرّ الرأى أخيراً على مسح الأرض . فأرسل عمر عثمان ابن حنيف لمساحة أرض الفرات ، وحذيفة بن اليمان لمساحة جوخى فيما وراء دجلة

وكان عثمان عالماً بالخراج فمسحها مساحة الديباج ، أما حذيفة فقد لعب به أهل جوخى فى مساحته إذ كانوا قوماً مناكير[١]

وجعل عثمان على جريب العنب عشرة دراهم ، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب القصب ستة ، وعلى جريب الحنطة أربعة ، وعلى جريب الشعير دوهمين[٢]

ووقف عمر على عامليه قبيل وفاته فقال لهما : لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق ؟

فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هى له مطيقة ولو شئت لأضعفت أرضاً . وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هى له محتملة وما فيها كثير فضل . فقال عمر : انظرا لا تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق[٣] ...

وجرت سياسة الإسلام على هذا المنوال من فرض الخراج الثابت على كل جريب مزروع أو غير مزروع ، حتى عهد الخليفة هرون الرشيد . فلقد سأل هذا الخليفة الفقيه أبا يوسف عن أمر الخراج ، وكان من رأى أبى يوسف العدول عن الخراج الثابت إلى خراج المقاسمة فى الإنتاج وهو ما يقول به الرأي الثانى من الرأيين اللذين سلفا . وقد رد أبو يوسف على ما يقول به الفريق الأول من أن الخراج الثابت يزيد إنتاج الأمة ويدعو الزراع إلى عمارة الأرض الغامرة : « ... فأما ما تعطل منذ مائة سنة أو أكثر وأقل فليس يمكن عمارته ولا استخراجه فى قريب ولمن يعمر ذلك حاجة إلى مؤونة ونفقة لا تمكنه ، فهذا عذرنا فى ترك عمارة ما قد تعطل ، فرأيت أن وظيفة الطعام — كيلاً مسمى أو دراهم مسماة توضع عليهم مختلفاً — فيه ضرر على السلطان وعلى بيت المال ، وفيه مثل ذلك على أهل الخراج بعضهم من بعض »[٤]

ثم يبدأ أبو يوسف بانتقاد الخراج الثابت على ما سبق ذكره من اختلاف المواسم : « أما وظيفة الطعام ، فإن كان رخص فاحش لم يكتف السلطان بالذى وظف عليهم ولم يطب نفساً بالحط عنهم ، ولم يقو بذلك الجنود ولم تشحن به الثغور . وإن كان غلاء فاحش لا يطيب السلطان نفساً بترك ما يستفضل من أهل الخراج من ذلك . والرخص والغلاء بيد الله تعالى لا يقومان على أمر واحد . وكذلك وظيفة الدراهم مع أشياء كثيرة تدخل فى ذلك تفسيرها يطول ... »

« ورأيت أبقى الله أمير المؤمنين ، أن يقاسم من عمل الحنطة والشعير من أهل السواد جميعاً على خمسين للسيح منه ؛ وأما الدوالى فعلى خمس ونصف ، وأما النخل والكرم والرطاب والبساتين فعلى الثلث ، وأما غلال الصيف فعلى الربع ؛ ولا يؤخذ بالخرص فى شيء من ذلك » ؛ إنما تكون المقاسمات فى الثمرة عندما يباع من التجار ، أو يقوّم ذلك قيمة عادلة ، ثم يؤخذ منهم ما يلزمهم فيه[١]

جزية الرءوس

استعملت هذه الضريبة قديماً فى جميع الدول ، فلقد جباها الفراعنة واليونان والفرس ، ثم الرومان والعرب من بعدهم . وهى لا تزال تجبي اليوم على نطاق مصغر فى بعض البلاد المتمدنة ، أو هى قد اتخذت فى أغلب الأمم الحديثة شكلاً جديداً أو اسماً غير اسمها القديم . ومؤيدو هذه الضريبة يقولون بوجوب فرضها على جميع الناس ، لكى يشعر كل فرد من الأمة بأنه عضو فعال فى دولته ، وأن عليه مسؤولية نحوها كمسؤولية عضو الأسرة نحو الأسرة .

وهؤلاء المؤيدون يرون أن قسما كبيراً من الشعب لا يؤدون إلى الحكومة ضرائب مباشرة ، وهم لذلك لا يشعرون بشيء من الصلة التى تربطهم بالدولة ارتباط الضرورة الاجتماعية

وعلى هذا ينبني وضع الضرائب مباشرة على كل رأس ليتم بذلك الترابط الاجتماعى المنشود

وليس من العدل كذلك أن يشترك فى حكم البلاد كل الأفراد ، ثم لا يؤخذ من بعضهم قسط من النفقات اللازمة لتدبير الأمور العامة

إن مشروعية الجزية مستندة إلى حماية الحياة التى هى أهم وظائف الدول وأكثرها حاجة إلى الإنفاق . إذ يجب حفظ

(١) أبو يوسف ، الخراج (المطبعة السلفية ص ٤٥)
(٢) الأموال لأبى عبيد القاسم (ص ٦٩)
(٣) يحيى بن آدم القرشى ، الخراج (المطبعة السلفية ص ٧٦٠)
(٤) الخراج لأبى يوسف (المطبعة السلفية . ص : ٥٧)

(١) الخراج لأبى يوسف (ص : ٥٩)

الأمن العام ، الداخلى والخارجى ، وعقاب المجرمين والمعتدين[١]

ولا يزال بعض المؤلفين المحدثين يدافعون عن جزية الرءوس بقولهم : « ما دامت الحكومة الديمقراطية يشترك فى إدارتها كل ناخب ، فيجب إذن أن يفرض على جميع الناخبين جزية مباشرة ، مهما كانت صغيرة ، إذ لا يمكن أن تضطلع بأعباء الضرائب طبقة من الناس بينما تضطلع بالحكم طبقة أخرى »[٢]

وها هى ذى بعض ولايات سويسره والولايات المتحدة الأمريكية ، قد فرضت ضريبة يسيرة على الرؤوس لتكون بدلاً عما أعطى الفرد من حق التصويت أو الانتخاب[٣]

* * *

وفى الحقيقة أن الجزية لها من المزايا ما جعلها محببة إلى الجباة فى كل حين . ذلك أنها سهلة فى إدارتها كل السهولة ، وافرة المحصول هينة الجباية . وما هى إلا أن يختم على رقاب الناس أو تسجل أسماؤهم ، ثم لا يترك الشخص كل عام حتى يدفع ما عليه من ضريبة وهو من الصاغرين

وفى هذه المناسبة ، يجب ألا ننسى أن التجنيد الإجبارى المتبع اليوم فى جميع أنحاء العالم ، ما هو إلا صورة من صور الجزية حيث يقدم الفرد عوضاً عن الضريبة النقدية ضريبة من الخدمة البدنية والمخاطرة بالنفس . ولذا سمى التجنيد « بضريبة الدم » .

تؤخذ الجزية على أنواع مختلفة : منها أن تكون متساوية المقدار على الجميع ، لا فرق فيها بين غنى وفقير ، أو بين ذكر وأنثى . وحجتهم فى هذا الرأى أن الحكومة مكلفة بحماية الأرواح وأرواح الناس جميعاً ذات قيمة واحدة ، فمن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً ، ولذلك تؤخذ الجزية متساوية من الجميع

وعلى رغم ما فى هذه النظرية من رونق خاص ، فإنها بعيدة عن العدل بعداً لا يخفى على اللبيب ، ولذا فضلت عليها الطريقة الثانية التى يميز فيها بين شخص وآخر حسب مقدرته أو غنائه

وهذه الطريقة هى التى اتبعها الإسلام فى أهل الذمة إذ فرض ثمانية وأربعين درهما على الغنى ، وأربعة وعشرين على الوسط ، ثم اثنى عشر على الحرّاث أو العامل بيده مثل الخيّاط والصباغ والإسكاف والجزّار . ولم تؤخذ الجزية من النساء والصبيان ولا من المسكين الذى يتصدق عليه ، ولا من الأعمى والزمن والمقعد إذ كانوا لا يملكون حرفة ولا يساراً[١]

وأيما شيخ من أهل الذمة ضعيف عن العمل أو أصابته آفة ، أو كان غنياً فافتقر ... طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين[٢]

وبعد فيجب ألا يغرب عن ذهن القارئ أن الجزية والخراج اللذين ذكرنا من أمرهما شيئاً ، لم يضعهما الإسلام إلا على الذميين ، وهم أهل الكتاب والمجوس وغيرهم من الذين وقعوا تحت سيطرة الإسلام ثم آثروا البقاء على دينهم .

وهنا نعرض لمسألة خاض فيها الباحثون طويلاً وذهبوا فيها كل مذهب :

إذا دققنا فى أمر الضرائب هذه التى فرضت على أهل الذمة ، وقارناها بالضرائب التى فرضت على المسلمين ــ أى الزكاة ــ وجدنا ثمت فرقاً كبيراً . إذ إن الزكاة كانت خفيفة جداً بالنسبة لما فرض على غير المسلمين . فالإسلام كان يأخذ من أتباعه ما يقارب ربع العشر على ما بأيديهم من أنعام وأموال وزراعة ، بينما أخذ من الذميين الثلث والربع إضافة إلى الجزية على الرءوس .

فهل فى هذا عدل من الوجهة العلمية الحديثة ؟

إن الحكومة الحديثة تفرض الآن على الناس جميعاً ضريبة الدم ، وهى فى الحقيقة أضخم وأكبر تضحية من جميع الضرائب . والإسلام كذلك أوجب الجهاد على أتباعه واستوفى منهم تلك الضريبة الهائلة التى ليس لها مثيل . فإذا علمنا بأنه استثنى الذميين من تلك الضريبة وأمر أتباعه أمراً مؤكداً « بأن يوفى لهم بعدهم ويقاتل من ورائهم وألا يُكلّفوا فوق طاقتهم[٣] » ، فليس إذن من العجب أن نراه يعاملهم فى الضرائب الأخرى معاملة أخرى . ولعل الإسلام لم يرغب فى أن يفرض ضريبة الدم على غير أتباعه ، كما فعل كثير من الدول قديماً وحديثاً ، وكأنه كان حريصاً على أن تكون ضريبة الدم وغيرها من الضرائب الأخرى مدفوعة بعامل من رضا النفس وارتياح الضمير .

(الكاظمية — العراق) **على حسين الوردى**

(١) موجز فى علم المالية فارس الخورى (ص : ٢١٥)

(٢) Nitti, Principes de Science des Finances P. 422

(٣) أصول علم المالية العامة للدكتور زكى عبد المتعال (الطبعة الأولى ص : ٢٠٨)

(١) الخراج ، أبو يوسف (ص ١٤٧)

(٢) « « (ص ١٧٢)

(٣) الخراج ، يحيى بن آدم القرشى (المطبعة السلفية ص : ٧٤)

البيئة العلمية

للأستاذ خليل السالم

يشيع التفاؤل والأمل فى نفوسنا كما نجد الباحثين يشيرون إلى المشكلة العلمية فى البلاد ، ويحضون على نشر الثقافة العلمية وتنظيمها التنظيم المنتج . والحس الجديد بخطورة العلم وأثره فى كيان الأمة وليد التأثر بروح العصر ، ونتيجة الإدراك الواعى لنزعات النهضة العالمية الحاضرة التى يرفع العلم عمادها ، ويكيّف وجهاتها بصرف النظر عن النكسات التى تمنى بها المدنية ، والتى لا يمكن أن يعد العلم مسئولاً عنها بأى شكل كان . وهذا الشعور بالنقص العلمى ، والفوضى التى نتخبط فيها سيحفزنا دون ريب لاستعجال العلاج ، ولبذل الجهد الأكبر لحل مشكلاتنا حلاً سريعاً حاسماً .

هل العقم فى الاختراع والابتكار والاكتشاف متأصل فى العقل العربى ، أو هو وليد ظروف قاهرة إن زالت تفرد هذا العقل فى التفكير والأداء ؟ لماذا نحجم عن ارتياد الأبحاث العالية التى تملأ كتب الغرب ومجلاتهم ، ونكتفى بالتغلغل الأدبى فى بواطن الأمور ؟

كيف نكوّن رأياً علمياً هاماً وفلسفة قومية شاملة ؟ هل فى بلادنا من الإمكانيات العلمية ما لو انتقل من حيز القوة إلى حيز الفعل رفعها إلى مصاف الأمم الراقية كانجلترا وألمانيا وروسيا مثلاً ؟ هل تصلح بلادنا ليترعرع فيها العلم فى تربة خصبة ، وجو مناسب ، وعوامل طبيعية صالحة ؟ ما هى أخصر الوسائل لخلق مثل هذه البيئة العلمية ؟

هذه مسائل أساسية أذكرها دون ترابط فيما بينها لأقول إن الخوض فى مثلها واجب مفروض على كل متخصص يستطيع الإجابة الوافية المطلوبة . وبحثى هذا محاولة سريعة لشرح الدعائم التى ترتكز عليها البيئة العلمية . وأنا إن قصدت فى هذا البحث وجهة خاصة فذلك ما يفرضه الوسط العلمى الموبوء الذى نعيش فيه ، والصورة المثالية للوسط العلمى السليم الذى ننشده .

وقبل أن أبدأ أجدنى مضطراً لذكر ملاحظة قد تكون من تحصيل الحاصل ؛ ولكن لا بد منها لتمحو بعض ما علق بنفوس مريضة بداء الشعور بالحقارة ، فتتنكر على الأمة كل كفاية علمية ، وتكفر بماضيها المجيد ، ومن ثم لا تؤمن بمستقبلها أى إيمان . مثل هذه الفئة من الناس يجب أن تفهم بأن العلم لم يكن ولن يكون وقفاً على أمة بعينها بحيث تعدم الأمم الأخرى كل القوى الخلاقة فى الاستنباط والاستكشاف والتفوق ؛ فالتراث العلمى العالمي مزيج متآلف العناصر لكل الأمم شأن عظيم أو صغير فى تقديم هذه العناصر أو تكييفها بشكل ما . إن مشعل العلم ينتقل من أمة إلى أخرى ، وإذن لا يكون من الأمانة التاريخية أن تدعى أمة من الأمم السبق والفضل فى أحد ميادين المعرفة . نحن لا ننكر أن الأمة العربية فى القرون الأخيرة لم تحمل قسطها من الواجب العلمي ، ولكن هذه الحقيقة لا تمنعها من أن تنشئ لها من جديد حضارة علمية مستقلة الطابع ، وافرة الإنتاج .

تقف الصناعة فى طليعة العوامل الرئيسية التى تفعل فى خلق البيئة العلمية ، فحيثما كانت الصناعة نجد العلم ربيباً لها فى طور ، ورائداً لها في طور آخر . وتطور الصناعة يرافقه دائماً تطور فى العلم وارتقاء فى سبل الاختراع والاكتشاف ، كما أن تقدم الصناعة مظهر من أقوى مظاهر تقدم العلم . وبمعنى آخر ، يعتمد العلم والصناعة كل على الآخر كالدوال الجبرية ، أى زيادة فى قيمة التغير الأول تزيد فى قيمة التغير الآخر والعكس بالعكس

قد نرى أن كثيراً من الأبحاث الرائجة اليوم لا تحمل فى ذاتها طابع النفعية والاستثمار ، ولكننا لا نحكم عليها حكما نهائياً بذلك ، فربما تؤدى أخيراً إلى تطبيق عملى واسع ، وتخدم الإنسانية خدمة مخلصة . فمن كان يدرى مثلاً أن أبحاث فاراداى النظرية المحض حول علاقة الكهرباء بالمغناطيس ستقود إلى اكتشاف المحرك والمولد ؟ حتى عند ما لا تدخل هذه الأبحاث فى نطاق التطبيق فيكفيها أنها تزيد المعرفة ، وتفتق ضروباً جديدة من الفهم لأسرار الكون وحقائقه

ولما قدرت الصناعة أثر العلم الكبير في تقدمها وكمالها ، روجت بضاعة العلم . فالمصانع تشترى العلماء ، وتبنى لهم المخترعات الواسعة وتجهزهم بالآلات الدقيقة ، وتبذل فى سبيل البحث أموالاً طائلة ، سواء كان البحث مقصوداً لذاته ، أو مقصوداً لمنفعة المصنع . وبذا خلقت عدداً من العلماء الأفذاذ الذين يعود التقدم الصناعى إلى مهارتهم ونباهتهم وقوة ابتكارهم . يقول الأستاذ هكسلى ما معناه : « إذا استطاعت الأمة أن تبتاع رجلاً مثل « وط »

أو ديفي أو فاراداي بمائة ألف جنيه كان عملها صفقة رابحة »

إلا أن الصناعة العربية لم تقف على قدميها بعد ، وهي متلمسة طريقها بيديها ، فلا يمكننا الاعتماد إذن على هـذا الركن الأساسي في خلق البيئة العلمية الصالحة . وعلى النقيض نؤمن بأن على العلم أن يشجع الصناعة وينير أمامها السبل ، ويخلق الوسط الصناعي الخصب ، فإمكانيات البلاد الصناعية واسعة النطاق ومواردها موفورة الغنى وإنما تعوزها القرائح الكبيرة تستغلها بشكل علمي دقيق وعلى نظام اقتصادي مثمر

لا يقل أثر الدولة في تأمين البيئة العلمية عن أثر الصناعة إن لم يزد عليه . وقف البرنس ألبرت زوج الملكة فكتوريا يقول في خطبة الرياسة للجمعية الملكية سنة ١٨٥٩ « قد يحق لنا أن نرجو أننا بانتشار العلوم التدريجي وتزايد الاعتراف به كجزء جوهري من ارتقائنا الوطني ـ نجد رجل الحكومة والجمهور بنوع عام يعترفون أن العلم حقيق باهتمامهم فسيترفع عن التسول ويخاطب الحكومة كما يخاطب ولد عزيز والده واثقاً أنه يجيبه إلى ما فيه نفعه ؛ وأن الحكومة تجد في العلم ركناً من أركان قوتها وفلاحها ، وإن مصلحتها الذاتية تضطرها لتعزيزه »

وقال الرئيس هوفر « إن علماءنا أغلى مقتنياتنا القومية التي نملكها ، وكل مبلغ ضئيل إزاء عمل هؤلاء الرجال . إننا لا نستطيع أن نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل أرباح البنوك في جميع أنحاء المعمورة »

بمثل هذه الروح يجب أن تبدأ الدولة نضالها في سبيل نشر الثقافة العلمية العالية . وواجب الحكومات عندنا ثقيل باهظ ، لأن الجمعيات العلمية ومعاهد التعليم والشركات الصناعية ورجال الإحسان يساهمون بقسط وافر من التعضيد والتشجيع في بلاد الغرب ، أما حكوماتنا فتقف وحدها في هذا النضال لا معين لها من الخارج

على الحكومة أن ترصد الأموال راضيـة مغتبطة دون أن تؤذيها خسارة ما ، فكل البذر لا ينمو ، لأن من الحب ما يقع على الصخور أو يلتقطه الطير ، ولكن أغلبه يلقى في التربة الصالحة . وإذا ما وكل هذا الإنفاق لرجال الاختصاص فلا شك أنهم يركزون عنايتهم في النواحي المفيدة الواضحة الأثر ، لأنهم سيعلمون حق العلم أن مواردنا لا تتحمل الإسراف والترف

على الحكومة أن تنشئ المختبرات في الطبيعة والكيمياء وعلم الحياة والطب ، وعلوم الهندسة المدنيـة والكهربائية والميكانيكية ... الخ ؛ وتجهز هذه المختبرات بالآلات العلمية الدقيقة التي أصبحت ضرورتها كضرورة العقل العلمي نفسه ؛ ثم تسلم هـذه المختبرات إلى العلماء المختصين المشهود لهم من الجامعات الغربية والقومية بالتفوق والنبوغ

وتستطيع الحكومة أن تنشئ جمعية علمية خاصة بها تضم العلماء الذين قدموا للعلم والإنسانية خدمات كبيرة تعترف بها المجامع العالمية ؛ وتساعد تشكيل الجمعيات العلمية الأخرى ، وتمدها في أول عهدها بالمال اللازم لحياتها واطراد تقدمها . ولعل من أقوى مظاهر التنظيم أن يكون المجمع اللغوي واقفاً على كل المصطلحات الجديدة ، قائماً من فوضى الترجمات المتباينة ومشجعاً على نقل الكتب الحية من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية ، وناشراً هذه الكتب بأثمان لا تبهظ المثقف العادي .

بيد الحكومة إرسال البعثات إلى الجامعات الكبرى ، وبيدها قضية تبادل الأساتذة والعلماء ، وبيـدها الاشتراك في المؤتمرات العلمية والثقافية ؛ وهذه أسباب قوية في تطعيم الثقافات وبعث روح جديد في الوسط العلمي .

وهي ترسم الخطط لترويج الثقافة العلمية في المدارس على الوجه الأخص وفي الأمة على الوجه الأعم . ولعل هذا الجهد أجدى ما يمكن أن تقدمه الحكومة لمساعدة العلم ، وفي الوقت نفسه لا يكلف خزانتها ثمناً باهظاً . فهي تستطيع أن تعدل المناهج وتقرر الأصول ، وترشد إلى أنجع الطرق التربيوية التي تشوق الطلاب وتصرفهم إلى حياة علمية قبل أن تلقنهم الحقائق العلمية . تستطيع كل هذا دون أن تضيف إلى الميزانية شيئاً جديداً .

أما بين أفراد الأمة ، فإننا لا نستطيع أن نؤمن بالوسط الصالح إلا إذا أقبل الرأي العام على العلم بشغف ونهم ؛ والمجلات العلمية المتزنة ، والمحاضرات المجانية في قاعات الجامعات والمدارس ومن وراء المذياع تمجب الجمهور ، لأن العلم يتسع لكثير من المحاضرات التي تتملق الرأي العام وتثير في ذهنه مشاكل نهائية حيوية ، لا يصبر عقله عن البحث الطويل لفهم حلولها وتفسيراتها

وقصارى القول أن تعزز السلطة للعلم واحترامها للعلماء يبعثان في الجمهور تقدير العلماء وإكبارهم دون تعليق على قيمة أبحاثهم سواء كانت سياحة في أعماق الفضاء ، أو استنطاقاً لأسرار الذرة .

وتبقى شخصية العالم لتكون دعامة ثالثة قوية فى خلق البيئة العلمية ، فكما نجد كثيرين من العلماء خلقهم الظرف الحازب ، نجد عدداً كبيراً من العلماء خلقوا الظرف الملائم ، والوسط المناسب لانتشار آرائهم وذيوع أفكارهم . ولا يعوزنا الدليل بأن العربى موفور الذكاء مستعد بفطرته للاستنباط والتفوق إذا ما تساوت الأشياء ، وأمنت السبل .

سواء علينا أن نعتنق الفكرة الرأسمالية التى ترى أن الدوافع المادية القوية تخلق العلماء ، أو نعتنق الفكرة الاشتراكية التى ترى أن الرجال القادرين على الخلق والابتكار والتجديد ينفذون مآربهم بأى ثمن كان ويعملون بجد وحزم دون أمل فى مغنم أو خشية مغرم ؛ فاننا لا نستطيع إلا أن نحكم بأن تفكير العالم فى خبزه وحياته يعطل تفكيره ويشل إنتاجه . فمقدار التضحيات المبذولة فى سبيل العلم — مهما عظم هذا المقدار — لا يحملنا على الظن بأن رجال العلم رجال تضحية دائماً ولا يسعون من أجل المادة والمتاع الدنيوى . ولما كان حق الحياة وحق الحصول على مقوماتها متوقفين على خدمة الجماعة ، فأولى بالمسؤولين أن يضمنوا للعالم حياة راضية لأنهم أول من يقدر خدمة العالم للجماعة

لا يكون هناك شيء غريب فى أن يلقى العالم بعض المضايقات هنا ، فتاريخ العلم مفعم بمثل هذه المضايقات . لقد دمرت الغوغاء مختبر بريستلى ، وحُرِمَ جول من إجراء تجاربه لأن صوت الآلة كان يزعج أحد جيرانه ، وجُنَّ العالم ماير لأن الناس سخفوا آراءه الصادقة . وكم أصيبت حرية الفكر بصدمات عديدة نتعب ونُشْعِب إن حاولنا تقصيها وذكرها . ولكن جهد الحكومة المثمر سيقلل من هذه المضايقات ، ويهيء للعالم جواً رحباً تكون آفاق التفكير فيه واسعة مشرقة

نحن فى فجر عصر جديد يحملنا على التفكير السياسى ، والتفكير الاقتصادى ، والتفكير العلمى ، والتفكير الأخلاقى ، وبقدر ما نفكر ونستعد بقدر ما نستطيع أن نؤكد ذاتنا فى المعترك الأدبى

اخلقوا لنا بيئة علمية راقية تزيلوا بذلك أمراضاً كثيرة تنخر فى أجسامنا وتهدم من كياننا .

خليل السالم

٤١ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر — الأخلاق

يثير احترام المسلمين للقرآن الدهشة ؛ فهم يحرصون على ألا يكون المصحف أدنى الصدر سواء أكان محمولاً أم معلقاً. ويودعونه مكاناً مرتفعاً طاهراً ولا يضعون فوقه كتاباً ولا شيئاً آخر. ويقولون عادة عند الاقتباس منه : قال الله تعالى في كتابه العزيز. ويعتبرون غير لائق أن يلمس المصحف نصراني أو يهودي أو غير مؤمن بتعاليمه ، ولكن البعض يدفعه الجشع ، وإن ندر ذلك ، إلى بيعه إلى هؤلاء. ومن المحرم أيضاً أن يلمس المسلم القرآن ما لم يكن على طهر شرعي. ولهذا كثر ما يطبع قوله تعالى : (لا يمسه إلا المطهرون) فوق الغلاف. وتنطبق هذه الملاحظات عينها على أي شيء يكتب عليه كلام من القرآن. ومما يستحق الاعتبار مع ذلك أن ينقش على أكثر النقود العربية القديمة كلمات قرآنية أو الشهادة مع أنها سكت ليستعملها اليهود والنصارى مثل المسلمين. ولكني سمعت أن هذا الإجراء ملوم بشدة

وقد سألت مرة صديقاً مسلماً هل يعتبر التين موافقاً للصحة في مصر ؟ فأجاب : ألم يذكر التين في القرآن ؟ إن الله أقسم به في قوله : والتين والزيتون

لا شك أن المسلمين المحدثين أتقياء إلى حد الحماسة وإنما يعوزهم الثبات ونبذ الخرافات ، ويندر — على ما أعتقد — أن يوجد فيهم ملحدون حقاً. وهؤلاء لا يجرأون على إظهار إلحادهم خوفاً على حياتهم. وقد سمعت عن اثنين أو ثلاثة منهم ارتدوا عن دينهم بمخالطتهم الأوربيين مخالطة طويلة وثيقة. وقابلت ملحداً واحداً كانت له معي مناقشات طويلة. وقد ذكرت عرضاً في الفصول السابقة عادات كثيرة تبين الشعور الديني السائد بين مسلمي مصر. ويستعمل المتسولون في هذا البلد نداءات دينية سأذكر أمثلة منها فيما بعد. ويشبه هذه النداءات صياح باعة الخضر وغيرها. وقد أدهشني هتاف حارس الليل في الحي الذي سكنته أثناء زيارتي الأولى : « سبحان الملك الحي الذي لا ينام ولا يموت » ؛ ويصيح الحارس الحالي في الحي ذاته : « يا رب يا دائم ». ويمكنني أن أضيف أمثلة كثيرة أخرى توضح تدين الشعب الذي أحاول وصفه ، إلا أنه ينبغي أن أقرر هنا أن التدين ضعف كثيراً بين المسلمين ، فإنك لا تنفك تسمع منهم أثناء الحديث معهم مثل قولهم : « إنها نهاية الدنيا ! لقد تردى العالم في الكفر ». ويعتقدون أن حالة المسلمين الآن تدل على قرب النهاية. ويبين ما ذكرت في بعض عقائد الوهابيين على أنها عقائد المسلمين الأولين إلى أي حد كبير حاد المسلمون عن تعاليم القرآن كما بلغت أولاً.

يظهر الرجال — تحت تأثير إيمانهم بالقضاء والقدر — في أوقات الابتلاء صبراً مثالياً ، وبعد الحوادث المفجعة استسلاماً وتجلداً عجيبين يكادان يقربان من البلادة[1] ؛ ويعبرون عن أسفهم بقولهم متنهدين : « الله كريم ». أما النساء ، فهن على النقيض يبدين حزنهن بالإسراف في البكاء والصراخ. وبينما يلوم المسيحي نفسه بحق على كل حادث مكدر يظن أنه جلبه على نفسه أو كان يمكنه تجنبه ، يتمتع المسلم عند تقلبات الزمان وصروف الدهر بهدوء بال عجيب ، ولا ينفك مستسلماً عند دنو أجله فيصيح : « إنا لله وإنا إليه راجعون ». ويجيب من يستفسر عن حاله : « الحمد لله ... الله كريم ». ولا يمنع الإيمان بالقضاء والقدر المسلم مع ذلك من السعي إلى تحقيق غايته ؛ فإيمانه بالقدر ليس مطلقاً، ولا هو يجعله يهمل تجنب الخطر ، إذ حرم القرآن ذلك بقوله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ». غير أنه في بعض الأحوال كانتشار الطاعون وغيره من الأوبئة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين ألا يدخلوا مدينة موبوءة وألا يخرجوا منها. ويختلف المسلمون في جواز الحجر الصحي ، إلا أن عمومهم يرونه غير ملائم

ويجعل الإيمان بالقدر المسلم مجرداً من الادعاء بمعرفة أعماله المستقبلة أو أي حادثة آتية ، فلا يتحدث أبداً عما ينوي عمله أو يتوقع حدوثه دون أن يقول : « إن شاء الله » ؛ وكذلك

---

(١) وليس المسلمون مع ذلك بلداء كما يرى بعض السياح ، إذ أنه ليس من غير الشائع أن تراهم يبكون ، ولا يعتبرون إظهار الشعور هكذا تخنثاً ، بل يصورون أبطالهم في قصائدهم وأقاصيصهم ، يبكون عند الحزن الشديد.

عندما يروى واقعة سابقة غير محققة ، يقدم كلامه أو يختمه بقوله : « الله أعلم »

يتمتع المصريون بفضيلتى الجود والإحسان – اللتين يبثهما الدين فى قلوبهم – إلى درجة عالية . ولكن يبدو من تصرفهم أن انتظار الثواب فى الآخرة يحرضهم على الصدقة بقدر ما تحرضهم الشفقة ببنى جنسهم أو الرغبة المنزهة فى القيام بما يأمر الله . ويمكن من بعض الوجوه أن نعزو كثرة المتسولين فى القاهرة إلى ميل السكان إلى الإحسان .

ومن آثار هذه الفضيلة أيضاً إقامة السبل الجميلة التى نراها فى هذه المدينة ، والسبل الوضيعة فى القرى والحقول[1] . كان يسرني كثيراً أول اختلاطى بالمصريين أن أشاهد شفقتهم فى معاملة الحيوان وأن أرى البعض يجمع أطراف ثيابه المرسلة ليتحاشى لمس كلب ، ثم يقذف للحيوان الدنس قطعة من الخبز الذى يأكله . وكانت جرائم القتل والسرقة وغيرها نادرة حينئذ . ولكنى أجد اليوم أغلب المصريين قد انقلبوا إلى الأسوأ فى شفقتهم نحو الحيوان وبنى جنسهم . ويبدو لأول وهلة أن شدة الحكومة المفرطة قد أوجدت فى الشعب البغى والميل إلى الإجرام ، إلا أننى أميل إلى الظن بأن سلوك الأوربيين أفضى كثيراً إلى هذه النتيجة ، إذ لا أتذكر أننى رأيت قسوة فى معاملة الحيوان إلا حيث يسكن الفرنج أو حيث يترددون مثل الإسكندرية والقاهرة وطيبة . ويتقزز المرء من رؤية حمير النقل التعسة فى القاهرة ، فأكثرها مصاب بجروح قرمزية كالياقوت الجرى ، وتعقرها على الدوام حبال غليظة من مسد تربط بظهر البرذعة . وكثيراً ما يضرب الأطفال والرجال الكلاب فى الشوارع لمجرد اللهو . وكثيراً ما رأيت أطفالاً يلهون بمضايقة القطط التى كانت محبوبة كثيراً قبلاً[2] . وكانت جرائم السرقة والقتل

(١) وأكبر السبل فى القاهرة ما أقيم فى عهد الترك والمماليك

(٢) أعتقد أن من المناسب أن أذكر هنا أن لدى باعثاً قوياً على الاعتقاد بأن بركهاردت استفهم خطأ حينما ذكر (« فى الأمثال العربية » رقم ٣٩٣) أن الأطفال الشرقيين فى مصر وغيرها يعذبون الثعابين بوضعها فى كيس من الجلد ثم يلفون عليها جيراً يطفئونه بعد ذلك بالماء . ولم أجد واحداً سمع بهذه القسوة . وليس من الممكن أن يجرؤ الأولاد فى هذا البلد على وضع ثعبان فى كيس لأنهم يخشونه كثيراً أو أنهم يغرمون قروشاً كثيرة فى شراء كيس يتلفونه بهذه الطريقة وربما يشير المثل الذى بنيت عليه هذه الرواية إلى طريقة لقتل الثعابين لا اللهو بها .

تحدث أسبوعياً تقريباً أثناء الشهرين أو الثلاثة التالية لقدومى الثانى . وكان الحكام الترك يجورون على الفلاحين ولكن بعض هؤلاء منذ خلفوهم على الحكم فاقوهم فى الطغيان . والرأى العام أنهم ألعن من الأتراك[1]

ومع أنى أشاهد الآن على التوالى الكلاب الشريدة تضرب فى شوارع القاهرة وهى هادئة لا تضر ، فلا أزال أرى بعضهم يطعمونها وأغلبهم فقراء . ويوجد فى كل حى من أحياء المدينة أحواض صغيرة تملأ يومياً للكلاب . ويؤجر أصحاب الحوانيت فى شارع واحد سقاء لرش الشارع وملء أحواض الكلاب . ويوجد أيضاً حوض للكلاب عند كل دكان لبيع الشراب . ويمكن أن نذكر هنا أن كلاب القاهرة ، وقلما يكون لها صاحب ، تكون جماعات منظمة مختلفة تقصر كل منها نفسها على حى تطرد منه كل كلب دخيل . وهذه الحيوانات تكثر جداً فى القاهرة . وهى تحرص على العموم أن تتجنب الإنسان كما لو كانت تعلم أن أغلبية السكان تنبذها ؛ ولكنها كثيراً ما تنبح عند ما ترى أحداً يلبس الملابس الأفرنجية . وتضايق المارة ليلاً ، وهذه الكلاب مفيدة لأنها تأكل سقط الذبائح التى يرمى بها من حوانيت الجزارة والبيوت ، كما أن الكثير منها يتردد على أكوام الزبالة حول العاصمة فتقتات مع الصقور من رمم الجمال والحمير التى تنفق فى المدينة . وأغلب الكلاب صهب اللون ، والظاهر أنها تماثل بنات آوى شكلاً وميولاً .

ولا يمنع رأى المسلمين فى الكلاب من الاحتفاظ بها للحراسة وأحياناً للتدليل . وقد حدث منذ زمن قصير حادث غريب من النوع الأخير ، فقد اتخذت امرأة وحيدة فى هذه المدينة ، كلباً يؤانسها فى وحدتها . فاختطف الموت هذا الأنيس الوحيد ، فعزمت المرأة لحزنها وعطفها عليه أن تدفنه كأى مسلم فى قبر لائق فى مدافن الإمام الشافعى المقدسة . فغسلت الكلب طبقاً للقواعد المرعية عند وفاة المسلم وكفنته فى كفن جميل ووضعته فى نعش ، واستأجرت نادبات وأقامت مأتماً حقيقياً . ولم يتم ذلك دون أن يثير عجب

(١) وكثيراً ما يسمع الفلاح العربى يقول هذا المثل : « ظلم الترك ولا عدل العرب » ويطلقون لفظ « العرب » هنا على طبقتهم بدلا من لفظ البدو الذين يطلق عليهم الآن عادة اللفظ السابق . أنظر بركهاردت « الأمثال العربية » رقم ١٧٦

الجيران الذين لم يستطيعوا معرفة المتوفى ولم يتدخلوا لأنه لم يكن بينهم وبينها ألفة قط . ثم استأجرت المرأة مرتلين ليتقدموا الجنازة وتلاميذ لينشدوا ويحملوا القرآن أمام النعش . وسار الموكب في نظام مهيب ، وتبعت المرأة والنائحات النعش وهن يملأن الجو بصراخهن ؛ غير أن الموكب لم يسر كثيراً إذ اجترأت إحدى الجارات وسألت السيدة الحزينة : من المتوفى ؟ فأجابتها : « إنه ابنى المسكين » فـكذبتها السائلة فاعترفت الثكلى بأنه كلبها ورجت جارتها الفضولية أن تـكتم السر ؛ إلا أن احتفاظ المرأة المصرية بالسر ، وبسر مثل هذا ، مستحيل . فأذيع الخبر في الحال ، وسرعان ما تجمع جمهور غاضب أوقف الجنازة . وصبَّ المرتلون والمنشدون غضبهم على مستخدمهم ، حالما استخلصوا منه نقودهم ، لأنه مكر بهم . ولو لم يتدخل الشرطة لذهبت المرأة على الأرجح ضحية هياج الشعب (١)

والعجيب أن القطط الشريدة في مصر تطعم على نفقة القاضي . فيوضع في الساحة الـكبرى أمام المحـكمة عصر كل يوم مقدار من سقط الذبائح وتدعى القطط معاً لتأ كل . وقد وقف السلطان الظاهر بيبرس على القطط ، كما علمت من كبير كتاب القاضي ، حديقة تسمى « غيط القطط » بجانب مسجده شمالي القاهرة . ولـكن هـذه الحديقة باعها الأمناء عليهـا ومشتروها على التوالي . وقد باعها السابقون بحجة أنها خربة فلا تصلح للانتاج إلا بعد نفقات كثيرة . وتستغل الحديقة الآن حكراً بخمسة عشر قرشاً سنوياً تنفق في إطعام القطط المتروكة . ومن ثم ألقيت نفقة القطط كلها على القاضي بحكم منصبه الذي يجعله حارساً على الأوقاف الخيرية ، فعليه أن يتحمل إهمال سلفه . ومع ذلك أهمل واجب إطعـام القطط أخيراً . ويتخلص الكثيرون في القاهرة من القطط بإرسالها إلى بيت القاضي وإطلاقها في الساحة الـكبرى

ذكرتُ قبلاً مؤانسة المصريين بعضهم لبعض . وهم يخاطبون الأجانب الذين لا يوافقونهم في الشمائل والعادات ، ولا يذهبون مذهبهم في التفكير بأدب يشوبه الجفاء والحذر . وكثيراً ما يظهر المصريون نحو الأجانب وفيما بينهم أيضاً فضولاً وتحقاً . وهم يخشون كثيراً أن يحملوا لهم أعداء فيدفعهم خوفهم هذا إلى أن يؤيد كل منهم الآخر ولو كان في ذلك جرم . ويعتبر السرور صفة ظاهرة في الشعب المصري . ويظهر البعض احتقاراً كبيراً للتسلية التافهة . ولـكن الـكثيرين يجدون فيها بهجة . ومن المدهش أن ترى المصريين يتسلون بأقل شيء ، فهم يبتهجون حيثما يوجد حشد وضجة وحركة . وتخلو حفلاتهم العامة مما يسلي الرجل المثقف . ويبدو أن الطبقات السفلى تسعد كثيراً بالجلوس في المقهى للتدخين وشرب القهوة بعد العمل اليومي .

عدلى طاهر نور

(١) يشير دربلو D'Herbelot إلى حالة مشابهة نوعا . وهى أن تركياً احتفل بدفن كلبه العزيز في حديقته ، فاتهم أمام القاضي بأنه دفن الحيوان طبقاً للشعائر الاسلامية . وتفادى التركى العقاب ، ولعله كان شديداً ، بأخبار القـاضى أن الـكلب أوصى إليه بقدر من المال . أنظر قاموس "Bibliothèque Orientale" مادة « قاضى » (المؤلف)

وبرتلمى دربلو دملنفيل Barthélmy d'Herbelot de Molainville (١٦٢٥ — ١٦٩٥) مستشرق فرنسي تلقى علومه في جامعة باريس واهتم بدراسة اللغات الشرقية فسافر إلى موانى إيطاليا للتحدث مع الشرقيين الوافدين إليها استكمالا لدراسته وعاد إلى فرنسا ولم يلبث أن عين ناموساً شرقيا للملك وفى ١٦٩٢ عين مدرساً للغة السريانية في Collège de France وأهم مؤلفاته القاموس العام عن شعوب الشرق المسمى Bibliothèque Orientale ، وقد أتمه جالند Galland في ١٦٩٧ وله قاموس آخر في اللغات التركية والفارسية والعربية واللاتينية لم يطبع (المترجم)

أشعار صينية

للأستاذ محمد وهبة

— ١١ —

منذ أن رحلت(*)

للشاعر الصينى « تو - فو »

(٧١٥ — ٧٧٤ م)

لا تجلبوا إلىَّ أزهاراً ، أنا أريد أغصان السرو أغرق فيها وجهى

عندما تختفى الشمس وراء الجبال ، سأضع على منكبى عباءتى الزرقاء ذات الأكمام الخفيفة ، وأذهب لأنام بين عيدان الناب التى تحبها

— ١٢ —

الشاعر فى السجن

للشاعر الصينى « لو - بن - وانج »

(عاش حوالى عام ٦٥٠ م)

كم يحزننى غناء الصرصور الذى يعلو هناك ...

أرى هذه الحشرة الضعيفة ، مثقلة بالندى ، لا تستطيع الطيران ، وتغنى ...

وروحى أيضاً أعياه الأسف ، لا يقدر أن يعلو إلى القمم ، حيث لا تصل إليه نبال الغادرين

فى العاصفة التى هدمتنى ، أكتب وأنا أبكى ، أشعاراً صافية

— ١٣ —

الشاعر يفكر فى حبيبته

للشاعر الصينى « بانج - كى »

(عاش حوالى عام ١٤٠٠ م)

ستمطر السماء . الريح أدمت أزهار الياسمين ، ونقلت أوراق الفاويا التى تغطى الدغل ... أهاجت ستائر النوافذ ، وأثارت شعور الفتيات الجميلات ...

إنى حزين ، أفكر فى حبيبتى : السماء زرقاء ، والبحر أخضر ، والجبال البيض تفصل بيننا ... آه لو تستطيع هذه العصافير أن تحمل إلى حبيبتى الرسائل التى كتبتها إليها ... لو يستطيع هذا الجدول أن يحمل إليها أوراق الفاويا ... !

أزهار الماجنوليا تلمع فى الظلام ... وأنا لا أستطيع أن أتناول عودى ... إنى أحدق فى القمر الذى يشبه زهرة الماجنوليا ...

لن أغنى ، لن أعزف ، أريد أن أركن إلى أحزانى ...

— ١٤ —

رحلة طويلة

للشاعر الصينى « لى - تين - بو »

(٧٠٢ — ٧٦٣ م)

أنا لا أستطيع أن أسترجع الفرح الذى عرفته صباح أمس ... أنا لا أستطيع أن أطرد الكآبة التى عرفتها هذا الصباح

الطيور تقطع السماء ... تصارع ريح الخريف ... أنا أملأ قدحى وأحدق بعيداً

أنا أحلم بشعراء كبار ، لم يوجدوا بعد . أذكر أشعارهم ، وأردد أننى كنت يوماً - أنا أيضاً - قادراً على أن أصنع أشعاراً عالية ، لو أننى استطعت أن أحوم فى السماء بين النجوم

عبثاً أشرب لأغرق أحزانى . هنا عندما لا تسير الأشياء ، حيث ترضى رغباتنا ، يجب أن أطرح نفسى فى مركب ، تاركاً شعرى للريح مهاجراً فى البحر .

(بور سعيد) محمد وهبة

(*) روعى فى ترتيب هذه الأشعار أن تكون وحدة شعورية متصلة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٥ - ٨ - ٩٤٢ فى القضية رقم ١٤٢٥ جنح سنة ١٩٤٢ عسكرية ضد محمد فؤاد يونس بقال كفر الدوار البعيد بالغرامة ٥٠ جنيه والغلق أسبوعاً وتعليق صورة الحكم على باب محله والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة وامتناعه عن بيعه مع وجوده لديه



ذكرى الأستاذ الزنكلوني

منذ عامين مضيا ، وفى النصف الأخير من شهر رمضان ، اختار المغفور له الأستاذ الشيخ على سرور الزنكلونى جوار ربه بعد عمر طويل مبارك كان فيه مثال العالم العامل ، والمفكر الحر الجرئ يقول ما يعتقد ، ويدافع عما يعتنق ، ويجهر بآرائه في صراحة نادرة المثال . والذين يعرفون الأستاذ الشيخ الزنكلونى كثيرون فى الأزهر وفى خارج الأزهر ، وإنك لتستمع إلى الرجل منهم يحدثك عن إيمانه بربه ، وقوة يقينه ، وصفاء نفسه فتأخذك الروعة ، ويملكك الإعجاب ، ولكنك تبحث عن رجل واحد من أصدقاء هذا الفقيد المعظم قد اهتم بأن يؤرخ له ، أو يرسم صورة ولو مصغرة لحياته ، أو يجلو للناس بقلمه ناحية العظمة فيه فلا تجد

وإذا كان غير الأزهريين من أصدقاء الفقيد وعارفيه قد شغلوا عن ذلك بأعمالهم ، أو انصرفوا عن القيام بمثل هذا الواجب إلى ما هو أشبه بهم فما عذر الأزهريين ؟ إن الأستاذ الزنكلونى - رضى الله عنه - رجل من رجالات الأزهر فى عهده الأخير ، له ذكريات ماثلة فى حركته الفكرية وتطوراته العلمية ، وله إلى ذلك أثره النافذ فى شئون الأزهر على عهد شيخه الحالى ، فقد كان يجله ويحترمه ويستعين برأيه فى كل ما يعرض له من مشكلات الأزهر ، وكان — رحمه الله — ناصحاً أميناً لا يعرف المداورة ، ولا يمارى فى الحق ولا يجامل ، فكيف يمر عامان كاملان على مثل هذا الرجل العالم الجرئ المجاهد ولا يذكره أحد من أبنائه أو أصدقائه ؟

لو أن اسم الأستاذ الزنكلوني لمع فى بيئة غير هذه البيئة ، لكان لذكراه شأن غير هذا الشأن ، ولكنه الأزهر مما قعد به أنه يقف دون المصلحين فى حياتهم ، وينسى ذكراهم بعد مماتهم وكأنه يريد من الناس أن يذكروا هم أبطاله ، وأن يتحدثوا هم عن رجاله ، وحسبه أن يشترك فى ذلك قارئاً أو سامعاً ! بل إنه ليغفل حتى عن ذلك ، فلو أنك فتشت فى دار نابه من الأزهريين عن أى أثر من آثار المؤلفين المحدثين يتصل بالأزهر أو بمسألة من مسائل الأزهر العلمية أو التاريخية ، لأعياك البحث دون أن تجد !

وإذا كان الأستاذ الزنكلونى قد أدركه إهمال الأزهر إلى هذا الحد المعيب ، فأصبح بين أصدقائه وتلاميذه نسياً منسياً ، فإن أخاً له من قبل قد أدركه من إهمال الأزهريين مثل ما أدركه وهو المغفور له الأستاذ الإمام محمد عبده ! !

أليس من العجيب أن يكون من أبناء الأزهر من بعث إلى أوربا باسم محمد عبده ، ثم لا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده ؟ !

كأنى بالسنين تطوى عاماً بعد عام ، ثم يزول هذا الجيل ويأتى جيل آخر ، فيتساءل أبناؤه : ماذا فعل محمود شلتوت ، ومحمد عبد اللطيف دراز ، بل ماذا فعل الأستاذ الأكبر المراغى من أجل ذكرى الزنكلونى ، وعلم الزنكلونى ، وأفكار الزنكلونى ؟ ثم يتساءلون : ماذا فعل الدكتوران الفاضلان ماضى والبهى وغيرهم من أبناء الأزهر من أجل ذكرى محمد عبده وتاريخ محمد عبده ؟

إننا نرجو بهذه الكلمة مخلصين للأزهر ولمكانة الأزهر ولشيخ الأزهر وأبناء الأزهر أن يكون لهم شأن غير هذا الشأن ، ولا سيما فى أمثال هؤلاء الأبطال

وإننا لمنتظرون (م ...)

من خليل مطران إلى على طه

أشار بعض النقاد إلى الكتاب البليغ الذى بعث به شاعر القطرين خليل مطران إلى الشاعر الكبير على محمود طه عن ديوانه الأخير «أرواح وأشباح» وإنا ننشر هذا الكتاب فيما يلى :

« ... واتتك السليقة السليمة ، وأمدك الاطلاع الواسع ، فجئت بالطريف من المعنى فى الصريح الشائق من المبنى . ولئن كانت المصادر التى استنزلت منها الوحى غريبة فى أصلها عن المصادر العربية ، لقد وفقت إلى إبراز روائعها ، وتقريب أبعد مغازيها ، بما نفى عنها الغربة وكشف آفاقاً غير محدودة لطلاب التجديد والإبداع من حملة الأقلام بين الأدباء الناطقين بالضاد

وكان عزيزاً على غيرك أن يذلل ما ذللته من الصعاب ،

ويبلغ ما بلغته من الإجادة ، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وفضل العزيمة التي لا يفل غربها والأناة التي لا يدرك حدها

إن في مطالعة « الأرواح والأشباح » لمتعة فكرية ولذة فنية قد غنمت منهما ما اشتهت النفس في ساعات لن أنسى طيبها بين ما أعانيه من آلام الملل في ساعاتي الأخر ... »

١ — حول نسخ الأحكام

تعقيباً على مقال « حق الإمام في نسخ الأحكام » المنشور في العدد ٤٨٠ من مجلة « الرسالة » أقول : إن أبا جعفر النحاس لم يعز القول بإعطاء الإمام حق نسخ الأحكام إلى فرقة إسلامية ، ولا إلى جماعة من فقهاء الإسلام ؛ بل قال : « وقال آخرون بأن الناسخ والمنسوخ إلى الإمام ينسخ ما يشاء ؛ وهذا القول أعظم ، لأن النسخ لم يكن إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالوحي من الله إما بقرآن مثله على قول قوم ، وإما بوحي من غير القرآن ، فلما ارتفع هذان بموت النبي عليه السلام ارتفع النسخ »

وإنما قال (أعظم) لأنه ذكر قبل ذلك قولاً يراه يؤول إلى الكفر ، فيكون هذا أشد إمعاناً في الكفر في نظره . وهو يريد بقوله (وقال آخرون) الاسماعيلية الباطنية الذين يجعلون النسخ للامام (أنظر فضائح الباطنية للغزالي)

٢ — في كتاب الإمتاع والمؤانسة

قرأت مواضع من (الجزء الثاني من هذا الكتاب فلمحت أغلاطاً فات الأب الكرملي ذكرها ، منها :

١ — في ص ٧٨ « وهذا لفظيٌّ » وفي الحاشية : كذا ورد هذا اللفظ في كلتا النسختين ولم نجد فرقة بهذا الاسم ، فلعله يريد بها الظاهرية الذين يأخذون بظاهر اللفظ

والصواب أنها نسبة إلى فرقة تسمى (اللفظية) لقول المنتمي إليها : «لفظي بالقرآن مخلوق» . وقد ألف الإمام ابن قتيبة في هذا الموضوع كتابه (الاختلاف في اللفظ) المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٤٩ . وفي كتاب (شروط الأئمة الخمسة) قال الحاكم : سمعت أبا الوليد يقول : قال أبي : أي كتاب تجمع ؟ قلت : أخرج على كتاب البخاري ، قال عليك بكتاب مسلم فإنه أكثر بركة لأن البخاري كان ينسب إلى « اللفظ » . يشير إلى ما وقع بين البخاري وشيخه الذهلي حين قدم البخاري نيسابور وسألوه عن اللفظ فقال : « القرآن كلام الله غير مخلوق وأعمالنا مخلوقة » قال الشرقي : سمعت الذهلي يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ ومن زعم « لفظي بالقرآن مخلوق » فهو مبتدع لا يجلس إلينا ولا نكلم من يذهب بعد هذا إلى محمد بن اسماعيل — يعني البخاري — فانقطع الناس عنه إلا مسلم ابن الحجاج واحمد بن سلمة . وقال الذهلي لا يساكنني محمد ابن اسماعيل في البلد ، فسافر البخاري . والحق في ذلك مع البخاري . ومن أشرف على سير المسألة بعد محنة الإمام احمد رأى مبلغ ما اعترى الرواة من التشدد في مسائل يكون الخلاف فيها لفظياً ، مما سبب امتلاء كتب الجرح بجروح لا طائل فيها كقولهم : فلان من الواقفة الملعونة ، أو من اللفظية الضالة... الخ

٢ — في ص ١٣٣ « ومن شرفه — أي النثر — أن الوَحدة فيه أظهر » وقيدوا « الوَحدة » بفتح الواو وتكررت كذلك مرات في هذه الصفحة وغيرها . والصواب (الوُحدة) بالضم على ما في تاج العروس .

٣ — في ص ١٧٧ « وأبو عبد الله المرزباني شيخنا » . تكرر في الكتاب مرات كذلك . والصواب « أبو عبيد الله » كما في شذرات الذهب وتاريخ بغداد والموشح ومعجم الشعراء وغيرها . وجاء محرفاً كذلك في الأعلام والنثر الفني . وهو إمام كبير لا يسوغ إغفال الخطأ في كنيته .

صلاح الدين شقير



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

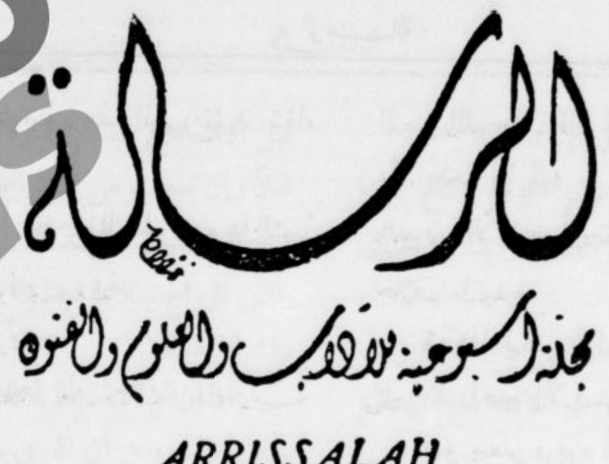


10 me Année No. 483

Lundi - 5 - 10 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique



العـــدد ٤٨٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحق المجـــرد

للأســتاذ عباس محمود العقاد

عجب صديقنا الأستاذ الزيات لابن آدم « المخلوق الوحيد الذي يرى الشيء الواحد بعينيه الاثنتين أبيض تارة وأسـود أخرى على حسب الصبغ الذي يلونه به الهوى »

وضرب لذلك أمثلة شتى ، منها أن راديو باري أذاع منذ ليلتين أن فريقاً من الطلاب الهنود تظاهروا في بمباي فاعترضتهم فئة من الشرَط الإنجليز فتفرقوا في شوارع المدينة أباديد بعد أن أصيب نفر منهم بجروح . ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب ينافي المدنية ، ويجافي الخلق ، ويصم الذين ارتكبوه بالقسوة الوحشية والبربرية الأثيمة . ثم أعلن المذيع في هذه الإذاعة نفسها أن مليوناً من جنود المحور قد اقتحموا بالدبابات الثقيلة والطيارات المنقضة والسيارات المدرَّعة منازل ستالينجراد على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى ، فدكوا كل بناء ، وسحقوا كل حي ، وركموا أشلاء القتلى في الحجرات والطرقات على صورة لم يرها الراءون ولم يروها الراوون . ثم أخذ هذا البوق البشري يهذي بفضل هذا النصر على المدنية ، وينوه بعظيم أثره في مستقبل الإنسانية »

وأتى الأستاذ بأمثلة متعددة فى هذا المعنى تؤيد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى

وإنه لشقاء باق لن يزول أبداً ، ولن يزال الهوى يرينا الشئ شيئين واللون لونين ما دمنا نحس ونرى ، وقد

أعيا الهوى كل ذى عقل فلست ترى
إلا صحيحاً له حالات مجنون

وهذا نقص لا ريب فيه

وقد تناوله صديقنا الزيات من هذه الناحية فأبرزه فى صور الحياة اليومية التى لا يخطئها من يرقبها

فهل هو نقص لا يوازنه جانب كمال ؟ وهل هى آفة لا عزاء فيها لبنى آدم ؟ وهل نغير ما طبعنا عليه من هذه الخليقة بما طبعت عليه سائر المخلوقات من توافق وتشابه حالات ؟

مصيبتنا أننا لا نستطيع !

لأن الإنسان لا ينقص إلا من حيث يزيد . فهو يعرف الخطأ لأنه يعرف الصواب ، ويختل فى هندسته من حيث يتقن النحل هندسته كل الإتقان ، لأنه أعلم بالهندسة من النحل لا لأنه أجهل منه بفنونها وأنواعها ... فهو يشترى الخطأ بثمن ، لأنه لا يشترى الصواب إلا مخلوطاً به ، مضافاً إليه

نحن نرى الشيء أشياء لأننا نرى

أما سائر المخلوقات فهى لا ترى إذ تنظر بعينيها . وإنما الأصح أن يقال إنها تلمس الأشياء بالعين على نحو من اللمس بالأيدى ، فلا تقبل عندها التعدد والاختلاف

وهكذا الآدميون الذين يشبهون تلك المخلوقات

إنهم يلمسون الأمور بأعينهم كما يلمسونها بأيديهم ، ولكنهم لا يرونها متعددة الحالات ، متعددة الألوان ، متعددة الوقع فى الخواطر والأهواء ؛ وإن تعددت عندهم قليلاً فهو أقرب تعدد إلى التوحيد

كنت أقول لبعضهم والألمان يدخلون باريس: إنهم سينهزمون

وكنت أقول لبعضهم والألمان يتقدمون فى الأراضى الروسية : إنهم سينهزمون

فكانوا يقولون : ولكننا نرى أنهم سينتصرون لأنهم منتصرون . . . فأقول لهم : ما هذا برأى . هذا لمس بالعين . هذا ما تبصرونه كما تبصره كل عين حيوانية تفتح أجفانها ، وإنما الرأى غير هذا . الرأى ما يبصرك بالانهزام وأنت تنظر إلى النصر الملموس . فإن لم يفدنا الرأى هذه الفائدة فلا خير فيه ، ولا حاجة بنا إليه مع وجود العيون والأجفان . إذ حسبنا بالعيون والأجفان أن تفتحها فنلمس بها ، ثم لا نفكر ولا نرى خلاف ما تبديه

وهكذا يبصر الإنسان وجوه الرأى لأنه لا يرى الشيء على حالة واحدة ولا يستوفيه كله فى صورة حاضرة

فهو يبصر وجوه الرأى فى الضرب مثلاً لأنه يحسه لذيذاً فى حين ومؤلماً فى حين ولا يحسه فى بعض الأحايين

يحسه لذيذاً حين يكون هو الضارب ، ويحسه مؤلماً حين يكون هو المضروب ، وليس يحس له لذة ولا ألماً حين لا يكون ضارباً ولا مضروباً ولا شأن له فى الحالتين

ومن العسير عليه جدا أن يعرف ما هو الضرب إذا عرفه على وجه واحد ، ولم يعرفه على شتى الوجوه

ومن البعيد جدا أن يراه بالحق إن لم يره بالهوى على اختلافه ، فيحبه ويبغضه وينظر إليه بين الحب والبغض ، و « يراه » بعد ذلك مستجمعاً بجميع هذه الوجوه

وهذا هو باب الكمال فى تعدد الأهواء وتعدد الحكم على العمل الواحد إذ نعمله نحن وإذ يعمله الخصوم ، وإذ يعمله من ليس من الخصوم ولا من الأصدقاء

وكل صورة من صوره هذه تمام لغيرها ، ولا سبيل إلى التمام فيها بغير هذا التعديد

يقولون فى الصعيد : إن نوتياً سمع مضغاً قويًّا فى مخزن الخبز الخاف من سفينته ، فأشفق من نفاذ المؤنة فى الطريق وصاح مغضباً : من هذا الذى يقضم فى الخبز قضم الحمار ؟

فقيل له : ابنك حسن !

قال : اسم الله عليه ! أهو الذى يقرش هكذا قرش الفور ؟

والرجل قد صدق بعض الصدق فيما سمع من قضم حمار ومن قرش فور ، فإن أكل ابنه من الخبز يسره ولا يؤذيه ، وإن انطلاق الغريب عليه يؤذيه ولا يسره . ويبقى أن يسمع المسافر الذى لا يسمع حماراً ولا فوراً ، ولكنه يسمع الصوتين على حسب ما عنده من الزاد

وما أعجز الإنسان أن يتبين حقيقته بهذا الصغر وبهذه البساطة ما لم يسمع من جانب مخزن الخبز صوت حمار وصوت فأر وصوت إنسان

هذا نقص فى خليقة بنى آدم يؤدى إلى تمام

وإنما هو نقص دائم إذا وقف حيث هو ولم تجتمع صوره الكثيرة في صورة واحدة هى أدنى إلى الصدق وأبعد من الهوى وأوسط فى الرأى بين مختلف الآراء

وذلك هو النقص الذى يحبه جماعة من أصحاب المذاهب الاجتماعية ويفرضون دوامه ويحضون على الاقتداء به فى فهم التاريخ ، ونريد بهم الشيوعيين

فهم يجعلون الهوى فرضاً لزاماً فى معالجة كل حقيقة من حقائق الحياة

ويكتبون التاريخ فيذمون من لا يستحق الذم ، ويثنون على من لا يستحق الثناء ، لأنهم يستوحون المصلحة الشيوعية ، ويعلنون أن الخروج من هوى المصلحة فى تقدير الأمور مستحيل

فأما أنه مستحيل فلا ، لأن الإنسان يعرف الفرق بين صوابه وهواه ، وإن أحب هواه وآثره على الصواب

فإذا كانت له قوة خلق تصحب المعرفة غلب الهوى بالجمع بين معرفته وقوة خلقه ، وأصبحت مصلحته تابعة لما يلزمها من جادة قويمة فى رأيه

ولكن الشيوعيين لا يغلبون هوى المصلحة ، لأن الخروج منه مستحيل ، وإنما يغلبونه لأن تغليبه نافع لهم فيما يقدرونه ويفسرون به الأمور

ولا نقول : إن الشيوعيين وحدهم يغلبون الهوى فى تفسير التاريخ وتصوير الحقائق ، فهذه خليقة شائعة بين جميع الناس ملحوظة بين أصحاب المذاهب بلا استثنا

ولكننا نقول : إن الشيوعيين وحدهم هم الذين جعلوا ذلك فرضاً لا مناص منه ، ولم يجعلوه عيباً يصححونه ويخجلون من إعلانه

وهذا هو الفارق الكبير بين الرأيين

فعلينا أن نعترف بالهوى ولا نجهل صنيعه فى أفاعيل الأمم والأفراد ، ولكن علينا أن نغالبه ما استطعنا كلما عرفناه واقتدرنا عليه

وهذا هو الواجب فى كل عيب من العيوب ، أيا كان سببه وأيا كان الناظر إليه

فأذكر أن « برتراند رسل » الفيلسوف الرياضى الباحث الاجتماعى الكبير قد أشار فى بعض كتبه بإباحة العلاقات بين الفتيان والفتيات « بغير بنين » ليتم لهم اختبار الحياة الجنسية قبل الاضطلاع بتبعاتها ، ولأن المنع رياء ما دامت الإباحة قائمة فعلاً وإن سترت عن أعين المجتمع والشريعة

فأما اختبار الحياة الجنسية فليست الإباحة سبيله الوحيد ، وليس الزواج بعلاقة جنسية وكفى فيكون اختباره من طريق ذلك الانطلاق

وأما أن الإباحة مطلوبة ما دامت حاصلة ، فهذا الذى يشبه عندنا مذهب الشيوعيين أن الهوى مفروض ما دام من عادات بنى آدم

فالسرقة موجودة ولا نعالجها برفع العقوبة عنها ، والسقم الذى يأتى من الطعام موجود ولا نعالجه بتسويغ الطعام المسقم للأبدان ؛ وإنما وجود هذه الآفات هو الذى يدعونا إلى محاربتها واستئصالها ؛ إذ نحن لا نحاربها وهى معدومة غير مكروهة الوجود

* * *

هو الهوى إذن نقص فى طبيعة الإنسان تميز به بين المخلوقات لأنه طريقة إلى التمام

فلا نرميه ولا ندخره ، ولكننا نتناوله بضاعة للاستبدال كلما تسنى لنا أن نبدل به بعض الصواب

وهوى واحد لا يصلح ثمناً مقبولاً فى هذه التجارة

ولكن خمسة أهواء متقابلات هى أصلح الأثمان للمقايضة فيها ، فليس أثمن بأضعاف الهوى من تعدد الأهواء

أيشقينا ذلك التبديل والاستبدال ؟

نعم لا مراء ... ولكن من الذى قال إننا خلقنا لنسعد ؟ ومن الذى قال إن السعادة فى استئصال الأهواء ؟ لم يقل ذلك أحد ؛ وإن قاله لم يحفله سامع . ولم تزل دنياه ماضية فى شقائها وسعادتها وهواها .

عباس محمود العقاد



الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

منظر لن أنساه — شعراء مبدعون — فكاهة عراقية — الحرية — شيطنة مصرية — مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

منظر لن أنساه

فى صباح يوم الجمعة الماضى توجهت مبكراً إلى سنتريس . فلما وصلت السيارة إلى القناطر الخيرية هالنى أن أرى جماهير كثيرة معوّقة عن السير . ونظرت فرأيت « هَـوِيس الرِّياح التوفيقى » مفتوحاً ، وهى فرصة يومية لمرور السفائن إلى الشمال وإلى الجنوب

ونزلت إلى الشط للتفرج فرأيت ثلاث سفن يصدّها التيار عن دخول الهويس صدًّا بلغ الغاية من العنف ، فقدّرت أننا سنعوَّق عن المسير زمناً غير قليل . عند ذلك بدا لى أن أرجو أحد الملاحظين إنزال الجسر الخشبى لحظات إلى أن يستطيع البحارة تسديد هذه السفن الثلاث ، وفى هذا إنقاذ للمسافرين من الانتظار ، ولأ كثرهم شواغل تستوجب الاستعجال .

فأجاب الملاحظ بأن الجسر يُفتح نصف ساعة لمرور السفن بأمر وزارة الأشغال ، وقد بقى من الوقت عشر دقائق ، فإن عجز هؤلاء البحارة عن تسيير هذه السفن قبل انقضاء الوقت المحدّد فسيُرَدّ الجسر ويمر الطريق ، ولا يظفرون بغير الانتظار المملول !

فرجعت إلى الشط مرةً ثانية لأشهد أعظم معركة معاشية رأتها عيناى

ما كان أولئك البحارة ناساً ، وإنما كانوا من مَرَدَة الجنّ ! لم يكن بدٌّ من مصارعة تيار عنيف عنيف ، تيار يُسمَع هديره من مسافات ويُنذر من يصاوله بأفدح الخطوب

كانت المقاذيف بأيدى الملاحين ، كالسيوف بأيدى المحاربين ، وكانت القُلوع تُطوى وتُنشَر فى اللحظة القصيرة مرات فى اتجاهات مختلفات ، وكانت الحبال تُرمَى هنا وهناك فيتلقفها المتلقفون بأمضى وأسرع من نظرة البرق اللماح

وعلى الشط وقف أشخاص يصيحون صيحات الإرشاد والتوجيه بنبرات تقرُب من الصراخ

دار رأسى من هول المنظر ، وفكرت فى مساعدة هؤلاء المجاهدين ، ولكن ماذا أملك ولم أتلق فى علم الملاحة أى درس ؟

وطاف بالخاطر أطياف من ماضى الجهاد فى هذه البلاد ، الجهاد فى سبيل الرزق الحلال ، فهؤلاء الملاحون هم الذرية الباقية من رجال كانوا أسبق الآدميين إلى اتخاذ الأنهار وسائط لنقل المنافع من أرض إلى أرض ، وكان لهم فى الملاحة مهارة راعت القدماء ... ألم يحدثنا ياقوت فى معجم البلدان عن بُحَيْرة مصرية كان الملاحون فيها ينتفعون بالريح أغرب انتفاع ، فيسيّرون السفائن إلى الشرق بمعونة ريح تتجه إلى الغرب !

ثم نظرت فرأيت على إحدى السفن حصيرة منشورة ، فوقها أرغفة صغيرة تشبه أقراص « البتاو » والبتاو كلمة مصرية قديمة معناها الرغيف

ومن أجل هذا « البتاو » يجاهد أولئك الملاحون

المعركة لا تزال دائرة ، ولم يبق من الوقت غير ثلاث دقائق ، فكيف تمر السفائن الثلاث فى دقائق ثلاث ؟

والعمال فوق الجسر ينتظرون انتهاء الوقت ليعيدوا قوائم الطريق إلى ما كانت عليه ، فأسير ويسيرُ المسافرون إلى النحو الذى نريد !

ولكنى أنسى نفسى وأنسى طريقى ، فما يهمنى إلا أن ينتصر الملاحون على التيار ليدخلوا « الهويس » بسلام آمنين

هِيلا هُب ، هيلا هُب ، هيلا هُب !!!

وانتصر الملاّحون قبل ثوانىَ ثلاث يحلّ بعدها الميعاد

وفى تلك اللحظة شعرت بفرح لا نظير له ولا مثيل

تباركت أسماء الله ! فهو النصير لمن يتوكل عليه فى مقاومة التيارات

شعراء مبدعون

يقال ويقال إن الشعر قل فى مصر ، فلم يبق فيها من الشعراء غير آحاد ، ومع هذا رأيت فى موقفى ذاك بقنطرة الريّاح التوفيقى عشرين شاعراً على جانب عظيم من الإجادة والإبداع فى الترنم والغناء

هنالك عشرون شاعراً ، أو يزيدون من الطراز النفيس

فمن هؤلاء الشعراء ؟

جماعة من العصافير اللطاف بَنَتْ أعشاشها فى تَجَوات تقربها تقرأ بدخائل ذلك الجسر الصخّاب الضجّاج

كان المنظر فى غاية من الروعة والجلال : على يمينى بحّارة يقاتلون الأمواج ليدخلوا « المويس » قبل الوقت الذى حددته وزارة الأشغال ، وعلى يسارى سحابة من العصافير تقاتل لتنتصر فى ميدان المواطف ، فترفّ من هنا إلى هناك ، رفيف الروح من القاهرة إلى بغداد

لن أنسى أبداً تلك العصافير بتلك الزقزقة الشعرية ، ولن أنسى أنها فطنت إلى مأوًى يصدّ عنها شرّ الآدميين

العصافير تأوى إلى أعشاشها قُبَيْل الغروب ، ولا تخرُج من أعشاشها إلا بعيد الشروق ، وهى تُهَدهَدُ هدًّا بقدوم الليل .

فما صبرُ عصفور على النوم ساعاتٍ طوالاً وحولَ أذنيه هدير يصفُر بجانبه هدير « سَدّة الهندية » فى سمع الفرات ؟

هو عصفورٌ شاعر يطيب له أن يهدأ على ضجيج الأمواج

لو بحث هـذا العصفور عن مكانٍ هادىء لوجد ملايين من القلوب الهوادئ ، وبعض القلوب تهدأ فتسكن سكون الموت ، فلا يأوى إليها غير البُوم النعّاب

فى ضمائر « القناطر الخيرية » شعراء من العصافير اللطاف ، وقد يكون لهذه العصافير نظائر بقناطر أسيوط وقناطر أسوان ...

مصر وطن الشعر والفن والجمال ، وهى الغُرة اللائحة فى جبين الوجود

فكاهة عراقية

وبمناسبة المِلاحة النهرية أسوق فكاهة عراقية ما خطرتْ فى بالى إلا ابتسمت . وخلاصة تلك الفكاهة أن أحد المسافرين سأل ملّاحاً فى دجلة عن أجر الركوب من بغداد إلى البصرة ؛ فأجاب الملاح : عشرة دراهم مع جرّ الحبال ، وعشرون درهماً بدون جر الحبال . ففكر المسافر قليلاً ، ثم رضى بالحال الأول مراعاةً للاقتصاد !

فكاهة فى غاية من العذوبة ، ولكنها تحتاج إلى شرح ، فأكثر القراء لا يعرفون حكاية جر الحبال .

أظنهم يعرفون ، فلنُعف هذه الفكاهة من الشرح ، لئلا تَبُوخ !

الحرية ، الحرية !

وقف « الترو » ظهر اليوم عند مدخل مصر الجديدة ، ثم طال به الوقوف ، فنزلت لأعرف السبب ، فرأيت قطارات كثيرة يعانى ركابها مثل ما نعانى من التعطيل ، وكان السبب أن قطاراً أُصيب بعطب فعطّل جميع القطارات

والتفت فرأيت الأستاذ سعد اللبان ينتظر مع المنتظرين ، فوجهت نظره إلى الفرق بين « الترو » و « الأوتوبيس »

— أتريد يا دكتور أن تستغل هذا المنظر لكلمة فى مجلة « الرسالة » ؟

— أنت تعرف يا صديقى أنى أنتفع من جميع مشاهداتى !

— وماذا ترى فى هذا المنظر مما ينفع ؟

— سأقول لقرائى وأقول ... سأقول : إن « الترو » حين يُعطَب منه قطار تُعطّل جميع القطارات ، ولا كذلك الأوتوبيس

— أوضح ما تعنيه بعض الإيضاح

— الترو يسير فى طريق مرسوم تحدده هذه القضبان ، فهو فى حقيقة الأمر مسجون ؛ أما « الأوتوبيس » ، فيسير فى الطريق كيف شاء ، وهو لا يعطل أخاه إن أُصيب بعطب فى الطريق

— وإذن ؟

— وإذن تكون الحرية أساساً لكل فلاح

— ثم ماذا ، على حد تعبيرك ؟

ثم تكون الأخلاق الفردية والقومية مما يتأثر بالتفاوت فى مثل هذا النظام ؛ فالرجل الذى يسير على منهاج واحد طول حياته يُعطّل عن السير من وقت إلى وقت ، والأمة التى تلتزم خطةً واحدةً فى حياتها السياسية والاقتصادية تعطّل عن الانتفاع بما يجد فى الدنيا من تطورات وتغيرات

— أنت إذن لا تقول بالثبات على المبدأ

— المبدأ هو الغاية ، وهى لا تختلف ، والوسائل هى الطرائق ، والطرائق تختلف من يوم إلى يوم باختلاف الظروف

— ولكن الناس لا يفرقون بين الوفاء للغايات والوفاء للوسائل !

— وهل فهم الناس جميع الدقائق فى الأخلاق الفردية والقومية ؟

ثم سار الترو فانقطع الحديث ...

شيطنة مصرية

تغربت عن وطنى عدداً من السنين ، وعرفتُ الناس من جميع الأجناس ، فما رأيت أذكى من المصريين . ولو دُوِّن ما يتندَّر به السامرون بالأندية المصرية فى أسبوع واحد لكان ثروة أدبية تقتات بها أجيال وأجيال

وأذكر شاهدين اثنين يتصلان بشخصى ، وفيهما الكفاية لمن يريد إدراك بعض الجوانب من الشيطنة المصرية :

١ — تفضلت حكومة العراق فمنحتنى وسام الرافدَين ، فكتبت الجرائد كلمات لطيفة بينتْ فيها أن الحكومة العراقية أرادتْ أن تثينى على ما بذلت من الجهود فى توكيد الصلات بين مصر والعراق ؛ ولكن إحدى المجلات اهتدت إلى السبب الصحيح فقالت : إنى مُنحتُ ذلك الوسام جزاء بالرحيل من بغداد ! !

وتلك نكتة أدق من السحر الحلال !

٢ — الأستاذ الزيات يحرص على أن أكتب فى « الرسالة » بدون انقطاع . وكان المفهوم عندى أن الأستاذ الزيات يرانى من أمراء البيان ، ولكن إحدى المجلات قد اهتدت إلى السبب الصحيح فزعمت أن الأستاذ الزيات قال إنه يستغنى بمقالى عن صحيفة اللطائف والطرائف !

والحقُ المصرىُّ أجمل من العقل ، ومجانين مصر هم الغاية فى لطف الذوق وخفة الروح

والمأمول أن يكون هذان الشاهدان من فنون المزاح ، فلا يحقُّ ما يترتب عليهما من أحكام لها فى ساحة الظلم مكان

مسابقة الأدب العربى

احتفلت وزارة المعارف بتقديم الجوائز إلى الفائزين فى مسابقة الأدب العربي ، وكان احتفالاً فى غاية من الرُّواء والبهاء

وكنت فى الحفلة الماضية قد استهديت معالى الوزير جائزة ، لأنى شرحت موادَّ المسابقة على صفحات « الرسالة » فى عامين متعاقبين ، فقام أحد الطلبة فى هذه الحفلة وطالبنى بتقديم جوائز من مؤلفاتى لحضرات الفائزين . وقد ابتسم الهلالى باشا لهذا الاقتراح اللطيف ، كأنه يظن أنى سأعفيه من جائزة على الجهد الذى أبذله فى هذه الدراسات . ولا يضيع حقٌّ وراءه مطالب !!

أترك هذا وأذكر أنى سأستعين الله فى دراسة الموادّ الجديدة لمسابقة العام المقبل ، بعد انتهاء شهر الصوم ، راجياً أن يتفضل أساتذة السنة التوجيهية بمعاونتى ، فقد تكون المؤلفات المقررة فوق ما أطيق

سنلتقى مرة ثالثة على صفحات الرسالة مع الطامحين من أبناء الجيل الجديد ، وسيكون للقلم ميدان أو ميادين فى تشريح الكتب المقررة على المتسابقين

« اللهم لا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلاً ، ولو شئتَ لجعلْتَ الحزْن سهلاً »

بهذه العبارة كان يبدأ درسه أحد العلماء فيظفر بالتوفيق ، وبها نبدأ ما نقبل عليه من الدروس ، والله وحده هو المستعان ، وبه التوفيق

زكى مبارك

المنتحـــــرة

للدكتور محمد حسني ولاية

كانت في الخمسين من العمر عندما انتحرت بإحراق نفسها في آخر نوبة من نوبات اللانخوليا Melancholia . ولما كانت هذه النوبة خفيفة ، فقد تمكنت بالإرادة الباقية لديها من وضع حد لحياتها . على أنها حاولت في إحدى النوبات المتوسطة في الشدة من أن تخنق نفسها بلف شعرها حول عنقها

بدأت حياتها في ظل عيش رغيد ، وتولدت لديها نزعات ذكرية بعد أن أنجبت أمها عدة أطفال ذكور . ولما كانت العناية التي كانت موجهة إليها قد انتقلت إلى اخوتها ، فقد نشأت عندها الرغبة في تحديهم وتحدى الذكورة بوجه عام . ومن مظاهر هذا التحدى أنها عندما بلغت العاشرة من عمرها كانت تقلد الذكور بإطارة طائرات مصنوعة من الورق الملون والبوص ، وكثيراً ما كانت تصيد طائرات الأطفال بطائرتها التي كانت تعنى بصناعتها أكبر عناية

وفي نحو العشرين من سنها تزوجت ، ثم أنجبت من زوجها عدة أطفال ، ولكن زواجها لم يكن موفقاً ، لا لسبب سوى أنها كانت تنشد السيطرة وتشعر بغضاضة لقيامها بدور امرأة .

وقد انتهى أمرها إلى أن أحبت امرأة أخرى ، فكانت تدللها وتعاملها معاملة الرجل للمرأة ، وقد أعدت لها كوباً من الفضة نقشت عليه اسم خليلتها ، ولا تسمح لأحد أن يشرب منه سواها ، كما أنها طرزت اسم هـذه الخليلة على الوسائد والفرش ، ثم مهدت السبل لكي تزوج زوجها من هذه المرأة ، فعاش الثلاثة في منزل واحد وفي شبه وئام . وقد حققت بهذا الزواج أهدافها بالتخلص من زوجها ، على الرغم من أنها بقيت في عصمته ، وفي الوقت نفسه قربت منها خليلتها

وعندما بلغت سن اليأس تشبثت بها نزعات سادية Sadism فكانت تضرب خادمتها ضرباً مبرحاً . وكثيراً ما كانت تجز شعرها وتكوى جسدها بسيخ محمى في النار ، كما استبدت بها ميول ذكرية حملتها على السفر بمفردها إلى الأقطار الشقيقة وإلى تبذير أموالها تبذيراً شديداً . وما لبث أن انتابتها نوبات ملانخولية متفاوتة في الشدة

بدأت عوارض مرضها بحدوث خفقان في القلب ورهبة من الموت وخوف من عقاب الله ، ثم أخذت تتجاذبها الهواجس السود فكانت تعتقد أنها قضت نحبها ، ثم توسلت إلى الله أن يغفر لها خطاياها . وكانت إذا سمعت الحاكي (الفونوغراف) تصورت أن روح أحد أقاربها تقمصت في القرص المدار فلا يفتأ يصعد أنينه ويبث شكواه كلما وخزته إبرة الحاكي الحادة . وإذا رأت أحداً يهش الذباب خيل إليها أنه يشير إلى سفاح ليقطع رقبة أحد أقاربها

وكان في منزل المريضة زهريات بزنية صغيرة في كل منها وردة صناعية حمراء ، فكانت تعتقد أن تلك الزهريات ما هي إلا يأجوج ومأجوج حاملين مظلات حمراء ليتقوا بها جمرات تتساقط عليهم من جهنم .

وتصورت ذات يوم أن سريرها سفينة نوح وأن أفراد أسرتها مشرفون على الغرق ، فجعلت تناديهم ليتعلقوا بالسفينة طلباً للنجاة ولكن دون جدوى .

وكانت تمتنع من تناول الكاكاو لاعتقادها أنه ليس إلا دماً مسفوكاً . وطالما امتنعت عن الاغتسال ظناً منها أن الماء ما هو إلا بول الفيلة .

ومن أطرف الهواجس التي كانت تنتاب المريضة عندما كنت أغذيها صناعياً بإدخال اللى المدى إلى معدتها أنها كانت تعتقد أن المقصود بهذه العملية تشويه خلقتها ونقل أعضائها الجنسية إلى مكان فمها ونقل فمها إلى مكان تلك الأعضاء لتكون أعجوبة العالم .

ومن الهواجس التي تدل على رغبتها في أن تكون رجلاً أنها كانت تتصور أحياناً أنها رجل أو أن نصفها لرجل والنصف الآخر لامرأة ، وحين تسعفها لمحة من لمحات الإدراك وتنظر إلى رجليها فتراهما متماثلتين تقرر أنها إما أن تكون رجلاً وإما امرأة

وعلى الرغم من أنها كانت تتصور في أثناء مرضها أنها مذنبة وأن الله سينزل بها أشد العقاب ، وإنها مخلوق دنىء لا يستحق دخول الجنة فإنها كانت أحياناً تعوض عن هذا نوعاً ما بتصورها نفسها ابنة ملك الفرس ولكنها وضعت في أحد المتاحف الأثرية لتكون فرجة للناس .

محمد حسني ولاية

طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

إيبيقوس

IBYCUS

للأب أنستاس ماري الكرملي

١ — توطئة

طالعنا في الرسالة (١٠ : ٨١٢) النبذة التي قلّد بها جيد هذه المجلة ، الأستاذ محمد مندور ، أحد المدرسين في كلية الآداب في مصر القاهرة الزاهرة ، وحالما وقع طائر بصرنا عليها ، وعلى اسم كاتبها ، استبشرنا وقلنا في نفسنا :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السِحر والساحِرُ

ولما استهلّ الكاتب نبذتهُ بقوله : « أصحح للأب الفاضل أنستاس ماري الكرملي خطأ وقع فيه » — قلنا في نفسنا : وما هذا التصحيح ؟ — فإذا هو يبيع لنا بضاعة عرضناها نحن على القراء بكل تحرز وتوقّ ، إذ لم يسبقنا أحد إلى عرضها . إذن لم يأتنا بشيء جديد ؛ وإذن لم نفهم كيف ساغ له أن يقول : « أصحح » ...

ومن الغريب ، أنهُ ألحّ على أن الشاعر المبحوث عنه في « الإمتاع والمؤانسة » هو « أنيقوس » أي الأتيكي ، وهو يوناني صميم ... إلى آخر ما قال وجال وصال !

ولم يشر أبداً إلى أننا كنا أول من أشار إلى هذا الرجل إشارة خفيفة ، من غير أن نلح على أنه هو المطلوب في هذا البحث . وقد ذهبنا إلى ذلك لمقاربة بين لفظة (أتيقوس) و (إيقوس) ، ولم يكن ذلك من باب التأكيد ؛ فإذا الأستاذ مندور المدرس بكلية الآداب ، يتمسك بهذا (الخاطر الضعيف) ، ويعده (رأياً) ويأخذ به ، ويدافع عنه مدافعة الأبطال ، كأنه من وضعه ، أو من فكره

ولكن من بعد أن تنصّر لهذا الرأي ، ونافح عنه أبدع منافحة ، قذفه فجأة من يده في مهاوي الرذل ، كأنه عقرب حاولت لسعه ، فأراد التخلص منها على هذا الوجه المبارك النتيجة ، إذ قال : « وإذا ذكرنا أن « كومودوس » هو ... وإذا كان من الممكن أن يكون « قومودس » أمبراطور روما ... فأي غرابة في أن يكونوا ...

فيا سيدي الأستاذ ، المدرس بكلية الآداب في القاهرة ، لقد هدمت بإذا ... وبإذا (مكررة) وبمن الممكن أن يكون... ما بنيتَه ، أي صرحك الممرَّد ، فوقع عليك وسحقك سحقاً ، وأنت تُرى للناس أنك لم تشعر به وهم قد شعروا به كل الشعور . أما أنك ترى للناس أنك لم تشعر به ، فذلك لأنك قلت في الختام : « وهكذا يتضح أن القراءة التي « نظنها » أقرب ما تكون إلى الصحة ، هي قومودوس وأنيقوس ؛ اللهم إلا أن تكون عند الأستاذ كراوس معرفة خاصة بأبقوس الشاعر اليوناني ، وذلك ما ننتظره منه ، إن تفضل فجاد بعلمه الغزير »

فلو كنت ، يا سيدي المدرس بكلية الآداب ، واثقاً بما تقول لما قلت هذا القول ، ولما التجأت إلى غيرك ، لأنك بهذه المحاولة نسفت صرحك نسفاً حتى أسسه

يا سيدي الأستاذ ، المدرس بكلية الآداب ، إن التاريخ لا يبنى على « إذا » ، ولا على « إذا كان من الممكن أن يكون كذا وكذا » — إن التاريخ ، يا سيدي الأستاذ المدرس بكلية الآداب ، رواية وقائع ، ونقل أحداث تنقل إلى السلف على ما رووه ، ولا دخل فيه لـ « إذا » و « من الممكن » فمثل هذا الكلام يرد في المنطق والفلسفة والصرف والنحو واللغة والحديث وأمثالها ، التي يصح فيها التخريج ؛ أما التاريخ فبعيد عن التأويل والتفسير . فالظاهر أن حضرتك مهرت في التخريج حتى رسخ في نفسك كل الرسوخ ، فصرت تستعمله في كل ناد وواد ، في ما يجوز استعماله ، وفي ما لا يجوز ، فآذيت نفسك من حيث تدري ولا تدري

٢ — كيف وجدنا ضالتنا

جرت لنا عادة أن نرحب بأصدقائنا ، وأحبائنا ، وأدبائنا في كل صباح جمعة من الأسبوع ، وذلك منذ سنة ١٩١١ ،

فيجتمع فى نادينا الكتّاب والصحفيون والشعراء والمؤرخون ، ووصاف البلدان ، ويختلف عددهم بين العشرين والثلاثين ، فتلقى الأسئلة ، وتجرى المحاورات والمطارحات على أحسن وجه ، وأسلم طريقة ، بشرط ألا يلقى سؤال فى الدين ولا فى السياسة . وإن وقع شيء من هذا القبيل ، ينبه صاحبه على أن مثل هذا الأمر ممنوع ، فيسكت بكل حشمة ووقار وأدب من غير أدنى امتعاض

ويوضع بين أيدى الأدباء جميع جرائد المدينة ، وما يأتى إلينا من الصحف والمجلات والكتب الجديدة الواردة من العراق وخارج العراق ، فيطالعها المنتمون إلى هذا الديوان المتواضع . ويتفق لنا أن نخط خطاً أزرق تحت كل غلط نقع عليه فيما نقرأه فيأتى بعدنا من يقف عليه فيعرف ما فيه من الزلل والخلل . ولما طالعنا نبذة الأستاذ (منـدور) المدرس بكلية الآداب خططنا خطوطاً زرقاً تحت بعض الألفاظ ، وأشرنا بعض الأحيان بالنص إلى ما فيها من الأغلاط بكلمات وجيزات ، ولا سيما أشرنا إلى قوله : « إن هيرودس أتيقوس » رومانى ، لا يونانى ، فهذا أبعد فى الخطأ من استنكاره أن يعتبر (ثيودوسيوس) يونانيا ... » استحسنها الجميع واستصوبها الكثيرون

بقى علينا أن نعرف الإسم الحقيق للشاعر اليونانى (إبقوس) أو (إتقوس) أو (إتقوس) أو (إيقوس) ؛ إذ كل هذه الروايات وردت مصحفة للاسم الحقيق المصحف ، فتذكرنا أننا لما كنا ندرس اليونانية في جامعة بيروت اليسوعية ، أن أحد معلمينا ذكر استطراداً اسم شاعر يونانى مشهور بسماه (إيبيقوس) ، وكان قد ذكره من باب العرض ، من غير أن يتصدى له تصدياً مقصوداً ، فبقى اسمه هذا مطبوعاً فى ذاكرتنا ، وكان عمرنا يومئذ ٢١ سنة : (أى كان ذلك فى سنة ١٨٨٧ م)

فسألنا أحد الحاضرين فى الجمعة التى وقعت فى ٢٨ أغسطس (آب) من هذه السنة المستشرق الإيطالى سيرينى Sereni ، والأستاذ مير بصرى منشئ مجلة « غرفة تجارة بغداد » : أتعرفان شيئاً عن (إيبيقوس) ؟ فقالا : وكيف يكتب هذا الإسم بالحرف الرومانى ؟ قلنا : لعله Ibicos ؛ فقال الأستاذ سيرينى : سأنظر غداً السبت فى المعلمة البريطانية وأفيدك عنه الإفادة الصادقة ، وكذلك قال الأستاذ مير بصرى

وفى اليوم الثانى — بعد أن مضت أربع وعشرون ساعة على سؤالنا — هتف إلىَّ الأستاذ بصرى قائلاً : وجدتُ ضالَّتكم فى المعلمة البريطانية ، ويكتب العَلَم هكذا Ibycus لا كما كتبتموه Ibicos ؛ ثم قال : وهأنذا أنقل إليكم بالعربية ما ورد فى المعلمة المذكورة ، وأبعث به إليكم فى هذه الساعة . وبعد عشر دقائق ، ورد إلينا تعريب الموضوع ، وهو ما ننقله إلى القراء بحروفه عن المعلمة البريطانية بقلم الأستاذ مير بصرى :

٣ — ايبيقوس هو اسم الشاعر اليونانى على التحقيق

« إيبيقوس Ibycus[1] من أبناء ريجيوم Rhegium من أعمال إيطالية ، شاعر غنائى ، يونانى ، معاصر لأناكريون Anacréon ، وقد طوى بساط أيامه فى المائة السادسة (ق . م .) وقضى حياته متنقلاً ، ولازم زمناً بلاط بولقراطس Polycrates طاغية ساموس Samos ، وقد قص بلوطرخس Plutarque أسطورة وفاته قال : هاجمه لصوص ، فناشد سرباً من الكراكى أن يأخذ بثاره . وحدث بعد ذلك أن أحد اللصوص شاهد كركياً فى مسرح كورنتس Corinthe فصاح : أنظروا إلى أصحاب ثار إيبيقوس ؛ فنم بذلك على نفسه ؛ فذهبت كراكى إيبيقوس مثلاً

وقد نظم إيبيقوس سبعة كتب فى الشعر الغنائى ، منه فى التصوف ، ومنه فى الغزل » انتهى نقله تعريباً .

ثم بحثنا عن إيبيقوس فى سائر المعاجم التاريخية ، من فرنسية وانجليزية ، وإيطالية وغيرها ، فرأيناها جميعاً تذكر هذا الشاعر اليونانى ، وعصره ، والكراكى التى استشهدها على قتلِهِ . ولاروس الكبير — وهو معجم ضخم فى أكثر من عشرين مجلداً — تكلم عليه أكثر من جميع المعاجم . ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فعليه به ؛ فانه فى غاية الإفادة التاريخية ، ونحب بنوع خاص أن يطالعه حضرة الأستاذ « محمد مندور » المدرس بكلية الآداب فى مصر المحمية ، من كل شر وبلية[2] .

٤ — الكراكى المندورية

قال جناب الأستاذ المكرم : « وأما قصة الكراكي ،

---

(١) ويكتبه كثيرون Ibycos بموجب أصله اليونانى

(٢) نقول ذلك ونكرره ليدفع الله عنها مخاطر الأعداء فى هذه الأيام العصيبة .

فقصة لا أثر لها فيما عثرت[1] به من كتب اليونان ، فهي خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودس وأنتيقوس شيئاً ؛ وإن يكن هناك احتمال في أن تكون من بين الأساطير الكثيرة التي راجت عن وفاة الشاعر اليوناني الكبير لوسيان[2] المعاصر لقومودوس وأنتيقوس » انتهى

يا سيدي الأستاذ ، لا يقول كلامك ولا مثله أرسخ المؤرخين قدماً في أخبار اليونان ، من أقدمين ومحدثين . فقولك . « فقصة لا أثر لها فيما عثرت به من كتب اليونان » . فهذا كلام يدل على أنك وقفت على جميع مؤلفات أصحابنا اليونان . فهذا ادعاء لا يسلم لك به تلاميذك ؛ ولو كان صادراً عن حسن نية ! بل لا أظن أن تلاميذك وكلهم - أذكياء نجباء - يقبلون منك هذا الإنكار العام العظيم ، فكيف يقبله قراء مجلة « الرسالة » ، وفيهم كبار المؤرخين ، وأساتذة التعليم وأعاظم جهابذة الأخبار وأرسخ العلماء قدماً في النقد وتزييف الأقوال والآراء

وصاحب الإمتاع لم ينسب هذه الكراكي إلى لقيانس ، ولا إلى أنتيقوس ، بل قال ، وهذا كلامه بحروفه منقولاً عن ٢ : ١٥٣ من الإمتاع : « حكى لنا أبو سليمان أن تيودسيوس[3] ملك يونان ، كتب إلى كنتس[4] الشاعر أن يزوده بما عنده من [كتب] فلسفية ... »

فالكراكي منسوبة هنا إلى « كنتس » الشاعر والذي أثبتنا أنه إيبيقوس Ibycos . فما ذكرته يا سيدي لم يذكره أحد فمن أين تأتينا بالوحي ؟

وزدت الطين بلة ، أنك ذكرت اسم شاعر آخر وهو لسيان (أي لقيانس) . هذه كلها أمور تزيد في المعضلات ارتباكا ، وفي العقد عجراً !

ثم يا سيدي ، أن لقيانس وقومودوس وأنتيقوس كانوا من أبناء المائة الثانية بعد المسيح ، ونحن رأينا أن إيبيقوس كان من أبناء المائة السادسة قبل المسيح ، فكيف نقلتنا فجاءة من عصر إلى عصر ، كأنك تسير في جو التاريخ سير الطيارات العصرية في أجواز السماء ، في عهدنا هذا ؟ أتجهل يا سيدي أن الطيارات لم تكن يومئذ معروفة عند مختلف الأمم ؟ أفتأذن يا حضرة الأستاذ أن تطير هذا الطيران السريع في تلك العصور القديمة ؟

كل هذا يدهشنا لأنه صادر من مدرس بكلية الآداب

إذن الكراكي (المندورية) غير كراكي الشاعر اليوناني إيبيقوس ، وهذه الكراكي ذكرها جميع من تكلم على هذا الشاعر الكبير ، من انجليز وفرنسيين وإيطاليين وألمان وروس وإسبانيين وأميركيين وغيرهم ، أفيكذبهم جميعاً كذلك كراكيك ولا نعلم إلى من ننسبها إلى لقيانس أم قومودوس ، أم أنتيقوس ؟

(البقية في العدد القادم) الاب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

(١) كذا ورد هذا الفعل موصولا بالياء في كلام الأستاذ المدرس بكلية الآداب في مصر المحمية ، ولعله أراد أن يقول : فيما عثرت « عليه » من كتب اليونان ، أقاله الله من كل عثرة ، وأن الجواد قد يعثر . والذي نعلمه أن العثور بالشيء غير العثور عليه . ولعلنا مخطئون والأستاذ مصيب !

(٢) لم نجد في الأسفار التي بأيدينا أن لقيانس (لا لوسيان) كان شاعراً كبيراً ، فضلا عن أنه لم يكن شاعراً ، بل كان معلم خطابة وفيلسوف . ولم يذكر أحد من المؤرخين شيئاً عن الكراكي التي ينسب الأستاذ مندور حكايتها إليه فلا نعلم من أي المناهل يستقي حضرته إن علمه للتاريخ يحيرنا ويذهلنا

(٣) وفي الحاشية : « في (١) « قومودوس » ، وفي (ب) « تودورس » . والصواب ما أثبتناه نقلا عن كتب التاريخ »

(٤) وفي الحاشية : « في كلتا النسختين « أبنقس » وهو تحريف »

من أدباء الصعيد في القرن السادس

الرشيد الأسواني

للأستاذ محمود عزت عرفة

في عام ٥٤٩ هـ قتل الخليفة الفاطمي الظافر بأعداء الله في دار وزارته بالسيوفية ؛ وعهد بالأمر من بعده لابنه الفائز « عيسى » ؛ وقد أقيم وقتذاك بقصر الخلافة حفل كبير لتأبين الخليفة المقتول، أمّه شعراء الدولة من كل إقليم، فأنشدوا مراثيهم حسب مراتبهم؛ ثم نهض في أخرياتهم رجل تتخطاه العيون ، أسود الإهاب ، عليه أطمار رثة ، وطيلسان من صوف ؛ فأنشد قصيدة أولها :

ما للرياض تميل سُكْرا هل سُقِّيَتْ بالمُزْن خمرا ؟

... ولما وصل منها إلى قوله :

أفكربلاء بالعراق وكربلاء بمصر أخرى ؟!

كان التأثر قد بلغ من الحاضرين مبلغه ، فجاشت قلوبهم بزفرات من الأسى ، وترددت أصوات من البكاء والإعوال هنا وهناك ... وظل الحزن معتلجاً في النفوس حتى فرغ الشاعر من إلقاء ما تهيأ له ، فغادر منبره وقد شَجِيَ وأشجى وكان أن رمقته العيون بنظرات الإعجاب والإكبار ، وانثالت عليه العطايا من الأمراء والحاشية والخدم وحظايا القصر ؛ وحُمل إليه من قِبَل الوزير — طلائع بن رُزِّيك — جملة من المال ؛ ثم قيل له في شبه اعتذار : لولا أنه العزاء والمأتم لجاءتك الخلع !

ذلكم هو شاعر الصعيد أبو الحسين أحمد بن علي بن ابراهيم ابن الزبير الغساني « الأسواني » الملقب بالرشيد ، وصفه ياقوت في معجمه فقال : « كان على جلالته وفضله ، ومنزلته من العلم والنسب ، قبيحَ المنظر ، أسود الجلدة ، جهم الوجه ، سَمْج الخلقة ، ذا شفة غليظة وأنفٍ مبسوط كخلقة الزنوج ، قصيراً »

وترجم له كثير من المصنفين غير ياقوت : كالعماد الأصبهاني (صاحب الخريدة) ، وأبي الطاهر أحمد السِّلَفي ، وابن خلكان وكمال الدين الأدفوي .

على أن واحداً من هؤلاء لم يذكر لنا سنة مولده على وجه التحديد ، وإن كانوا قد أجمعوا على أنه توفي عام ٥٦٣ هـ [1]

(١) خالف ياقوت في ذلك فذكر أنه توفي عام ٥٦٢ والأول أصح

نشأته وأخلاقه

كان أبو الحسن من أهل الفضل والنباهة والرياسة ، ينتمي إلى بيت كبير واسع الثراء من بيوتات الصعيد ، وكان يداخل نفسه شيء من الكبر والأنفة والطموح ، وقد لازمته هذه النزعة طيلة حياته ، بل جنت عليه أكثر من مرة ، وأذاقته مرارةَ الكُره والشماتة من نظرائه ، والتحيُّف والعسف من ولاة بلده وحكامه

وما من شك في أن مصرعه الرهيب على يد شاوِر وزير العاضد — كما سيأتي — مما يمت إلى هذه الصفات التي غلبت عليه بسبب قريب أو بعيد

لقد وصفه الشيخ الحافظ زكي الدين المنذري فقال : كانت في نفسه عظمة ! وقال عنه ابن شاكر الحوى في مشيخته : كان الرشيد عالي الهمة ، ساميَ القدر ، عزيز النفس ، يترفع على الملوك ويرق بنفسه عنهم [1]

وذكره ابن أبي المنصور في كتاب البداية فقال : كان قد اجتمعت فيه صفات وخلائق تعين على هجائه ، منها أنه كان أسود ، ويدعى الذكاء ، وأن خاطره من نار [2]

ولقد ضمه ليلةً — مع جمع من الفضلاء — مجلسٌ للملك الصالح بن رزيك ، فألقى عليهم مسألة في اللغة عجزوا جميعاً عنها ، حتى أتى هو بفصل الخطاب فيها . فلما أبدى الملك الصالح إعجابه قال الرشيد مفتخراً : ما سئلتُ قط عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فهماً ... فقال محمود بن قادوس الشاعر وكان حاضراً :

إن قلتَ : من نارٍ خُلِقْتُ وفُقْتَ كلَّ الناس فهما
قلنا : صدَقتَ فما الذى أطفاكَ حتى صرتَ فحما ؟

ومما قاله فيه ابن قادوس أيضاً ، وكان به مُغْرَى :

يا شِبْه لقمان بلا حكمةٍ وخاسراً في العلم لا راسخاً
سلختَ أشعار الورى كلها فصرت تدعى (الأسود السالخا) !

ويبدو أن الرشيد لم يكن يخلو — مع هذا — من حب الفاكهة ، والميل إلى التندُّر والدعابة . ولقد كان مما قصه عن نفسه لبعض أصحابه أنه مر ذات يوم بموضع في القاهرة ، فإذا امرأة شابة صبيحة الوجه تنظر إليه نظر مُطْمِعٍ في نفسه ،

(١) ، (٢) الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد لكمال الدين الأدفوي ص٤٩

وتشير بطرفها ، قال[1] : « فتبعتها وهى تدخل فى سكة وتخرج من أخرى ، حتى دخلت داراً وأشارت إلى فدخلت ؛ ورفعت النقاب من وجه كالقمر فى ليلة تمامه ، ثم صفقت بيديها منادية : يا ست الدار ! فنزلت إليها طفلة كأنها فلقة قمر . فقالت لها : إن رجعت تبولين فى الفراش تركت سيدنا القاضى يأكلك ! ثم التفتت وقالت : لا أعدمنى الله إحسانه ، بفضل سيدنا القاضى أدام الله عزه ! قال : فخرجت وأنا خزيان خجلا لا أهتدى إلى الطريق[2] »

ثقافته الأدبية والعلمية

كان الرشيد كاتباً شاعراً ، فقيهاً نحوياً لغوياً ، منشئاً عروضياً مؤرخاً ، منطقياً مهندساً ، عارفاً بالطب والموسيقى والنجوم متفنناً[3]

وقد ذكر صاحب الخريدة أن له رسالة «أودعها من كل علم مشكله ، ومن كل فن أفضله » قال الأدفوى[4] : « وقد وقفت أنا على رسالته ، وهي تدل على جودة معرفته بالفقه والنحو واللغة والتصريف والأنساب والكلام والمنطق والهيئة والموسيقى والطب وأحكام النجوم وغير ذلك ... »

وقال محمد بن عيسى اليمنى : كان الرشيد أستاذى فى الهندسة . ويعتبر كتابه (جنان الجنان ورياض الأذهان) أهم مصنفاته وأشهرها . وهو يشتمل على مختارات جيدة لشعراء مصر ومن طرأ عليهم . وله غير هذا الكتاب مؤلفات أخرى أورد ياقوت فى معجمه منها :

كتاب « منية الألمعى وبغية المدعى » . كتاب « الهدايا والطرف »[5] . كتاب « شفاء الغلة فى سمت القبلة » . مجموعة رسائل وديوان شعر ... ومن شعر الرشيد قوله معاتباً بعض أصحابه :

لئن خاب ظنى فى رجائك بعدما
ظننتُ بأنى قد ظفرتُ بمنصف
فإنك قد قلدتنى كل منّة
ملكتَ بها شكرى لدى كل موقف
لأنك قد حذّرتنى كلّ صاحب
وعلمتنى أن ليس فى الأرض من يفى !

ومن قوله فى الافتخار بنفسه :

جلّت لدىّ الرزايا بل جلّت همَمى
وهل يضر جلاء الصارم الذكر ؟
غيرى يغيّره عن حسن شيمته
صرفُ الزمان وما يأتى من الغيَر
لو كانت النار للياقوت محرقةً ... لكان يشتبه الياقوت بالحجر
لا تغرنّ بأطمارى وقيمتها ... فإنما هى أصداف على دُرر
ولا تظن خفاء النجم من صغر ... فالذنب فى ذاك محمول على البصر

وروى عنه أبو الطاهر السّلَفى (فى بعض تعاليقه) ما أنشده إياه لنفسه وهما بالأسكندرية :

سمحنا لدنيانا بما بخلتْ به ... علينا ، ولم نحفل بجُلّ أمورها
فياليتنا لما حُرمنا سرورها ... وُقينا أذى آفاتها وشرورها

رحلته الى اليمن

سافر الرشيد الأسوانى إلى اليمن رسولاً ، داعياً للخليفة الفاطمى . ويبدو أنه قوبل هناك بحفاوة سرّته ، وطاب له المقام حيناً ، حيث تقلد منصب القضاء والأحكام ولقب بـ « قاضى قضاة اليمن وداعى دعاة الزمن » ... ويقول ياقوت إن نفسه طمحت وقتذاك إلى رتبة الخلافة ... « فسعى فيها ، وأجابه قوم ، وسُلم عليه بها ، وضربت له السكة . وكان نقش الكتابة على الوجه الواحد : قل هو الله أحد الله الصمد ، وعلى الوجه الآخر : الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد[1] » .

(للمقال بقية)

محمود عزت عرفه

(١) معجم الأدباء لياقوت ج ٤ ص ٥٩

(٢) تشبه هذه القصة ما حكاه الجاحظ عن نفسه إذ قال : ما أخجلنى قط إلا امرأة مرت بى إلى صائغ فقالت له : اعمل مثل هذا . فبقيت مبهوتاً ، ثم سألت الصائغ فقال : هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت : لا أدري كيف أصوره . فأتت بك لأصوره على صورتك !

(٣) معجم ياقوت ج ٤ ص ٥٢

(٤) الطالع السعيد ص ٤٧

(٥) يسميه البهاء الدمشقى « العجائب والطرف » وقد نقل عنه قصة فى كتابه « مطالع البدور فى منازل السرور » جـ ١ ص ١٢٨ : الباب السابع عشر ، فى آنية الراح .

(١) معجم ياقوت ج ٤ ص ٥٥

العبقرية (*)

ليست العبقرية ملكة بسيطة ، بل هي في الحقيقة مجموعة قوى أو ملكات متحد بعضها ببعض . هذه القوى والملكات يمكن إرجاعها إلى ثلاث رئيسية هي :

(ا) مخيلة حية تثيرها للعمل حساسية شديدة أو عاطفة مشبوبة متقدة ...

(ب) عقل قوى مفكر ناضج ...

(ج) إرادة قوية حازمة

ونحن لا يمكننا أن نعرف الفكر الخالق إلا خلال ما يصدر عنه من أعمال ، ولا يمكن أن تنفصل العبقرية عن القوة الخالقة التي توجد بالضرورة في الإرادة القوية[1] .

هذه العناصر السيكولوجية لازمة بالضرورة للعبقرية ، ولا بد أن توجد كلها عند كل عبقرى ، ولكنها تختلف في واحد عنها في آخر ، بمعنى أنها توجد بنسب متفاوتة باختلاف العباقرة وإن وجدت فيهم جميعاً ، فليس هناك عبقرى ينقصه أي عنصر منها بل تتحد كلها فيه وإن ساد عنصر من تلك العناصر على بقية العناصر الأخرى عند عبقرى معين ، وساد عنصر آخر عند عبقرى آخر وهكذا ، فهي لازمة كلها لإنتاج الأعمال العظيمة التي تحتاج إلى عبقرية خاصة ، سواء أكانت تلك الأعمال إنتاجاً فنياً أم اكتشافاً علمياً أم صناعياً أو غير ذلك .

وهناك نهاية معينة يدركها الذهن القوى الراقى ، وهي نهاية أو غاية أسمى وأعظم من أن تتصورها الأذهان الشعبية العامة غير المستنيرة أو ترقى إليها . هذه النهاية نسميها تصور أو إدراك العبقرية La conception de génie هذا التصور أو الإدراك موجود ، ولكن يجب إيجاد وسائل تحقيقه ، أى يجب أن نعرف كيف نحقق تلك النهاية أو الغاية . إن المخيلة الحية والعاطفة المشبوبة تجعلاننا نتصور تلك النهاية ونحسها ونرغب فيها بشدة ، وتقدمان لنا ما وسعهما من وسائل ، ولكنها وسائل مضطربة في الحقيقة غير مرتبة ولا منظمة . فالمخيلة والحساسية والعاطفة لا يمكن للانسان أن يعمل بها وحدها شيئاً ذا أهمية إن لم يتدخل العقل الآمر الناهى في الأمر فيختار الأحسن ويترك ما لا يصلح ويربط بين ما يختار ويرتبه وينظمه . فعمل العقل — في كل شيء — هو الاختيار والترتيب والربط . ثم يجيء بعد ذلك دور الإرادة ، فإنها هي التي تتم العمل المدرك المتصور بتحقيق تلك الوسائل المرتبطة في الذهن . والعالم ملىء بالأذهان التي لا تنقصها المخيلة ولا الانفعال ، حتى ولا ملكة الترتيب والتنظيم والربط ، ومع ذلك فهي أذهان مجدبة لا تنتج شيئاً بل تعيش هي وحدها فيما تتصور وتحلم به ؛ وقد تكون تصوراتها جيلة ، ولكنها لا تخرجها للناس ، لأنها تفتقر إلى الإرادة والصبر ، وهما عنصران هامان في الإنتاج . وهناك عنصر أخير هو الإلهام يقدمه لنا في الحقيقة الحساسية — طبيعية أو مكتسبة — والمخيلة ، ولذلك لا يمكن للانسان أن ينتج بالإلهام وحده شيئاً خالداً باقياً .

ولا بد للعبقرى من الصبر والمجالدة والصراع ، حتى يتوصل إلى ما يصبو إليه . وقد قال بيفون[1] Buffon إن العبقرية صبر طويل Le génie est une longue patience ، ويمكن أن نمثل لذلك بالعالم الرياضى الكبير نيوتن ، فهو — باعترافه — لم يصل إلى تلك النتائج العلمية المدهشة إلا بصبره وطول أناته وقوة إرادته . وقد سئل كيف أمكنه اكتشاف الجاذبية الأرضية ؟ فقال : بطول تفكيرى فيها دائماً . ويستلزم الصبر إرادة قوية . ووجود الإرادة كعنصر في شيء ما يعنى وجود الحرية بالضرورة ، فلا إرادة إن لم تكن هناك حرية اختيار ، وما دامت الإرادة عنصراً في العبقرية فإن هذا يبعدنا عن النظريات التي تجعل من الرجل العبقرى نتاجاً ضرورياً أوجدته الظروف والبيئة ، كما تنتج النبات والحيوان ، أى أنها تجعل منه شيئاً أوجدته القوى الطبيعية بالصدفة السعيدة فقط ، وتعتبره

(*) ملخصة من الفرنسية عن كتاب : H. Marion : Leçons de psychologie

(١) يتفق رأى الأستاذ مريون في ذلك مع رأى الفيلسوف الفرنسى فيكتور كوزان الذي يرى أن العبقرية هي الذوق السامى ويدخل في تركيبه المخيلة والعاطفة والعقل ، يضاف إلى ذلك القدرة الخالقة ، أو القدرة على الإبداع والابتكار . وقد لخصنا ذلك في مقال « الفن » المنشور بالعدد ٤٧٦

(١) بيفون من أكابر العلماء الطبيعيين . ولد عام ١٧٠٧ في مونبار Montbar على ساحل الذهب . واهتم على الخصوص بدراسة التاريخ والطبيعة وتوفى عام ١٧٨٨

غير مسئول عن أفعاله وإنتاجه إلا كما يعتبر حصان جميل مسئولاً عن جماله ، أو شجرة عالية مشذبة عن علوها وتشذيبها ، والواقع عكس ذلك تماماً ، فهناك إرادة ، وهناك بالتالى حرية

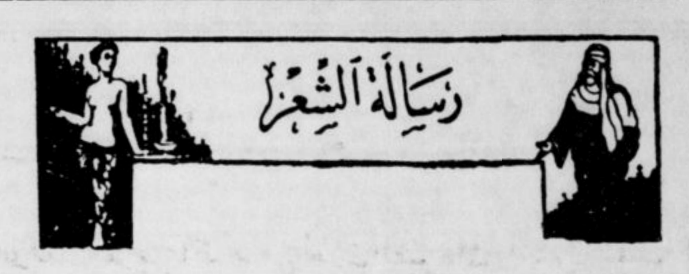
ولكن إذا كانت كل تلك العناصر تدخل فى تكوين العبقرية ، أفلا يمكن أن يكون للتربية أو التعليم أثر فى تكوينها كذلك ؟ إن القول بأثر التربية فى تكوين العبقرية يبدو لأول وهلة غريباً وشاذاً لأن العبقرية هبة طبيعية ، ويظهر أنها أولية a priori وسابقة على كل اكتساب ، ومستقلة عن كل تربية مقصودة . والواقع أن الجانب الطبيعى فى العبقرية هو الأكبر ، فالمخيلة والحساسية والعقل والإرادة كلها هبات طبيعية ، ولكن ذلك لا ينفى أن يكون للتربية أثر فى هذه الملكات . فيمكن توجيه المخيلة مثلاً نحو الخير والشر بالتربية والتعليم والقراءة وغير ذلك . كذلك تنمو الحساسية وتزيد فى هذه الناحية أو تلك تبعاً لما يصادفنا من الظروف والملابسات المختلفة والمشاركات الوجدانية والنفور ؛ كذلك يقوّى العقل والإرادة بالعمل والتمرين . فالتربية إذن يمكنها — أن تخلق العبقرى ؛ توقظ فيه جرثومة عبقرية وتساعده على الوصول إلى مبتغاه . وليس هناك — قبل كل شىء — هوة عميقة تفصل بين النبوغ والعبقرية ، وإن تعليما وتربية صحيحين وكاملين يمكنهما أن يخرجا للأمة عدداً من القيم العليا والأذهان القوية فى جميع أنواع النشاط العقلى ، أكبر مما ينتج لو تركنا أمر تكوين الشخصية للصدفة أو الاتفاق فحسب . وتضطلع الأمهات بأكبر نصيب من التربية ؛ فإن أثرهن كبير جداً على أطفالهن . والمشاهد أن معظم العباقرة — إن لم يكن كلهم — كانت أمهاتهم نساء ممتازات ذوات قلوب كبيرة وحنان بالغ ووجدانات حارة توقظ فى الأطفال قواهم النائمة الخامدة ، وتضىء ما أظلم من نفوسهم . وقد شبه أحد الكتاب الإنجليز فضل الأم على طفلها بفعل أشعة الشمس على الفاكهة

هناك نقطة أخيرة يجب الإشارة إليها وهى تتعلق بتشبيه بعض المفكرين العبقرية بالجنون ، وعلى رأس هؤلاء المفكرين ليلى Lélut [١] ، فقد يرى ليلى أن العبقرية ضرب من الجنون ، وحاول أن يطبق نظريته هذه على سقراط وبسكال ، فكان يرى فى سقراط رجلاً متوهماً مدعياً للوحى ؛ وأن الشيطان الذى كان يسمعه فى سجنه إنما هو صوت خيالى ابتدعه الفيلسوف نفسه من هذيانه ، فليس ثمة وحى فى الحقيقة أو شيطان . ولكن يمكن الرد على ليلى بأن شيطان سقراط إنما هو العناية الإلهية نفسها تخاطب نفس الفيلسوف وضميره ، ثم شخص هو هذا الصوت الباطنى كى يقربه إلى أذهان تلاميذه

نعم لا شك أن بعض العناصر التى تدخل فى العبقرية تدخل أيضاً فى الجنون ، فالمخيلة الفياضة مثلاً إذا اعتبرتْ تخيلاتها وهذيانها وأحلامها حقائق واقعة كانت هى الحماقة نفسها ، فهناك فى الواقع صلة بين العبقرية والجنون ، وهذه الصلة ترجع إلى الدور الذى تلعبه الحساسية الشديدة التهيج والمخيلة المتقدة المشبوبة فى العبقرية إذا لم يسيطر عليهما العقل . فمن السهل إذن أن تختلط معالم العبقرية بالجنون إذا غفا العقل وغفل عن القيام بمهمته فى الرقابة ، ولكن من السهل أيضاً التمييز بين الجنون والعبقرية ؛ ففى الناحية الأولى تسيطر العناصر السفلى : المخيلة والإحساس ، بينما ترجع فى الناحية الأخرى السيطرة إلى الملكات العليا السامية : العقل والإرادة

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

(١) ليلى طبيب فيلسوف معاصر . كان عضواً فى أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ، وقد اشتهر بكتابه عن شيطان سقراط وبسكال ، بين فيه أن العبقرية ليست إلا نوعاً من الجنون



من ديوانه « السلوى »

عزة ...

للأستاذ على متولى صلاح

أتحسبُ أنى أحمل الذل فى الهوى
وأن الجمال الفذَّ منك شفيع ؟
تعذّب من نفسى وترضى مهانتى
وذلك إثم — لو علمت — شنيع
حملتُ الهوى صـــدًّا ودلاً وحرقةً
وإنى سميـــع فى هواك مطيع
حسبتَ رضـــائى ذلةً وحقارةً
رويدك حصنى فى الغرام منيع
رويدك ... واعلم أننى أرفض الهوى
إذا خالطته ذلةٌ وخضوع ...

***

فإن كنت لا ترضى بغـــير مهانتى
كأنى عبـــدٌ تشترى وتبيع
وإن كنت تأبى لى مكانى ومنزلى
وما كان من حقّى لديك يضيع
إذاً ... فاتخذ غيرى خليلاً وصاحباً
ودعنى ... فإنى فى هواى رفيع !

على متولى صلاح

الأمل المنشود

الوَحـــدة العربيَّة

[إلى شباب العرب أسوق الحديث]

للأستاذ على شرف الدين

دَعَوتُ بَنِى عَمِّى بِلَيْلٍ فَلَمْ يَصْحُوا
وَنَامُوا ، وَقَالُوا : كلُّ لَيلٍ لَهُ صُبْحُ
فَرَنَّتْ بِهِمْ لَيْلَاء مَرْهُوبَةُ الدُّجَى
بَعِيدَةُ نُورِ الفَجْرِ أَوْحَشَهَا جُنْحُ
وَلَوْ أَجْمَعُوا فِي ظُلْمَةِ الخَطْبِ أَمْرَهُمْ
لَـكَانَ لَهُمْ فِيهَا يُرَجُّونَهُ نُجْحُ
تَغَنَّوْا بِمَاضِيهِمْ ... فَقُلْنَا : صَحِيفَةٌ
مِنَ المَجْدِ جَلَّتْ أَنْ يُطَاوِلَهَا المَدْحُ
وَلَـكِنَّمَا طُولُ التَّغَنِّى تِجَارَةٌ
إِذَا طَالَ فِيهَا القَوْلُ أَخْطَأَهَا الرِّبْحُ
وَمَا يَنْفَعُ المَاضِى المُغَنَّى بِمَجْدِهِ
إِذَا لَمْ يَـكُنْ فِي إِثْرِهِ السَّعْىُ وَالـكَدْحُ

***

وَقَالُوا : غَدًا تَحْوِى العُرُوبَةَ وَحْدَةٌ
فَخَفَّتْ قُلُوبٌ كَادَ يَقْتُلُهَا الفَرْحُ
أَفَاضُوا بِهَا دَرْساً وَشَرْحاً مُنَمَّقاً
وَمَا أَبْعَدَ الجَدْوَى إِذَا كَثُرَ الشَّرْحُ
لَئِنْ كَانَ حَقًّا فَاتْرُكُوا القَوْلَ وَاعْمَلُوا
وَخُطُّوا إِلَى العَلْيَاء نَهْجَكُمُ وَانْحُوا

***

أفيقوا – بني عمي – لقد طال نومكم
وليس لدى التاريخ عن نومكم صفح
وضموا على البعد الصفوف وجاهدوا
فقد ينجلي عن ظلمة الغسق الصبح
وكونوا صروحاً للعوادي دريئة
إذا هان صرح قام من دونه صرح
ترجّع مصر للعراق شكاته
ويحنو عليها الشام إن مسها قرح
فنحن على بعد المواطن إخوة
تؤلفنا الشكوى ويجمعنا الجرح
وتنظمنا (الفصحى) رباطاً مقدساً
ويشملنا الإخلاص والخلق السمح
لوِ اسطعتُ ألغيتُ الحدود فلم تعد
لتفصلكم عن مصر (سينا) ولا (رفح)

* * *

ذكرت لكم عهداً جميلاً وماضياً
هو الروض لم يهدأ لريحانه نفح
وأيام كانت للعروبة راية
يؤيدها العضب اليماني والرمح
يحيط بها الصيد الجدود بواسلاً
ويمضي بها النصر المبارك والفتح
يطوّق أعطاف (الفرات) عمودها
ويشهدها خفاقة فوقه (الطلح[1])

* * *

أإخوتنا بالشرق ردوا نداءنا
وفي النهضة الكبرى لأوطانكم صحّوا
على النيل من سيف الجزيرة شاعر
يحييكم والدمع في جفنه سفح
ومجنونة بالدمع تنضح قلبه
أضرّ بها دمعي وأتلفها النضح
أحب بني (عدنان) حب عبادة
وما حيلتي إلا الشكاية والنصح !

علي شرف الدين

(١) الطلح : واد بظاهر اشبيلية



حول نسخ الأحكام

نشرت « الرسالة » الغراء تعقيباً على مقال — حق الإمام فى نسخ الأحكام — جاء فيه أن أبا جعفر النحاس لم يعز القول بذلك إلى فرقة إسلامية ، ولا إلى جماعة من فقهاء الإسلام ، وأن الذى قال ذلك إنما هم الإسماعيلية الباطنية

فأما أن أبا جعفر لم يعز القول بذلك إلى فرقة إسلامية فليس بصحيح ، لأنه ذكر قبل ذلك أن العلماء من الصحابة والتابعين تكلموا فى الناسخ والمنسوخ ، ثم اختلف المتأخرون ، فمنهم من جرى على سنن المتقدمين فوفق ، ومنهم من خالف ذلك فاجتنب ، فمن المتأخرين من قال ليس فى كتاب الله عز وجل ناسخ ولا منسوخ ، وكابر العيان ، واتبع غير سبيل المؤمنين الخ وهذا ظاهر كل الظهور فى أن هؤلاء المتأخرين فرق إسلامية ، ولا يهم بعد هذا رأى أبى جعفر فيها ، لأن فيه مجازفة ظاهرة فى تكفيرها . وإذا صح أن هذا القول لفرقة الاسماعيلية ، فهى من فرق الشيعة المعدودة فى الفرق الإسلامية ، ومنها كان الفاطميون الذين أنشأوا أكبر جامعة إسلامية نعتز بها الآن ، ونشروا بمصر كثيراً من آثار الإسلام (...)

الشيخ خليل الخالدى

فى عاشر رمضان من السنة الماضية توفى بالقاهرة الأستاذ العالم الجليل الشيخ خليل الخالدى عن ٧٨ سنة رحمه الله . ولم يكتب شىء عن وفاته فى (مجلة الرساله) مع أنها عنيت بنشر نبذ من أخباره وأماليه فى حياته (فى السنة السابعة وقبلها) بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام . فكتبت هذه الكلمة الموجزة إيجاباً لبعض حقه :

ولد الفقيد فى القدس ، وأخذ مبادئ العلوم عن مشايخ العلم هناك ، ثم ارتحل إلى الآستانة ولازم الأستاذ الشيخ محمد عاطف شارح المجلة ، ووكيل الدرس الشيخ أحمد عاصم ، إلى أن تخرج عليهما . ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى حتى أحرز شهادتها . وقدم مصر وحضر دروس كبار علمائها فأجازوه . ثم تولى القضاء فى كثير من أقضية روم إيلى (روملى) إلى أن ولى قضاء ديار بكر . ثم اختارته المشيخة الإسلامية عضواً فى مجلس تدقيق المصاحف والمؤلفات . وفى أواخر الحرب العامة السابقة عاد إلى بيت المقدس فأسندت إليه رياسة محكمة الاستئناف الشرعية .

وكان له علم بالمخطوطات العربية ومؤلفيها ومواضعها من دور الكتب فى أكثر البلاد الإسلامية التى ارتحل إليها حتى الأندلس ، وله مذكرات منها لم تنشر بعد .

وكانت شهرة بيتهم قديماً بالديرى ثم اشتهروا بالخالدى ، وهو بيت علم قديم تولى عدة منهم قضاء القضاة بمصر من عهد الملك المؤيد ، كالشمس الديرى وللسعد الديرى ، وتراجمهم مبسوطة فى (الضوء اللامع للسخاوى) و (الأنس الجليل) وغيرهما .

ودفن الفقيد — برد الله مضجعه — فى باب النصر أمام مدفن أحمد بك عفت .

محمد غسانه

فرحة الأديب بالأديب

جاء فى العدد السابق من مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان (الحديث ذو شجون) للدكتور زكى مبارك ما نصه :

(عبارة « فرحة الأديب بالأديب » تعد من مبتكرات ابن الرومي من حيث الصورة والمعنى) وأقول إن هذه العبارة ليست إلا من مبتكرات أبي تمام من حيث الصورة والمعنى أيضاً ، فقد قال فى وصف السحب :

لما بدت للأرض من قريب ... تشوفت لوبلها السكوب
تشوف المريض للطبيب ... وطرب المحب للحبيب
وفرحة الأديب بالأديب ... .

وقد ذكرها الديوان كما ذكرها الشيخ يوسف البديعى فى كتابه (هبة الأيام) .

أعرض هذا على الدكتور وله تحيتى وإعجابى .

(جرجا) فؤاد الترك

رواية « فاطمة البتول » لمعروف الأرناؤوط

يضطلع الشام الآن بحصة وافية من النهضة الأدبية العربية على الوجه الذي يجمل بتاريخه العريق

ومن أدباء الشام المبرزين فى هذه النهضة الأستاذ معروف الأرناؤوط صاحب رواية « فاطمة البتول » ، التي نحن بسبيل الحديث عنها

يسرد المؤلف فى روايته قصة الحسين بن علىّ منذ تلفّت إلى الخلافة لفتة الأمل إلى أن قضى فى سبيلها نحبه . ويبثّ المؤلف فى جنبات القصة سيرة الحسين ، وأشتاتاً من أخلاق جده النبي صلى الله عليه وسلم وأمه الكريمة وآله الطيبين ، معتمداً على المراجع التاريخية العربية المعتادة ، مسترفداً أحياناً من أمهات كتب الأدب العربي . وعلى حوافى قصة الحسين وآله قصة زوجين عُذْريين هما نموذج فذ للتعاطف والتحاب ، أدناهما الزواج بعد عشق مبرّح ، فجاءا البلاد المقدسة يباركان حبهما ، ويَرْنُوَانِ إلى نور النبي فى وجه سبطه ... وهناك يلقيان ليلى الكندية أخت حجر بن عدى ، فتزيّن للزوج أن ينفر إلى العراق ليكون يداً للحسين على أعدائه ، فيستجيب لهذه الدعوة ابتناء المجد وطاعةً لعواطف الشباب ، ويودع زوجته الحبيبة التي تعود إلى وطنها فى وادى القرى ، ويمضي هو إلى العراق ليحقق مطامحه المخلصة ، فيذهب هناك ضحيتها . . . ويضنى الشوق زوجته ، ويطول عليها الانتظار ، فتبخع نفسها حزناً !

تلك خلاصة الرواية ، لا يزيد حظ فاطمة منها على حظ أغلب شخصياتها الأخرى ؛ لذلك كان غريباً أن تحمل اسمها الكريم ، فلئن جاز ذلك لأن الرواية تضمنت شيئاً عنها ، لكان الأولى أن تحمل اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، أو اسم الحسين ابن على ، أو عمرو بن الحويرث ، أو هند زوجته ، أو ليلى بنت عدىّ ، أو يزيد بن معاوية ، فلكلٍّ من هؤلاء فى الرواية ذكر أطول

والمؤلف إذ يتحدث عن عواطف الزوجين الحبيبين وهما يقطعان الصحراء الموحشة إلى مكة فى الغلس الرهيب ، وبين غضبات الطبيعة ، وإذ يذكران صباهما فى وادى القرى ، وإذ يختلفان فى الميل : عمرو يريد العراق ، وهند لا تريده ، وإذ يشقيان بعد بالنوى والوجد ... المؤلف إذ يتحدث عن هذا كله يأتى بالمعجب المطرب ، فما ينفك قارئه بين رقة تراوحه وتناديه ، وفتنة تلقاه من كل جانب ...

وفى حديثه عن الحسين الطفل ، ومنزلته لدى جده العطوف ، وعن الرباب زوجة الحسين الوفية ، وعن شديد حب الناس للحسين شعور دافق وبيان فاتن ، لولا أن القول عن طفولة الحسين تكرر كثيراً فطامن ذلك من بهائه

والعبارات التى أجراها المؤلف على لسان ليلى الكندية فى حض عمر على المضىّ إلى العراق ، تسترق اللبّ بما حوتْ من عاطفة وحصافة ودقة

فأما الصفحات التى ألمّ فيها بعواطف النبي نحو ابنته فاطمة وأطلعنا فيها على الحسين فى البقيع حيال قبرَىْ أمه وأخيه ، وفى وادى العقيق حيال قبر « حمزة » ، وحين يسأل الله للطيور الأمن والسكينة ... هذه الصفحات هى من أحفل صفحات الرواية بالجمال والشعر

وأما وصف المعركة التى استشهد فيها الحسين وذووه وهم بين شيخ فان وامرأة ضعيفة وصبى لا يريش ولا يبرى فوصف بارع جلا فيه الكاتب أحسن جلاء صبر الحسين وشجاعته وإيمانه ونبالته ، وفصّل القول فيما أبدى أهله وأصحابه من النصر له والموت بين يديه فى إخلاص عبقرى

وقصة موت يزيد بن معاوية قصة هى الأخرى مشجية وبارعة

وفى الرواية لفتات تعجب القومية العربية ، فالمؤلف يشير إلى أن الدماء التى أريقت فى صدر الإسلام « أريقت فى سبيل

عروبة الشام والعراق[١] » ، و « رفات عبد الله بن جعفر طوتها قيمان كتب قومه على حجارتها قصة الحرية فى الشام[٢] » ، وهذه الدنيا العربية ستجدد شبابها كلما فتحت عينيها على نور ذلك اليتيم المقدس[٣] »

ولكننا نلاحظ أن المعانى الفرنجية تدسست إلى الرواية ، فهند مثلاً تذكر أن على حواشى الأحراج وأطرافها أشجاراً كبيرة كتبت هى وحبيبها على لحائها قصة القلب[٤] !! وهى تحزن فتمرض فتسعل دماً !! كما يقع تماماً للأوربيات فى كثير من القصص الحديث

وكثرة الاستعارات فى الرواية تسترعى الانتباه . وقد أحب الكاتب ألفاظاً وعبارات بعينها فما تكاد صفحة تخلو منها ؛ نذكر منها : العَرْف ، والينبوع ، والنشيج ، والمائع ، والعمر الجنى الطرى ، والتيه الراعب ، والنهر الهادر ، والنفوس الحادبة ، ويميد ، وبفيح ، ويلذ ، ويتدفق ، ويرف ، ويهدر ، ويدغدغ ، ويهدهد ... هذه الكلمات تتكرر على نحو ممل ، مع أن العربية لغة المترادفات . والمؤلف يميل إلى استعمال صيغ المبالغة ؛ فالعين سحور ، والسيل جراف ، والريح جفول ؛ والظن أن لا ضرورة لهذا فى جل المناسبات ، فالمعانى قد تركب اللفظ القريب فتدرك به غاية المراد البعيد .

وثَمَّ ألفاظ لا يسيغها فى مواضعها كل مِزاج ، فمن ذلك (استخذاء) الحسين لفتنة الليل ، وكونه أمام (المرأة) التى لاعبها محمد ورق لها وبارك لها (يعنى أمه فاطمة بنت الرسول) ، وتلاحق صور الوطن على قلب هند (المريض) .

وقد يكرر المؤلف المعنى الواحد فى أكثر من فصل ، ولا يعنى بالتسلسل الواجب بين الفصول ، فلو غيرت موضع بعضها لخفى ذلك . وهذا دليل أن الرواية تعوزها الوحدة الصحيحة .

وأغلب أشخاص الرواية مرهفو الإحساس دقيقو الشعور ، على شاكلة ليست فى الطبيعة .

فأما طبع الكتاب فيؤسفنا أنه دون ما نرجو ، فكأين من غلطة مطبعية فى صفحاته كان من الميسور تحاشيها .

وبعد ، فهذه الهنات على كل حال لا تغشى على حسنات الكتاب الكثيرة .

(المنصورة) لبيب السعيد

(١) ص ١٤٤ (٢) ص ١٨٣ (٣) ص ٣٠٦ (٤) ص ١٢٨

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 484

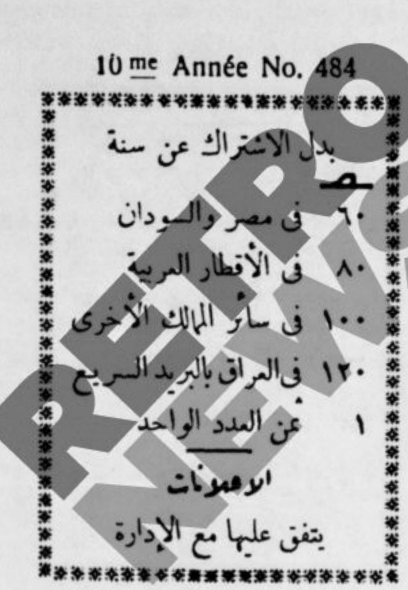
Lundi - 12 - 10 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

الاحسان الاجتماعي

للمغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

... أنا أعجب أشد العجب من أمر واحد هو في الحقيقة الأمر كله : ذلك هو فشل الجمعيات الخيرية في بلادنا . ولا أدلَّ على هذا الفشل من قلَّتها ، ولا دليل على هذه القلة كانفراد الجمعية التي نحن اليوم في احتفالها وذهابها بمجد التأسيس بين السوريّين[1] . وأن السابقة في الخير والاتحاد والثبات والإحسان وإخلاص النية إنما هي لها وحدها

ووجه العجب أننا إما أن نكون قد تجرَّدنا من حب الخير فلا نجتمع ، وإما أن نكون لا نحس عمل الخير فلا نجتمع عليه . لا مناص ألبتة من إحدى الخصلتين أو من كلتيهما . وقد نعلم أن قوام كل عمل بنظامه وتصريفه على أصوله الطبيعية التي من شأنه أن ينصرف فيها ؛ فإذا كان جمع المال يجرى على أصول اقتصادية محضة ، فإن إنفاقه كذلك يجرى على فعل هذه الأصول ، وما يجمع المرء إلا ما يفضل عما ينفقه . والإحسان إنما هو وجه من وجوه الإنفاق ، وليس كالشرقي رجل مفطور على حب الإحسان ، لأن تاريخه في كل أرض مملوء بالنكبات والجوائح التي تعلمه كيف يحسن ، ودينه في كل صبغة مملوء

(١) ألقيت في الحفلة السنوية لجمعية « الاتحاد والاحسان السورية » في طنطا يوم ٢٦ أبريل سنة ١٩١٤

بالعظات والآداب السامية التي تعلمه ما هو أسمى وأشرف من الإحسان، وهو كيف يتأدب في إحسانه. فإذا كان كل ذلك وكان ذلك كله صحيحاً لا ريب فيه كما هو الواقع، فما الذي يمنعنا — نحن الشرقيين — من أن نكون محسنين بالمعنى الحق، حتى تظهر ثمرة الإحسان، فَتُشْبَع بطون خاوية، وتُكْسَى أجساد عارية، وتُصْلَح عقول بالية، وتُشْفَى جراحٌ في جسم الإنسانية دامية، ويكون كل شيء عاملاً في تكوين الأمة تكويناً صحيحاً، حتى هذا الذي يقال إنه أصل الرذائل كلها ويقال فيه ما قيل فيها جميعاً، ويقال له الفقر!

ليس يذهب بإحساننا ضعفه وقلته، فالقليل لو اجتمع لصار كثيراً؛ ولا يخفى ثمرته أنه هو نفسه غير ظاهر، فإن كل شيء يؤتى نتائجه الطبيعية ظهر أو خفي. وما الإحسان إلا ضرب من ضروب الإصلاح الاجتماعي؛ ولكن الذي جعل الصحيح فاسداً، والموجود ضائعاً، والمُثْمِر منقطعاً، وجعل كل أمر في أيدينا يكاد يكون عبثاً من العبث، إنما هو شيء واحد، وهو جهلنا كيفية الإحسان

لا ريب أننا اليوم أمة، وأننا نتبع الأصول الاجتماعية في كل أمورنا العامة، وأننا نرى بأعيننا تسخير الطبيعة، ونستخدمها لأنفسنا، ولا ريب أننا مجتمع من المجتمعات المتمدنة، ولنا وصف طويل في علم الشعوب، وأن بلادنا ذات لون واضح في خريطة الأرض، ولكن مع هذا كله لا نزال في طريقة إحساننا كأننا في منقطع العالم، أو في رءوس الجبال، وكأننا لا نزال في معركة الاجتماع الطبيعي التي يكوّن الإنسان فيها جيشاً، والحيوان جيشاً يقابله

نُحسِنُ إحساناً طبيعيًّا صرفاً، من الفرد للفرد، كيف اتفق وحيث اتفق. نعطي الدرهم بكَسَل لمن يأخذه، لا لكي يعمل به، ولكن ليكون ثمرة من ثمار كسله ... في العصور الطبيعية تخرج الأرض أثمارها بعد أن تكون العناصر كلها قد اجتمعت على إنضاجها وعملت فيها أعمالاً كثيرة، فيأتي الإنسان لميد يده، ولا يعمل عملاً أكثر من أن يمدها. وعندنا تخرج أيدي المحسنين دراهمها، فيأتي بعض الناس لميد يده، ولا يعمل كذلك عملاً أكثر من أن يمدها. نحسن مثل هذا الإحسان الذي يذهب به وقتُه، فلا ننتفع به في إصلاح الأمة، ولا ينتفع به الفقير نفسه، لأنه في الأكثر يُفسِدُه ولا يُصلحه.

ولا يوجد اليوم في أيدي الناس درهم من دراهم الخرافات، يصلح أن يكون رأس مال، ولا في خبزهم رغيف من رغفان المعجزات التي تشبع الجماعات الكثيرة. والفقير متى أكل بالدرهم الذي يُحسَن به إليه، فقد شبع من جوع، وتهيأ لجوع جديد، فيذهب الإحسان والدرهم كلاهما، ويبقى الفقير والجوع كلاهما أيضاً!

من أجل ذلك وما يتصل به، فشلنا وذهبت ريحنا، وركدنا والناس طائرون. ومن أجل ذلك أراني أحب هذه الجمعية المباركة، وأكرم رجالها والقائمين بها، وأمدحهم وأعتدّهم من العظماء

فالجمعية صندوق أموال، وهي نفسها صدر يخفق في قلب الإنسانية. والجمعية سبب من أمتن أسباب الإحسان، وهي نفسها طريقة أفضل من طرق التربية الاجتماعية. وأكبر فضلها أنها من هذه الأمة كالظل في الرمضاء، والرقعة المخصبة في الجدب العريض، وأنها مجتمع صحيح في أمة متبدّدة يمزّقها كل شيء، حتى الأديان التي تعلّم أن الناس إخوة من أب واحد. وحتى السياسة التي تجعل أفراد كل أمة أعضاء من أسرة واحدة. وحتى الأدب الذي يضرب مثل الإنسان للانسان، بمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى

مجتمع صحيح من هذه الأمة العجيبة التي بهرتها الأمم بمعجزات الوطنية والاتحاد والإنسانية والعلم والأدب والاختراع، وأعجزت هي الأمم كلها في قاعدة حسابية غريبة، وهي أنها أفراد ولكن ليس لها مجموع في (الحساب)!

ليست العظمة بظهور المرء كما يظهر الممثل أمام المتفرجين في خلقة مزوّرة من رأسه إلى قدمه، ولا في هذه الأخيلة الذهبية التي تملأ رءوس الأغنياء كأنها أرواح الذهب، ولا في نحو ذلك من السخافات «المظيمة» التي ملأت الشرق كله. ولكن العظمة أحد شيئين: علم منتج، أو عمل مثمر. العظمة خلق إنساني يوجده العلم أو يوجد هو العمل الإنساني العظيم. فإن لم يكن علم صحيح، ولا عمل صحيح، فاجمع بين الماء والنار قبل أن تجمع بين النفس والعظمة. وقد أرى الرجل من عظمائنا

وهو من تعاظمه لغناه أو لمنصبه أو لجاهه أو لحسبه ، كأن رأسه صندوق من صناديق الموسيقى ، وكأن كل حركاته وكلماته إنما توقع توقيعاً منتظماً مع « النفخة » التي تخرج من هذا الصندوق ، ومع ذلك فلا أكرمه ولا أجد له في نفسي من المنزلة ، ولا أحفل بتلك العناصر الأربعة التي أنشأت عظمة من الغنى أو المنصب والجاه والحسب ، إلا كما يكون في نفسي لبعض قطع من الخشب والحديد والمعدن والنحاس ، وهي العناصر التي تصنع منها الأدوات الموسيقية

العظيم ذاتٌ مبنيّة على مبدأ ، وما دام كذلك فهو عظيم في خلقه وفي عمله ، ولا يسلب هذه العظمة منه إلا الموت . على أن التاريخ يَقْوى على الموت فيسْتَلِبها منه ، ويحفظها لصاحبها العظيم ، ثم ينفض عليها صبغة الخلود ، فإذا هي حياة ثانية لاسم من الأسماء الخالدة التي لا تموت إلا حين يموت الموت ! وإذا كانت الذات مبنية على مبدأ ، فيستحيل أن يسقط الرجل العظيم وذاته قائمة

وعلى هذه الجهة أتفاءل بمستقبل جمعية الاتحاد المباركة لأنها مظهر من مظاهر الأخلاق الفاضلة في نفوس القائمين بها ؛ فهي بناء من الأبنية الراسخة ، ولكن انظر إلى أحجارها الخالدة ، فإن كل حجر إنما هو المعنى الإنساني الذي تنطوي عليه نفس الرجل العظيم

عندنا رجال كثيرون ، ولكن ليس عندنا مبادئ ثابتة . فالذي ينقصنا إنما هو المبدأ . والرجل إذا لم يكن على مبدأ ، فهو من يوم يولد إلى يوم يموت ، إنما يتسكع في طريق الأقدار ليقطع مسافة ما بين مهده ولحده . وقد تكون هذه المسافة طويلة أو قصيرة ، ولكنها على كل حال ، ليست إلا طريقاً من طرق الموت . ثم يذهب من الدنيا وكل ما بقي له فيها حجر من الأحجار ، إذا وُجد من ينظر فيه وُجد من يعرف أنه كان في هذه الدنيا رجل اسمه فلان وهذا قبره

الحياة شيء أسمى من قطع العمر كله في إيجاد قبر من القبور يكون له اسم ولقب وتاريخ . كل منا حين يعتزي يقول عن نفسه كذباً : إنه سوري أو مصري ؛ فما الذي صنع هذا القائل لمصر أو سوريا ؟ ألا إن البلاد لا تعرف الناس بأسمائهم ، وطبيعة الإقليم لا تميز بين أناسها وحيواناتها ؛ فمن الحمير والبغال وصنوف الحيوان ما يقال فيه سوري ومصري أيضاً . ولكن الأوطان تعرف أهلها بأعمالهم ؛ وطبقة الفرق بين الإنسان والحيوان إنما هي طبقة تاريخه لا غير

قولوا في الشرقي على العموم إنه من بني آدم فقط . ومتى وجدتم رجل المبدأ الذي يظهر مبدأه في عمله والذي لا يعمل إلا ليتم تاريخ أمته ، وليكون صفحة من كتاب مستقبلها ، والذي لا يخرج من الدنيا حتى يترك من فضائله المنسوبة إليه شخصاً معنوياً يسمى باسمه ، ويلقب بلقبه ، ويؤرخ بتاريخه ؛ متى وجدتم هذا الرجل ، فقولوا فيه حينئذ ، بل دعوا بلاده تقول : إنه مصري أو سوري . من أكبر عيوبنا أننا لا نعرف الخلق العام الذي يجانس بين أفراد كل أمة ، ولا نجده إلا في أفراد قليلين منا ، وهو الذي تقوم عليه الوطنية . ومن أجل ذلك ، ليست لنا أمة اجتماعية ، ومن أجل ذلك لا نتحد . فقدنا الخلق العام أو المبدأ الاجتماعي الذي يرمي لإنشاء المستقبل ، وترقية الحاضر ، وحفظ الماضي ، فصارت الصلة بين الفرد والفرد من الأمة الواحدة ، صلة لفظية لا معنى لها . أو لستم ترون أننا — كما هو مشهور عنا — يرائي بعضنا بعضاً حتى في الحق ، ويجامل بعضنا بعضاً حتى في الواجب . وليس منا من يقدر أن يقول دائماً للباطل « لا » وللحق « نعم » ؟ أقول « دائماً » ، ولا أريد معناها الصحيح ، لأن قيمة كل شيء تعلو وتنزل عندنا بحسب الأحوال حتى الكلمات التي لا تعلو ولا تنزل . فإن شئتم ، فاعتبروا معنى قولي « دائماً » غالباً أو بعض الأحيان لأن الشرقي قد فقد الخلق الثابت ، فلا ثبات له على شيء ، ولا ثبات بشيء معه . ولولا أن أسماء الفضائل من اللغة ، وأن هذه اللغة ثابتة في كتبها التي تحفظها ، لكانت أكثر أسماء الفضائل اليوم عندنا هي نفس أسماء الرذائل !

أنظروا إلى الرجل الإنجليزي الذي هو نتيجة التاريخ الحاضر : إنه لا يثق بثلاثة أرباع الأرض التي تملكها دولته ، كما يثق بقدر أنملة في باطنه . فالأرض كلها وهي تدور على محورها ، وتنقلب

بالتاريخ أجيالاً ودولاً ، ليست فى عين الإنجليزى أكبر من قلبه الذى يخفق بين جنبيه ، والأرض لا تحفظ له فضيلة ، ولكن فضيلته تحفظ له الأرض .

كل انجليزى قد يراه الناس مصبوباً من معادن بلاده حتى الفحم الأسود . ولكنه يرى نفسه انجليزيا ، ولا يبالى ما وراء ذلك . ترونه كالحديد المصمت لا ينبعث له صدى ، لأنه للعمل والحمل والثبات والاستمرار . وإذا كان الشرق حديداً أيضاً ... فهو كالجرس سواء كان فى الأعلى أم فى الأسفل ، ليس إلا أن يهتز ويصيح بالأصوات الرنانة من جوفه الفارغ ... يعمل الواحد منا عملاً ضئيلاً ، أو عملاً لا قيمة له ، فيملأ الدنيا كلاماً ، ويملأ ما ضِفَّتَيْه نخراً ، ويملأ رأسه بهذا النوع الذى يسمونه جنون العظمة . وما ذلك من جهلنا لقيمة كل عمل ، ولكن من عجزنا عن أكثر الأعمال النافعة ، ومن مجازفتنا بالأوصاف رياء ومجاملة . وقد ذكر الروّاد الذين ضربوا فى مجاهل الأرض أنهم رأوا قبيلة من قبائل الزنوج كان أجمل وسام تسطع عليه الشمس فى صدر ملكها علبة فارغة من علب السردين !

هى علبة من علب السردين الفارغة التى يطرحها أفقر الناس فى الطرقات ، وهى قطعة من الصفيح قد لا تكون لها قيمة ، ولكن ذلك لا يمنعها أن تكون وساماً فى صدر الملك الزنجى ، ومتى قلنا « الملك الزنجى » فكأننا قلنا « الزنجى » فقط ، لأن أوصاف المتوحشين متوحشة أيضاً ، فلفظ الزنجى يأكل لفظ الملك ، وكذلك أوصاف الضعفاء ، وكذلك أعمال الشرقيين .

لا تظنوا أنى أنتقص الشرق وأهله وتاريخه . كلا ، ولكنى أصف عيوباً لا يجعلها من المحاسن أنها عيوبنا . ولو سئل أفضل رجل شرقى عن أحسن فضيلة فيه ، لقال إنها شرقية . ولو سئل أرذل رجل شرقى عن أقبح رذيلة فيه ، لقال أيضاً إنها شرقية . فهذا الشرق الذى هو مهد التاريخ، هو كذلك مهد الأديان ومبعث الفضائل . لكن أهله قد أضاعوا أنفسهم وأضاعوه . فإذا رأوا الفضيلة قالوا غربية ، وإذا رأوا الرذيلة ، قالوا شرقية ، وأحالوا بكل ذنب على الشرق ، كأن الأرض تنبت الرجال ، وتهيئ لهم العمل ، وتوحى إليهم المخترعات ! وكأننا نريد أن تكون هذه الأرض مثلنا فى التقليد . فالبحر يهز أمواجه ، ويجب على الأرض أن تهز أهلها ليتخبطوا على ساحل الحياة .

ما تقدم الغربى وجرى مسرعا لأن أرضه من المطاط ، ولا تأخر الشرق وجرى متعثراً لأن أرضه من الصمغ ؛ ولكن أكبر رذائلنا أننا لا نتحد ، لأننا نجهل التربية الاجتماعية . وقد تخلقنا بالأخلاق الفردية فصار الألف منا وأكثر من الألف لا يحسنون عمل اثنين متحدين ... الجبل تصعد عليه مائة قدم شديدة الوطأة فلا تؤثر فيه ما تؤثر النحلة ؛ وتتناوله مائة ألف ساعد قوية فتزيله عن مكانه ، لأن طبيعة الأقدام غير طبيعة الأيدى . فإن لم نجتمع ، ونأخذ أنفسنا بأصول التربية الاجتماعية فلا تنتظروا من الشرق أن يعمل عملاً .

مصطفى صادق الرافعى

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

اتجاه جديد فى الحياة المصرية — أخيلة ريفية تساور الكتاب المصريين — تاجوج الريفة فى السودان — فرصة لن تضيع — نقد الشعر على أساس وحدة البيت — قصة أدبية — شاعر يتحدى جميع الشعراء

اتجاه جديد فى الحياة المصرية

التاريخ الأدبى والعلمى لمصر يشهد بأن المصريين كانوا يعتزُّون بالريف كل الاعتزاز ، فينتسب الأديب واللغوى والفقيه إلى بلده الذى ولد فيه بأسلوب يفصح عن ارتياحه لذلك الانتساب . وفى رجالنا العظماء من عُرفوا بالنسب إلى بلادهم ، بحيث صارت تلك النسبة هى العَلَم الأصيل ، وبحيث صار الاهتداء إلى أسمائهم الأولى يُحوج الباحث إلى مراجعة كتب التراجم والتاريخ

الأشمونى النحوى ، والشنشورى الفرَضى ، والباجورى الفقيه ، والدميرى المحيط[1] : أمثال هؤلاء لا يُعرَفون بغير هذه الأنساب ، وهى غاية فى التعريف ، وعلى مثلها يقاس فى الأعلام المنسوبة إلى قُرى الريف بمصر الشمالية ومصر الجنوبية

ومن غريب ما لاحظتُ أن النسبة إلى العواصم كانت قليلة ، فلا يقال القاهرى أو الفسطاطى إلا فى أندر الأحايين !

ولعل السُّيوطى حين انتسب إلى سيوط لاحظ أن بلده ليست إلا دَسكرة من دساكر الريف ، وأن الانتساب إليها يميزه عن القاهريين[2]

وأكثر من تولوا رياسة الأزهر منسوبون إلى بلادهم ، من أمثال : البشرى والمراغى والظواهرى ؛ وهذه الظاهرة أوضح من أن تحتاج إلى استقراء[1]

ولكن ، ما الذى أفدناه من الانتساب إلى قُرى الريف ؟

الفائدة تفوق الوصف ، فقد أضفتْ على القُرى المصرية لمحات روحية ، وزادت فى قِيمها المنوية ، وربطت أهلها برباطٍ وثيق ، وأطمعتهم فى معانى المجد والخلود

ومن الذى يمرّ على أشمون أو شنشور أو الباجور أو إسنا أو ملَّوِى أو أسيوط أو منفلوط ، ولا يتذكر أن هذه البلاد كانت منابع لعبقريات حَفظ فضلها التاريخ ؟

ولكن الحال تبدلت فيما بعد ، وصار الانتساب إلى الريف لا يقع من الأنفس موقع القبول . وزاد الخطر بتوهم أهل الريف أنْ لا قيمة للحياة فى غير الحواضر ، وأن الريف لا يصلح مُقاماً لغير العاجزين عن الانتفاع بثمرات التمدن الحديث ، وصار من حق الفلاح أن يودِّع المسافر إلى القاهرة بهذا النشيد :

« ليلتك سعيدة وسعيدة يا رايح مصر »

ثم لطف الله بالمصريين فوصلوا قُراهم بعد القطيعة ، وآنسوها بعد الإيحاش ، وأصبح من المألوف أن تجد فتًى من حملة الأجازات العالية يحدثك عن متاعبه فى البحث عن أدوات الحرث والحصاد ، وصار من السهل أن تجد فى الوزراء السابقين من يستغل نشاطه فى استئجار الأراضى الواسعة بالريف[2]

---

(١) المحيط هى الكلمة التى أختارها ترجمة لكلمة Encyclopédiste والدميرى محيط بفضل كتابه « حياة الحيوان » ، فهو دائرة معارف . والدميرى منسوب إلى « دميرة » إحدى قرى الغربية ، وفيها ولد أخونا الأستاذ أحمد حسن الزيات

(٢) سيوط : اسمها اليوم أسيوط ، واسمها الفرعوني سووط ، ومعناه الحارس ، لأنها كانت تصد غارات الشمال على الجنوب

(١) الظواهري : نسبة قديمة إلى « الظواهر » ، وهى ضواحى مكة ، وبها كان يقيم أجداد الشيخ الظواهرى فى سالف الزمان ، وإليهم ينسب « كفر الظواهرية » بمركز ههيا بمديرية الشرقية

(٢) الوزير الذى أعنيه هو معالى الأستاذ حلمى عيسى باشا ، وهو رجل لا يكتفي بالاشراف على أملاكه الكثيرة ، وإنما يبحث عن الباشوات الكسالى ، أو الكسلانين ، ليستأجر أملاكهم لحسابه الخاص ، فهو وزير دائم لادارة تلك الأملاك ، وهو يبذل فيها من النشاط مثل الذى كان يبذل بوزارات المعارف والأوقاف والمواصلات ... فليقرأ هذا الكلام خريجو كلية الزراعة من طلاب الوظائف الكتابية !

وأظهر أمراء مصر عناية بمزارعه هو صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، فقد سمعت أنه يعرف أملاكه قطعة قطعة ، وأنه يراقب الأسعار مراقبة الخبراء . وهذا هو السر فى أن الله حفظ عليه نعمة اليسار العريض (١)

أخيلة ريفية

والذى يهمنى من هذا كله هو انتفاع الأدب الحديث بعودة المصريين إلى الريف ، فقد لاحظت أن فى كتابنا من تساورهم الأخيلة الريفية ، وهى أخيلة على جانب من الجمال ، وستغذى الأدب الحديث بألوان وألوان

ولتوضيح هذه الفكرة أذكر أنى كنت ألوم الأستاذ الزيات على طول مُقامه بالريف ، ثم تمنيت أن يقيم بالريف إلى آخر الزمان حين رأيته يقول :

« وفى الريف خطباء وشعراء كعصافير الحصاد ، تزقزق للحبة ، ولا تزقزق للزهرة »

وهذا كلام عجيب غريب ، أعنى أنه من النفاسة بمكان

وفى صباح اليوم قرأت كلمة للدكتور سعيد عبده فى « مجلة الساعة ١٢ » كلمة من جنس كلام الأستاذ الزيات فى الاستفادة من الأخيلة الريفية ، فالتفت ذهنى إلى هذا المعنى من جديد ، فما كلمة ذلك الدكتور الفلاح ؟

تكلم عن المعارضين فى مجلس النواب فقال « إن عددهم أقلُّ من عدد الدحريج فى القمح النظيف »

أى عبارة هذه ؟ وما الذى فاتها من خصائص التشبيه الدقيق ؟

ولو نظرنا فى تذييل هذه العبارة لوجدناها أعجب وأغرب ، لأن التذييل كان لمحة من النقد اللاذع لما صرنا إليه من الوجهة الماشية ، ويكفى أن أقول إنه قيّد القمح النظيف بالقمح الذى كان قبل سنة ١٩٣٩

(١) زرت جانباً من أملاك الأمير عمر طوسون ، فاهتديت إلى معان عمرانية سأتحدث عنها بعد حين

تاجوج المريضة فى السودان

فى قصيدة الشاعر محمد سعيد العباسى جاءت هذه الأبيات :

فيا ابن المبارك عِشْ سالماً ... وبُورِكَ فى زَنْدِك الواريهْ
تغنّيتَ حيناً بليلى العراق ... فأحللتها الرتبة الساميهْ
فمُد لنا فضل ذاك العِنان ... عنانَ يراعتك الطاغيهْ
وألِمْ بتاجُوجَ واحفِلْ بها ... فتاجوجُ جوهرةُ الباديهْ
وعلّقْ على جِيد تاريخها ... دراريَّ أبحرك الطاميهْ

فمن تاجُوج ؟ من تاجُوج وما تحدّث عنها أحدٌ من الذين قصّوا أخبار العشاق ؟

هى فتاةٌ جميلة عفيفة ، أحبّها فتًى جميلٌ عفيف ، وكانت لهما أخبار تُشبه ما كان بين ليلى وقيس ، ولعشاقها أشعارٌ لا تقلّ روعة عن أشعار المجنون ، عليهم جميعاً رحمات الذى خلق ثمرات النخيل والأعناب !

سمعت أولَ مرة بأخبار تاجُوج وأنا فى بغداد ، من خطاب فتًى سودانيّ عزّ عليه أن تشغلنى ليلى عن تاجوج ، فرمى سهم العتاب من الخرطوم إلى الزوراء

سهمٌ أصابَ وراميه بذى سَلَمٍ
من بالعراق لقد أبعدتِ مرماكِ

ثم اتفق بعد رجوعى إلى مصر أن أبحث عن أخبار تاجوج فرأيتها مسطورة فى رحلة سموّ الأمير يوسف كمال إلى السودان فى أقلّ من صفحتين ، فعاهدتُ الله والحب أن أكتب أخبارها فى مئات الصفحات (١)

ولكن متى ؟

قلبى يحدثنى بأن الله لن يبخل علىّ بتحقيق هذا الحُلم الجميل

كانت « تاجوج » تعيش فى « عروس الرمال »

فما عروس الرمال ؟

سترون وصفها بعد حين أو أحايين

(١) « الرسالة » : نشرت هذه القصة مطولة فى العدد الثانى عشر من الرسالة .

فرصة لن تضيع

فى العام الماضى أرسلت إلى المهرجان الأدبى فى السودان بحثاً عن « الطريق عن الوحدة العربية » وهو أول وحى جاد به السودان على قلمى . وفى هذا العام تفضل رئيس المهرجان فوجّه إلىّ دعوة كريمة لإرسال كلمة أو قصيدة تُلقى فى المهرجان ، فرأيت أن أرسل إليه قصيدة عن مصر الجديدة . ولكنى عرفت أن آخر موعد لتقديم الكلمات والخطب والقصائد هو اليوم العشرون من رمضان ، فماذا أصنع ؟

سأنشر قصيدتى فى العدد المقبل من « الرسالة » مهداةً إلى نادى الخريجين ، وبذلك لا تضيع فرصة الاشتراك فى ذلك المهرجان ، فالمهم هو تعاون العقول ، وتآخى النفوس ، وتناجى القلوب . وقد يتفضل الله فيسمح بالفرصة المقبلة ، فرصة المؤتمر الذى يُعقد فى عيد الأضحى ، وللمؤتمر هنالك معنًى يختلف عن المهرجان باختلاف الوضوعات الأدبية والقومية والاجتماعية

ولعل الأقدار تسمح بأن يكون لنادى الخريجين فى السودان قوة الجمعية الطبية المصرية ، فيومذاك ينتفع بما سنّتْ من التقاليد فلا يكتفى بالتنقل بين مدائن السودان عند إقامة المهرجانات والمؤتمرات ، وإنما يتنقل بين المدائن العربية فيكون مرة فى الخرطوم ومرة فى القاهرة ومرة فى دمشق ومرة فى بيروت ومرة فى بغداد

وبهذه المناسبة أقول : هل أقامت الجمعية الطبية المصرية أحد مؤتمراتها فى الخرطوم أو أم درمان ، مع أنها زارت أكثر الحواضر العربية وفكرت فى زيارة طهران ؟

أجب عن هذا السؤال ، يا معالى الدكتور على باشا ابراهيم !

نقد الشعر على أساس وحدة البيت

من رأى بعض القدماء أن الشعر لا ينقده غير الشعراء ، وحجة ذلك البعض أن الشاعر هو الذى يدرك الدقائق الشعرية ، ويعرف ما يباح وما لا يباح من التأنق والابتذال

والظاهر أن ابن الرومى هو أول شاعر نص على أن الجودة المطلقة لا تُشترَطُ فى كل بيت ، ولكن هذه النظرية لم تتضح فى ذهن ابن الرومى كل الاتضاح ، بدليل أنه ساقها مساق الاعتذار ، حين قرَّر أنه ليس أعظم من الله ، والله يخلق الشجرة وفى أغصانها القوىّ والضعيف

ولو أن هذه النظرية كانت اتضحت فى ذهن ابن الرومى لترك جانب الأعتذار واعتصم بجانب الاحتجاج . وتفسير ذلك أن جمال الشجرة مُجمَلٌ لا مفصَّل ، فهى جميلة فى مرأى العين ، بغض النظر عما فيها من أغصانٍ ضعاف ، ولعل جمالها لم يكمل إلا بفضل تلك الأغصان الضعاف

وأوضِّح هذه النظرية بعض التوضيح فأقول : فى كل وجه جميل ملامح تكميلية تؤكد ما فيه من جمال ، ولكنها منفردة لا توصف بالجمال

وفى الزهرة الجميلة أوراق يعوزها الُحسن ، ولكن جمال الزهرة يحتاج إليها كل الاحتياج

والأرض الجيدة لا تستوى أبداً ، وعدم استواء الأرض الجيدة هو الذى يتيح لها فرصة الانتفاع بالشمس والهواء

وما يقال فى المحسوسات يقال فى المعقولات ، فالنبوغ الفائق هو فى ذاته لون من الانحراف ، لأنه صورة من طغيان بعض المواهب على بعض ، ولو استقامت المواهب الإنسانية استقامة مطلقةً فى جميع الناس لكان من المستحيل أن يتفوق الإنسان على الحيوان

تفوُّقُ جارحة على جارحة أو ملَكة على ملَكة ، هو أساس النبوغ والعبقرية ، ولكن وجود الجارحة الضعيفة أو الملكة الضعيفة شرطٌ أساسىٌّ فى تكوين ما يقوى من الجوارح والملكات ، كما أن الغصن الضعيف سناد للغصن القوىّ فى تكوين الشجرة الفرعاء

والقصيدة كالشجرة ، يستبد فيها البيت القوىُّ بالبيت الضعيف ، وعلى أساس القوة والضعف ينهض بناء الوجود

وإذن ؟

وإذن يخطئْ من يُجارى القدماء فى نقدِ كل بيت من القصيدة على حدة ، وإنما الرأى أن تكون أبيات القصيدة كمسامير السفينة ، ومسامير السفينة تختلف باختلاف مواطن الرباط والوثاق

المحاباة ومصدرها الاجتماعى

للأستـــاذ عبد الله حسين

فى يوم صائف من أيام عام ١٩٤٠ كنتُ مع بعض زملائى المحامين فى غرفتهم فى دار محكمة استئناف مصر الأهلية ، وانتظمنا جماعة نعرض لشئون الدنيا العامة والخاصة بشتى فنون الحديث وألوان التخريج والتأويل ، ونرتصد لها بالنقد والتأميل . فبدهنا الزميل المحترم عبد الرحمن الرافعى بك ، وهو من هو فى أمثال هذه المعالجات والبحوث ، بكلام فى المحاباة :

تحدث الزميل مستغرباً متسائلاً : ما بال حكومات مصر قد بُليت ببلية المحاباة ، كأنها أساس من أسس الحكم ، لا يستوى على حال مرضية إذا لم تكن فى حساب الحكام ؟ ثم سأل بعدئذ : أليس هناك علاج لهذه العلة الفاشية ؟

وقد سارعتُ يومئذ إلى الإجابة على هذين السؤالين قائلاً عن السؤال الأول : إن المحاباة ليست خلقاً لحزب بذاته أو بلية ابتلى الله بها عهداً دون عهد أو حكماً دون آخر ؛ بل إنها تستند إلى ما ورثنا من عادات . ذلك أن الأمة هى الصورة الكبرى للأسرة ؛ وما دمنا نعمد فى أسرتنا إلى إيثارها بالغنم والخير ولو كان هذا على حساب أسرة أخرى أو جميع الأسر الأخرى ، فليس لنا أن نشكو ظاهرة المحاباة فى الأسرة الكبرى : الأمة .

إن عاداتنا وأخلاقنا لتقتضينا أن نعنى بشئون أبنائنا وأبناء عمومتنا وخؤولتنا وأصهارنا ، فإذا قام منا سيد أو حاكم ، وزيراً كان أو غير وزير ، اقتضته الشهامة أن يؤثر ابنه على ولد أخيه ، وولد الأخ على ولد العم ، وهذا على من كانت صلته بعيدة . فإذا اطمأن الحاكم أو السيد على الخير قد وصل إلى أحد من هؤلاء على الترتيب والتعاقب ، وكانت هناك فضلة من هذا الخير ، لزمه أن يؤديها إلى الصديق أو المواطن فى القرية ذاتها أو إلى ابن حزبه

أما إذا تغشى صاحب الكلمة والنفوذ وهم من تلك الأوهام ، أو رجس من تلك الأرجاس ، التى ينعتونها على أسلات الأقلام أو منابر الخطابة والوعظ والدعوة السياسية ، بالنزاهة

ولو نظر القدماء هذه النظرة لأعفونا من أبحاث كان فيها نقد الشعر قائماً على وحدة البيت لا وحدة القصيد ، فكان مثلهم مَثَل من يعيب الغابة الشجراء ، لأنه عثر فيها على شُجيرة عجفاء

قصة أدبية

وهذا الكلام ساقته قصة أدبية تلخّصها الأسطر الآتية :

بدا لى أن أقرأ « قصيدة مصر الجديدة » على الدكتور طه حسين ، فاعتذر بالسفر إلى فلسطين . وأردت عرضها على الأستاذ خليل مطران فحدد موعداً ، ولكنى تخلّفتُ عن الوعد ساعة وبضع دقائق ، فانصرف قبل أن يلقانى مع الأسف ، فقد كنت أرجو أن أنتفع بنقده الدقيق . وعند خروجى من مكتب الأستاذ خليل مطران لقيت الأستاذ محمد هاشم عطية فدعوته لسماع القصيدة عساه يعطى رأياً فى تنقيح بعض الأبيات ؛ ثم كان رأيه أن هذه القصيدة يفسدها التنقيح ، فعرفت من جديد أنه ذلك الأديب الفنان

ما هذا الكلام ؟ أترونى أعتذر عما سيقع فى قصيدتى من ضعف كما اعتذر ابن الرومى ؟

هيهات ثم هيهات ! فقصيدتى هى القصيدة ، ولن يستطيع شاعر أن يجارينى فى أى ميدان ؟

راية الشعر يحملها المصريون ، ولن تُنتزَع هذه الراية من أيدينا ، ولو سهر ليلُ الإخوان الأعزّاء فى سائر الأقطار العربية

قد تقولون : ما هذا الغرور ؟ وما هذا الادعاء ؟

وأقول إنى سألقى عليكم قصيدة تلقَفُ ما تأفكون ، وسأقهركم على الإيمان بعبقرية مصر الشعرية فى هذا الزمان

زكى مبارك

التامة والعدالة الحق ، فحدث ما شئتَ عما يصيب هذا الرجل من ألوان التشهير ، فهو — عند ذويه وأصهاره وبنى قريته وبين صُدقانه — الخارج على الأسرة ، المارق من المروءة ، الجاحد للفضل ، المختلس لثقة ناخبيه إن كان منخوباً لعضوية إحدى الهيئات ، الضعيف الرأى ، الأنانى ، الخائر العزيمة ؛ بل لقد يتمادى الطاعنون فى طعنهم ، فيرمونه بالخيانة لأن من ينكص عن خدمة ذويه وأصدقائه وأسرته ، لا يرجى منه خير لوطنه وأمته . أو بأنه فى حقيقته لم ينحدر من صلب آله وقومه !

فن منا — مَنْ من المصريين يرضى أن يدرج مع الساقطين فى المروءة والوطنية ؟

فهذه المحاباة — والأمر كما أوضحنا — ليست شيئاً مستغرباً وليست حادثة موقوتة يرجى علاجها إذا ما ولى عهد وخلفه آخر ، أو إذا ما سقط سيد وقام بالأمر بعده سيد آخر ، مهما يختلف مداها سمة وشططاً وعلة وتعليلاً

إنها ليست بحدث الأحداث كما يغلو بعض الكاتبين ، وليست بطارئ ظهر فى هذا الزمان

بل إن المحاباة — وهى من خلق الإنسان منذ الخليقة — تقع فى الصدر من أخلاقنا وتستقل بالصميم من عاداتنا

إنما الجديد فيها أننا نهضنا نهضة سياسية جديدة ، فأصبح لنا أحزاب سياسية ذات أنصار وأنصار للأنصار ، وأصبح لنا برلمان ونواب وشيوخ ، ولا بد لمجيء هؤلاء من الناخبين ، ولا سبيل إلى الفوز بالأصوات إلا بخدمة المصوتين أو بذل الوعد لهم بتأديتها

ومن ثم انتقلت المحاباة من ميدان القرية ، حيث يشتد النزاع حول العمديات والشياخات وتقديم أنفار القرعة وحول الميراث وحدود الأطيان وما يجب لها من رى وصرف — إلى الحكومة ، فكان ما شهدنا ونشاهد ، وما من أجله تناول الناقدون ما تناولوا من الإنحاء على المحاباة والمحابين

أما الإجابة على السؤال الثانى ، وهو كيف نعالج هذا الداء ، ونبرأ من هذه العلة — فإن الواجب أن نمهد إلى تقوية الرأى العام ، فإن رأينا العام ضعيف ، أو قل إنه قوى حيناً ، ضعيف أحياناً ...

أعنى بتقوية الرأى العام ، تقوية المعنى الوطنى ، أى أن تقوم تربية النشء على تقديم مصلحة الوطن والدولة على مصالح الأفراد التى تتعارض مع تلك المصلحة

هذه واحدة ؛ وواحدة أخرى علينا أن نبذل ما نستطيع لكى نجعل الانتخابات فى جميع صورها وأن نجعل ألوان التأييد للحكومات والثقة بها بمعزل عن الوظائف والتعيين فيها والترقية إليها ...

وإنى لأقدر فى أسف شديد وألم عميق ، أن أجيالاً قد تمضى قبل أن نستطيع أن نقضى على هذا الداء قضاء تاماً ، وأن كل ما نطمح إليه يجب أن يكون مقصوراً على تخفيف ويلاته ، والحد من مضاعفاته . وفوق كل ذى علم عليم

عبد الله حسين

من أدب العراق الشعبي

مَـم وزِين

فاجعة كردية خالدة

للأستاذ عبد المسيح وزير

(مم وزين) عنوان قصة فاجعة غنائية كردية خالدة يتغنى بها مغنون اختصاصيون من كرد وغيرهم فى العراق وفى باقى الأقطار التى يستوطنها العنصر الكردى كسورية وتركية وإيران . ولا أزال أذكر كيف كنا ونحن أطفال نلتف مع والدينا وأقربائنا وأصدقائنا الذين كانوا يزوروننا بدعوة خاصة حول موقد النار أو « الكرسى » (١) فى ليالى شتاء ماردين القارس محيطين بمغنى (مم وزين) مصغين فى صمت عميق إلى غنائه الابتدائى البسيط بصوته الجافى الذى لا رخامة فيه ولا فن . وكان المغنى فى فترات الاستراحة من الغناء يقص علينا القصة باللغة العربية . وكان الغناء والقصة يستغرقان ساعات الهزيع الأول من الليل ويزيد . وكنا بعد الغناء تام ونحن نحلم بشقاء الحبيبين وحياتهما الغرامية المرة التى انتهت بموت كليهما

وعندى أن قصة (مم وزين) لا تقل شأناً عن فواجع الاغريق القدماء فيما لها من اللذة والمتعة باعتبارها قصة خيالية شائقة تسترعى سمع الكبار وتخلب لب الصغار فيسهرون مصغين إليها بلا ملل

وهذه الفاجعة من جملة فواجع كردية أخرى مثل (درويش عبدى) و (جاى مازى) و (فليت قطو) التى لما ينشر منها شىء حتى الآن سوى فاجعة (مم وزين) المنشورة باللغة الكردية وحدها ؛ فهذه هى المرة الأولى التى تنشر فيها خلاصة (مم وزين) بغير اللغة الكردية ، وبذلك تكون مجلة « الرسالة » القراء السابقة إلى نشرها على ما أعلم

وقد طالعت فى كتاب « ألف ليلة وليلة » قصة مختصرة فيها بعض الشبه بقصة « مم وزين » . أعتقد أن جامع قصص « ألف ليلة وليلة » اقتبسها من « مم وزين » التى كانت شائعة فى ذلك العهد فى المناطق الكردية شيوعها فى هذه الأيام

وأؤمل أن يتاح يوماً لهذه القصة الفاجعة شاعر عظيم عربى ، أو أعجمى ، ينظمها فى مسرحية شائقة ، أو قصيدة علواء ، نظما ساحراً يذيع صيتها فى الدنيا الأدبية على ما فعله الشاعر الانكليزى (فتزجرالد) بنقله رباعيات (عمر الخيام) إلى اللغة الانكليزية ، فيضيف بذلك إلى متاحف الأدب العالمى درة يتيمة جديدة من كنوز الآداب الشرقية المكنونة فى العراق (ع . و)

(١) موقد عليه كرسى مربع كبير مغطى بلحاف كبير وبساط صوف يجلس الناس مغطين أرجلهم باللحاف استدفاء فى أيام الشتاء الباردة .

القصـــة

فى مدينة نائية قائمة على نجد خصب بين قنن الجبال فى بلاد الكرد حكم أمير شاب اسمه (مم) اشتهر بكرم أصله وجلال قدره وهيف قده وجمال صورته ومتانة خلقه وعلو همته وندرة بطولته . وكان الأمير أعزب لم يفكر قط فى أمر الزواج ، لأنه لم ير فى مملكته أميرة حسناء تضاهيه فى الحسب والنسب ليقترن بها

فنى ذات يوم فاتحه وزراؤه فى أمر الزواج فلم يحر جواباً . ولما انفض مجلسه ذهب إلى فراشه لينام فأرقه التفكير فى أمر الأميرة التى يختارها زوجاً فتلد لعرشه وارثاً . ولما أعياه التفكير غلبه النعاس فاستغرق فى نوم عميق ، فرأى نفسه مجتمعاً بالأميرة (زين) الغادة الحسناء بنت أمير الجزيرة[١] تلك المدينة الجميلة الراكبة على نهر دجلة . وبعد سمر سعيد طويل ثمل فيه الأميران بخمرة الحب الخالص والغرام البرىء تعاهد (مم) و (زين) على الزواج على أن يخطب الأمير الأميرة إلى اخوتها الأمراء (چكـو) و (حسو) و (قره تاج الدين) ؛ لأن والدها الأمير كان قد توفى . ورمزاً إلى عهد الحب والزواج تبادل الأميران خاتميهما ، فوضع (مم) خاتمه فى إصبع (زين) ، ووضعت (زين) خاتمها فى أصبع (مم) ؛ ثم اضطجع العاشقان للنوم فى فراش واحد ، فانتضى (مم) حسامه ومده بينه وبين (زين) المضطجعة بجانبه رمزاً إلى صيانة عفاف العذراء وشرفها وعهداً منه على ألا ينال منها وطراً قبل الزواج شرعاً بإذن الله وأوصيائها

أفاق الأمير (مم) على تغاريد الأطيار التى نقلها نسيم الصباح إلى أذنيه ، فقال فى نفسه : « ما ألذ حلم هذه الليلة ! ليتنى لم أفق من النوم » وحانت منه التفاتة إلى أصابعه فوجد أن الخاتم الذى فى إصبعه غير خاتمه . فتفرس فيه فقرأ اسم الأميرة (زين) بنت أمير الجزيرة منقوشاً فى ذلك الخاتم . فحار فى أمره وعلم بأن ما كان فى ليلته البارحة لم يكن حلماً بل حقيقة . أما صورة الأميرة الحسناء فلم تبرح ذهنه

وكذلك كان أمر الأميرة (زين) فإنها لما استيقظت من نومها على خرير دجلة حسبت حادث الليلة البارحة حلماً فى النوم ؛ ولكنها لما وجدت خاتم (مم) فى إصبعها اعتقدت أن فى الأمر أعجوبة ، لأن ما رأت كان حقيقة لا حلما . وكانت صورة الأمير (مم) الجميل مطبوعة طبعاً ثابتاً فى مخيلتها

(١) هى جزيرة ابن عمر

أما حقيقة الخبر، فهى أنه فى الليلة التى فكر فيها الأمير (مم) فى الزواج أوقعه الجن فى سبات عميق، ثم حملوا إليه (زين) من خدرها وجرى ما جرى بين الأميرين فى تلك الليلة. وقبيل انفلاق الصبح أوقعه الجن مرة أخرى فى سبات عميق هو وحبيبته وعادوا بالحسناء (زين) إلى خدرها فى الجزيرة بغير شعور منها

لما أفاق الأمير (مم) من سباته ووقف على جلية الأمر قطع على نفسه عهداً ألا يتزوج غير الأميرة (زين) بنت أمير الجزيرة. فنهض من فوره وارتدى ملابسه وحمل سلاحه وامتطى جواده وخرج من المدينة بغير علم رعيته قاصداً الجزيرة ليخطب بنت أميرها التى حملها إليه الجن فى الليلة البارحة السعيدة. وبعد سفرة طويلة شاقة وصل الأمير (مم) إلى تلك المدينة فذهب تواً إلى قصر الأمراء المطل على دجلة وحل ضيفاً على إخوة (زين) الثلاثة الذين أكرموا وفادته. فنمى خبر قدومه إلى الأميرة (زين) فحملها الشوق الشديد إلى رؤيته على ركوب كل مركب فى سبيل الوصول إليه. فتحينت كل فرصة سانحة للاجتماع به غير آبهة لعذل العذال ولا مكترثة لنميمة النمامين. وطفقت تجتمع به سراً حين يخرج إخوتها الأمراء إلى الصيد والقنص، إذ كان (مم) يتخلف عن الذهاب معهم بحجة يختلقها كل يوم فيتذرع بها للبقاء فى القصر وحده لكى يتاح له الاجتماع بحبيبته.

وكان فى القصر وزير اسمه (بكُو عَوَان) من دأبه إيقاع الأذية بالناس ولا سيما أولئك الذين كانوا موضوع حسده. فحقد هـذا الوزير على الأمير (مم) وطفق ينتهز الفرص للايقاع به. فبث العيون والأرصاد ليأتوه بأخبار (مم) و (زين). فعلم بأمر اجتماعهما، ووقف على ما كان يجرى بينهما، وأخذ يدس للعاشقين عند الأمراء أخوة (زين)، ولكن أولئك الأخوة لم يعيروه أذناً صاغية.

واتفق يوماً أن (مم) تخلف على عادته عن الخروج إلى الصيد مع الأمراء بحجة المرض. فاجتمعت به (زين). وبينما كان الحبيبان يتباثان لواعج الهوى إذا بالأخوة يدخلون القصر راجعين من الصيد ومعهم (بكو عوان). فأسرع (مم) إلى إخفاء (زين) تحت عباءته الكبيرة الواسعة المنسوجة من المرعز، ولكنه نسى أن يخفى إحدى ضفائر شعر (زين) الطويل فبرزت من العباءة دون أن يشعر بذلك (مم). فدخل الأخوة الأمراء ودخل معهم بكو عوان الديوان الذى كان فيه (مم) فلم ينهض (مم) لهم بحجة مرضه. ولم يشاهد ضفيرة الشعر الخارجة من العباءة أحد سوى (بكو عوان). فأسر (بكو عوان) فى أذن الأخ الأكبر (چكو) قائلاً: «ما أوقح هذا الضيف! أرأيت كيف أنه لم يقم إجلالاً لكم أنتم الأمراء بل ظل جامداً فى مكانه كأن الداخلين من عامة الناس أو من خدمه وحشمه؟ فأجاب (چكو) قائلاً:

«تبًّا لك من وغد ذميم! إن عدم قيام (مم) ليس تكبُّراً بل ذلك عجز منه لأنه مريض».

فقال بكُو معترضاً: «كلا، ليس السبب مرضه، وقد لا يكون عدم قيامه لكم لتكبُّره، إلا أننى أرى سبباً آخر يمنع الأمير الضيف من القيام»

قال هذا وأشار بيده إلى ضفيرة شعر الأميرة البارزة من العباءة

فلما وقعت عين چكو على الضفيرة، استشاط غيظاً فطرد أخته زين من الديوان، وأمر بزج مم فى غياهب السجن، وكان السجن حبساً يُنزَلُ إليه بأربعين دركة

فظل مم فى السجن أربعين يوماً وليلة وهو يقاسى أشدَّ آلام البين. وما انفكت زين فى خلال تلك المدة تسعى لدى إخوتها لإطلاق سراح مم بدعوى أنه خطيبها جاء ليخطبها من إخوتها. وأخيراً تمكنت زين من التغلب على دسائس بكو عوان، فأقنعت إخوتها بالإفراج عنه

وفى موعد إخراج الأمير مم من سجنه بعد مضى أربعين يوماً على حبسه، لبست زين أفخر ملابسها، وتحلت بأثمن حليها وسارت مع أربعين فتاة عذراء من أجمل بنات المدينة إلى السجن لتخرج منها حبيبها السجين فى موكب العذارى ... ولما وصلت إلى رأس السلم نادتْ مم بصوتها العذب ... فنظر إليها نظارة ولهان لم يصدق ما يشهده، فرأى زين فى غاية الجمال الفتان ... أما زين، فخيل إليها أنه غاضب عليها وعلى اخوتها فخاطبته تقول:

«أممُ ... إذا كنت لا ترضى بى عروساً بعد الذى جرى فاختر لك من هؤلاء الحسان زوجاً تليق بك!»

فوقع كلام زين وقع الصاعقة على مم، لأنه اعتقد أن زين قد نفرت منه فلا تريده بعلاً لها ... فخرجت حينئذ من أنفه نقطة دم واحدة، وسقط جثة هامدة!

أما زين، فرجعت فى موكب العذارى خائبة كئيبة ونفسها

إيبيقـــوس
IBYCUS

للأب أنستاس ماري الكرملي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

٥ — كنا نود لو يرأف الأستاذ مندور بأجداده العرب

قلت — يا سيدي الأستاذ — ما هذا نصه ، وقد ورد في ص ٨١٢ من « الرسالة » : وإذا ذكرنا أن كومودوس هو ابن مارك أوريل[1] ، وأن إنيقوس قد أشرف أيضاً على تربيته كما أشرف على تربية أبيه ، وإذا كان من الممكن[2] أن يكون قومودس[3] أمبراطور روما قد كتب إلى أنتيقوس باللغة اليونانية يطلب إليه كتباً وأشعاراً[4] ، وأن العرب قد علموا بذلك — مترجماً عن اليونانية ترجمة لا نعلم مبلغ دقتها[5] ؛ فأي غرابة في أن يكونوا قد جعلوا من إنتيقوس شاعراً يونانيًّا ، ومن قومودوس[1] ملكاً لليونان ، ما دام مصدرهم كان يونانيًّا ، وما دام التوحيدي يورده على سبيل الرواية ؟ وهل العرب كانوا يعرفون شيئاً دقيقاً عن الشعراء اليونان ومعلمي البلاغة عندهم ، حتى نستبعد أن يخلطوا بين الشاعر ومعلم البلاغة ، أو أن يستنتجوا من يونانية النص أنه تبودل بين يونانيين ؟

انتهى كلام الأستاذ مندور المدرس بكلية الآداب في مصر

فيا سيدي ، أهذا هو إكرامك للعرب أجدادك وأنت تنشئ تلاميذ عرباً ليقدروا أجدادهم أحسن تقدير ؟ فكيف تتمكن بعد ذلك من تعليمهم احترام أسلافهم بعد أن قلت عليهم أنهم ما كانوا يميزون بين الشاعر ومعلم البلاغة ، حتى أنهم كانوا يخلطون الواحد بالآخر ؟ !

ذلك ما لا نقبله منك ، ونلتمس من حضرتك بعد هذا أن تكرم بني مضر الإكرام اللائق بهم ، لأن الدقة في التعريب بلغ منهم أبعد مبلغ ، حتى أن المستشرقين المعاصرين يدهشون مما جاء به هؤلاء الدهاة الذين لا يشق لهم غبار ! فنحن يا سيدي نحتج عليك وعلى قولك هذا ، ونرجو منك ألا تعود إليه ولا إلى مثله ، وتعوّض عنه بما يغفر لك سيئتك هذه ! !

(١) العرب قالت : مرقس أوراليوس ، وهو اللفظ الصحيح الروماني وأما مارك أوريل فاسمه عند الفرنسيين ، ويجب أن نعود إلى لفظ الأعلام كما ينطق بها أصحابها كما قرره مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أو كما نطق بها العرب كما قال حضرته كومودوس ولم يقل كومود لخبعة أستاذنا هي أقوى حجة بيدنا

(٢) هذا كلام حضرة أستاذنا المحترم لا كلامنا فلينتبه إليه القارئ

(٣) وكان قال قبل ذلك كومودوس ولا نرى سبباً لعدوله عنه

(٤) هذه كلها تخيلات وتخرصات لا تفيد التاريخ فائدة أيا كانت .

(٥) لأن الأستاذ لم يطلع عليها ، ولو اطلع عليها لصححها أحسن تصحيح ، لدقة نظره في الكلام اليوناني وغوامض ألفاظه وما يقابلها أحسن مقابلة في لغتنا الضادية

(١) جاءت كوموس في هذه النبذة بثلاث صور على قلم الأستاذ الفاضل : كومودوس وقومودس وقومودوس . أما ابن الأثير فلم يذكره في تاريخه إلا باسم قومودوس (١ : ٢٢٩ و ٢٣٣ من طبعة أوربة) والأفرنج لا يجيزون تغيير العلم ولو كان ذلك التصحيف طفيفاً حفظاً لشرف صاحبه

حزينة حتى الموت ... وبعد مدة قصيرة توفيت هي أيضاً هماً وكداً على فراق حبيبها ، وأوصت بدفنها في البقعة التي دفن فيها مم !

* * *

بعد أربعين يوماً خرج الأمراء (جكو) و (حسو) و (قره تاج الدين) ومعهم وزيرهم (بكو عوان) إلى الصيد والقنص على سابق عادتهم . وفي أثناء الصيد مرت الخيل بفرسانها بالقرب من البقعة المدفون فيها جثمان العاشقين فنارت قائمة جواد (جكو) في حفرة وكان (بكو عوان) راكباً إلى جانبه . فنظر الأمير إلى الحفرة فوجدها ضريح (مم) ووجد جثة (زين) ممددة بجانب جثة (مم) وقد تعانق الحبيبان . فقال (بكو عوان) للأمير :

« أنظر ترَ هذين العاشقين الخبيثين لا يزالان يرتكبان المنكر حتى في مماتهما ! »

فاستشاط الأمير غيظاً من هذا الكلام المُنكَر واستلّ سيفه وضرب عنق (بكو عوان) وقال وهو ينهال عليه ضرباً :

« إذهب إلى حيث ألقت ، أيها اللعين ! ألا ترى أن الله يجمع ما يفرّقه الإنسان الخبيث مثلك ؟ »

فسقط (بكو عوان) ميتاً في تلك البقعة فدفن في مكان بعيد عنها ، إلا أن تلك البقعة المقدسة ظلت ملوثة بدمه النجس . وبعد مدة زار الأخوة تلك البقعة فرأوا زهرة جميلة عطرة نابتة على قبر كل من العاشقين وقد برز بين الزهرتين الجميلتين شوكة قبيحة سامة أنبتها دم (بكو عوان)

وإلى اليوم يزور العشاق مرقد ذينك الحبيبين ليمطروا ثراه بالرحمات الواسعة

(بغداد) عبد المسيح وزير

٦ — نُبذة الأستاذ الجليل

ختم الأستاذ نبذته — ويا ليته لم يكتبها ! — بقوله :

« ولعل فى هذه القراءة ما يطمئن إليه — ولو مؤقتاً[1] — الأب الفاضل ، إلى أن يقترح غيرنا قراءة أصح » انتهى

قلنا : لم نطمئن إلى هذا المقال دقيقة واحدة . والدليل على ذلك ، وعلى أننا لم نقبل منهُ رأياً واحداً من جميع تلك الآراء كثرة ما ورد فيها من التشويش والارتباك وعدم بقائه فى قرار مكين : وكيف نطمئن إلى ما ذهب إليه وهو نفسه لا يطمئن إليه ؛ إذ قال فى آخر آرائه : « ولعل فى هذه القراءة ... ولو مؤقتاً ... إلى أن يقترح غيرنا قراءة أخرى .

فهذه كلها أقوال هدامة ، ناسفة لكل ما أورده من الآراء والقراءات ، حتى اضطررنا إلى أن نمعن فى البحث كل الإمعان لنجد ضالتنا ، فوجدناها والحمد لله فى الأول والآخر .

٧ — من كان ملك يونان الذى طلب إبيقوس ؟

هذه مسألة فى نهاية الغموض ؛ فإن هذا الملك لم يكن ثيودسيوس ، كما قال الناشران فى ٢ : ١٥٣ ، ولا قومودوس ، كما ذهب إليه حضرة أستاذنا الذكى المدرس بكلية الآداب فى مصر الزاهرة ، ولا تودورس ، على ما ورد فى حاشية ص ١٥٣ . وسبب كل هذا الإنكار أن هؤلاء جميعهم كانوا روماً لا يونانيين خلافاً لما يذهب إليه أستاذنا المدرس . ولعله يفعل هذا تحقيقاً لقولهم : خالف تذكر ؛ ولأنهم لم يكونوا جميعاً من المائة السادسة قبل الميلاد . وكفى بذلك دليلاً على أنه لم يكن أحد منهم الملك الذى طلب إبيقوس .

إذن من عسى أن يكون هذا المنشود ؟ . إننا نظن أن الاسم تيودسيوس وغيره من قومودوس ولاتودورس من وضع النساخ ، لا من وضع الناطق به لأول مرة ، أى أبو سليمان المنطق السجستانى . وكثيراً ما كان النساخ يضعون فى مواطن الأسماء المجهولة ، أو الأعجمية ، أو الصعبة القراءة أو النطق بها ، ألفاظاً مشهورة مألوفة سهلة التلفظ بها ، إن فى الأعلام ، وإن فى المصطلحات العلمية ، بل فى الأحاديث النبوية نفسها

فمن الأول قولهم فى الهبودروموس Hippodromos البذروم (راجع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ١٠٩ من طبعة أوربة سنة ١٣٠٦) . وقد قال ناشره فى الحاشية : وسماه ابن رسته : البذرون والبيدرون واليذرون . ونشر الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربى فى المقتطف ١٠١ ص ٢٧٤ وما يليها مقالة قال فيها : إن العَلَم « ناصف تحريف ولدته اللهجة التركية عن نصوح » — وحضرته يعتقد هذا الأمر حق الاعتقاد . أما نحن فلا نسلم به ، بل نظن أن من كان اسم واحد ممن اتصل بالترك ناصفاً ، كان اسمه أيضاً (نصوحاً) ، فكان يعرف (بناصف نصوح) معاً ، كما قالوا : محمد على ، ومحمد حسن ، ومحمد حسين ، إلى نظائرها ، ثم تُرِكَ العلم الأول وأُخِذ العلم الثاني ، وهو كثير عندهم فقالوا : (نصوح) أو (نصوحى) . أما أن يكون (ناصف) تصحيف (نصوح) أو بالعكس فبعيد عندنا

ومن الثانى قولهم : الشكار والبتكار فى التنكار . والرَّجات والزاحات فى الزاجات . والراوندى والرموندى والرواندى فى الزراوندى لنوع من البورق . والمحوض والمحوَّض والمجوَّص والمخصص فى المخوص ، لنوع من التوتيا (راجع مفاتيح العلوم طبعة فان فلوتن ص ٢١٠ و ٢١١)

ومن الثالث ، ما ذكره أبو عبد الله حمزة بن حسن الأصفهانى المتوفى سنة ٣٦٧هـ فى كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » : « إن كثيراً من رواة الحديث يروون أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : تختموا بالعقيق ؛ وإنما قال : تختموا (بمعنى تمموا) بالقيق . وهو اسم واد بظاهر المدينة[1] . وروى آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يَستَحب العَسل فى يوم الجمعة ، وإنما هو يَستَحِب الغسل فى يوم الجمعة . ورووا : غمُّ الرجل ، ضيق أبيه ، وإنما هو عَمُّ الرجل صنو أبيه ، أى شبهُهُ . وقال عليه السلام : خراب بصرتكم بالريح ، وإنما قال بالزنج » انتهى

وبعد هذا البسط الوجيز الذى لا بد منه فى هذا المقام ، لوقوع التصحيف والتحريف فى الكتب المخطوطة ، نظن أن اسم الملك الذى طلب الشاعر اليونانى إبيقوس هو أحد هؤلاء الأربعة :

فأما أن يكون (بولقراطس Polycrates) وهو طاغية ساموس (من سنة ٥٣٥ إلى سنة ٥٤٢ ق م . وكان محباً للعلوم

(١) كذا ورد فى النص ، ولعله يريد « وقتياً » كما يؤخذ من اتساق الكلام ، لكن الوقتى غير المؤقت . (راجع مجلة المجمع العلمى العربى ١ : ٣٢٥)

(١) وفى لسان العرب فى مادة (ع ق ق) : « ورأيت فى حاشية بعض نسخ التهذيب الموثوق بها . قال أبو القاسم : سئل إبراهيم الحربى عن الحديث : لا تختموا بالعقيق . فقال : هذا تصحيف ، إنما هو لا تخيموا بالعقيق ، أى لا تقيموا به لأنه كان خراباً »

والآداب، واجتذب إليه أنا كريون، كما ذكرته المعلمة البريطانية) وفريقيديس Phérécydes وشاعرنا إيبيقوس. وكان قد أنشأ خزانة كتب ثمينة

وإما أن يكون (بيسستراتيدس Pisistratides)، وكان طاغية آثينة، ومن قرابة صولون. وكان قد ساعد على ازدهار الصنائع والفنون والحراثة والزراعة، وحسن آثينة، وأمر بإعادة النظر في قصائد أوميرس وعمّم نشرها بالنسخ والنقل وهي التي أصبحت أمّاً لجميع ما نشر منها بالطبع بعد ذلك. وكان من أبناء المائة السادسة

وإما أن يكون ابنه (هپّياس Hipplas الذي خلف والده على كرسي الملك في سنة ٥٢٨ ق م، مع أخيه هِپَّرْخُس Hipparkhos، فاجتذب إلى بلاطه الشاعرين (أنا كريون) و (سيمونيدس Simonides) وأنشآ خزانة كتب عامة، وأتما أعمال أبيهما في ما يتعلق بأشعار أوميروس، وتصحيحها وإبرازها بحلة موشاة أحسن وشي

وإما أن يكون « پرياندروس Periandros » وهو طاغية كورنتُس من سنة ٦٢١ إلى سنة ٥٨٤ ق م. وكان قد خلف والده قبسيلوس Cypsélos ووضع بعض أقوال حكمية اشتهرت فعُدَّ بين حكماء اليونان السبعة. وكان محامياً للعلوم والآداب والفلسفة، فاجتذب إلى كورنتس كليون Cléon وأناخرسيس Anakharsis

هؤلاء هم أشهر ملوك يونان المعروفين بحبهم للعلوم والآداب، وجذب العلماء والشعراء إلى بلاطهم، فكانوا يُشركونهم في مجالس أنسهم وطربهم وشربهم ومآدبهم. وربما كان هناك غير هؤلاء الأربعة الذين ذكرناهم لكننا نجهلهم لجهلنا تاريخ اليونان وشعرائهم وأدبائهم

ولعل الأستاذ « محمد مندور » يهدينا إليهم أو إلى بعض منهم لأنه يظهر — على ما يبين من كلامه — أنه وقف على كتب اليونان التي لم يصب فيها قصة الكراكي، مع كل توغله في مطالعة أسفار تواريخهم وآدابهم، فجاءنا بكراكي مندورية، وغابت عنه الكراكي الأبيبقوسية

٨ — الخاتمة والخلاصة

ظهر لنا، ولكل محب للتاريخ الحقيقي المبني على أخبار الأوائل، لا على الأوهام، لا على الأقاويل الأباطيل الفارغة، أن الشاعر اليوناني الشهير الذي طلب من سرب الكراكي أن ينتقم له، كان (إيبيقوس)

أما اسم الملك الذي كتب إليه يستقدمه فلا يعرف على التحقيق، ولعله كان أحد هؤلاء الأربعة: (بولقراطس) أو (بيسستراتيدس) أو (هپّياس) وأخوه هپَّرخس أو (پرياندروس) وكانوا معاصرين جميعهم (لإيبيقوس)، والله أعلم.

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٩ — ٧ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٤٣٤ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد حسن الخياط رقم ٦٠ من ذوي الأملاك بالغرامة ٥٠ جنيه والمصادره والغلق وتعليق الصورة على محل المتهم والبوليس والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٩ — ٧ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٤١٢ جنح سنة ١٩٤٢ عسكرية ضد رضا شاهين أبو النجا حماده مركز ايتاي بالحبس ثلاثة شهور شغل والمصادرة وتعليق صورة الحكم على مركز البوليس والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة ووجود ذره أكثر من المقرر

من أدباء الصعيد فى القرن السادس

الرشيد الأسوانى

للأستاذ محمود عزت عرفة

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

دعواه الخلافة فى اليمن

آلت هذه الدعوى بالرشيد إلى القبض عليه وتجريده، ثم إنفاذه مكبلاً إلى قوص وسَجنه بها، وكان حاكمها « طَرْخَان » ممن يُسرُّون له عداوة قديمة؛ فشَهَّرَه فى الأسواق، ولم يقصر فى إضعاف العقوبة له، ولكن سرعان ما ورد الأمر من قِبَلْ الملك الصالح بإطلاق سراح الرشيد، ولما يمض على اعتقاله أكثر من ليلتين (وكان الصالح إذ ذاك والياً على منية ابن خصيب)

ومن الغريب حقًّا أن يكون هذا كل ما ينال الرشيد من عقوبة على دعواه الجريئة؛ وما من ريب فى أن التهمة — بهذا الوضع — مبالغ فيها، ولا سيما إذا ذكرنا أن بعثته إلى اليمن وقعت فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله، والد الخليفة الظافر الذى رثَّاه الرشيد أوَّلَ مقدَمه إلى القاهرة

وقد حدد موعدَها الأدفوى بعام تسع وثلاثين وخمسمائة — أى قبل وقفته فى رثاء الخليفة الظافر بعشر سنوات — فهو لم يكن وقت هذه البعثة على شىء من الجاه أو النفوذ، يكفل له النجاة من عواقب دعوى جريئة، كتلك التى نسبت إليه، إن كان يجدى فى مثل هذا نفوذٌ أو جاه!

نعم، قد يكون لسعى أخيه « المهذب[1] » الذى كان عظيم الحظوة لدى الملك الصالح أثرٌ فى العفو عنه ... ولكن، هل يتفق مع نوع هذه التهمة أن يأمر الصالح — بعد ليلتين من وصول الرشيد — بإطلاق سراحه والإحسان إليه، فيحضره والى قوص من سجنه مكرماً — كما يذكر ياقوت — ؟

التهمة ولا شك مبالغ فيها — كما ذكرنا — وغير مستبعَد أن تكون قد دُست عليه فى جملتها وتفصيلها، ثم تبينتْ براءته منها بوجه لم يدعْ إلى مؤاخذته سبيلاً . ويؤيد هذا الرأى عندنا أن الأدفوى (صاحب الطالع السعيد) يؤكد براءته من تهمة دعوى الخلافة بدليل يمكن أن نعده قاطعاً . فقد ذكر أنه ذهب إلى اليمن داعياً للخليفة الحافظ ، متلقباً بعلم المهتدين، حتى قال فيه بعض شعرائهم من قصيدة بعث بها إلى صاحب مصر :

بعثتَ لنا علمَ المهتدين (م) ولكنه علم (أسود)!

ثم قال : « وقد وقفت على محضر كتبه باليمن ، فيه خط جماعة كثيرة، أنه لم يدَّعِ الخلافة، وأنه مواظب على الدعوة للخليفة، رأيت المحضر بأسوان[1] »

ويذهب ابن خلكان فى تعليل الغضب عليه واعتقاله مذهباً آخر — دون أن يشير إلى قصة ادعائه الخلافة — فيذكر أن الرشيد كان قد مدح جماعة من ملوك اليمن، منهم على بن حاتم الهمدانى الذى قال فيه :

لقد أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا ... فلست أنال القحط فى أرض قحطان

وقد كفلتْ لى (مأربٌ) بمآربى ... فلست على (أسوان) يوماً بأسوان

وإن جهلتْ حقى زعانف خندفٍ ... فقد عرفت فضلى غطارف همْدانِ

قال : فحسده الداعى فى عدن على ذلك، وكتب بالأبيات إلى صاحب مصر، فكانت سبب الغضب عليه

المهذب أخو الرشيد

كان من أسباب تعجيل العفو عن الرشيد ما سعى به أخوه المهذب «حسن بن الزبير» لدى الملك الصالح؛ وكان لديه أثيراً وبه مختصاً

والمهذب شاعر معروف، مجيد فى نظمه وفى نثره . ذكره العماد الأصفهانى، فأجزل فى الثناء عليه ثم قال : هو أشعر من الرشيد، والرشيد أعلم منه . ومن شعره قوله :

همُ نُصبُ عينى أنجدُوا أم غاروا ... ومُنى فؤادى أنصَفوا أو جاروا

وهمو مكان السرِّ من قلبى وإنْ ... بعُدتْ نوى بهمو وشطَّ مزارُ

تركوا المنازل والديار، فما لهم ... إلا القلوبَ منازلٌ وديار

واستوطنوا البيد القفار فأصبحت ... منهم ديار الأنس وهى قفارُ

وله أيضاً هذا البيت الذى يستشهد به علماء المعانى كثيراً، فى باب الإطناب :

ومالى إلى ماءسوى النيل غُلةٌ ... ولو أنهُ — أستغفرُ اللهَ — زمزمُ

وهو من قصيدة يمدح بها كنز الدولة ابن متوَّج أولها :

بأىِّ بلادٍ غيرِ أرضي أخيمُ ... وأىِّ أناسٍ غيرَ أهلى أيمِّمُ

ومن أشهر شعر المهذب قصيدةٌ له تسمي « النواحة »

---

(١) سنذكره بكلمة فى الأسطر التالية

(١) الطالع السعيد ص ٥٠

كتب بها إلى داعى اليمن يمدحه ويستعطفه على أخيه ، ويقول فيها :

يا ربعُ أين ترى الأحبة يمّموا؟ هل أنجدُوا من بعدنا أم أتهموا؟
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما يسرى إذا جُنّ الظلامُ الأنجمُ
وتعوضت بالأنس روحى وحشةً لا أوحش الله المنازل منهمو !
لولا همو ما قمتُ بين ديارهمْ حيرانَ أستافُ التراب وألثِمِ

وقد أجاب الرشيد على هذه القصيدة بميميَّة من وزنها قال فيها :

رحلوا فلا خلتِ المنازلُ منهمو ونأوْا فلا سلتِ الجوانحُ عنهمو
وسرَوْا ـ وقد كتموا الغداةَ مسيرهم ـ وضياء نور الشمس ما لا يُكتَمَ
وتبدّلوا أرضَ العقيق عن الحمى روّت جفونى أىَّ أرض يمموا !
ما ضرهم لو ودّعوا من أودعوا نار الغرام ، وسلّموا من أسلموا
هم فى الحشا إن أعرقوا أو أشأموا أو أيمنوا أو أنجدوا أو أتهموا

فى غمرة السياسة

خرج الرشيد من معتقله موفور الكرامة ، ممتلئ النفس بالآمال الجسام ؛ وقد انتقل بعد حين إلى القاهرة فاحتل مكانة موموقة بين أدبائها .

وكانت أبواب المناصب أمامه مفتوحة ، وسبله إليها معبدة . ولكن همته كانت أبعد من أن تقف من ذلك عند غاية ، وقد اختير فى عام ٥٥٩ هـ ناظراً على الدواوين السلطانية فى ثغر الإسكندرية ، فكان ذلك على كره شديد منه ؛ ولعله كان أشد اهتماماً وتتبعاً بما يجرى فى مصر من أحداث سياسية ، اجتذبه تيارها ـ بعد حين ـ فخاض غمرتها فى جرأة وطموح كلفاه حياته

وتفصيل ذلك أن أبا شجاع شاور بن مجير ـ وكان والياً على الصعيد الأعلى ـ قصد القاهرة بعد مقتل الملك الصالح عام ٥٥٦هـ وتمكن من قتل العادل وزير الخليفة العاضد (آخر خلفاء الفاطميين) ، واحتلال مكانه من الوزارة . ثم لم يلبث أن خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر فطرده من القاهرة وتولى الوزارة بعده .

وقد ذهب شاور إلى الشام مستنجداً بالملك الصالح نور الدين محمود زنكى أمير حلب، الذى أمده بجيش يقوده أسد الدين شيركوه (عام ٥٥٩هـ) فانتصر على ضرغام وتبوأ منصب الوزارة من جديد . ولكن ما عتم أن تنكر لحلفائه وخان عهد من نصروه، واستعان بملك الإفرنج صاحب بيت المقدس على محاربتهم وطردهم ؛ وبعد مناوشات وحرب وحصار انسحب شيركوه مرتدًّا بجيشه إلى الشام .

وفى أثناء هذه الحوادث كان يبدو ميل الرشيد إلى نصرة شيركوه ، وقد جرت بينهما مكاتبات انتهى أمرها إلى شاور فحنق عليه حنقاً شديداً وجد فى طلبه ولكنه اختفى ... واعتقل شاور المهذب ـ أخا الرشيد ـ لنفس التهمة . ولم يجُدِ لديه ما استعطفه به من رقيق الأشعار ، حتى التجأ إلى ابنه أبو الفوارس شجاع ابن شاور ـ وكان كريم النفس خيِّرا ـ فتقبّل منه مدائحه التى بعث بها إليه من معتقله ، وعنى بأمره أبلغ عناية ، حتى تمكن من إخراجه من محبسه ، ثم ضمه إليه ورفّه من حاله واصطنعه ... ولم يمتد حبل الحياة بالمهذب بعد هذا طويلاً فمات فى ربيع الثانى من سنة ٥٦١هـ

وفى عام ٥٦٢ هـ عاد شيركوه إلى مصر فاستولى على الجيزة وهزم الإفرنج فى الصعيد ، ثم مضى إلى الإسكندرية فافتتحها ، وجعل عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف . ولما عاد شيركوه إلى الصعيد حاصرت عساكر الإفرنج والمصريين مدينة الإسكندرية ؛ وقد جاهد صلاح الدين فى سبيل الاحتفاظ بها ثلاثة أشهر . وظهر أثناء ذلك أبو الحسين الرشيدى بعد أن طال اختفاؤه ، وأقبل يقاتل بين يدى صلاح الدين بسيفه ؛ ولم يزل معه حتى تم رفع الحصار باتفاق أجراه الطرفان إثر عودة شيركوه ، وبذلك تم انسحاب عسكر الشام

القبض على الرشيد ومقتله

لم يمض غير يسير على هذه الحوادث حتى وقع الرشيد فى قبضة شاور وكان حقده عليه بالغاً . قال ياقوت : « اتفق أن ظفر به على صفة لم تتحقق لنا ، فأمر بإشهاره على جمل ، وعلى رأسه طرطور ، ووراءه جلواز ينال منه » وقد رؤى على هذه الحال الشنيعة وهو ينشد :

إن كان عندك يا زمان بنيةٌ مما تهين به الكرام فهاتها

وشنق الرشيد وهو على حال عجيب من التجلد وفرط الاحتمال ؛ وقد ظل يتمتم بآيات من القرآن الكريم حتى فاضت روحه ، وكان ذلك فى المحرم من سنة ٥٦٣هـ

ورواية المنذرى عن مقتله تقول : « دخل مع الناصر[1] الإسكندرية وكتب فى أمور ، فأخذه شاور وعذبه عذاباً شديداً . فبلغنه أنه قال : « الهوان والعذاب من الملوك فى طلب الملك ليس بعار . فأمر به فضربت عنقه »

وقد دفن الرشيد فى الموضع الذى صلب فيه ؛ ثم نقلت رفاته بعد عام أو أكثر إلى مقبرة خاصة فى مدافن القاهرة .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

(١) يعنى صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يلقب بالناصر إلا بعد مقتل شاور عام ٥٦٤ هـ وتولية الوزارة للعاضد . ثم لما توفى فى العاضد مخلوعاً عام ٥٦٦هـ تولى صلاح الدين سلطنة مصر وأسس الدولة الأيوبية

الأثر المصرى
فى نهضتنا الأدبية الحاضرة
للأديب بشرى السيد أمين

قبل فتح السودان الأخير الذى تم للحكومتين المصرية والإنجليزية فى سنة ١٨٩٨ بقليل ، كان الأدب والعلم بمعناها المعروف فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين محصورين فى فئة قليلة من الناس . فلما أراد الله ، ولا رادَّ لإرادته ، وقضى ، ولا ناقض لما قضى ، أن يتم فتح السودان الأخير على المصريين والإنجليز ، كان ذلك غنماً لنا بدل أن يكون غرماً علينا ، وعاد علينا بأحسن الفوائد وأبركها بدل أن ينزل على رؤوسنا الويل والثبور وعظائم الأمور . وهذا من أعجب ما يبعث فى النفوس العجب ؛ إذ كان المنظور أن تأتى النتائج بعكس ذلك ؛ وهذا طبعاً لا ينفى القول الكريم بأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها[1] وجعلوا أعزة أهلها أذلة .

فانتشر العلم ، وذاع الأدب ، وشاع فى السواد الأعظم من شباب مدننا لكثرة ما أنشأ السادة الحاكمون من المدارس فى مدن السودان الكبيرة وعواصمه ، وما اهتموا به من شأن العلم والتعليم ، وما أنشأوا من صحف وطبعوا من كتب . هذا إلى جلبهم مطابع لهذا الغرض وفت به كل الوفاء ، وجعلت مدن السودان وأقاليمه القاصية ، مرتبطة بالدانية منها ، كالسلسلة الواحدة ، لا يفصمها إلا بُعد المسافة . وحتى هذه ذللت تذليلاً حال استقرار الحكم للمصريين والإنجليز بالبلاد ، بإنشاء الخطوط الحديدية العديدة فى كثير من أنحاء السودان

وقد تولى التعليم فى مدارس السودان أكفاء من خيرة الأساتذة المصريين ، المشهود لهم بالعلم الغزير والأدب الكثير ، فأداروه على خير الوجوه وأحسنها ، وتصرفوا فى شؤونه تصرفاً هو الغاية لمن يريد الإحسان ، فكان عهد المصريين الأول من خير العهود التى مرت بالسودان فى جميع أدواره الثقافية

(١) كان الفساد فى نواح غير نواحى الثقافة والأدب ، ولذا لم نر لذلك هنا موضعاً

وإنى لأذهب إلى القول الآن غير متحفظ أن نهضتنا الأدبية الحاضرة ما هى إلا وليدة تلك الروح العلمية الأدبية السامية التى سرت إلينا من إخواننا المصريين الذين تولوا تعليم ناشئتنا فى المدارس التى أنشأوها ، والتى وجهتنا بعد ذلك فأحسنت التوجيه

ولا يفوتنى أن أذكر – وأنا أكتب عن الأثر المصرى فى الأدب السودانى – ما للمحاضرات والمساجلات والمسامرات التى كان يتولى شؤونها أساطين البلاغة وجهابذة القول من المصريين فى مجتمعاتنا وأنديتنا الأدبية بمهارة لا يشركهم فيها غيرهم ، ولباقة لا يدانيهم فيها سواهم ، من أثر لا يمحى ، ولا زال واضح الصبغة ، مشرق اللون فى بعض أدبائنا على الخصوص ، وفى أدبنا على العموم

وفهمُنا للأدب ومعناه ، وللعلم وجدواه ، لا يعود الفضل فيهما إلا إلى الأساتذة المصريين الذين تولوا تربيتنا وتثقيفنا بصفة مباشرة ، أو غير مباشرة

فنحن مدينون لهم بالفضل ، ومقرون لهم بالجميل ، فلولاهم ، ومن يدرى ، لظللنا إلى الآن نسبح فى ظلامين دامسين من جهلنا ولوننا : ظلام جهلنا الذى لا زال يبدده هذا الصبح الواضح لذى عينين ، صبح العلم والمعرفة ؛ ونسأل الله أن يأتى على بقاياه فى زمن قريب . أما ظلام ألواننا ، فهو آية من آيات الله الشاهدة فينا بقدرته وإعجازه ، لأن الصبح بدل أن يجلوه يزيده إظلاماً !

إذا أضفت إلى ما تقدم شغف شبابنا المثقف بما تخرجه الصحف ، وتطلع به الكتب كل يوم من روائع الأدب المصرى على أنواعه فى الأغراض ، وألوانه فى الأساليب ، أدركت فى يسر سر انطباع أدبائنا على هذه الأنواع فى الأغراض والألوان فى الأساليب ، لأن مثل هذا السحر فى البيان العربى الممتاز مما لا يقوى على رده ومقاومته الأدباء الراسخون فى الأدب وصنعة البيان ، فكيف بمن هم حديثو عهد بالأدب ومزاولة الكتابة ؟ ولأدركت فى يسر كذلك أن هذه الثمرة من تلك الشجرة ، ولتنبأت لنهضتنا الأدبية المباركة هذه بعاقبة تصيّر الهلال قمراً ، والفجر صبحاً ، والليل نهاراً . أو لم تسر النهضة الأدبية المصرية فى بدايتها على مثل هذه الدرجات من التقدم حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من مكان ملحوظ ومجد باهر فى عالم الأدب ؟ فكذلك سيكون شأننا نحن فى المستقبل القريب إن شاء الله .

ويتجلى لك بوضوح تام شغف شبابنا المتأدب بالأدب المصرى المعاصر فى تأثر بعضهم بأساليب بعض أئمة البيان هناك تأثراً تنم عليه أساليبهم وتفضحه ألسنتهم مفتخرة ! فمنهم من يقلد الدكتور هيكل ، ومنهم من يحاكى الدكتور طـه ، والأستاذ الزيات ، والأستاذ المـازنى ، ويشغف بأدب هؤلاء وغيرهم ، حتى لا يجد غضاضة أن يفخر على غيره بأنه يملك القدرة التى تمكنه من تقليد أسلوب أحد المذكورين أو غيره فى ما يكتب للصحف والمجلات . ولو سكت – عفا الله عنه – لدل من نفسه الفرعُ على أصله من غير تنبيه أو لفت نظر ! على أن هذا ليس فيه لفاخر فضل ، بقدر ما فيه من عيب واضح ، وضلال فاضح .

ولا أنسى بجانب هذا أن أذكر أن لنا أدباء بالمعنى الصحيح ، وأن لهؤلاء الأدباء أقداماً راسخة فى الأدب على ألوانه وأوضاعه ، وأنهم قد أوتوا من حسن البيان وسحره ، وقوة التعبير وفصاحة الأسلوب وخلوصه من الشوائب قدراً يخولهم الوقوف مع كبار أدباء العربية في العالم العربى ، وإن آثارهم التى تطالعنا بها صحفنا المحلية كل يوم ، أو الكتب التى أخرجوها للناس – وهى قليلة – من بضع سنين إلى اليوم ، تشهد بهذه الحقيقة الواقعة ، وتشهد فوق ذلك بأنهم لا يقلدون غيرهم ، ولا يتأثرون سواهم فى أسلوب أو تعبير أو فكرة ، إلا إذا جاء ذلك عن غير قصد ، لأنهم يريدون لأدبهم حياة ، ولأمتهم بقاء ومكاناً ملحوظاً تحت الشمس ، ولا يتأتى لهم ذلك ، إلا إذا كانوا كذلك ، والفضل فى ذلك راجع إلى حسن توجيه الأدب المصرى ورسمه لنا الطريق التى يجب على أدبائنا سلوكها كي تكون نهضتنا الأدبية نهضة بالمعنى الصحيح لقيامها على أمتن الدعائم ، وأقوى الأسس التى يشاد عليها بناء نهضة أدبية لأمة متيقظة طامحة إلي المجد متطلعة إلى العلاء .

وبعد ، فإن الأثر الأدبى المصرى فى الأدب السودانى المعاصر أثر واضح لا يُنكر أو يخفي على ذى بصيرة وبصر للأسباب المذكورة آنفاً ، وهى أسباب قوية حرية أن توجهنا توجيهاً رشيداً نحو العلم والأدب إن أحسنا الاسترشاد بها والتهدى بهديها ، ولكن لا بد للطفل من أن يقلد أباه بادئ ذى بدء حتى يكبر فيرسم لنفسه طريقاً فى الحياة ليسير عليه ، ولعلنا نجتاز الآن – فى ثبات وهدى من أبصارنا وبصائرنا – هذه المرحلة

بشرى السيد أبي

(السودان : الجزيرة أبا)

أحـــلام «المنصورة»

للأستاذ صالح جودت

آه ممَّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يومَ وَدَّعْتُكِ وَدَّعْتُ شبابِى !
أين أحلامي على تلك الروابى ؟ ذابت الأحلامُ فى قلبى المذابِ

لِى حبيبٌ فيكِ أفديه بعُمرى
سُمْرَةُ النيل على خدَّيه تجرى
هو إلهـامى وأحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسُكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى

وله نجواى فى دُنيا اغترابى يا ترى يذكرنى بعد الغيابِ ؟
آه ممَّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يومَ وَدَّعْتُكِ وَدَّعْتُ شبابِى !

يا عروس النيل والبحر الصغيرِ
حَدِّثى عن مَلِكِ الغرب الغرير
يومَ أنْ جاءكِ فى ذُل الأسير
لِفَتَى من آل أَيُّـوبَ أمير
ذِكْرُهُ لا زال نفَّاحَ العبير

وَهَبَ النصرَ إلى الأُسْدِ الغِضَابِ مِنْ بَنِى (المنصورة) الغُرِّ الأوابى
آه ممَّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابى !

يا مُنَى الشرق وباريسَ الجَنُوبِ
مَنْ كأبنائِكِ فى غَزْوِ الشعوب
شهداء المجـد أبطال الحروب
وكغاداتك فى غَزْوِ القلوب
بالعيون السُّودِ واللحظ اللَّعوب

المنى بَعْدَكِ مِنْ وَهْمِ السَّرَابِ والصِّبَى فى غير لُقْياكِ تصابى
آه ممَّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابي !

قد صحبتُ النيل من فجر الصعيدِ
لرشيد وإلى أُخْتِ رشـيد
ما وعى لحنى ولا غنى نشيدى
غيرَ غاداتك فى الخطو الوئيد
حين يَخطُرْنَ على النيل السعيد

بالوجوه الشُّمْح كالنور المذابِ يتهادَيْنَ بمعسول الدُّعَابِ
آه ممَّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابى !



ما لم ينشر من أدب الرافعي

في العدد الماضي من « الرسالة » قطعة ممتعة للمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، فات الأستاذ العريان أن يضمها إلى مقالات الرافعي التي جمعها في الجزء الثالث من كتاب «وحي القلم» ؛ والرافعي — طيب الله ثراه — كان أديب العربية الذي لا يُلحَق في صَوْغه وغَوْصه ؛ لذلك كان كل ما يخطه قلمه تحفةً فنية غالية، يجب أن يحرص عليها الأدب العربي

« لقد كان الرافعي في الكتابة طريقةً وحده ! » ، كما قال الأستاذ الزيات بحق ؛ فهل من عجب أن يُعدّ الباحث الذي يعثر على مقال ضائع له ، أو قطعة مفقودة من وضعه ، كالذي عثر على كنز أو ثروة ! ؟

إنَّ الأستاذ العريان قد أدّى للأدب العربي خدمة جليلة ، حين شغل نفسه بجمع آثار الرافعي التي لم يسبق نشرها مجتمعةً في كتاب واحد ؛ وهو بإصداره الجزء الثالث من كتاب « وحي القلم » ، قد أطلعنا على كنوز مخفيَّة ، أو ضائعة ، طالما تاقت نفوسنا إلى الاطلاع عليها ... يقول الأستاذ العريان في تصديره للجزء الأول من « وحي القلم » : أما الجزء الثالث ، فهذه طبعته الأولى ؛ كان قصاصات من صحف ، وصفحات من كتب ومجلات ، فعاد كتاباً بين دفَّتين ... وقد جمعت ما قدرت عليه بعدُ ، فأضفته إلى ما جمع المؤلف ، ورتبت كل ذلك وهيأته للمطبعة ؛ فإن كان قد فاتني شيء مما ينبغي إضافته إلى ذلك الجزء ... فمعذرة إلى قارئه ؛ ولعلني ـ بمعونة القراء ـ أستدرك في الطبعة الثانية ـ إن شاء الله ـ ما فاتني في الأولى »

وقد عثرتُ ـ عرَضاً ـ على قطعة للرافعي عن « الإحسان الاجتماعي » المنشورة في صدر هذا العدد، فرأيت أن ألفت إلى ذلك نظر الأستاذ العريان ، حتى يضمها إلى الجزء الثالث من «وحي القلم» في الطبعة الثانية إن شاء الله ؛ وهذه القطعة قد ألقيت في سبتمبر سنة ١٩١٤ . وعلى الرغم من أن الرافعي كان يومئذ ـ لا يزال ـ أديباً ناشئاً في مقتبل العمر — إذ كان لا يتجاوز الرابعة والثلاثين — إلا أننا نلمح في هذه القطعة روح الرافعي وطريقته في الكتابة بشكل ظاهر . وهذا يدلنا على أن طريقته في الإنشاء قد استقامت له منذ زمن بعيد !

وقد أرفقت هذه القطعة بكلمتي هذه ، حتى يطلع عليها قراء الرسالة الغراء ، ورأيت أن أحذف منها قطعة صغيرة بدأ بها الرافعي كلامه ، مبيناً الظرف الذي دعاه إلى الكلام

زكريا إبراهيم

(مصر الجديدة)

زواج الأدباء للرافعي

أرسل إلينا الأديب نعمان أحمد عسكرية يقول : إن مقال «زواج الأدباء» الذي بعث به إلينا ونشرناه في (العدد ٤٨٢)، قد عثر عليه مصادفة في مجلة كانت تصدر في القاهرة باسم «الإشاعة» ، وهو جواب الرافعي عن استفتاء وجهه محررها إلى رجال الأدب

حول نسخ الأحكام

أقول رداً على المقال المنشور في العدد ٤٨٣ من مجلة الرسالة بعنوان (حول نسخ الأحكام) : إن الإمام أبا جعفر بن النحاس يرى أن القول بشمول النسخ للأخبار يؤول إلى الكفر ، وأن القول بجعل النسخ إلى الإمام أشد كفراً — كما في نصه المنقول في تعقيبي السابق وهو موضع البحث - فيثبت بالضرورة أنه لم يعز القول بجعل النسخ للامام إلى فرقة إسلامية عنده ، لظهور أن فئة يذكرها بأشد الكفر لا تكون فرقة إسلامية في نظره . فقول كاتب المقال : «فأما أن أبا جعفر لم يعز القول بذلك إلى فرقة إسلامية فليس بصحيح» ـ مع اعترافه بأن أبا جعفر ابن النحاس يكفر تلك الفرقة ـ يكون من قبيل إنكار النتيجة بعد التسليم بالمقدمتين

ذلك وقد أطبق أصحاب كتب الملل والنحل على أن الاسماعيلية الباطنية ليسوا بمسلمين وإن تظاهروا بالإسلام على ما يظهر من كتاب الرد على الباطنية لابن رزام ، والفهرست لابن النديم ، وكشف الأسرار للباقلاني . والفرق بين الفرق . وكتاب أصول الدين لأبي منصور البغدادي ، والفصل لابن حزم ، والتبصير لأبي المظفر الاسفراييني ، وفضائح الباطنية للغزالي ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي ؛ وغيرها فليتفضل كاتب المقال بذكر واحد من أهل هذا الشأن يعدهم من فرق المسلمين غير الداخلين في فرق الكفر فنعذره بعض عذر في حسبانه الباطنية الاسماعيلية من فرق الإسلام لو وجد سبيلاً إلى ذلك ، وليس بواجد

على أن من الظاهر كل الظهور أن جعل نسخ الوحي المنزل

من حكيم حميد بين شفتي شخص بعد انقطاع زمن الوحي لا يعقل أن يصدر ممن يدين بدين الإسلام ، فثبوت بطلان مثل هذا الرأى لا يحوج إلى أكثر من تصور طرفى الحكم من داع لما يقال له وكون الدولة الفاطمية من الاسماعيلية الباطنية لا يزيدهم إلا سوء مخبر . وبناء القائد جوهر الأرمنى الصقلى للجامع الأزهر لا يبرئهم من نحلتهم الإلحادية المكشوفة . ثم إن الجامع الأزهر إنما نعتز به كجامعة إسلامية منذ تولى أمره ملوك الإسلام وحماة السنة الغراء من عهد الظاهر بيبرس ، وكان قبل ذلك محشداً للاسماعيلية ذكورهم وإناثهم يجتمعون فيه للعن الصحابة علناً جهاراً لنشر دعوتهم الإلحادية ليلاً ونهاراً؛ ولم يكن الأزهر فى زمنهم جامعة ، بل كان يحلق فيه فقهاء مذهبهم بين الظهر والعصر من يوم الجمعة فى عهد الوزير بن كِلِّس لإلقاء عظات فى مذهب الرفض والباطنية . ويقول الإمام الباقلانى عنهم فى كشف الأسرار : «هم قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض» وفى المنتظم لابن الجوزى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ ابن الوردى صورة ما أصدره القضاة والأشراف وعلماء المذاهب ببغداد فى تبيين أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح ، وأن والد عبيد الله الذى تنتمى إليه العبيـدية كان يهودياً صباغاً بسلمية حمص ، وأنهم زنادقة أعداء للاسلام . وفى « اللمعات البرقية لابن طولون » ذكر نماذج من إلحادهم وزائف نسبهم . ونجد فى كشف أسرار الباطنية للحمادى عند الكلام فى تدرج الداخل فى دعوتهم ما نصه « قالوا له قرب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى ونسأل لك مولانا (الإمام المعصوم) أن يحط عنك الصلاة ويضع عنك هذا الإصر ، فيدفع اثنى عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداعى : يا مولانا إن عبـدك فلاناً قد عرف الصلاة وممانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الإصر وهذا نجواه اثنا عشر ديناراً ، فيقول : اشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ويقولون : الحمد لله الذى وضع عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ... » وهكذا . وقد أفاض المقريزى في خططه فى بيان المجالس التى يعقدها الداعى للذكور والإناث ، ومنازل الدعوة ، وعدد النطقاء إلى السابع الذى ينسخ الشرائع ، وهو صاحب الزمان محمد بن اسماعيل ابن جعفر وهو سابع الأنبياء النطقاء فى نحلتهم ، ونبينا فخر الرسل عليه الصلاة والسلام سادسهم عندهم ، إلى غير هـذا مما تضيق مجلة الرسالة عن بسطه الآن .

صلاح الدين شفيق

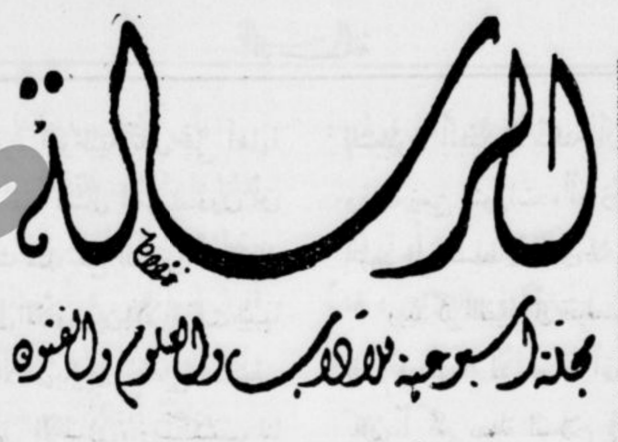
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 485

Lundi - 19 - 10 - 1942





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة العاشرة « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » العـــدد ٤٨٥

أفعالهم من أمثالهم

للأســتاذ عباس محمود العقاد

من مؤلف الأمثال ؟

تلك الآيات القصار من موجز البلاغة من صائغها ومنتق ألفاظها ومودع الحكمة فى خلالها ؟

إنها أسلوب غير أسلوب الفرد فى كلامه ، ولكن الأمم لا تجتمع للتأليف والصياغة فيقال إنها من تأليف أمة فى أجيالها المتعاقبة . وهى بلا ريب لم تؤلف نفسها ولم تكن قولاً بغير قائل . فأصدق ما يقال فيها أنها كلام ترد صقلته الأمم جيلاً بعد جيل ، وأنها وحى الإنسانية أجرته على بعض الألسنة وتعهدته بعد ذلك بالتنقيح والمراجعة . فليست هى لغة فرد ولا صياغة أمة ، ولكنها مساهمة من كل بما يستطيع فيها . فالفرد يستطيع أن يصوغ الكلام ، والأمة تستطيع أن تقبل وترفض حتى يستقيم لها القول على ما تحب ، ومن هذا وذاك تتجمع الأمثال

وقد اتفق فى أمثال الأمم أمران عجيبان كأنهما متناقضان لا يتفقان

فأمثال الشعوب تتشابه فى مغزاها ، وتتوارد في محصولها ومؤداها ، حتى يصح أن يقال فى هذه الناحية إن الأمثال إنسانية عالية يتفق فيها جميع الناس

الفهرس

صفحة

لكن أمثال الشعوب مع هذا قومية وطنية تدل على أهلها وتنم على خلائق ملة بعينها ؛ فلا تقرأ أمثال العرب دون أن تعرف منها شيئاً عن العرب لا تعرفك مثله عن الفرس أو الترك أو الروم ، ولا تقرأ نخبة من أمثال الأوربيين إلا فرقت بينها وبين نخبة من أمثال الأسيويين أو الأمريكيين . فهي تكشف لنا الإنسانية لأن الأمم كلها من بنى الإنسان ، وتكشف لنا كل أمة على حدة لأن الناس يختلفون كما يتفقون ، ولا تناقض بين الأمرين

ظهر في العهد الأخير كتاب انجليزي عن الأمثال الروسية من أوفى ما كتب عن هذه الأمثال . فأوجز ما يوصف به أنه يلقى لك ضياء على كل حادث عظيم فى تاريخ هذه الأمة ماضيها وحاضرها ، منذ جلت عن سهوب آسيا إلى أن وقفت فى حربها مع الألمان موقفها المجيد الذى قلت نظائره فى تواريخ الحروب !

تقرأ هذه الأمثال فتوقن أن الروس والجرمان لا يعيشون فى السلم والوئام إلى زمن طويل . وأول هذه الأمثال قولهم : إن « ما ينفع الروسى هلكة للألمانى » ... ومصداق ذلك في الحرب الحاضرة غير بعيد

ومن تلك الأمثال ، وفيها الدلالة على الحرب التى يحسنها الروسيون ، أن البحر جميل من الشاطئ ، وأن البعيد عن البحر بعيد عن الأحزان ، وأن الموت أخ للجندى الروسى ، وأن امرأة هـذا الجندى ليست بزوج ولا بأيم ، وأنه « ما كل رصاصة تصيب عظمة فى الجسد ؛ فقد تصيب الرصاصة الفراغ ! »

وقلما دخل الروس حرباً إلا تركوا بعـدها أمثالاً تنبئنا ببعض أنبائها . فمن بقايا حرب نابليون مثلهم القائل : « ما أسعد الفرنسى بغراب ! » لأن جنود نابليون كانوا يتصيدون الغربان التى تأكل قتلاهم فيطبخونها وهم هلكى من الجوع !

ومن بقايا حروبهم مع الترك ذلك المثل الذى يفيض بالسخرية والشهادة لشجاعة الخصمين : « يتساقط الترك ، ولكننا والحمد لله صامدون فى الميدان ... بغير رءوس ! »

ولعلنا لا نعرف جهاد الروس فى طلب الحرية من بضع كلمات كما نعرفه من الكلمات القليلة التى يجمعونها فى قولهم : « تبحث عن شجاع ... إذهب إلى السجن ! »

فقد مضى على الروس حقاً ذلك الزمن الذى كانت فيه السجون أجدر الأمكنة أن تبحث فيها عن الرجل الشجاع ، وذلك زمن الثورات ، أو زمن الجهاد فى طلب الحرية ، أو زمن التمرد على السلطان الذى لا خير فيه

ويذكر القراء أن قياصرة الروس كانوا من أكبر الدعاة إلى السلم فى عهدهم الأخير ، وأن حكيم الروس الكبير - تولستوى - كان أكبر دعاة السلام فى أوائل القرن العشرين . ولكن الروس وحدهم هم الشعب الذى سجل خيبة الأمل فى السلم كما تمناه منهم الرؤساء والصالحون ، فقالوا فى أمثالهم : « إن السلم الدائم ليدوم ... ولكن إلى أول حرب مقبلة ... »

وهكذا أوحت الحكمة إلى ألسنة الدهماء ، ما لم توحه إلى الساسة ولا إلى الحكماء

***

وكل خلائق الروس ظاهرة فى أمثالهم الشعبية ، وليست خلائقهم فى حروبهم وثوراتهم وكفى ؛ فهم معروفون بالتواكل والاستسلام للقـدر فيما ينوبهم من عثرات الجدود ، وذلك ظاهر فى قولهم : « إذا طرق بابك الجد العاثر فافتحه له على مصراعيه » ... يريدون أن الجد غالب على أمره ؛ فكل حذر فى اتقائه لا يفيد

وهم معروفون بالمداورة بين القادرين المسيطرين عليهم ، وذلك ظاهر فى قولهم : « صل لله ولكن لا تهيج الشيطان ! »

وهم معروفون بالحذر الدائم ، وهو ظاهر فى قولهم : « للخوف عيون واسعة » وقولهم : « من الحياة نخاف لا من الموت ! »

وهم يتباطأون عن الجد كما يظهر من مثل الفلاح القائل : إلى الغيط ... ما آلم هذا المغص فى الأحشاء ! إلى الحان ... هاتى المعطف يا امرأة ، وعجلى ! »

وتواكلهم مع معيشتهم فى البيوت تظهر من أمثلة كثيرة فى معارض شتى ، منها : « إذا أقدمت على الزواج فلا تطيلى همك ... ستعلمين متى يحين الموعد المقدور للبكاء ساعة يضربك زوجك ! »

ومنها : « تزوج كبراهن وانظر إلى أمها وأبيها ، أما الصغرى فلا تتزوج بها إلا وقد نظرت إلى أختها الكبرى »

ومنها : « زوجى سيئ أخافه ، ولكنى أكون معه فلا أخاف من أحد غيره ! »

ومنها : « سأحفظ حكايات الخرافة متى رزقت الأحفاد »

وبسبيل من هذا وإن ظهرت فيه مناقضة للتواكل قولهم : « حسبما تهيئ فراشك يكون رقادك ! »

وقولهم : « عش كما يتاح لك ، ومت كما تتمنى ! » أو قولهم : « من لم يكن صحيحاً فى العشرين ، عاقلاً فى الثلاثين ، غنياً فى الأربعين ، فلا أمل له فى الصحة والعقل والغنى ، حتى يموت »

* * *

ويقولون وفيه دليل على سوء الظن بالدنيا : « نرفع عقائرنا بالغناء فيسمعنا الناس ، ونرفع عقائرنا بالعويل فليس للناس آذان »

ويقولون : « إن كان لا بد من غرق فالبحر اللجى خير من البركة الآسنة » وفيه مشابهة لقول المتنبى :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

ويقولون وفيه صدق الغرض وإن لم يكن فيه صدق التاريخ : « موسكو أحرقتها شمعة بدرهم »

فشمعة بدرهم قد تحرق موسكو حقاً ، وإن لم تكن أحرقتها فى حرب نابليون

ومن أبرع أمثالهم قولهم : « يولد الإنسان ليموت ، ولكنه يموت ليحيا »

ومنها فى فضل الوقاية : « يخاف الهواء الأصفر ممن يخافه »

ومنها فى المساواة والفوارق بين الناس : « عيوننا تملأها شمس واحدة ، وبطوننا لا يملأها طعام واحد » ومنها : « من سكن بجوار المقابر لم يحزن على كل فقيد » ومنها : « راقب الجدى من أمام ، وراقب الحصان من وراء ، وراقب الشرير من كل جانب » ومنها فى رشوة الحكام : « من باب الطريق صدّ ومن باب السر ترحيب »

* * *

وعلى الجملة يندر أن نعرف الروس من كتاب واحد كما نعرفهم من هذا الكتاب الذى جمع لنا المئات من أمثالهم المنتقاة

ونعتقد أن هذا هو شأن الأمثال فى كل أمة وفى كل طبقة وفى كل جيل ، وربما أغنتنا ثلاثة أمثال أو أربعة عن قراءة سفر مطول فى أخلاق بعض الأمم خلال فترة من الفترات

فأى كتاب يدلنا على أخلاق المصريين فى القرن الماضى كما يدلنا عليها مثلهم القائل : « أردب ما هو لك لا تحضر كيله ، تتعفر دقنك وتتعب فى شيله » أو مثلهم القائل : « اللى يجوز أمى أقول له يا عمى » أو مثلهم القائل : « إن عبدوا تور حش وارى له » وما شابه هذه الأمثال

فثلاثة أمثال من هذا القبيل تلخص لنا تاريخ الاستبداد فى ذلك القرن وما أحدثه فى مصر من التفكك واجتناب التعاون ومداراة الظلم والإذعان لكل آمر والعجز عن كل مقاومة

ومئات منتقاة من هـذه الأمثال فى شتى المعارض تجمع لنا من الأخلاق القومية والدلائل التاريخية ما يتفرق فى كتب مختلفات تتكلم عن الأخلاق ولكنها لا تعرض لنا تلك الأخلاق عرضاً مجسماً كما تعرضها الأمثال

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ قلة التمثل بالأمثال فى هذه الأيام سواء بين المصريين أو بين الأمم الأخرى

فأبناء العصر الحاضر لا يحفظون أمثال أممهم ولا يكررون ما يحفظونه منها ، وليس هذا بعجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بين أكثر المحدثين

فقل فى أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يحب أن يقال عنه أنه ممن يقتدى بهم فى المعيشة والسلوك . ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين

إنما الخلق الغالب فى عصرنا أن يباهى الرجل فى يومه بمخالفة أمسه ، وأن يجرى فى كل حين على بدعة لم يسبقه فيها سابق قبل حينه ، وأن يتهالك على الجديد ولو لم تكن له مزية غير الجدة العابرة . وهذه حالة من الحالات النفسية لا توائمها متابعة الأمثال ، أو تحريها فى الأقوال والأعمال ؛ بل هى تستدعى كلاماً يناقض المثل فى لبابه ومرماه ، وهو الارتجال المقتضب الذى لا يتعدى ساعته إلى ما وراءها ، ولا يصلح للتكرار والاستشهاد

ولهذا تسنح الفرصة اليوم للحرص على ذخائر الأمثال ، والاستزادة من مجموعاتها التى يخاف عليها النسيان والإهمال ؛ فإنها لموصولة يوماً لا محالة ، وإن طال عهد الانقطاع والارتجال .

عباس محمود العقاد

مشاركة الأدب الانجليزى

فى الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٣ — القرن التاسع عشر

تقدمت الدراسات العربية فى القرن التاسع عشر تقدماً عظيماً فى جميع الأقطار المهمة فى أوربا . ولقد كان من نتائج حملة نابليون فى مصر أن أصبح الشرق الأدنى العربى فى مقدمة الأمور السياسية الأوربية ، وأن استعيد الاتصال بين العرب والفرنك بعد انقطاع دام قروناً عديدة ، فشرع الكثيرون من الرحالين الأوربيين يزورون الشرق ، ودخل عدد كثير من الطلاب المصريين فى جامعات أوربا الغربية لدراسة ثقافة الغرب وفنه ، واستثارة اهتمام جديد بالثقافة العربية بين الغربيين

وقد بدأ العلماء الفرنسيون الذين رافقوا نابليون الحركة العلمية الجديدة فى الاستشراق الأوربى . والعلماء الفرنسيون هم من أبرز المشتغلين باللغة العربية فى مطلع القرن التاسع عشر . وقد أنشأ المستشرق الفرنسى العظيم « سلفستر دى ساسى » جيلاً كاملاً من العلماء من جميع الجنسيات

وكذلك نجد فى انكلترا مجموعة منظمة ذات شأن من المشتغلين بالعربية ، فكان إنشاء كرسى جديد للغة العربية فى جامعة لندن — وكانت قد أنشأت حديثاً -- وتكوين « الجمعية الآسيوية الملكية » ، وهى مجمع مستشرقى الإنكليز ، مما أثر فى الاندفاع الجديد نحو الأبحاث الاستشراقية . وأصبح العلماء الإنكليز فى الهند وهم الذين يدرِّسون لغة الإسلام ومدنيته للهنود يجدون أنفسهم ملزمين بدراسة اللغة العربية التى هى مصدر جميع الثقافات الإسلامية فى كل اللغات . واكتسبت آثار المشتغلين بالعربية فى القرن التاسع عشر ميزة وفائدة جديدتين نتيجة للتقدم الحاصل عند العرب أنفسهم . ففى خلال القرن التاسع عشر دخلت الشعوب التى تنطق بالعربية فى دور بعث ثقافى وطنى . وقد كابدوا فى بداية الأمر مشقة من جراء قلة الكتب العربية المطبوعة ، وقلة المطابع أيضاً ، ولذلك كانت الطبعات الأنيقة العديدة للمؤلفات العربية الخالدة التى نشرت فى أوربا — وقسم كبير منها فى انكلترا — ذات فائدة عظمى للجيل العربى الجديد من القراء ، ومكنتهم من الحصول على مادة لم يكن الحصول عليها ممكناً من غير ذلك المصدر . وفى آخر الأمر ، عند ما أُنشئت المطابع فى الشرق وبدئ بطبع الكتب محليًّا ، كانت الكتب تطبع وفق النصوص العربية ، وبذلك قام المستشرقون بدور مهم فى إعادة ثقافة العرب إليهم ، وقضوا دين عرب القرون الوسطى الذين نقلوا كتب الإغريق إلى الغرب

وليس فى وسعنا فى هذا المجال أكثر من أن نذكر بعض الشخصيات البارزة من بين المشتغلين بالعربية من الإنجليز . ونقتصر على أشخاص مثل « ج . ه . هندلى » وهو أحد العلماء البارعين فى الفارسية والعربية ، ومن جملة مؤلفاته ترجمة ودراسة — فى الإنجليزية — عن الشاعر العربى أبى الطيب المتنبى . و « م . لمسدن » الذى كان أستاذ اللغتين العربية والفارسية فى كلية « قلعة وليم » فى الهند . وقد ألف أجرومية عربية كانت كثيرة التداول فى القرن التاسع عشر فى أوربا والهند كليهما . ومما يجب ذكره أن أولى المحاولات الإنجليزية لتنظيم التعليم فى الهند كانت تشمل اشتراط دراسة اللغة العربية من مسلمى الهند ، وكان « لمسدن » أحد الإنجليز الكثيرين الذين ساعدوا على إنجاز هذا الأمر ، وكان فى كلية « قلعة وليم » — وهى أولى الكليات الإنجليزية فى الهند — كرسيان للغتين العربية والفارسية .

***

وكان أعظم الشخصيات الإنجليزية — بل الأوربية أيضاً — بلا مراء فى مطلع القرن التاسع عشر هو المستر إدورد وليم لين (١٨٠١ — ١٨٧٦) .

اهتم « لين » مزيد الاهتمام بالدراسات الاستشراقية منذ فجر شبابه وعلى الأخص بمصر ، وسافر فى يولية سنة ١٨٢٥ إلى الإسكندرية فى زيارته الأولى لمصر ، وكان السفر فى البحر


إدورد وليم لين : (منصور أفندى)

الأبيض المتوسط وقتئذ لا يزال كبير الخطر ، ولم تخل رحلته تلك من مخاطر ، فقد أصاب السفينة إعصار ، وعجز قائدها عن إدارة دفتها ، ولم يكن على ظهرها من يحسن القيادة . وبالرغم من أن « لين » لم يركب سفينة قط فى حياته ، فإنه أخذ الدفة بيده ، واستطاع أن ينقذ السفينة من التحطيم بفضل معلوماته الرياضية . وحدث بعد ذلك أيضاً أن قامت فى السفينة ثورة كادت تودى بحياته . وبعد سفر شهرين وصل « لين » إلى مصر حيث بقى إلى خريف سنة ١٨٢٨ وقضى معظم الوقت فى القاهرة . ومع أن رغبته الأصيلة كانت دراسة المصريين القدماء ، فإنه سرعان ما وجد أحفادهم المحدثين أحق منهم بالدراسة بكثير ، فشرع توّ إقامته ، فى دراسة واسعة للغة العربية فذقها حذقاً تاماً كتابة ولفظاً . وقد أفادته تلك الرحلة إلى الشرق — وهى الرحلة التى كان يتحرق شوقاً إليها — خبرة معنوية عظيمة . وقد قال فى مذكراته :

عنـد ما نزلت الأرض لأول مرة داخلنى شعور طاغ يشبه شعور عريس على أهبة رفع القناع عن وجه عروسه التى لم يرها من قبل . ولقد كان تأثره بعد ذلك بما رأى عميقاً ، وامتلأ إعجاباً عظيما بكل ما يمت إلى الإسلام بصلة

وعندما عاد إلى انجلترا ، كان قد درس مصر وشعبها ولغته دراسة عميقة ، و كتب وصفاً مسهباً مخطوطاً عن الحياة فى مصر . فلما طلب إليه أن يقوم بنشره أصر على الرجوع ثانية إلى مصر قبل طبع الكتاب استجابة لولوعه بالدقة العلمية التى كانت إحدى ميزات آثاره ، فخصص رحلته الثانية فى سنة ١٨٣٣ ـ ٣٥ لدراسة دقيقة عن الحيـاة فى القاهرة . وكان من عادته فى مصر أن يرتدى اللباس الذى يرتديه المصريون ، وأن يقتصر فى علاقاته على المصريين المسلمين . وقد اتخذ لنفسه داراً فى القاهرة وعاش المعيشة المعتادة التى يحياها أديب مصرى من جميع الوجوه . وكانت هـذه الأمور ، مضافاً إليها طلاقة نطقه العربى وصحته ، وشىء من السمة الشرقية فى تقاطيعه ، قد مكنته من أن يعيش كمصرى بين المصريين ، وأن يختلط بالمجتمع القاهرى اختلاط الصديق والند . وكان يعرف فى مصر باسم « منصور أفندى »

وعند عودته للمرة الثانية إلى انجلترا نشر كتابه المشهور « وصف شمائل وعادات المصريين المحدثين » فى جزءين فقوبل فى الحال كأثر خالد ، ونفدت الطبعة الأولى منه فى أسبوعين ، ولحقتها أخريات عديدات ، كما أنه طبع فى ألمانيا وأميركا واعتبر من مخلدات الأدب الإنجليزى ، وهو يحتوى على وصف الحياة القاهرية وعاداتها ، قبل أن يحل بها هذا التغيير الذى جعل منها مدنية حديثة . ولذلك فإنه سجل صحيح لمصر يكاد يكون غابراً ، بدقة فى الوصف فائقة ، وهو مستند تاريخى ذو أهمية عليا لا يستغنى عنه جميع الطلاب فى مصر حتى الآن .

(للموضوع بقية) عبد الوهاب الأمين

راقصـــة ...

للأستاذ على محمود طه

سَرَتْ بين أعينهم كالخيالْ تعانقُ آلهــةً فى الخيالْ
مُجَرَّدةً حسبتْ أنَّهَا من الفنِّ فى حَرَمٍ لا يُنَال
فليستْ تُحِسُّ اشتهاء النفوس وليستْ تُحِسُّ عيونَ الرجال
وليستْ ترى غير معبودها على عرشه العبقرىِّ الجلال
دعاها الهـوى عنده للمثول وما الفنُّ إلَّا هوًى وامتثال
تخفَّتْ له شِـبْهَ مسحورةٍ عَلَتْ وجهها مَسْحَةٌ من خَبال
وفى روحها نشـوةٌ حلوةٌ كمهجورةٍ مُنِّيَتْ بالوصال
تراها وقد طوَّفَتْ حوله جلاها الصِّبَى وزَهاها الدلال
تضمُّ الوشاحَ وَتُلْقِى به وفى خَطوها عِزَّةٌ واختيال
كفارسةٍ حضنتْ سيفها وألقتْ به بعد طول النضال
تمـدُّ يديها وتثنيهما وترتدُّ فى عِوَجٍ واعتدال
بحوريَّةِ النبع تطوى الرِّشاء وتجذبُ ممتلئاتِ السجال
مُحَــيِّرَةَ الطيف فى مائجٍ من النور يغمرها حيث جال
تُخَيَّلُ للعين فيما تَرَى فراشةَ روضٍ جَفَتْهَا الظلال
وزنبقــةً وَسْطَ بَلورةٍ
على رفرف الشمس عند الزوال
تَنَقَّلُ كالحلْمِ بين الجفون وكالبرق بين رءوس الجبال
على إصبعىْ قدَمٍ أُلْهِمَتْ هبوبَ الصَّبا ووثوبَ الغزال
وتُجْرِى ذراعينِ منسابتين
كفرعين من جدولٍ فى انثيال
كأنهما حولها تَرْجُمَانِ تقاطيعَ جسمٍ فريدِ المثال
أبَتْ أنْ تَمَسَّاهُ بالرَّاحتين ويَرْضَى الهوى ويريد الجمال
ومن عَجَبٍ وهى مفتونةٌ
تُرِيكَ الهـدى وتُرِيكَ الضلال
تَلَوَّى وتسهو كلهَّابةٍ تَرَاقصُ قبـل فناءِ الذُّبال
وتعلو وتهبط مثـل الشراعِ تَرَامَى الجنوبُ به والشَّمال
وتعـدو كأنَّ يداً خلفها تُعَذِّبُهَا بسياطٍ طوال
وتزحفُ رافعــةً وجهها ضراعةَ مستغفرٍ فى ابتهال
وتسقط عانيةً للجبين كقُمْرِيَّةٍ وقعتْ فى الحبال
تَبِضُّ ترائبهـا لوعةً وتخفقُ لا عن ضَنًى أو كلال
ولـكنه بعضُ أشــواقها
وبعضُ الذى اسْتَوْدَعَتْهَا الليال !!

على محمود طه

من ملاحق كتاب « رسوم دار الخلافة »

دِنِّيَّة القــاضى
فى العصر العباسى
للأســتاذ ميخائيل عواد

الدَّنِّيَّة وتجمع على الدَّنِّيات ، قَلنسُوة بشكل الدَّن (وهو الُحبّ عند العراقيين له عُسْعُس) ، محدودة الأطراف ، طولها نحو شبرين تتخذ من ورق وفضة على قصب (عيدان) ، وتُغشى بالسواد ، وتزين أحياناً بشنائق صفر طوال تتدلى على الصدر كان يلبسها القضاة عامة ، فى العصور الإسلامية السالفة ، كما يلبسها الخطباء والأكابر أحياناً

قال الشريشى فى شرح المقامة التاسعة للحريرى : إن أصل الدَّنية : الدنينة كسفينة ... وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ... إه . والصواب : أن الدنية عربية منسوبة إلى الدن وليست بالدنينة[1]

والغريب أن هذه اللفظة وردت فى « النجوم الزاهرة[2] » باسم « المدينة » وهذا تحريف ظاهر

وكان من أهم ماجريات سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، أن « أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقَلانِس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» . فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شَرُّ حال ! وجهي فى نصفى ، وسيفى فى استى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد »[1] . قال أبو الفرج الأصفهانى[2] : « ونسخت من كتاب لابن النطاح ، فذكر مثل هذه القصة سواء وزاد فيها :

وكنا نُرَجِّى من إمام زيادةً ... فجاد بطول زاده فى القلانس[3]
تراها على هام الرجال كأنهـا ... دنان يهود جللت بالبرانس[4]

والظاهر أن الرشيد لم يحب هذا التغيير الذى أحدثه المنصور من قبله ، فقد حكى الجاحظ أن العمانى الراجز « دخل على الرشيد لينشده شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج ، فقال : إياك أن تنشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دمالقان ... فبكر من الغد وقد تزيا بزى الأعراب فأنشده ... »[5]

ثم جاء المعتصم فأعاد لبس القلانس الطوال تشبهاً بملوك الأعاجم ، فلبسها الناس اقتداء به ، وسميت المعتصميات[6] .

ومما ذكره الجاحظ فى اختلاف الناس فى صنوف اللباس قوله : « ... وهل ذلك إلا كتعظيم كور العمامة ، واتخاذ القضاة القلانس المظام فى حمارَّة القيظ ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ! فإن كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة

---

(١) الساعد (مادة دون) ؛ « وهو معجم كبير وضعه الأب أنستاس مارى الكرملى ، ما زال مخطوطاً عنده » — وانظر : لسان العرب (١٧ : ١٧) ، وتاج العروس (٩ : ٢٠٣ ؛ مادة دون ، وشذرات الذهب (١ : ٢٣٤) وتكملة المعجات العربية لدوزى (١ : ٧٧٣) :
Dozy : Supplément Aux Dictionnaires Arabes. (Leyde, 1881)

(٢) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٢ : ٢٠ ؛ طبع دار الكتب المصرية)

(١) و (٢) الأغانى (١٠ : ٢٣٦ ؛ طبعة دار الكتب = ٩ : ١١٥ ؛ طبعة الساسى) . وانظر : تاريخ الرسل والملوك للطبرى (٣ : ٣٧١ ؛ طبعة دى غويه) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٤ : ٢٢٠ ؛ طبعة سنة ١٩١٣ بمصر = ١ : ٣٠٦ ؛ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (٤ : ٢٢٠ ؛ طبعة مرجليوث) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (٥ : ٤٦٧ طبعة تورنبرج ، ومختصر أخبار الخلفاء المنسوب لابن الساعي (ص ١٨ بولاق) ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ص ٢١٣ طبعة صالحانى) وغرر الخصائص الواضحة للوطواط (ص ٢٠٢ بولاق = ص ١٢٧ طبع المطبعة الأدبية بمصر) ، ومحاضرة الأوائل للبسنوى (ص ٨٥ بولاق)

(٣) وفى أغلب المراجع : « فزاد الامام المصطفى فى القلانس »

(٤) وفى بعض المراجع : « بالأطالس »

(٥) البيان والتبيين (١ : ٩٣ طبعة السندوبى) ، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى (١ : ٩٣ — ٩٤ ؛ طبع دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد لابن عبد ربه (٢ : ١٣٩ — ١٤٠ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ؛ وقد ذكر صاحب العقد المأمون بدلا من الرشيد فى هذه الرواية

(٦) مروج الذهب (٨ : ٣٠٢ طبع باريس) ، وراجع الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لمتز (٢ : ١٨٧ ؛ الترجمة العربية)

رءوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة ...[١] » .

ولم يكن لبس الدَّنِّيات قاصراً على قضاة العرب ، بل تعداهم إلى غيرهم من الأمم ، فهذا الاصطخرى الرحالة البلدانى يقول فى عرض كلامه على صور أهل فارس وزيهم : « .. وأما قضاتهم فإنهم يلبسون الدَّنِّيات وما أشبهها من القلانس المشمرة عن الأذنين ، مع الطيالسة والقُمُص والجباب ، ولا يلبسون دراعة ولا خفًّا بكسرة ، ولا قلنسوة تغطى الأذنين ...[٢] »

وكان القضاة يتفرّدون بلبس هذه القلانِس الطوال أينما وجدوا ، وقد يدفعهم الأمر إلى منع كافة الناس من لبسها . فقد أنبأنا الكنديّ فى نحو سنة ٢٣٠ هـ بقوله : « كان زِيُّ أهل مصر وجمال شيوخهم ، وأهل الفقه والعدالة منهم لباس القلانس الطوال ؛ كانوا يبالغون فيها ، فأمرهم ابن أبى الليث [القاضى] بتركها ومنعهم لباسها وأن يشبهوا بلباس القاضى وزيه فلم ينتهوا . قال ابن عثمان : فجلس ابن أبى الليث فى مجلس حكمه فى المسجد واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانس ؛ فأقبل عبد الغنى ومطر جميعاً فضربا رءوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم . قال : وأخبرنى محمد بن أبى الحديد قال : حدثنى عتبة بن بسطام قال : رأيت قلانس الشيوخ يومئذ فى أيدى الصبيان والرعاع يلعبون بها ، وكانوا بعد ذلك لا يدخلون إلى ابن أبى الليث ولا يحضرون مجلسه فى قلنسوة

وأنشدنا إسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم للجمل :

وأخفت أيام الطوال وأهلها	فرموا بكل طويلة لم تقصر
ما زلت تأخذهم بطرح طوالهم	والمشى نحوك بالرءوس الحُسَّر
حتى تركتهم يرون لباسها	بعد الجمال خطية لم تغفر
يتفزعون بكل قطعة خرقة	يجدونها من أعين ومخبّر
فإذا خلا بهم المكان مشوا بها	وتأبطوها فى المكان الأعمر
فلئن ذعرتَ طوالهم فلطالما	ذعرت ومن بِرؤانها لم يذعر
كانوا إذا دلفوا بهن لمِفْضَل	أمضى عليه من الوشيج الأسمر
كم موسرٍ أفقرته ومفقَّرٍ	أغنيته من بعد جهد مفقر
ما إن عليك لقيت منهم واحداً	أوفى العجاج مدججاً فى مغفر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة	ولقوا القضاة بمشية وتبختُر
ما بى أراهم مطرقين كأنما	دمغت رءوسهم بحمى خيبر

أخبرنا ابن قديد عن يحيى بن عثمان قال : لما عزل ابن أبى الليث ترك كثير من الشيوخ لباس القلانس ؛ منهم أبو ابراهيم المزنى سمعت كهْمس بن معمر يقول : لما أمر ابن أبى الليث بطرح القلانس لم يثبت على لباسها إلا محمد بن رمح فلم يعارض

أخبرنى اسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم أن النيل كان توقف ؛ فاستسقى أهل مصر وحضر ابن أبى الليث الاستسقاء ، فوثب المصريون بسبب غلاء القمح ؛ وأخذوا قلنسوته فلعبوا بها بعد ما فعل بقلانس أهل مصر بثمانية أيام »[١]

والظاهر أن الدَّنِّيات كان قد ضعف شأنها ، وقل استعمالها فى بغداد ، فى المائة الخامسة للهجرة ، فقد أشار إلى ذلك هلال ابن المحسِّن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ) فى عرض كلامه على جلوس الخلفاء وما يلبسونه فى المواكب ، وما يلبسه الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف . قال : « ... فأما العباسيون من أرباب المراتب ، فزيُّهم السواد بالأقبية المولَّدة والخفاف ، ولهم منازل فى شد المناطق والسيوف وتقلُّدها ؛ اللهم إلا أن يكون منهم من قد ارتسم بالقضاء ، فله أن يلبس الطيلسان . وأما قضاة الحضرة ومن أُهِّل للسواد من قضاة الأمصار والبلاد ؛ فبالقُمص والطيالِسة والدَّنِّيات والقراقفات[٢] ، وقد تُركتْ الدنيات والقراقفات فى زماننا وعدل إلى العمائم السود المصقولة »[٣]

---

(١) البيان والتبيين (٣ : ٨٠)

(٢) مسالك الممالك (ص ١٣٧ — ١٣٨) ، وانظر صورة الأرض لابن لابن حوقل (ص ٢٨٩ طبعة كريموز)

(١) الولاة والقضاة للكندى (ص ٤٦٠ — ٤٦٢)

(٢) القراقفات « جمع قراقف ، وقراقف جمع قرقفة . والكلمة إرمية من قرقفتا . وهى من القلانس المستديرة الضخمة التى تلبس فى الرأس وكانت من ملبوس الفقهاء والقضاة فى عهد العباسيين — أنظر دليل الراغبين فى لغة الآراميين للقس يعقوب أوجين منا الكلدانى ، ص ٧٠٩ مطبعة الآباء الدومنكيين فى الموصل » : (المساعد)

(٣) رسوم دار الخلافة (ص ١٢٦ — ١٢٧ من المخطوط) ؛ وهو كتاب أعددناه للنشر بعد أن حققناه وعلقنا عليه ، وألحقنا به فهارس مفصلة ، وملاحق منوعة . والمقال الذى بين يديك أحد تلك الملاحق . طالع ما كتبناه بشأنه فى مجلة الرسالة (العدد ٣٦٢ ص٩٧٧ — ٩٨٠) وهناك إشارات متفرقة عنه فى : مجلة الثقافة (العدد ٩٨ ، ص ٣٩) ، والمقتطف (٩٨ [مارس ١٩٤١] ص ٢٤١) ، ومجلة غرفة تجارة بغداد (العدد الثالث ، آذار ١٩٤١ ، ص ٢١١) .

وكانت الدَّنِّيَّات تبرز فى أيام مواكب الخلفاء فى بغداد ؛ إذ يحضر صنوف الناس على مراتبهم ورسومهم . قال هلال الصابئ : « وإذا اتفق يوم الموكب حضر حاجب الحجاب بأكمل لباسه : من القباء الأسود المولد ، والعمامة السوداء ، والسيف ، والمنطقة ، وقدامه الحجاب وخلفاؤهم ، وجلس فى الدهليز من وراء الستر ، وحضر الوزير وأمير الجيش ، ومن له رسم فى حضور الموكب ؛ فإذا تكامل الناس راسل الخليفة بذاك ، فإن أراد أن يأذن الإذن العام ، خرج الخادم الحرمى الرسائلي فاستدعى حاجب الحجاب ودخل وحده حتى يقف فى الصحن ، ويقبل الأرض ، ثم يُرسم له إيصال القوم على منازلهم ، فيخرج ويدعو ولى العهد ، إن كان فى الوقت ولى عهد ، وأولاد الخليفة ، إن كان له ولد ، ثم يدخل الوزير ، ويمشى الحجاب بين يديه إلى أن يقرب من السرير . . . وأدخل بعده أمير الجيش . . . ثم أصحاب الدواوين والكتاب ، وأوصل القواد يقدمهم خلفاء الحجاب على مراتبهم ودعوهم ، ووقفوا يميناً وشمالاً على رسومهم ، ونودى ببنى هاشم ومن يلبس الدنيات ويتقلد الصلوات ، فيقدمون إلى أول البساط ويسلمون ويقفون مفردين[١]

للدَّنية أخبار طريفة كانت فى أكثرها مدعاة للسخرية منها ، والتمثيل بها . فقد روى أبو الفرج الأصفهانى حكاية قال فيها : أخبرنا محمد بن خلف وكيع ، قال : كان الخليجى القاضى واسمه عبد الله [بن محمد] ابن أخت علوية المغنى ، وكان تياهاً صلفاً ، فتقلد فى خلافة الأمين قضاء الشرقية[٢] ؛ فكان يجلس إلى اسطوانة من أساطين المسجد ، فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرك ، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله ، فعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التى يكتب فيها الدعاوى فألصقها فى موضع دنيته بالدبق وتمكن منها . فلما تقدم إليه الخصوم ، وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل ؛ انكشف رأسه وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة ، فقام الخليجى مغضباً وعلم أنها حيلة وقعت عليه فغطى رأسه بطيلسانه وقام فانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات :

إن الخليجى من تتايهه	أثقل باد لنا بطلعته
ما إن لذى نخوة مناسبة	بين أخاوينه وقصعته
يصالح الخصم من يخاصمه	خوفاً من الجور فى قضيته
لو لم تدبقه كفُّ قابضه	لطار منها على رعيته[١]

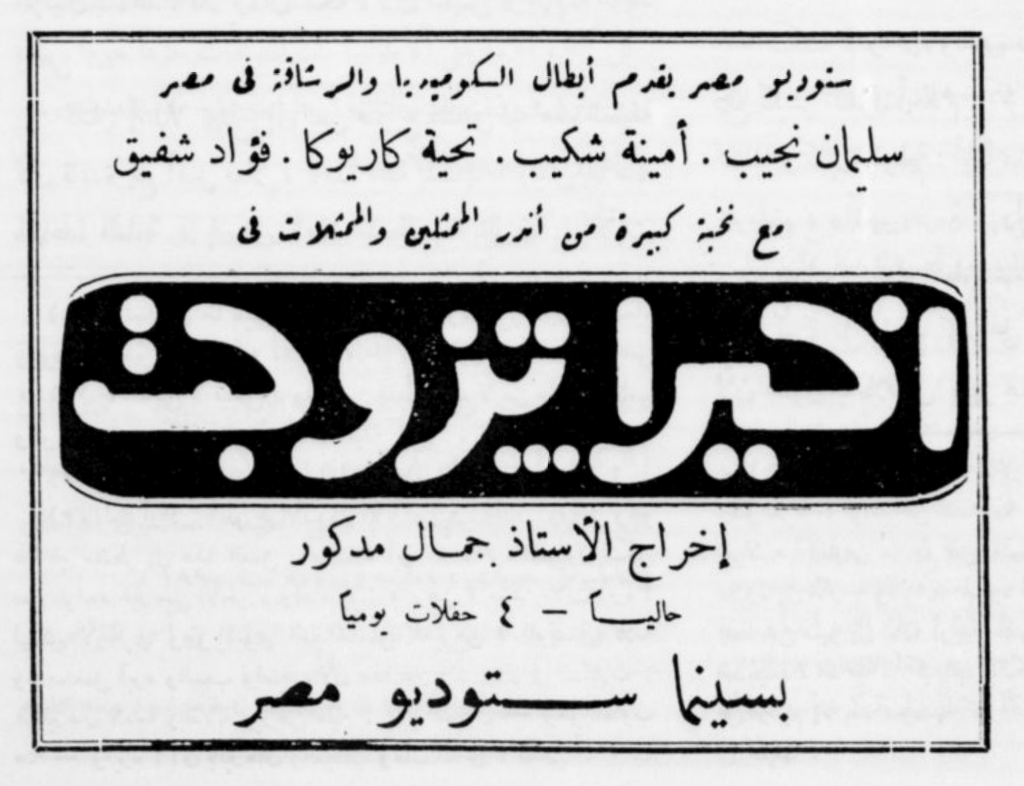
(البقية فى العدد القادم) — بغداد

ميخائيل عواد

(١) رسوم دار الخلافة ص ١٠٧ ، ١٠٩ المخطوط

(٢) يقصد قضاء الجانب الشرقى من بغداد

(١) الأغانى (١٠ : ١١٧ — ١١٨ ، الساسي — ١٠ : ١٢٣ ، بولاق) ، ومعجم الأدباء (١ : ٣٧٣ — ٣٧٤ طبعة مرجليوث)



إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس مارى الكرملى

اعترض علينا فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ حضرة الأستاذ اللغوى سعيد الأفغانى وغيره على أن جمع أفعل ومؤنثه فعلاء، غير مستند إلى نص صريح! (كذا) كأن قول سيبويه غير موثوق به! وذلك، «لأن نص سيبويه قاصر[1] (كذا)، على أن جمع التكسير لأفعل فعلاً هو فعل العين[2] (كذا). وما أظن أن كيفية تكسير هذه الصيغة كانت محل خلاف؛ وليس فيها شاهد على خطإٍ قولهم: صخور ملساء

«وإنما كان الأب بحاجة إلى نص صريح يستثنى فيه هذه الصيغة من القاعدة العامة، وهى: أن نص جمع التكسير يكون بالمفرد المؤنث وبالجمع على السواء؛ فلك أن تقول: أشهر محرمة، وأشهر محرمات؛ وأياماً معدودة، وأياماً معدودات؛ كما فى القرآن الكريم وغيره. فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النص بحكم خاص؟ هذا ما يحوج الأب الإبراه[3] عليه. أما استقراؤه الشخصى، وطلبه من مخالفة الإتيان بشاهد، فلا يردان حجة، لأن المقيس لا يلزم له شاهد انتهى...

قلنا: إننا لا نحتاج إلى نص صريح تستثنى فيه هذه الصيغة لأن قاعدة جمع أفعل فعلاً، قاعدة قائمة بنفسها، وليس لها صلة بالقاعدة العامة، إذ هى قاعدة خاصة بهذا الوزن، والآيات

(١) لم نجد فى ما بأيدينا من كتب اللغة وكلام الأقدمين الفصحاء ورود «قاصر» بمعنى «مقصور»؛ لأن ورود «فاعل» بمعنى «مفعول» سماعى لا قياسى. ولعله من غلط الطبع لا من غلط الكاتب وهو بليغ فصيح فى ما توشيه أنامله اللبقة

(٢) لعله أراد أن يقول بضم الفاء أو بضم الأول فنزل به القلم!

(٣) لعله أراد: أحوج الأب إلى الابراه إليه. فحذف ووصل وهو هنا غير مضطر إلى هذا العمل. ثم إن «أبره» ذكره اللغويون لكن معنى الواحد غير معنى الآخر. وقد قالوا: «برهن» مولد بخلاف أبره؛ لكن الأزهرى وهو اللغوى الفذ استعمل «برهن» المولد فى كلامه ولم يستعمل أبره والسبب واضح، لأن هذا غير ذاك. قال فى الكليات: «البرهان للحجة والدلالة وبرهن عليه: أقام البرهان — وهو المطلوب هنا — وأبره: أتى بالبرهان والعجائب وغلب الناس» انتهى

القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة الرواية؛ والمسموع من كلام فصحاء العرب وبلغائهم هى أحسن شاهد، بل أحسن قاعدة لما نريد أن نثبته، ولا يهمنا بعد ذلك ضوابط النحاة، وقواعد الصرفيين، وآراء اللغويين، وتحكمات المتأولين، وأرباب الأحكام العربية، لأنهم لم يستقروا جميع قواعد اللغة المضرية. وبيدنا شواهد لا تحصى تدل على نقصان ضوابطهم وتتبعاتهم واستقراءاتهم، وربما ذكرنا شيئاً منها فى فرصة مناسبة[1]

ولهذا لا نعتمد فى أغلب الأحايين على قواعد النحاة ولا على ما يقوله اللغويون، إلا إذا اتفق كلامهم وما ورد فى الآى القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وما سمع من كلام فصحاء الأقدمين الصادق النسب إليهم، فإن لم يتفق، لا نحفل بكلام الخليل، ولا بأقوال سيبويه، ولا بآراء نفطويه، ولا بنص عفطويه. فلقد رأينا فى الآيات البديعة نعوتاً مختلفة واردة مفردة مؤنثة لموصوفات أو منعوتات مجموعة، كما قال حضرة أستاذنا الكريم النابه الأفغانى، ونحن تبعناها فى جميع ما نكتب، وكتبنا... فقد جاء مثلاً فى سورة الحج: «والقاسية قلوبهم»؛ وفى سورة الإنسان: «ودانيةً ظلالها»؛ وفى سورة الهمزة: «فى عمد ممددة»؛ وفى سورة التوبة: «والمؤلفة قلوبهم»...

لكننا لم نر مرة واحدة صفة مفردة مؤنثة لموصوف مجموع جمع مكسر كقول أحدهم: كرَيَّات حمراء؛ مع أننا وجدنا أمثلة مختلفة وكثيرة لقولهم: أياماً معدودات، وأياماً معدودة؛ وأشهر محرمات، وأشهر محرمة، ولم يستعمل الوجهان، مرة هذا، ومرة هذا، لا لجواز النطق بهما؛ فلما ذا لم يأت أمثالها فى الآى الفصيح، بل جاءت كلها على فُعل؟ ذلكم — يا سادتى — لأن القول بفعلاء فى مثل هذا الموطن لا يجوز ألبتة، ولأنه

(١) فقد قالوا مثلا: إن فعالا «كغراب» لم يأت جمعاً إلا فى اثنى عشر حرفاً. وأما نحن فقد جمعنا منها واحداً وأربعين. وقالوا: إن فعولا «كفلوس» جمع فعل المتحرك نادر غير قياسى. وقد جمعنا منها عشرة إلى الآن. وقالوا: لم يرد فعلل كدرهم إلا أربعة أحرف. وقد جمعنا نحن منها إلى الآن أربعة عشر حرفاً إلى غير ذلك من الأقوال غير الصحيحة، الفاضحة لتأكيداتهم الكثيرة الأوهام، فلذا لا يمكن أن يعول على آرائهم إلا بعد تمحيصها كل التمحيص وبعد الاجتهاد فيها وإنعام النظر فى تحقيقها.

غلط شنيع فظيع ، تلعنه الإنس والجن ، وملائكة السماء ، وأهل النار جميعاً ! !

وكيف يجوز لك أن تقول : رجال سوداء ، ونساء سمراء ، ونهارات غراء ، وليال سوداء ... ؟ إنى أعد ذلك كفراً وبسلاً ولعنة وتحقيراً للغة الضاد ! !

فى المائة والأربع عشرة سورة ، سبعة وسبعون ألف كلمة ، وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة ، وليس فيها شاهد واحد على ما يدعى هؤلاء السا كين ! وفى تلك السور من لغات القبائل خمسون لغة ، وقد استخرجناها من تفسير الطبرى الكبير ، الواقع فى عشرين مجلداً ، ومن كتاب الإتقان السيوطي ، ودونك أسماء تلك القبائل مرتبة على حروف المعجم :

١ — أزد شنوءة ٢ — أشعر ٣ — أنمار ٤ — أوس ٥ — بَلِىّ ٦ — بنو حنيفة ٧ — بنو[1] العنبر (لا بنو الغُبَّر ، كما وهم أحدهم) ٨ — بنو كَخُاءَة ٩ — تغلب ١٠ — تميم ١١ — ثقيف ١٢ — جُذام ١٣ — جُرْهُم ١٤ — حضرموت ١٥ — حمير ١٦ — خثعم ١٧ — خزاعة ١٨ — الخزرج ١٩ — سبأ ٢٠ — سدوس ٢١ — سعد العشيرة ٢٢ — السكاسك ٢٣ — طَيِّء ٢٤ — عامر بن صعصعة ٢٥ — عذرة ٢٦ — العمالقة ٢٧ — عُمان (وزان غراب) ٢٨ — عنز ٢٩ — عنس ٣٠ — غامد ٣١ — الغثاة ٣٢ — غسان ٣٣ — غطفان ٣٤ — الغوث ٣٥ — غيلان ٣٦ — فرسان ٣٧ — قريش ٣٨ — قيس ٣٩ — كنانة ٤٠ — كندة ٤١ — لخم ٤٢ — مدين ٤٣ — مَذْحِج[1] (وزان مجلس) ٤٤ — مُزَيْنَة ٤٥ — النمر ٤٦ — نمير ٤٧ — هُذَيل ٤٨ — هوَازِن ٤٩ — اليمامة ٥٠ — اليمن

على أن الحقيقة هى : أن لغات قبائل العرب تنيف على المائة ، لكنى لم أبوبها إلى الآن . ثم قد يكون فى القبيلة الواحدة لغتان ما عدا اللغة الفصحى ، وإذا طالعت فى تاج العروس ما جاء على الأنفحة فى مادة (ن ف ح) تصدق ما نقوله لك .

هذا ما عدا ما ورد فى القرآن من الكلم اليونانية والرومية والفارسية والأرمية (السريانية) ، والحبشية والبربرية ، والعبرية والقبطية . وقد طالعنا (القرآن) مراراً لا تحصى ولم نجد فيه كلمة واحدة تؤيد مدعاهم . وطالعنا (النهاية) لابن الأثير ، وهى فى أربعة مجلدات ، وتحوى أصدق الأحاديث النبوية الصحيحة ولم نجد شاهداً واحداً على ما يفتئتون . وكذلك لم نجد حرفاً واحداً فى شعر الأقدمين ، ولا فى كلام فصحائهم المفوهين ، ولا فى (القاموس) وهو فى أربعة مجلدات ، ولا فى (لسان العرب) وهو فى عشرين مجلداً ، ولا فى (تاج العروس) وهو فى عشرة مجلدات ضخام كبار ، ولا فى (الفائق) للزمخشرى وهو فى مجلدين كبيرين إلى غيرها (كصحاح) الجوهرى و (الكليات) لأبى البقاء و (ديوان الأدب) للفارابى ، وقد خططنا بالحمرة تحت كل كلمة ، علامة على أنا طالعنا تلك المصنفات حرفاً حرفاً وبكل تدبر وترو ، وذلك للمرة الثالثة أو الرابعة على كل تقدير ، ومن يشك يراجعنا فى هذا الأمر .

فإذا كان النحاة والصرفيون لم ينتبهوا إلى هـذه الحقيقة الناصعة البيان ، أفهذا ذنبنا يا سادتى الكرام ؟

ثم إن أ كبر نحاتهم غلط أغلاطاً كثيرة ، كبيرة ، فميرة تكاد تكون جريرة ، أريد بهـذا الإمام سيبويه . فقد ألف (الكتاب) فنقده أبو بكر الزبيدى فى (كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهـذَّباً) وعنىَ بطبعه المستشرق الإيطالى إغناطيوس جويدى ، وطبعه فى رومة سنة ١٨٩٠ م

وقد وجدنا نحن أغلاطاً كثيرة للخليل بن أحمد الفراهيدى

---

(١) من يقل (بنى الغبر) فى (بنى العنبر) فانه يسود وجه التاريخ ويقلبه رأسا على عقب .

(١) ضبطت (مذحج) كمجلس فى جميع كتب التاريخ والانساب واللغة ، أى بفتح الميم وإسكان الذال المعجمة وكسر الحاء وفى الآخر جيم . لكنا وجدنا في مجلة المجمع العلمى العربي التى تنشر فى دمشق فى سنتها ١٧ : ٣٨٦ مضبوطة بضم الأول فشككنا فى صحة ضبطها ولما رجعنا إلى تاج العروس ، ألفيناه يقول فى (ذ ح ج) : « ومذحج كمجلس ، وهو الذى جزم به أئمة اللغة الأنساب ، وشذ ابن خلكان فى الوفيات ، فضبطه بضم الميم » انتهى . وقد راجعنا هذا الكتاب النفيس فى نسخ عدة ، فلم نجد الزبيدى صادقاً فى كلامه على ابن خلكان ، فالنسخة البولاقية تذكره بالفتح ، وكذلك نسخة باريس ونسخة إيران . وعندنا من نسخ هذا الكتاب الخطية ثلاث : الواحدة منهن مسوده المؤلف نفسية ، وهى مضبوطة هناك بالفتح ، ونسخة قديمة حسنة الخط ، وهى بالفتح أيضاً ونسخة قديمة ثانية وهى أيضاً مضبوطة بالفتح . فما معنى هذا الافتئات على المؤلف رحمه الله ؟ فهذا ما لم نفهمه ! فضم الميم خطأ ولم يذكره أحد . وأما الصحيح فهو بفتحها لا غير .

أستاذ سيبويه ، وليس الآن محل ذكرها هنا . ومثل ذلك قل على عدد جمّ من القدامى . أما لغة القرآن والأحاديث الصحيحة والمسموع من كلام بلغاء العرب كالوارد فى البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، وكلاهما للجاحظ ، وكالوارد فى الكامل للمبرد ، وكالمذكور فى الأغانى ، وما كان من هذا القبيل فهو كالإبريز النقى الذى لا عيب فيه

فكيف نصدق بعد هذا أقوال هؤلاء الأئمة ومن اتبعهم من غير أن تحقق أقوالهم ويبحث عما فيها من الوهن والفهاهة ؟ فهل أوتوا التنزيل من السماء حتى لا يجسر أحد على تخطئتهم ، أو التعقيب عليهم ، أو الاستدراك عليهم ؟ وهل أوصد باب الاجتهاد فى لغة الضاد ، كما أوصد بعضهم باب الاجتهاد فى الدين ؟ — إن الله مع الصابرين !

شروط جمع أفعل فعلاء على فعل

لهذا الجمع القائم بنفسه ستة شروط وهى :

(الأول) أن يدل على (لون) ويكون (نعتاً) صرفاً لا منقولاً إلى الاسمية أو الموصوفية ، ولهذا يجمع أسود على أساود للحية الكبيرة فيها سواد ، وأجدل على أجادل للصقر ، وأدهم على أداهم للقيد ، إلى نظائرها . ومن النعوت الدالة على لون أو شِيَة وهى على فُعْل ما جاء فى سورة المرسلات : « كأنه جمالة صُفْر » . وفى سورة طه : « ويوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » . وفى سورة فاطر : « ومن الجبال جدد بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود » . وفى سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس » . وفى سورة الإنسان : « عاليهم ثياب سُنْدس خُضْرٌ » . إلى غيرها وهى كثيرة . ومما سمع عن فصحاء العرب قولهم : حُدُلٌ ككتب جمعاً لأحدَل وحدْلاء . قالوا : هذا شاذ لأن أفعل وفعلاء من الألوان والعيوب والشيات يجمعان على فُعْل بالضم والسكون . إنما ثقّل بعضهم طائفة من الألفاظ من هذا القبيل على لغة لبعض قبائلهم ، فإنهم يثقلون ما هو مخفف من باب الشاذ ، ولا تقس عليه إذ لا يحق لك أن تفعله

(الثانى) أن يدل على (عيب) إلَّمْ يدل على (لون) كما فى سورة البقرة « صم بكم عمى فهم لا يرجعون »

(الثالث) أن يدل على (حلية أو زينة) إلَّم يدل على عيب أو لون . كقولك : رجل أهيف ، وامرأة هيفاء ، ونساء هيف ورجال هيف ، ورجل أحور ، وامرأة حوراء ، وقوم حُوْر ، ونساء حور . ومنه فى سورة الرحمان : « حور مقصورات فى الخيام » . وفى سورة الطور : « وزوجناهم بحور عين »

(الرابع) أن يكون للنعت المذكر نعت مؤنث يقابله ومن لفظه ، وبالعكس ، فإن لم يكن كذلك ، لم يجُز تكسيره على فُعْل ، بل على وزن آخر سمع عنهم . تقول فى جمع حسناء : حسان لأنه ليس لها مذكر من لفظها على وزن أفعل . ومنه فى سورة الرحمن : « فيهن خيرات حسان » . وفيها أيضاً : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان »

وتقول فى جمع الصقلاء ، وهى المهضمة الخصر الصقال للسبب المذكور . وقالوا : أعوام عُوَّم ، كسكر ، ومفردها عام أعوم ولم يقولوا سنة عوماء . قال العجاج :

من حرّ أعوام السنين العوَّم

(الخامس) إذا أشير إلى الجمع المكسر بضمير مفرد مؤنث لكونه لغير العاقل ، أو جاور (فعلاء) وصف مفرد مؤنث يصح أن يكون للمفرد وللجمع على السواء ، فأنت مخير فى أن تنعته بفعل أو بفعلاء ، وإذا كان اللفظ فى الشعر والوزن يقتضى (فعلاء) فلا تخف من أن تزن اللفظ هذا الوزن . وكذلك يقال على الجمع المكسر لغير العاقل ، فيصاغ نعته على (فعلاء) إذا كانت هيئة ذلك الاسم المجموع بهيئة نعت مفرد مؤنث تقول : قنا خطية ملد ، وقنا خطية ملداء ، لأنك نصف تلك القنا بأنها (خطية) وبأن هذه (الخطية) ملد ، أو ملداء .

وما عدا ذلك لا يجوز لك أن تنعت الاسم المكسر بنعت مفرد مؤنث ، ولا سيما إذا كان الاسم المنعوت مجموعاً جمعاً مؤنثاً سالماً ، فلا تقول قط كريات بيضاء .

« يتبع »

الأب أنستاس مارى الكرملى
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٧٠٧ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد سالم على المغربى س ٢٥ بقال عزبة عبد الله عمر تبع قافلة مركز أبى حمص بالغرامة ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق والتعليق على باب محله والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً وشايا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

٤٢ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر — الأخلاق

إن الضيافة فضيلة فى الشرقيين تثير الإعجاب الحق للغاية . ويستحق المصريون من أجلها كل ثناء . ويطلق عادة على الزائر أو الضيف فى مصر كلمة « مسافر » . وقل فى مصر من يفكر فى تناول طعامه وفى بيته غريب دون أن يدعوه إلى مؤاكلته إلا إذا كان المدعو من طبقة دنيا فيدعى إلى مائدة الخدم . ويعتبر امتناع المسلم عن الأمر بإعداد المائدة فى الوقت المعتاد لأن زائراً دخل عرضاً ، مخالفة فاضحة للآداب . ويتناول أفراد الطبقة الوسطى عشاءهم أحياناً أمام أبواب دارهم عند ما يعيشون منفردين ، فيدعون كل عابر جليل الهيئة ليأكل معهم . ويفعل هذا عادة أفراد الطبقة الدنيا . والاستضافة فى المدن نادرة لأن فيها وكالات أو خانات يستطيع الغرباء المبيت فيها . كما أن الحصول على الطعام فيها أمر هين . أما فى القرى فكثيراً ما يضيف المسافرين شيخ القرية أو غيره من السكان ؛ وفى العادة أن يقدم الضيف من الطبقتين العليا والوسطى عطية إلى خدم المضيف أو إلى المضيف نفسه . ولكن يندر أن تقبل عطية الضيف فى البادية . وللمسافر أن يستقرى ، بموجب السنة ، من يستطيع أن يقريه ثلاثة أيام . وتقدم لنا التوراة فى قصة إبراهيم وإضافته الملائكة الثلاثة صورة كاملة للطريقة التى يستقبل بها الشيخ البدوى الآن الوافدين على خيمه . فهو يأمر زوجه أو نساءه بعمل الخبز فى الحال ، ثم يذبح نعجة أو غيرها ويطهيها على عجل ، ثم يحضر لبناً أو أى طعام آخر مهيئاً فيقدمهما لضيوفه مع الخبز واللحم الذى أعده . ويقف البدوى بين أيدى عظماء الضيوف أثناء تناولهم الطعام كما فعل إبرهيم فى القصة المشار إليها . ويكاد أغلب البدو يؤثرون الضيم على أن يرضوا بالإساءة إلى ضيوفهم مدة الضيافة

كان من المعتاد أن ترى فى القاهرة طوائف من « الطفيليين » الذين يستفيدون من ضيافة مواطنيهم ، فيعيشون على التطفل . إلا أن هذه الطائفة نقص عددها أخيراً . وكان من المؤكد تقريباً أن يوجد بعض هؤلاء الأبطال حيث تولم وليمة ، ولا يمكن التخلص منهم إلا بنفحة من النقود . وهم يتجولون أيضاً فى البلاد دون أن يملكوا فلساً واحداً ، فيتطفلون على المنازل الخاصة كلما احتاجوا إلى طعام ، ويسعون إلى ذلك بمختلف الحيل . وحُكى لى أن طفيليين عزما على الذهاب إلى مولد السيد البدوى فى طنطا ، وهى على مسيرة يومين ونصف يوم من القاهرة سفراً هيناً ، فسار الطفيليان الهوينى حتى بلغا قليوب فى نهاية اليوم الأول وتحيرا فى الحصول على عشاء ، فذهب أحدهما إلى القاضى . وبعد أن حيّاه قال : يا مولانا القاضى ... أنا فى طريقى من الشرقية إلى مصر ، ومعى رفيق فى ذمته لى خمسون كيساً يحملها معه ويرفض أن يعطينى إياها ، وأنا فى حاجة إليها الآن . فقال القاضى : أين رفيقك ؟ فأجاب المدعى : هنا فى هذه المدينة . فأرسل القاضى من يحضر المتهم ، وأمر فى أثناء ذلك بإعداد عشاء طيب ، إذ كان يتوقع رسماً كبيراً فى قضية كهذه ، وهذا ما كان يفعله قضاة الأرياف فى مثل هذه الظروف . ودعا القاضى الخصمين إلى العشاء والمبيت قبل النظر فى القضية . ونُظرت الدعوى فى الصباح ، فسلم المتهم بوجود الخمسين كيساً معه وقال : إنه مستعد لردها لأنها تتعبه ، فهى ليست غير أكياس الورق التى يباع فيها البن ؛ ثم

قال : نحن طفيليان . فطردهما القاضى غاضباً

إن اعتدال المصريين فى الطعام والشراب مثالى . فقلما رأيت منذ قدومى الأول مصرياً فى حالة سكر ما لم يكن عازفاً فى سامر أو راقصة أو عاهرة من السفلة . ويبدى المصريون احتراماً عظيما للخبز باعتباره سند الحياة[1] . ولا يجيزون ألبتة التبذير فى أصغر قطعة منه إذا استطاعوا تجنب ذلك . وكثيراً ما لاحظت بعضهم يرفع قطعة الخبز إذا سقطت عرضاً فى الطريق إلى فمه وجبهته ثلاث مرات ، ويفضلون وضعها على جنب لكى يأكلها كلب على أن يدوسها المارة . وقد روى لى كثيرون الحادث التالى الذى يدل على احترام المصريين للخبز إلى حد غير معقول ؛ ولكن ينبغى القول أن هذه الرواية يصعب تصديقها : كان خادمان يتناولان طعامهما جالسين لدى باب سيدها عند ما أبصرا مملوكا يتجه نحوهما راكباً فى جمع من رجاله . فقام أحد الخادمين احتراماً للقادم العظيم ؛ فصاح القادم غاضباً : أيهما أحق بالاحترام : الخبز أم أنا ؟ ثم أشار بيده إلى المذنب إشارة معلومة دون أن ينتظر منه جواباً ، فضرب عنقه فى الحال

يراعى المسلمون المصريون من الطبقتين العليا والوسطى النظافة بدقة . وتعتبر الطبقة الدنيا فى مصر أكثر اعتناء بالنظافة من غيرها فى أغلب البلدان الأخرى . ولعل المسلمين ما كانوا يهتمون بالنظافة إلى هذه الدرجة لو لم يأمر بها الدين . ويبدو مما سبق ذكره فى الفصل الثانى من هذا الكتاب أن الواجب ألا نحكم على المسلمين ، نظراً لنظافتهم ، من تركهم أطفالهم فى حالة قذرة . ولاشك أن الوضوء أمر حكيم ؛ فالصحة لا تكون فى البلاد الحارة إلا بالنظافة . ويحرص المصريون حرصاً خاصاً على تجنب كل ما قرر الدين قذارته ونجاسته ؛ فيمتنع المسلمون عن شرب النبيذ لعدة أسباب أحدها أنه نجس . وأعتقد أنه يندر حمل مسلم على تناول قطعة من لحم الخنزير . وقد تحدثت مرة مع مسلم فى موضوع الخنزير فقال إن الفرنج شعب يفترى الناس عليه كثيراً ؛ فلا شك أن المعروف عنهم أنهم يأكلون الخنزير ، ولكن بعض المفترين هنا يؤكدون أنهم لا يأكلون لحم هذا الحيوان النجس فحسب ، بل يأكلون جلده وأحشاءه والدم ذاته أيضاً . فلما اعترفت له بصدق التهمة انفجر يلعن الكفار ويدعو عليهم بالدَّرك الأسفل من النار

يدين أكثر القصابين الذين يبيعون اللحم إلى أهل القاهرة المسلمين باليهودية . وقد اشتكى منذ سنوات مضت أحد العلماء الكبار إلى الباشا من هذا الأمر والتمس وقفه . وسمع بذلك عالم آخر فتبعه وألح أمام الباشا فى أن هذا العمل لا يخالف الشرع . فقال المشتكى : قدم دليلك . فأجاب الآخر : دليلى قوله تعالى : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » . فاستدعى حينئذ رئيس القصابين اليهود وسأله هل يقول شيئاً قبل ذبح الحيوان ؟ فأجاب : نعم . نحن نقول دائماً مثل المسلمين : باسم الله أكبر . ولا نذبح الحيوان إلا بحز نحره . فصرف المشتكى حينئذ

ذهب رجل منذ أيام قليلة إلى خباز ليشترى فطيرة ، فرآه يسحب من الفرن طبقاً به لحم خنزير كان يشويه لأفرنجى ، فاستدعى الرجل فى الحال شرطياً من أقرب قسم لأنه يعتقد أن من الممكن أن تكون الأشياء الأخرى لامست اللحم النجس فتلوثت . وألزم الشرطى قيادة الخباز إلى الضابط . فلم يجزع الخباز واحتج بجهله أن اللحم كان خنزيراً . واعتبر الضابط الحادث مهما يستدعى رفعه إلى ديوان الباشا . فرأى رئيس الديوان أن الأمر خطير يصعب الحكم فيه فأرسل المتهم إلى المحكمة . فاستفتى القاضى المفتى فأفتى أن كل طعام لا يكون نجساً فى أصله تطهره النار مما يلوثه . فيعتبر طاهراً أى طعام وجد فى الفرن ولو لامس الخنزير .

واستقدم الباشا من أوربا منذ مدة قصيرة لديوان حريمه طقماً من الحشايا والوسائد حشيت بشعر الخيل . ففتحت السيدات

(١) ويطلقون على الخبز لفظ « عيش » ومعناه الحياة

إحدى الوسائد ليتحققن من المادة التى تجعلها وثيرة على هذا الشكل اللطيف . فلما رأينها من شعر الكلاب تقززن أشد التقزز وأصررن على طرح الديوان بأكمله

واستخدم الباشا منذ سنوات قليلة رجلاً فرنسياً لتكرير السكر . فاستعمل هذا الأخير الدم لهذا الغرض . ومنذ ذلك اليوم قل من يجرؤ من المصريين على استهلاك السكر الذى يصنعه هذا الأفرنجى . فاضطر الباشا إلى تحريم استعمال الدم فى مصانعه واستبدل به زلال البيض . وقد رأى بعض المصريين أن السكر الأوربى يفضل السكر المصرى فاستعملوا الأول على اعتبار أن ما كان طاهراً فى الأصل يمكن أن يطهر مرة أخرى بعد تلوثه . ولكنى مضطر إلى استعمال السكر المصرى غير المكرر فى عمل الشراب لضيوفى إذ أن البعض يناقشنى طويلاً فى هذا الموضوع .

جرت العادة أن يصب المصريون على ملابسهم بعد غسلها ماء نقياً ناطقين بالشهادتين [1] . وقد ذكرت عند الكلام على الدين عادات أخرى فى النظافة يراعى المصريون أغلبها . ولكن المصريين بالرغم من هذه العادات والمبادئ فى الطهارة وتعودهم الاستحمام لا يغيرون ملابسهم الداخلية كثيراً بقدر ما تفعل بعض الشعوب التى تعيش فى أقصى الشمال والتى لا تحتاج إلى ذلك كثيراً ، ويذهب المصريون إلى الحمام مراراً فى ملابس قذرة يلبسونها بعينها ثانية بعد استحمام تام .

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(١) ويعبرون عن ذلك بقولهم : إن فلاناً « شاهد الحوايج » بدلا من « غسل الحوايج وتشهد عليها »

قصيدة مصر الجديدة

[مهداة إلى نادى الخريجين فى السودان ،
وإلى جميع أصدقاء « الرسالة » هناك]

للدكتور زكى مبارك

[حدثت الأستاذ الزيات أنى سأنشر قصيدة أتحدى بها جميع الشعراء ، وأقول إن هذا الزهو لم يخطر فى البال وأنا أنظم هذا القصيد ، فقد أوحته روحانية لا تسيطر على النفس إلا فى أندر الأحايين ، فجاء كما يراه أقباساً من الأشواق العواصف بالقلب والوجدان

وفتنة الشاعر بشعره مرض عرفته جميع الأجيال ، فليس من الغريب أن أقول إنى مفتون بهذا القصيد ، وأن أزعم أنى قبسته من جمر الوجود

أنا أكره أن تبيت قلوب وعيون بلا قرار ولا منام ، فكيف جاز أن أزلزل قلوباً وأؤرق عيوناً بهذا القصيد ؟

كان ذلك لأنى أريد أن يعرف أبناء هـذا الجيل حقوق الشعر البليغ ، وأن يفهم قوم أن الكاتب الذى يعرفون هو الشاعر الذى يجهلون ، إن كان فيهم من لم يقرأ قصيدة الأسكندرية أو قصيدة بغداد]

تناسيتُكم عمداً كأني سلوتكم　　وبعض التناسى العمد من صور الود

إذا اشتدَّ إظلام العقوق تبلجتْ　　مآثرُ تذكى نارَ معروفكم عندى

أمِثلىَ يَنسى ؟ آهِ مما اجترحتمُ　　على الهائم الحيران فى حَومة الوِردِ

أأنْ خِفتُ عذَّالى فأخفيت لوعتى　　تظنوننى صبًّا أفاق من الوجدِ ؟

غرامى بكم لم يُبقِ قلباً بلا جوًى　　وحبى لكم لم يُبق عَيناً بلا سُهدِ

خلعتُ عليكم من هُيامي وصَبوتى　　غلائلَ لم تُخلع على ساكنى الخُلد

مضى ما مضى ، هل يرجعُ الدهرُ ما مضى ؟
وهل تتقون الحبَّ أو سالف العهدِ ؟

معاهد فى « مصرَ الجديدة » أصبحتْ
رسوماً من الأشجان أحرسها وحدى

أنسرى معاً فيها كما كان عهدنا
وعهدُ الهوى أشهى مَذاقاً من الشهد ؟

أنقرأُها حرفاً لحرفاً كأنها　　رسائلُ من ليلى المريضة أو هند ؟

تعالَوا نعدْ ليلاتِها الغُرَّ حِسبةً　　لحبٍّ قبضتمْ روحه وهو فى المهد

تعالوْا تعالوْا قبل أن يُمسىَ الهوى　　تواريخَ لا تُغنى المحبَّ ولا تُجدى

تعالوْا ... فلن ألقَى سَناً مثلَ نورِكم
ولن تستطيبوا جَنةَ الحبِّ من بَعدى !

تعالوْا ... ففى « مصرَ الجديدةِ » ما بها
من النَّرجس النعسان والفلِّ والوردِ ...

مَثابةُ أحلامى ومهوَى مآربى　　ومَنسكُ روحى فى الملامة والحمد

إذا جُلت فيها جولةَ الفتكِ أسلمت　　مفاتحها فيما تُسرُّ وما تُبدى

وإن غبت عنها بعضَ ليلٍ تلفتتْ　　تُسائل عن سرِّ القطيعة والصد

شوارعها عند الأصيل مَشارعٌ　　لكلِّ محبٍّ من حبيبٍ على وعدِ

وأنفاسها بالليل كالمسكِ نفحةً　　وظلماؤها كالخال فى صفحة الخد

فلا تذكروا نجداً أو الخيفَ بعدها　　تسامتْ مغانيها عن الخيف أو نجد

ولا تطلبوا نِدًّا لها فى جمالها　　فما لجمال الشمس فى الكون من ندٍّ

أباريسُ أو برلينُ تحوِى فُتُونها
إذا ازدهرتْ بالحسن كالكوكب السَّعدِ ؟

أفى لَندَنٍ شِبهٌ لها فى صِيالها　　إذا صفَّتِ الأرواح جنداً إلى جند ؟

تجمَّعَ فيها الُحسن من كلِّ أمةٍ
كبغدادَ بين العُرب والفُرس والكُرد

ورفَّتْ بها الأنفاس شتَّى غرائباً　　من الورد والريحان والضال والرَّند

هديرُ الأماني فى الفؤاد هديرُها
إذا جدَّ جِدُّ « السَّبق » بالركض والشَّد[١]

وروَّادها فى الصبح والعصر زادُهم　　إذا ما استضافوها فنونٌ من الوجد

تَشابهَ فيها الليل والصبح فاعجبوا　　لصحراء أضحت وهى من جنة الخلد

يجسَّد نور البدر فيها مُفضَّضاً　　فتحسبه درًّا يُساقَطُ من عِقد

بكل مكانٍ أو بكل ثَنيَّةٍ　　بأرجائها سحرٌ يُثار بلا عمد

وما بدرها بدر السموات وحدَه　　ففيها بُدورٌ قد تجلُّ عن العدِّ

خذوا وصفها عنى فلى فى ضميرها　　مكان الضريم الحر يكتنُّ فى الزَّند

ولا عيبَ فيها غير أنَّ نسيمها　　يزيد سعيرَ القلب وقداً إلى وقد

يُجِدُّ شعورى بالوجود فأغتدى　　أحدَّ سماعاً من قُوَى آلة الرَّصد

أُسجل فيها ما أشاء من المنى　　ومن خطرات الروح للشاعر الفَرْد

وأنقل عنها فى ضُحاها ونحرها　　أفانين أشتاتاً من الهزل والجِدِّ

إذا اجتمع السُّمار فيها رأيتَهمْ　　ملائك توصِى بالوثيق من العَقد

وإن طَرِبوا ليلاً وللقلب حقهُ　　حسبتَهم جنًّا أُقيلوا من القيدِ

هُيامي بها لم يُبق للعقل من شدًى　　بلى لأنه فى غمرة الوجد أستهدى

مدينةُ من هذى ؟ مدينةُ ساحرٍ　　يرى طِيبها النفَّاح أذكى من النَّد

مدينة من هذِى ؟ مدينة ناسك　　يُسر من الإيمان أضعاف ما يبدى

---

(١) لمواسم السباق فى « مصر الجديدة » شهرة لا تحتاج إلى بيان

أرى الله في مصرَ الجديدة كلما ... رأيت بها الأزهار تنظم في عقد[1]

أرى الله فيها ما أردتُ ومن يعشْ ... كعيشى بها يقرُب من الصمد الفرد

حُلوليّةٌ تزدار قلبي وخاطرى ... فيحيا بها عقلى ويقوى بها عَقدى

أكان الحلوليون رأوْا ما أرى ... من الحسن في قرب من الله أو بعد ؟

أمرَّ زمان فيه «مصرُ جديدة» ... بها فارس يأوى إلى فرس نهدِ

أحبُّك يا مصر الجديدة فاسمعى ... نشيدى ولا تصغى إلى شاعر بعدى

تعالَوْا تروْا قلبي على ما عهدتمُ ... وفاء إلى غدر وصفحاً إلى حقد

أنا العيلم العجّاج بالرفق والأذى ... أضل أحبائى إذا شئت أو أهدى

بقايا من الرُّوح المَريد تعودني ... فأرتدُّ صبًّا جائر الرأى والقصد

أحبكمُ ؟ ما ذا أقول ؟ لقد صحا ... فؤادى وأبصرتُ الطريق إلى الرُّشد

عواطف جالت في ضلال كأنها ... بوارق في جُنح من الليل مسودّ

عشقتكم ؟ قد كان ذلك وانطوت ... صحائف خطتها يد العبث المردى

فلا تذكروا عهدى بسخط ولا رضاً ... تناسيت أو أنسيت ما كان من عهدى

أضاليل أزجيها لنفسي عُلالةً ... عسانىَ أطفى ما تضرَّم من وجدى

وكيف التناسى كيف ؟ ما أكذبَ المنى ... إذا حدثتْنى بالخلاص من القيد

أحبُّكم حبًّا أحرَّ من الوغى ... تؤجج في سهل إلى الموت ممتد

أحبُّكم طوعاً وكرهاً وإننى ... لأخشى الذى تخشون من ذلك الإدّ

برغم الذى ألقاه من جور حكمكم ... ألوذ بكم عند الخصام وأستعدى

ملاعب من لهو أثيم تمرَّدتْ ... فأمست كأقسى ما يكون من الجد

أرونىَ باباً للنجاة أروده ... فقد ضقت ذرعاً بالضلالة في الرَّوْد

وكيف نجاتى كيف ؟ هيهات فالذى ... سقيتم به روحى سيسرع في هدّى

دعانى الهوى ماذا أراد بىَ الهوى ... لقد حدَّ من عزمى وقد فلَّ من حدى

إذا رُمت أسباب المتاب تعرضت ... نسائم رياكم فأقلعت عن هَوْدى

أأنتم نسيتم كيف كنا ولم نَدَع ... مآرب من قبل تراد ولا بعد ؟

غرامي بكم كان الغرامَ ومحنتى ... بكم صيرتنى في الأسى أمّة وحدى

سلوا الليل في مصرَ الجديدة هل رأى ... على عهده بالحب أصدق من عهدى

وهل أبصر البدر المنير بأرضها ... أصحَّ أديماً من ضلالى ومن رشدى

وهل عرفت ظلماؤها في سهوبها ... أحبَّ إليها من هيامى ومن سهدى

لقد كنت ألقاها وللشمس مَيلةٌ ... إلى الغرب تستهدى النعاس وتستجدى

فأملأها وحياً وشعراً وصَبوةً ... إلى أن تفيق الشمس من نومة الخود

أتلك ليالٍ لا تعود ولم أزل ... بحمد الهوى في صولة الأسد الورد

جهلتم إذا كنتم تظنون مهجتى ... ستَجنح يوماً للسلام وللبَرد

هواىَ هو الجمر الذى تعرفونه ... وللجمر سلطان على الحجر الصَّلد

سأرزأكم بالهجر والصد فارقبوا ... بلايا تُفاديكم من الهجر والصدّ

أكان غرامى غرَّكم فظننتمُ ... بأن ليس للإسراف في الحب من حد

هو القول ما قلتم فإن صبابتى ... ستبلغ ما لا يبلغ الجمر من وقد

سنون تقضت في اضطرام وحبنا ... يصاول بالعذْل المحمل بالنَّأد[1]

فهل أفلحَ العذّال يوماً وفيهمُ ... وفيون يؤذيهم خبالى في مهدى

مساويكم تبدو لقلبى محاسناً ... فواتنَ تُجزَى بالثناء وبالحمد

فمن أىِّ وادٍ للفتون تفجَّرتْ ... ينابيع هذا الحسن مرهوبة الورد

أمرُّ بها ظمآن والجوُّ قائظٌ ... فأسمع همساً من وعيد ومن وعد

تلوِّح بالإشفاق عينٌ مريبةٌ ... لها ما لهذا الدهر من خاتل الكيد

وهل يعرف الحيران ضل طريقه ... بنحس رمى التلويح بالرفق أم سعد

أرى بيتكم منى قريباً وتارة ... أراه وأدنى منه أبنية السند

على قدر ما ناقى من الوصل والجفا ... يقدر ما نلقى من القرب والبعد

أذلك بيت أم كناس يهابه ... ويرهب غزلاناً به أفتك الأسد

فأيان أيان السلامة منكمُ ... وليس لطغيان الملاحة من صد

أعوذ بربِّ الجنِّ منكم وإننى ... لأعلم أن لا عوذ من سَورة الوجد

شقى وكفى أنى مُحِبٌّ مُحسَّدٌ ... يساق إليه الإفك في صورة النقد

قضى حبكم أن أجرع اللوم طائعاً ... وأن أحسب التهيام فنًّا من الجد

إذا صرت في غى الهوى ورشاده ... إماماً فقد تمت أياديكم عندى

أجيبوا : أكان الحب حلماً تبددتْ ... أشعته عند الإفاق من الرَّقد ؟

أكان صفاكم لمحةً جاد بارقٌ ... بلألائها في الليل يُفجَع بالرعد ؟

سأنساكمُ يوماً وللقلب رجعةٌ ... على جهله للراجحات من الجِد

سأنسى هُيامى ثم أنسى غوايتى ... وكلُّ ضرام في الغرام إلى خمد

أجيبوا فلى رأىٌ يفرُّ إلى مدًى ... قرار الجراز العضب في سُدَف الغمد

أأنتم رضيتم أن تصير حياتُنا ... أفانين من نسك يكفن في زهد ؟

لكم ما أردتم، فاذهبوا أنتمَ اذهبوا ... إلى الوهد من وادى الخمود أو النجد

ولى ما أراد الحبُّ والحبُّ حاكمٌ ... يرى جوْرَه فينا أبرَّ من القصد

---

(١) إشارة إلى قول بعض الصوفية بالحلول

(١) النأد : الحمد

بلادةُ أقوام تُمَدُّ رزانةً ... بكل زمانٍ عن هدَى الحب مرتدٍّ
جمال التماثيل الحسان جمالكم ... وليس لغادات التماثيل من رفد
فحتامَ حتامَ الوفاء لصبوةٍ ... رددتم إليها سؤلها أقبح الردّ

أحبايَ ضاقت بي بلادي وآدَني
زماني فأولاني من الكرب ما يُردي
إذا قلتِ أيام الشقاء إلى مدًى ... تعاقبنَ بالأنواء والبرق والرعد
وإن ظمئتْ روحي إلى الصفو صدّني ... عن الصفو أقوامٌ جبلنَ على الحقد
ثلاثون عاماً أو تزيد قضيتها ... جواداً ببذل الروح للوطن الفرد
فما نلت حظا من جداه سوى الذي ... يَمنُّ به أهل الوشاية والكيد
أمن أجل هذا عشت ما عشت صابراً ... على وثبات العزم في الزمن الجعد؟
بلادي بلادي، أنت ما أنت؟ إنني ... أُجرَّع فيك الصاب ينعت بالشهد
أأنت بلادي أنت؟ صدَّقت، فاصدُقي
وعودك يوماً للفتى الصادق الوعد
تسابقني فيك الأماني خوادعاً ... كواذب لا توري بحل ولا عقد
أُساهر في ليلي كتابي ولا أرى ... لنفسيَ حظ الساهرين على النرد
فماذا دها الدنيا وما ذا أصابها ... أسفّت فأمست وهي في خسة القرد
إلى مَن أسوق الشكوَ والدهرُ ما أرى
تماثلَ فيه شامخ القُور بالوهد
إلى الوطن الجاني شكوت كما شكا ... لديغٌ إلى الصم المؤرَّقة الرُّبد
أمثليَ يؤذَى بالعقوق ولم يكن
له غير حفظ العهد في الحب من وكد؟
بلادي، وما هانت عليَّ مواطن ... أبي كان منها في الذؤابة أو جدي
أيشقى الثرى بالماء حتى يعوده ... أطباء علامون بالجزر والمدّ
وأظمأ وحدي فيك والنيل ثائرٌ ... يروز الجسور الشمَّ بالمزق والقدّ
بلادي، أمن جرم جنيت تحولت ... حياتي إلى وجه من العيش مرمدّ
لئن كان لي ذنب فذاك تولُّهي
بشرح الذي زُوِّدت في الدهر من مجد
ستمضي الليالي ثم تمضي ولا يرى
جمالك أقوى من غرامي ولا وجدي
بلادي، أكان الحب نوراً تطاولت
عليه غيوم من عقوق ومن جحد
توحدت مقهوراً فما ليَ إخوةٌ ... ولا صحبة يقوى برفقتهم زندي
توحدت لا خِلٌّ أبثُّ شكايتي ... إليه ولا حِبٌّ يؤرقه سهدي
إذا آذني الدهر اللئيم بجفوة ... تحوَّل أهلوه إلى عصبة لُدٍّ
توحدت؟ لا، فالأسد يؤنسها الأسي
بوحشتها في ظلمة الكُثُب الجُرْدِ
ليصنع زماني ما أراد فلن يرى ... سوى ساعد يلقاه بالبأس مستدّ
بناني الذي يبني الجبال شواهقاً ... وليس لحصنٍ شاده الله من هدّ
فما بال أقوامٍ تهاوتْ حلومهم ... يعادون بنّاء الجبال بلا عِند[1]
يعدُّون أجناداً لحربي بواسلاً ... وقد جهلوا أني سألقاهمُ وحدي
إذا اعتز بالله القدير مُجاهدٌ ... أذل ألوف الظالمين من الجند

أحبايَ في «مصر الجديدة» ما الذي
دعاكم إلى تكدير ذيّاكم الوِرد
به جاد دهرٌ لا يجود فكنتمُ ... أضنَّ من الدهر المبخل بالرِّفد
سقاكم فروَّاكم غرامي ولم أجد
على عثرات الدهر والوجد من يُعدي
تمرُّ ليالٍ أو أسابيع لا أرى ... على شغفي إلا مواعيدَ لا تُجدي
عذرت أحبايَ الذين تصدُّهم ... فيافٍ سحيقاتٌ عن البر بالوعد
عذرت الأُلى بالكرْخ شطت ديارهم
فليس لهم عن عصمة الصبر من بُدٍّ
فما صبركم أنتم وبيني وبينكم ... خطًى هيناتٌ قد يقدَّرن بالعد
إذا صلصل الهتّاف أصبحت عندكم ... وإن وسوس الهتاف أمسيتم عندي
بخمسة أرقام تدار أراكم ... وتراونني، أهونْ بذلك من جهد
تعالوْا، ولا تُصغوا لأقوال ناصح ... يسوق الكلام الحرَّ عن خاطرٍ عبد
نصيحةُ بعض الناس غشٌّ مقنَّع
وإشفاق بعض الناس ضرب من الحقد
عرفت زماني في بنيه ومن يُقمْ ... بمسبعةٍ يسبِقْ فلاسفة الهند
أنسمع لغو الحاقدين ولا نعي ... هدير حميّا الحسن ينصح بالوجد؟
هو الحسن فليأمر بما شاء ولتكن ... مشيئته، إنَّا له أطوع الجند
سمعنا، ومن يهتف به الحسن يستمع ... ألا إنَّ همس الحسن لحنٌ من الخلد
تعالوْا فأوقات الصفاء ذواهبٌ ... وليس لوقتٍ قد أضعناه من ردّ
تعالوْا سراعاً، لا تقولوا: إلى غدٍ ... غدٌ عند صدق الشوق دهر من البعد
وإلا ففي «مصر الجديدة» أنجمٌ ... زواهر ترجو أن يكون لها ودّي
أبغداد في عهد الرشيد تأرَّجتْ ... بأطيب من أنفاسها وهي في عهدي

زكي مبارك

---

(١) بلا عند: بلا رأي



حول نسب الفاطميين

جاء فى العدد (٤٨٤) من مجلة « الرسالة » الغراء كلمة تحت عنوان « حول نسخ الأحكام » تأثر فيها كاتبها بأقوال خصوم الفاطميين السياسيين من بنى العباس ومن كان ينتمى إليهم من العلماء ، ولو أنه رجع إلى أقوال المنصفين فيهم كشيخ المؤرخين ابن خلدون لخفف شيئاً من غلوائه فى أمر هؤلاء الفاطميين ، ولعلم أن نسبهم صحيح إلى اسماعيل بن جعفر الصادق رضى الله عنهما ، وقد يكون الطعن فى دينهم كالطعن فى نسبهم ، أثراً من آثار السياسة التى تبيح كل شىء فى سبيل أغراضها ، وتذهب إلى أن الغاية تبرر الواسطة ، فتذيع الكذب بين الناس وتنصر الباطل على الحق

والظاهر بعد هذا كله أن القول بإعطاء الإمام حق نسخ الأحكام كما حكاه أبو جعفر النحاس ، غير ما يحكى عن بعض الاسماعيلية فى الإمام السابع الذى ينسخ الشرائع ، لأن نسخ الشرائع يدخل فيه أصولها كالصلاة وغيرها ، أما نسخ الأحكام فالظاهر أنه خاص بالأحكام الجزئية التى تتأثر بالظروف والأحوال ، وتدعو الحاجة إلى نسخها بالاجتهاد لسبب من الأسباب ... (...)

كرملة الكرملي

أعود فأصحح للأب أنستاس مارى الكرملى أخطاء أخرى وقع فيها ؛ والأمر فى هذه المرة أخطر ، فقد جمع إلى الأخطاء التاريخية أخطاء روحية ؛ ولقد قال « ربليه » قدس الله روحه : « إن علما بلا ضمير خراب للنفس » ؛ فما بالك إذا كان العلم زيفاً حمله الرافدان ؟

لو أن الأب أنستاس مارى الكرملى العالم النحرير والروحانى المتواضع زف إلى ما يقول « كرملة » يستسيغها الذوق لقبلتها ، ولكن كرملته حصرم تمجه النفوس . إن فى نفسى إيماناً بأن العلم والروحانية لا ينزلان بنفس إلا هذباها ، ونحن كلما ازددنا توغلاً نحو آفاق المعرفة ازددنا دنوا من حدودها وإحساساً بتلك الحدود ، فهدأ جوارحنا ويسكن غرورنا .

وأنا قد أقبل من رجل أن يعتز بماله إن كان صانعاً أو تاجراً ، وأما العالم فالزهو منه ممقوت

إن روح العلم الصحيح لا تعرف نئات الكرملى . العلم تواضع كما أن الدين محبة ؛ وأين هذا من كلام الأب ؟ أنا لا أعرف التأكيد فى أى شىء ولذا قلت — أيها الأب أنستاس مارى الكرملى — إذا صح هذا أو ذاك . والأب الجليل العالى الكعب فى كل أمر لا بد قد قرأ أفلاطون ، ولا بد أن أستاذه قد قال له سنة ١٨٨٧ م إن موضع الجمال فى أسلوب أفلاطون موضع السحر ، موضع السمو ، كثيراً ما يتركز فى الحرفين An اللذين يضافان إلى الأفعال اليونانية لينقلا التأكيد إلى الاحتمال ، والأب الخطير يستطيع بلا ريب أن يترجم An بـ إذا صح الخ ...

ثم إننى أيها الأب أنستاس مارى الكرملى لم أستنجد بعلم الأستاذ كراوس كما أنى لم أغتصب منك أسلابك العلمية الثمينة ، وإنما الذى حدث أن مجلة الرسالة لم تنشر مقالى كاملاً كما تستطيع أن تلاحظ ذلك من ابتدائه بنقط ، ولو أنها نشرته كاملاً لرأيت أنى سلمت لك بأنك تعرف أسماء أنيقوس وتيودسيوس وغيرهما ممن لا يعتبرون إلا قطرة فى بحرك اللج الأجاج . ولو أنها نشرته كاملاً لعلمت أنى لم أنشر هذا المقال ردًّا عليك وأنا لا صبر لى على قراءة تحقيقاتك التى تبعدها عنى روحك الوديعة الطاهرة ، وإنما أردت أن أحاج الأستاذ كراوس لأننا اختلفنا فى هذا النص قبل أن ينشر الكتاب . وأنت أيها الأب أنستاس مارى الكرملى لا ريب مرهف الحس لطيف الذوق فكيف غاب عنك أن قولى : « اللهم إلا أن يكون لدى الأستاذ كراوس علم آخر ... الخ » لا يفيد طلب النجدة

سلمت إذن للأب الكبير بأنه قد عرف اسم أبيقوس ، ولكننى أنكرت عليه أن يعرف عنه أكثر من ذلك بدليل أنه زعم أنه رومانى وهو يونانى . ولقد فطن إلى هذا الأب نفسه عند ما راجع دفاتره وراجع العلماء الأفاضل الذين يجتمعون معه فوضعو خطّا — كما يقول — تحت جملتى التى تحمل هذا المعنى ، ووضع الخط هذا وتأمين الأب على وضعه هو طريقة العالم

الفاضل فى الاعتراف بخطئه . وإذن فقد كنت محقاً فى أن أصحح له هذا الخطأ

بقيت مسألة الكراكى التى لم أعثر بها فقلت : « إنها خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودس وأتيقوس شيئاً » . وهذا حق ، فأنا لم أعثر بها فى حياتهما ؛ وأعود فأكرر أننى لم أعثر بها ولا أقول لم أعثر عليها — كما يقترح اللغوى الكبير الأب الكرملى — لأن المعنى الذى أريد أن أعبر عنه هو أننى لم أعثر بها ، أى لم أقع عليها . وللأب الفاضل أن يظهر علمه - إذا أراد - فى غير هذه التوافه ، وأن يتفضل بأن يترك للكاتب الحق فى أن يتصرف فى اللغة وفقاً للمعنى الذى فى قلبه

وأما مسألة أبيقوس ونسبة الكراكى إليه ، فهذا لن يفيد الأب الكرملى فى شىء ، لأن النص يقول : « إن تودورس أو قومودس ملك يونان كتب إلى أينقس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية » ... وإذا كان من الثابت أن قومودس قد عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد ، وأن أبيقوس الذى فرح الأب باكتشاف أحد أصدقائه لوجوده قد عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، فإنه يكون بين الرجلين ثمانية قرون . أيريد الأب الشيخ أن يطير فى طائرة عصرية ليجمع بين العصرين !

لم يكن لى أن أتجه نحو أبيقوس ما دمت قد رجحت كومودس

هذا ما يستحق الرد فى كلام أوفى كرملة الكرملى ، وأما ما دون ذلك ، فالعلم منه برىء .

محمد مندور

مدرس بجامعة فاروق الأول

القضاء العشائرى فى العراق

كتاب قيم ألفه الشيخ فريق المزهر آل فرعون عضو البرلمان العراقى ورئيس عشائر الفتلة ، يبحث فى الأصول والقواعد العشائرية والعادات المألوفة لدى القبائل العراقية ، ويتناول تدوين تلك الأحكام المرعية والعادات المتبعة التى ساروا عليها منذ ثمانمائة سنة ، كما ضمنه عادات العشائر العراقية وآدابهم وتقاليدهم وأساليبهم وسائر شؤون حياتهم الاجتماعية

والحق أن للقبائل والعشائر العراقية تاريخاً حافلاً بالعادات والتقاليد المتوارثة ، يحرصون عليها ويتواصون بالتمسك بها وعدم التفريط فيها ؛ ومن هذه التقاليد المرعية يتألف قانون غير مدون له قدسية سائر القوانين المدنية وحرمة بقية الأنظمة الاجتماعية ، يرجعون إليها فيما يتعلق بخلافاتهم وأحكامهم ومشاكلهم المديدة وفيما يخص سائر أمورهم الاجتماعية والشرعية والاقتصادية ، ولهم فيما يتفرع من هذه النواحى وفيما ينجم عنها من ملابسات ، أحكام وآراء وحلول تنطوى على البراعة والمهارة والطرافة بقدر ما تنطوى عليه من صرامة وشدة وقوة مستمدة من ذكاء وقاد وإحساس مرهف ، وحرص شديد يبلغ حد العصبية على محافظة المنمنات والنزعات العربية الخالصة

ولم يتهيأ إلى الآن من يعنى بدراسة هذه التقاليد والسنن ، وما تكون منها من أحكام ومن أصول أصبحت على مر الزمن قانوناً مرعياً نافذاً صارماً ، فيؤدى بذلك إلى التاريخ العربى خدمة كبيرة ، ويوسع مجالاً للحياة القبلية العربية فى العصر الحاضر ، أن تأخذ مكانها فى التدوين إلى جانب الحياة المدنية ، حتى انبرى لها الشيخ فريق المزهر آل فرعون ، وهو من هذه القبائل العربية الضاربة على ضفاف الفرات ، فسد فراغاً فى خزانة الأدب والتاريخ العربيين ، بما قام به من وضع سجل تاريخى حافل فى هذا الصدد ، وهو كتاب « القضاء العشائرى » الذى بحث فيه « نظام دعاوى العشائر » ، وهو القانون الوحيد الذى يسير عليه القضاء الإدارى فى العراق ؛ وقضايا الحق المتنازع فيه قسمان : قضايا موضوعية ، وقضايا أصولية ، أو شكلية ؛ وقد وضع « العرف العشائرى » قواعد خاصة لكل من الحالين ، وقد كانت هذه القواعد معمولاً بها فى العراق لفض المنازعات بين القبائل منذ أقدم الأزمنة إلى الآن .

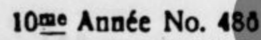
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

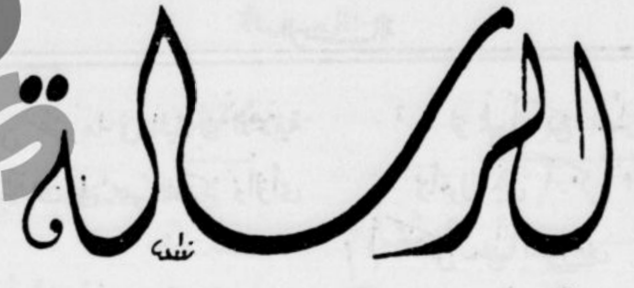


10me Année No. 486

Lundi - 26 - 10 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة





مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٨٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٦ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الرايـــة المصرية

لكاتب كبير

هي راية الفكر والرأي والبيان ، وهي أول هِبة منّ بها الوهاب على هذه البلاد ، ولعلها أول هِبة جاد بها الله على هذا الوجود

مصر بطبيعة الفطرة أُمة سليمة الروح والوجدان ، ومن أجل هذا المعنى كان فقراؤها أغنى من الأغنياء ، وكان جهلاؤها أعلم من العلماء ، فما عرف الناس في شرق ولا غرب بلداً يعيش على المواهب الطبيعية كما يعيش هذا البلد ، ولا سجّل التاريخ أمجاداً أشرف من أمجاد هذا البلد ، ولا كان في الدنيا نهرٌ أوفى وأكرم من نهرها الفياض بمعاني الخصب والثروة والشعر والخيال

عاصرت المدنيةُ المصرية مدنيات كثيرة في القديم والحديث ، فهل انهزمتْ أمام إحدى المدنيات ؟ وهل خضعت لعبودية الروح في أي وقت ، وإن جار الزمن فنال من استقلالها السياسي في بعض العهود ؟

صنع الدهر بمصر ما صنع في عهود الطغيان من الوجهة

الفهرس

السياسة ، ولكن الدهر عجز عن غزوها فى الميادين الأدبية والروحية والعقلية ، فظلت آية الآيات فى سموّ الفكر والرأى والبيان

إن مصر لم تخضع ولن تخضع لأية سيطرة تعتمد على الاستبداد ، وهل كان من العبث أن تُعرف مقابر من سيطروا على هذه البلاد ، ثم تختفى مقبرة الإسكندر المقدونى ، فلم يهتد إليها منقّب ولا باحث ، مع أن صاحبها كان من أعاظم الرجال ؟

كانت مصر لأبنائها ، ولن تكون إلا لأبنائها ، وستمضى أجيال وأجيال ، وأزمان وأزمان ، قبل أن يجوز فى الوهم أن الذاتية المصرية معرّضة لاستعباد الجهل والبغى والطغيان .

فى عصور الجاهلية الجهلاء كانت مصر مناراً يهدى اليونان والرومان ، وفى عصر الإسلام كانت ملاذاً للعلوم الإسلامية ، والحضارة العربية ، وفى العصر الحديث كانت مصر درعاً يقى الشرق من طغيان الغرب ، وستظل مصر إلى الأبد مصدر النور ومنبع الإشراق .

أكتب هذا وفى قلبى أشجان تعجز عن إثارة دموعى ، فقد قيل وقيل إن أيام الحرب تصدّ العقول عن الرأى ، وتمنع الأقلام من البيان

هيهات ثم هيهات ، فالينبوع القاهر يفتك بالحواجز والأسداد ، والقلم العارم يصنع ما يصنع النورُ فى تبديد الظلمات

لن تضام مصر ، ولن يضام أهلوها ، ولن تجف أقلامها ، ولن يكون لها بين المظلومين مكان

لا أقول إن مصر باقية ما بقىَ النيل ، ولكنى أقول إنها باقية ما بقى الوجود

مصر شرّعت لجميع الأمم مذاهب الفكر والرأى والبيان وستظل بإذن الله مصدر الفكر والرأى والبيان

قال الزعيم النبيل مصطفى كامل :

« لو لم أكن مصريًا لتمنيت أن أكون مصريًا »

وأقول إنى أكره الافتراض الذى يبيح التخيل بأنى لم أكن من المصريين

إن الظلم الذى يلاحقنى فى وطنى لا ينسينى جمال وطنى لأنه عندى أعزّ من روحى ونفسى

أنا أرفع الراية المصرية حيثما توجهت ، ولن تضام مصر ولها أسندة ودروع من أبنائها الأوفياء

وكم تمنيت أن أكون أول من هتف بهذه الآراء ، ليكون لى فضل الابتكار والإبداع ، ولكنى أشرح آراء جادت بها عقولٌ كان لها فضل السبق فى إحياء المواهب المصرية والعربية والإسلامية ، من أمثال : أحمد زكى باشا ، ومحمد بك مسعود ، والشيخ محمد عبده ، والسيد جمال الدين

هى آراء بشّر بها ودعا إليها أولئك الجهابذة الأعلام ، ولكنها حلّت من نفسى محل اليقين ، فصرت أهتف بها هتاف المبدع الأصيل ، والمريد الصادق لا يقل إيماناً عن أساتذته النبلاء

نحن لا نعمل لليوم الحاضر وحده ، وإنما نعمل للمستقبل القريب والبعيد ، وستظل سواعدنا قوية ولو احتواها الفناء

نحن لا نهاب الرجعية الممثلة فى أوهام الفانين ، ولا نهاب مصالحنا وهى جديرةٌ بأن تُهاب ، وإنما نهاب الحق ، ونراعى الوطن ، ونخاف الله ، وتلك معانٍ توجب أن نظل أوفياء لكرامة العقل ، وسماحة الروح ، وشجاعة الوجدان

سنقف كراماً حيث يقفنا الواجب ، ولن نرضى أبداً بأن يعرّض الفكر فى بلادنا للخمود

وستذكر مصر طائعة أو كارهة أن فى أبنائها من وَفوْا بالعهد ، فى أيام ألهتْ جماهير الناس عن الفكر والرأى والبيان ...

« ب »

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

١ — حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكى مبارك

فاتحة البحث — فوضى مزعجة — جنتمكان — الأمير — سبب الفوضى — تاريخ الكتاب — المويلحى الكبير والمويلحى الصغير — أصل الشبهة — سجين الفاقة والبؤس — الأديب المضطهد لنسبه وغناه — عصارة الشدائد — أغراض المؤلف — عقلية المويلحى — طبعات الكتاب

فاتحة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ...

أما بعد، فهذا بحث فى كتاب « حديث عيسى بن هشام » المقرر للامتحان التحريرى فى مسابقة الأدب العربى، والمرجوّ — إذا وفّق الله — أن يكون فيه ضمانة مؤكدة للنجاح فى ذلك الامتحان، على شرط أن ينظر الطلبة فى الكتاب نظرة جدية بعد قراءة هذا البحث، لأن الغرض من أمثال هذه البحوث هو التوجيه إلى الاطلاع عن بصيرة ويقين. ويخطئ من يظن أننا ننوب عنه فى قراءة ما يريد من الكتب، وفى استخلاص ما يشاء من الحقائق، ليواجه الامتحان وهو لا يملك غير ملاحظات لم يسهر له فيها جفن، ولم يقلق وساد!

هذه أبحاث نقدية، والنقد فنٌّ من التوجيه، وليس ضرباً من التحصيل؛ فليفهم أولئك الشبان هذا المعنى، وليقرأوا الكتب التى ننقدها قراءة فهم واستقصاء، بعد أن يستوعبوا ما فيها من المعانى والأغراض

فوضى مزعجة

هى الفوضى المحيطة بكتاب « حديث عيسى بن هشام »، فما يكاد القارئ يعرف فى أىّ عام أُلّف، ولا يكاد يتصور أىّ مجتمع يصوِّر، لولا عبارات تنطق بأنه كُتب بعد موت « جنتمكان محمد على »: الجد الأكبر للملك فاروق، رحم الله الجد، وحرس الحفيد ...

جنتمكان

وما « جنتمكان » التى ترِد فى الكتاب من صفحة إلى صفحات ؟

لقد استبهمتْ علىّ أولَ الأمر، وعجزت عن الاهتداء إلى نطقها الصحيح، ومدلولها الأصيل، ثم عرفت بعد لأْى أنها كلمة تركية رُكّبتْ تركيباً مزجيًّا من كلمتين عربيتين: هما « جَنّة » و « مكان »؛ وإذن يكون: « جَنّتْمَكان » هو ساكن الجنان؛ وهى العبارة التى تذكرها الجرائد حين تتحدث عن كبار الأسلاف من البيت المالك؛ والظاهر أن « جَنّتْمَكان » كانت مفهومة عند تأليف الكتاب، فتركها المؤلف بلا شرح؛ وهل كان يخطر فى باله أن معناها سيغيب عن رجل فى مثل حالى ؟ !

اللهمّ إنى أسألك السلامة من الجهل، فهو أخطر الأعداء!

الأمير

الألقاب نُظّمت فى هذا العهد بطريقة واضحة الرسوم، فصرنا نعرف الفروق بين طبقة الأمراء وطبقة النبلاء من الوجهة الرسمية فلنذكر أن كلمة « أمير » فى عهد مؤلف الكتاب لم تكن تدل حتماً على أن الموصوف بها من أعضاء البيت المالك، وإنما كان الأمير هو الغنىّ، ولو كان أجداده أبعد الناس من دماء الملوك

حدثنى الشاعر عبد المحسن الكاظمى قال: كان محمود سامى البارودى أميراً بكل ما لهذه الكلمة من المعانى

وقد توهمت فى بعض ما سطرت من البحوث أن « إمارة » البارودى كانت رسمية أو شبه رسمية، لأن أجداده كانوا من أمراء المماليك، فالآن أعرف أن الإمارة فى مصر كانت من نصيب أصحاب الثراء فى جميع الأحوال[1]

والكاظمىُّ عراقىٌّ استمصر، وقد هال الرصافى أن يبكيه العراقيون بعد الموت فقال:

فيا عجباً بكتْك وأنت ميْتٌ ... بلادٌ ضيَّعتْك وأنت حىٌّ

سبب الفوضى

وسبب الفوضى التى يعانيها من يقرأ « حديث عيسى ابن هشام » أنه خلا خلوًّا فظيعاً من التواريخ، وهل يوجد

(١) ومع ذلك وردت كلمة « أمير » فى ص ٢٣٠ فى سياق يدل على أن المؤلف يقصد أحد المنتسبين إلى البيت المالك

أعجب من أن تكون رسالة السيد جمال الدين الأفغانى إلى المويلحى بدون تاريخ ؟

أستغفر الله ، فالنص الزنكوغرافى ينص على أنها فى ١٩ ربيع الثانى

ولكن من أى عام هذا الربيع الثانى ، يا سيد جمال الدين ؟

تاريخ الكتاب

يقول المؤلف إن كتابه مجموعة مقالات نشرت فى « مصباح الشرق » ؛ ومن السهل على المقيم بالقاهرة أن يراجع تلك الجريدة فى دار الكتب المصرية ، فما الذى يصنع المقيم بمدينة دمشق أو مدينة بغداد ؟

فى الصفحة الرابعة والثمانين نجد المؤلف يقول : « إنها أبدع نكتة فى آخر القرن » فنعرف أن الكتاب ألف فى آخر القرن التاسع عشر للميلاد

المويلحى الكبير والمويلحى الصغير

عرفت اللغة العربية فى العهد القريب كاتبين عظيمين باسم المويلحى ، ثانيهما محمد وأولهما إبراهيم ، وكانت لإبراهيم مخاطرات سياسية دونها على صفحات « الرسالة » أحد أحفاده منذ سنين ، فليرجع إلى تلك الصفحات من شاء ، عساه يعرف كيف كانت مناورات ذلك الكاتب فى ختل السلطان عبد الحميد

والمهمُّ هو أن أسجِّل أن إبراهيم كان الكاتب الكاتب الكاتب ، وإليه تُنسب بالباطل أو بالحق رسائل ابنه محمد فى « حديث عيسى بن هشام » ، فقد مرَّت أزمان والناس يعتقدون أن محمداً ابن أبيه فى كل شىء ، حتى ذلك الحديث

أصل الشبهة

ولهذه الشبهة أصل ، فقد سكت محمدٌ بعد موت أبيه سكوت المُريب ، فتقوَّل الناس عليه الأقاويل ، وظنوا أدبه من الصنف الدخول .

وقوَّى الشبهة أنه استُغضِبَ فلم يغضب ، ولو كانت التهمة باطلة لثار وهاج ، وفعل بخصومه الأفاعيل .

سجين الفاقة والبؤس

فى سنة ١٩٢٤ تفضل الدكتور منصور بك فهمي فوصلنى بالمؤرخ الكبير أحمد باشا شفيق ، وكانت مهمتى أن أدوّن مذكرات شفيق باشا بأسلوب مقبول . ثم جاء رمضان فدعانى الباشا لطعام الفطور مع جماعة منهم الكاتب العظيم محمد بك المويلحى ، فكيف رأيت المويلحى ؟

كان يلبس الردنجوت من غير موجب ، وقد قضى الوقت كله فى صمت ، فصح عندى أن أدبه لا يخلو من تزييف

وفى صبيحة اليوم التالى واجهت أحمد باشا شفيق برأيى فى محمد بك المويلحى ، فسكت لحظة ثم قال : هل تعرف كيف يعيش هذا الرجل وكان ابن ذوات ؟

— كيف يعيش ؟

— أتجهل كيف يعيش ؟

— وهل أعلم الغيب ؟

— إن محمد بك المويلحى يقضى الأيام والأعوام وليس له زاد غير الخبز والملح والماء ، فهو أعظم من داوَى الفقر بالتجمل فى هذا الزمان

— أيعيش المويلحى هذا العيش ؟

— هو غنىٌّ افتقر ، ولا تصلح هذه الهامة العالية لاستجداء الناس ، ولو كانوا من الأمراء والملوك

الأديب المضطهد لنسبه وغناه

نشأ محمد المويلحى نشأة المياسير ، فكان من حقه أن يستكبر على الناس كما يستكبر من يكون فى مثل غناه ، ولكن سليقته الأدبية فرضت عليه أن يدرس جميع الطبقات الاجتماعية بلا تفريق بين المرتفعين والمتضعين ، فكان يغشى أماكن السوقة كما يغشى أماكن الأمراء[1]

وفى ذات ليلة تطاول عليه سفيه فى إحدى الحانات فضربه كفًّا ، كالذى يقع فى أماكن الشبهات والظنون

فكيف كانت العواقب ؟

أقام السخفاء من أدباء مصر موسماً سموه « عام الكف » عليهم غضبات صاحب الجبروت .

ومن العجب العاجب ، والسخف الساخف ، أن يكون شاعرنا إسماعيل باشا صبرى أحد المشتركين فى الشماتة بالأستاذ محمد المويلحى مع أنه مدح الشيخ أحمد الزين !

فيا بنى آدم من أهل هذه البلاد ، متى تعقلون ؟ متى ؟ ثم متى ؟

---

(١) فى الكتاب شواهد كثيرة على أن المويلحى كان يرتاد مواطن الشبهات ليدرس أخلاق الناس

عصارة الشدائد

تصدر عنى من وقت إلى وقت آراء فى غاية من الغرابة والشذوذ فى نظر الناس ، ثم تجيء الشواهد التى تؤكد أنى لم أكن من المخطئين

ومن آرائى الشاذة فى نظر الناس قولى بأن الأديب الغنىّ أقدر على فهم الحياة من الأديب الفقير ، وأشد إدراكاً لما فى الحياة من مكاره وصعاب

وكان ذلك رأيى لأنى أومن بأن الأغنياء تقع فى حيواتهم تعقيدات لا يعرفها الفقراء ، وما يسيغ ذهنى فكرة القول بأن الفقير يدرك معنى البؤس على الوجه الصحيح ، لأن الفقر عصمة من مواجهة «الخطوب الثقال» ، وقد نعرف بعد حين أن الفقراء هم الأغنياء

أقول هذا وقد صح عندى أن براعة المويلحى فى كتابه أخذت مدَدَها الأصيل من اضطلاعه بمتاعب الحياة في وقت مبكر ، مع الاعتراف بأنه كان لا يزال فى رعاية أبيه ، ولم يكن عرف طعم القوت الدائم بالخبز والملح والماء

ومن حظ الأدب أن المويلحى لم يؤجل تسطير ملاحظاته إلى أن يشرب الصُّبابة من كأس البؤس ، فما يستطيع بائسٌ معدم أن يتبيّن ما يريد أن يقول

كان المويلحى فى عافية حين سطر تلك الأحاديث ، ثم عمّ الغمّ وطمّ ، فآثر الانعزال إلى آخر الزمان

لم يعرف الأدباء الفارغون من أصحاب الجرائد الهزلية أن الأديب الحق لا يتوقد خاطره فى كل حين ، ولم يفهموا أن البلبل لا يغرّد إلا وهو جذلان ، فعدّوا سكوت المويلحى بعد موت أبيه دليلاً على أن أدبه من ضروب الأدب المنحول ، ولو عقلوا لفهموا أن الرجل أصابته بموت أبيه كوارث معاشية تزلزل رواسى الجبال

إلى مَنْ يتوجّه المويلحى وقد عادَى جميع الطبقات باسم الأدب والبيان ؟

وهل كان خصماؤه قبل عشرين سنة إلا كَتَبَة مأجورين يأكلون النار طائعين أو كارهين ؟

لقد مات المويلحى وظلوا أحياء ، فن الحيُّ ومن الميت ؟

تبارك من جعل الأدب الصحيح مهر الخلود !

أغراض المؤلف

للمويلحى من كتابه أغراض أدبية واجتماعية وتاريخية ، فهو يريد أولاً أن يقدم للأدب صوراً من البيان الوهّاج ، وقد فاز من هذه الناحية فوزاً مبيناً ، بغض النظر عما يقع من تكلف السجع فى بعض الأحايين . ولا جدال فى احتواء هذا الكتاب على صفحات يتمنّاها كبار الكاتبين

وهو يريد ثانياً أن يصور المجتمع ، فهل أفلح فى تصوير المجتمع ؟

لقد وصل إلى أبعد الغايات فى تصوير الطبقات العالية من وزراء وعلماء وتجار وقضاة ومحامين وأعيان وأوشاب ، وللأوشاب فى مصر مكان ، ولكنه غفل عن تصوير الطبقة التى تمدّ الحياة المصرية بالغذاء السليم من الآفات ، وهى طبقة الزراع والصناع . وعذره فى هذه الغفلة واضح ، لأنه عاش عيشة لا تمكنه من التعرف إلى هؤلاء الناس

أما ملاحظاته التاريخية فهى من التفاهة بمكان !

عقلية المويلحى

عقلية هذا الرجل سليمة إلى أبعد الحدود ، ولكنها تجود بالمضحكات فى بعض الأحيان ، كأن يتحدث عن سور بابل فيقول : هو عدة أسوار متداخلة بعضها فى بعض يتسع محيطها للاحاطة بسبع مدائن مثل مدينة باريس ، وكان ارتفاعه ثمانية وأربعين متراً ، وعرضه سبعة وعشرين متراً ، ومن حوله خندق عميق ، وعليه أبراج متعددة ، وله مئة باب من حديد[1]

يقول المويلحى هذا الكلام المضحك مع أنه نص على أن حدائق بابل المعلقة كانت فى اتساع أربعين فداناً ، ومع أن من المستحيل أن تسمح ثروة العراق بإقامة سور له ذلك الطول وذلك العرض ، وفى محيط يسع سبع مدائن مثل مدينة باريس ، باريس التى يسكنها نحو خمسة ملايين ، مع اتساع الشوارع والميادين ، ومع ابتلاع نهر السين

طبعات الكتاب

ظهرت الطبعة الأولى سنة ١٩٠٧ ، وظهرت الطبعة الثانية سنة ١٩١٢ ، والطبعة الأخيرة هى الرابعة مع الرحلة الثانية ، وهى موضوع الدرس ، وعليها المعوّل فى الامتحان ، وقد عُنِيَ المؤلف بتنقيحها قبل أن ينتقل إلى عالم الخلود

وكلمتى هذه تمهيدٌ وجيز يحتاج إليه المتسابقون بعض الاحتياج أو كل الاحتياج ، أما البحث المقبل فأنا أرجو أن يكون عند ما أريد ، إن تفضل الله بالتوفيق .

زكى مبارك

(١) ص ٤٠٣

عودة إلى تحفة الأستاذ على طه

أرواح وأشـــباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ١ —

اطلع الأستاذ توحيد بك على نقد فى « الثقافة » لـ « أرواح و أشباح » ، فحرك ذلك نشاطه لاستئناف البحث فى هذه الملحمة الرفيعة تحليلا لمغزى القصيدة ، وتعقيباً على رأى الناقد . (الرسالة)

هى الأرواح والأشباح الماثلة فى البشر أجمعين ، ويمثّلها أبطال يحييهم فى المخيّلة فن الشاعر المبتكر فى تحفته العربية . ولا بأس بالعودة إلى الحديث فى موضوعها : فإن التحف الفائقة من شأنها أن تحرّك الخواطر والخوالج فى كل وقت على الدهر ، فيكثر الكلام عليها من كل وجه . فلننظر المرة فيما قدم إلينا هذا الشاعر المفلق من صنيع كما هو :

هو قصة الروح والجسد فى محاورة مدارها السر فى تجاذب الرجل والمرأة ، وأثر الغريزة فى الفن بينهما . وهذا موضوع جدى بعيد الغــور ، أحسن معالجته شاعر مثقّـف ، وبناه على أساس متين من وجدانيات وفـكَر جديرة بالنظر

والفكرة الرئيسية فى الموضوع ، هى أن بين الروح والجسد تفاعلاً ، وبين القيم الأخلاقية والغريزة تدافعاً ؛ وأن هذا التفاعل وهذا التدافع هما العاملان الخفيان المسيِّران للحياة البشرية . وهذه الفكرة الأصلية مستحكِمة فى صلب الصنيع ، مرفرفة على كلامه من أوله إلى آخره ؛ وهى لذلك أس الوحدة الجامعة لأطرافه ، يؤيدها سائر الأسباب المتممة لهذه الوحدة المتينة [1] .

أما خلاصة المحاورة فيما يتعلق بأثر الغريزة فى الفن بين الرجل والمرأة ، فهى أن المرأة تلهم الفنان بجمالها الجسدى وجمالها الروحى فيراها دمية صُوِّرتْ من نقاء ، ويرى فيها ما لا تحدُّ النُّهى ، كأنها معنى وراء الخيال . غير أن الشهوة الجائعة فيها ، بل الغريزة العاتية فيهما ، توقعهما فى الخطيئة ؛ فالفنان يستلهم الشرَّ سحرَ البيان ، وتصير الفنون رمز الآثام . وتلك حال الآدمية ، يريد الفن أن يعلو بها ، فيقعدها الجسد بغرائزه . على أن أهل الفن منهم من يحتمل سعير الحياة فتقوى روحه ، ومنهم من يعشو بنور هذا السعير فتغلبه الغريزة :

شفت غُـلّة الفن حتى ارتوى … وإن دنس الفن من طهرها [2]
خطيئتها قصـــة الملهمين … وإغراؤها الفرح المفتقَـد
بأرواحهم يرتقون الخلود … على سُـلّم من متاع الجسد
وما الفن إلا سـعير الحياة … ونورتها فى محيط الأبدِ
لهيب إذا الروح مرّت به … تضاعفتْ الروح فى ناره
يُطيق القـوى لظى جمره … ويعشـو الضعيف بأنواره
وما الآدمية بنت السماء … ولـكنها بنت ماء وطين
يريد لهـا الفن أفق النجوم … فيقعدها جسم عبدٍ سجين

كلام فى الفن والفنانين ، تتحدث به فى السماء أرواح أسماؤها إغريقية مستعارة من الأساطير ؛ ولـكن هذه الأرواح رموز إلى الآدميين ؛ والفنانون بشرٌ على كل حال ؛ فحديث الغريزة العاملة فيهم يعنى معهم سائر البشر . ولذا جاء الـكلام فى الفن وسيلة فنية شعرية إلى إبداع ملحمة فى شأن الإنسانية منذ نشأتها ، ومن أقدم عصور اليونان ، ومن أيام السامرى وبنى إسرائيل وموسى فى أرض مدين ؛ وتمنى البيض وغيرهم ، حتى زنوج هاواى ؛ وتقص طبيعة البشر وأثر الغريزة فى الرجال والنساء طرًّا :

نعم ، أنت هن … نعم ، ما أرى؟ … أرى الـكل فى امرأة واحده
لقـد فنيت فيك أرواحهن … وها أنت أيتهـا الخالده
أأبغض « حواء » وهى التى … عرفتُ الحنان لها والرضى ؟
ورثت هواها فرمت الحياة … وحبّـب لى العـالم المبغضا
هو الرجل القلب ، لا غيره … فأودعنه القبس المضرما
إذا ما اقتحمتن هذا السياج … فقد خضع الـكون واستسلما
هنالك حيث تشبّ الحياة … [على الأرض]
وحيث الوجود جنين العدم
وحيث الطريدان شجـا الـكؤوسْ
ومجّـا صُـبابتها من قِدم
وما أخطأ الطيف ألوانه … [فى الزنوج]
ولـكنه اللهب الأحمر
لهم أعينٌ تتملى الجمال … وأفئدة بالهـــوى تشعر

---

(١) حالت ضرورة الايجاز دون زيادة بيان هنا فى شأن هذه الوحدة خصوصا بعد مقالة سابقة فى العدد ٤٦٦ من الرسالة

(١) الأبيات المختارة فى هذه المقالة وما يتبعها فى العدد الآتى منقولة بلا محافظة على ترتيبها فى الملحمة

تفرّد فهمُ بالخفاء وصيغ بفطرتهم واتسم
له بأس « مانا » وإيحاؤه إذا اضطربت روحه بالألم
ورقة « هاواى » فى شدوها إذا جاش خاطرها بالنغم
هم الناس لا يمشقون الخيال إذا لم يكن حافزاً للطماع
هم الناس لا يعبدون الجمال إذا لم يكن نهزة للمتاع
هم الناس لا يألفون الحياة إذا لم تكن معرضاً للخداع

هذا ، إلى أن المقدمة الشعرية والملحمة ذاتها تدلان دلالة واضحة على أن الشاعر قد طافت خواطره المجنحة فى أحوال البشرية منذ أقدم القدم إلى حاضرها ؛ وأن مخيّلته الخصبة ، وقلبه الفياض ، قد تأثرا من عقائد راسخة فى نفسه ... نفسه المستنيرة بأدب جمّ وبمأثور فى الإنسانية ؛ وأن هذه النفس الحية ، عرتها هِزّة الإلهام ، فتبعّث منها هذا الشعر الصادق المشرق الآسر :

إلى قمـــة الزمن الغابر [من المقدمة الشعرية]
سمت ربة الشعر بالشاعر
يشق الأثير صدى عابرا وروحاً مجنحة الخاطر
وأوفت على عالم لم يكن غريباً على أمسها الدابر
نمت فيه بين بنات السديم وشبّت مع الفلك الدائر
مشاهد شتى وعتها العقول وغابت صُواها عن الناظر
وجود حوى الروح قبل الوجود وماض تمثّل فى حاضر
تبدّى لها فانجلى شكلها وثابت إلى وعيها الذاكر
وأصغت فرنّت على سمعها رواية ميلادها الغابر

***

على مذبح الحب من قلبها سراج يسبّح مَن لألأه
وتمشى الحياة على نوره وما نوره غير عين امرأه
هوالحب؟.. لا.. بل نداء الحياة تلبيه أجسادنا الظامئه
يخفّ دمي لصداه الحبيب وتدفعنى القدرة الهازئه
قلوب تلذّ بتعذيبها غرائز عاتيـــة عارمه
صحت من خُمار ملذاتها تعنّف أهواءها الآثمـــه
هو ابن السماء . ولكنه من النقص تركيبه والتمام
صناع الطبيعة بل صنعها فنا دمامته والوسام
يسفّ إلى حيث لا ينتهى ويسمو إلى قمـــة لا ترام
ويسقى بكأس إلاهيـة مرنّقة بالهـــوى والآثام

***

غـــدا تدرج الروح فى طيفها [من الخاتمة]
وما الطيف للروح إلا قناع
سترقد فى غورها الذكريات وتوقظهن الشجون السراع
وتغشى لحاضرها فى الحياة بمصباح ماض خفى الشعاع
وكم نبأة كالحديث الجديد وما هو إلا القديم السماع
من الخـــير والشر إلهامها مقادير تجرى بهن اليراع

ما أحب هذا الشعر وأسرعه إلى القلب واللب ! وما أنفسه فى الأدب ! ثم إنه قريب إلى المقول على نظريتى الحياة فى الفلسفة العلمية : النظرية الروحية والنظرية الآلية !

فقد فطر الإنسان على غريزتين أصليتين ، تعمل إحداها على حفظ الفرد وتعمل الأخرى على حفظ النوع ، وهذه هي علة التجاذب القاهر بين الرجل والمرأة ، ولو بطل عملها لانقرض النوع

والجسد مكمن الغريزة ، أما الروح فهي مجمع الملكات السامية من المخيلة والشعور أو الوجدان والعقل والإرادة ؛ وهى مبتدعة القيم الأخلاقية العالية والشعر وجميع الفنون

والإنسان يسف بغرائزه الحيوانية ، ويسمو بملكاته الروحية ؛ وقد تدرج بها إلى إنسانيته الحاضرة فى مراقى أطوار غابت معالمها فى غياهب الدهارير . ولاحظ الآدمي فى حين من الدهر طواه الماضى السحيق أن هذه الملكات التى يتفوق بها على الحيوان تذهب مع الروح ، وأن من فارقته روحه بقى جثة هامدة من اللحم والدم لا تلبث أن تنحل ؛ ولذا قيل إن الروح هى الأصل السماوى ، وما الجسد إلا شبح تقمصته عند هبوطها من العالم العلوى

والملكات الروحية تؤثر فى الجسد وغرائزه ، كما أنها تتأثر منها . وهـذا التفاعل مختلف الأثر باختلاف عوامل شتى ، كالوراثة والعادة والمعيشة والبيئة ؛ مختلف الأثر فى كيان كل شخصية ، وفى شعورها باللذة والألم ؛ وهذان هما سبب الفضيلة والخير ، والرذيلة والشر جميعاً ؛ والفضائل والرذائل خلال فى البشر على نسب متفاوتة ؛ فمنهم من هم أدنى إلى الحيوان ، ومنهم من هم أدنى إلى الإنسان المثالى . وفى سورة (الشمس) : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح مَن زكاها ، وقد خاب من دساها »

تؤثر الملكات فى غريزة حفظ النوع التى هى علة التجاذب القاهر بين الرجل والمرأة ، فتلطف من حدتها وتهذبها بقيم أخلاقية هى قوام الحياة الاجتماعية ؛ ولـكن هـذه الملكات لا تـكف الغريزة عن العمل . ولذا فهى تخفى فعل الغريزة وراء أستار من المعانى والخيالات والأسماء الشريفة ، إذ تسمى الجاذبية فى الذكر والأنثى جمالاً ، وسلطان الغريزة حباً ؛ وتسمى

اللذة من وصف الجمال والحب ، أو من تصويرهما ، فنا . بيد أنها لن تستطيع منع السنة الفطرية أن تبلغ غايتها من حفظ النوع . فإذا كان تغلب الغريزة خطيئةَ آدم وحواء ، فهي خطيئة يذوق الإنسان مرغماً مُرَّ عواقبها وحلوه ، ولن ينال الغفران وإن كفَّر عنها ما استطاع بفضائله

وفي ذلك حقائق كشفها الإنسان بخبرته الطويلة وعلمه[1]

(١) مصداق ذلك هو ما يلي من ترجمة جمل مختارة من كتاب « العلم والضمير » لصاحبه العالم فليكس له دانتيك :

إن غريزة الحفظ هي آلة الحياة (mécanisme) . وإذا كثر تكرار فعل عقلي استحال إلى غريزة . وإن فعلا يكثر تكراره يدخل في حيز العقل الباطن

ومتى تميز جسم حي وتحدد ، فإنه لا يظل ثابتاً على الاحتفاظ بصفاته المميزة من دون نهاية مدة حياته ، ولولا ذلك لما وقع أي تطور ، ولكانت الوراثة مطلقة

فإن مجموع الفروق التي تميز الطفل من الهرم ، في الفرد نفسه ، عظيم جداً ؛ إذ هو جملة العادات كلها ، والذكريات كلها ، في هذا الفرد الذي جمعها في مدة حياته بأسرها . والتغيرات المحدودة في مدة حياة الفرد تتجمع في مجرى حياة الأنسال المتتابعة . والتمثيل (assimilation) والعادة والتقليد هي مميزات الحياة . والوراثة تستحيل بالتربية . والتربية تعمل في اتجاه مضاد لاتجاه الوراثة

والانسان ، باعتباره فرداً تجنب جميع أسباب الهلاك إذ هو باق ، قد = كسب خبرة فردية بالعالم المحدق به ، خبرة انتفع منها نسله ، وكونت منطقهم ؛ وهو ، باعتباره عضواً من جماعة ، قد ثبت في وراثته الطاعة لاصطلاحات اجتماعية تحد ميدان نشاطه الفردي ، وكان من امتداد هذه الطاعة أجيالا عديدة أن أصبحت ضرورة

إن الأصول الأخلاقية الموجهة لنشاطنا الاجتماعي هي الأثر الوراثي من الاصطلاحات التي كانت جميات الآباء والأجداد من القدم مؤسسة عليها . وهذه الأصول كائنة فينا للأسباب الوراثية عينها . غير أن درجة نموها تختلف لسوء الحظ في بني جنسنا ، ويبدو أن حكمها معادل حكم منطقنا

إن ألوفاً من الأنسال المتتابعة في الحياة الاجتماعية أتمت في الانسان كثرة فيها سرف ، من الوجدانيات الأخلاقية ؛ وقد أصبحنا لا نذكر أن أصل هذه الوجدانيات هو اجتماع البشر ، لأنها استقرت في ضميرنا بالتدريج

إذا تمكن منا وجداني شديد فاننا لا نسأل أنفسنا عن أصله . ونحن لا نعمل أبداً إلا طوعاً لرغبة من ضميرنا ، وعند ما تكون هذه الرغبة على صورة حاجة لا تتردد أبداً في قضائها : فنحن تأكل حين نجوع

وفي الانسانية نزعة عامة إلى السعادة . وليست هذه النزعة إلا ترجمة غريزة الحفظ بلغة عاطفية . وهي في الحقيقة ، تعريف الحياة بعينه ، وكفاح الوراثة المنتصر في مواجهة التربية .

Science et Conscience — par Félix Le Dantec. 1916

وقد نظر الشاعر الملهم في ماضي الإنسانية البعيد وحاضرها ، ورادت خواطره المجنحة سيرة البشر ، ثم عرض بفنه الجليل ما جنت من يانع الثمر ، في ملحمة من كنه الشعر وسحر البيان .

محمد توحيد السلحدار

(البقية في العدد القادم)

يوم من أيام دمشق الخالدة

وفاة الامام ابن تيمية

في ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ

للأســتاذ أحمد رمزى بك

قنصل مصر العام فى سورية ولبنان

[فى شهر أغسطس الماضى أم دمشق الأسـتاذ أحمد رمزى بك قنصل مصر العام فى سورية ولبنان ، فزار فيما زار قبر الامام ابن تيمية ، ووقف عليه مستحضراً سيرته ، مستذكراً نبوغه ، ثم كان من وحى هذه الوقفة الشاعرة هذا المقال القيم]

فى سحر ذلك اليوم نعى المؤذن بمنارة القلعة شيخ الإسلام ابن تيمية وتناقل نداء ذلك الحراس على أبراجها فأذاعته المآذن من الجوامع والمساجد الأخرى ، فأصبح الناس فى اليوم التالى وقد سرى هذا النبأ بينهم ، وغمرت المدينة موجة حزن وأسف عند ما سمعوا بنبأ هذا الخطب الجسيم الذى أصابهم بفقدان العالم الإمام المجاهد الفقيه الحافظ الزاهد العابد القدوة شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس احمد بن تيمية .

وكان الشيخ محبوساً بالقلعة التى أمر نائبها بفتح أبوابها ، وجلس فى حجرة الوفاة يتقبل المعزين وقد اجتمع بها خلق من أصحاب الشيخ ورجال الدين وغيرهم من أعيان البلد . أما جماهير الشعب فقد أحاطت بالقلعة ووفدت عليها من أحياء الصالحية ومن جهات النوطة والمرج بعد أن أقفلت المدينة أسواقها .

ويطنب المؤرخون فى وصف ذلك اليوم وكيف تلقى الناس أخباره ، وكيف ساروا فى جنازة الشيخ عشرات الآلاف ، وكيف اقتحموا باب القلعة ودخلوا زرافات على الشيخ يقبلون وجهه ، وكيف امتلأت أرجاء قلعة دمشق وضج الناس بالبكاء والنحيب عليه والثناء والدعاء والترحم له .

فقالوا إن يوم جنازة ابن تيمية كان يوماً مشهوداً لم تر مثله دمشق فى تاريخها ، إلا أن يكون ذلك فى أيام بنى أمية حينما كانت قلب العالم المتمدين .

ولما أريد الصلاة عليه بجامع أمية خفت الجماعات إليه حتى امتلأت الرحبات والصحن وجىء بالجند لحراسة النعش ؛ ولما صُلى عليه صاح صائح يقول : « هكذا تكون جنائز أهل السنة ! » وخرجت جنازته من باب الجامع إلى مقابر الصوفية مارة بباب الفراديس وباب النصر وباب الجابية والقوم حولها خاشعون .

من هذا الشيخ الذى ارتجت له الشام بأسرها ونعته مآذن مصر ، وأقيمت له كبرى جنائز أهل السنة بدمشق ، ورفعته الجماعات إلى مصاف الأبطال برغم كونه سجين السلطة الحاكمة ؟

ومن الذى ألقى الناس المناديل والعمائم على نعشه ؟ ومن كانت تخشاه الدولة فى الشام ومصر ، ثم مات وعلى رأسه عمامة بيضاء بعذبات مغروزة وقد علا بعض رأسه الشيب ؟

من هذا الذى فاضت روحه وقد تمتمت شفتاه بالآية الكريمة : « إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » فكانت نهاية ثمانين ختمة لكتاب الله بدأها عند دخوله المعتقل ، وبدأ الحادية والثمانين فأسلم الروح وهو يتلو هذه الآية الكريمة ؟

***

لا شك فى أنه من أولئك الذين بذلوا أنفسهم فى سبيل الله ، والدعوة إلى الله ، والعمل بما أمر به الله — هو صاحب دعوة قام بها مخلصاً وجهه لله وحده ، له مذهبه وآراؤه . ولسنا نعرض لها فإن ما كتب فيها كثير ، ولله الحمد ، وهو متداول ومعروف ، ولكنا نعرض لهذه الشخصية الإنسانية الفذة التى جمعت من الصفات والمزايا ما يضعها فى مصاف عظماء الرجال من كل عصر

كان ابن تيمية شخصية فيها من الإيمان والقوة والإخلاص والجرأة والصلابة فى الحق ما يجعله عالماً وحده . كان ابن تيمية صاحب رسالة من أولئك الذين بعثوا لينشروا بين الناس تعاليم وأفكاراً ومبادئ تهدم القديم الرث البالى ، وتصور لهم المتناقضات السائدة فى أوساطهم وتدعوهم إلى كلمة سواء ، ثم ترسم لهم قيماً جديدة أخذها الشيخ من كتاب الله وسنة رسوله وهديه والعودة إلى السلف الصالح الذى كانت ترتجف لعزائمه الدنيا . واتخذ له نبراساً لا يحيد عنه هو تصفية العقيدة وتوجيهها إلى التوحيد والخضوع للذات السرمدية الأحدية التى تسيطر على هذا الكون وتقوده إلى الخير الصرف

إن تعاليم ابن تيمية خالدة بين الناس ، وهى لا تزال تشغلهم وسوف تشغلهم فى المستقبل القريب والبعيد ، ولكن شخصيته وعمله وبطولته أمور لا تزال خافية على الكثيرين ، ولذلك سنحاول أن نعرض لبعض نواحيها . ويسرنى أن أكون

قد أدّيت بعض الدّين لصاحبها ولمدينة (دمشق) التى ضمت رفاته ، ولها فى قلبى ونفسى أروع وأسمى مكان

ودمشق إذا افتخرتْ بتاريخها الخالد وأيامها الغر وآثارها التى يحج من مصر وغيرها لرؤيتها ؛ وإذا افتخرتْ بدولها ورجالها وأبطالها ، فمن حقها أن تفخر بابنها البار الإمام ابن تيمية الذى عرّض حياته للموت من أجلها ، والذى جاهد أكمل جهاد ، وذاق مرارة السجن ، وتحمل كيد الكائدين ، فهو جدير بأن تقام باسمه مدرسة ، أو ينشأ باسمه ميدان ، أو أن يفرغ لذكراه يوم أو بعض يوم

١ — ابن تيمية المجاهد المرابط ضد التتار

عوج وسط مجيج الناس فى دهش
من نبأة قد سرى فى الحى ساريها
[من عمرية حافظ]

كانت سنة ٦٩٩ هجرية سنة مهولة على البلاد ، إذ قصد التتار تحت قيادة قازان الأراضى الشامية ، ولم يكن هناك بيبرس أو قلاوون ليحميها أو ليخلق من الهزيمة نصراً كما حدث قبل ذلك فى عين جالوت أو مرج حمص (١)

كان التتار يغزون وهم على دين آبائهم ؛ أما هذا العام فقد جاءوا واسم سلطانهم محمود ، وهم يظهرون الإسلام ومعهم المؤذن والقاضى والشيخ والإمام ، ليؤمهم فى أوقات الصلاة .

جاءوا إلى الشام ، وقد اختلّ أمر مصر والشام ، وانضمّ فريق من أمراء البلاد إليهم ، فسلمهم الجزء الشمالى من سورية بغير قتال وصلوا النبك ، واحتلوا القطيفة ، وانكفأ جيش مصر والشام إلى البقاع وبعلبك ، وفتحت دمشق أبوابها عدا قلعتها العتيدة التى أبت أن تستسلم

وكان ابن تيمية فى التاسعة والثلاثين من عمره فى حركة دائمة ، لا يستقر ولا يهدأ ، لم يقبل أن تترك دمشق بغير أمن ، فذهب مع أعيان البلد وقابلوا عاهل التتار ، واحتج عليه قائلاً :

« أنت تزعم أنك مسلم ، فلماذا أتيت إلينا غازياً وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت ؟ ! »

واشتد اللجاج بينه وبين قازان وقطلوشاه وبولاى . وأتوا للوفد بطعام ، فأكلوا منه إلا ابن تيمية . فقيل له : ألا تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، وطبختموه مما قطعتم من أشجار الناس ؟ !

قيل وطلب إليه عاهل التتار الدعاء فقال فى دعائه : « اللهم إن كان عبدك محمود هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هى العليا ، وليكون الدين كله لك ، فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد . وإن قام رياء وسمعة وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هى العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره » قال هذا وقازان يؤمّن على كلامه . ولما خرج الوفد من حضرة العاهل التترى التفت بعضهم إليه قائلاً : كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك . والله لا نصحبك من هنا .

والغريب فى أمره بعد هذا أن يتبرك به جند التتار ويلوذون به فيدخل دمشق وفى ركابه ثلاثمائة منهم !

كان وقتاً شديداً على الناس ، فتحت فيه السجون وخرج منها الأشرار ينهبون ، وامتلأت القرى بالجنود ، وكثرت المصادرات وراجت الأراجيف والإشاعات ؛ كل هذا والشيخ لا ينفك برأس الوفود ويفك الأسرى ويواسى المرضى

وفى يوم من الأيام رحل جند التتار عن البلاد وانسحبوا إلى عقبة (دمر) ومنها غادروا المدينة تاركين بها أحد الأمراء من الذين انضموا إليهم نائباً عنهم . كل هذا والقلعة صامدة وابن تيمية يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط

وأخيراً انكشفت الغمة بقدوم عسكر مصر وفتح لهم باب الفرج مضافاً إليه باب النصر . وجاء عسكر الشام وعلى رأسه نائب دمشق جمال الدين الأفرم وكان دخولهم فى تجمل زائد الوصف .

٢ — ابن تيمية يلازم عسكر الشام فى تنقلاته

نفخت روح الجهاد فى نفسه نشاطاً جمله يختلف عن غيره من شيوخ عصره ؛ فهو بمجرد عودة عسكر دمشق لا يتركهم بل يلازمهم فى تنقلاتهم وفى ركابه خلق من أهل حوران يدعو إلى الهدى ؛ فمر ببعلبك والبقاع وجبال الجرد والكسروان يخطب ويهدى ؛ فتاب كثيرون على يديه وحسن معتقدهم ، وكان كثيرون لا يحرمون ما حرم الله ورسوله .

وحينما عاد أمير دمشق وقد رأى من عمل الشيخ وفتوته ما رأى أمر لأول مرة أن يتعلم الفقهاء الرمى بالنشاب وأن يستعدوا بتعلم الفروسية وطرق القتال المختلفة ليواجهوا العدو إن حضر ، ولا ريب فى أن للشيخ يداً فى ذلك الرأى السديد .

(البقية فى العدد القادم)

احمد رمزى

(١) معارك فاصلة انتصر فيها جيش مصر الاسلامية العربية على التتار

مشاركة الأدب الانجليزى في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٣ — القرن التاسع عشر

(تابع)

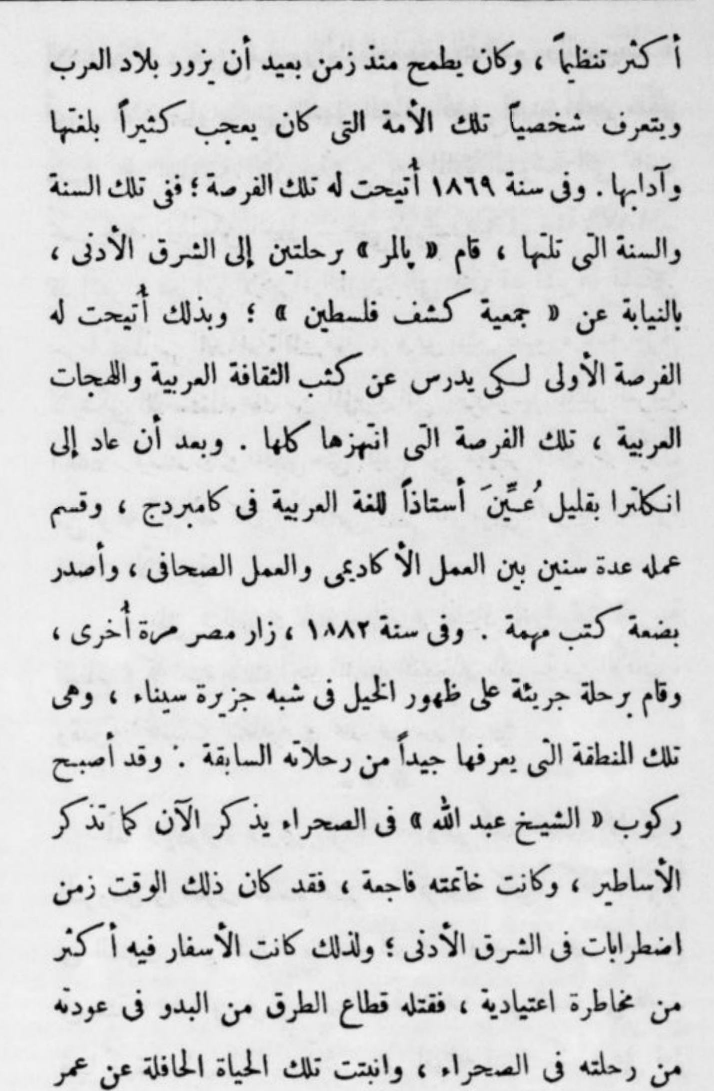
خصص « لين » نفسه فى السنين التى أعقبت عودته مباشرة لتحضير ترجمة انجليزية لكتاب « ألف ليلة وليلة » . وكانت الترجمات الأولى منه سبق أن ظهرت واكتسبت شهرة كبيرة ولكنها كانت غير دقيقة وغير علمية ، فأخذ « لين » على نفسه أن يقوم بترجمة تحتفظ فى غير الوقت بمعنى وجود النص الأصلى . وقد أرفق ترجمته تلك بملاحظات وشروح عن العادات الإسلامية فى العصور الوسطى وطبعت بعد ذلك منفصلة بعنوان : (الحياة العربية فى العصور الوسطى) .

وكان فى خلال ذلك الوقت يفكر فى تصنيف قاموس عربى انجليزى واسع ، فقد كانت القواميس الأوربية السابقة للعربية — كقاموس جوليوس وفريتاغ وغيرهما — ذات نفع من بعض الوجوه ؛ غير أنها وضعت على أساس غير دقيق ، وهى ناقصة من عدة وجوه . فكانت فكرة « لين » أن يقوم بعمل منظم فى القواميس العربية القديمة كتاج العروس وغيره ، وعلى أساس ذلك العمل يقوم بإعداد معجمه ، وفى يوليو سنة ١٤٢٠ سافر للمرة الثالثة إلى مصر حاملاً هذه الفكرة ، وشرع يعمل من سنة ١٨٤٢ إلى سنة ١٨٤٤ فى القاهرة من ١٢ ساعة إلى ١٤ ساعة يومياً بصورة اعتيادية ، ونادراً ما كان يغادر داره ، وفى الأخير ، عندما جمع المادة اللازمة من القواميس العربية — ويجب ألا ننسى أنها لم تكن قد طبعت بعد ، وأن الحصول عليها لم يكن ميسوراً — عاد إلى انجلترا وقضى السنين الخمس والعشرين الأخيرة من حياته فى إكمال هذا المعجم . ولقد كانت المهمة شاقة ؛ فإن دراسة اللغة العربية — وهى فى ذاتها مجهود كبير — لم تكن إلا بداية له ، فيبقى من ورائها الغربلة والتحضير والتصنيف ، أى — بالاختصار — يبقى العمل الشاق المضنى لصنع معجم منظم منسق على الطريقة الأوربية من بين المادة المشوشة التى كانت تحت يديه . ولم يكن العمل — حتى تاريخ وفاته فى سنة ١٨٧٦ — قد أنجز ، غير أن الأجزاء العديدة التى كان قد نشرها تشكل جزءاً ثميناً من الدراسة الشرقية ، وهو يعتبر بصورة عامة جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه من المؤونة التى يتزود بها طالبو العربية الجدد . ومنذ ذلك الحين حتى اليوم بقى معجم « لين » الأول من نوعه كما أنه كان الأساس لمعظم القواميس العربية المتأخرة باللغات الأوربية .

وقد ظل « لين » طيلة حياته « أستاذ الدراسات العربية العظيم » كما نعته بذلك أحد العلماء المشتغلين بالعربية من الألمان ، وقدرته الجمعيات الثقافية فى عدة عواصم أوربية .

* * *

أما « إدوارد هنرى بالمر » — وهو أحد العلماء الإنكليز المعروفين فى القرن التاسع عشر — فربما كان أكثر اشتهاراً فى الشرق باسم « الشيخ عبد الله » . وقد ولد فى كامبردج فى سنة ١٨٤٠ وتوفى فى مصر سنة ١٨٨٢ وهى السنة التى قامت فيها ثورة عرابى باشا . وأظهر منذ طفولته قدرة كبيرة على تعلم اللغات فأجاد الفرنسية والإيطالية بطلاقة . ولما بلغ العشرين من عمره تعرف إلى شخص يدعى « سيد عبد الله » وهو أحد المسلمين الهنود، وكان حينذاك محاضراً باللغة الهندستانية فى جامعة كامبردج، واكتسب منه الاهتمام بالدراسات الشرقية ؛ فقام بنشاطه المعهود بدراسة اللغات العربية والفارسية والأردية فى آن واحد ، ولم يمض عليه زمن طويل حتى شرع ينقل الشعر الإنجليزى إلى « لغته العربية المفضلة » وينظم بالفعل شعراً عربياً أصيلاً . وبعد ذلك مباشرة قرر أن خير طريق لتعلم اللغة العربية هو أن يتعلمها من العرب أنفسهم ، فنراه يتصل بصلة قريبة بأعضاء عديدين من الجالية العربية فى انجلترا — وكان أحدهم وهو سورى من حلب يدعى « رزق الله حسون الحلبى » الذى أصبح صديقه المقرب ، والذى كان له تأثير فى مؤلفات بالمر وخلقه ، فدرسه دروساً كثيرة ، وكان بالمر يحترمه كثيراً — وبعد ذلك بقليل دخل « بالمر » جامعة كامبردج وواصل دراساته الشرقية بصورة



أكثر تنظيماً ، وكان يطمح منذ زمن بعيد أن يزور بلاد العرب ويتعرف شخصياً تلك الأمة التى كان يعجب كثيراً بلغتها وآدابها . وفى سنة ١٨٦٩ أُتيحت له تلك الفرصة ؛ فى تلك السنة والسنة التى تلتها ، قام « بالمر » برحلتين إلى الشرق الأدنى ، بالنيابة عن « جمعية كشف فلسطين » ؛ وبذلك أُتيحت له الفرصة الأولى لكى يدرس عن كثب الثقافة العربية واللهجات العربية ، تلك الفرصة التى انتهزها كلها . وبعد أن عاد إلى انكلترا بقليل عُيِّنَ أستاذاً للغة العربية فى كامبردج ، وقسم عمله عدة سنين بين العمل الأكاديمى والعمل الصحافى ، وأصدر بضعة كتب مهمة . وفى سنة ١٨٨٢ ، زار مصر مرة أُخرى ، وقام برحلة جريئة على ظهور الخيل فى شبه جزيرة سيناء ، وهى تلك المنطقة التى يعرفها جيداً من رحلاته السابقة . وقد أصبح ركوب « الشيخ عبد الله » فى الصحراء يذكر الآن كما تذكر الأساطير ، وكانت خاتمته فاجعة ، فقد كان ذلك الوقت زمن اضطرابات فى الشرق الأدنى ؛ ولذلك كانت الأسفار فيه أكثر من مخاطرة اعتيادية ، فقتله قطاع الطرق من البدو فى عودته من رحلته فى الصحراء ، وانبتت تلك الحياة الحافلة عن عمر مبكر يناهز ٤٢ عاماً

ربما كان « بالمر » فريداً بين المستشرقين الأوربيين باعتبار أنه لم يقتصر على اكتساب المعلومات الأكاديمية للغة العربية فحسب ، بل تعمق فى روح الأمة العربية ولغتها . وكان من القليلين من المستشرقين الأوربيين الذين كانوا يستطيعون الكتابة باللغات الأجنبية بطلاقة ودقة ، وبعض كتاباته باللغة الأردية تقرأ فى الهند كثيراً . ويعتبر وصفه بالأردية لزيارة الشاه الإيرانى لانكلترا من الخوالد . وكان يكتب وينظم بالعربية والفارسية كلتيهما . ومن الطريف ذكره فى هذا المجال ، أنه عندما كان يكتب إلى زملائه المستشرقين خطاباته الخاصة ، يجد أنه لا يستطيع الأداء عما فى نفسه بصورة محكمة باللغة الإنكليزية ، فيندفع كاتباً بالعربية . وقد ذكر عنه أحد أصدقائه وزملائه ج . ف نيكول أستاذ اللغة العربية فى اكسفورد ما يلى :



إدورد هنرى بالمر : (الشيخ عبد الله)

« لقد كان « بالمر » غير مستقر فى رسائله التى كان يكتبها بالإنكليزية ، فكان ينفجر تحت تأثير إحساسات طارئة ، أو بقصد النقد ذاكراً بعض النثر أو النظم الفارسى أو العربى » .

ويمكن اعتبار القطعة التالية نموذجاً لشعر بالمر العربى :

ليت شعرى،هل كفى ماقدجرى مذ جرى ما قد كفى من مقلتى؟
قد برى أعظمُ حزن أعظمي وفنى جسمىَ حاشا أصغرى

وبالرغم من قصر عمر بالمر ، فانه خلف قائمة كبيرة من الكتب المطبوعة ، نجتزئ بذكر المهم منها فيما يلى :

لقد قام قبيل وفاته بطبع النص الكامل لديوان البهاء زهير المصرى مصحوباً بترجمة منظومة وشروح ومقدمة . وفى السنة التى تلتها نشر أجرومية للغة العربية بالإنكليزية ، وهى على خلاف الأجروميات السابقة قد وضعت على الطريقة التقليدية التى كان النحويون العرب يتبعونها ، وحاول أن يقدم النحو العربى إلى الطلاب الإنكليز بالشكل الذى كان العرب أنفسهم يدرسونه . وقد ظهر هـذا الكتاب فى طبعته الثانية موسعاً فى السنة التى تلت وفاته . وأهم من ذلك نوعاً ما كتابه عن حياة هرون الرشيد الذى قدم فيه « بالمر » صورة زاهية من العاصمة العباسية فى عصر أشهر الخلفاء ، كما أنه نشر عدة ترجمات شعرية من العربية

والفارسية ، وقاموساً فارسيًّا ، وفهرساً انتقاديًّا للمخطوطات الشرقية فى كامبردج ، ووصفاً لرحلاته فى شبه جزيرة الطور . وقد حزن لوفاته أصدقاؤه الكثيرون . والمعجبون به فى جميع أنحاء العالم ، وظهرت مراثٍ له فيما لا يقل عن الخمس عشرة لغة منها اللغة العربية

وهنالك عالم آخر من الدرجة الأولى فى الأهمية وهو « وليم رايث » ، (١٨٤٠ — ١٨٨٩) وهو ابن ضابط انكليزى فى الهند ، وقد ولد فى ذلك القطر ، وكانت أمه ضليعة فى عدة لغات شرقية ، فشجعته على أن يعتنق الدراسات الشرقية من باكر عمره ، فدرس العربية فى الجامعات الإنكليزية وفى القارة ، واشتغل مدة فى ليدن على المستشرق الهولندى العظيم « راينهارت دوزى » ، وكان أستاذ العربية فى لندن ودبلن وكامبردج على التعاقب . وقد كتب إلى صديق له — وكان فى الثانية والعشرين من عمره — أنه اختط لنفسه خطة يهب فيها حياته لدراسة اللغة العربية . وكانت تلك الخطة طموحة ، ولكن ما أعجب ما وصل « رايث » من المدى فى تحقيقها فى السنين التى تعاقبت بعد ذلك !

كان من أهم أعماله للأدب العربى عملان : أحدهما طبعته لرحلة ابن جبير ، والآخر طبعه لكتاب المبرد المشهور (الكامل) واشترك مع دوزى فى طبع تاريخ الأندلس للمقرى . ونشر كذلك عدة نصوص عربية أخرى . ولا يزال كتابه عن النحو العربى (فى مجلدين) من خيرة الكتب فى هذا الموضوع ، ويستعمله جميع الطلاب المتقدمين فى البلاد التى تنطق الإنكليزية

وقد خلف « رايث » على كرسى اللغة العربية فى كامبردج « روبر تسون سمث » (١٨٤٦ - ١٨٩٤) ، وهو اسكوتلندى من « أبردين » ، درس العربية فى جامعة تلك المدينة وفى القارة ، وسرعان ما اكتسب الشهرة ، فقدم له جماعة من المعجبين به فى سنة ١٨٨١ مجموعة من الكتب والمخطوطات العربية هدية تقدير ، وقام لعدة رحلات إلى الشرق الأدنى بين سنتى ١٨٧٩ و ١٨٨١ ، وساح كثيراً فى فلسطين ومصر وسورية ، حتى الجزيرة العربية ، حيث تغلغل إلى جدة والطائف . وتشمل كتبه المطبوعة دراسات عن : « القربى والزواج عند العرب القدماء » ، ونواحى أخرى من تاريخ العرب قبل الإسلام . وكان محرر « الموسوعة البريطانية » ؛ ولذلك فإنه يعتبر الشخص الوحيد الذى قرأ هذه الموسوعة كلها قراءة إمعان

ولقد كان ذا اطلاع عجيب ، وكثيراً ما كان يستثير استغراب أصدقائه بعمق معلوماته وتشعبها فى جميع أنواع الموضوعات . ولقد قيل عنه إنه أملى محاضرة كاملة عن تاريخ انكلترا فى العصور الوسطى ، وهو فى شبه غيبوبة ، وعلى فراش الموت !!

ونذكر فى الأخير « سر وليم موير » (١٨١٩ — ١٩٠٧) وهو أحد المشتغلين بالعربية من الاسكوتلنديين ، وكان ذا سيرة حافلة كإدارى فى الهند وكعالم فى جامعة أدنبرة . وقد نشر عدة كتب بالإنكليزية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن التاريخ الإسلامي . ولا يزال عدد من هذه الكتب يستعمل أصولاً فى الجامعات الإنكليزية والهندية ، وأحقها بالذكر السيرة الكاملة لحياة النبى محمد صلى الله عليه وسلم : ذلك الكتاب الذى خلا من الغرض خلوًّا تاماً . ولا يزال كتابه عن تاريخ الخلافة الذى وضعه على أساس المصادر العربية — وكان الكثير منها فى ذلك الحين مخطوطاً — خير الكتب فى هذا الموضوع بالإنكليزية .

(بغداد) عبد الوهاب الأمين



من ملامح كتاب « رسوم دار الخلافة »

دِنِّيَّة القاضي
في العصر العباسي
للأستاذ ميخائيل عواد

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

كان ببغداد قاضٍ يُعرف بالجذوعي ، واسمه محمد بن محمد ابن اسماعيل بن شداد أبو عبد الله الأنصاري (المتوفى سنة ٢٩١هـ) حكى بن الجوزي قصة وقعت للجذوعي هذا مع غلام من متقدمي غلمان الموفق ، وكان أميرا يومذاك ، ومدار القصة دنّية الجذوعي القاضي . قال أبو الفرج : « ... فقال المعتمد من هذا ؟ فقيل له الجذوعي البصري ، قال وما إليه ؟ قالوا ليس إليه شيء ؛ فقيل مثل هذا لا ينبغي أن يكون مصروفاً فقلدوه واسطاً ؛ فقلده اسماعيل وانحدر ، فاحتاج الموفق يوماً إلى مشاورة الحاكم فيما يشاور في مثله ، فقال استدعوا القاضي ، فحضر وكان قصيراً وله دنية طويلة ، فدخل في بعض الممرات ومعه غلام له ، فلقيه غلام كان للموفق ، وكان شديد التقدم عنده ، وكان مخموراً ؛ فصادفه في مكان خال من الممر ، فوضع يده على دنيته حتى غاص رأسه بها فتركه ومضى ، فجلس الجذوعي في مكانه ، وأقبل غلامه حتى فتقها وأخرج رأسه منها وثنى رداءه على رأسه وعاد إلى داره . وأحضر الشهود ، فأمرهم بتسليم الديوان ، ورُسُل الموفق يترددون ، وقد سترت الحال عنه حتي ذكر بعض الشهود لبعض الرسل الخبر ، فعاد إلى الموفق فأخبره بذلك ؛ فأحضر صاحب الشرطة وأمر بتجريد الغلام وحمله إلى باب دار القاضي وضربه هناك ألف سوْط . وكان والد هـذا الغلام من جلة القواد ، ومحله محلّ مَنْ لَوْ هَمَّ بالعصيان لأطاعه أكثر الجيش ، فلم يقل شيئاً . وترجل القواد وصاروا إليه وقالوا مرنا بأمرك ، فقال إن الأمير الموفق أشفق عليه مني ، فمشى القواد بأسرهم مع الغلام إلى باب دار الجذوعي فدخلوا إليه وضرعوا اله ، فأدخل صاحب الشرطة والغلام وقال له لا تضربه ، فقال : لا أقدم على خلاف الموفق . قال : فاني أركب إليه وأزيل ذلك عنه ، فركب فتشفع له وصفح عنه »[١]

ومن ظريف الترادف قول بديع الزمان الهمذاني حينما كتب إلى القاضي أبي القاسم علي بن أحمد ، يشكو أبا بكر الحيري « ... ثم يلبس دنّيته ، ليخلع دينيته ، ويُسوِّي طيلسانه ، ليحرِّف يده ولسانه ... »[٢]

وفي بعض أخبار الظراف والمتماجنين أن سعد بن ابرهيم الكاتب قال يوما لعبّادة المخنث : « يكون مخنث غير بغّاء ؟ قال : نعم . ولكن لا يكون مليح : يكون مثل قاضي بلا دنية »[٣]

ولقد تقاذفها الشعراء في هجوهم . فمن قائل في حثّ متحكم على إعطاء رشوة إلى قاضٍ :

يا خليلي يا أبا الغيث درك	نصب القاضي لكَ اليوم شرك
طلب البرطيل فابذلهُ لهُ	يسكت القاضي وإلاّ ذكرك
لا يهـولنك دَنيَّته	أعطه من رشوة ماحضرك[٤]

وعلى ذكر إعطاء الرشوة للقاضي ، وكان أمرها مشهوراً يومذاك ، قال عمارة اليمني (المتوفى سنة ٥٦٩هـ) في ترسُّلاتهِ : « ... وقاضي مصرك ، قدمتا على الوالي ، فأدلى القاضي بالدنية ، وأدليت أنت بالهدية ... »[٥]

وكان أبو الحسين محمد بن محمد بن لنكك البصري مولعاً بهجو كلاب بن حمزة العقيلي أبي الهيذام اللغوي . فمن أهاجيه التي تعرض فيها للدنية قوله :

نفسي تقيك أبا الهيذام كل أذى	إني بكل الذي ترضاه لي راضي
ما كان أبدى فقيهاً إذظفرت به	فكيف ألبسته دنية القاضي[٦]

وهذا شاعر آخر من المائة الرابعة يسخر منها ؛ فيذكرها مقرونة بغراب نوح ؛ فيقول :

---

(١) المنتظم (٦ : ٤٩ طبع حيدر آباد)

(٢) رسائل بديع الزمان الهمذاني (ص ١٦٨ ؛ المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، طبعة ثانية سنة ١٩٢١)

(٣) الديارات للشابشتي (ورقة ٨١ ب ؛ مخطوط برلين) ؛ وهذا الكتاب حققه أخي كوركيس عواد وأعده للنشر .

(٤) محاضرات الراغب الأصفهاني (١ : ١٢٥ ؛ طبعة سنة ١٢٨٧هـ)

(٥) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية (٢ ، ٤٤٠ ، طبعة درنبرج)

(٦) معجم الأدباء (٦ : ٢٠٨ — ٢٠٩ ؛ مرجليوث) ، وشرح مقامات الحريري للشريشي (المقامة التاسعة ١ : ١٠٨ ؛ طبعة سنة ١٣١٤هـ) ، وتاج العروس (٩ : ٢٠٣) .

كأنّ دنيّة عليها غراب نوح بلا جناح[١]

وقال آخر :

ترى قلانسهم كالرمح طعنتها تخفى جراحتها فى جنب مغرور[٢]

وقال الصابئ :

وفوقه دنّيّة تذهب طوراً وتجي[٣]

وكانت بعض النساء يفزعْن من رؤية القاضى بدنيته ولحيته الطويلتين . فقد ذكر متز نقلاً عن الذهبي أنه : « كان ببغداد فى سنة ٣٦٨ للهجرة ، قاضٍ يعرف بأحمد بن سيّار ، وكانت له هيئة وجثة مهولة (كذا ؛ والصواب : هائلة) ، ولحية طويلة ، فقدم إليه امرأتان ادّعتْ إحداهما على الأخرى . فقال : ما تقولين فى دعواها ؟ قالت : أفزع ؛ أيّد الله القاضى . قال : ماذا ؟ قالت : لحية طولها ذراع ، ووجه طوله ذراع ، ودَنيّة طولها ذراع ؛ فأخذتنى هيبتها . فوضع القاضى دَنيّته ، وغطى بكمه لحيته ؛ وقال : قد نقصتك (كذا ؛ والصواب : نقصتُ منك) ذراعين . أجيبينى عن دعوتها »[٤]

وقد بالغ الناس فى درجة استهزائهم بالدنية واحتقارهم لها . فمن ذلك ما حُكِى عن أبى الطاهر الذهلى الذى ولى قضاء مصر فى شهر ربيع الأول من سنة ٣٤٨ للهجرة أنه « كان فى خلافة المطيع يلبس السّواد ، ويضع على رأسه دَنيّة طويلة تزيد على الدماغ (كذا ؛ والصواب : الذراع) ، فتحاكم إليه زوجان ؛ فبدر من المرأة فى حق زوجها كلام ، فقال لها : اسكتى هذا القاضى هو أبو الطاهر ؛ متى زدت من هذا المعنى نَزَعَ الخُفّ الذى على رأسه وقطعه على دماغك . فقال أبو الطاهر : قم يا كذا إلى لعنة الله ! من أين لك أن هذا خفّ ؟ ... »[١]

هذه باقة أخبار فى لطائف دنية القاضى تناثرت هنا وهناك ، وكانت فى جميعها مدعاة للضحك والسخرية ، فكم جلبت تلك الدنيات من الأذى والألم لكثير من القضاة ! وكم جرت عليهم من الويلات ! وكم من دنية غاصت برأس صاحبها ، وكم منها تعاورتها أيدى الصبيان والرعاع وتقاذفتها أرجلهم ، وكم من قاض ترك عمله بسببها

فلا غرو أن هذا الملبوس الدخيل على العرب لم يرق لهم ، ولم تستأنس عيونهم برؤيته فوق هام القضاة ، فما انفكوا يعرضون به ويستهجنون شكله حتى خف استعماله شيئاً فشيئاً على مر العصور ، ثم زال من الوجود منذ عهد بعيد

(بغداد) ميخائيل عواد

(١) و (٢) محاضرات الراغب (١ : ١٢٩)

(٣) شرح مقامات الحريرى للشريشى (١ : ١٠٨)

(٤) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى (١ : ٣١٣ ؛ الترجمة العربية) نقلا عن تاريخ الاسلام للذهبي وَ فى مجلة الجمعية الآسيوية الملوكية (JRAS, 1911, P. 669, Note 1.)

(١) ملحق الكندى (ص ٥٨٥ — ٥٨٦)

ومن أراد التوسع فى أخبار الدنية فليراجع : فتوح البلدان للبلاذرى (٤٣٤ طبع ليدن) ، ومحاضرات الراغب الأصفهاني (١ : ١٢٢) ، والمنتظم لابن الجوزى (٨ : ٢٧٥ ؛ حوادث سنة ٤٦٤ هـ) ، وخطط المقريزى (٢ : ٩٤ ؛ مطبعة النيل) ، ومعجم الثياب عند العرب لدوزى (ص ١٨٥) :

Dozy : Dictionnaire detaillé des Noms des Vetements chez les Arabes.

٢ – إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس مارى الكرملى

٣ – حل المعضلات

إننا لم نفكر يوماً ، بل دقيقة ، بل لحظة عين ، أنّ نعت جمع التكسير يكون مفرداً مؤنثاً ، أو جمعاً على السواء ، والمطبوعات التى عنينا بنشرها – من تآليف ومقالات – مما طبع ولا نزال نتولى طبعه فى المجلات والجرائد والكتب ، نشهد شهادة تفقأ فى العين حصرماً ، وتذرّ فيها رماداً ، فى الوقت عينه بأننا عملنا – ولا نزال نعمل – بهذه الضابطة المطردة ؛ ومن نسب إلينا الخلاف ، فهو أعمى أو يتعامى ، ولا يهمنا أمره ، إنما إنكارنا كان لما كان على أفعل فعلاء وجمعهما على فعل لا غير ؛ إذ لا يوصف الجمع المكسر والصحيح بغير هذه الصيغة الأخيرة ؛ فإنك لا تقول ألبتة : رجال سوداء ، ولا نساء سمراء ؛ ولا نهارات زهراء ، ولا ليلات بيضاء ؛ حتى أن العوام لا تنطق بها . وكذلك لا تقول : كريات بيضاء ، ولو علقتْ برجليك تلك الكرىّ دهوراً وعصوراً ، توبة وندامة على ما سلف من أغلاطك ، وعلى ما فرطت فى حياتك

فالذى أنكرناه إذن – ولا نزال ننكره – هو قولك : كريات بيضاء ... فهذا كفر نحوىّ عربىّ لم تنطق به العوام ، ولا الأعاجم ولا الأروام ! !

وقال أحد المعترضين[١] المعاندين الذى لا يريد أن يهتدى إلى سواء السبيل : وبحسب قاعدة الكرملى ، لا يجوز نعت المنازل بالأخرى ولا بالأولى ، كما جاء فى قول المتنبى :

هذى منازلك الأخرى نهنئها فمن يمر على الأولى يسليها !

لكن ، هل يستطيع هذا المخالف أن يقول لنا : أين رأى كلامنا هذا ؟ أليس هذا كذباً منه وبهتاناً وافتئاتاً ؟ ! فهل فى « أولى » و « أخرى » لون ، أو عيب ، أو حلية ؟ وهل تجمعان على « أول » و « أخر » بضم أوليهما ؟ أفليس هذا مخالفاً للشرط الرابع ؟ فما هذا التعامى والعمى أجارنا الله منه ؟

(١) راجع مجلة المجمع العلمى العربى فى ١٧ : ٢٢٣ – ٤٢٨

وأما قول الخصم : إن « المتنبى » قال :

« وبساتينك الجياد وما تحـ مل من سمهرية سمراء »

فالسمهرية هنا مفردة والسمراء كذلك . والمفردة هنا منكرة تدل على جمع ، فهى من قبيل وضع الواحد موضع الجمع ، وهذا معتاد فى أسماء الأجناس . قال هذا على فى المخصص ١ : ٦٨ .

وقال هذا المعترض المسكين المغرور : السماع يؤيد القياس فى هذا الشأن ، فمن السماع قول طرفة :

ويوم رأينا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهى حمراء حرجف

قلنا : (حمراء) هنا مجاورة (لهي) ، وهى مفردة مؤنثة فحمراء صحيحة لما أشرنا إليه فى الشرط الخامس

وقال المعترض أيضاً ، محاولاً بكل قواه أن يضع رأيه الجامح موضع رأى ناجح ، وذلك من العبث ، فقال : « ومن ذلك قول الفِند الزمانى معاصر المهلهل »[١]

« بقيت بعده الجليلة تبكى والخدود العيطاء تدعو لحاحا »

ثم قال : « هكذا جاء فى روضة الأدب (ص ١٨٥) ، وشعراء النصرانية (ص ٢٤٣) » انتهى .

قلنا : وحسناً فعل حين قال : « هكذا جاء فى روضة الأدب وشعراء النصرانية ، لأن سليقته تقول له : ليس هذا العجز من العربية فى شىء ، إنما هو باللغة الشويرية[٢] ، ولم تكن هذه اللغة يوماً لغة فصيحة ، بل خليطاً من العربية ، والرومية ، واليونانية ، والزعفرانية ، والجلجلوتية !

زد على ذلك أن صاحب روضة الأدب اسكندر آغا أبكاريوس وهو أرمنى فاسد الذوق العربى ، فهو غثاء سيل ؛ وصاحب شعراء النصرانية شيخو ، وكان رحمه الله ـ حاطب ليل ، على ما اشتهر عنه فى سورية والعراق وديار النيل ، فوقعنا بين غثاء سيل وحاطب ليل ، لكن لا عتب على الأب شيخو ، لأنه نقل أبياته الزمانية عن الأرمنى المذكور ، وهذا الرجل يكتب الأرمنية بحروف

(١) نحن لا نعلم ما نصلح من مقال المخالف : أرأيه النحوى ، أم عبارته ، أم الأعلام التى يتعرض لذكرها . إننا لم نجد أحداً من الفصحاء ذكر هذا الشاعر باسم (المهلهل) إنما ذكروه بلا لام التعريف ، إن الأب لويس شيخو ذكره باللام فى شعراء النصرانية ، لكن متى كان هذا الأب – رحمه الله – حجة فى العربية ؟

(٢) الأستاذ الكبير الشيخ أمين ظاهر خير الله من الشوير ، (كزبير) مركز مديرية من محافظة المتن فى لبنان .

عربية ، ويتوهم أنه يكتب المضرية ، وإلا فما معنى قول الفِند : « الخدود الميطاء » ، وهل كانت أو تكون أو ستكون ، أو سوف تكون ، يوماً ، الخدود عِيطاً (بكسر العين وإسكان الياء) . فالعيطاء مؤنث الأعيط ، والأعيط على ما فى معاجم اللغة : « الطويل الرأس والعنق ، والأبى المتنع » فما معنى العيطاء وكيف تتفق مع الخدود ؟ اللهم إلا أن يكون معناها غير هذا فى إحدى اللغات الثلاث : المالطية والوقواقية ، أو الشنقناقية ؛ لكنى أقر معترفاً إنى أجهلهن كلهن . ولعل حضرة المجادل يفهمهن ، فيفسر لنا الكلمة فى موقعها هنا !

ثم لو فرضنا أن لها معنى غير مدون فى كتب متون اللغة فليس ذلك دليلاً على أنها وردت فى كلام الشاعر الأصلى ، إذ البيت ظاهر الوضع وليس من كلام الأقدمين .

ثم لو فرضنا ثانياً أن لها معنى حسناً يناسب المقام هنا ، فإن الفند الزمانى كان من ربيعة بن نزار ، والعربية الفصحى لم تنقل إلا عن قريش ، وأسد ، وتميم ، وقيس ، وكلهم من مضر ، فكيف يستشهد بكلام من هو من ربيعة ؟

ثم لو فرضنا ثالثاً — وهو أمر قريب من المحال — أن المجادل وجد لنا عشرة أبيات شعر ممن يستشهد بكلامهم وفيها ما يثبت دعواه ، فليس ذلك بشىء ، لأن شواهده ليست من القرآن ، ولا من الأحاديث النبوية ، ولا من كلام الفصحاء ، والبلغاء ، الأثبات ، إذ لا يكون الكلام ممن يوثق به إلا إذا جاء منقولاً عمن أخذت عنهم العربية المضرية الفصحى .

ثم لو فرضنا رابعاً أنه أتانا بعشرة شواهد ممن يوثق بعربيتهم من قريش ، وأسد ، وتميم ، وقيس ، فعشرة شواهد غير كافية لوضع قاعدة .

ثم لو فرضنا خامساً أن العشرة الشواهد التى جاءنا بها من فحول شعراء مضر ومن عشرة منهم ، فإننا لا نقبل الشعر فى اتخاذ القياس ، لأن النظم يتحمل ضرائر لا يقبلها النثر ، فنحن لا نرضى إلا بنثر رصين يذكر مثل تلك الكلمة أى الكريات البيضاء ، وإلا فنصيب تلك الشواهد سلة المهملات ، أو سلة المحترقات

فليتدبر حضرة مخالفي هذه الأقوال كلمة كلمة ، ثم يتعرض للرد علىّ رداً معقولاً يفهمه الناطقون بالضاد لا أبناء الشوير فقط

وقال أيضاً المعترض : « ورد فى كتب النحاة كشروح ألفية ابن مالك ، وفى المعاجم كالقاموس والتاج : جاؤوا الجماء الغفير ، أى يقال : جاء العلماء الجماء الغفير »

لله درك يا سيدى من عالم بارع ولغوى عظيم ! إننا لم نجد فى التآليف التى تشير إليها ما تقول . ففى أى طبعة من طبعاتها ؟ وفى أى بلد من البلدان طبعت تلك المصنفات ؟ وفى أى سنة من السنين نشرت ؟ إنك لم تقل لنا كل ذلك . أما فى الكتب التى بأيدينا فإنها لا تقول ما تدعى . وكيف يكون كلامك صحيحاً وفيه من الخطأ ما ارتعد له الملأ الأعلى ، وأهل الأرضين السفلى !

كيف يكون معنى جاءوا الجماء[1] الغفير : جاء العلماء الجماء الغفير ؟ فنى أى لغة تتكلم ، وهل تفهم ما تقول يا سيدى اللغوى القدير ! أما نحن فنخالفك ؛ فقد يقال : جاءوا الجماء الغفير من غير أن يكونوا علماء ؛ إذ قد يكونون عوامّ وسوقة ، فأين وجدت ما تقول ؟ إننا نرى فى تاج العروس فى باب (جمم) ما هذا نقله : (وجاءوا جماً غفيراً ، والجماء الغفير) أى (بأجمعهم) قال سيبويه : « الجماء الغفير من الأسماء التى وضعت موضع الحال ، ودخلتها اللام والألف ، كما دخلت فى العراك من قولهم : أرسلها العراك » اهـ . المقصود من إيراده وهنا كلام القاموس وكلام التاج أيضاً ؛ فالذى بين هلالين هو للقاموس وما بقى هو للتاج على ما هو مقرر فى هذا الديوان اللغوى

فيا سيدى وأستاذى العزيز ، على من تريد أن تعبر عباراتك وآراؤك ؟ وقراء هذه المجلة كلهم يفهمون ما تكتب وما تحاول أن تعبره عليهم من الأحلام والمنامات ، وما شابه هذه الترهات والخزعبلات وأضغاث الأحلام

وقال حضرة سيدى وأستاذى الجليل : « وفى شرح الزوزنى القاضى قول الحارث اليشكرى : « وله فارسية خضراء » يقول : « وله دروع فارسية خضراء » فهذا كلام لا غبار عليه ، لأن خضراء هنا مجاورة لفارسية ، وفارسية كلمة مفردة مؤنثة وإن كان معناها يدل على جمع لأنها عائدة إلى (دروع) . فراجع الشرط الخامس لتفهم سبب هذا القول ، وإن كان يجوز لك أن تقول أيضاً : « وله دروع فارسية خُضْر » وهذه أفصح من تلك

(١) ومثل الجماء : السراء ، والضراء ، والبأساء ، والفحشاء ، والسوداء ، إلى نظائرها

ثم من هو الزوزني ، وأبو الزوزني ، وجد الزوزني بجانب نصّ القرآن ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، وفصيح كلام البلغاء من العرب ؟ . أنسيت ، يا سيدى وأستاذى ، أن الزوزنى قال هكذا فى شرح بيت اليشكرى : « يقول : ثم قابلنا بعد ذلك حجر بن أم قطام ، وكانت له « كتيبة » فارسية خضراء لِمَا ركب دروعها وبيضها من الصدإ . وقيل : بل أراد : وله دروع فارسية خضراء لصدئها » ا هـ

فلو قال : أراد : وله « دروع خضراء » لما جاز لكنه قال : « وله دروع فارسية خضراء » فجاورت خضراء فارسية فجاز له هذا التعبير . ولا تنس أنه قال فى أول شرحه : « وكانت له « كتيبة » فارسية خضراء — فافهم يا سيدى ، وتأمّل وتدبّر وترو إلى أن تروى من ماء الحقيقة و نميرها . والله المعين

(البقية فى العدد القادم) الاب أنستاس مارى الكرملى

أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢



١ — الحرية اللغوية !

أخذ الأب أنستاس مارى الكرملى على الأستاذ محمد مندور خطأً لغوياً وقع فيه حين قال : « وأما قصة الكراكى ، فقصة لا أثر لها فيما (عثرت به) من كتب اليونان » ؛ وذلك لأن وجه الصواب أن يقال : عثرت (عليه) لا عثرت (به) ، والعثور بالشئ غير العثور عليه . وقد أراد الأب الكرملى أن يُبيِّن للأستاذ مندور — فى تضاعيف كلامه — معنى قوله : (عثرت به) ؛ فقال : « ... ولعله أراد أن يقول : فيما عثرت (عليه) من كتب اليونان ، (أقاله الله من كل عثرة) ، وأن الجواد قد يعثر » . ولكن الأستاذ لم يلتفت إلى هذه الإشارة المقصودة ؛ لذلك رأيناه فى تعقيبه على كلمة الأب أنستاس يعود فيقول : « ... إننى لم أعثر بها ، ولا أقول : لم أعثر عليها — كما يقترح اللغوى الكبير الأب الكرملى — لأن المعنى الذى أُريد أن أُعبر عنه ، هو أننى لم أعثر بها ، أى لم أقع عليها ؛ وللأب الفاضل أن يظهر علمه — إذا أراد — فى غير هذه التوافه ، وأن يتفضل بأن يترك للكاتب الحق فى أن يتصرَّف فى اللغة ، وفقاً للمعنى الذى فى قلبه » !

ولو أن الأستاذ مندور توخى الحق فى تعقيبه ، لما انساق إلى هذا الردّ ؛ إذ أنَّ غرض الأب الكرملى — فيما أعلم — أن يرشد الكاتب إلى التعبير الصحيح المتفق مع اللغة التى يكتب بها ؛ وأىّ إنسان يجهل الفرق بين عثرت (به) وعثرت (عليه) [1] ؟

ثم أريد أن ألفت نظر الأستاذ إلى أن ما يسميه « توافه » ، ليس كما يتوهم : وسبب ذلك أن اللغة العربية — على الرغم من رحبها وسَعَتها — لغةٌ دقيقة ، تتميز بالعمق وبُعد الغور ؛ فأى اختلاف فى حرف الجر الذى يجىء بعد الفعل يترتب عليه اختلاف فى المعنى قد لا يفطن إليه الكاتب الذى لا يتوخى الدقة فى التعبير ... وأما الحرية اللغوية التى يطالبنا بها الأستاذ ، فهى حديث خرافة ، لا أظن أحداً من المخلصين للغتنا العربية يقبل أن يسمعه ، ولا أعرف واحداً من كتاب الغرب يدّعيه لنفسه . فأنا أفهم أن تكون هناك حرية فى التعبير وتخير الألفاظ ، وصوغ أساليب جديدة ؛ وأما الحرية فى اللغة نفسها بحيث يكون للكاتب الحق فى أن يقول : « عثرت به » حين يكون يريد « عثرت عليه » ؛ فهذه حرية لا أفهمها ، ولا يفهمها أحد ، لأنها فوضى لغوية لا تباح إلا حين يكون لكل منا أن يخترع لغة جديدة تلائم حريته !!

٢ — تعريب الأسماء الأعجمية

لاحظ الأب أنستاس الكرملى فى كلمة الأستاذ مندور أخطاء كثيرة (وأصرُّ على تسميتها أخطاء) فى تعريب بعض الأسماء الأعجمية ؛ فهو يقول مثلاً : (لوسيان) و (مارك أوريل) والصواب : (لقيانس) و (مرقس أوراليوس) . وقد وقع بين يدىّ — بعد قراءة هذه الملاحظة — كتاب « المجمل فى التاريخ المصرى » : (وهو من تأليف بعض أساتذة التاريخ بالجامعة المصرية) ؛ فوجدت فيه أخطاء كثيرة من هذا النوع :

(١) « مختار الصحاح » : (وهو فى متناول كل طالب صغيرفيما أعلم) يقول : « عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثاراً بالكسر . يقال : عثر به فرسه فسقط . وعثر عليه : اطلع .. الخ » . فثمت اختلاف كبير فى المعنى ، يترتب على اختلاف حرف الجر الذى يعقب الفعل . واللغة العربية فى هذا كسائر اللغات الأخرى فى الانكليزية مثلا فرق كبير بين التعبيرات الآتية : put down ; put on : put out ; put by : put in ; put off ; put upon ; ...)

فالكاتب مثلاً يسمى يوليانوس جوليان (ص ١٠١)، ويسمى كيرلس (وهو اسم شائع بمصر خاصة، فقد كان البطريرك الأسبق يسمى كيرلس الخامس): «سيرل Cyril»، ويسمى ديوقلديانوس «ديوكليشان»، ويسمى هباتيا «هباشيا»، ويسمى ثيودوسيوس «ثيودوزيوس»، وأثناسيوس «أثنازيوس» ومرقيانوس «مارسيان» ص ١٠٢، ويوستنيانس «جوستينيان» ص ١٠٤ الخ. وسبب هذه الأخطاء كلها رجوع الكاتب إلى الاسم فى لغة غير لغته الأصلية — كالإنجليزية أو الفرنسية — حتى لقد سمى بعضهم سقراط «سوكراتيز»، أو «سكرات»! والواجب «أن نعود إلى لفظ الأعلام كما ينطق بها أصحابها»: (كما قال الأب الكرملى فى مقاله، وكما قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية). وذلك لأن الاسم الأصلى كثيراً ما يختلف عن الاسم الموضوع باللغات الأجنبية؛ والعرب لم يترجموا الأسماء إلا عن لغتها الأصلية، ومن ثم نجد اختلافاً كبيراً بين الأسماء العربية التى وضعوها نقلاً عن اللغة الأصلية نفسها، والأسماء العربية التى يضعها بعض الكتاب نقلاً عن الإنكليزية أو الفرنسية. وهذا الاختلاف كثيراً ما يضيق به الطالب الذى يرجع إلى المؤلفات التاريخية العربية، مع أن الألفاظ التى يجدها فى كتب العرب هى الأصح، لأنها أقرب إلى الأصل من الألفاظ التى ألف استعمالها نقلاً عن الإنكليزية والفرنسية

ومن الغريب أن بعض أساتذة الجامعة يصرون على استعمال طريقة النقل عن هاتين اللغتين فى تعريبهم للأسماء الأعجمية. وإنى لأذكر أن أحد أساتذتنا فى الجامعة — وهو يدرّس لنا الفلسفة المسيحية — نطق باسم «أمبرواز Ambroise»، فرده طالب من بيننا قائلاً له: الاسم بالعربية هو «أمبروسيوس»؛ ولكن الأستاذ أبى أن يأخذ باللفظ العربى، مع أن الاسم فى لغته الأصلية يُنطق بالسين لا بالزاى (كما يقال أيضاً فيلسوف لا فيلوزوف). ولا يفوتنى أن أذكر فى هذا الصدد أننى قرأت مقالاً فى هذا الموضوع للفريق أمين باشا المعلوف[1]، يتضمن بعض الأصول التى يجب التزامها فى تعريب الأسماء الأعجمية (عن اللاتينية أو اليونانية)؛ فإلى هذا البحث أوجه نظر الأستاذ مندور — وغيره من أساتذة الجامعة المدققين — حتى يعمّ النطق الصحيح بين الطلاب، ولا يجد أحدهم صعوبة فى تذوق اللفظ العربى الذى يمر عليه فى كتب التاريخ العربية.

(مصر الجديدة) زكريا إبراهيم

مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال

لم يكن لنا إلى ما قبل عشرين سنة أو ما حولها تاريخ مفصل لنهضة البلاد الوطنية يضمه كتاب، ولا سند صحيح لحركتها القومية يحتويه سفر، وإنما كان هذا التاريخ مطموس المعالم مبهم الحدود، حتى لو أراد دارس أن يقف عليه أو يلم به لأعياه السعى ولعميت عليه السبل، إذ لا يجد مهما جد فى البحث وأمعن فيه إلا أنباء مبعثرة هنا وهناك بين صفحات أسفار لا يبلغها الحصر، ولو هو ظفر بشىء منها لوجده مما لا يشبع نهمه ولا يروى غليله. ومن الغريب أن يظل جهادنا لوطننا وكفاحنا فى سبيل تحرير بلادنا، بغير تاريخ يبين أطواره، ويسجل أدواره، ويكشف عن نصيب كل جيل منه بما أنفق فيه من جهد وما قدم له من عمل!

وقد ظل هذا النقص بادياً فى تاريخنا إلى أن قيض الله له مؤرخاً محققاً، وقانونياً كبيراً، وسياسياً محنكا، ومجاهداً مخلصاً، هو الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك. توفر حفظه الله على دراسة هذا التاريخ والبحث عن تفاريقه المزقة بين مئات الأسفار، واستقل بأعبائه وحده يؤلف بين هذه التفاريق ويجمع أشتاتها، مُستَنفِداً ما وسعه من جهد فى سبيل تمحيصها واستخلاص الحق منها، باذلاً فى سبيل إحسان عمله كل نفيس من نفسه وماله، مما لا يكاد يستطيع فرد أن ينهض وحده به، حتى أخرج لنا فى أصدق صورة وأبلغ بيان عملاً ضخماً، وعلى أنه قد ملأ مما عمل لهذا التأريخ تسعة أسفار كبار فإنه قد بقى منه أجزاء أخرى ستظهر إن شاء الله

كان الذى بعث عزيمة المؤلف على هذا العمل أنه كان يريد أن يضع «تاريخاً لفقيد الوطن العظيم مصطفى كامل على مثال كتاب (بول دشانل) عن (جامبتا) خدمة للقضية الوطنية

---

(١) نشر بمجلة «المقتطف» مرتين: (الأولى فى يونية ويولية سنة ١٩١١، والثانية فى فبراير سنة ١٩٣٣)

وأداء لواجب الوفاء نحو من تلقى عنه مبادئ الوطنية الأولى[١] »

ولكنه وجد أن تاريخ هذا الزعيم يستتبع « الكلام عن مبدأ ظهور الحركة القومية بمصر والتطورات التي تعاقبت عليها[٢] » فجعل همه أن يدرس هذه الحركة «من بدء ظهورها إلى اليوم[٢]» ذلك بأن مصطفى كامل إنما كان « يمثل دوراً من أدوار الحركة القومية سبقته أدوار وتلته أخرى ، ولا تكون دراسة الحركة القومية وافية إذا اقتصرت على عصر واحد من عصورها ، بل يجب أن يتناولها البحث بأجمعها »[٣]

ولما أنشأ يدرس الأدوار التي تقدمت عصر مصطفى كامل لكي يصل إلى مبدأ هذه الأدوار ، وجد بعد مواصلة الدرس ومطاولة البحث أن « للروح القومية التي بدأت تظهر في أواخر القرن الثامن عشر — يجب أن يرجع مبدأ الحركة القومية المصرية ؛ وأن أول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر »[٣]

ولم يقف به البحث عند دراسة الحركة القومية ، بل وجد أن تاريخ هذه الحركة يدعو إلى « دراسة نظم الحكم التي تخللت أدوارها ، ذلك أن سياسة الحكم وأساليبه كانت في مختلف العصور والبلدان الرئيسية لظهور الانقلابات والحركات القومية كما أن لهذه الحركات أثراً فعالاً في تطور نظام الحكم »[٣]

ولما استوت له هذه الطريقة ووضع لها المعالم وأحكم الحدود ، أخذ يؤرخ هذه الأدوار على ما قدمنا ، ثم زاد عليها ما يلابسها وما يتصل بها من دراسة الحركات العلمية والفكرية والاقتصادية مما هو كمال لها ، وتمام عليها ، بما في ذلك من ترجمة رجال هذه الحركات كلها

ولقد كنت أود أن أفصل القول في وصف هذا العمل العظيم الذي يعد بلا ريب من أعظم الأعمال التي يقوم بها المجاهدون المخلصون في سبيل أوطانهم ، وأن أبين شيئاً مما جاء في هذا التاريخ الزاخر الذي أوفى فيه مؤلفه الجليل على غاية ليس فوقها مرتقى لهمة ، ولا وراءها مذهب لذي إحسان ، حتى يعرف القارىء الكريم مقدار هذه المعلمة الوطنية ويقف على هذا النهج الفريد من التأليف الذي يجمع بين عف القول وصدق اللهجة وبين بلاغة التعبير وتقرير الحق ، ثم ما وراء ذلك من وزن الأمور بمعيار الدقة والنزاهة وهو ما اتصف به مؤلفنا الجليل سواء كان ذلك في أقواله وأفعاله أو في جهاده وتآليفه

كنت أريد ذلك كله أو بعضه ، ولكن ما أصاب الصحف في هذه الأيام من ضيق الصفحات وقلتها يضطر الكاتب إلى أن يلزم القصد في القول والإيجاز في التعبير

من أجل ذلك أراني مرغماً على الوقوف عند الكلام على هذا الجزء الذي عقدت من أجله هذه الكلمة ولكن بعبارة موجزة لا تعدو بضعة سطور . تكلم المؤلف الفاضل في هذا الجزء عن تاريخ مصر القومية مدى عشر سنوات (من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢) وهي السنوات الأولى للاحتلال وفصل القول في جميع ما جرى للبلاد في هذه الفترة من كل النواحي تفصيلاً لا يوجد مثله في كتاب . وبحسبك أنه قد جاء على غرار ما سبقه من الأجزاء من حيث التحقيق والاستيعاب ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا ترك ناحية من نواحي هذه الفترة من تاريخنا إلا بينها وجلاها . فجزاه الله بما قدم من عمل صالح لبلاده خير الجزاء ، ووفقه بعنايته وفضله إلى إتمام ما بقي لهذا التاريخ من أجزاء ، إنه سميع الدعاء .

(المنصورة) محمود أبو ريه

(١) ص ٣ من الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية

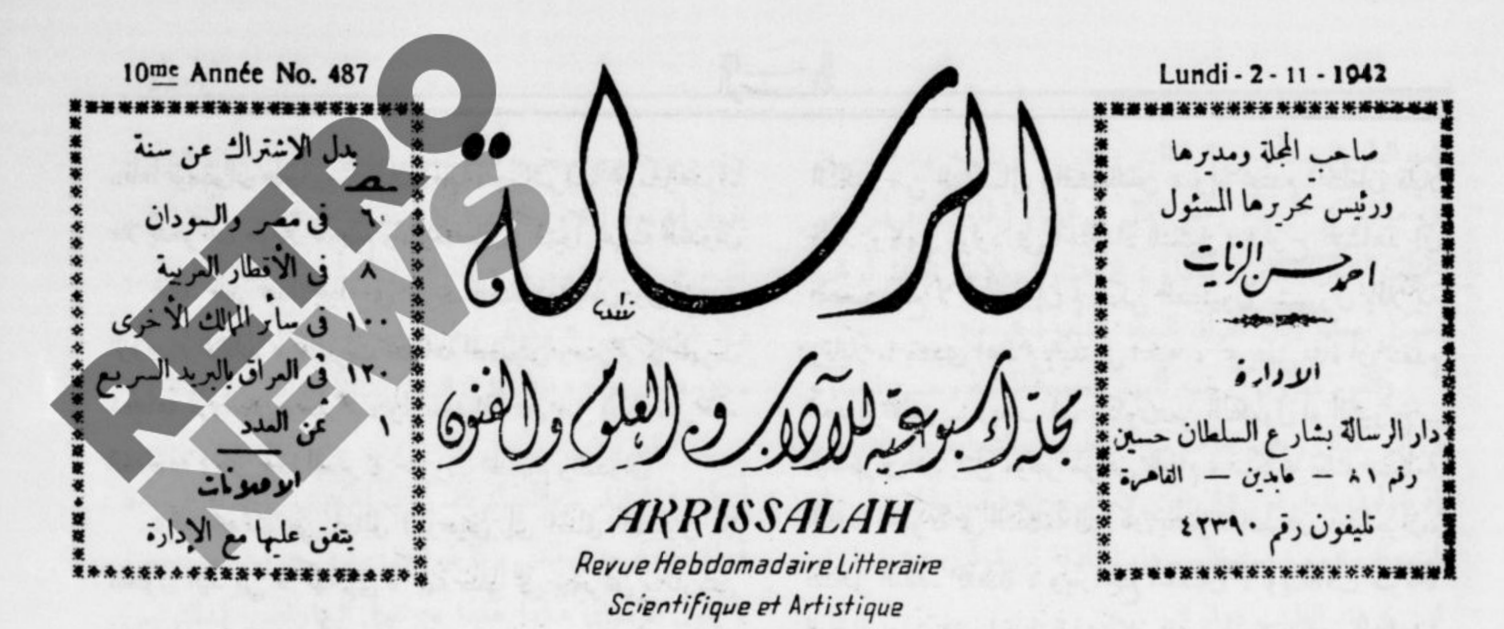
(٢) ص ٤ من نفس المصدر

(٣) ص ٤ من نفس المصدر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 487 Lundi - 2 - 11 - 1942



العـــدد ٤٨٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

أمثال أخرى وأفعال

الأستاذ عباس محمود العقاد

بين الروسيين والصينيين مشابهة محسوسة وهى اشتراك كل من الأمتين فى الاتصال بالمغول من طريق المجاورة والمعاشرة والمصاهرة، واقتباس كل من الأمتين كثيراً من عادات المغول ومأثوراتهم فى القصة والمثل والجديلة. فمن قرأ القصص والأمثال الصينية لم يعدم بينها وبين أمثال الروسيين وقصصهم مشابهة ظاهرة فى الأسلوب والمزاج، ولم يكد يتخيل بين الأسلوبين فارقاً بعيداً فى غير الحواشى والتفصيلات. أما الجوهر فواحد أو يكاد أن يتوحد كما يتوحد الأقربون والصحبة المتلازمون

فإذا استحضرت أمثال الروسيين وتخيلت قائلها رجلاً واحداً خيل إليك أنه إنسان صبور رصين مستسلم يعرف الدنيا معرفة هادئة، ويتحدث عنها تحدث سخر ممزوج بالألفة والمحبة، وهذه هى الصورة التى تبدو لك من قراءة القصص والأمثال الصينية مع فارق يسير تلمحه فى جملة الأمثال وقد تخطئه فى المثل الواحد والمثلين، ونريد به أن صقل الحضارة أظهرُ فى أمثال الصينيين، وأن خشونة البداوة والفلاحة أظهر فى أمثال الروسيين، ويتفرع على ذلك أن الصينى أقرب إلى السلم، وأن الروسى أقرب إلى الحرب، وإن كانا يتلاقيان فى خصلة متماثلة وهى أنهما يباشران الحرب

دفاعاً فيصبران عليها ويستبسلان فيها ، ويباشرانها هجوماً وعدواناً فلا يتحركان طويلاً للهجوم ولا يحتفظان كثيراً بحماسة العدوان

وقد ظهر هذا جميعه فى حرب الصين واليابان وفى حرب الروس والألمان ، فظهرت شجاعة الصينيين وصبرهم كما ظهرت شجاعة الروسيين وصبرهم ، ولم يعهد للأمتين قبل الآن مثل هذه الشجاعة ومثل هذا الصبر فى حروب الهجوم والعدوان

وقد تحولت من أمثال الروسيين إلى أمثال الصينيين كما تتحول اليد من فاكهة إلى فاكهة مثلها على شجرتين متقاربتين فى بستان واحد ، فلم أشعر أننى أبعدت النقلة بين القطفتين وإن كان لا بد من خلاف بين ثمرة وثمرة وإن قطفتا من شجرة واحدة

والصينيون أولع أمم العالم قاطبة بالمثل السائر والنادرة المنجمة على حسب العبر والوقائع . وليس هـذا بعجيب مع ما هو معلوم من محافظة القوم على شعائر السلف وتبجيلهم لذكرى الآباء والأجداد ورجوعهم بالحكمة كلها إلى عظات الأقدمين . وفى ذلك تأييد لما أسلفناه فى ختام مقالنا السابق عن أمثال الروسيين

قلنا فى ختام ذلك المقال أن إهمال العصريين لرواية الأمثال غير عجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بينهم ، «فقل فى أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يحب أن يقال عنه إنه ممن يقتدى بهم فى المعيشة والسلوك ، ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين »

والصينيون يستحدثون اليوم ما يستحدثون فى عادات المعيشة وآداب السلوك ولا يزالون على ديدنهم القديم من تقديس الآباء وتوقير السنن المأثورة عنهم ، فلا جرم يحرصون على الأمثال حرصاً لا نعهده بين المحدثين وطلاب الاستحداث فى أنحاء العالم ، ولا جرم يودعون فى أمثالهم من روح الشعب ما هو أبلغ فى الدلالة عليهم والإبانة عنهم من الأسفار والموسوعات

قال دكتور هنرى هارت فى مقدمة منتخباته من الأمثال الصينية : « كل إنسان فى الصين يتمثل الأمثال ... وقد سمعتها من لسان الأمبراطور كما سمعتها من لسان الخادم الوضيع ، فهي عندهم العملة الجارية فى اللغة ، والدرب المختصر فى المحادثة ، وكثيراً ما تغنى عن المناقشات الطويلة وتحل العقد الشائكة . فيشوق المشاهد أن يصغى إلى المعارك الكلامية التى لا تنى تتردد بين أهل تلك البلاد ، إذ يعرض الخلاف الصغير فيزدحم حوله الجمع الكبير من الكسالى والمستطلعين ، وإذ يحتدم المختلفان قليلاً قليلاً وكلهم مولود على استعداد للتمثيل ، فيلوح للمشاهد أن العنف واقع لا محالة وإن لم يكن الصينيون مشهورين بالملاكمة وقليلاً ما يعتدى أحدهم باليد على أخيه ، ثم يتفق فجأة أن يتقدم أحد الواقفين ــ ويغلب أن يكون من الكهول أو الشيوخ ــ فيتكلم ويأتى بمثل موجز موافق للمقام ، فكأنما تلك الكلمة النافذة المحبوكة هي الكلمة التى كان ينتظرها الطرفان المتشاجران، فتنحل العقدة المعضلة ، ويتراجع الخصمان ، ويتخافت صوتاهما العاليان ، وترتفع ابتسامة فى مكان العبوس ، وتنتهي المشاجرة على خلاف ما يود المشاهدون من طلاب الضجيج والعجيج »

وهذا المشهد الذى وصفه المؤلف قد نراه فى مصر ونذكر الكلمات التى تفض بها مشاجرات الطريق ، فهى فى الغالب أمثال شائعة ، وفى الأغلب عظات من الكتاب والسنة النبوية ، ولكنها فى القرى أعم منها فى الحواضر الكبيرة ، ولحكمة السلف ومقام الشيخوخة فيها أثر غير قليل

ولكنك لا تقرأ مئات الأمثال عندهم ومئات الأمثال عندنا حتى تلمح الفارق بين الأمتين وإن اتفقتا على بعض العادات والخطرات

فأول ما يبدهك من جملة أمثالهم أنهم أبيقوريون يحبون الترف المريح ، ويألفون الدعة الفلسفية التى تسكن إليها النفس كما يسكن إليها الجسد ، ويؤثرون الترشف من النعيم على الغرق فيه ، ويقنعون بتجزئة السعادة إذ لا سبيل إلى السعادة الكاملة التى تدوم ولا يخشى عليها زوال

ومن أبدع أمثالهم التى تنم على هذا المزاج قولهم : « من عاش يوماً خالياً عاش يوماً خالداً » وقولهم : « ألف ريال لا تشترى ضحكة واحدة » ؛ وقولهم : « الأمراض تدخل من الفم والمصائب تخرج منه » ؛ وقولهم : « البركة قلما تقبل أزواجاً ، والمصائب قلما تقبل فرادى »

وقد أوردنا للروسيين مثلاً يعبر عن الفوارق الاجتماعية يقولون فيه : « إن عيوننا تملأها شمس واحدة وبطوننا لا يملأها طعام واحد » . وهو شاهد بارع من شواهد الطبيعة يقاربه فى معدنه قول الصينيين : « الصيف للجميع والشتاء على حسب الكساء »

وأوردنا للروسيين مثلاً لرشوة الحكام إذ يقولون : « من

باب الطريق صدٌّ ومن باب السر ترحيب » ويشبهه عند الصينيين فى موضوع الرشوة وفعل المال فى قضاء الحاجات قولهم وهو مختلف بعبارته متفق بمؤداه : « عشرة ريالات تحرك أرباب الهيكل ومائة ريال تحرك السماء نفسها ! »

والقوم معروفون بقدم العهد بالدماثة المدنية وحسن الحفاوة فى الاستقبال ، وهو ظاهر من تعويلهم فى التجارة على الابتسام إذ يقولون ما فحواه : « إن الذى لا ينفرج فمه بابتسامة لا ينفرج له باب دكان » ومن استعظامهم داء الجلافة إذ يقولون : « إنها داء ليس له عند الطبيب دواء »

ومن قولهم فيما يشبه هذا ويتصل به : « إن فتح دكان لسهل ، وإنما الصعوبة أن يظل مفتوحاً ... »

ومن أمثالهم التى تدل على طبيعة الحذر فيهم أو تدل على نصحهم بالحذر والاحتراس : « احمل مظلتك والسماء صاحية ، وادخر مؤونتك وجوفك شبعان » و « الجمال لا يوقع الرجال فى الشرك ، إنما هم الذين يقعون فيه » و « لا تشتم امرأتك فى المساء وإلا نمت وحدك ! » و « المرأة الشائهة والخادمة الغبية كنزان لا يقومان » و « لا ترسل الباز حتى تبصر الأرنب » وهكذا فى عشرات من الأمثال

وربما كان الصينيون فى طليعة الأمم التى هانت فيها أقدار المقاتلين وعظمت أقدار الحكماء والنساك ، ولهذا تتواتر عندهم الأمثال التى تدل على نفاسة الحكمة وصعوبة الحصول عليها من قبيل قولهم : « الذهب له ثمن والحكمة بغير ثمن » وقولهم : « طالب العلم كالصاعد فى وجه التيار إن لم يتقدم فهو منحدر » وقولهم : « خذ الخمر قطرات والحكمة جرعات ! » وقولهم : المعرفة كنز يتبع صاحبه حيثما ذهب » وقولهم : « العلماء ذخائر الأمم » وقولهم : « من علمنى يوماً فهو أبى مدى الحياة »

وقد اشتهروا كذلك بالسكن إلى حياة الأسرة وجيرة الوطن ، لحفلت أمثالهم بالتغنى بالبيت والوطن ؛ واجتمع أفضل ما قالوه حول هذا الغرض فى مثلين نموذجين أحدهما قولهم : « لا يخلو البيت من راحة ولا خارج البيت من تعب » وقولهم : « لتكن حسناء أو شوهاء فهى بلادى . وليكن قريباً أو غير قريب فهو ابن وطنى ! » وربما زادنا علماً بقوام البيت عندهم قولهم : « الزوجة لفضيلتها والخليلة لجمالها »

ومن نماذج السخرية المطمئنة فى أمثالهم قولهم : « بائع البطيخ يقول إنه حلو ! » وقولهم : « كلب ينبح على شىء ، وألف كلب تنبح على نباحه » وقولهم : « نولد ولا نحضر معنا شيئاً ، ونموت ولا نذهب بشىء » وقولهم : « الغراب أسود هنا وأسود فى كل مكان » وقولهم : « إذا خلقت السماء إنساناً فله طلب لا محالة ! »

وهم قدريون كالروسيين أو قدريون كعامة الشرقيين ، فليس أكثر فى أمثالهم من التسليم للقدر وقلة الجدوى فى خلافه على تمدد فى اللفظ وتوحد فى المعنى ، كما يقولون ، وفيه شىء من سخريتهم : « يقول الإنسان هكذا هكذا ، وتقول السماء ليس كذلك ليس كذلك ! » أو يقولون : « ما يبرمه القضاء لا ينقضه إنسان » أو يقولون : « من خلق للسعادة فلا يعجل وراءها » أو يقولون « كل كأس وكل لقمة مقدرتان لفم ، لا يأخذهما غيره »

* * *

ولا نهاية للمواضع والمناسبات التى يستشهد فيها ببعض هذه الأمثال الصينية التى يخطئها الإحصاء

إلا أن الشاهد الأكبر فيما نحن بصدده هو هذا الاهتمام من قبل الأمم الغربية بكل جانب من جوانب البحث فى البلدان التى تلتفت إليها أنظار الناس على أثر الحوادث الحربية أو السياسية التى تقع فيها . فما مضت أشهر على اشتغال الصحف بقضية الصين حتى امتلأت رفوف المكتبات بالمجلات والرسائل والمجلدات عن كل شىء يعرف — أو ينبغى أن يعرف — من أحوال تلك البلاد ، فهذا يكتب عن النهضة الصينية ، وذاك يكتب عن زعماء الصين ، وغيرهما عن تاريخ السياسة الأوربية فى الشرق الأقصى ، وغيرهم يكتب عن فن الصين أو أغانى الصين أو عقائد الصين أو محاسن الصين ، إلى أشباه ذلك مما يقترن بالصين وأبنائها ولو من بعيد

ومثل هذا حدث فى اهتمامهم بروسيا بعد ثورتها الاجتماعية أو بعد حربها الأخيرة مع النازية ، ويحدث مثله كذلك حول كل مسألة من المسائل القومية أو العالمية التى ترتبط ببلد من البلدان ، حتى ليصح أن يقال إن الحرب عندهم ليست شراً محضاً يجلب الخراب وينزل بالبلاء ثم ينتهى أثره عند ذلك ، لأنها فى الواقع سبيل من سبل المعرفة وباب من أبواب التعارف ، وطريق إلى كشف الظلمات عن مجاهل العالم قاصيه ودانيه

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٢ ـ حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكى مبــارك

تأريخ المجتمع ونقد المجتمع — جريمة أدبية — سريرة المويلحى — التحرش بالأزهريين — صفحات تعليمية — كلمة إنصاف

تأريخ المجتمع ونقد المجتمع

المجتمع اسمه الجمعية فى لغة المويلحى وفى لغة من عاصروه ، فهو يقول الجمعية الإنسانية ويعنى بها ما نسميه المجتمع الإنسانى . وقد لاحظنا فيما سلف أن « الجامعة المصرية » معناها فى كتابات لطفى باشا السيد « الرابطة المصرية » وأن الجامعة بمعناها الجديد كانت تسمى الكلية ، وقد وردت بهذا النص فى مجلة المقتطف عند الكلام عن إنشاء الجامعة المصرية . وبعض جرائد الشام لهذا العهد تذكر « الجامعة البشرية » وهى تعنى الرابطة الإنسانية . فليلتفت الطلبة إلى أن فى كتابات المويلحى ألفاظاً هجرها كتّاب اليوم ، أو نقلوها من وضع إلى وضع ، وللألفاظ أعمار وأزمان !

ثم أذكر أنه يجب أن نلاحظ الفرق بين تأريخ المجتمع ونقد المجتمع ، ففى الكتاب فقرات تؤرخ المجتمع من غير قصد ، فنعرف منها بعض أحوال القاهرة منذ نحو خمسين عاماً ، كأن يصف المؤلف داراً بالعزة والرفاهية فيذكر أنها تضاء بالكهرباء . ونحن اليوم لا نقول ذلك ، لأن الأغلب فى القاهرة أن تضاء الدور بالكهرباء ، وإن لم يكن أهلها أغنياء . وكأن يذكر المؤلف أن محكمة الاستئناف فى حى الاسماعيلية وأنها لم تكن تستقر فى مكان . وكأن يقول : إن سكان مصر عشرة ملايين . وكأن ينص على أن المحامين أمام المحاكم الأهلية لا يعرفون اللغات الأجنبية ، وكأن يشير إلى متحف بولاق ومتحف الجيزة ، وليس عندنا اليوم غير متحف قصر النيل . وكأن يذكر أن كتّاب المحكمة الشرعية تنتظرهم حميرهم وبغالهم على الأبواب ، وكأن يجعل سدنة « الدفترخانة » أشياخاً يحملون الدوىّ النحاسية فى أحزمة القفاطين . وكأن يقول التشخيص وهو يريد التمثيل . وكأن يذكر فى القانون الجنائى أشياء لا يعرفها قضاة هذا الزمان

التأريخ المقصود

وقد يقصد المويلحى إلى تأريخ بعض تطورات المجتمع فى الزمن الذى سبق تأليف الكتاب ، كأن ينص على « سر الليل » ، فمن هذا « السر » نفهم أن القاهرة كانت تُغلَق أبوابها بالليل فلا يدخلها أحد إلا بإشارة يفهم منها الشرطة أنه فى غنى عن الاستئذان

وهنالك تأريخ يحمل معانى النقد ، كأن يُنطق « الباشا » بعبارات ندرك منها أن النزعة التركية كان لها فى زمانه مكان . ففى ص ٢٤ يعجب الباشا من أن لا يكون لأميرٍ على مصرىّ أمرٌ . وفى ص ٢٧ ينكر الباشا « أن يحكم الناس فلاح وينوب عنها حرّاث » . وفى ص ٤٣ يعجب الباشا من أن « يتعدى المصرىُّ على الجندى » . وفى ص ٤٨ يصرّح الباشا بأنه عاش دهره لا يعرف أن السجن يكون فى عقاب الكبراء والأمراء ، وإنما يكون فى عقاب السفلة من العامة والغوغاء من الناس !

ثم ينفجر المؤلف فى ص ٧٢ فيقول فى الأتراك كلاماً لا يقال اليوم ، لأن هذه النزعة قد اختفت أو ماتت ، بفضل النظر عن الحادث الذى وقع منذ بضع سنين[1]

النقد المقصود

يجرى قلم المؤلف بعبارات نقدية خفيفة من صفحة إلى صفحات ، ثم يعمد إلى النقد عمداً فيسهب ويطيل . ولعل المحامين والقضاة والأعيان لم يصابوا فى سمعتهم بأذى ولا أوجع مما رماهم به المويلحي فى صرامة نادرة المثال

هل كان المجتمع المصرى قبل خمسين سنة على نحو ما صوره ذلك القلم الفاتك ؟ وهل كان يغلب أن يكون القضاة من الفتيان الأماليد ؟ وهل كانت المحاماة نصباً فى نصب وخداعاً فى خداع ؟ وهل كان « العمدة » الذى تعقّبه المويلحي نموذجاً لجميع الأعيان فى ذلك الزمان ؟

جريمة أدبية

هى جريمة المويلحي فى تصوير المجتمع المصرى ، فقد اهتمّ بتجسيم العيوب تجسيماً بلغ الغاية فى القسوة والعنف ، وسكت عما فى المجتمع المصرى من محاسن أصيلة هى سر بقائه فى صحة وعافية ، برغم ما أصاب هذه البلاد من كوارث وخطوب

(١) راجع افتتاحية « الرسالة » فى العدد ٣٠٩

وعذر المويلحى أن نُقاد المجتمع لعهده كانوا جميعاً متشائمين ، ولو شئت لقلت إنهم كانوا يجدون لذة فى التذمر والتقزُّز والتفجع ، ولهذا الاتجاه شواهد نجدها فى كتابات توفيق البكرى ، وفى قصائد حافظ إبراهيم ، وفى تلك البيئة ظهر المنفلوطى فكان أدبه من صور القلق والانزعاج

وما أقول بأن أمثال هؤلاء الكتاب يفترون على المجتمع ، لا ، فقد صوَّروا بيئات موجودة بالفعل ؛ وقد لا تنقرض ، فلن تخلو الدنيا من محام نصَّاب ، أو قاض كسلان ، أو تاجر غشاش ؛ وإنما أُنكر التعميم فى الأحكام النقدية ، التعميم الذى يصم المجتمع فى جميع طبقاته بالتفكك والانحلال ، مع أنه فى الحقيقة لا يخلو من تماسك يضمن له البقاء

وإنما عددت هذا المذهب جريمة أدبية لأنه ينتهي إلى التعجيز والتيئيس ، ولأن أثره فى تقويم المجتمع أثرٌ ضئيل

يضاف إلى ذلك أن أصحاب هذا المذهب لا يضعون النماذج للمجتمع المنشود ، وإن فعلوا فلن يكون المجتمع الصالح فى نظرهم إلا بيئة خيالية لا يعرفها سكان الكرة الأرضية

سريرة المويلحى

حديث عيسى بن هشام يشهد شهادة صريحة بأن المويلحى قد ارتطم فى حياته بمشكلات ومعضلات خلقتها معاملاته مع الناس . والظاهر أنه عرف المحاكم المصرية من مختلطة وأهلية وشرعية ، عرفها مدَّعياً ومدَّعى عليه . والظاهر أيضاً أنه ابتُلى بمزعجات الأوقاف . ولا جدال فى أنه عانى الغدر من بعض الأصدقاء ، فله فى الأصدقاء كلمات سارت مسير الأمثال . ويظهر كذلك أنه اتصل اتصالاً وثيقاً بالملاعب القاهرية فى مكايدها الليلية ، ثم يظهر أنه بادل الصحفيين من معاصريه ظلماً بظلم ، وعدواناً بعدوان

أقول هذا لأدفع تهمة وُجِّهت إلى المويلحى من أديب عظيم هو أخونا الأستاذ الزيات الذى يرى فى « الرحلة الثانية » شاهداً على أن الرحلتين ليستا لكاتب واحد ، لأن الفرق بين الرحلة الأولى والرحلة الثانية بعيدٌ بعيد[1]

والحق أن الرحلة الثانية ضعيفة كل الضعف ، بالقياس إلى الرحلة الأولى ، ولكن ما سبب ذلك الضعف ، مع تقارب الأسلوب فى الرحلتين تقارباً يشهد بأن الكاتب هنا هو الكاتب هناك ؟

يرجع السبب إلى أن المويلحى لم يعرف من أوربا غير فرنسا ، ولم يعرف من فرنسا غير باريس ، ولم يعرف من باريس غير ظواهر سطحية لا تقلقل الخاطر ، ولا تبلبل الوجدان ، فكيف جاز أن يدَّعى القدرة على تصوير المدنية الغربية ؟

المويلحى لم يعرف باريس ، وإن زار باريس ، ولو أنه عرف تلك المدينة فى حياتها الحقيقية « كما عرف القاهرة فى حياتها الحقيقية » لقال فيها كلاماً غير الذى قال ، ولكان من الجائز أن يُفردها بكتاب يشرح ما تعانى من اصطراع المذاهب والآراء ، فقد زار باريس وهى فى عنفوان الفتوة ، وفى اتصال وثيق بأمم الغرب والشرق ، ومع هذا لم يستطع أن يدوّن من حيواتها غير بوارق مهددة بالخمود

بدا لى مرة أن أعرف ما أُلِّف عن الحى اللاتينى ، فجمعت نحو ثلاثين كتاباً ، منها كتاب يصور ما يعانى طلبة السوربون من اليهود المرابين

وبدا لى مرة ثانية أن أحصي المكتبات القائمة بالحى اللاتينى وهو مهد الفكر الحر ، فهالنى أن أجد فيه مكتبة لا تبيع مؤلفات رينان بحجة أنه زنديق

وبدا لى مرة ثالثة أن أعرف إلى أى مدًى تتصل باريس بأساطير الأولين فجمعت من ذلك أشياء وأشياء ... فأين المويلحى من ذلك التعقيد المنيف ؟

وخلاصة القول أن إخفاق المويلحى فى تصوير الحياة الباريسية يرجع إلى أنه لم يعانِ فيها مشكلات تزلزل العقل أو تثير الوجدان ، فجاء حديثه عن تلك الحياة أضعف وأضعف من أن يسامى حديثه الأول فى وصف الحياة المصرية ... والأدب يأخذ قوته من التجارب والمشاهدات ، لا من الحدس والتخمين . وكذب من ادَّعوا أن الأدب أوهامٌ وظنون

ومن الواجب أن نسجل أن المويلحى نظر إلى المدنية الغربية بالعين الشرقية ، فلم يحاول إبراز ما فيها من خصائص إيجابية ، كما حاول إبراز ما فيها من خصائص سلبية . وهو مع ذلك محمود الصنيع ، فقد جاهد فى حدود طاقته جهاد الرجال ، ومن كان كذلك فهو جدير بكل ثناء .

---

(١) الرحلة الثانية محاولة أراد بها المويلحى تصوير المدنية الغربية ، ولكنه أخفق

التحرش بالأزهريين

والمويلحى لا يكفّ عن التنديد بالعقلية الأزهرية ، فما تعليل هذه النزعة عند ذلك الأديب ؟

يرجع السبب إلى أن انقسام المتعلمين إلى معمَّمين ومطربشين كان فى عهد المويلحى فتنة تثور بين طبقتين ... كان المطربشون يرون أنفسهم طلائع الجيل الجديد ، وكان المعممون يرون أنفسهم حُماة الدين الحنيف ... وكانت الدولة نفسها لا تُسند المناصب الإدارية لغير المطربشين ، بحجة أنهم أعرف بالأنظمة المدنية ، وأقدر على سياسة الناس ... وهل ننسى أن منصب الوزير عرض على الشيخ محمد عبده فرفضه بإباء ، لأن من عرضوا عليه ذلك المنصب دعوه إلى خلع العمامة ولبس الطربوش ؟

كانت الفتنة قائمة بين هاتين الطبقتين ، وكان من العسير أن توجد بينهما صلات خالية من شوائب التحاسد المستور أو المكشوف . ولتلك الفتنة عقابيل باقية إلى اليوم . ولا موجب للتفصيل !

هذا هو السبب فى حرص المويلحى على التنديد بالأزهريين ، وهو أيضاً السبب فى أنه هادَنهم بعد انقطاع أسباب الشقاق . ولكن كيف ؟

قلت إن الطبعة الأخيرة هى الطبعة الرابعة ، وأنا لم أقرأ هذا الكتاب إلا فى الطبعة الثانية ، وقد ظهرت منذ أكثر من ربع قرن ، ومع هذا بقيت فى ذاكرتى منها أشياء لم أجدها فى الطبعة الأخيرة . وبرغم ضيق الوقت عن مراجعة الطبعة الأولى أو الثانية فأنا أذكر جيداً أن « عيسى بن هشام » مضى مع « الباشا » لزيارة الأزهر الشريف ، وأذكر أنهما سمعا الأزهريين يتحاورون ويتجادلون فى بدعة إصدار الجرائد والمجلات ، وانتهى الرأى إلى أن الأزهرى يستطيع أن يكون صحفيًّا إن أراد ، وقرأ أحدهم مقالة نشرها أحد الأزهريين ، وهى مقالة افتعلها المويلحى ، فقد كانت فيها أنذكر غاية فى الركاكة والإسفاف ، على نحو ما صنع وهو يفتعل ما يُلقى فى الأعراس من الخطب الرنانة والقصائد الجياد !!

فكيف استجاز المويلحى أن ينال كتابه بالتعديل فيما يتصل بحياة الأزهريين ؟

كان ذلك لأنه أراد أن يقرّر كتابه للمطالعة فى المدارس الثانوية ، وكان يعلم أن المفتشين الذين يحكمون لكتابه أو عليه هم فى الأصل أزهريون ، ومن الحزم أن يتقى شرهم بحذف ذلك الحديث ... وآفةُ الأدب أن يعرّض للمنافع ، وأن تراعى فيه خواطر بعض الناس

وإذن يكون من الحزم — ونحن نؤرخ الحياة الأدبية والاجتماعية — أن نقرر أن الطبعات القديمة من هذا الكتاب هى الأساس فى تصوير ما سماه المويلحى « فترة من الزمن » ، بدون مبالاة للمجاملات اليومية على حساب التاريخ .

صفحات تعليمية

فى الكتاب صفحات أريدَ بها التعليم ، أعنى أن المؤلف أراد بها شرح ما جدّ فى مصر من الأنظمة واللوائح والقوانين ، فما منهاجه المختار فى الشرح ؟

هو يشرح وينقد ، يشرح أموراً وينقد أموراً كانت لعهده تحتاج إلى إيضاح مصحوب بالاعتراض ، كالذى وقع فى الصفحات ٤١ و ٤٢ و ٤٣ ، وهو يفصّل أنواع المحاكم بهذه البلاد

يحدثنا المؤلف أن مفتى نظارة الحقانية — وزارة العدل — أقسم الأيمان المغلَّظة أن القانون الفرنسى غير مخالف للشرع الإسلامى ، مع أنه لا يعاقب على الفسق إن تجاوز عمر المفسوق به الثانية عشرة بيوم واحد[1] ومع أنه لا يعاقب من يزنى بأمّه إذا هى رضيت وكانت غير متزوجة ، ومع أنه يعدّ الأخ مجرماً جانياً إذا تعرض للمدافعة عن أخته ، ولا يعطى حق الدفاع لغير الزوج ، ومع أنه يقبل شهادة المرأة الواحدة على الرجل ، ولا يعاقب الزوج إذا سرق من امرأته ولا المرأة من زوجها ولا الولد من أبيه ولا الأب من ابنه[2]

ويتكلم المؤلف عن المجالس التأديبية ، فنعرف منه أنها خاصة بعقاب الموظف الذى يخل بتأدية وظيفته ، وأنها فى الغالب تتألف من رؤسائه الذين يتهمونه ظالمين أو عادلين

أما حُكم المؤلف على المحاكم القنصلية فلا يخفّفه غير الاطمئنان إلى ذهاب عهد الامتيازات الأجنبية

---

(١) ضاق الوقت عن مراجعة هذه المادة من القانون الفرنسى ، وأنا أجزم بأن المؤلف أخطأ فى تقدير السن ، ولعل الأمر كان على هذه الصورة فى ذلك العهد

(٢) هى أحكام صحيحة من الوجهة القانونية ، ولكنها فاسدة من الوجهة الأخلاقية

عودة إلى نقد الأستاذ على طه

أرواح وأشباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٢ —

فرض الشاعر بمخيلته القادرة أن الأرواح المجردة تتكلم، في السماء، عن البشر وغرائزهم في الأرض. وهذا يعتبر فرضاً فنياً يزيد في فهم القارئ وضوح الفرق، في تكافح الروح والجسد، بين نزعتها العلوية السماوية ونزعته السفلية الأرضية. وهو أيضاً خيال أدخل في الصنيع البديع عنصراً مخففاً من عناصر الملاحم: لأن إيجاد الخوارق فيها — بإدخال كائنات فائقة قوى الطبيعة في حوادثها — كان أمراً جوهرياً، ثم أصبحت الخوارق محسّنا اختياريا يراعى فيه احتمال الذوق العصري. وكأن هذا الخيال اتفاق أدبي مضمر بين الشاعر وقرائه، كالاتفاق الروائي[1] الضمني في الروايات، بين المؤلف والنظارة: كأنهم اتفقوا معه على التسليم بالفرض الأول في روايته، ليضحكهم أو يبكيهم بما بنى عليه من مواقف، وبما أنطق فيها أبطاله من كلام

واختار الشاعر من أسماء الأساطير الإغريقية أسماء لأبطاله؛ وهو اختيار موفق لما تشير إليه هذه الأسماء — بتداعي المعاني في ذهن القارئ — من أن القصص يصف غريزة الإنسان وأخلاقه من ماض بعيد؛ ولأن أسماء أهل الفنون أليق بملحمة فيها كلام على الفنان وعلاقته بالمرأة. وفي اختيار تلك الأسماء القديمة مزية أخرى: فقد حسن وجودها في هذه اللحمة من حيث أن العتيق أشعر من الحديث، كالسيف ما زال أحب في الشعر من المدفع. فما ظنك بمن لم يجد أسماء عربية تجمع مزايا تلك الأسماء الإغريقية، وتحسُن حسنها إن حلت محلّها في اللحمة، فودّ لو أن الشاعر تبدّل بها أرقاماً في شعره ولم يضيّع دلالتها على شخصيات معروفة في الأساطير أو التاريخ!

واتهم شاعرنا الغريزة في الأشباح، وبرأ الأرواح المجردة. فالأرواح ذوات الأسماء الإغريقية تتكلم في العالم العلوي طليقة من قيود أشباحها، تتكلم قبيل بعثها بما يصف سجايا الفنانين الآدميين وغرائز الإنسان؛ وفي كلامها أنها حين تهبط في أشباحها إلى الأرض، سيمروها ما عرا أرواح البشر:

لنا مثلهم في غد غشية إذا ما حللنا رحاب الثرى

(١) Convention thèatrale

كلمة إنصاف

كان المويلحي فيما يظهر مفطوراً على حاسّة العدل، وهي حاسة تميل من الوجهة الشكلية إلى تجسيم العيوب، وتنفُل أو تتغافل عن مكافأة من يُتهمون وهم أبرياء

أعظم ما يجازَى به المتهم البرئ هو الحكم بأنه برئ، ولم نسمع أن متهماً بريئاً جازاه قاضيه بجائزة تُذهب عنه آفاك المرجفين

لا رجاء في الدنيا ولا أمل في الناس، إن لم يأت يوم يكون فيه حكم البراءة بشيراً بالرفاهية والرخاء

فأين المويلحي من هذه المعاني؟

ظلمه معاصروه فظلم معاصريه، والظلمُ بالظلم بنىً وعدوان

كان المويلحي ابن زمانه، فلم يهتد إلى فكرة العدل الصحيح، ولو أنه عقل لأدرك أن المظلوم لا ينبغي له الوقوف في صفوف الظالمين

لو كان للمويلحي نصيب من الروحانية الصوفية لأدرك أن اضطراب المجتمع المصريّ عقوبةٌ فرضها التفريط الذي توارثته أجيال عن أجيال، وعجز عن طبه الدهر والزمان

ونحن في مصر، ومصرُ أمةٌ آذت وأوذيت، وقاتلتْ وقوتلتْ، فهي إلى الأبد في عراك وقتال وصيال

ليت المويلحي أدرك هذه المعاني، وليته فهم أننا نجرجر تاريخاً له في ضمير الإنسانية جذور وجذوع وفروع

لو عَقَلَ المويلحي لقال في مصر كلاماً غير الذي قال

ولكنه معذور، لأن «العدل الرسمي» ساقه إلى أن يقول ما يقول

وفي الكلمة الآتية فصل القول في ذلك الأديب الفنان.

زكي مبارك

وإذا قال ناقد إن لتلك الأرواح أسماء تلازمها دلالاتها على شخصيات أصحابها المعينة فى الخرافات أو الأساطير أو فى التاريخ، وإن الشاعر أهمل فى قصيدته هذه الدلالات — لأنه لم يدرس الأساطير الإغريقية كما يجب ولم يتفقه اليونانيات، فإن هذا القول اللطيف ليس يمنع أنها أسماء أناس كانوا من البشر، ما عدا هرميسَ (هِرْمَسْ) ، ولم يكونوا من أنصاف الآلهة ولا من الآلهة اليونانيين الذين خلقهم بشر ؛ ولا يمنع أن منطق هذه التحفة يقتضى ألا تظل أرواحهم فى السماء على حالها فى حياتهم الأرضية الغابرة من الانقياد الكلى للغريزة والشهوات الحسية .

ومع أن هذه الملحمة — فى رأينا - إنسانية لا إغريقية ، فإن كلام أبطالها متصل بدلالة أسمائهم المعروفة . فهرميس الذى يقود الأرواح ، فى الأساطير ، يقود هنا روح الشاعر . وروح بليتيس ، البريئة فى السماء ، لا تكون بحالها يوم كانت حبيسة فى شبحها على الأرض ، أو بحالها يوم تبعث ؛ لكن تنم ذكريات من ماضيها الأرضى وماضى سافو فى مثل قولها :

حمت رقة الجنس ربانه فليس بها حاجة للرجال
لكل اثنتين هوى واحد تَلاق على سرّه مهجتان

وفى إجابة تاييس :

حديثك إن لم يكن بدعة لحلم جرى فى قديم الزمان
وصيحة مخفقة فى الهوى معربدة الروح سكرى اللسان

أما غضب بليتيس وصاحبتها من أن روح الشاعر مرّ أمامهن ورآهن فأعرض عنهن « ولم يحيّى السماء » ، فهو غضب ليس يُعَد من « كبرياء النساء » فى شىء ، والكبرياء عظمة وتجبر ، وإنما هذا الغضب ثورة على إهانة . وإن امرأة ما من أقل النساء عفة وأكثرهن استهتاراً واستسلاماً للشهوات ، وانهماكاً فى الملذات ، لتغضب من تغافل رجل عنها ؛ وقد تتظاهر بالإعراض عن رجل لِتوقعه فى شركها . وروح تاييس ألهمتها الذكريات الأرضية اعتراضها على صاحبتها اعتراضاً يشف عن حقيقة أمرهن جميعاً بقولها فى الرجال :

إذا خلت الأرض من طيرهم فمن ذا يحيى الجمال القسيم
ومن يطلق الحب من وكره على خطرات الغناء الرخيم

وفيمَ نرقّش هذا الجناح ونصقله ببنان النعيم

بقيت سافو (سفُون) ؛ فهل كانت حسيّة بالمعنى الشائع ؟ أليس فى مؤلفات الذين استوعبوا دراسة اليونانيات رأى آخر أوفى تحقيقاً ؟ بلى ، وهذه هى خلاصته :

إن سافو[١] اتُّهمت فى أخلاقها ، لكن يبدو أن أخلاقها كانت سليمة . ويجب أن نلاحظ أنها من قوم إيوليين[٢] ، كان نساؤهم كنساء الدوريين[٣] أكثر حرية من نساء الإيونيين[٤] الذين كانوا يحجرونهن فى الحريم : فإن هذه المغايرة تعلل ما لمؤلفى الملاهى الأثينيين من دعابات سيئة القصد ، وتعلل تلك الأقاويل المنحولة فى سيرة سافو . ويجب أيضاً ألا يغرب عن الخاطر أن الإغريق فى ذلك العهد ما كانوا وصلوا إلى معرفة التمييز فى الأدب بين الهوى الحسى والهوى العذرى ؛ ولكن لا صلة بين اللذة الحسية التى يصفها الشعر المنسوب خطأ إلى أناكريون[٥] وبين لاعج الغرام الذى تعبّر عنه سافو فى القليل الموجود من شعرها

وبالنظر إلى هذا الرأى ، إن لم يكن بالنظر إلى أن الملحمة إنسانية لا إغريقية ، وأن أحوال أبطالها تختلف فى السماء عنها فى الأرض ، جاز لشاعرنا أن يجعل روح سافو فى السماء أهدأ منها فى تلك القصة المأثورة عنها ، ولا غرابة فى أن تقول :

رأيت الرجولة كل الجمال هو الرجل الفرد فى المزدحم
ويحدو العذارى إلى دارهن حيّ الخطى موسوى القدم

---

(١) شعرها يقع بين ٦٣٠ و ٥٧٠ ق . م

(٢) Les Eoliens : الأيوليون هم سكان إيولى Eolie ، وهى قطر قديم من آسية الصغرى ، كان بين إقليم فى شماله، عاصمته طروادة Troie ، وبين إقليم فى الجنوب كان يبتدئ من خليج أزمير ويسمى إيونى Ionie وهؤلاء الايوليون قبيلة إغريقية طردها الدوريون من شبه جزيرة البيلوبونيز Péloponnèse فاستوطنوا إيولى

(٣) Les Doriens : الدوريون هم سكان الدوريد La Doride ، وهى قطر قديم فى جنوب تساليا La Thessalie وقد فتحوا البيلوبونيز وأسسوا فيه إسبرطة

(٤) Les Ioniens : الأيونيون هم سكان إيونى الآنف ذكرها

(٥) Anacréon : شاعر إغريقى (٥٦٠ — ٤٧٨ ق . م) نسب إليه خطأ شعر غنائى قيل بعد عهده بزمن طويل وفيه مدح اللذة الحسية .

كلا ، إن الشاعر لم يهمل تلك الدلالات التى يغلو بإيجاب مراعاتها المغالون فى الإعجاب بمبلغ دراستهم لليونانيات .

فأولئك حوريات فى السماء غضبن على الشاعر فاتهمنه فى غريزته وفنه . لكن هرميس إله البلاغة ومبتكر الفنون عطفهنّ معتذراً عنه بأنه رآهن فى قلبه ، وحيّا بقلبه وأطبق ناظريه على ما فيه ضنًّا بلألاء جمالهن . ودنا منهن روح الشاعر فى شبحه قُبَيْل بعثهن فأعجبن بالرجل : استملت بليتيس صدره وجبينه مستجملة سائلة : أَمِنْ حمأ الأرض هذا الجبين ؟ فأجاب هرميس : دعى طيفه وانظرى روحه . فسألت متجاهلة : هل الرجل الروح ؟ فأجابت تاييس : إنه محيا وعينان ! فقالت سافو : ما فى الرجال سوى كل أصيد سبط القوام :

ذراعاه تستدرجان الخصور وفى شفتيه حديث الغرام

فصاح هرميس مسيئاً بهن الظن : تنزهت عالى ! أينطق فيك روح بهذا الكلم ! لقد سبى السحر أجل أرواح السماء ! فقال صوت السماء : بل البعث آذنهن الفداة ، وهى الآدمية طافت بهن ، فلا تلحهن ولا تَلُمْ . وغضبُ الحوريات حيلة من ناظم الملحمة جعلتهن يُظهرن شرفهن أو سموهن الروحانى ، وينمين على الفنان غريزته وأثرها فى فنه أو انحطاطه الجسدى ؛ وهى حيلة أثبتت مهارة الشاعر الفنية ، ولا سيما أنه نجح بها أولاً فى شغلهن بمحاورة وصفت ما أراد . شغلهن حديث الفن فى السماء ، وكان الفن يشغلهن فى حياتهن الأرضية . وغضبن على الفنان الرجل ، لكن ما لبثن أن رضين عنه وتهافتن عليه فى نزعة إلى الحسيات ، فلم تضِع الصلة بينهن وبين تلك الدلالات المعزوة ، وبدا طبعهن فى حالى السخط والرضى ، وأثرها واحد فى كل البشر وإن اختلفت درجاته ، فهو لا يضر وحدة الشخصية فى ذوات الأسماء الإغريقية ، لأنهن فى الحقيقة يمثلن النساء لا الملائكة

وعندنا أن الشاعر لم يتخذ من الأساطير مادة شعره ، وإن اختار منها أسماء ، وإنما نحت شعره كله من صميم الحياة الإنسانية بالروح والجسد والغريزة جميعاً على ما يتبيّن فى صنيعه ، فلم يكن عليه أن يتقيّد بدلالة تلك الأسماء

وتقرير هذه الحقيقة ، بعد ما تقدم ذكره هنا وفى المقالة السابقة ، تقرير واجب ، إذ ليس يجوز التساهل فى فهم المادة التى صدر عنها خيال الشاعر

ما القول إذن فى البيانات النثرية الوجيزة الواردة قبل القصيدة عن أصحاب تلك الأسماء ؟

الجواب قريب : فهى فى نظرنا بيانات تذكر بأنهم كانوا من أهل الفنون ، ليكون كلام أرواحهم فى الفن وأهله ، والقلب وشأنه ، والإنسان وغرائزه وخلاله ، أحسن وقعاً فى النفس . وجمالك أيها القارئ الكريم ألا تخدع نفسك بهذه البيانات . أما الذين يتبحرون فى العلم بالأساطير واليونانيات فقد يأخذهم الوجد بها حتى يُصبح مجيرامهم التشبث بدلالة تلك الأسماء كلما صادفهم فى أدب أيا كان وجهه

والبيانات النثرية الأخرى أيضاً تُذكر بمضمونها لكى يسهل فهم الإشارة فى الملحمة إلى السامرى وموسى ، ومانا وهاواى ، وغير ذلك ؛ وذكر آدم وحواء فى القصيدة فيه كذلك إشارة ضمنية إلى براءة الروح لبراءتهما قبل الخطيئة فى الجنّة ، وهو رمز إلى الرجل والمرأة وخطاياهما فى كفاح الأرواح والأشباح البشرية ، ولم يُذكرا لإيراد قصتهما المعروفة الحبيسة فى المعتقدات الدينية

(البقية فى العدد القادم) محمد توحيد السلحدار

الأزهر والإمام محمد عبده

للدكتور محمد البهى

... أليس من العجب أن يكون من أبناء الأزهر من بعث إلى أوربا باسم محمد عبده ، ثم لا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده ؟...

إحدى الملاحظات التى ساقها الأستاذ الفاضل (م ...) فى عدد الرسالة ٤٨٢ الصادر فى ١٧ رمضان سنة ١٣٦١هـ تحت عنوان ذكرى الأستاذ الزنكلونى

إن الإمام محمد عبده والأستاذ الزنكلونى لم يكونا للأزهر وحده ولا شك ؛ وإن الأزهريين لم يعرفوا محمد عبده والزنكلونى وأمثالهما ولا شك . ولهذا إذا لم يذكروا محمد عبده ولم يذكروا الزنكلونى لا يعود عدم ذكرهما إلى إهمال أو إلى نكران الجميل .

الأزهريون لم يعرفوا محمد عبده ، لا لأنهم لم يريدوا أن يعرفوه ، أو لأنهم أرادوا أن يعرفوه فخفى عليهم ، بل لأنهم دفعوا إلى عدم معرفته ودفعوا أيضاً إلى استمرارهم على عدم معرفته . فقد شاع عن محمد عبده أنه شاذ وأنه خارج ... وأخيراً شاع عنه أنه حر . وشاع كل هذا عن محمد عبده لأنه كان يكتب ، وكان يفكر ، وكان يتفلسف ، ولأنه أراد أن يكون من الأمة ، وأراد أن تسمع الأمة لأزهره وأن تسترشد بإسلامه في قضائها ، فى تثقيفها ، وفى تسوية مشاكلها الاجتماعية والقومية ، بينما كان الأزهريون فى وقته يقرأون فقط ، وينقلون فقط ، ويقلدون فقط ، ويتبعون فحسب ، وبينما كانوا يؤثرون العزلة ويؤثرون المحافظة على الأوضاع التى سبقوا بها فى القضاء والتهذيب على رغم تجدد الزمن وتعقد مشاكل الإنسان تبعاً لعوامل التطور المختلفة .

محمد عبده — أصاب أم أخطأ — كان فى طرف ، والأزهريون — أصابوا أم أخطأوا — كانوا أيضاً فى طرف مقابل له . ولو كان الفكر الفلسفى هو السائد فى التوجيه العقلى أيام محمد عبده لعرف محمد عبده وارتفعت الهوة بينه وبين الأزهريين فى زمن وجيز . لأن الفكر الفلسفى هو التأمل قبل إصدار الحكم ، والروية فى ربط الأسباب بالمسببات ، وحرمان العاطفة — أيا كانت عواملها أو أيا كان لونها — من التدخل فى قضاء العقل . ولكن التقليد هو الذى كانت له السيطرة على العمل العقلى الأزهرى ، وبقى أيضاً مسيطرا بعد وفاة محمد عبده ، ولم تزل كفته هى الراجحة الآن

وإذا كانت السيطرة للتقليد فى توجيه جماعة من الجماعات ، وفى عملها العقلى ، لا يتحدث المؤرخ النفسى للجماعة عن إرادتها أو عن عدم إرادتها ، بل عن دفع وانسياق فى اتجاه معين محدود

نعم إن محمد عبده كان له تلاميذ من الأزهريين ، وله منهم الآن عدد غير قليل ـ وإن اختلفوا فى الإيمان بفكرته درجات ـ ومع ذلك لم يُعرف محمد عبده من الأزهريين تمام المعرفة حتى يرددوا فكرته ويخلدوا فى نفوسهم ذكراه ؛ لأن اللحظة التى يعرف فيها محمد عبده هى اللحظة التى يتم فيها تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة ؛ وهى اللحظة التى ترتفع فيها قيمة الفكر الفلسفى لدى الأزهريين أنفسهم فى البحوث العلمية وفى التفكير الأزهرى

ولهذا ليس من العجيب ألا يكون الذى فكر فى إرسال بعوث أزهرية إلى أوربا باسم محمد عبده من الأزهريين . فعبد السلام الشاذلى باشا هو الذى فكر فى تخليد ذكرى محمد عبده ، وهو الذى أرسل باسم محمد عبده بعثة من الأزهر إلى أوربا على نفقة مجلس مديرية البحيرة ، وهو الذى عمل على ربط ما للشرق الإسلامى من ثقافة عقلية وتاريخية بما للغرب من إنتاج عقلى منذ العصر الذى طرح فيه سلطة التقليد وهو عصر النهضة . وهو من أجل هذا قد ساهم فى تكوين عنصر من المثقفين داخل البيئة المصرية يجمع بين ما للعنصر الشرقى المحض وما للعنصر المدنى الآخر من مزايا ؛ يضم إلى تراثه الشرقى الماضى ما يتلاءم من نتاج الغربيين

و « ليس من العجيب كذلك ألا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده » . لأن الأزهر إنما يعنى بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده إذا تمت معرفته لمحمد عبده . وليس تمام معرفته بسرد تاريخه أو التحدث عن أفكاره ، وإنما يكون أولاً بتهيئة العقلية الأزهرية لقبول محمد عبده وأمثال محمد عبده ، وذلك بإبراز مزايا التفكير الفلسفي وسط البيئة الأزهرية ، فإذا اتضحت هذه المزايا لدى العقل الأزهري عرف محمد عبده من نفسه ؛ لأن إنتاج محمد عبده أكثر شبهاً بإنتاج ديكارت . كل منهما قصد إلى التوجيه أكثر من محاولة الابتكار في الفكرة والرأي . فمحمد عبده نادى بألا يكون للتقليد سلطان على التفكير في حياتنا العقلية ؛ وديكارت أقام منهجه في البحث على إبعاد السلطات التي كانت تهيمن في وقته وقبل وقته على التفكير الأوربي وهي كلها مظاهر لشيء واحد ، هو التقليد

وليس لنا أن نيأس من قرب الزمن الذي يتمكن فيه الفكر الفلسفي من نفوس الأزهريين ، على رغم أننا نعرف أن ممن يشرفون على التوجيه العلمي في الأزهر من يحاول أن يفهم أن الفلسفة مادة ، وأنها يجب أن تخضع في بحوثها إلى المنقول أو إلى التقاليد ، أو على الأقل يجب أن تؤمن في بحوثها الميتافيزيكية بسلطان بعض المؤلفين في العقيدة ، لهم صبغتهم الحزبية في كتبهم المذهبية — لأنه من الشيوخ المحبب إلى نفوسهم ترديد معارف الماضي فحسب ، والوقوف في دائرتها دون مجاوزتها إلى الحاضر ، بل من هؤلاء الذين لا يزالون شديدي النفرة من اسم الحاضر ، ومعارف الحاضر ، ورجال الحاضر — ليس لنا أن نيأس لأنه يوجد في الصف الأول في قيادة التفكير الأزهري أمثال : المراغي وعبد المجيد سليم وشلتوت ... ثم من ورائهم الشبان الأزهريون

حقاً ، فيه رغبة قوية من الشبان الأزهريين في تعرف محمد عبده ومشايخ محمد عبده وتلاميذ محمد عبده ممن تتكون منهم المدرسة الجديدة في الإصلاح الديني والتفكير العلمي ، ولكن مع ذلك ، ليس من السهل أن تلقى عليهم أفكار محمد عبده ، أو جمال الدين الأفغاني ، أو أمثال الزنكلوني ، قبل أن نهيئ هؤلاء الشبان ونزيل من نفوسهم ، أو على الأقل نضعف عندهم ما تكوّن من عقيدة ضد محمد عبده ، منذ أن درست لهم « السنوسية » ، وقرئ عليهم تفسير « الخازن »

من الخير للأزهريين أن تتم معرفتهم بمحمد عبده ؛ ومن الخير للشبان الأزهريين — على الخصوص — أن يعلموا من هو محمد عبده كقائد وإمام في الحركات الإصلاحية الدينية والعلمية والقومية ، وأن يعلموا من هو محمد عبده في المحافظة على الكرامة الشخصية والكرامة الدينية ، وأن يعلموا من هو محمد عبده في عزلته إذا اعتزل ، وفي تقديره للأفراد والجماعات إذا اتصل واختلط ؟

من الخير للإسلام ولمستقبل الدين أن يعرف الأزهريون دينهم كما عرفه محمد عبده ، وأن يفهموه عقيدة ونظرة في الحياة لا أن يميلوا به إلى حرفة ومهنة لطائفة

ومن الخير للأمة المصرية أن يعرف الأزهريون محمد عبده ؛ ومن الخير للدولة المصرية إذا ابتغت انسجاماً داخل الأمة المصرية ، أو على الأقل قرباً في التفكير المصري والعقلية المصرية أن تنشئ باسم محمد عبده كرسيًّا في الأزهر كما تعمل على إنشائه في جامعة فؤاد الأول

وأخيراً أقول للأستاذ الفاضل (م ...) : إن من بعثوا إلى أوربا باسم محمد عبده لم يهملوا محمد عبده في عملهم العلمي ؛ فقد بدأتُ التعريف بمحمد عبده في الحياة الجامعية الألمانية بعقد موازنة بين نظرته إلى الإسلام ونظرة هيجل إليه في رسالة صغيرة ؛ ثم كتبت عنه رسالة الدكتوراه في جامعة هامبرج . وهنا في أزهرهم لم يهملوه أيضاً . وإنما رأوا مهمتهم أولاً وبالذات في التوجيه ، إذ فيه الضمان الكافي لقبول تاريخ محمد عبده ، وأفكار محمد عبده ، وبالتالي للتعريف بمحمد عبده

محمد البهي

يوم من أيام دمشق الخالدة

وفاة الامام ابن تيمية

في ٢٠ ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر العام في سورية ولبنان

[بقية ما نشر في العدد الماضى]

— ٣ —

لم يكن ثبات القلعة بدمشق وعودة الجند لتزيلا القلق من النفوس ، فقد أقسم عاهل التتار هذه المرة أن يملك الشام ويفتح مصر عَنوة ، وملأ الدنيا بإشاعاته والناس أشد ما يكونون ذعراً ؛ كل هذا وابن تيمية لا يبالى ، يقعد بمجلسه كالعادة في الجامع يحرض الناس كل يوم على القتال ، ويسوق الآيات والأحاديث الواردة في هذا المعنى ، ويحرم الفرار ويرغب الناس في إنفاق الأموال ، وأن ما ينفق في الهجرة إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً

اضطرت السلطات إزاء هذه الهجرة نحو مصر والكرك والشوبك أن تمنع الخروج بغير ترخيص خاص ، وكانت الأنباء قد وصلت بوصول التتار إلى الشمال مرة أخرى ، وتراجع جند الممالك الحلبية ، ثم نزلت الأمطار فأعاقت السير إلى الجنوب وإلى الشمال

— ٤ —

كان موقفاً رائعاً فذًّا في التاريخ أقرأه ونفسى تضطرب حينما خرج الشيخ في صباح السبت من مستهل جمادى الأولى سنة ٧٠٠ هجرية وقابل نائب الشام بالمرج فواجه الجنود وثبتهم وقوّى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر والظفر على الأعداء وتلا قوله تعالى : « ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بُغى عليه ، لينصرنه الله إن الله غفور رحيم »

وبات ليلته وسط العسكر وهم يحيون هذه الروح التى وضعوا آمالهم فيها

أتدرى ماذا يطلب منه أمير الشام ونائب السلطنة فيها ؟ يطلب إليه أن يركب على البريد إلى مصر ليستحث السلطان على المجىء إليهم . ويسوق الشيخ على خيل البريد إلى القاهرة ، وهو أينما يحل يستحث الناس إلى المبادرة

أقام الشيخ في قلعة مصر ثمانية أيام ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وكان فيما قاله لهم : « إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته ، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه — لو أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم نصره — فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وأنتم مسئولون عنه ؟ »

ثم عاد كما أتى على البريد من مصر ، وقد أدى أمانته ونفخ في النفوس روحاً للكفاح جديدة

— ٥ —

استمر المد والجزر بين الفريقين والرسل تتوالى إلى أن دخلت سنة ٧٠٢ هجرية ؛ وقد قدم جيش مصر وعلى رأسه الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وزحف التتار من جهتين من الشمال فوصلوا إلى البقاع واحتلوا بعلبك ، ومن الشرق وصلت طلائعهم القريتين . كل هذا والتتار لا يعلمون بقدوم السلطان من مصر . ولما وصل دمشق قرر أن يكون المصاف في جنوب دمشق بقرية شقحب ، وأتم التعبئة والحشود ومشى السلطان والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن ، ويحثون على الجهاد ، ويشوقون إلى الجنة .

في هذا الموقف العصيب يقوم الطابور الخامس بدعايته فيقول : كيف تحاربون قوماً أسلموا وهم إخوان لكم ؟ وهنا برز الشيخ بقوته ومضاء فكره فألهمه المولى هذه العبارة :

« هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علىّ وعلى معاوية ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما . وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين ويعيبون على الناس ما هم فيه من المعاصى والظلم ، ولكنهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، والله لو رأيتمونى من ذلك الجانب وعلى رأسى مصحف فاقتلونى » فقويت النفوس وانقطعت دعاية الضلال .

فلما تم الترتيب أخذت كراديس التتار تزحف كقطع الليل والتحم القتال على طول الجبهة قتالاً هائلاً رائعاً بيعت فيه النفوس بغير حساب . كل هذا والجاشنكير يسيطر على المعركة بجند مصر

والشام . وهنا مال قطلوشاه القائد التترى إلى جبل قريب ونظر إلى السهل والجبال المحيطة فإذا الميسرة السلطانية ثابتة لا تتزعزع ، والأعلام خافقة . وجىء إليه بأحد الأسرى فسأله من أنت ؟ فقال من أمراء مصر . فعلم بأنه قد خسر المعركة .

معركة فاصلة دامت أربعة أيام أظهرت فن القيادة والتعبئة لدى القواد المصريين والشوام ، واختتمت بالنصر الباهر الذى نفخ فيه ابن تيمية من روحه .

وقبل اختتامها حاول قطلوشاه للمرة الأخيرة أن يجازف فقذف بمـا بقى لديه من جنده فرسانا ومشاة . وقد ترجل الخيالة فلقيتهم المماليك السلطانية من البرجية بسور من الفولاذ مزقهم شر ممزق وحلت بهم الهزيمة فانتشروا منهزمين إلى القريتين وقد تتبعهم العامة وتقهقر قائدهم عائداً إلى بلاده فلم يعبر الفرات إلا فى شرذمة قليلة من هذا الجيش اللجب الذى عبأ لفتح مصر والشام .

وبات السلطان بالكسوة ثم دخل دمشق وقد فتحت قلبها وتلقته لقاء الأبطال بعد أن أزال الهم والغمة عنها .

وفى مكان المعركة وبغير غسل ولا كفن جمع من استشهد من أبطالها فدفنوا فى موضع واحد وبنيت عليهم قبة أرجوان تكون باقية إلى اليوم .

وكان الشيخ أول من فرح قلبه لهذا النصر المبين .

— ٦ —

مرت ابتداء من سنة ٧٠٥ سنوات كفاح للشيخ من أجل المبدأ يقارع الأيام وتقارعه ، وتغمره موجة من الدسائس فيخرج منها سالماً ، وتعقد المجالس لامتحان عقيدته فيخرج من هذه المغامرات أحياناً إلى الحرية وحيناً إلى السجن . وطلب إلى مصر ، فلما أزمع السفر ازدحم الناس لوداعه . وفى إبان سفره لم يترك فرصة تمر دون أن يقف واعظاً للناس . ولما وصل القاهرة واجتمع له العلماء واختلف معهم أدخل فى أحد أبراج القلعة وبقى بها محبوساً . وكلما نجحت محاولة لإخراجه أبي إلا أن يبقى ، والناس تقصده وترسل إليه المشكل من الأمور لاستفتائه فيه

— ٧ —

انتقل ابن تيمية إلى الثغر الأسكندرى فى صفر سنة ٨٠٩ بصحبة أمير من الأمراء فأدخل فى دار السلطان وأنزل فى برج فسيح منها . ووصلت أخباره إلى دمشق بعد عشرة أيام من سفره من القاهرة ، فقلقت الخواطر عليه وتألم أنصاره وخافوا سطوة أعدائه الذين عقدوا النية على النيل منه . وكان الشيخ يحضر الجمعات ويقيم الوعظ فيأتى إليه الناس من أهل الإسكندرية أفواجاً ينصتون إليه ويقرأون العلم عليه ، وقد ازدادوا تعلقاً به ومحبة له وتقرباً منه

ووصل إلى دمشق كتاب من أخيه يقول : « ... إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها . . . وقد انقلب أهل الثغر أجمعون إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له فى وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين ، ولقد استتاب جماعة منهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفقيه »

ويقول ابن كثير — وهو من المراجع التى اعتمدنا عليهـا مع غيره — : « إن الشيخ أقام بالإسكندرية ثمانية أشهر ، وكان سكنه فى برج متسع مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان ينزل عنده من شاء ويتردد عليه الأكابر والأعيان والفقهاء يقرأون عليه ويستفيدون منه وهو فى أطيب عيش وأشرح صدر »

— ٨ —

دارت الأيام دورتها وعاد الملك الناصر إلى عاصمة ملكه بعد زوال حكم أعدائه ، وكان ذلك فى عيد الفطر المبارك من سنة ٧٠٩ وقد استقبلته فى القاهرة ، وقبل ذلك بدمشق ، دنيا من الأفراح إذ استبشرت العاصمتان بعودة ابن قلاوون إلى ملكه وحيته الجماهير وهتفت له ذلك الهتاف المحبوب : « يا ناصر يا منصور » .

ولم ينس المليك الشاب فى أفراحه الشيخ المجاهد ابن تيمية فأرسل إليه وحضر إلى القلعة معززاً مكرما مبجلاً . وكان قدومه فى ١٨ شوال ، وقد خرج مع الشيخ خلق عظيم من الثغر الإسكندرى يودعونه بالبكاء لتركه مدينتهم . ولـمـا دخل على الناصر تلقاه ومشى إليه وأنس به فى محفل كبير جمع قضاة مصر والشام فأصلح السلطان بينه وبينهم . ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من المشهد الحسينى والناس يترددون عليه من الأمراء والجند وهو يقول لكل من يعتذر إليه : « أنا حللت كل من آذانى » ؛ وجدد الشيخ سابق عهده بدمشق ولكن بمدينة القاهرة المعزية — قلب العروبة — فأخذ يقيم حلقات الدروس وبدأ حياة كفاح وجهاد فى سبيل العلم

ذكرى أم كلثوم

للشاعر التركى إبراهيم صبرى

[نشرت الرسالة فى عددها (٤٨٠) تعريفاً بالشاعر التركى ابراهيم صبرى وترجمة لقصيدة من شعره . وهذه القصيدة التى ترجمها صديقه الأستاذ « محمود محمد شاكر » تعطى صورة جديدة من الشعر التركى بل من الشعر التركى فى غربته . وفيها يصف الشاعر ذلك الصوت الشعرى السامى الذى يسحر السمع ، ويسبح بالروح فى جو ممتد كامتداده ، مرتعش كرعشته ، منتحب كانتحابه : صوت أم كلثوم]

إلى أخى محمود محمد شاكر

انصرفتُ من دعوتك الماضية وقد احتفظت بشعور وإحساس كتب فى ذاكرتى هذه الأبيات :

***

كان يوماً بديعاً مِلْؤُه السرور ! وا حسرتا لذلك اليوم لقد مضى !

ألوان من الطعام لذيذة اتصلت بموسيقى السِّحر التى فاضت على شفتى أم كلثوم الفاتنة ،

قصيدة وردية من أباريق اللحن انسكبت فى أرواحنا .

حين يأخذنى سكر الإبداع أجد قلبى نشوانَ ،

وتذهب أعصابى فى سُبات عميق من فرط ما ثملت .

حينئذ أشعر بعروج خيالى وحده إلى عالم الأرواح

تاركاً على الأرض كل ما هو نقيض لهذا الصوت السماوى .

أرانى أصل بخيالى إلى قمر فى آفاقه نغم ألحانه من عالم الحور والسحر :

هو ذرة أثيرية أخرى لا أبعاد لها ، تكوّن هواء ذلك القمر وماءه وأرضه ونوره الشفاف .

إن هذا الصوت ليس للتراب، إنما حقه أن يسمع فى السموات .

فى مصر التى تشعرك بالبقاء أدوارها التاريخية المديدة

وفى مصر التى يشبه الأهرام فيها صوت أم كلثوم

لا أقف لأستمع بل أبادر لأنظر وأشاهد .

(ليلى والدهر) فى ذلك الصوت كلاهما كومهاء مذهَّبةٍ جديرة بالمشاهدة .

فى هذا الصوت تتمزق صدور العشاق إرْباً إرباً ،

وكيف لا تتمزق فيه صدور العشاق ، وقد ورث نبىٌّ موسيقار لوعة نايه من هذا الوادى .

وإن حفر البشر الهواء فى المستقبل ، فلعلهم يكتشفون فى صوتها صوت المزامير .

حين تبدأ تغنى ينبعث صوتها كأنه وسوسةٌ ذاتُ ألوانَ من الحباب المنطفئ على النيل الأخضر الذى يجرى أمام الشمس النارنجيِّة ؛

ثم إذا بك تراه ينقلب إلى أمواج فى بحر تندفع كل موجاته فترتطم على قلب ؛

ثم إذا بك تراه ينتصر على البعد المطلق .

تخال رَجْـع (نواه) آتياً من وراء الفضاء .

هذا الصوت يغرد كتغريد البلبل فى الجنة ،

كأنما تفوح منه رائحة ماءِ الورد وشجرة العود ؛

كأنه نطفة يجرى فيها ماء الحياة ، لو انصبت قطرة منها على أجساد الموتى لشعروا بها .

هذا الصوت يمسُّ خدَّ السمع كمنديل من الحرير فى كف معطَّرة ،

كم من ناصية قد اعتمدت على هذه اليد الساحرة

تبكي وتنوح ، غارقة فى حنانها ،

هذا هو الشيخ الذى يضم عظامه قبر بسيط بفناء الجامعة السورية ، والذى كان يمثل دنيا وحده وكانت شخصيته فذة جديرة بالبحث والدرس

إننا فى حاجة إلى أن نستلهم الماضى ونستوحى صفحاته ؛ وابن تيمية رجل من رجال الماضى وشخصيته تطل علينا من وراء القرون

كان ابن تيمية دمشقيًّا مائة فى المائة ، وكان مصريًّا مائة فى المائة ؛ فهو حلقة الوصل بين البلدين فى عصر مضى . وإننى كلما دققت النظر فى تاريخه وعمقت التأمل فى أقواله أجد نفسى إزاء رجل أقف أمام ذكراه والاحترام يملأ نفسى

والآن فى أرض هذه العاصمة الخالدة وفى فناء جامعتها المباركة أقول : « هنا يرقد رجل » .

أحمد رمزى

إلى المعترضين علينـــا

للأب أنستاس مارى الكرملى

[تتمـة]

٤ – تتمة كلامنا مع الأستاذ المطابر

لا يقال إلا البساتين الغن ، وإلا الدروع الحمد ، وإلا الكريات البيض ، وإلا الدروع الخضر . وأما قول القائل : البساتين الغناء ، والدروع الحصداء ، والكريات البيضاء ، فخطأ ثم خطأ ثم خطأ . اللهم إلا إذا قدّمت على هذه النعوت كلمات منسوبة مفردة مؤنثة ، فيصح حينئذ مثل هذا القول : بساتين عبقرية غناء ، ودروع فارسية خضراء ، وكريات بيضية بيضاء ؛ وهذا القدر كاف لهذا الموضوع اليابس الناشف ، ولا نعود إليه بعد ، بل نحوّل أنظار السائلين إليه ، وهو الهادى إلى الصواب !

٥ – إلى الأستاذ الأفغانى

كنا نود – يا سيدى الكريم الجليل – أن تكلمنى بالعربية ، لأنى عربى وأجدادى من بنى مُراد ، لا بالأفغانية لسان أجدادك أهل الحسب والنسب ... نعم ، إنى كنت قد اجتلبت كتباً أفغانية من باريس ، لأدرس هذه اللغة البديعة لكن الزمان لم يساعدنى على المطالعة ، فبقيت الكتب فى الخزانة من غير أن أنتفع بها إلى اليوم

قلت لى فى نبذتك فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ : وقد كتب (أى الأب أنستاس مارى الكرملى) الجملة الأولى بخط عريض وأنا لم أكتب عنوان المقال إلا بالقلم الدقيق كما يمكنك أن تطلب الأصل من صاحب (الرسالة) ليطلعك عليه . أما الذى رسمه بالقلم الريان ، وحضرتك تسميه الخط العريض ، فمن منضّد (الرسالة) ، تزييناً للطبع ولسطور الصفحة ، فلو جعلها كلها بقلم واحد ، لملّت النفس ، ونبا البصر ، وعاف القارئ المطالعة ونبذ الصحيفة من يده . وهذا ما تحققه بنفسك فى جميع نبذ (البريد الأدبى) ... إذن ، ليس المزكزك[1] بأنيثهن

(١) ليس المزكزك بأنيثهن مثل عربى قديم مشهور يضرب فى تساوى القوم فى الشر . راجع أمثال الميدانى للوقوف على تفصيل هذا المثل وسبب ضربه

لذلك ينبعث ترديده منتحباً

ولذلك يحرق كما يحرق البكاء

* * *

حين غربت الشمس – انطفأ اللون الأحمر للرمال المتوهجة فى جوف الصحراء فكأنها استحالت رماداً ،

وتردد فى نفسى صدى النغمة الأخيرة لهذا الصوت فأثار وجدى

فقمت للوداع من زاويتى حيث كنت مستغرقاً فى خواطر .

كأن ذا كرتى لم تكن معى

عادت كأنما عادت من وراء أفق بعيد ؛

وكأنها يد وضعت على كتف روحى

وأعادتنى إلى الحقيقة .

تذكرت حينئذ زمناً من الأزمنة الماضية :

اجتمعت ليلة فى بيت صديق ومعنا (سامى)[1]

ما كان أبدع ما غنى من (الغزل) والأصوات !

كيف كوى بها قلوبنا ؟

وكيف امتلأت جفوننا بالدموع ككؤوس خمر ؟

وكيف أصبح شيطان ألحانه ساقياً للعبرات ؟

إذا فاضت دموع التأثر من هذه العيون التى كانت ترسل دموع اللذة فى ذلك الزمن ، فلا بأس !

فإن فى هذه الأرض أصواتاً تجمل الغربة أنساً

وفيها مودتك المخلصة الغالية

ترجمة

محمود محمد شاكر

(١) مطرب تركى

وقلت لى : بخط عريض مذيل ؛ ولم أذيل الخط بشىء ، لعلمى أن ذيل الشىء جعل له ذيلاً ، وذيل الصحيفة كتب شيئاً فى ذيلها زيادة على ما فيها ، وهذا لم أعمله ، ولا أرى هناك ما يؤيد هذا الكلام

وقولك يا سيدى : بخط أفقى ، لا ينطق به فصيح ، إنما ينطق به أرباب الهندسة ، وهو من معرب الكلام الحديث ، ورائحة التعبير الأجنبى تفوح منه . وأما ابن الناطق بالضاد ، فيقول : وتحته خط . وأحسن من ذلك أن يقال : وقد رسم بخط ريان (أو عريض ؟) ، وخطٌ تحته خطًا توجيهاً للأنظار .

ثم نقلت ، يا سيدى ، بعض العبارات من المعاجم تأييداً للخطأ وأنه أحسن من الخطاء . والدليل الذى أتيت به هو أن : أرباب الدواوين ذكروا الخطأ المقصور قبل الخطاء الممدود . وهذا برهان ينطق به الأطفال قبل الحلم ، وهل تكون إلى الآن بهذه السن ؟ ألا تعلم يا سيدى أن أرباب كتب متون اللغة يقدمون الكلمة القليلة الأحرف ، على الكلمة الكثيرتها . خذ بيدك أىّ معجم شئت ، وانظر إلى المصادر ، أو إلى الأسماء أيًّا كانت ، تر أن الكلمة القليلة الأحرف مقدمة على غيرها . وكذلك يفعل أهل الحساب فإنهم يقولون : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، إلى آخرها .

وأما أن صاحب « الصحاح » ضعّف الحرف الذى « ذكر الأب أنه الصواب دون غيره » فهذا لا يعنى أنه مصيب فيما قال . يا سيدى إنك تعلم أن مؤلف الصحاح خُطّىء فى كثير من أقواله اللغوية والنحوية ، فكيف تحتج بكلامه ، وتسر كل السرور لكونه نطق بتلك الكلِم ؟ وهناك من هو أعلى مقاماً منه وهو صاحب الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكرى ، وكان معاصراً للجوهرى ، وقد انتبه لهذه الحقيقة الأستاذ اللوذعى محمد غسان فنقل فى الرسالة (١٠ : ٨٩٢) ما ورد فى ذلك التصنيف المفيد من المقال الزارى على اللآل[١]

زد على ذلك أنى أحاول فى كل ما أكتب أن أتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية باتفاق شهادة جميع قبائل العرب وجميع أمم الأرض قاطبة ، فانه كان يحب الازدواج والمشاكلة والإمتاع والمجانسة ، فقد قال مثلاً : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما فى مأجورات من الغلط فى نظر بعض حمق اللغويين . فلما قلت الخطاء أردت أن أبين أن ما كتبه الناشران لكتاب الإمتاع فى آخره ، حين كتبا : خطأ وصواب ، كان يحسن بهما أن يقولا : خطاء (بالمد) وصواب ، مجانسة للوزن ، لأن كليهما على وزن سحاب ، فالقارىء يتذوق طيب هذه المشاكلة إذا ما رأى فيها هذه الموازنة

هذا ما أحببت عرضه على العلامة المحقق [الأستاذ الأفغانى] وله إعجابى وتحيتى !

٦ — الى الأستاذ داود حمدان

كتبت يا سيدى فى الرسالة (١٠ : ٨٧٠) مخطئاً قولى : « قال ابن دريد فى الجمهرة : « وبالصاد (أى الخص) أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن الغبر خاصة » . كذا فى تاج العروس وهو خطأ أيضاً . والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن العنبر » اهـ

فانبريت لى من أقصى اللد وكتبت : « وقد يقال : عدم الجزم بهذه التخطئة أولى ، فبنو الغُبَّر لهم وجود . جاء فى القاموس المحيط فى (فصل الطاء وباب اللام) : وككتاب (أى طحال) كلب وع لبنى الغبر . راجع القاموس المحيط ففيه شاهد لا يليق ذكره . » اهـ

---

(١) ليلاحظ أستاذى الأفغانى أن صاحب الفروق قدم الخطاء الممدود على الخطأ المقصور ، إذ قال : الفرق بين الخطاء والخطأ ، وإنما فعل ذلك لأنه لا يدون كلم معجم ، بل يرمى إلى صحة التعبير وصحة التقديم والتأخير فاعتراض صاحبى لا طعم له ولا ذوق ، ولهذا يحسن به أن يرجع عن كلامه إن كان يتوخى الحق والعدل ، لا النق والجدل .

قلنا : لو كسرت يراعتك المرضوضة ، وألقيت بها فى التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلة قبل أن تتدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فثل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقى لك أثراً طيباً !

إنك ياسيدى رأيت فى القاموس أن « طحال كلب و ع لبنى الغبر ... » وضبطت : « الغُبَّر » فى قولك هذا بضم وفتح مشددة فكم من غلط فى كلة واحدة !

وأول كل شىء ، أن الغبر ، التى ضبطتها كسكر ، ضبطت فى القاموس المشكول كما ضبطتها . وأما ياقوت الحموى فضبطها فى معجمه : غُبَر كزُفر . والغلط الثانى أنه لم يدخل عليها أل ، وكذا ضبطها ابن دريد فى كتاب الاشتقاق ص ٢٠٥ من طبع أوربة قال : « ومن قبائلهم بنو غُبَر بن غَنم ، وغُبَر فُعَل ، ولم يعرفها باللام هو أيضاً

وضبطها صاحب جزيرة العرب — وهو الحجة العظمى فى هذه المادة « بنو غُبَر » على حد ما ضبطها ياقوت وابن دريد . وعندنا عدة نسخ خطية قديمة من القاموس وكلها تضبطها كزُفر وبلا لام التعريف . وقد قال صاحب القاموس نفسه فى مادة (غ ب ر) : غبر كزفر ولم يذكر فى ذلك التركيب (غُبَّر) كسكر

ثم لو فرضنا أننا صدقنا رواية القاموس الواردة فى مادة طحال ، فمن قال لك إن أولئك المسمين بنى الغُبَّر هم أصحاب تلك اللغة أى لغة قلب السين صاداً ؟ وقلنا : « وبالصاد (أى الصويق) وأنت كتبتها (الحص) فما هذه الخربشة ؟ »

نحن نقلنا ما نقلنا وقلنا ما قلنا لا على مجرد الوهم والتخيل ، بل على الحقيقة . فإن الجهرة لابن دريد مطبوعة فى الهند وما ذكرناه منقول عنها مع بعض الاختلاف هو الوارد فى التاج لكنه قال : « لغة بنى العنبر » لا لغة بنى الغبر . وإن شككت فى ما أقول فما عليك إلا مراجعة الجهرة فهى فى الأيدى لابتذالها فى الطبع . فما معنى هذا التحكك الذى أظهرته يا سيدى وأنت لا تملك من الكتب ما تؤيد مدعاتك ؟ فبنو الغبر كسكر لا وجود لهم ولا للغتهم . فإياك إياك يا سيدى العودة إلى هذا الميدان ، فإنه لا يصيبك منه إلا الهوان ، بعد هذا الامتحان !

(تم)

الاب أنستاس مارى الكرملى
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

إذهب . . .

الأستاذ على متولى صلاح

إذهبْ فإنِّى قد سلوتُ غرامى ... وملكتُ نفسى وانتهتْ آلامى
إذهبْ فقد وضح الصواب ولم أعدْ ... عبـد الخيال ولا فتى الأحـلام
إذهبْ فإنى قد تركتُ عواطفى ... وجعلتُ عقلى فى الطريق أمامى

***

يا طالما أرسلتُ فيك مدامعى ... يا طالما شرَّدتُ فيك منامى
يا طالما ذقتُ الهوان ولم أكنْ ... لولاك فى يوم يهون مقامى
صدًّا لقيتُ وذقتُ ألوان الجوى ... وحملتُ مصطبراً أذى لوَّامى
حيران فى أهلى و بين صحابتى ... أسوان أشكو للنجوم هيامى
الناس من حولى ولستُ أراهمو ... وأراك فى عقلى و فى أوهامى
والنور فى الأرض العريضة مشرقٌ ... لـكننى أحيـــا بأرض ظـلام
والزهر فى عينى مريضٌ ذابلٌ ... والجدول الرقراق جوف رجام
والشعر فى صدرى ذبيحٌ ميت ... والنوْح صدْحى والبكا أنغامى
حتى كأنَّ الفلك غيَّر نهجه ... ومحا السطور البيض من أيامى

***

ما ذا رأيتُ ؟ رأيتُ أنك خائنى ... ورأيتُ أنك لا تصـــون زمامى
ورأيت أنك ساخرٌ بمدامعى ... ورأيت حبك ليس غير كلام !
فالآن فاذهبْ قد سـلوتُ غرامى ... والآن فاذهبْ قد مضتْ آلامى
وعلى جمالك من مُحِبٍّ سابقٍ ... وعلى غرامك ألف ألف سلام

على متولى صلاح

المقــــابر . . .

الأســـتاذ محمد برهام

وقفت فى حذر فيها فروعنى ... ما تبصر العين من صمت و إظلام
تطلعت لى عيون الدوح فى دهش ... وأنعمت فى خيالى أى إنعام
وعاد يهمس هذا الدوح فى أذنى ... أركن لقوم ببطن الأرض نوام
تعال مت مثلما ماتوا فسوف غدا ... تعل كأس الردى من بحره الطامى
تعال مت ميتة فى العمر واحدة ... فقد تميتك ألفاً دورة العام
كأس المنية خذها عن طواعية ... من قبـل أن تتلقاها بإرغام
ولم أكد أبصر الأحجار قائمـة ... والترب يضرب أكواماً بأكوام
حتى نسيت حياة الناس ناحية ... وعاد عيشى بها أضغاث أحلام
ورحت فى عالم الأموات مبتعداً ... عن كل باعث أشجان وآلام
يا ليت كان هنا مثوى أقيم به ... ولا أعود إلى عيشى وأيامى

[عن العبرية] **محمد برهام**



في جماعة كبار العلماء : مصادرة كتاب ومؤاخذة عالم

روت البلاغ أنْ قد عرض على جماعة كبار العلماء في اجتماعها الأخير التقرير الذي كانت وضعته اللجنة المؤلفة من بعض أصحاب الفضيلة أعضاء الجماعة عن كتاب « رد الدرامي على المريسي » الذي طبعه ونشره وكتب مقدمته الشيخ حامد الفقي من علماء الأزهر الشريف .

وقصة هذا الكتاب ترجع إلى أن أحد كبار العلماء وجد فيه أحاديث شك في نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فعرض الكتاب على الجماعة وطلب بحثه فألفت اللجنة السالفة الذكر .

وقد رأت اللجنة في الكتاب جملة مآخذ خلاصتها أن الأحاديث التي يستند عليها المؤلف في روايته غير صحيحة ، وأن الكتاب يدعو إلى عقيدة التجسيم للخالق سبحانه وتعالى ، وأن مقدمة الكتاب فيها مآخذ شديدة وطعن على علماء الكلام ، واتهام صريح لهم بأنهم أفسدوا العقائد ببحوثهم والتغالي فيها وزيفوها وخرجوا بها عن سلامتها . وانتهت اللجنة في تقريرها إلى أن نشر هذا الكتاب وإباحة تداوله هو ترويج لمبادئ باطلة عفى عليها الزمان ، وطلبت مصادرته ومحاسبة ناشره على نشره وعلى ما جاء في مقدمته من طعن على العلماء خصوصاً وأنه رأس جماعة إسلامية للدعوة للدين هي جماعة أنصار السنة المحمدية .

وقد طبع هذا التقرير ووزع على أعضاء الجماعة لبحثه . ورأى فضيلة الشيخ محمود شلتوت عضو الجماعة أن يرد عليه فكتب تقريراً وقدمه للجماعة ووزع على الأعضاء وقد عرض في الاجتماع نفسه . وقد تضمن أن الأحاديث التي طعن فيها والموجودة في هذا الكتاب لها أصل في كتب الأحاديث رواها أبو داود وابن كثير ، وكثير من علماء الحديث . وقال عما جاء في المقدمة من كلمات نابية في حق علماء الكلام الإسلاميين أن المقصود بها أولئك الذين دخلوا في الإسلام تظاهراً وهدفهم الأول الإساءة إلى العقائد الإسلامية وتعاليم الإسلام السليمة ، وهذا المعنى يتجلى في سياق كلام المقدمة، وضرب الأمثال الكثيرة لذلك

وعلى الجماعة أن تقرر مبدأ بالنسبة لهذا الكتاب وما يوجد من الكتب الأخرى وهو دراسته والرد على ما فيه ؛ وهذا أسلوب القرآن الكريم ؛ فسبحانه جل شأنه ساق آراء المشركين والمعارضين للاسلام وحججهم ودعاويهم وعقب عليها بالرد والتفنيد . وهكذا كان شأن علماء الإسلام الأول يسردون أقوال معارضيهم ويردون عليها . وفي الكتب التي بين أيدينا آراء وأقوال لكثير من الطوائف الإسلامية رد عليها راووها وكان في هذا تنوير للباحثين والدارسين والوقوف على المزيف منها والسليم .

وقد أفاد هذا الأسلوب ونفع وأوجد ثروة واسعة للمكتبة الإسلامية وأدى إلى الوقوف على الحركات العلمية التي كانت موجودة في العهود السابقة . ولعل الأزهر لم ينس بعدُ الموقف الذي كان منه في سنة ٣٢ إزاء كتاب تاريخ بغداد ومصادرته ثم فك المصادرة عنه .

وانتهى الأستاذ الشيخ شلتوت من تقريره إلى الاقتراح باتباع أسلوب السلف في حماية العقائد والدين بتفنيد ما يرى أن فيه مساساً بهما والرد عليه وعدم مصادرة الكتاب أو مؤاخذة الناشر على نشره وما جاء في مقدمته .

في نسب العبيديين

في العدد ٤٨٥ من الرسالة كلمة بعنوان (حول نسب الفاطميين) تراءى كاتبها برأي ابن خلدون في تصديق دعواهم في نسبهم المخالف لجماهير أهل التحقيق في التاريخ والأنساب العلوية ، قال ابن خلكان في ترجمة عبيد الله المهدي : (أهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواهم في النسب) . وابن خلدون

ليس بأقل خطأ فى رأيه هذا منه فى (العرب والحضارة) و (العرب والعلوم) ، وأغلاطه فى ما دونه من أخبار الشرق غير مجهولة . إلا أن له هنا دافعاً نفسياً أوقعه فى الشذوذ عن الجماعة ، كما نص على ذلك المؤرخ الكبير السخاوى فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ » نقلاً عن شيخه الحافظ بن حجر ، وذكر فيه أيضاً سبب شذوذ المقريزى فى ذلك

هذا وردُّ كل شىء إلى السياسة مضيعة للحقائق ، وليست كلمة « الغاية تبرر الواسطة » سوى قاعدة « مكيفلية » واهية يبرأ منها علماء الإسلام فى جميع العصور . والحكم الذى أصدره كبار الأئمة من علماء بغداد فى تزييف نسب العبيديين وافقهم عليه علماء الأمصار كالقاضى أبى بكر الباقلانى وأبى منصور عبد القاهر التميمى وأبى المظفر الإسفرايني ومؤرخ الإسلام الذهبى وابن تيمية وغيرهم . ومن درس سير أولئك العلماء الذين وقعوا ذلك الحكم استيقن أن أحدهم يفضل الموت على إصدار حكم مخالف للشرع في نظره . ولم يكن الخليفة يومئذ القادر بالله بقادر على إكراههم على القول بما لا يعتقدونه لأنهم كانوا أهل الحل والعقد فى الدولة مع عظم منازلهم فى الأمة ، على أن القادر بالله لم يوصم فى التاريخ بظلم ولا عدوان بل ذكر بالدين والتقوى .

ومما يدل على بطلان دعواهم فى الانتساب إلى محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق : أن إسماعيل مات فى حياة والده ، ومحمد لم يعقب كما قال النسّابون الثقات على ما هو مبسوط « فى الفرق بين الفرق » وغيره ، فصلتهم بإسماعيل بن جعفر الإمام كصلتهم بالإسلام . وقال ابن طولون فى « اللمعات البرقية فى النكت التاريخية » فى ترجمة الحاكم : وكن هو وأسلافه يدعون الشرف ويقولون : أبونا على وأمنا فاطمة ، كان فى كل أسبوع يقول ذلك على المنبر ، وكانت الرقاع ترفع إليه وهو على المنبر فرفعت إليه رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

إنا سمعنا نسباً منكراً ... يتلى على المنبر فى الجامع
إن كنت فيما قلته صادقاً ... فانسب لنا نفسك كالطالع
أو كان حقا كلُّ ما تدعى ... فاعدد لنا بعد الأب السابع

وزاد غيره :

أو فدع الأشياء مستورةً ... وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها ولم ينتسب فيما بعد . ولما دخل المعز العبيدى مصر وسُئل عن نسبه سلّ سيفه وقال « هذا نسبى » ونثر الذهب وقال « وهذا حسبى »

ثم إن الكاتب لو رجع إلى بعض كتب الأصول لعلم أن الأحكام الفقهية مسائل كلية لا جزئية ، فلا وجه لادعاء تأثرها بالظروف والأحوال فضلاً عن ادعاء الحاجة إلى نسخها بالاجتهاد ، وإنما الأحكام الجزئية هى أحكام القضاة فى القضايا الجزئية ؛ ولعلم كذلك أن « الأحكام » فى كلمته جمع محلى باللام فيفيد العموم ، فيكون حملها على بعض الأحكام تراجعاً عن نص المدعى ودلالته . على أن القول بنسخ حكم من أحكام الشرع بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الدين الإسلامى ، ولذلك ترى إجماع الأئمة خلفاً عن سلف على إكفار من يقول بذلك ، كما فى مراتب الإجماع لابن حزم وغيره

صلاح الدين شعبان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 488

Lundi - 9 - 11 - 1942



بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

العـــدد ٤٨٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

دفاع عن البلاغة

أسباب التنكر للبلاغة ، البلاغة ، الذوق ، الأسلوب

السرعة ، والصحافة ، والتطفل ، هى البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر

فالسرعة — وهى جناية اختراع الآلة على الناس — كانت جريرتها على الفكر بوجه أعم ، أن استحال تقدير القِيَم التى يحتاج وزنها إلى الروية والتأمل ، أو إلى الأناة والصبر ، فظهر الخبيث فى صورة الطيب ، ودخل الردئ فى حكم الجيد ، وقيس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة !

وكانت جريرتها على البلاغة بوجه أخص ، أنها أصابت الأذهان فلم تملك أن تحيط بالأطراف ، ولا أن تغوص إلى الأعماق ، فباء أكثر ما تنتج من الزَّبد الذى لا رجْع منه ولا بقاء له .

وأصابت الأفهام فلم تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام ، فكان أغلب ما تقرأ من الأدب الخفيف الذى لا غَناء فيه ولا وزن له

وأصابت الأذواق فلم تستطع أن تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة ، فاختلط الحلو ، بالمر ، والتبس الفج بالناضج .

فالكاتب البليغ قد يعجله الحافز الملحّ من تمهد كلامه فيأتى بالركيك التافه . والكلام البليغ قد يسرع فيه النظر

فلا يفطن الذهن إلى عبقريات الفن فى تصوره وتصويره فيذهب فى ذمة الغثّ . وقد تقع السرعة خطأ فى موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطاً فى حسن الإنتاج . وربما عابوا الكاتب المروّى بالإبطاء وغمزوه بالتجويد وسفهوا قول الحكيم القائل : « لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون فى كم فرغ ، وإنما يسألون عن جودته وإتقانه » .

***

والصحافة — وهى من فنون الأدب المستحدثة — كانت جريرتها على البلاغة أنها أوشكت أن تستبد بالمجال الحيوى للكتابة . وليس فى هذا الأمر على ظاهره نكير ولا مؤاخذة ، ولكن عمل الصحافة رواية الأخبار العالمية ، وتسجيل الأحداث اليومية ، ونشر الثقافة العامة ؛ وهى فى كل أولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والإسفاف والمط مراعاة للموضوعات التى تكتب فيها ، وللطبقات التى تكتب لها ، وللسرعة التى تعمل بها . ولو كان للصحافة كتابها وللتأليف كُتَّابه لما لقيت البلاغة منها أذاة ولا مضرة ؛ ولكن حالها مع الكتاب كحال السينما مع المسرح . فهى أوفر فى المال ، وأقوى فى السلطان ، وأوسع فى الانتشار ، وأشمل فى المعرفة ، وأغنى فى الوسائل ، ولذلك غلبت الكتاب على أمراء القلم ؛ فهم يعملون فيها على ما تقتضيه أحوالها من مجاوبة السرعة وتوخى السهولة وإيثار العامية . وللصحافة سبعة أبواب لا يدخل بلغاء الكتاب إلا من باب واحد . أما سائر الأبواب فهى لأنماط من ذوى الثقافات المختلفة هيأتهم ملكاتهم ونزعاتهم ليكونوا جنوداً فى جيش « صاحبة الجلالة » ، فحملوا القلم لأنهم لا بد أن يكتبوا ، ثم حملهم إدمان الكتابة ومواتاة النشر على أن يعالجوا الأدب الرفيع فقعد بأكثرهم وهن السليقة وضعف الاطلاع عن مجاراة الموهوبين من أهله ؛ فسوّل لهم الغرور أن يخفضوا مستوى البلاغة ، ويبتذلوا حَرَم الفن ، ويوهموا الناس أن أدب الدهماء هو أدب المستقبل ، لأن العصر عصر السرعة ، ولأن الشأن شأن العامة ، ولأن الديمقراطية تقضى باختيار لغة الشعب وإيثار أدبه . وما داموا هم الكثرة وقراؤهم هم الكثرة ؛ فإنهم بحكم الديمقراطية يملكون وحدهم حق التشريع فى الأدب : فينهجون القواعد ، ويقررون الأساليب ، ويمينون الكتاب ويوجهون الرأى

من أجل ذلك طغت العامية ، وفشت الركاكة ، وفسد الذوق ، وأصبحت العناية بجمال الأسلوب تكلفاً فى الأداء ، والمحافظة على سر البلاغة رجعة إلى الوراء ، ولم يبق للمخلصين للغة الوحى وأدب الرسالة إلا أن يكتبوا لأنفسهم ولمن يعصمهم الله من أعقاب هذا الجيل

على أن العامية الأدبية عرض من أعراض العامية الاجتماعية . فمتى برئ المجتمع من أمراض الضعة فجنح للقوة وطمح للكمال ، ظهرت الأصالة فى فكره ، والمتانة فى خلقه ، والسلامة فى ذوقه ؛ وحينئذ يتكون الرأى الأدبى العام ، وهو وحده الذى يراقب ويحاسب ، ويؤيد ويعارض ، فلا تجوز عليه دعوى ، ولا ينفق فيه زيف ، ولا يظفر به متوف

***

أما التطفل فقد رأيته ظاهر الأثر على موائد الصحافة ! ولكن هناك ضرباً من التطفل المغرور يجوز أن نفرده بالذكر : ذلك هو تطفل فئة من أرباب المناصب لا يقدح فى كفايتهم ألا يكونوا كتاباً ولا شعراء ؛ ولكنهم يأبون إلا أن يضموا المجد من جميع حواشيه فيتكلفون ما ليس فى طباعهم من صناعة البيان فيقعون فى النقص وهم يريدون الكمال !

قد ينبغ أولئك السادة فيما يُملك بالتحصيل والمزاولة ، كالتعليم والتأليف والمحاماة والسياسة ؛ ولكنهم أعجز من أن يخلقوا فى رؤوسهم ملكة الفن بمجرد الإرادة أو الأمر أو الادعاء . فإصرارهم على أن يُعدوا فى كبار الكتاب على ما فيهم من تخلف الطبع وخمود القريحة وضعف الأداة ، دفعهم إلى مشايعة الجهلاء فى تنقُّص البلاغة وخفض مستواها إلى الدرك الذى لا يعز مناله على القاعد . وهذه المشايعة من قوم لهم فى التوجيه الثقافى رأى مسموع وأثر ملحوظ أخطر على البلاغة من كل ما تمانيه فى هذه المحنة

لذلك كان من البر بالأدب والإخلاص للفن أن نتقدم إلى قرائنا بهذه الفصول .

« للكلام بقية » **احمد حسن الزيات**

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٣ـ حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكي مبـــارك

الأسلوب — الفكاهات — الرحلة الثانية — الرحلة الفكرية — أسلوب وأسلوب — كلمة ختامية

الأسلوب

أشرنا من قبل إلى أن أسلوب المويلحي يغلب عليه السجع فلنقرر أنه لا يعفى نفسه من أثقال هذه الحلية إلا حين يخوض في أحاديث يُطلب فيها الإقناع لا الإمتاع . ومعنى هذا أن مقابات الـكلام ترجع في جملتها إلى مقامين : مقام نخاطَب فيه العقول ، ومقام تناجَى فيه القلوب . فالترسُّل الحرّ هو أسلوب الإقناع ، والنثر الفنى هو أسلوب الإمتاع ، وبين هذين المقامين صلات دقيقة يعرفها جهابذة القلم البليغ

فهل التزمَ المويلحي هذه الخطة في جميع الأحوال ؟

الظاهر أنه لم يراعها كل المراعاة ، فقد سجع في مواطن لا يجوز فيها السجع ، وحار قلمه بين موجبات العقل ، وموحيات الذوق ، فلم يسلم في بعض الظروف من الإسفاف

نصّ شوقي على سجع المويلحي حين رثاه فقال :

رُبَّ سجعٍ كرقص الروض لمّا يختلف لحنُهُ ولا إيقاعُهْ

أو كسجع الحمام لو فصلتْهُ وتأنتْ به ودقّ اختراعُهْ

هو فيه بديع كل زمانٍ ما بديعُ الزمان ما أسجاعه ؟

ومن الواضح أن شوقي يرثي ، والرثاء يبيح التهويل ، ولهذا جاز أن يكون سجع المويلحي أبرع من سجع بديع الزمان ، مع أن الفرق بين فن المويلحي وفن البديع ، كالفرق بين « عيسى بن هشام » الجديد ، و « عيسى بن هشام » القديم ؛ وسيظل بديع الزمان هو البديع ، لأنه المبتكر الأول لهذا الفن الجميل ، الفن الذي ينقد المجتمع عن طريق الأسمار والأحاديث ، باللمحة البارعة والأسلوب الرشيق[1]

المويلحي يتعثر في الأسجاع ، ولـكنه قد يبلغ الغاية في بعض الفقرات ، كأن يقول على لسان المحامي وهو يخاطب موكلاً رجاه أن يرجئ الأجر إلى آخر الشهر :

« أتظن أن هـذه الوعود ، تقوم لدينا مقام النقود ، في بلد كـثُر فيه الإنفاق وزادت الضرورات ، وقلّ فيه الربح كما قلّت المروءات ، وصار الدرهم أعزّ عند الأب من بنيه ، وعند الإبن من أبيه ؟ وقد تعبتُ في القضية تعبَين : باللسان وبالجنان ، ولا أستريح منهما إلا بنقد الأصفر الرنّان . فلا تجعل الخلاص من قضية بقضية ، والفكاك من بلية ببلية ، فذلك ما لا يأتيه العقلاء ، ولا يرتضيه الأمراء »[1]

وكأن يقول : إنه رأى في ساحة المحكمة : « وجوهاً مكفهرّة ، وألواناً مصفرّة ، وأنفاساً مقطوعة ، وأكفّاً مرفوعة ، وباطلاً يُذكر ، وحقاً يُنكر ، وشاكياً يتوعد ، وجانياً يتودد ، وشاهداً يتردد ، وجنديًّا يتهدد ، وحاجباً يستبد ، ومحامياً يستمد ، وأمًّا تنوح ، وطفلاً يصيح ، وفتاة تتلهف ، وشيخاً يتأفف »[2]

وجملة القول أن الأسجاع الجيدة عند المويلحي كثيرة ، أليس هو الذي يسجع فيقول في التبرم بالناس :

« إن سالمتَهم حاربوك ، وإن وادعتَهم ناصَبوك ، وإن صادقتَهم خانوك ، وإن اتقيتَهم كادوك ، وإذا خالطتَهم لا تأمن الاعتداء ، وإذا مازحتَهم لا تعدَم الافتراء ، وإن طالبتَهم بحق ، فإنك لا تسمع الصُّمّ الدعاء »[3]

الفكاهات

المويلحي كثير التندر والدعابة ، وهو ألطف ما يكون حين يسوق الفـكاهة بطريق النقد الملفوف ... أراد أن يعيب عدم استقرار محكمة الاستئناف في مكان فقال وهو ذاهب إليها مع الباشا : « ولعلنا نجدها بإذن الله في مكانها ، فقد تعودت التنقل من مكان إلى مكان ، ثم اقتربنا فوجدناها »[4]

والـكلمة الأخيرة من دقيق التنكيت ... وقد عاش المويلحي إلى أن رأى محكمة الاستئناف قد استقرت في مكان !

وأراد أن يفصح عن جرأة « المحامي الشرعي » في ذلك الزمان فأدار الحديث على مثل هذه الصورة :

— علمنا أنك رجلٌ عدلٌ عفٌ ، فجئناك لقضية في وقف

(١) « عيسى بن هشام » : شخصية اخترعها الهمداني ونقلها عنه المويلحي ، وهي شخصية خفيفة الروح هنا وهناك

(١) ص ٦٨ (٢) ص ٣٧

(٣) ص ١٦٩ (٤) ص ٦٥

— أتطلبون رَيْعه ؟ أم تريدون بيعه ؟

— سبحان الله ! وهل تباع الأوقاف ؟

— نعم ، ويباع جبل قاف !

ثم يصير السجع نفسه فكاهة فى هذا الوضع « تنحنح الشيخ وسَعَل ، وبَصَقَ وتَفَل ، وتسَمَّط ، ثم تمخَّط ، واقترب منا ودنا ، ثم قال لنا »[1]

وأراد أن يصور بلاء الناس بطول الإجراءات فى المحاكم فقال :

« نسأل الله أن ينقذنا مما أصابنا من حكم الدهر ، وأن يعجل بانقضاء القضية قبل انقضاء العمر »[2]

وهذه فكاهة مرة المذاق ، فلعل إجراءات المحاكم المصرية أصبحت أقصر مما كانت فى ذلك الزمان

الرحلة الثانية

وعد المويلحى فى نهاية الرحلة الأولى بأنه سيقوم برحلة ثانية ليصور المجتمع فى الأقطار الغربية ، وقد انتظر القراء هذه الرحلة عشرين سنة ، انتظروها من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٢٧

فتى قام المويلحى بالرحلة الثانية ؟

حدثنى الأديب إبراهيم المويلحي تليفونيًا أن هذه الرحلة كانت سنة ١٨٨٩ ، فعارضته فى التاريخ ، لأن معرض باريس لسنة ١٨٨٩ هو المعرض الذى أقيم فيه بُرج إيفل أول مرة ، وفى الرحلة الثانية فقرات صريحة فى أن المعرض الذى زاره المويلحى لم يكن ذلك المعرض ، لأنه يتحدث عن « إيراد البرج فى المعرض السابق » ولأنه يتحدث عما انتهى إليه أمر « المسيو إيفل » وقد اتهم بالسرقة والاختلاس وسجن فى قضية « بناما » ولا يمكن أن يقع ذلك فى سنة ١٨٨٩

وبعد يومين تفضل الأديب إبراهيم المويلحي فأخبرنى أنه راجع ما عنده من دقائق فعرف أن الرحلة الثانية كانت فى صيف سنة ١٩٠٠ وأن أصولها أرسلت من باريس ونشرت فى « مصباح الشرق » على فترات

وإذن يكون المويلحى قبر الرحلة الثانية سبعاً وعشرين سنة ، فما سبب ذلك ؟

لعل السبب يرجع إلى أن المويلحى كان يستصغر محصول الرحلة الثانية ، ولعله كان يرجو أن تتاح فرصة يزور فيها أوربا زيارة الباحث المدقق ، ليؤلف كتاباً فى قوة كتابه الأول ، ثم صنع الدهر ما صنع فصرفه عما يريد ، ولم يبق إلا أن يقنع بالمحصول السابق من الرحلة الثانية ، فطبعها قبل أن يموت بثلاث سنين

رحلة أمين فكرى

والمؤكد عندى أن رحلة أمين باشا فكرى كانت السبب فى تردد المويلحى ، فقد كان يحبّ أن يصل إلى دقائق تفوق ما احتوت عليه « الرحلة الفكرية » فما تلك الرحلة ؟

الجمهور يجهل أن القاهرة شهدت فى سنة ١٨٩٢ ظهور كتاب لم تعرف مثله اللغة العربية ، وهو كتاب « السفر إلى المؤتمر » فى صفحات بلغت ٨٢٣ بالقطع الكبير . وفيه وصفٌ للحيوية الصناعية فى البلاد الأوربية ، وصفٌ لم يكتب مثله كاتب فى الشرق الحديث . وقد كنت شرعت فى كتابة بحث أصور به قيمة هذا الكتاب النفيس ثم انصرفت عنه لبعض الشؤون ، ولعلى أرجع إليه بعد حين

نحن فى صحبة كاتبيْن وصف أولهما معرض باريس سنة ١٨٨٩ ثم وصفه الثانى فى سنة ١٩٠٠ ، فما الفروق بين هذين الكاتبين ؟

لا جدال فى أن أسلوب المويلحى أروع وأرشق ، ولا جدال فى أن المويلحى مفطور على الحاسة الفنية ؛ ولكن عند الباحث أمين فكرى نزعة علمية قليلة الأمثال ، فقد وصف المعرض وصفاً هو الغاية فى تعقب الأصول والفروع من حيوات العلوم والفنون

قضى الباحث أمين فكرى تسعة أيام فى زيارة المعرض ، وهو فى صحبة أبيه عبد الله باشا فكرى ، أحد أئمة الأدب فى الجيل الماضى ، ورئيس الوفد المصرى إلى مؤتمر المستشرقين الذى عُقد فى بلاد السويد والنرويج سنة ١٨٨٩

كان أمين فكرى يسجل مشاهداته فى كل يوم ، وأى مشاهدات ؟ كان يتعقب ما ترى عيناه بالبحث والفحص والتشريح ثم يسجل ما يراه بعبارات فصيحة بلينة أغناها الوضوح والتحديد عن التزويق والتنميق

إذا قال محمد المويلحى إن برج إيفل هو إرَم ذات العماد ، أخذ أمين فكرى فى سرد تاريخ البرج وتصميماته الهندسية ، وانطلق فتحدث عن طبيعة الأرض القريبة من نهر السين ، وطاف بشؤون علمية لا تخطر للمويلحى فى بال

والحق أن أمين باشا فكرى آية من آيات النبوغ المصرى ، وما كان بينه وبين أبيه يشابه ما كان بين المويلحى وأبيه ، فشهرة

---

(١) ص ١٠٤ (٢) ص ١٠٩

عبد الله فكرى طغت على منزلة أمين فكرى ، كما أن شهرة ابراهيم المويلحى طغت على منزلة محمد المويلحى

وأمين فكرى نفسه يحدثنا فى المقدمة أن أباه عبد الله باشا فكرى كان ينوى كتابة هذه الرحلة ، وأنه ألمع إلى ذلك فى خطاب أرسله من لوسرن إلى الوزير على باشا مبارك ، ثم دهمه المرض والموت ، فكان مصير الكتاب إلى ابنه أمين .

أسلوب وأسلوب

فى « السفر إلى المؤتمر » صحائف من إنشاء عبد الله فكرى ، وهى تشهد شهادة قاطعة بأن أسلوب الأب وأسلوب الابن يختلفان بعض الاختلاف

فتى نصل إلى مثل هذا اليقين فى التمييز بين أسلوب محمد المويلحى وأسلوب أبيه إبراهيم ؟

محمد المويلحى ترك « حديث عيسى بن هشام » وابراهيم المويلحى ترك « حديث موسى بن عصام » وهو منشور بجريدة « مصباح الشرق » ، فإن سمح الوقت يوماً بالموازنة بين الحديثين فسنعرف مَدَى الفرق بين الأسلوب .

إحدى الطرائف

من طريف ما لاحظتُ أن أسلوب عبد الله فكرى تغلب عليه النزعة الأدبية ، على حين تغلب النزعة العلمية على أسلوب ابنه أمين

ولا كذلك الحال بين المويلحى وأبيه ، فالابنُ تغلب على أسلوبه النزعة الأدبية ، أما الأب فتغلب على أسلوبه النزعة العلمية

والظاهر أن الجيل الماضى فى مصر يحتاج إلى دراسات ، فهو الذى وضع الأساس لبناء الجيل الجديد ، وكان فيما أرى على جانب من العافية ، تصوّره النكتة الآتية :

كان الوزير على باشا مبارك رجلاً من أهل الجد الرزين ، ومع هذا استطاع عبد الله باشا فكرى أن يصف له ملاعب أوربا فى خطاب يقول فيه :

« وكم رأينا فى تلك البطاح ، من صِباح مِلاح ، كل خَوْدْ رَدَاح ، شاكية السلاح ، من ألحاظ كالصفاح ، مراض صحاح ، وقدود كالرماح ، دامية الجراح ، فاتكة فى الأرواح ، وليس عليها لدى القانون فيما جَرحتْ جُناح ، وكل ما اجترحتْ مباح ، وهن منتشرات فى تلك الجهات كعقد خانه السمط فانتثرت دُرَرُه ، وروضٍ ألحتْ عليه الريح فتبدّد زهَرُه ، فهن ظباء فى هذه المراتع روائع ، وأقمار من هذه المطالع طوالع ، وأنوار فى تلك المواضع سواطع ، قد رُبين فى مهاد الدلال رواضع ، وغذّيهن بلبان الَجمال لا الِجمال المراضع ، فبرزن كالحور فى غلائل نُور ، أو ورد جور ، فى زجاج بلور ، تراهن بين الأشجار ، فتراهن بعض الأزهار »[1]

أيُكتَب هذا الكلام إلى وزير اسمُهُ على مُبارك لا زكى مبارك ؟

كان أسلافنا فى عافية ، وكانوا يرون التشبيب فناً من البيان ، ولم يكن من العيب أن يوضع مثل هذا الخطاب في وثائق مجلس الوزراء . فعلى رجال الجيل الماضى ألف تحية وألف سلام !

كلمة ختامية

بهذا المقال الثالث نختم القول فى توجيه الطلاب إلى فهم سريرة عيسى بن هشام ، فقد أفصحنا عن أهم الدقائق من تلك السريرة ، ورفعنا عن المؤلف بعض الآصار التى أثقله بها معاصروه وأزحنا الستار عن حقائق كانت مجهولة عند الكثير من أبناء هذا الجيل

وأنا أرجو من ينظر فى كتاب « حديث عيسى بن هشام » أن يتذكر أنه كتب فى عصر كانت لأبنائه عقيدة أدبية ، فما كانوا يخطّون حرفاً إلا بميزان ، ولا كان الفتى منهم يتطاول إلى تسطير مقال إلا بعد أن يستوعب ما يصل إليه من آثار القدماء ، ولا كان يتسامى إلى الأدب إلا من زُوِّد بمواهب تضمن له الخلود

وما ظنّكم بجيل كان من أبنائه محمد عبده وسعد زغلول وتوفيق البكرى وأحمد تيمور وإبراهيم المويلحى ومحمود البارودى وعبد الله فكرى وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ؟

لا تنسوا أن الجيل الماضى كانت له عقيدة أدبية وعقيدة قومية . لا تنسوا أنه ترك آثاراً تستحق الدرس والاقتداء . لا تنسوا أنه لا يليق أن نكون أقل منهم حرصاً على التحليق ، ونحن نملك من الوسائل ما لم يكونوا يملكون

إن « حديث عيسى بن هشام » صورة من صور القلق الاجتماعى ، وهو يشهد أن مؤلفه كان يتجه إلى خلق جيل جديد يَسلم من أوضار الجيل العتيق

---

(١) السفر إلى المؤتمر ص ١٠٠

عودة إلى تحفة الأستاذ على طه

أرواح وأشـــباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

(تتمة)

ألم يتضح بعدُ أن كلامَ الشاعر فى الفنان وعلاقته بالمرأة ليس جمَّاع ملحمته ، على ما قد يذهب إليه وهم واهم ؟ أليس ذلك الكلام سبيلاً إلى وصف الكفاح بين الروح والجسد بذكر حقائق بشرية عامة هى المادة التى صدر عنها خيال الشاعر ؟ ألحق أن شعره تحفة من الأدب الإنسانى الصادق بعينه . ويجمل بالقارئ وهو يطالع مثل هـذه التحفة ألا يميل إلى الكسل كى لا يمنعه من البحث فيها عن المميِّزات التى تُدخلها فى نوعها من الأدب . فإن هو أدرك هذه المميِّزات رأى أن التحفة فتحت باباً جديداً واسعاً فى الأدب العربى بالاقتباس من أنواع الأدب الأجنبى ، وعرف قدرها خصوصاً من هذا الوجه

فقد توافرت فيها مميزات النوع المعروف عند الغربيين باسم ملحمة : شعر فى الإنسانية يعبر عن وجدانيات وفِكر معروفة فى المأثور من أساطيرها الشرقية والغربية ، وفى المعهود من طبعها وعاداتها وخلالها وعقائدها ، وفى علمها وأدبها . وهو شعر رفيع صادر عن إيمان من الشاعر برأيه ، ويشفُّ عن إيمانه لهجتُه وبلاغته فيما قص ؛ وقد مزج الحقيقة والخيال فى قصصه ، وبعث فيه الحركة والحياة بفنه ؛ وطالت قصيدته حتى بلغت أربعمائة بيت ونيفاً . فهى ملحمة ليست يونانية موقوفة على تمثيل شخصيات بعينها من جيل إغريقى معين ، ولا مترجمة ، ولا فرنسية ، بل هى إنسانية مبتكرة فى الأدب العربى

وإذا كانت العزة القومية تغرى بأن نُسر لمثل هذا التجديد فإنما وجه السرور أننا نأخذ من الأجنبى ما يلائمنا ويندمج فى آدابنا وأساليبنا ، كما أخذ أسلافنا وكما أخذ هو منهم وأفلح ، وأنها جاءت ملحمة عربية من أدبنا فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ومعنى ذلك أننا ما كنا لِنَنْفر من أدب بنى جنسنا ، بل إننا نرجو له أن يتخلص كل التخلص من الجمود ليتصل كال الاتصال بحركة الحياة الإنسانية الحاضرة فيعود إلى ما كان عليه من خصب فى أيامه الذهبية

وهذه الملحمة أدب عربى لا يقاس على كل مقاييس الآداب الأجنبية حتى يقال ، مثلاً — من أجل بيت أو بيتين — هـذا شعر رومانتيكى ، ولم يكن للأدب العربى عصر رومانتيكى بمدلول هذه الكلمة الأجنبية ، أو حتى يقال إن نظرة الشاعر إلى الفن والحياة فى ملحمته نظرة رومانتيكية جعلت من الفنان « صدى عابراً ... ورحاً مجنَّحة الخاطر » فى حين أن نظرته إنسانية اجتماعية لا فردية ، وعقلية علمية لا وجدانية ، وإن عرض هذه النظرة بشعر مزاجه الخيال والوجدانيات وبلاغة هزَّة الإلهام ، وكان فيه ما فى طبائع البشر التى وصفها من انفعالية sensibilité وشهوانية sensualité

ألا إن هذه التحفة شعر يملأ النفس جلاله ، ويثير الفكر فى موضوعه الذى تترامى آفاقه كلما حاول النظر أن يتتبعها ؛ وإن صاحب التحفة لشاعر شاعر ، أسلوبه ساحر ، وهو قادر حتى على تشريف كلام يُعَد خارج شعره من السهل غير الممتنع ، كالبيت الثالث من قوله :

وكنت فتى ساذجاً لا أرى ... سوى دمية صُوِّرت من نقاء
أنيل الثرى قــدَمَى عابر ... يعيش بأحلامه فى السماء
فأصبحت شيئاً كـكل الرجال ... وأصبحت شيئاً كـكل النساء

أليس فى ثالث هذه الأبيات كل حسرة الفنان المؤلمة على روحه الخائبة ، وكل لهَفه على ما استحال من نظرته العفيفة إلى الجمال يوم كان فتى ساذجاً لا يرى مكر الغريزة به لشغله عنها بخواطره وخوالجه السامية ، ومُثُله العليا فى الحياة ؟ أليس ما أفعم قلبه من أسف مصبوباً كله فى قوله « شيئاً » للتحقير ؟ وقد قوَّى التنكيرُ ما حلت كلمته من معنى التحقير فى موضعها

إن وقعت فى الكتاب شجمة لا ترضيكم فلا تبتسموا ابتسام السخرية ، فهى الدليل على ابتلاء المؤلف بمحنة الفنون

على أنى أحب أن تكون لكم عيوب الوبلحى ، وهى عيوب رجال ، وأكره أن تكون لكم محاسن أهل النفلة ، وهى محاسن أطفال

كونوا مبدعين فى جميع الميادين ، وكونوا أنتم أنتم ، ولتكن صورة الوجه هى التى تميزكم بعد صورة الأسلوب .

زكى مبارك

من سياق البيت تلو البيتين البليغين الأولين ، وانتقل هذا المعنى بأداة التشبيه إلى كل الرجال . ثم أليس شجوه لتدهور المرأة معه ، أو تدهوره معها ، مُرَكَّزاً في الشطرة الثانية من البيت ؟ ألم يُصبح كلامه من السهل الممتنع ؟ الحق أن ما فيه من مزيّة شعرية ، وروعة معنى ، وسحر بيان ، هو شيء بليغ يُعلي النفس ويَعلو على كل تقدير . وهو شيء ليس يستطيع إنكاره سوى الذين لا يعرفون كنه الشعر فيظنون أن الشعر هو ما تَزدان به ماهيته الخافية عنهم من التشبيه الجميل ، والمجاز البارع ، والكناية البديعة ؛ وإنما أولئك زينة الأثواب ، وقد يكون لؤلؤها بهرجا ، وزواقها خادعا ، فتكون معارضَ زائفة تنقص قيمة الشعر أو لا شعر تحتها .

وهل من قول في أسلوب على طه بعد أن كتب إليه خليل بك مطران : « جئت بالطريف من المعنى ، في الصريح الشائق من المبنى ... إن في مطالعة أرواح وأشباح لمتعة فكرية ولذة فنية » ؟ وبعد أن كتب صاحب الرسالة : « هي في الصياغة مشرقة البيان ، منتقاة اللفظ ... هزت نفسي هزاً شديداً ، فكنت أطيل الوقوف عند كل رباعية ، وأديم النظر في كل بيت ، أتذوق جمال صياغته برفق ، وأستجلي سر بلاغته في أناة »

هزت نفسه ، فأدام النظر في كل بيت ليتذوق ويستجلي . ذلك لأن اللذة التي يجدها الذوق يكشف التحليل سرها فيضاعفها في النفس

فإن الذوق ملكة مركبة من الشعور ، أي الانفعال ، لأن المحاسن والعيوب تؤثر فيها بالطبع ؛ ومن الذكاء ، لأنها تحلل تأثرها باحثة عن أسباب الاستحسان وأسباب الاستهجان ، وتنظر فيما تجد من دواعي الإعجاب ودواعي الإنكار ، وتوازن بينها . وأثر الانفعال ، أي وقع الشيء ، هو الحاكم الطبيعي أول وهلة ، أما النظر فهو الحكم بعد ذلك . والمعتاد من هذا الحكم إذا اقترن عند صاحبه الانفعال السريع بالعقل الثاقب النيّر ، ألا يجيء قضاؤه إلا مؤيداً لقضاء الحاكم الأول . ولذلك كتب الأستاذ الزيات ، بعد إدامة النظر : « إن أسلوب هذه الملحمة ليس بدعاً من أسلوب علي طه ، فإن الصفات الغالبة على أسلوبه كله ، هي الوضوح والأناقة ، والسهولة والسلامة »

***

أما بعد ، فقد تبين من مزايا « أرواح وأشباح » أن إمعان النظر في هذا الصنيع — كما هو ، يزيد الناظر إعجاباً به في ذاته ، وإعجاباً على إعجاب بطبعته . وما أجمل ائتلاف الظرف والمظروف في مثل هذه التحفة !

فإن للمؤلفات النفيسة عند الغربيين في هذا العصر طبعات فاخرة ، محلاة بصور يصنعها أبرع الفنانين ؛ وهم في ذلك يتبعون عادة أسلافهم في كتبهم الخطية . وقديماً كان هذا هو الشأن عند الشرقيين من فرس وعرب وغيرهم ؛ وَزَيَّن السلف الصالح مصحفنا الشريف - على جلال القرآن الكريم - بأجمل الخطوط والنقوش العربية ، وموّهوه بمختلف الألوان والمياه الفضية والذهبية ، إجلالاً للكتاب المجيد . ثم ضاع منا العلم وضاعت الفنون والأذواق ؛ ثم ظهرت عندنا تلك المطبوعات القبيحة التي تعمى الأبصار . ومنذ شرعت مصر تنهض أخذنا نجوّد الطبع ، ونحلي المطبوعات أحياناً . وفي ذلك وقاية للنظر ، وتهذيب للذوق ، وتحبيب في الإتقان ، وخدمة للطابع وللفنان . لكننا ما زلنا في المرحلة الأولى على هذا الطريق

من أجل ذلك ، لا من أجل ما يعني التلميح السخيف ، لم يقنع صاحب هذه التحفة بنفاستها الأدبية ، بل زين طبعتها بصور بارعة من ريشة الفنان محمد سليم شوقي ، تروق في النواظر ، وكأنها في البصائر عناوين فنية لمقاصد الشاعر وأغراضه في شعره . وقد اختار لكتابه أحسن طبع بحبور مختلفة ألوانها ، مؤتلفة كألوان الصور ؛ وبأحرف جميلة بينة في أسطر متباعدة بين حواش عريضة ؛ وتجوّد من أصناف الورق للكتابة وللغلاف المحلّى بصورة لآخر مشاهد القصص

وليس يجمع أجمل الصفات الأدبية والمادية في وحدة محكمة البناء ، متقنة التأليف ، عظيمة الإشراق ، فتانة الرونق ، إلا روحٌ فنان وذوقٌ ممتاز .

محمد توحيد السلحدار

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٢ — ٨ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٦٤٨ سنة ١٩٤٢ ضد أم الرزق حسن الفراش سن ٤٠ فلاحه نكلا مركز إيتاى جنح عسكرية بمدة ثلاثة شهور شغل والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٩ — ٩ — ٩٤٢ في القضية رقم ٢٦٩٤ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ ضد توفيق حسن القصاص سن ٢٢ جزار شبرا خيت بمدة ثلاثة شهور مع الشغل والنفاذ والمصاريف والنشر على مصاريفه لبيعه لحوما بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

عقيـــدة البعث

للأستاذ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

لا أعلم شيئاً أعظم بركة على البشر من عقيدة البعث ، وقيام الأموات من القبور ، ومجازاة المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته

ولا أعلم شيئاً أعظم شؤماً على البشر من تحطم هذه العقيدة ، واعتقاد الناس أنهم لا يجزون بخير يعملونه ، ولا بشر يقترفونه

ولا أعلم زماناً كان الناس فيه أحوج إلى اعتقاد البعث من هذا الزمان .

إن روح الشر التي تسيطر على البشر الآن ، ويشكو منها القادة والمصلحون هي من ضياع هذه العقيدة .

خوت القلوب من عقيدة البعث والجزاء ، فقادت الناس شهواتهم ، وضاعت الشكائم التي كانت تكفهم ، وأصبح المرء يرى أن لا حياة له إلا هذه الحياة ، وأنه إن لم يمتع نفسه بكل الشهوات خسر خسراناً مبيناً ، فاندفع يحصل هذه الشهوات من كل سبيل . فقد الإيمان بجزاء الأعمال فاستوت عنده الحسنة والسيئة ، فاندفع إلى السيئات يقترفها ، وكأنما يأتي حسنات .

تنبهت غرائزه الدنيئة ، وفتحت فاها فلم يكفها شيء تلقمه ؛ واختفت غرائزه العلوية ، وأصبحت الحدود التي تفصل بينه وبين الحيوان الأعجم دقيقة وتكاد تمحى .

أقفر المستقبل من الجنات التي أعدت له جزاء فعل الخير فلم تتحرك فيه إرادة الخير ، وأقفر أيضاً من الجحيم الذي كان ينتظره جزاء فعل الشر فلم ينزجر عن شر ، فهتك الحرمات ، واستباح المعاصي ، وسار في هذه الحياة لا دين يردعه ، ولا فضيلة تزجره .

كانت مقاييس الخير والشر عنده رضا الله وغضبه ، ونفع الناس وضرهم ، فأصبحت مقاييس الخير والشر إتباع شهواته وإجاعتها ، ورضا ميوله وغضبها .

كان الفقير والمريض والمبتلى يجد كل منهم في هذه الدنيا سلواه لأنه يعلم أن وراء هذا الفقر في الدنيا غنى في الآخرة ، ووراء هذا المرض صحة ، ووراء هذه البلوى عافية ، فكان في وسط هذه الشدائد والآلام راضي النفس ، باسم الأمل ، راجي الرحمة ، فأوصدوا هذه الأبواب في وجهه ، فلا أمل ، ولا رحمة ، ولا رضى ، ولا رجاء .

كان الغني يحسن إلى البائس الفقير لأنه يعلم أن ما يدفعه الآن سيأخذه أضعافاً مضاعفة ، وسيجزى بذلك النعيم المقيم ، فأوصدوا باب الجزاء في وجهه ، وأوصدوا بإيصاده باب الإحسان

كان يعمر قلبه الله والخير والفضيلة والعدل ، ويخيفه الشيطان والشر والرذيلة والظلم ، فشك في ذلك وأصبح يتساءل ما الله ؟ وما الشيطان ؟ ما الخير ؟ وما الشر ؟ وما الفضيلة والرذيلة ؟ وما العدل وما الظلم ؟ هذه كلها من أوهام الماضي ، وخرافات الأجيال

أعلم أن الذي حول العالم إلى هذه الحال القلقة ، وورطه في هذا الجحيم هو اندفاع فلاسفة القرن التاسع عشر والقرن العشرين في مقاومة الدين ونقضه ـ كان هؤلاء الفلاسفة يجهلون قيمة الدين في حياة الشعوب والأفراد ، وكانوا يرونه يعيش على هامش الحياة ، بل ربما رأوه كلاً عليها ، فاندفعوا يقاومونه وينقضونه حجراً بعد حجر ، ويشككون في مبادئه السامية ، فضعفت قيمة الدين في النفوس بما ألقوا من شبهات وما أثاروا حوله من استهزاء ، ولم يعلموا أنهم بذلك يفتحون باب المقبرة للعالم ، وينقضون أخلاقه العلوية السامية .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجزاء بالأعمال ترجع إليهم عفتهم وطهارتهم وصيانتهم .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم ترجع إليهم أمانتهم ووفاؤهم وعدالتهم .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم يرجع إليهم أملهم الضائع ، وأمانيهم المنشودة ، ومستقبلهم الزاهر ، وعزاؤهم على ما يلاقون من آلام الحياة .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم ترجع إلى الأرض الرحمة ، وإلى البشر العدل ، ويهبط على الكون السلام .

محمد عرفة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٩ — ٩ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٧٩٦ جنح عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد حسين محمد الجلباط سن ٥٨ جزار فرنوى مركز شبرا خيت بمدة ثلاثة شهور مع الشغل والنفاذ والمصاريف والنشر على مصاريفه لبيعه شعيرا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم في القضية ن ١٠٨٩ سنة ٩٤١ ضد عبد الرؤوف أحمد النزهي بغرامة ٥ جنيه والنشر والتعليق والغلق أربعة أيام بتاريخ ١٥—٧—٩٤٢ وذلك لبيعه ذرة بسعر أكثر من المحدد

في فن الحرب

من حرب الخنادق إلى حرب الحركة

للأستاذ «ذ . ص»

قال برنارد شو :

« إن صنعة الحرب تنحصر فى الهجوم بقسوة المتضعف على من هو أقل منك عدداً وعدة ، وفى الهرب من لقاء الند . والسر فى النجاح الحربى هو أن تتحايل على الخصم : تنصب له الفخاخ وتمد له الأحابيل ؛ فإذا تعثر أو كبا ، انقضضت عليه بلا شفقة انقضاض الغادر . ولـكن إياك إياك من مجابهته وهو منتصب على قدم الاستعداد ! »

كلمات لاذعة ساخرة ... ولـكنها من صلب الحقيقة . القائد الناجح هو ذلك الذى يخادع ثم يقاتل ، ويراوغ ويخاتل ثم ينقض بتلك الأساليب الملتوية ، والحيل الماكرة ، والطرق المتعرجة المنثنية ، حيث الدهاء والفطنة متآلفان ، والخبث والذكاء متعاونان

ولـكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، وانتقل ذلك الفن العريق من أفقه الشاسع الفسيح ، أو قل من جحيمه العميق ، إلى حيز ضيق محدود : فالتجنيد الإجبارى قد أعطى الدول المقدرة على تغطية كل شبر من أراضيها المتاخمة لحدود الأعداء ، فأصبحت الجيوش متجابهة ، ولزم عليها صراع الخصم صراع الندّ للند ، والقريعَ للقريع ، كما حدث فى الميدان الغربى أثناء الحرب الماضية .

تضاءل مجال مناورات الاستراتيك[1] ، ولم يجد القواد فرصة للالتفاف حول الأجناب ، وليس هناك أجناب ، وحاروا فى كيفية الإغارة على المؤخرات ، دون الاضطرار إلى اختراق الواجهات ، بل وكيف يكون الاختراق وقد أعطت الأسلحة الآلية التفوق المطلق لمواقع الدفاع ؟

إن الحرب بأساليبها وخططها ورجالها وعدتها ترتكز على ركنين أساسيين : قوة النيران[1] ، وسرعة الحركة . وما الهجوم إلا الحركة صوب العدو ، وما الدفاع إلا محاولة وقف تلك الحركة بالنيران المحكمة التصويب . وهذه الأخيرة هى التى كانت أسبق إلى التحرر من قيود الطاقة البشرية ، حين تحوَّلت إلى قوى الطبيعة تستمد منها القدرة على الفتك ، فلم تعد السواعد هى التى تلوِّح بالرماح أو تطعن بالسيوف ، بل أصبحت المفرقعات هى قوَّتها الدافعة ، بل وزادت على ذلك وأدَّت إلى اختراع السلاح الآلى السريع الطلقات الذى طفر بمقدرة الدفاع إلى الأمام طفرات هائلة . فمنذ قرن مضى وقف ولنجتون أمام وترلو يصد هجمات نابليون المنيفة ، وقد رصَّ رجاله رصًّا ، وتعلق مصير أوربا بمقدرته على وقف جيوش الأمبراطور ، حتى يلحق به بلوخر ، لحظات معدودات أُطلقت خلالها الـكتائب البريطانية النيران بمعدل ألفى رصاصة فى الدقيقة الواحدة لـكل كتيبة (أورطة) ، ولو كان الزمان انتقل فجأة بولنجتون إلى عهد السلاح الآلى ، لأمكنه استبدال كل كتيبة من كتائبه برجالها وبنادقها وقائدها وضباطها بثلاثة جنود خلف ثلاثة رشاشات ، ليحصد نابليون حصداً ويشتته تشتيتاً

هذا فى حين أن الهجوم ظل يعتمد على الطاقتين : البشرية والحيوانية . وكانت تعبئة الجيوش تتم حقيقة بقوة البخار على خطوط الحديد ، ولـكنه أثناء تلك اللحظات الحاسمة التى ترفرف على الميدان خلال القتال ، ظلت الحركة هى هى كما كانت أيام هنيبال : أدواتها أقدام بنى الإنسان على الدوام ، تعاونها ظهور الجياد فى بعض الأحيان

زادت إذن قوة الدفاع أضعاف الأضعاف ، فكانت النتيجة الحتمية شلَّ كل هجوم ، وتثبيت الخطوط ، وتحويل الحروب من ميدان البراعة والفن ، إلى التطاحن المنهك الممل ، والحصر الاقتصادى الطويل

---

(١) « الاستراتيك » : هى الحركات التى بها يجبر العدو على ملاقاتك فى أرض أنت تختارها ، تكون لك ملائمة كل الملائمة ؛ أما « التكتيك » : فهى التحركات التى يجريها الجيش فوق أرض المعركة نفسها أثناء القتال أو للاستعداد المباشر له

(١) قوة النيران اصطلاح عسكرى يقصد منه المقدرة على إصابة العدو سواء أكان ذلك بحراب الأسكندر وسيوف قيصر ، أم بشظايا القنابل وجراثيم الأمراض

لم تعد المعركة موضع حسم النزاع ولا الجنود هى العامل الفعال ، بل انتقل الزمام إلى مقدرة المدنيين على الاحتمال ومهارة ربات المنازل فى الاقتصاد من مستلزمات الحياة — أ كان سيأتى الوقت الذى يحل فيه التدبير المنزلى محل التدريب العسكرى ، وتكتفى الدول بخطوط « ماجينوية » أو « سجفريدية » مجهزة بالمقاعد الوثيرة ولوحات التليفزيون ، يضطجع بداخلها الجندى فى دعة وتراخ ، فإذا لمع مصباح من المصابيح وجه الرجل عينيه إلى شاشة مخصوصة ، ثم ضغط على زر معلوم ، فتنطلق من أعلى الحصن عدة طلقات ، يكون فيها إسكات الهاجمين وعودة المدافعين إلى النوم الهنيء والسبات العميق ؟

ذاك ما تخيلته بعض العقول العسكرية وخاصة الفرنسية منها فأقامت خط ماجينو ، ولكن هناك آخرون كان لهم فى التفكير مذهب جد مختلف ، فقد احتفظوا فى ذاكرتهم ببعض تفاصيل الحرب الماضية ، من تلك التى كان لها تأثيرات شديدة ، ولو أنها لم تكن نسبياً إلا نتائج محدودة لجهود محدود ، حدثه أول مرة قلة الأدوات وصغر المكان ، وفى الأخرى تخلف الزمان عن التفتح لاستثمار عبقرية ظهرت قبل الأوان

أول هذين الحدثين استعمال الطاقة الميكانيكية[1] فى ميدان المعركة ، عند ما هجم البريطانيون فى نوفمبر ١٩١٧ ببضع عشرة دبابة ، فانكسر الخط الألمانى ؛ ولكن دهشة الإنجليز أنفسهم وعدم وجود الاحتياطى الكافى عاقهم عن استغلال ذلك النجاح الباغت

وثانيهما تفتحت عنه عبقرية لودندرف من طرائق للهجوم جديدة — وهو من أبناء المدرسة الألمانية المتشبعة بروح الهجوم — والهجوم الناجح يتطلب المناورة والالتفاف وكما ذكرنا آنفاً : لم يكن هناك أجناب ، فما العمل إذن ؟ أيستسلم لودندرف ويرضى بالحال ؟ كلا فهذا من المحال . إنه يريد الهجوم ، يريد إحراز نتيجة إيجابية بأى ثمن كان ، إذن ...

فلتخلق لجيوش الأعداء أجناب ! ... يبتكر لودندرف وينفذ نظريته الجديدة : نظرية التسلل ؛ وهى إرسال بعض الجنود يتسللون مواطن الضعف فى خطوط الأعداء حتى إذا وجدوها تسللوا خلالها وأحدثوا بها ثغرة أو ثغرات ، فيها يجرى الحشد الجديد ، ومنها يكون الالتفاف والتطويق والهجوم وحسم النزاع

صادف لودندرف بعض النجاح ، ولكن حركات الجنود تظل فى الميدان بطيئة ، فيتنبه لها الدفاع قبل الاستفحال ؛ ويسارع إليها بالنيران يصليها وبالفتك الذريع يرميها ، فتنبطح للتستر وتعود إلى الثبات ، أو ربما تذعر وتولى ، فتكون الهزيمة والفرار .

ويجلس القائد الألمانى بعد الحرب بسنين ، وفى قلبه حسرة وبقلمه رعشة ، ويقرر حزيناً كئيباً : « إن مناوراتى الأستراتيكية خذلتها نقائض التكتيك »

ولكن نظرياته لا تنسى ولا تزول ، بل تنزوى حية فى بعض العقول ، حتى يخلق لها الجو اللائم فتعود إلى الظهور ؛ وتنشر هنا وهناك بعض المؤلفات تهيء لها الجو ، إن عفواً وإن قصداً ، أهمها « نحو الجيوش المحترفة » للجنرال ديجول عام ١٩٣٤ ، ثم « حرب الدبابات » للجنرال إيمنزبرج النمسوى . وأخيراً كتاب جودريان[2] الفذ : « حذار ! ... إنها الدراعات » عام ١٩٣٨

تنبهت القيادة الألمانية لميزات الدبابات ، ورأت أنها هى ، وهى وحدها ، الكفيلة بمضاعفة سرعة الجيوش فى ميادين القتال ، بل وإلى جعلها قادرة على إدماج الضرب مع الحركة ، فمن قبل كان الجندى الهاجم يقف عن الحركة ليطلق النيران ، ثم يكف عن إطلاقها إذ عاد إلى الحركة ، وهذا مضيعة للوقت وأى مضيعة ، وإعاقة للتقدم وأى إعاقة ! وهكذا قدر للهجوم أن يعود إلى عرشه المفقود ، فينقلب ثبات المدافعين إلى جمود الحائرين ، ثم إلى خنوع المستسلمين .

(ز . ص)

(١) كنت أود استبدال كلمة « ميكانيكية » بلفظ آخر ، ولكنى لاحظت أن أقرب لفظ عربى إلى المعنى المطلوب « آلية » يؤدى ، فى الأوساط العسكرية ، معنى آخر جديد : Automatic

(٢) الجنرال جودريان الألمانى الذى قاد دبابات المرشال فون بوك سنة ١٩٤١ ، فى القطاع الأوسط من الميدان الروسى

مشاركة الأدب الانجليزى في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٤ — القرن التاسع عشر وما بعده

لقد درسنا حتى الآن حياة رجال ذوى شخصيات أكاديمية، فلنقف قليلاً لننظر فى حياة ثلاثة من رجال الإنجليز الذين كان اهتمامهم باللغة العربية وبلاد العرب ينبع من معين آخر، والذين يختلف عملهم الذى ملأ حياتهم كلها، عن عمل أولئك الذين سبق أن درسناهم

وأول هؤلاء وأشهرهم هو « سر رچارد برتون » (١٨٢١ — ١٨٩٢) فبالرغم من أنه بدأ دراسته للغة العربية مبكراً وهو فى أكسفورد فإنه ترك الجامعة قبل أن يتمها، وذهب إلى الهنـد لـكى يعمل فى الجيش البريطانى . وعاش هناك بضع سنين، قضى أكثرها فى المناطق الإسلامية، ودرس اللغتين العربية والفارسية، واللغات الإسلاميـة الأخرى على أيدى مدرسين من المسلمين، وعند عودته إلى انجلترا نشر أربعة كتب عن الهند

وفى سنة ١٨٥٣ زار مصر زيارته الأولى، وقام برحلة على ظهور الجمال من القاهرة إلى السويس . وبعد سفر ملىء بالحوادث غادر ذلك الميناء قاصداً ينبع فى باخرة حجاج؛ وتغلغل فى الحجاز قاصداً زيارة المدينة ومكة، ثم عاد إلى انجلترا عن طريق جدة ومصر . ونشر بعد عودته وصفاً لرحلاته هذه فى ثلاثة مجلدات طبعت عدة طبعات، ولا تزال تعتبر مرجعاً عن البلاد التى وصفها . ثم أعقب ذلك عدة سنين من أسفار متعاقبة

وفى إحدى المرات قام برحلة استكشاف فى المناطق المتوحشة من شرقى أفريقيا والحبشة، متنكراً فى زى تاجر عربى . وقد عاد بمعلومات ثمينة عن تلك المناطق التى تكاد تكون مجهولة . وفيما تلا ذلك من السنين ساح فى وسط وغرب أفريقيـا، والأقسام المغمورة من الأمريكتين . ونراه فى سنة ١٨٥٥ فى القرم يخدم مع القوات البريطانية . وفى خلال المدة ما بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧١ كان فى دمشق وساح فى سورية ومعه زوجته و « إدوارد هنرى پالمر » ونشر هو وزوجته وصفاً لتلك البلاد، وعاد بعد سنوات إلى مصر وأشرف على أعمال جيولوجية كانت قائمة فى مناطق من البلاد كانت فى ذلك الحين أبعد أقسامها عن المدنية

وعلى هذا فقد كانت حياته كلها مغامرة وخطراً متصلاً، ذهب أغلبها فى السفر والسياحة فى أقطار الأرض المتباعدة، ومع كل ذلك فقد وجد من وقته متسعاً ينشر فيه عدة كتب تكلمنا عن بعضها، ويضم الباقى ترجمة كاملة لكتاب « ألف ليلة وليلة » وهى ترجمة فريدة بين الترجمات الأوربية بالنظر لتمسكها المخلص بالنص الأصلى : ذلك التمسك الذى أثار فضيحة ضئيلة بين معاصريه الشديدى التزمت

ومن بين الرحالين الإنجليز المشهورين فى الشرق الأوسط « ولفريد سكاون بلنت » (١٨٤٠ — ١٩٢٢) وقد بدأ حياته بداية دبلوماسية، ومع ذلك فقد أخذ اهتمامه يطرد وينمو بقضايا الشعوب المظلومة فى العالم، وكرس آخر أيامه للمطالبة بحقوقها . وكان اهتمامه منصرفاً بصورة خاصة إلى الهند وأرلندة ومصر . وكان من كبار السائحين وزار أقطاراً عديدة . فقام — بصحبة زوجته — بزيارة البلاد العربية فى الشرق الأدنى وفى شمالى أفريقيا . وفى سنة ١٨٧٨ زار نجداً حيث استقبله وزوجته أمير حائل استقبالاً حسناً، وقدم لهما بعض الخيول المنتقاة، وقام بإبلاغهما مخفورين إلى بغداد . وقد اتصل فى خلال زياراته لمصر والهند بالزعماء الوطنيين ويعرفه كل من جمال الدين الأفغانى وعرابى باشا معرفة تامة . وقد نشر عدة كتب فى تأييد القضية المصرية . وفى سنة ١٨٨١ استقر فى دار له قرب القاهرة حيث عاش عيشة المصريين : يرتدى الملابس المصرية ويتكلم اللغة العربية

وكانت زوجته « الليدى آن بلنت » عالمة باللغة العربية بالإضافة إلى خبرتها بالفروسية والأسفار، وتشتمل كتبها

المطبوعة على كتاب عن العراق وآخر عن نجد ، وترجمة للمعلقات نظمها زوجها بالإنكليزية شعراً .

وهناك رحالة ثالث هو « چايس دوتى » (١٨٤٣ – ١٩٢٦) الذى يذكر بكتابه الخالد عن جزيرة العرب . فقد قام — بعد تحضير لمدة سنة كاملة فى دمشق بدراسة متسعة للغة العربية — برحلة استكشافية فى قلب بلاد العرب . وعلى عكس ما قام به من سبقه من الرحالين ، فإنه كره أن يخفى قوميته ودينه ، فساح فى كل مكان كانجليزى مسيحى ولم يقلل هذا الإصرار من جانبه من أخطار رحلاته . وزاد كتابه الذى نشر فى انجلترا بعد عودته فى سنة ١٨٧٨ فى إنماء معلوماتنا عن بلاد العرب . ويحتوى سجل أسفاره على ثروة من المعلومات عن جغرافية تلك البلاد وطبيعة أرضها ، كان أغلبها غير معروف قبل ذلك . وقد أعيد طبع كتابه قبل حوالى العشرين عاماً وكتب له « لورنس » مقدمة

ولنعد الآن إلى علماء العربية فى الجامعات . فقد أظهرت السنين الأولى من القرن العشرين أن مستوى الدراسات العربية لم يكن بأية حال أقل منه فى أعظم أيام القرن التاسع عشر ، فقد أنشئت الدوائر العربية فى الجامعات الاسكتلندية والجامعات الفرعية . وأنشأت جامعة لندن فى الحرب الماضية كلية جديدة مقتصرة على العلوم الشرقية هى « معهد الدراسات الشرقية » .

أما العلماء الذين سنتطرق إليهم الآن ، فهم من الجدة بحيث يذكرهم الطلاب والزملاء بعطف فى انجلترا والشرق . فقد كان السر توماس أرنولد الذى توفى فى سنة ١٩٣٠ ، أول من شغل كرسى الدراسات العربية والإسلامية فى معهد الدراسات الشرقية فى لندن . وقد تثقف فى اكسفورد ، وأنفق عدة سنين فى الهند أستاذاً للفلسفة فى الكلية الإسلامية فى عليكرة . وأشهر مؤلفاته هو « تعاليم الإسلام » : وهو وصف لامتداد العقيدة الإسلامية أكسبه فى التو منزلة ملحوظة ، وترجم إلى اللغتين : التركية والأوربية . وفى كتابه الآخر « الخلافة » تعقب تاريخ هذا النظام ، وناقشه من وجهتى النظر الفلسفية والفقهية . ونشر بالإضافة إلى ذلك عدة دراسات قيمة عن الرسم والتصوير الإسلاميين : ذلك الموضوع الذى كرس له عدة سنين من حياته . وذهب فى سنة ١٩٣٠ إلى القاهرة فتوفى هناك على الأثر

وهناك مستشرق آخر ذو مكانة هو « لى ستراْنج » الذى توفى فى سنة ١٩٣٤ ، ويمكن أن يكون القول الآتى له مفتاحاً لآثاره : « إذا كان المطلوب جعل تاريخ الإسلام شيقاً ، وإذا كان المقصود فى الحقيقة فهمه على الوجه الصحيح ، فمن الواجب إعداد الجغرافيا التاريخية للعصور الوسطى إعداداً دقيقاً » . وقد كرس « لى ستراْنج » أفضل سنى عمره لدراسة الأدب العربى والفارسى الخاص بالجغرافيا . وتعتبر كتبه التالية : « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » و « فلسطين تحت حكم المسلمين » و « أراضى الخلافة الشرقية » خيرة الكتب فى هذه الموضوعات . ونشر أيضاً عدداً من النصوص الجغرافية ، وكثيراً من الدراسات القصيرة . ومنذ سنة ١٩١٢ قد عمى تقريباً . غير أن نقصاً خطيراً كهذا فى كيانه لم يعقه عن الاستمرار فى عمله

ومات عالم آخر فى العربية مشهور فى السنة التى توفى فيها « لى ستراْنج » هو « أ . أ بيفان » تلميذ « وليم رايت » وكان أكبر همه منصباً على الشعر العربى القديم . وقد نشر نقائض جرير والفرزدق على عهدته . والنادرة التالية تعطى فكرة عن دقته العظيمة : فقد روى زميله « ا . ج . براون » العالم المعروف بالفارسية أن بيفان زاره يوماً ، وكان شديد الحزن حتى لقد خيل له أن كارثة حاقت به ، ولكن حقيقة ما كان قد وقع هو أن « بيفان » اكتشف خللاً فى وزن أحد الأبيات فى طبعته للنقائض !

ولا يتسع المجال للكلام عن كثيرين من العلماء فى هذا المعهد كليال محرر « المفضليات » و « لين ـ پول » مؤلف عدة من الكتب عن تاريخ الإسلام ، وعن المسكوكات ، و « امبروز » محرر عدد كبير من النصوص العربية التاريخية المهمة وكثير غيرهم . غير أن هناك عالماً واحداً يستحق أكثر من الذكر العارض هو « د . س . مارجليوث » الذى كان أستاذ اللغة العربية فى اكسفورد عدة سنين ، والذى اعتبر الشخصية الأولى بين علماء العربية من الإنجليز مدة طويلة من الزمن ؛ وكان عضواً فى المجمع

العلمي العربي في دمشق . وبالرغم من أنه نشر عدة دراسات باللغة الإنجليزية ذات قيمة عن التاريخ الإسلامي وعن الدين الإسلامي فانه سيذكر بالخير لطبعاته العديدة وترجماته لأمهات الأدب العربي ، وربما كان خير أولئك طبعته الفائقة لمعجم الأدباء لياقوت . وقد نشر أيضاً رسائل أبي العلاء ، ومحاضرات التنوخي ، ومختصر ابن مسكويه

أما أولئك الذين لا يزالون بين ظهرانينا فلن نتكلم عنهم ، لأن الكلام سابق لأوانه . وأعمال علماء كنكلسون وجب وستورمى وكثيرين غيرهم ممن يخرجون آثاراً مهمة لن يبت فيها من وجهة النقد إلا الأجيال المقبلة . وفي خلال ذلك يمكن القطع بالقول واثقين أن سيرة الدراسات العربية في انجلترا — التي سبق أن تكلمنا عن تطورها في خلال العصور السابقة — لا تزال قوية الحيوية . ولعلها تستمر في الازدهار

عبد الوهاب الأمين

مرسلات مع الريح

أرسطوقراطية الوضاعة

للأستاذ إسماعيل مظهر

قال أرسطوقراطيس الرومي : تكليف النفس ما ليس من طبعها ، دخول على الناس بخدعة ما ينبغي المرء أن يسكن إليها . وإرسال النفس على سجيتها تقرير لواقع الطبع ومسايرة لحقيقة الأشياء . فاختر لنفسك أمراً ؛ فإما أن تعايش الناس صورة مزوّرة على الطبيعة ، وإما أن تعايشهم صورة حقيقية لما بثّت الطبيعة في تضاعيفك من عناصرها . فإذا اخترت الأولى فأنت منافق . وإذا اخترت الثانية فأنت صريح النسب إلى الفضيلة .

قرأت هذه الكلمات . أقرأنيها رجل أمّي لم يفتح كتاباً غير كتاب الدنيا ؛ ولا عرف صحيفة إلا صحيفة الأيام . رمته الدنيا بالفقر . والفقر ، كما يقول الإنجليز ، إذا نقر على الباب قفز الحب من النافذة . ورمته مع الفقر بالبغضاء : يحملها له أهله وأبناؤه وذوو قرباه . ومع البغضاء رمته بالحقد . الحقد الذي يأكل صدره على كل من جادت عليه الدنيا بشيء من نعائها

رزأه أحد أقاربه الأغنياء في شيء من ماله القليل ، أخذه وأنكره عليه . فراح يستنصر آخر منهم حُمّت نفسه بمرضين : كراهية البشر ، وتكلف العظمة ، ومهما انتحل الأرسطوقراطية ؛ ولكنها أرسطوقراطية الوضاعة . وكان وقوعه على هذا العُتُل حلقة في سلسلة مصائبه

هو إنسان إذا طرق بابه إنسان امتقع وجهه ، وابيضت خرطومته من النكد والهم ؛ فجلس إليه يعلو صدره ثم يهبط كأنه كير حداد . وتكلف الأدب تكلفاً ينم عن سوء أدبه ؛ وتكلف الكلام ، فتحس وهو يتكلم كأنما صدره مرجل يغلي ، والكلمات تَهْدَارُ ما في ذلك المرجل الثائر . قد يلتفت إليك إذا هو أراد أن يبالغ في إيلامك ، وقد ينأى عنك بجانبه إذا هو أراد ملاطفتك . ذلك بأنه إذا التفت إليك فكي يريك الحقد مجسماً في ملامحه ، والكراهية مرسومة في محياه . وإذا نأى عنك فكي يخفي عنك هذه المعاني المرتسمة في وجهه . فكأنه بذلك يمنُّ عليك ويشفق بك . وقد يبدؤك الكلام ؛ فإذا كان هو البادئ فطامتك عظمى ، ومصيبتك سوداء ، ويومك أنكد الأيام ، وساعتك أنحس الساعات ، وبُرهتك القيامة ، نُصِبَ ميزانها وبدأ الحساب

هيه ... كيف عرفت بيتي ؟ تكلم ...

ويحدجك بنظرة ، تتمنى لو أن الأرض تغور بك ، أو يُفتح لك فوّهة من فوّهات جهنم تلقفك ، قبل أن تستقر معاني تلك النظرة في نفسك . فإن كل معنى من معانيها رمح يستقر في قلبك فينزفه ، وفأس محدودة تنزل على عنقك فتفصله عن جسدك .

قد يجود عليك حرج الموقف بكلمة ، ولكن الغالب أن تَغص فلا تتكلم . فإما أن تبقى ساكتاً والعرق يتصبب من جبينك ، وإما أن تتحفز للقيام فراراً من سوء ما أنت فيه . فإذا اربح عليك وثُبتَ في مكانك ، انفتحت شفتاه العريضتان عن ابتسامة تترجم لك عن قوله : أكرهُ البشر يا ابن « آدم » ، فإليك بُغضي »

أما إذا ساعدك الحظ وحملتك رجلاك فقمت ، فإن يدك معصورة فى يده ، وذراعك مهتزة كأنها القصبة المنخورة ، ليشمرك أنه انتصر وآذى الإنسانية وانتقم منها فى ذاتك ، وفتك بأبناء « آدم » ومثَّلَ بهم فى شخصك ، ولكنه انتصار أشبه بانتصار الخراب على الفقر ، كما يقول سير وُلْتَرْ سكوت . غير أنه هنا خراب النفس ، يستقوى ويستلئم ، منتهزاً له فرصاً من نكد الدنيا

وسألته : ثم ماذا يا شيخ محمود ؟ قال : لا شىء ، إلا أن هذا الإنسان لِدُنُوّ مكانته فى الأولى ورفعته فى الثانية ، أُصيبَ بمرضين هما ما ذكرت : إنسان نشأ فى الحضيض ، دَرَج على التراب أول ما دَرَج ، ولبس الأسمال أول ما لبس، وعاشر السفهاء والذؤبان أول ما عاشر، ونام عنه القدر ، فلفّ ودار ، ثم تسلق حائط المجد ، فأصبح شيئاً ما فى دنيا مجهولة ، أشبه شىء بالبقعة الخراب فى المصوَّر الجغرافى ، فحقد على البشر لأنه نشأ من أدناهم مكاناً وأرذلهم موضعاً ، ثم أراد أن يُعمِّى على سوء مَنشئه ، فتكلف أشياء ليست من طبعه ، فطغى على الناس كِبراً والناس — يا أخى — لا يعاملون أمثاله بالحكمة النبوية الكريمة : (التكبر على أهل الكبر صدقة)

وأطرق الشيخ محمود هنيهة ، ثم نظر إلىّ بعينيه الواسعتين وسأل : أليس الذى وضع مبدأ الأرسطقراطية هو أرسطوقراطيس الرومى ؟ قلت : كلا إنك واهم ، وليس من الروم من هذا اسمه ، وإنما هو مبدأ اعتنقه بعض مقاديم اللصوص فى الأزمان القديمة ، وكان منهم قتلة وقطاع طرق وقراصنة ، ثم قلَّدهم فيه لصوص آخرون هم أشد منهم غباء ، وأقل إقداماً ، فانحدر إلينا بعض المقلدين ، ولكنهم بيننا كالأحياء البائدة التى حفظت الطبيعة هيا كلها فى طبقات الأرض ، وليس لنا منها إلا الصورة ؛ أما الحقيقة ، فقد انحدرت فى جوف الزمان

فأطرق الشيخ محمود إطراقة ثانية يتأمل كلامى ، وحبَّات مسبحته تساقط ، فتحدث ذلك النقر المنتظم الذى يمثِّل تتابع فكراته وتأملاته ، ثم ما لبث أن فاضت عيناه مرسلتين دموعاً تترامى على يديه ، كأنها الندى البارد على وريقات الخريف

اسماعيل مظهر

٤٣ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر – الأخلاق

يشتهر المصريون بفضيلة الحب البنوي . وقد سبق أن ذكرت الاحترام الظاهر الذي يؤديه الولد إلى والديه . ويظهر المصريون أيضاً احتراماً زائداً للمسنين[1] وبخاصة المشهورون بالتقى والعلم . ويعتبر حب المصريين لوطنهم وعلى الأخص مسكنهم صفة بارزة أخرى في طباعهم . ويخشى المصريون على العموم هجر مسقط رأسهم . وقد سمعت الكثيرين يقررون السفر إلى الخارج بغية كسب عظيم ولكن عزمهم يفتر عند ما يقترب موعد السفر . وقد خفف أخيراً من حدة هذا الشعور ما يعانيه البعض من شدة الظلم . ولا شك أن هذا الشعور نشأ إلى درجة عظيمة من جهل الناس لحالة البلاد الأجنبية وسكانها . وقد سمعت البعض يدلل على حب المصريين العجيب لمسقط رأسهم بأنه يندر أن ترضى امرأة أو فتاة ، أو يسمح والدها ، بالاقتران بمن لا يعد بالبقاء في مدينتها أو بلدتها . ولكني أظن أن الإحجام عن ترك الوطن في هذه الحالة ينتج من خوف المرأة أن تفتقر إلى حماية أهلها . ويتعلق البدو بصحراواتهم ويحتقرون الحضريين والفلاحين ولكن الكثيرين منهم يميلون إلى الاستقرار على شواطئ النيل الخصبة أيضاً . ومع أن المصريين من نسل البدو إلى حد كبير فهم لا يشابهونهم في حب الصحراء وإن شابهوهم في حب الوطن . وتزود الرحلة إلى الصحراء من يقوم بها من المصريين بقصص مطنبة في المتاعب والمجازفات والعجائب التي يعرفون روايتها إلى مواطنيهم ذوي الخبرة القليلة .

يعم الكسل جميع طبقات المصريين ما عدا الذين يضطرون إلى كسب حياتهم بالأشغال اليدوية الشاقة . وهذا الكسل نتيجة المناخ وخصوبة الأرض . ويبذل العامل بالآلات أيضاً بالرغم من شدة طمعه في الربح يومين في عمل يستطيع بسهولة إنجازه في يوم ، ويهمل أكثر الأعمال ربحاً ليصرف وقته في التدخين . غير أن البواب والسائس الذي يجري أمام جواد سيده والنوتية الذين يستخدمون في جر المراكب صاعدين في النهر وقت سكون الجو واشتداد حرارته يقاسون ، مثل الكثير من الفعلة الآخرين ، تعباً شديداً .

يعرف المصريون أيضاً بصلابة الرأي إلى حد الإفراط . وقد ذكرت في فصل سابق أن المصريين اشتهروا منذ عصر الرومان ، بامتناعهم عن دفع الضرائب حتى يضربوا ضرباً موجعاً ، وبأنهم كثيراً ما يفتخرون بمقدار الجلدات التي ينالونها قبل أن يتخلوا عن نقودهم . وهم لا يرون غرابة في مثل هذا التصرف . وقد حكى لي مرة أن فلاحاً فرض عليه الحاكم ما قيمته خمسة شلنات تقريباً ففضل أن يقاسي الجلد على أن يدفع هذا المبلغ الزهيد ، وقرر أنه لا يملكه . فأمره الحاكم بالانصراف وقبل أن ينصرف لطمه على وجهه فسقطت من فمه قطعة ذهبية بقدر المبلغ المطلوب تماماً ، فكأن الضرب مع قسوته عجز عن حمله على الدفع . وتبدو هذه الحال غريبة في طباع المصريين ولكن يسهل تبريرها بأن المصريين يعلمون تماماً أنه كلما دفعوا عن طيب خاطر طمع الحاكم في أموالهم . على أن المصريين بوجه آخر يمتازون بشدة العناد وصعوبة القيادة بالرغم من امتثالهم الشديد في طباعهم ومهنهم . ويندر أن يحمل المرء الصانع المصري على أن يصنع شيئاً حسب الطلب تماماً . فلا بد أن يفضل رأيه على رأي مستخدمه ، ويصعب أبداً أن ينجز عمله في الميعاد المضروب .

ولا يعوز فلاحي مصر ، مع خضوعهم الشديد لحكامهم ، الشجاعة عند ما ينهضون لخصومة بينهم . وهم يبرعون في الجندية

ولا شك أن المصريين مثل شعوب الأقاليم الحارة يفوقون الشعوب الشمالية في الاستسلام للشهوات . على أن هذا الإفراط لا ينسب إلى المناخ فقط ، ولكن ينسب على الأخص إلى نظام تعدد الزوجات وسهولة الطلاق كلما اشتهى الرجل زوجة جديدة ، وإلى عادة التسري . ويقال أيضاً كما أعتقد حقاً أن المصريين ، فيما يختص ذلك ، يسبقون الشعوب المجاورة التي

(١) أنظر لاوين ١٩ – ٣٢ : « من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ وتخشى إلهك أنا الرب »

تماثلهم فى الدين والنظم الدينية[1] ، وإن بلادهم لا يزال يستحق تسمية « دار الفاسقين » التى أطلقها القرآن على مصر القديمة طبقاً لرأى خير المفسرين . وقد أشاع المماليك الفاحشة فى مصر فأصبح الفسق هنا أكثر انتشاراً منه فى البلدان الشرقية ، ولكنه على حد القول قل كثيراً فى السنوات الأخيرة

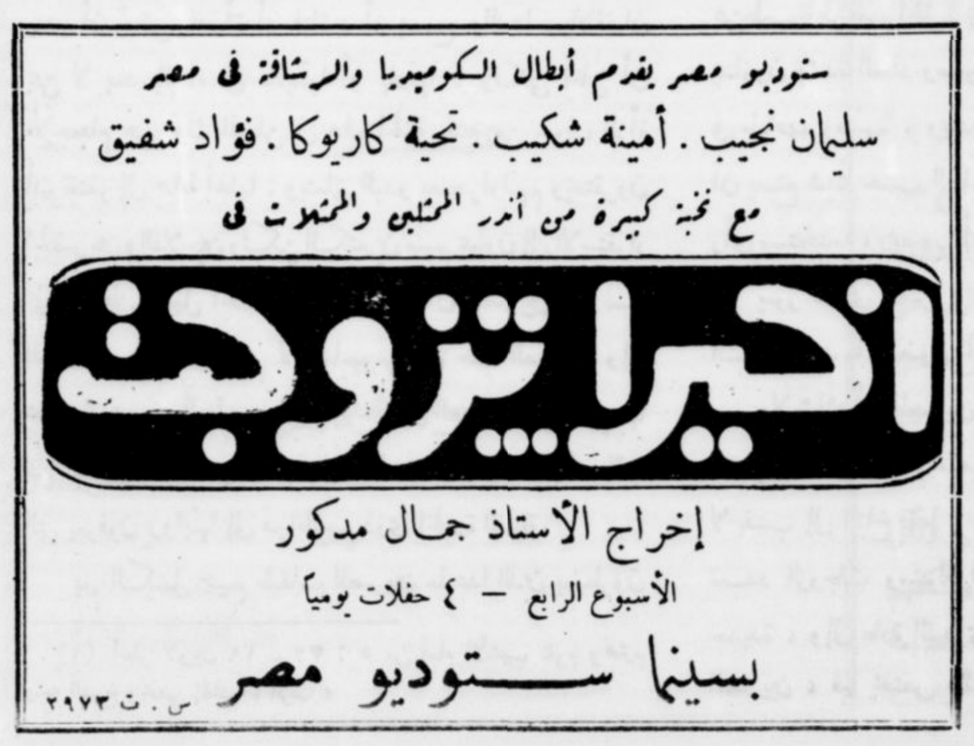
يستبيح المصريون من الجنسين وفى كل طبقة ، البذاءة المفرطة فى الحديث ، حتى أعف النساء وأوقرهن عدا القليل منهن يستعملن الكلام الغليظ ، ولكن دون بذاءة . وكثيراً ما ينطق المثقفون عبارات فاحشة لا تلائم غير أحط المواخير . ويذكر أرق النساء فى حضرة الرجال أشياء وأحاديث قد تعف العاهرات فى بلادنا عن ذكرها دون أن يدركن مخالفة ذلك للآداب

توصف نساء مصر بأنهن ، فى أهوائهن ، أفسد النساء اللاتى ينتمين إلى أمة متحضرة . ويخلع مواطنيهن من الرجال هذه الصفة عليهن بسخاء حتى فى أحاديثهم مع الأجانب . ولا شك أن فى المصريات كثيرات يشذذن عن ذلك . ويسرنى أن أسوق هنا تعليقاً لصديقى الشيخ محمد عياد الطنطاوى على عبارة فى ألف ليلة وليلة ، قال : « يعد الكثيرون الزواج مرة ثانية من الأعمال الشائنة ويسود هذا الرأى مدن الريف وقراه . ويمتاز أخوالى بهذا ، حتى أن المرأة عندهم إذا توفى زوجها أو طلقها فى شبابها تترمل ما بقيت فلا تتزوج مرة أخرى أبداً .

ولكنى أخشى أنه ينبغى التسليم ، نظراً إلى غالبية المصريات ، بأنهن جدفاجرات. وقداشتطأكثرهن كما يقال فى استعمال الحرية . ولا يعتبر أغلبهن مصونات إلا إذا أغلقت عليهن الدار . وقل منهن من يخضعن لهذا القصر . ومن المعتقد أن المصريات يملكن شيئاً من الدهاء فى تدبير الحيل التى يعجز الزوج عن تجنبها مهما كانت فطنته وحرسه ، وأنه قلما تخيب لذلك حيلهم مهما عظم الخطر الظاهر لما يباشرنه . وقد يكون الزوج نفسه أحياناً وسيلة لإشباع ميول زوجه الإجرامية بدون علمه . وتعرض لنا بعض قصص ألف ليلة وليلة فى مكائد النساء صوراً صادقة عن حوادث لا يندر وقوعها فى عاصمة مصر الحديثة . ويرى كثيرون فى القاهرة أن جميع النساء تقريباً على استعداد أن يدبرن الدسائس متى استطعن ذلك بدون خطر ، وأن الكثيرات يباشرن ذلك فعلاً . ويؤلمنى أن يكون الرأى السابق صحيحاً ، وأكاد أكون مقتنعاً أن الحكم الأخير شديد القسوة ، إذ يبدو من التقاليد السائدة المتعلقة بالمرأة أنه لا بد مكذوب . ويصعب على من لا يعرف العادات والطباع الشرقية معرفة كافية أن يدرك مشقة الاختلاط بالمرأة فى هذا البلد . فلا يصعب على المرأة من الطبقة الوسطى أو العليا إدخال عشيقها فى مسكنها فحسب ، بل يستحيل عليها تقريباً أن تلقى رجلاً ذا حريم على انفراد في منزله الخاص ، أو تدخل منزل رجل أعزب دون أن تثير ملاحظات الجيران وتدخلهم المباشر . وإذا لم يكن بُد من التسليم بإقدام الكثيرات من المصريات على المكائد مع وجود مثل هذه المخاطر ، فقد يكون صحيحاً أن الصعوبات التى تعترضهن هى العائق الرئيسى لكثير من المكائد . أما عند نساء الطبقة السفلى ، فالمكائد أكثر وقوعاً وأسهل إنجازاً .

(يتبع) عدلى طاهر نور

[1] وليس معنى ذلك أنه يقع على الأتراك أو عرب الصحراء





حول «حديث عيسى بن هشام»

طالعت فى العدد (٤٨٦) من مجلة (الرسالة) الغراء ما دبجه يراع الدكتور زكى مبارك عن «حديث عيسى بن هشام» لمنشئه المرحوم عمى محمد بك المويلحى. وإنى أعقب اليوم على مقال الدكتور بدافع الرغبة الصادقة فى لفت نظره إلى بعض ملحوظات رأيت من واجبى أن أدلى بها خدمة للحقيقة وللتاريخ

يقول الأستاذ: إن كتاب عيسى بن هشام ينسب بالباطل أو بالحق إلى أبيه إبراهيم، تاركا القارئ بين الشك واليقين. والأدباء الذين تذوقوا أدب المويلحى الأب والمويلحى الابن يعرفون أن لكل منهما ميزات خاصة فى الكتابة. ثم إن المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد، وأصحاب المقطم، والمرحوم شوقي بك، وحافظ بك ابراهيم، والشيخ محمد عبده، والبارودى، والشنقيطى، كانوا معاصرين له، فلو أن «عيسى» كان لغير «محمد» لأذاعوا به

والبرهان القاطع بأن عيسى هو من إنشاء محمد لا من إنشاء أبيه ما احتوته الديباجة التالية فى العدد ١٠٩ من (مصباح الشرق)؛ وقد توقف المرحوم جدى عن متابعة رسالة (مرآة العالم) أو (موسى ابن عصام)، تاركاً الكلام لعيسى بن هشام قال: «شغل حديث عيسى بن هشام، عن متابعة ما يحكيه موسى بن عصام، فرت الأشهر والأيام، حتى انقضت مدة العام، وسافر عيسى إلى المعرض، وعاد موسى إلى ما انقطع من كلامه، وعدنا إلى ما يدور بينه وبين شيخه وإمامه»

هذا، وقد أشار المرحوم جدى فى العدد (١٠٧) من (المصباح) عن سفر عمى إلى باريس بالعبارة التالية:

«يسافر محمد المويلحى إلى معرض باريس فى يوم الأحد الآتى (١٠ يونيو سنة ١٩٠٠)؛ وسينشر (المصباح) ما يوافيه به عيسى بن هشام من غرائب المعرض وعجائبه، بعد الوقوف على إجماله وتفصيله، كما يعلم ذلك من رسالته فى صدر الجريدة اليوم: (يعنى حديث عيسى بن هشام)

وجاء فى العدد (١١٦) من (المصباح): «هذه الرسالة الأولى من حديث عيسى بن هشام عن زيارة معرض باريس، بعث بها إلينا السيد محمد المويلحى بعد رسالته التى نشرناها فى أحد أعدادنا الماضية عن زيارة سمو الجناب العالى الخديو لجلالة ملكة الإنجليز فى بلادها»

كذلك نأخذ على الدكتور مبارك حكمه على محمد بك من أول جلسة جلسها معه عند المرحوم أحمد باشا شفيق، لأن الرجال أسرار، وقيمة الرجل لا تعرف إلا بعد طول المباشرة.

ولم يعتزل محمد بك الكتابة كلية بعد موت أبيه كما قال الدكتور، وإنما اعتزلها حيناً من الدهر حين اشتغل مديراً لإدارة الأوقاف العمومية بعد مديرها أحمد شفيق باشا. ومع كل فقد كان ينشر فى الصحف اليومية المقالات الضافية فى المناسبات الهامة كما ذكر بنفسه ذلك فى المؤيد بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٠٨ تحت عنوان: «كلمة مفروضة»، وكان الكلام يدور حول منع نصب تمثال «دانتى الإيطالى» فى مدينة الأسكندرية. ولا يفوتنى ذكر مقالته «صوت من العزلة» التى افتتح بها الأهرام صحيفته فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ وفيها يذكر محمد بك سبب عزلته ويرحب باتحاد الأحزاب فى مصر وما فى الاتحاد من عزة للشرق

وفى سنة ١٩٢٥ طلب منه صاحب جريدة مشهورة فى مصر أن يكتب مقالين فى الشهر مختاراً له لوناً معيناً من السياسة ويأخذ عليهما ثمانين جنيهاً؛ فأجابه المويلحى الصغير بكلمته المشهورة: «قلم المويلحى لا يباع»

أما سور بابل فلا مبالغة فيه إذا علم الأستاذ مبارك أن المهندس اليونانى Philon de Byzance [1] الذى كان يعيش فى القرن الثانى قبل المسيح هو أول من جمع فى مؤلف واحد وصف عجائب الدنيا السبع بكل ما أوتى من دقة تكون أهلاً لمهندس. ولم يقصد محمد بك بقوله إن السور يتسع للاحاطة بسبع مدائن كمدينة باريس (فى سنة ١٩٠٠ طبعاً) إلا على

(١) Leon-Allàci : Philo Byzantius de septum orbis spectaculis graece et Latine. Rome 1640.

الطريقة الحسابية التى سبقه بها فى مثل هذه العمليات الحسابية المهندس الفرنسى (لينان باشا) حيث قال : إن حجارة الأهرام تكفى لبناء قناطر محمد على .

ابراهيم المويلحى

اللغة والتعريب

تحركنى كلمة الأستاذ زكريا ابرهيم إلى الرد لأنها تتناول مسألتين جوهريتين : أولاهما مسألة الخطأ والصواب بمناسبة « عثرت به » و « عثرت عليه » وثانيتهما مسألة تعريب الأسماء الأعجمية .

فأما عن « عثرت به » فقد قلت إن المعنى الذى أريد التعبير عنه هو العثور بالشىء أى ملاقاته اتفاقاً ، ولم أرد « العثور عليه » أى الاطلاع الذى يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها .

والذى يدهشنى هو تفضل هؤلاء العلماء بلفت نظرى إلى مختار الصحاح ودوائر المعارف وتراكيب اللغة الإنجليزية وهذه كلها مراجع ما كنت أحلم بوجودها .

وآفة هذه المهازل هى قول بيكون : « العلم الصغير شىء خطر » وهذا طبعاً لا علاقة له بالعلماء الكبار أمثال الكرملى وزكريا ابراهيم ؛ وهما بلا ريب يعلمان أن لغات العالم كلها مجازات ميتة وأن تلك المجازات رغم موتها تحتفظ دائماً بشىء من معناها الحقيقى .

فأنا عند ما أقول « عثرت بالشىء » مفسراً بقولى « وقعت عليه » يكون معنى ذلك أننى اطلعت عليه ولكن مصادفة كما يعثر حافر الجواد بأحد الكنوز . وبذلك أعبر عن المعنى الذى فى قلبي تعبيراً لا تحققه « على » بما تفيده من قصد إلى غاية وسعى لبلوغها .

ثم إن مسألة الصحة والخطأ فى اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يحرص عليها فى غير مجال التعليم المدرسى . وأما العلم فقد تقدم وأصبحت المناهج تاريخية فترى العلماء اليوم لا يقررون الخطأ والصواب فى اللغات وإنما يستقرون الاستعمالات عند كبار الكتاب ويفسرون ما يطرأ على اللغة من تطور . ومن الغريب أن نظل نحن مترددين فى طرق التفكير التى تخلص منها العالم المتحضر منذ أكثر من قرن . فاللغة العامية ذاتها ليست مجموعة أخطاء ، وإنما هى تطور عادى مألوف فى كل اللغات . واللغة الفرنسية والإيطالية كذلك ليستا أخطاء فى اللغة اللاتينية .

وإذن فكلام الكرملى وكلام زكريا ابراهيم حذلقة تافهة ومماحكات لا علاقة لها بمناهج البحث فى اللغات التى لم تعد تقريرية Dogmatique فى شىء .

وأما عنصر الثبات فى اللغة وهو ما يطالب به الأستاذ زكريا حتى لا يصير الأمر فوضى ، فذلك ما لا أستطيع أنا أن أدخله فى اللغة بل ولا المجمع اللغوى نفسه . عنصر الثبات هو استعمال كبار الكتاب لمفردات اللغة وتراكيبها ، ثم قراءة مؤلفات كبار الكتاب فى المدارس والجامعات لتشيع تلك الاستعمالات . وكل محاولة فى غير هذه السبيل لن تجدى شيئاً .

اللغة كائن حى لا يقنن له وأكبر دليل على صحة ما أقول هو أن المجمع اللغوى لم يستطع شيئاً فى هذا الباب ولن يستطيع . وأنا أشكر الأستاذ زكريا إبراهيم إذ نبهنى ونبه زملائى أساتذة الجامعة إلى وجوب ترجمة أسماء الأعلام كما ينطق بها أهلها . فهذا لا ريب مبدأ سليم ولكن على شرط أن نعرف كيف كان ينطق بها أولئك الأهل . ونحن لسوء الحظ لا نعرف ذلك دائماً . ولقد ثار الأستاذ زكريا على أساتذة الجامعة وثار الأب الكرملى لأننا نعرب أحياناً عن الإنجليزية والفرنسية مع أننى أستطيع أن أؤكد لهذين العالمين الفاضلين أننا نعرف مبادئ اللغات الأندو أوربية وبخاصة اللاتينية واليونانية ، ولكننا مع ذلك نؤثر أن نترجم عن اللغات الحديثة لأننا لسنا على ثقة من نطق هاتين اللغتين ، وهما لغتان ميتتان ، والعلماء مختلفون فى نطقهما الآن أشد الاختلاف . وأنا وإن كنت لا أستطيع أن أدخل هنا فى التفاصيل إلا أننى أضرب لذلك مثلاً باسم الخطيب الرومانى الشهير Cicero فهذا الإسم ينطقه اليوم علماء الإنسانيات الإيطاليون « شيشرو » كأنه لفظ من ألفاظ اللغة الإيطالية الحديثة . والفرنسيون كذلك ينطقونه « سيسرو » والإنجليز « كيكرو » فأيها أصح ؟

نعم لقد قامت فى السنين الأخيرة دعوة كان من أكبر زعمائها العالم الفرنسى ماروزو Marouzeau تدعو إلى محاولة النطق نطقاً تاريخيًّا أى نطقاً يقارب النطق القديم يستنتجونه من بعض الكتابات الصوتية القديمة ومن العناصر الموسيقية

في الشعر ومن نتائج علم الأصوات التاريخي وتطور نطق الحروف المختلفة كما يستعينون بآراء العالم إرزم ومحاولاته في هذه السبيل. أقول إن ذلك كله قد كان، ولكن هذه المحاولات لم تنجح. ولا يزال علماء كل بلد في أوربا ينطقون اللاتينية واليونانية كأنهما من لغاتهم. وإذن فنحن حتى في هاتين اللغتين مضطرون إلى أن نتخير نطقاً نأخذه عن علماء أحد هذه البلاد. وذلك إلى أن يستقر النطق التاريخي Reconstituée على أسس ثابتة مقبولة من الجميع

ويزيد الأمر تعقيداً أن مسألة تعريب الأسماء لا يمكن أن يكون وفقاً لقرارات يصدرها المجمع اللغوي أو الأستاذان الكرملي وزكريا ابراهيم، وإنما الأمر أمر استعمال: استعمال كبار الكتاب الذين لهم من الشهرة ما يجعل تعريبهم يذيع بين الناس

خذ لذلك مثلاً ما استقر عليه العرف في فرنسا منذ القرن السابع عشر تجد أن أسماء الأعلام الشهيرة التي تتداولها الألسن قد أعطيت صيغة فرنسية، ولذلك يقولون فرجيل وهومير وسوفوكل وأوربيد وإشيل. وأما الأسماء التي لا ترد إلا على ألسنة الخواص من العلماء فقد تركت لها صيغتها اللاتينية واليونانية، ولذلك يقولون: كورينلوس نيوس وإبيكوس وبيوس وموسكوس ومن إليهم

وإذن فالأمر أعقد مما ظن الأستاذ زكريا ابراهيم. وأساتذة الجامعة يؤلمهم أن يبلبلوا أذهان القراء. ولكن ما الحيلة والمسائل معقدة؟ أليس من الأجدى علينا وعليكم أن تتركونا نتحسس السبل ونجاهد حتى نصل إلى تعريب سهل قريب مستساغ نرجو معه أن تنتشر الألفاظ التي نفضلها فتنحل المشاكل ويرتفع اللبس؟ ثم أليس من الخير أن نعرب عن إحدى اللغات المنتشرة في بلادنا بدلاً من التعريب عن لغات قديمة لا يعدو من يعرفها من مواطنينا الذين نكتب لهم عدد الأصابع؟

محمد مندور

سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات

المعروف أن أقوى سبب لاختلاف القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، فجاء الإذن بقراءة القرآن على الفصيح من تلك اللهجات، ولم تتعين قراءته باللغة التي نزل بها وهي لغة قريش، تيسيراً على غيرها من القبائل العربية

ولكن هناك سبباً آخر لم يذكروه في أسباب اختلاف القراءات، مع أن من هذه القراءات ما يظهر غاية الظهور أنه راجع إليه، ولا يظهر أنه راجع إلى اختلاف اللهجات، وذلك نحو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ففي بعض القراءات (فتثبتوا) بدل (فتبينوا) ولا شك أن مثل هذا في القراءات وهو كثير لا يظهر إرجاعه إلى اختلاف اللهجات، وإنما يظهر إرجاعه إلى ما كانت عليه الكتابة العربية قبل اختراع النقط والشكل فيها، لأن مثل هذا يقف القارئ فيه متحيراً، فلا بد أن يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته، وقد يكون بعيداً عنه فيتعذر رجوعه إليه، فقضت رأفة الله أن يقرأ القرآن بما يحتمله من ذلك تيسيراً على المسلمين في عصر الوحي، وثقة بملكة العربي في ذلك الوقت. ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يعين أمثال تلك المواضع، أو كانت ترد إليه فيقر ما يراه منها. ومما يظهر حمله على ذلك أيضاً قوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فقد قرأ الحسن وحماد الراوية (وعدها أباه) بالباء، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، فإذا كنت أصبت في حملها على ذلك السبب فهو من فضل الله، وقد يكون الصواب في غير ما رأيت من ذلك، والعصمة لله وحده

عبد المتعال الصعيدي

(الرسالة): أشرنا إلى هذا الرأي بإيجاز في كتابنا «تاريخ الأدب العربي»

الشاعر المظلوم

الأستاذ الدكتور زكي مبارك

عددت على شاعرنا «إسماعيل صبري باشا» أن اشترك في «عام الكف» مع أنه مدح الشيخ أحمد الزين!

كذلك جاء في مقالك الأخير بالرسالة الذى تحلل به المويلحى فى فقرة جعلت عنوانها (الأديب المضطهد) فأوحيت إلى بهذا العنوان

ومدح الشاعر صبرى باشا للشيخ أحمد الزين له قصة رواها على ملأ من كرام العلماء والأدباء إمامٌ من أئمة الأدب والعلم والفضل هو شيخنا مصطفى عبد الرازق باشا يجب إيرادها إنصافاً للشاعر الغائب :

كان ذلك منذ عامين ، وبيت عبد الرازق بعابدين على عهدك به فى ليلة من ليالى رمضان ؛ ولم يكن الشيخ أحمد الزين وطائفة من أصدقائه غائبين عن هذه الجلسة ، وجرى ذكر الشعر والشعراء وصلتهم بالنحو واللغة فقال الدكتور هيكل باشا : لعل الشاعر إسماعيل صبرى باشا لم يكن واسع المحصول اللغوى سمة تحميه من التورط أحياناً فى بعض الأخطاء . فالتفت الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا يدفع غيبة صديقه صبرى باشا فقال له هيكل باشا : لقد أسمعنى بعضهم شعراً له جاء فيه كلمة (خلاق) بمعنى خلق وهى ليست كذلك فيما يقول الشيوخ !

فقال الشيخ عبد الرازق باشا ـ والشيخ أحمد الزين حاضر ـ إننى أنكرت ذلك أيضاً ، فلما لقيت صبرى باشا لم أكتمها عنه فكان جوابه : إن الشيخ الزين رجل مثابر على الود ، فلما هم بطبع ديوانه سألنى أبياتاً فلم تسعفنى القريحة . ولما تكرر منه الطلب لم يسعنى إلا أن أقول له — وهو شاعر أيضاً — اصنع أبياتاً لنفسك على لسانى . فلما أهدى إلىّ ديوانه قرأتها كما قرأتموها ، وصبرت على ما لم تصبروا عليه

***

وأقول : إنك يا دكتور — وأنت ذواقة — حين تقرأ الأبيات لا ريب تنكر نسبتها إلى سائر شعر صبرى باشا ، أو تتردد طويلاً جداً على الأقل . وها هى ذى ليشترك معك ومع قراء الرسالة فى الحكم :

إذا كنت يا زين زين الأدب	فإن كتابك زين الكتب
قلائد طوقت جيد البيا	ن بهن وحليت جيد العرب
خلائق تزرى بنفح الرياض	إذا ضحكت من بكاء السحب
وما المرء إلا (خلاق) كريم	وليس بما قد حوى من نشب

(المجمع اللغوى) علي فوده

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 489

Lundi - 16 - 11 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

الجامعة العـــالمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

تستعد الأمم المقاتلة للحرب في المدرسة كما تستعد لها في مصانع الذخيرة والسلاح ، فليس من النافع منع التسليح أو قصره على مقدار مرسوم إذا لم يكن مقترناً بمنع الأسلحة الفكرية والعدد الخلقية التي تتحفز أبداً للحرب ولا تستريح طويلاً إلى عهد السلام

هكذا يقول الفيلسوف الرياضي الكبير « برتراند رسل » في مجلة « الفورتنتيلي » من مقال عن الجامعة العالمية أو عن التعليم العالمي الذي يمحو الحزازة العصبية ويهيئ العقول للسلم والمعاونة بين الأقوام والأجناس والأوطان

وبرتراند رسل كما يعرفه قراؤه رجل من أقدم دعاة السلم بين كبار الحكماء والعلماء ، وكانت دعوته إلى السلم في إبان الحرب الماضية سبباً لحبسه وتغريمه وانقطاعه عن التعليم

فهو الآن يتأهب لدعوة جديدة من طريق جديد ، وتلك هي طريق التربية العلمية التي ينبغي أن تعم جميع الطلاب في جميع الأوطان ، وأن يكون لها غرضان مقترنان ولا تكتفي بغرض واحد ينحصر في العلم والمعرفة « الأكاديمية » كما يسميها . فإنما الغرض الأكبر أن يكون التعليم على نهج يؤدي إلى تعميم

السلم وحسم بواعث القتال ، خلافاً للنهج الذى سار عليه حتى لآن فى معظم البلدان

قال : « من الواجب أن تكون للجامعة المنشودة وثيقة تشتمل على حقوق مرعية تقضى فيما يتعلق بالأساتذة والطلاب على السواء أن تفتح أبوابها لجميع الأجناس وجميع الأديان وجميع الآراء السياسية ؛ ماعدا تلك التى ترفض المعاونة العالمية ، إذ هى لن تفلح فى دعوتها العالمية إن أخفقت فى تحقيق هذه الشريطة ، ولكل رجل أو امرأة على استعداد على أن يدخلها فلا يحول بينه وبين دخولها لونه الأصفر أو لونه الأسمر أو لونه الأسود ، ولا أنه من بنى إسرائيل أو من البوذيين أو المسلمين أو المندوكيين ، بل لا يجوز فوق هذا أن يحول بينه وبين دخولها أنه لا يؤمن ببعض العقائد والمقررات كائناً ما كان »

وعنده أن ما جرى عليه العرف حتى اليوم يناقض هذه المساواة العالمية حتى فى تدوين تواريخ العلوم . فالقاعدة التى تعرف عند الإنجليز باسم قاعدة بويل تسمى قاعدة ماريت بين الفرنسيين ، ويذكر الكتاب الإنجليز أحياناً أن بريستلى هو كاشف الأوكسجين ، وفى ذلك غبن للعالم لافوازييه . ويميل الرياضيون الألمان إلى اعتبار جاوس مؤسساً للهندسة « غير الإقليدسية » ، وقد أسسها فى الواقع لاباتشفسكى الروسى . وطالما اختلفت الكتب الإنجليزية والأمريكية فى الكلام على اختراع زورق البخار ، إلى اختلافات أخرى من هذا القبيل أشهرها الاختلاف بين نيوتن وليبنتز على اختراع حساب التفاضل والتكامل مما عاق جورج الأول عن اصطحاب ليبنتز عند قدومه إلى البلاد الإنجليزية وما جر إليه ذلك من تعطيل الرياضيات فى هذه البلاد قرناً من الزمان أو يزيد

ويقول الفيلسوف : « إن الأمم الكبرى جميعاً على تفاوت فى الدرجة تزيف التاريخ وتتعرض له بالتمويه والتعديل . فحركة العصيان الهندية يتعلمها الأطفال الإنجليز من وجهة نظر واحدة ، والواجب فى الجامعة العالمية أن تعطى وجهة النظر الهندية من الرجاحة ما تعطاه وجهة النظر الإنجليزية . وكذلك يجب عند شرح تاريخ الحرب الإسبانية الأمريكية أن نلاحظ الحيدة المستقلة بين أسبانيا والولايات المتحدة . وهذه وما شابهها نقائص لا تسلم منها أمة واحدة فى العالم بأسره ولكنها أسوأ ما تكون فى ألمانيا وإيطاليا واليابان »

إلى أن يقول : « إن هيجل فى فلسفته التاريخية يرى أن « الروح » الذى يسيطر على عظائم الحوادث يتجسم تارة فى هذه الأمة وتارة فى تلك ، وأن كبار الرجال الذين يختارهم ذلك الروح المسيطر على الحوادث لبلوغ غايته هم أناس مرفوعون فوق قوانين الأخلاق والآداب على مثال الإسكندر وقيصر . وقد اختار الروح أمة الجرمان لتحقيق ما يريد فى عصرنا هذا »

وبعد أن شرح الفيلسوف الرياضى الكبير نظام الإدارة ونظام التعليم وتحضير الكتب للدراسة فى الجامعة العالمية قال : « إن الدعوات الوطنية إنما نجحت فى الأغلب الأعم لإحساسهم أنها تجرى مع المصالح الوطنية فى مجرى واحد . فإذا أريد للنظرة العالمية الجديدة أن تفلح وتؤتى ثمرها فمن الضرورى أن تتمثل للناس موافقة للمصالح الوطنية على ذلك المنوال »

***

وهنا تتلاقى آراء كثيرة قد تتشعب وتتدابر فى غير هذا الملتقى الواضح المأمون من جميع نواحيه

فليس المقصود بالتعليم العالمى أن يجور على المصالح الوطنية ، وإنما المقصود به أن يبطل النزعات التى تجور على مصلحة العالم بأسره أو مصالح الأمم الأخرى فى تعاونها على السلم والحضارة .

فالوطنية والعالمية لا تتناقضان ، لأن خدمة العالم بأسره لن تضير وطناً من الأوطان ، ولا سيما الأوطان التى لا تملك القوة ولا تتذرع بها إن ملكتها إلى الطغيان على الآخرين .

وقد رأينا بعض المفكرين الداعين إلى التآلف بين الشعوب على أساس العالمية أو أساس الحكومات المشتركة ينزعون إلى التشكيك فى عناصر الوطنية لأنها شىء يصعب التعريف به وفهم معناه ، فإذا قيل مثلاً إنها قائمة على الوحدة الجغرافية فالفاصل بين الأرض الفرنسية والأرض الجرمانية فاصل اتفاقى من معظم نواحيه ، وإذا قيل إنها الوحدة الجنسية فليس فى الأرض أمة تخلو من مزيج الأجناس ، وإذا قيل إنها الوحدة اللغوية فليس باللازم أن تقترن المشاركة فى الوطن الواحد والمشاركة فى اللغة الواحدة ، وإذا قيل إنها وحدة الدين فقد تجتمع فى الأرض

الواحدة عدة أديان وعدة مذاهب من دين واحد ، وإذا قيل إنها وحدة الحكومة فقد يخضع الناس لحكومة واحدة مكرهين مستعبدين ، وإذا قيل إنها التراث التاريخي فهذا ولا شك من أقوى عناصر القومية ولكنه لا يخلقها ولا يمنع التفاهم بين أصحاب التراث المختلف على حكم واحد أو صلة حكومية متكافلة .

إلى آخر ما يقول أولئك المفكرون الداعون إلى التآلف العالمي وهم مخطئون فيما نراه

وقد ناقشنا هذا الرأي في موقف كوقفنا الحاضر منذ سنين فقلنا : « إن كلاماً كهذا يمكن أن يساق لإضعاف المزايا الإنسانية وتقريب الفوارق بين الإنسان والحيوان ، ثم هو لا يفضي إلى نتيجة ولا يدل على معنى مستقيم ... قد تقول مثلاً ما هي معالم الإنسانية التي تفرق بين الإنسان والحيوان ؟ أهي اللغة ؟ كلا ! فإن أناساً كثيرين يولدون بكماً لا ينطقون ولا يعقلون . أهي أعضاء الأجسام ؟ كلا ! فإنه ما من عضو في إنسان إلا يقابله عضو مثله أو يقوم مقامه في حيوان : أهي انتصاب القامة ؟ كلا ! فإن بعض الأحياء تمشي على قدمين وبعض الناس يزحفون على الأربع . أهي عناصر الدم ؟ كلا ! فإن التحليل قد يكشف فرقاً بين دم الرجل ودم المرأة وبين دم الشيخ ودم الصبي وكلهم من بني الإنسان ؛ وزد على هذا أن الدم ليس بمزية الإنسانية العليا ، فإن أناساً في ذروة العظمة قد يرجح عليهم في نقاوة الدم وصحة تركيبه أناس في حضيض الذل والجهالة . أهي قابلية التناسل ؟ كلا ! فإن الخيل والحمير تتلاقح وهي من نوعين ، والبغال لا تتناسل وهي من نوع واحد ، وقد يعيش الرجل والمرأة معاً عيشة الأزواج ولا ينسلان »

فصعوبة التعريف والتفريق لا تنفي وجود الأشياء التي نريد أن نعرفها ونفرق بينها ، والوطنية شيء موجود لا شك في وجوده وإن تعددت عناصره حتى تعذر الجمع بينها في وطن واحد

ومن الخطأ أن نناقض بين العالمية والوطنية لأنهما في الواقع غير متناقضين ، وإذا بنيت الدعوة إلى التعاون بين شعوب العالم على أن هذا التعاون يغض من الغيرة الوطنية فمصير تلك الدعوة معروف من الآن ، وهو الإخفاق السريع

وإنما الصواب ما قال الفيلسوف الرياضي الكبير حيث رأى أن ضمان النجاح للدعوة العالمية مكفول بالتوفيق بينها وبين مصالح كل أمة تلبي تلك الدعوة وتشترك في المعونة

وهذا الذي نرجو أن يكون وأن يتوافى إليه شعور الأقوياء والضعفاء معاً بعد الحرب الحاضرة

ويبدو لنا أن تعدد الأقوياء سيلجئهم قسراً إلى التعاون بينهم على رعاية حقوق الضعفاء فينفتح من ثم باب التعاون بين هؤلاء وهؤلاء

فليس في الوسع أن يطغى قوي واحد على أنداده الأقوياء ، وليس في الوسع أن يتفقوا على قسط متساو من المصلحة المشتركة يمنع التنافس ويحسم النزاع . فلا نغلو بالأمل إذا قلنا إن الطريق الأيسر لهم والأجدى عليهم هو الاتفاق على التعاون بينهم وبين الضعفاء ، والتفاهم على معاملة وسطى فيها رعاية للحق ورعاية للمصلحة الجامعة ورعاية لمصلحة الأمم أمة أمة على حدة . فقلما يرجى فلاح لمطلب من مطالب بني الإنسان يبنى على الحق وتنسى فيه المصلحة ، أو يبنى على المصلحة وينسى فيه الحق ، وآية الرجاء في مصير الدعوة العالمية أن الحاسة الخلقية وأن الوجهة النفعية فيها تتقاربان وتتساندان

عباس محمود العقاد

محيي الدين النـــووي
والسلطان بيبرس

للدكتور عبـد الوهاب عزام

كان شيخ الإسلام أبو زكريا يحيي النووي من أعلام العلماء في القرن السابع الهجري ، ذا مكانة عالية بين علماء الفقه والحديث . وكان له في التقوى والورع والزهد سيرة محمودة ، وفي نصرة الحق وتأييده مواقف مشهودة . ولا بأس أن نثبت هنا بعض سجعات ابن السبكي : « كان يحيي رحمه الله سيداً وحصورا ، وليثا على نفسه هصورا ، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا إذا صيّر ربع دينه معمورا . له الزهد والقناعة ، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يصرف ساعة في غير طاعة . هذا مع التفنن في أصناف العلوم : متون أحاديث ، وأسماء رجال ، ولغة وصرفاً ، إلى غير ذلك » .

ولست أبغي هنا ترجمة النواوي ، ولكن أذكر واقعة كانت بينه وبين الظاهر بيبرس ، وهي واحدة لها أمثال في سيرة الشيخ ، ولها نظائر كثيرة في تاريخ الإسلام :

كان بيبرس ملكاً مجاهداً أبلى في قتال التتار والصليبيين بلاء عظيماً ، وقد انتظمت شجاعته وعزيمته مع شجاعة أسلافه وأخلافه من الأيوبيين والمماليك ، فكانت سراً من الجهاد والجلاد ، وقي البلاد المصرية مصائب الغزاة ، وخيّب دونها آمال الصليبيين مائتي سنة . وكذلك كانت همته وإقدامه هو وجنوده في مصر والشام ، كالطود ارتد عنه سيل التتار بعد أن جرف البلاد الإسلامية من سمرقند وخوارزم إلى حلب ودمشق ؛ فعلّموا جنود هولاكو في « موقعة عين جالوت » وما بعدها أن مصر أبعد من أن يطمعوا فيها ، وأن الشام أعز من أن يسيطروا عليه

وكان بيبرس في جهاده المستمر ، وحربه المتمادية ، يتوسل إلى المال يستعين به على جهاده ، وكان الشيخ النووي يكتب إليه ناصحاً كلما رأى في عمل السلطان شدة ، أو جوراً ، أو مخالفة للشرع ، لا يني في هذا ولا يداهن ، ولا تأخذه رغبة ولا رهبة

كتب مرة إلى السلطان هو وبعض العلماء ، يطلبون رفع بعض المكوس ، ويوصون بالعدل والشفقة ، فكان في الجواب إنكار وتوبيخ وتهديد ، فكتب الشيخ النووي يجادل فيما تضمنه جواب السلطان ويقول :

« وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا ، وتهديد طائفة العلماء فليس هو المرجوّ من عدل السلطان وحلمه . وأي حيلة لضعفاء المسلمين في الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ولا علم لهم به ؟ وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ؟ وأما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان ، فإني أعتقد أن هذا واجب علي وعلى غيري . وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى . « إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار » . « وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد » . وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحق حيثما كنا وألا نخاف في الله لومة لائم »

ولما ذهب السلطان إلى الشام لمحاربة التتار أراد أن يأخذ مالاً من الرعية يستظهر به على العدو واستفتى العلماء فأفتوه . ثم سأل عن الشيخ النووي أن يشارك العلماء في الفتوى . فلما حضر الشيخ قال السلطان : اكتب خطك مع الفقهاء . فامتنع . قال السلطان : لماذا لا تكتب ؟ قال الشيخ :

« أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار ، وليس لك مال . ثم منّ الله عليك وجعلك ملكا . وسمعت أن عندك ألف مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتا جارية لكل جارية حقّ من الحلي . فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي أفتيتك بأخذ المال من الرعية »

قال الظاهر للشيخ : أخرج من بلدي (يعني دمشق)

قال الشيخ : السمع والطاعة . وخرج إلى نوى

فأنكر الفقهاء أن يُخرَج مثل النووي من المدينة ، وسألوا السلطان أن يرجعه . فأمر السلطان بإرجاعه . فأبى الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر بها

لست أدري أكان السلطان محقا في فرض ما فرض من المال أم لا . ولست لذلك أعرف أكان الشيخ محقا في مجابهة السلطان بما جابهه به ، ولكن لا ريب عندي أن السلطان أحسن حين التمس فتوى العلماء قبل أن يجمع المال ، وأن الشيخ أدى واجبه حين صارح السلطان بما يعتقد ، ولم يأخذه في الحق خوف ولا طمع ، وأن محيي الدين النووي قد فقه أحسن الفقه ما على العلماء من النصيحة لأولي الأمر ، والجهر بالحق في غير مداهنة ولا خوف . رحم الله النووي ؛ لقد كان من علماء المسلمين . ولله تاريخ المسلمين كم فيه من أمثال محيي الدين !

عبد الوهاب عزام

الهـــدف الأدبي

للدكتور زكي مبارك

[في الاحتفال الذي أقيم بدار الجمعية الجغرافية لافتتاح الموسم الثقافي لخريجي الجامعة المصرية ألقيت ثلاث خطب في تحديد أهداف الموسم : خطبة الدكتور منصور بك فهمي في الهدف الروحي ، وخطبة الدكتور حسن إبراهيم في الهدف الاجتماعي ، وخطبة الدكتور زكي مبارك في الهدف الأدبي . وحال مرض الدكتور عبد الوهاب عزام دون خطبته في الهدف العلمي]

هذه فاتحة الموسم الثقافي لخريجي الجامعة المصرية ، والجامعة أول مظهر من إرادة الأمة في العصر الحديث ، فقد أنشأتها الأمة قبل أن تفكر فيها الحكومة ، والأمم لا تسبق الحكومات إلا حين تكتمل فيها الحيوية الروحية والعقلية . وقد كان من أثر ذلك أن صارت الجامعة منذ إنشائها إلى اليوم مثابةً لحرية الفكر والرأي . ولعلكم تذكرون أنها لم تقبل الانضمام إلى الحكومة إلا بعد إعلان الاستقلال ، وبعد أن صارت الفكرة القومية هي التي توجه مذاهب التعليم والتثقيف إلى خير البلاد

كان الموسم الثقافي لخريجي الجامعة حُلماً يعتاد خاطري من حين إلى حين ، وكان الرأي عندي أن ينهض به الخرّيجون المستقلون ، وأعني بهم من لا يتصلون بالجامعة عن طريق التدريس ، لأن الجامعة أعدت هؤلاء لتثقيف الطلبة ، وأعفتهم من تثقيف الجماهير ، ولأن لبثّ الثقافة الجامعية خارج أروقة الكليات أساليب يجيدها الجامعيون المستقلون بأقوى مما يجيدها الجامعيون الرسميون ... وهل ننسى أن للتدريس قيوداً تحصر المدرس في آفاق لا تتسع في كل وقت لدرس ما يتصل بالمجتمع من مُعضلات لا يلتفت إليها الطلبة إلا بعد أن تكتوي أيديهم بنيران المجتمع ؟

إن الجامعي المدرس يكون في أحسن أحواله يوم يصبح على رأي الفراء حين قال : سأموت وفي نفسي شيء من حَتَّى !

ومعنى ذلك أن أفضل حياة للجامعي المدرس هي الحياة التي تفرض عليه أن يكون إماماً في تشريح الجزئيات ، عساه يصل بتلاميذه إلى تصور الكليات ، في تواضع محبوب ينسيه وجوده الذاتي ، ويحبب إليه الرضا بحظ الجندي المجهول في تثقيف العقول

الجامعيُّ المدرس لا يعاب عليه أن يجهل المجتمع الذي يعيش فيه ، ما دام يعرف الدقائق من العلم الذي انقطع إليه . وقد رأيت من أساتذة السوربون من يجهلون زمانهم بعض الجهل ، أو كل الجهل ، لأنهم تخصصوا في دراسات سبقتْ زمانهم بأجيال(١) .

أما الجامعيّ المفكر فله أسلوب غير هذا الأسلوب . الجامعي المفكر يتخذ من الدراسات الجامعية موازين يزن بها ما في المجتمع من أحلام وأوهام ، وحقائق وأباطيل . الجامعي المفكر يرى جميع العلوم وسائل لا غايات ، فالغاية الصحيحة عند الجامعي المفكر هي أن ينقل المجتمع من حال إلى أحوال في مذاهب الفكر والمعاش . الغاية عنده هي الإبداع لا التحصيل ، الغاية عنده أن تكون آراؤه موضوعات الدرس في الجامعات ، لا أن يكون شارحاً لآراء الناس . ومن أجل هذا اختلف المحصول الذي يَصدُر عن الجامعي المفكر والمحصول الذي يصدُر عن الجامعي المدرس ، فالأول يُبدع والثاني يشرح ، وهما في منزلة سواء في نظر العدل ، لأن الغرض الأصيل هو خدمة الحق بأي أسلوب وفي أي موضوع .

ومن آفات الحياة في مصر أن يتوهم أهلها أن الفكرة الجامعية لا تتمثل إلا في الجامعي المدرس ، وكان ذلك لأن مصر طال عهدها باحترام الوظيفة الرسمية ، فلم تعد تدرك أي قيمة للوظيفة الروحية

وقد انساق الجامعيون في هذا المساق ، فلم نسمع أن فيهم من يحمل راية الجامعة ، وهو غير مدرس بالجامعة ، فكانت النتيجة أن يُحبَس صوت الجامعة في حدائق الأورمان ، وأن تشعر الحواضر والأقاليم بأن الجامعة صورة من صنع الخيال

والحق أن الجامعة أرادت لأبنائها ما لم يريدوا لأنفسهم ، هي أرادت أن يكونوا مفكرين ، وهم أرادوا أن يكونوا موظفين ، وبين الإرادتين فرق بعيد

ومن أجل هذه الأسباب ضاعت محاولاتي في خلق الموسم

(١) من أغرب ما رأيت أن المستشرق كازانوفا كان خالي الذهن من آثار « تين » في النقد الأدبي

الثقافى لخريجى الجامعة المصرية ، وهو موسمٌ دعوت إليه منذ أعوام ولم أجد من يستجيب ، إلى أن لاحتْ فرصة لا يجود بها الزمان ، إلا فى أندر الأحيان

فما تلك الفرصة الذهبية ؟

رأيت جماعة من خريجى الجامعة يتشكون على صفحات الجرائد من قلة الرواتب ، فأسرعت إلى نهيهم عن هذا التشكى ، وأفهمتهم أن للجامعة رسالة غير رسالة القوت ، وأن مبدأنا أن نجوع لتشبع الأمة ، وأن نتعب لتستريح . . . وهل تعرفنا الجامعة إن صرنا طلّاب أموال ، لا عشاق آمال ؟

وسمع خريجو الجامعة صوتاً لم يسمعوه من قبل ، فدعونى لأشرح لهم رأيى ، فقلت : إنى لا أثق إلا بمن يحلفون على المصحف . فقالوا : إن اليمين لا تُطلب إلا من المرتابين ، وسترى كيف نصدُق بدون يمين

كان ذلك فى يوم جمعة من شهر رمضان ، فهل تكون الأقدار أرادت أن توقظ المعانى الروحية فى أنفس الجامعيين ، بلمحة كريمة من لمحات شهر الصيام عن الآثام ؟

أؤكد لكم أنى لم أكن أنتظر أن يتقبّل أولئك الشبان هـذا الصوت بمثل ذلك القبول ، فقد ابتلتهم الأيام بعصر منحرف عن المعانى . وهل فينا من ينكر أن الموظف الذى يزيد مرتبه عن زميله خمسة قروش يعتقد أنه أرقى من ذلك الزميل ؟

البحث عن الدرجات المالية ليس من عيوب الفكرة الجامعية ، ولكنه من عيوب الحياة الديوانية . وسيذكر أبناء الجامعة واجبهم ، سيذكرون أن إنشاء الجامعة كان فى الأصل غضبة على سياسة التعليم للتوظيف ، وصاحب الوظيف وصيف ، كما يقول أهل تونس الخضراء

ما الذى يوجب أن يبحث الشاب المتخرج فى كلية التجارة أو كلية الزراعة عن وظيفة كتابية ؟

إن هذه الظاهرة تشهد بأن بعض الكليات تعجز عن رياضة أبنائها على الإيمان بما تخصصوا فيه ، إيماناً يجعلهم أقطاباً فيما تخصصوا فيه ، ويفرض عليهم أن يعينوا الدولة على تحقيق ما تريد من كرائم الأغراض

إنى أتمنى أن يقترب اليوم الذى تَفرض فيه الدولة على خريجى الجامعة ضرائب فكرية ، اليوم الذى يُقال فيه إن خريجى الجامعة يملكون ثروات لا يملكها أصحاب الملايين ، وإن من الواجب أن تفرض عليهم الضرائب ، لتستطيع الدولة أن تقيم أَوَد المنكوبين بالزهد فى كرائم المعانى

يجب أن يكون من أغراض الجامعيين أن يُطَمْئنوا الدولة على أن أملها فيهم لم يضع ولن يضيع

إن هذا اليوم قريبٌ قريب ، وسنخلقُه خلقاً إن تأبَّى وامتنع ، وسيعلم الذين آمنوا بجهادنا فمنحونا ألقاب الجامعة أن إيمانهم كان الإيمان ، وأنهم سلَّموا راية الجامعة إلى جنود هم الرجال

لقد استُضعِفنا حيناً أو أحايين ، والله قد يمُنّ على الذين استضعفوا فيجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين

ولكن الله على كرمه لا يجود إلا بميزان ، ليعلّم عباده معنى النظام ومعنى العدل ، فإن جاز فى وهمنا أن الألقاب الجامعية تُغنى عن الجهاد الموصول فى سبيل المجد ، فقد ضللنا سواء السبيل

هل تفهمون معنى كلمة « ليسانس » وهى أول درجة من الدرجات الجامعية ؟

الليسانس كلمة فرنسية معناها الحرية ، وحرية الجسم لا تتم إلا بسلامة جميع الأعضاء ، وكذلك حرية العقل وحرية الروح ، فلا حرية لعقل تعوزه المواهب ، ولا حرية لروح يعوزه الصفاء .

وأشرح كلمة الليسانس من ثانية فأقول :

الغرض من هذه الكلمة هو إعطاء الطالب راية الحرية ، الحرية من جميع ما قرأ وما سمع ، ليكون من المبدعين

فأين حَمَلة الليسانس من هذا الغرض ؟

إن أعفتهم الدولة من تحقيق هذا الغرض فلن يعفيهم الوطن ، ولن يرحمهم الله الذى علّم آدم فى الفردوس ليكون رسوله إلى ممالك الأرض

إن للجامعة المصرية رسالة ندور حولها من وقت إلى وقت ، وإن كان لها فى أنفسنا صورة لا يتمثلها أبرع فنان ، ولو استوحى نجوم السماء

وتلك الصورة هى سبب شقائى ، وأنا الجامعىُّ المخضرَم الذى

ظفر بألقاب الجامعة القديمة والجامعة الجديدة ، فماذا صنعتُ فى دنياى ؟

إن قصائدى ومؤلفاتى ومقالاتى لا توحى إلى نفسى شيئاً من الازدهاء ، لأنى أفهم جيداً أن للنبوغ والعبقرية غاية إنسانية لا غاية محلية ، فأنا لا أقنع بأن يكون الجامعيّ هو المصرى الأول ، وإنما أسمو إلى أن يكون الإنسان الأول ، فاستعدوا للنضال فى ميدان تكونون فيه أوائل الأبطال

لا قيمة للأرقام فى حياة الوجود ، ولن يكون من أسباب ازدهاء الجامعيين أنهم بلغوا بضع ألوف ، فالشمس واحدة والقمر واحد ، وهما عندنا أنفع من النجوم التى تفوق الإحصاء

وأنا من أجل هذا المعنى لا أقيم وزناً للتضامن الجامعي ، لأن التضامن سناد الضعفاء . أعاذنى الله وأعاذكم من وباء الضعف . وهل تتجمّع فى الأرض أمةٌ كما تتجمع أمة النمّل ؟

الجامعىّ الحق هو الذى يسير فى كل أرض وفى عقله فكرة الجامعة ، كما يسير المسلم فى كل أرض وفى روحه هَدْيُ المصحف

كونوا آحاداً ، ولا تكونوا جماعات ، فالوحدانية هي العقيدة التى ارتفع بها الشرق ، وبها ارتفع الغرب ، إن كنتم تذكرون طلائع النهضات فى التاريخ

إن الأدب الإسلامي أوصاكم بالتخلق بأخلاق الله ، وأعظم صفات الله هي صفة الوحدانية . ولن يكون للتضامن قيمة إلا إن كان أرقاماً صحاحاً تضاف إلى أرقام صحاح ، وأعيذكم أن تكونوا أصفاراً تزيد قيمة الرقم الصحيح

الصفر وحدَه عَدَم ، ثم تكون له قيمة إن تضامن مع الرقم الوجود ، فماذا تريدون بأنفسكم ، يا أبناء الجامعة فى هذا الجيل ؟

أنا أحب لكم ما أُحبُّ لنفسى ، وأنا أكره أن يكون لأىّ مخلوق علىّ سلطان ، فتحرروا من بوارق الدنيا كما تحررتُ ، ليُسبغ الله عليكم نعمة الأدب الرفيع

لا تنشروا بعد اليوم على صفحات الجرائد شكايتكم من قلة الرواتب ، وإن سطراً تكتبونه صادقين هو الرزق النبيل . وذكاء المرء محسوبٌ عليه ، كما قال الأسلاف

العقيدة الأدبية والعلمية هى الأبوّة الكريمة للرجل الحصيف ، فلا تعرّضوا مواهبكم لليُتم الدميم ... وفى الناس أيتامٌ آباؤهم أحياء !

يجب أن يكون للجامعة فى كل ميدان جنود . يجب أن يكون إليها الرأى فى جميع المعضلات الأدبية والفلسفية والتشريعية والهندسية والطبية والعلمية

ويجب أن يكون الجوع أشرف قوت يقتات به الجامعيون الأصلاء

أترونني أسرف فى الأمانى ؟

إن قلتم هذا القول فإنى أجيب بأنْ ليس فى الخير إسراف

لقد كانت بلادنا أول مشرق للعلوم والآداب والفنون ، وكانت وثباتها العلمية والأدبية والفنية موكولة إلى رجال لا يقيمون وزناً للأقوات ، فكيف نيأس وتأخُّرُنا المادىُّ هو الشاهد على صدق بُنوّتنا لأولئك الآباء ؟

أما بعد فماذا أريد أن أقول ؟

لم أقل شيئاً ، لأنى قلت أشياء ، وبعضُ الإيجاز أبلغ من الإطناب

الهدف الأدبى لهذا الموسم هو أن نخلق للقاهرة شواغل جدية ، بعد أن طال عهدها باستصغار قيمة الوقت ، وبعد أن كان غذاؤها لا يزيد عن اجترار القيل والقال

الهدف الأدبى لهذا الموسم هو أن نُنطق بعض الكليات التى لا تنطق !

الهدف الأدبى لهذا الموسم أن ننقل القاهريين من الاختصام فى التوافه ، إلى الاختصام فى الحقائق

باسم الله نفتتح هذا الموسم ، ولن يتخلَّى الله عن بناء كان اسمُه أول ما سطر على حجر الأساس « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

زكى مبارك

حكم فى القضية رقم ٦٥٥ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس زكى عبد السلام خليل قماش بالحبس شهرين مع الشغل بجلسة ١٧-٦-١٩٤٢ لبيعه قماشاً بسعر أزيد من التسعيرة .

حكم فى القضية العسكرية رقم ٥٣٦ سنة ١٩٤٢ بجلسة ٣-٦-٩٤٢ بحبس كولس ابراهيم الدكر صاحب مخبز بني مزار ثلاثة شهور مع الشغل وغلق المحل خمسة أيام وذلك لبيعه خبزاً بأزيد من التسعيرة .

في الغـــــاب

للأستاذ عبد الحليم عباس

قلت لصاحبي ، ونحن نعتسف الغاب ، نطامن من رأسينا لنتقي أذرع الشجر المتشابكة والممتدة في غير استواء ، ونراوغ في السير مخافة أن نصطدم في فرع شائك ، أو تزل بنا القدم في هذه الأرض الوعثاء . يشبه السير في الغاب ، السير في الحياة . أعني ، لا بد من المراوغة . فعقب وهو ينحي فرع شجرة ، ولا بد من أن يطامن المرء من رأسه — كما أفعل الآن — لينجو من الصدمة ...

— حسن ، فنحن في هذه الغاب ، نمثل قصة الأحياء ، أعني أن كل حي يطامن من رأسه — في حالٍ من الحالات — ويراوغ في مشيته ، في شوطه المقدور ، في دروب الحياة ، كما نفعل الآن ، حذوك النعل بالنعل ، هذا إن أراد أن يستقيم معه الأمر . وإن ركبه الغرور فمشى رافع الرأس ، مستقيم الخطوة ، فلا بد من صدمة يبين أثرها في وجهه ، أو في جسده أو . . . يخرُّ صريعاً لليدين إن كانت الصدمة قوية بالغة ... ولكن قل لي ها هنا الشجر والحجر يصدم السائر ، وفي الحياة . ما ذا ؟

— إرادة الأحياء المنيدة الضاربة في النفس ، كجذور هذه الشجرة ، المستحكمة في باطن الأرض – وراح يهز شجرة سنديان استحكمت ساقها ، وتفض من فعل الزمن ، ويتطلع في فعل المفكر المتألم

— إرادة الأحياء لفظة شاملة ، وفي الشمول غموض وإبهام . ولكن قل لي : نستطيع أن نجتث هذه الأشجار ، فيصبح السير فيها — الغاب — بخطوات مستقيمة وخدود مصعرة ، وقلوبٍ أمنت أن يفاجئها من بين ملتف الشجر ، وخفي الأحجار حيوان مؤذٍ مفترس ، فكيف نجعل الدرب في الحياة كهذه ؟ أننفي منها إرادة الأحياء ؟ ومعنى هذا أن ننفي منها الأحياء . وقد قال بهذا كثير من المفكرين ، ولكن قولهم هذه لم تتحقق في الواقع ، لأن الحياة أقدر على المحافظة على ذاتها من أن تذهب وتمحوها كلهُ من يائس

— فما ذا تمحو من الحياة ؟

— شيئاً واحداً ليصبح السير فيها كالغاب بعد أن تجتث جذور أشجارها

فزمَّ ما بين عينيه ، وقال : امحو منها القوة ، فيصبح الإنسان آمناً ، والأمن هو الحياة ... وتابع قوله : ولكن من القوة ما هو جيل ، وللخلق والإنشاء ... أريد القوة الظالمة ...

— إسمع يا صاحبي . أقوى ما في الغاب الأسد ، وليس هو شرُّ ما فيها ، يأتي الفريسة ، فيدلها على نفسه ، بفضل قوته المرعدة فتتقيه ، وقد تنجو . ومن الضعف ما هو ظالم ، أنسيت النفاق ؟ وما قولك في الكذب ؟ أليس ضعفاً ؟ وما نلقى منه شر البلاء

فأطرق صاحبي ، وفي إطراقه قفز من بين يديه « ابن آوى » فجفل من المفاجأة ، ولما تحققه يستنُّ في عدوه ، صاح : لقد وجدتها ! أمحو منها هذا ؟ جنس الثعالب ؛ الثعلبة ، ربك ألا تراني مصيباً ؟ ...

— أتمنى أن أراك مصيباً اليوم ، ولكن لو محوتها لبقيت الغاب بعدها غاباً ، تطامن لها رأسك ، وتراوغ في مشيتك ، وتقف عند حنية لتجمع نفسك ، وتلمُّ قوتك من حيوان متوثب ، أو وحش غادر ، كشأنك في الحياة ؛ فالثعلب جنس من أجناس . وثعالب الأحياء كل خستها أنها تمشي إلى مطلبها بين مظاهر الجبن والتدليس ، وهي تلقى جزاء خستها هذه . إنها تخشى افتضاح أمرها ، وانكشاف مهارتها الحقيرة . وإن أحقر منها وأحقر ، جنس الأفاعي : تطل برءوسها وجلة ، ثم تنساب ناعمة ، لا يسمع لها حفيف ، إلى الضحية الساهية اللاهية ، ثم تنهشها لغير ما فائدة ، إلا حب الأذى ولذة الإجرام . . . أرأيت الحية ؟ إنتبه . إنها أخطر ما في الغاب

— وهل هي أخطر ما في الحياة ؟ أو رأيتها أنت ؟

— لقد رأيتها كادت تنهشني ؛ لو لا أني فطنت لها ، فركلتها فعادت تتغذى من التراب . ومن العجب أنها تضع على عينها دوماً منظاراً ، ولها صوت موسيقي ناعم جذاب . وهكذا ترى أنك كلما محوت جنساً نبتت لك أجناس ، وكلما أردت أن تقضي على نحيزة نجمت لك نحائز ثم ... ؟

— لم يبق شيء عندي ، أراك ممتناً اليوم . هات وخلني أنا السائل ، وستراني لا أقل عنك إعناتاً . الهدم أسهل من البناء

— هكذا تقول ، وليس هو عند الحق كذلك ، ليس الهدم بأسهل من البناء

— كيف؟ سنتكلم فى هذا مرة أخرى. والآن. أليس كل ما فى الغاب يطلب أن يعيش وهو يصطنع لهذا مطالبه الخاصة: ثعلبة، مراوغة، قوة، إلى آخر هذه المسميات ... وكذلك الشأن فى الحياة والأحياء ... ما رأيك لو جعلنا العيش ميسوراً لكل طالب ... ألا تمحى المنازعات وتذوب الشرور، ويمشي الإنسان ثابت القدم، مرفوع الرأس. كل ما أطلبه أن تمحى أنا، وتحل محلها نحن. ليتم كل شيء

— ولكن تبقى الغاب بعد هذا غاباً، وحيوان الغاب من طبعه الافتراس. إنه يعقل. أرأيت ثعلباً يفترس ثعلباً؟

— لا ... وهذه نقطة الاختلاف عن بنى الإنسان. فالناس جنس والغاب أجناس، هذه هى الطبيعة، ولكن « أنا » جعلت كل واحد جنساً متميزاً بذاته، منفصلاً عن بقية جنسه. فكل « أنا » لا بد من أن يطامن من رأسه ويزحف على بطنه حذرا من « أنا » الثانية والثالثة. أما « نحن » فلا تمشى إلا مرفوعى الرؤوس. أمح قليلاً من « أنا » غير آسف. لو كان الغاب ملكاً لفصيلة واحدة، أكان يمشي أبناؤها وجلين مروعين، كما يمشى البشر فى درب الحياة ... أينا أعقل؟ إن جماع الرذائل فى هذا الزائد فى «أنا» عن حاجة المرء فى الحياة ...

— أو يكون ذلك؟

— سيكون فى يوم ما، إنها الضرورة، إن الإنسانية لتعيش مروعة من الذل والخراب والجوع. وإنك لتعرف أن القلق حالة طارئة وأن الشيء الطبيعى هو حالة الاستقرار. وإلى أن يجيء هذا خلنا نضحك من زرادشت، ونردد قولته، ولكن على غير قصده وهواه ... أهذه هى الحياة؟

هاتها إذن مرة ثانية وثالثة.

وأخيراً يا صاح ها نحن أولاء أنسانا الحديث متاعب الطريق، واستحققنا متعة هذا المرج الضاحك النضير.

(شرق الأردن) محمد الحليم عباس

أطوار الوحدة العربية

ثورة العرب الكبرى

للأستاذ نسيب سعيد

قلنا في حديثنا الماضي إن الطور الثالث « للقضية العربية » يبدأ بإعلان الثورة الكبرى رسمياً يوم ١٠ يونيو عام ١٩١٦ ، ونزول العرب إلى ميادين الصراع والكفاح ، وينتهي بإرسال الحسين بلاغه الشهير إلى الدول يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٨ . فنفصل اليوم ما أجملناه أمس ، ونقول : إن « القضية العربية » كانت في خلال هذه الرحلة — وقد امتدت عامين ونيفا — عرضة لتيارات مختلفة ، وعوامل متناقضة ، لأنها أعظم الأطوار التي اجتازتها شأناً . وقد ظن بها الكثيرون من كبار السياسيين الظنون ، واعتقدوا أنه قد لا يكتب لها التغلب على المصاعب التي أحدقت بها من كل جانب ، فكان جمال السفاح يهاجمها من الداخل بكل قواه ، ويبذل جهوده للقضاء عليها ، والتخلص منها فيتم بذلك عمله الأصلي ، ويقضي على كل حركة عربية ، فينال إكليل الغار والظفر . ولا ريب أن فشله في احتلال مكة وفي إنقاذ الحجاز أفقده ما كان يتمتع به من نفوذ في دوائر الآستانة ، وجعل حكومتها تقلص ظله ، وتنقص سلطته تدريجياً حتى جردته من كل حول وطول ، فطلب أن يقال ، وكانت الحرب في عامها الثالث ، فأقيل وعاد حزيناً مغموماً إلى الآستانة ، يعض كفيه شجناً وأسى ، وقبع في وزارة الحربية هناك ينتظر ما خبأه له القدر ، ولم يطل به المقام حتى فرّ إلى روسية فعاش فيها شريداً طريداً ، ومات قتيلاً منبوذاً ، وتلك عقبى الطاغين

ويجب علينا أن نعترف في هذا المقام أن معظم الفضل في إنقاذ الثورة ، بل في إنقاذ القضية العربية في هذا الدور يعود إلى الجهود الخاصة التي بذلها الحسين وأولاده في الأشهر الأولى للثورة الكبرى ، ولولا ذلك لتم لفخري باشا القائد التركي العام بلوغ مكة ، واحتلالها ، والقضاء على الثورة في مهدها

وعلى كل حال لا بد لنا قبل الحديث عن حوادث الثورة ووقائعها ، من دراسة مقدمات هذه الثورة وأسبابها وعواملها فقد يساعد هذا الدرس — كما نعتقد — على استخراج نتائج إيجابية تنير السبيل ، وتجلي الحقيقة عن ثورة العرب الجبارة

وإذا أردنا البحث عن أسباب الثورة ومقدماتها ، يجب علينا قبل كل شيء ، استعراض علاقات العرب بالترك منذ اتحدا في ظل الهلال العثماني خلال القرون الوسطى ، يوم كان للوازع الديني المقام الأول ، وكان الشرق يعيش في عزلة تامة عن الغرب ، ويدور في دائرة ضيقة من التقاليد والأساليب ، تسلسلت إليه من أسلافه الأولين ، وأجداده الأقدمين ؛ فكل من يستعرض هذه العلاقات بين الأمتين المسلمتين ، يسلم بأن العرب لم يجدوا غضاضة في الخضوع لسلطان العثمانيين حينما فرق يوم مرج دابق جيش السلطان « طومان باي خليفة الغوري » آخر المماليك المصريين ، وتقدم إلى دمشق ، فالقدس ، فالقاهرة فاتحاً ، فقد رحبوا به في كل بلد من بلدانهم ، وقطر من أقطارهم ، وبلغ من شريف مكة يومئذ وهو الأمير بركات أن أرسل إلى القاهرة من حمل إلى السلطان المنتصر كتاب بيعته ودخوله في طاعته ، وبهذا الاعتراف اكتسب لقب خادم الحرمين الشريفين . والتعليل الصحيح لهذه الظاهرة الاجتماعية هو الفكرة الدينية ولا شك ، فقد سرى في ذهن العرب من أبناء هذه الأقطار أن في تأييد السلطان الجديد تأييداً للاسلام وإعلاء لشأن الشريعة السمحاء فبايعوه سيداً وإماماً

وهبت على ديار الغرب بعد الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر ريح القومية ، وتنشق العالم نسمات روح جديدة ، حاملة معها حضارة الغرب الحديثة ؛ وكانت بضاعة القومية في جملة صادرات الغرب الجديدة إلى الشرق القديم ، فجاءت تجر ثوباً قشيباً فضفاضاً يغري ويفتن ؛ إلا أن تأثيرها ظل محدوداً خلال القرن الماضي بسبب الجهل الذي كان مسيطراً وسائداً . حتى إذا بدت طلائع القرن الجديد شرع العرب ينتعشون تدريجاً ، ويفتحون عيونهم لاستقبال نور الحياة المشرقة عليهم ، المهيبة بهم إلى النهضة والعمل ، لاحتلال المنزلة اللائقة بهم بين الأمم . بدأت هذه الروح القومية الجديدة تهب عليهم نسمات خفيفة رقيقة ، ثم أخذت تتابع وتقوى بتقدم الأيام والليالي ، حتى كانت الحرب العظمى الماضية فإذا بتلك النسمات الرقيقة قد أصبحت ريحاً صرصراً عاتية ، بل عاصفة هوجاء تتلاعب بالأمة العربية ، وتقذف بها ذات اليمين وذات الشمال .

وما زال العرب اليوم يعيشون في وسط هذه العاصفة ، وفي ملتقى التيارات المنصبة عليهم من كل صوب وناحية

فإذا نحن تقصينا الأثر البارز للقوى العظيمة المتفاعلة وإياهم وجدناه في هذه الهبة القومية التي تدفعهم إلى استكشاف نفسهم، وتحرير أفرادهم ومجموعهم، واستعادة سالف مجدهم، وإثبات مكانتهم في المجتمع البشرى . وما من أحد يلمس الحياة العربية الحاضرة إلا ويشعر بهذه الهبة المرتفعة من صدور العرب في شتى أقطارهم، البشرة بنهضة جديدة، يرجى لها ما كان لسابقتها في العصور الوسطى — من عز منيع، ومجد رفيع، ومساهمة ذات شأن في تقدم التمدن الإنساني، والحضارة العالمية

وكما هبت ريح القومية على العرب، كذلك هبت على الترك حتى إن بعضهم تشبع بفكرة القومية الطورانية، فكان ذلك مقدمة تحول عظيم في صلات الأمتين : العربية والتركية، وقد ختم هذا الدور (٢٣ يوليو عام ١٩٠٨ـ٣٠ أكتوبر عام ١٩١٨) بانفصالهما عن بعض بعد ما عاشا متحدين مدى أربعة قرون، يخضعان لنظام واحد، ولعلم واحد ؛ فانهار بذلك الانفصال بناء الأمبراطورية العثمانية، وقام مقامه صرح جمهورية أنقرة الجديدة، كما قامت هذه الدول العربية المنبثة في بلاد العرب من أقصى الجنوب حتى أقصى الشمال

أما الخلاف العنصرى الذى نشأ بين العرب والترك، فمقدمته كانت ـ ولا شك ـ قضية إبعاد العرب عن وظائف الدولة ؛ وقد بلغ أشده عن طريق الصحافة، إذ كانت الصحف التركية الجديدة تدعو إلى تعزيز القومية الطورانية، والتحامل على القوميات الأخرى، وتحض الحكومة على مقاومتها والقضاء عليها . ولم تقصر صحافتا الترك والعرب في التراشق بالألفاظ والجمل، والغمز واللمز، كما لم يقصر شعراء الأمتين في نظم القصائد والمقطوعات التي تزكي نيران القومية في القلوب .

أضف إلى ذلك عمل الكتاب العرب الذين نزحوا إلى وادى النيل السعيد، فقد أذكوا روح القومية العربية بما كتبوا ونظموا، فكان عملهم أشبه بعمل روسو وفولتير ومنتسكيو وديدرو في إذكاء ثورة فرنسا الكبرى سنة ١٧٨٩

تلك هى إذن مقدمات الثورة العربية وأسبابها البعيدة، أضف إليها عمل الجمعيات العربية بصورة خاصة . أما الأسباب القريبة أو المباشرة لها، فهي تصرفات جمال السفاح ومظالمه التي ريعت لها دنيا العرب، وجزعت، فعجلت في إضرام ثورة لا تبقى ولا تذر، حتى قبل أن تمد معداتها وتهيء أسبابها، بل وقبل أن يأتي أوانها ؛ مما أثر في تطورها وحال بين العرب وبين اجتناء الثمرات التي كانوا يرجون اجتناءها في ختام جهادهم الأكبر، كما كانت سبباً في تنفير الرأى العام المتمدن من الاتحاديين الترك واحتقاره لحكومتهم

وكيف لا يجزع العالم العربي لتلك المظالم التي أقدم عليها جمال السفاح، وتلك الفظائع التي ارتكبها رجل الظلم والإرهاب من شنق أحرار العرب والتنكيل بأسرهم والتقليل من أمجادهم، مما لم يعرف التاريخ في صفحاته له مثيلاً ؛ وكذلك كان لبعض رجال العرب من الذين أفلتوا من قبضة الظلم والإرهاق فلجأوا إلى مصر والعراق والحجاز، يد كبيرة في إثارة « الرأى العام العربي » على الترك، وتنفيره منهم، وتفهيمه « القضية العربية » على وجهها الصحيح، وفي إعداده للثورة الكبرى والغضبة المضرية العظمى طلباً للثأر والانتقام، كما بكى شعراء العرب وكتابهم في مصر والعراق والحجاز وأمريكا الشهداء الأبرار، مستنزلين سخط العالم المتمدن على الطغاة الظالمين

ويجب علينا هنا قبل الحديث عن وقائع الثورة وحوادثها أيضاً درس العلاقات التي كانت قائمة بين زعيم الثورة شريف مكة، وبين الاتحاديين الترك قبل الحرب الماضية، فإن هذا الشريف لم يبق في استطاعته أن يتجنب الاصطدام بالترك، وأن يحجم عن مصارحتهم الشر والعدوان بعد ما وصلت الحالة في بلاد العرب إلى الدرجة القصوى من الانحطاط والعدوان، رغم اصطناع المودة بينهما، وقد ظل كل فريق يبديها للفريق الآخر حتى اللحظة الأخيرة لظهور نيات الترك واضحة جلية إزاء « الحسين » شريف مكة، وإزاء أولاده أولاً، وإزاء قومه العرب ثانياً، وما كان هؤلاء يضمرون شراً للدولة العثمانية ؛ وما كانوا ـ علم الله ـ يتمنون زوالها أو الخروج عن طاعتها لولا أنها بادأتهم الشر

والواقع أنه كانت هناك جملة عوامل بعضها شخصي، وبعضها قومى، وبعضها دينى ترغم « الحسين » على التفكير فيما فكر فيه قبله عزيز مصر الخالد « محمد على الكبير » في العمل على وحدة العرب، وضم شملهم، ولمّ شعثهم، وتأسيس دولة

إلى المجمع الملكى للغة العربية

للأستاذ نجيب شاهين

أمنية ورجاء

تتناقل صحفنا كلمات ليست من كلام العرب ، وأعلاماً لأمكنة تخالف فى صورتها ما كان معروفاً عندهم وما نقله مؤرخوهم لنا ، فإذا دام الحال على هذا المنوال لم تمض السنون حتى يرى الخلف لغة لم يعرفها السلف كما طرأ على لغات أوربا مع فرق . ذلك بأن ما طرأ عليها تجديد ، وما يراد إدخاله على لغتنا مسخ وتشويه يذهبان بها بعيداً عن الصورة التى أنزل القرآن بها . وإليكم بعض الأمثلة فراراً من التطويل :

لا زالت

لا زالت لفظة للدعاء ومدرسو مدارسنا لا يفرقون بينها وبين ما زالت فينشأ الطلاب على هذا الخطأ . وهؤلاء الطلاب هم كتاب صحفنا اليوم . ومن الغريب أن الإذاعات العربية فى الخارج تقع فى هذا الخطأ مؤتمة بمعظم صحفنا وبإذاعتنا

قاصر بدل مقصور

فى كتاب قواعد اللغة العربية الذى كان يدرس فى المدارس ووقف عليه جهابذة اللغة ، لفظة قاصر بدلاً من مقصور . ووقع فى هذا الغلط ابن خلدون . ومن غلطاته جمع صناعة على صنائع ، وعادة على عوائد دائماً لا يشذ عن هذا . وكلاهما غلط شائع

شؤون

ويكتبونها شئون بالنبرة أو كرسى الياء مع أن ما قبلها مضموم ، ولا فرق بينها وبين رؤوس أو رءوس جمع رأس . أنظر كتابتها فى لسان العرب مثلاً ، فلماذا نكتب شئون ولا نكتب رئوس . وكنت قد كلمت المرحوم الشيخ الأسكندرى فى ذلك فوافقنى وكتب شؤون بواوين فى مجلة المجمع

جبهة

أى ميدان أو ساحة أو حلبة . وصحافيونا أو صحفيونا بحثوا عن كلمة Front فيما يسمونها القواميس من إنجليزية وفرنسية فوجدوها جبهة ، ومعنى جبهة هنا جبين أو مقدم الشىء . وقد استعار القوم الجبهة للميدان فلماذا نتابعهم وعندنا مترادفات كثيرة له

بواسل

كلمة شجعان ما لها ؟ ولكن جميع الكُتّاب والترجمين يقولون بواسل . وبواسل جمع باسلة أو باسل لغير العاقل ومعناه الأسد . وهى خطأ لباسل العاقل إذ لم يسمع جمع فواعل لفاعل العاقل غير ثلاث كلمات وهى فوارس وهوالك ونواكس . ورأيت فى كتب اللغة عواجز جمع عاجز وتوابع جمع تابع أى خادم ، ودوارس جمع دارس للعاقل . وفى ذلك تفصيل ليس هذا محله

سمى

لا تجد فى أنباء المواليد فى معظم الصحف سوى قولهم : « ولد لفلان ولد أسماهُ لا سمّاه » ، وعند ذكر المصدر يعودون إلى مصدر سمى تسمية لا إلى مصـدر أسمى إسماء . وليس فى القرآن سوى سمّى . نعم إن أسمى صحيحة ، ولكنها مرجوحة مهجورة حتى صارت كالماتة . وفى القرآن أسماء سميتموها

أفاد بمعنى استفاد

ومثلها أفاد بمعنى استفاد ، فلماذا نلجأ إليها مكان استفاد وهى هى الصحيحة والغالبة والمسموعة فى لغتنا السماعية . وفى أفاد بمعنى استفاد أقوال . جاء فى المصباح : « وقالوا استفاد مالاً استفادة وكرهوا أن يقـال أفاد الرجل مالاً أى استفاده ، وبعض العرب يقوله » انتهى أى أنه لغة فى استفاد ومعنى لغة هنا قليل

عربية كبرى لهم ، تميد بمجدهم التليد ، وعزمهم المجيد . وهذه العوامل نفسها هى التى أهابت « بالحسين » لركوب هـذا المركب الخشن ، الوعر المسالك ، العويص المرامى واضطرته إلى أن ينقض عهده مع الدولة العثمانية ، وساقته إلى محالفة بريطانيا العظمى بعـد ما عرضت عليه من الشروط الرائعة ما يغرى كل عربى ، وأعلنت استعدادها لتنفيذ كل ما يطلبه .

فأهم العوامل المباشرة للثورة العربية الكبرى إذن هى :

١ — العامل الشخصى ٣ — العامل القومى
٢ — العامل الإقليمي ٤ — العامل الدينى

وسنتحدث فى مقالنا المقبل عن هذه العوامل مفصلاً فإلى اللقاء

(دمشق) نسيب سعيد المحامى

وفى الحق أن استعمال أفاد مكان استفاد فيه لبس لا لزوم له إلا إرادة الكاتب للبس وإيهام القارىء .

كبد وتكبد وتكبيد

وكم يقول لنا الترجمون والإذاعة من ورائهم بالطبع كبدنا العدد خسارة ، وتكبد خسارة ، وتكبيده الخسارة ، يريدون حمل وتحمل وتحميل مصدر حمل . فإذا أرادوا تكبد فصحتها كابد . أما تكبد فمناها نزل فى الكبد كقولنا تكبدت الشمس السموات نزلت فى كبدها أو كبيداتها

تعريب وترجمة

إنما كانت لفظة تعريب بمعنى ترجمة أكثر الغلطات الحديثة شيوعاً حتى على أقلام أشهر الكتاب ، فيقولون لك إنهم عربوا مكان ترجموا ، وتعريب مكان ترجمة ، وإنما يسمون ترجمتهم تعريباً ظناً منهم — وبعض الظن إثم — أن الترجمة « عرّة » خلافاً للخليفة أبى جعفر المنصور الذى انتدب بعض أعلام عهده لترجمة بعض الكتب اليونانية فكان ذلك أعظم ما عمله من أعمال النهضة العربية أو « الرينسانس العربى »

غلطات النسبة

يقولون : الألمان بالرفع والنصب والجر ترجمة عن الفرنسية . ودرجت صحفنا إلا واحدة على ذلك بغير مراعاة لقواعد النسبة ، ومع ذلك تراها تقول إيطاليون وإيطاليين لا إيطاليان ولا طليان ، وبريطانيون لا بريطان ، وأمريكيون لا أمريكان . وسمعت ألفاظ الروس والبلغار أو بلغر والترك والعرب والعجم والديلم ولكنها ألفاظ سماعية لا يقاس عليها

شخصية

وفى الإفرنجية لفظة برسوناج أو برسوندج وهى نسبة إلى الشخص ، ويريدون بها شخصاً معروفاً ترجمتها كتب الترجمة التى نسميها قواميس شخصية فتلقف مترجمونا هذه اللفظة وجعلوها بمعنى شخص كبير . فقالوا وحضر الاحتفال كثيرون من الشخصيات البارزة يريدون الأشخاص والشخوص وقديماً قال عمر بن أبى ربيعة :

فكان مجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

والصحيح أن يقال وحضر الاحتفال كثير من الشخوص البارزين أو كثير من الكبراء . أما الشخصية فنسبة إلى الشخص تقول فلان ذو شخصية بارزة مثلاً إذا كان لا بد من هذا القول وإلا فقل كثير من أعلام الرجال

الأعلام

أكثرت الصحف هذه الأيام الكلام عن بحر قزوين ، وهذا الاسم غير معروف لهذا البحر ، بل إن قزوين مدينة فى فارس أو إيران بعيدة عن البحر فى الداخلية ، وسمى الفرنجة البحر كازبيان أو كاسبيان ، ونقلته كتب الجغرافية الأولى فى العربية قزبين . واسمه العربى بحر الخزر أو طبرستان . وفي الخرائط المدرسية هذان الاسمان ، وهكذا ضبطا فى خريطة بلاد العرب القديمة التى وضعها المرحوم أمين بك واصف ووقف عليها المرحوم أحمد زكى باشا .

دهلى لا دلهى

دلهى الإنجليزية هى دهلى العربية وضبطها ابن بطوطة بكسر الدال . وبقى الإنجليز يحرفون سواكن إلى سواكم حتى عهد قريب ثم عادوا إلى رشدهم . فلتعد صحفنا إلى رشدها فى لفظة دهلى وقد كانت من أعاظم مدائنهم هناك فى القرون الوسطى .

أفريقية لا أفريقا

هكذا وردت فى التواريخ العربية ومنها ابن خلدون لا أفريقيا بالألف ولا أفريقا وزان أمريقا كما تخرج مضخمة من فم مذيعنا الفاضل . ومن شاء أن يكتب أمريكا أو أميركا كاملة ، وأما أفريقية فهكذا كتبت منذ قرون . وعند المجمع العربى السورى أن تكتب الأعلام العربية التي على مثالها بالتاء كلها فيقول فرنسة وانجلطرة وإسبانية وروسية إلى آخر ما هناك .

قبرس

جميع الأعلام اليونانية المعربة تعرب بحرف السين فى آخرها لا الصاد مثل : قبرس وردس وساموس وبطرس وغيرها إلا قبرس وبولس ومرقس فإن بعض الكتاب يحاول كتابتها بالصاد وهذا خطأ ، فقد عربت بالسين فى الأناجيل وفى التواريخ العربية القديمة ورأيت قبرس مرة بالصاد فى ابن خلدون .

الأعلام المعرفة بأل التعريف

وحبذا لو عنى المجمع فوق هذا كله بتوحيد كتابة الأعلام

خزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأستاذ ميخائيل عواد

تمهيد

إشتهرت دور الخلفاء بكثرة المرافق ، كالغرف والصحون ، والرواشن ، والحدائق ، والبرك ، والأحيار لأصناف الحيوان ، والبساتين لأنواع الطيور ، ومواطن الأنس والتنزه ، وغيرها

وكانت الخزائن فى طليعة ما تضمه دار الخليفة . وقد كانت متعددة متباينة . فللكتب خزانة ، وللسلاح خزانة ، ومثل ذلك قل عن الكسوة والفرش والسروج والأدم والبنود والمال والطعام والشراب والتجمل والجوهر والطيب وغيرها . « وكان الخليفة يعنى إلى موضع من هذه الخزائن ؛ وفى كل خزانة دكة عليها طراحة ، ولها فراش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار فى كل شهر فيطوفها كلها فى السنة »(1)

وأمر هذه الخزائن وما تحويه من مختلف الأشياء مشهور معروف فى كتب التاريخ والأدب ، ولكن هنالك خزانة ندر ذكرها بين الخزائن ، أمرها عجيب غريب ، لم نسمع بها إلا فى دار الخلافة العباسية ببغداد . تلكم هى « خزانة الرءوس » !

فلا سلاح فيها ، ولا طعام ، ولا شراب ، ولا لباس ، ولا كتب ؛ بل كل ما فيها رءوس بشر ، بدرت منهم أعمال أدت إلى قطف رءوسهم حين أينعت وإيداعها فى هذا المستقر

والظاهر أن هاتيك الخزانة كانت واسعة ، ووضعت فيها الرءوس فى أسفاط من البردى والخيزران ونضدت فى رفوف

فبعد أن يؤتى بالرءوس ، توضع بين يدى الخليفة فيشاهدها هو ورجال دولته ، ثم تنصب أياماً على بعض المواطن البارزة من البلد ؛ فيراها الناس وتكون عبرة لمن اعتبر ، وتحط بعد ذلك ، وتسلم إلى الموكل بأمرها فيعمل على إصلاحها وتنظيفها وتفريغ أمخاخها ، ورفع باقى أجزائها المعرضة للتلف والفساد ، ثم طليها بالأدوية القابضة الماسكة لضمان بقائها كالصبر والكافور والصندل ، وإلصاق رقعة صغيرة على كل رأس كتب عليها اسم صاحبه ، وتاريخ قطافه ، وما جدر ذكره . وقد أضيف إلى بعضهم العبارة التالية : « هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى فى فساد دولته » أو « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته »

وقد انفردت هذه الخزانة على ما بلغنا بوجود يد واحدة ؛ هى اليد اليمنى لأبى على بن مقلة الوزير ، العلم المشار إليه فى حسن الخط . وهو الذى قال فيها بعد قطعها : « قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء ، وكتبت بها القرآن دفعتين ، تقطع كما تقطع أيدى اللصوص ! »(2) . فليت

(1) خطط المقريزى (٢ : ٢٠٣ ؛ مطبعة النيل) . وانظر صبح الأعشى (٣ : ٤٧٥ — ٤٧٨) ، وتكملة المعجمات العربية لدوزى (١ : ٣٦٩ — ٣٧٠)

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes (Leyde, 1881)

(2) تجارب الأمم لمسكويه (٥ : ٢٨٨ ؛ حوادث سنة ٣٢٦ هـ ، طبعة آمدروز)

الإفرنجية المؤنثة المعرفة بأل التعريف وهى كثيرة مثل البرازيل والروسيا والبلجيك والمرتينيك والأرجنتين وغيرها مما لم يسمع فى العربية القديمة

طبرق وليبيا

ومن الأعلام التى يصر مذيعنا على التلفظ بها خطأ طبرق فإنه يلفظها بفتح الطاء وكسر الراء وقد نقلها الفرنجة Tobruke والمفظ بالضمتين ، وضبطها أحمد حسنين باشا طبروق بالواو وضبط معها ليبيا بالياء فى كتابه المشهور « فى صحراء ليبيا » وفى ترجمة الإنجيل وردت « ليبيه » بالهاء

هذا بعض من كل أعوذ بالمجمع الكريم منه فلعله يدبج لنا رسالة فيه وينشرها لزيادة الفائدة ؛ ولا سيما أن هذا العمل من اختصاصه وهو يقطع به قول كل خطيب ويحفظ للغة شخصيتها وينقيها من شوائب دخيل لا حاجة بنا إليه ؛ وفيه فوق ذلك تشويه لها يبعدها عن شخصيتها النقية القديمة ويدنيها من شخصيات لغات لا تمت إليها بصلة وتفسد عليها شخصيتها

نجيب شاهين

شعرى ، ألا تكون هذه اليد قد كتبت أيضاً بعض رقاع هذه الرءوس ! وهى الآن حَبيسَة هذه الخزانة ، شريدة غريبة بين الرءوس ؟

وقد رُتِّبَ لهذه الخزانة غير موكل يقومون بأمرها ومداراتها ، واستقبال الرءوس الجديدة

وما ورد فى التاريخ بصدد الرءوس شىء كثير ، نورد فى مقالنا أهمه وأبرزه

١ — حفظ الرءوس فى خزانة الرءوس

(ا) رأس يلبق ، رأس على بن يلبق ، رأس مؤنس ، رأس يمن الخادم ، رأس ابن زيرك :

كانت سنة ٣٢١ للهجرة مشحونة بالأحداث الجسام التى وقعت فى دولة بنى العباس . وكان بعض النفر من القواد الأعاجم والموالى قد استبدوا بالأمر ، فاضطرب حال المملكة وأمست على شَفَا هَولٍ شديد ، وشغب هؤلاء غير مرة وحركوا الجند ، وقر رأيهم أخيراً على خلع القاهر بالله واستخلاف أبى أحمد بن المكتفى ، فعقدوا له الأمر سراً . فلما سمع القاهر ذلك أخذ حذره ، وبث لهم العيون حتى صاروا بقبضته ، فاعتقلهم وغلهم بأغلال الحديد ، ثم ذبحهم ذبح الشياه ، وأودع رؤوسهم خزانة الرؤوس على الرسم المتبع . وإليك خبر هذه الرؤوس عن أوثق المصادر :

قال مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ للهجرة) : « ... ودخل القاهر إلى الموضع الذى كان فيه مؤنس ، ويلبق ، وابنه معتقلين ، فذُبح علىّ بن يلبق بحضرته ووجه برأسه إلى أبيه ؛ فلما رآه جزع وبكى بكاءً عظيماً . ثم ذبح يلبق ووجه برأسه ورأس ابنه إلى مؤنس ، فلما رآهما لعن قاتلهما ، فأمر به فجر إلى البالوعة وذُبح كما تذبح الشاة والقاهر يراه . وأُخرجت الرؤوس الثلاثة فى ثلاث طسات إلى الميدان حتى شاهدها الناس ؛ وطيف برأس علىّ بن يلبق فى جانبى بغداد ، ثم رُدَّ إلى دار السلطان[1] وجُعل مع سائر الرؤوس فى خزانة الرؤوس على الرسم »[2]

(١) المراد بـ « دار السلطان » : دار الخلافة العباسية ببغداد

(٢) تجارب الأمم (٥ : ٢٦٧ — ٢٦٨)

وزاد الذهبى صاحب تاريخ الإسلام على ذلك بقوله « ثم ذبح يمن وابن زيرك ، ثم أطلقت أرزاق الجند فسكنوا واستقامت الأمور للقاهر . وعظم فى القلوب ، وزيد فى ألقابه : (المنتقم من أعداء دين الله) ، ونقش ذلك على السكة ، ... قال أبو بكر الصولى فى كتاب الأوراق : حدثنى الراضى ، قال : لما قتل القاهر مؤنساً ويلبق وابن يلبق أنفذ رؤوسهم إلىّ مع الخدم يتهدّدنى بذلك وأنا فى حبسه لأنى كنت فى حجر مؤنس ؛ ففطنت لِمَا أراد وقلت : (ليس إلا مغالطته) فسجدت شكراً لله وأظهرت للخدم من السرور ما حملهم على أن جعلوا التهدد بشارة ، وجعلت أشكره وأدعو له فرجعوا بذلك »[1]

وروى ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠هـ) قصة هؤلاء ثم أضاف إلى ذلك قوله : « ... ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه ، فلما رأى الرأسَيْن تشاهد واسترجع ولعن قاتلهما . فقال القاهر جرّوا برجل الكلب اللعون ؛ فجرّوه وذبحوه وجعلوا رأسه فى طشت ، وأمر وطيف بالرؤوس فى جانبى بغداد ونودى عليها : هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى فى فساد دولته . ثم أُعيدت ونُظِّفت وجُعلت فى خزانة الرؤوس كما جرت العادة ... »[2]

وقد نقل إلينا شاهد عيان ، أعنى به ثابت بن سِنان[3] (المتوفى سنة ٣٦٥هـ) خبراً طريفاً عن أحد هذه الرؤوس ، فقال : « حدثنا سلامة الطولونى الحاجب أنه لما أُخرج إليه رأس مؤنس ليصلحه ؛ فرّغ الدماغ منه ووزنه ، فكان ستة أرطال ، وسمعت أنا ذلك من الجفنى وكان حاضره »[4]

(١) تجارب الأمم (٥ : ٢٦٨ ، حاشية « ١ » نقلا عن الذهبى) .

(٢) الكامل فى التاريخ (٨ : ١٩٤ ؛ طبعة تورنبرغ = ٨ : ٨٩ ؛ طبع بولاق)

(٣) ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ، صاحب كتاب التاريخ ؛ وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته فى شهور سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن الصابئ إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة . طالع ترجمته الوافية فى أخبار الحكماء للقفطى (ص ١٠٩ — ١١١ ؛ طبع ليبسك) .

(٤) نقل هذا الخبر مسكويه فى تجارب الأمم (٥ : ٢٦٨) .

(ب) رأس نازوك ، رأس أبى الهيجاء بن حمدان

قام هذان القائدان بفتنة كبيرة أدّت إلى خلع المقتدر بالله من الخلافة فى يوم السبت النصف من المحرم من سنة ٣١٧ هـ ، وتقليد القاهر بالله ، ثم رد المقتدر إليها ثانية فى يوم الإثنين السابع عشر من المحرم ، أى بعد ثلاثة أيام ! فكانَ جزاء هذين القائدين القتل ودفع رأسيهما إلى خزانة الرءوس .

وقد تبسط فى هذا الحادث التاريخى الخطير جلة من المؤرخين ، منهم مسكويه [1] ، فما قاله فى هذا الشأن أن الرجّالة « وصلوا إليه [إلى نازوك] وقتلوه ، وقد كانوا قتلوا قبله عجيباً وصاحوا : مقتدر يا منصور . . . » ، ثم قال : « وصلب الرجّالة نازوك وعجيباً على خشب الستارة التى على شاطئ دجلة . . . »

وواصل كلامه حتى جاء على خبر أبى الهيجاء إذ قال : « ... فرماه خمار جوية بسهم أصابه تحت ثديه ، وأتبعه بسهم آخر فأصاب ترقوته ، ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشك فخذيه . قال بُشرى : وهو الحاكى لهذه الصورة عن مشاهدة : فقد رأيت أبا الهيجاء وقد ضرب السهم الذى شك فخذيه فقطعه وجذب السهم الذى أصابه تحت ثديه فانتزعه ورمى به ، ومضى نحو البيت فسقط قبل أن يصل إليه على وجهه ، فأسرع إليه أحد الأسودين فضرب يده اليمنى فقطعها وفيها السيف ، وأخذ السيف ، وغشيه الأسود الآخر فحز رأسه ، فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مبادراً به »

وكان المصير أن « أخرج رأس نازوك ورأس أبى الهيجاء وشهرا فى الشوارع ، ونودى عليهما : (هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته) ، وسكن الهيْج » ، وردا إلى دار الخلافة وجعلا فى خزانة الرءوس

(يتبع) ميخائيل عواد

---

(١) تجارب الأمم (٥ : ١٩٢ — ١٩٩)

كلمــــات ...

فى يوم ٢٩ أكتوبر الماضى أقامت تركيا الجمهورية احتفالات حكومتها ومهرجانات شعبها بعيد الجمهورية والتحرر قبل ثمانى عشرة سنة .

وتركيا القديمة كانت « الرجل المريض » المحتضر الذى تتقاسم الدول كبراها وصغراها مخلّفاته وأسلابه . وتتحيّف حدودها وتهزم جيوشها دول كانت ولايات محكومة لها بحد السيف ؛ تركيا القديمة التى كان شعبها جاهلاً فقيراً مريضاً منحل الخلق متلاشياً ، والتى كانت حكومتها وتاجها وخلافتها شخوصاً لا حول لهـا ولا قوة ؛ تركيا المهيضة الجناح قد استحالت فى ثمانى عشرة سنة إلى دولة ، واستحال شعبها أمة لها عزة ولها كرامة ولها جيش تتحدث صحف العالم به ، وأصبحت تركيا الجديدة لها صوت ولها اعتبار وأكثر من اعتبار فى معركة السياسة والحرب القائمة ، ونحن نعرف ما هى السياسة والحرب القائمة .

***

نحن كانت لنا نهضة قريبة الاتصال الزمنى بالنهضة التركية ، أو نستطيع مع التواضع أن نقول : كانت لنا هبّة وانتباهة منذ ثلاث وعشرين سنة وكنا نستطيع أن نصل بهذه الهبّة وبداية اليقظة إلى ما استطاعت تركيا أن تصل إليه .

والآن عند ما نذكر نهضة تركيا ويتحدث الناس أو يكتبون عن تركيا الحديثة فى هذه الحرب القائمة : حرب الحديد وحرب العقول والأذهان ، نذكر زعماء تركيا وقادة جهادها فى هـذا السبيل ، قادتها فى بدء نهضتها وفى تسربها وفى بدء شبابها وشرف كفاحها

ونحن كان لنهضتنا زعماء وقادة سنذكرهم بالخير عندما نذكر النهضة المصرية ، ولكن يجب علينا أن نتمم ما بدأوه لنصل إلى ما وصل إليه غيرنا من القوة والعظمة

« المعتز »

ذات المنظار الأسود

للأستاذ على الجندى

أقبلتْ على موقف الترام تتخايل فى ملابس الخريف كأنها طاووس !! وقد لاثت على رأسها عمامة رقيقة من لون مِعْرضها زادتها فتنة !! وحجبت عينيها النجلاوين بمنظار أسود برّاق تختلج من تحته أهدابها الوُطْف فتمسّ وجنتيها !! فلما رأت العيون تكاد تلتهمها ، ساورتها عزة الحسن وكبرياء الملاحة ، فنصّتْ جيدَها وطمحت ببصرها إلى السماء كأنها تستشفّ الغيوب ! فقال أحد الظرفاء هامساً :

ما لِمَنْ تمّتْ محاسنُه ... أنْ يعادى لحظَ من نظرا

لكِ أن تُبدِى لنا حَسَناً ... ولنــا أن نُعمِل البصرا

فأجابه ظريف آخر :

وكنتَ إذا أرسلت طرفَك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتْك المناظــرُ

رأيتَ الذى لا كله أنتَ قادرٌ ... عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ

قال الظريفان ذلك وقال ثالث :

لَا يَحْجُبُ السِّحْرَ مِنْ عَيْنَيْكِ مِنْظَارُ ... كُلٌّ إِلَيْكِ – عَلَى الْمِنْظَارِ – نَظَّارُ

مَا زَادَ عَيْنَيْكِ إِلَّا فِتْنَةً ، فَسَلِي ... أَىُّ الْجَوَانِحِ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا النَّارُ

قَدْ رَفَّ مِنْ تَحْتِهِ خَدَّاكِ فِي وَهَجٍ ... كَمَا أَضَاءَتْ خِلَالَ الْعُشْبِ أَزْهَارُ

وَشَبَّ[1] لَوْنَكِ حَتَّى قُلْتُ : بَعْضُ دُجًى ... بَاقٍ مِنَ اللَّيْــلِ قَدْ حَفَّتْهُ أَنْوَارُ

أَوْ بَدْرُ تِمٍّ تَمَشَّتْ فَوْقَ صَفْحَتِهِ ... غَمَــامَةٌ بَرْقُهَا اللَّمَّاعُ غَرَّارُ

لَا تَحْسَبِي جَفْنَكِ الْمَكْحُولَ تَمْنَعُهُ ... مِنْ أَنْ يَصُولَ عَلَى الْعُشَّاقِ أَسْتَارُ

السَّيْفُ فِي الْغِمْدِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... وَسَيْفُ جَفْنِكِ فِي الْحَالَيْنِ بَتَّارُ

دَعِي عُيُونَكِ تَلْقَانَا بِلَا حُجُبٍ ... فَلِلْعُيُونِ مُنَاجَاةٌ وَأَسْرَارُ

وَلَا تَخَافِي عَلَى الْمُضْنَى لَوَاحِظَهَا ... تَجْرَحُهُ مِنْ عُيُونِ الْعِينِ نَظَّارُ

لَوْ لَمْ أُحِلَّ لِمَنْ أَهْوَاهُ سَفْكَ دَمِي ... لَمْ تَبْقَ حَسْنَاءُ إِلَّا وَهْيَ لِي ثَارُ

تِلْكَ السِّهَامُ – وَإِنْ أَصْمَتْ – مُحَبَّبَةٌ ... كَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَهُ فِي الْقَتْلِ أَوْطَارُ

أَغْرَى بِنَا السُّقْمَ أَنَّا فِي صَبَابَتِنَا ... نُخْفِي الْجَوَى وَالْمُعَنَّى الصَّبُّ صَبَّارُ

نَرَى الدَّوَاءَ وَتَأْبَاهُ مَكَارِمُنَا ... لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ إِنْ شَابَتْهُ أَوْزَارُ

على الجندى

(١) شب لونه : جعله متوقداً زاهياً والفعل متعد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشا ، و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج من كل مجلد .



إلى الأستاذ مندور

كتب الأستاذ محمد مندور تعقيباً ، على كلمتي المنشورة بالعدد ٤٨٦ من الرسالة ، فراعني ما في تعقيبه من انحراف عن جادة الحق ؛ ووقع في نفسي أن أبيّن له ما انساق إليه من تعسف واجتلاب للنقد . فقد التجأ الكاتب إلى أساليب ملتوية معقدة ، يبرّر بها نفسه ، وينفي عنه الخطأ ، كأنما عزّ عليه أن يسلم بخطأه ؛ وهو لو أنصف لعلم أنْ ليس مما يحط من قدره أن يخطئ ، وإنما يحط منه أن يُصر على خطأه ويكابر فيه . ولا ريب أن الأستاذ يعرف المثل اللاتيني القائل : إن من طبيعة الإنسان أن يخطئ : « Hominis est errare » . والخطأ كثيراً ما يكون طريق الصواب كما يقول ليبنتز

بيد أن الأستاذ مندور — وقد أغرم بالسوفسطائية[1] — شاء إلا أن ينهج نهج الميغاريين Mégariques الذين نزعوا منزع السوفسطائيين ، فكانوا في جدلهم dialectique لا يرمون إلى معرفة الحق والتوصل إليه ، وإنما يهتم الواحد منهم بشيء واحد فقط ؛ هو أن يجعل خصمه ينقطع . ومن أجل هذا رأيناه يتصدّى للرد على كل معترض عليه ، ولا يتوخّى الحق في هذا الرد ، وإنما يهتم بأن ينفي عنه الخطأ ، مهما كان في ذلك من التجني على الحق !

لقد قلنا له إن قوله (عثرت به) بمعنى ملاقاته اتفاقاً ، ليس تعبيراً عربياً صحيحاً ، إذ الصواب أن يقال : (عثرت عليه) . فعاد الأستاذ يقول : « فأما عن (عثرت به) فقد قلت إن المعنى الذي أريد التعبير عنه هو العثور بالشيء أي ملاقاته اتفاقاً ، ولم أرد « العثور عليه » أي الاطلاع الذي يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها » . ولو أنه كلف نفسه عناء البحث في المعاجم اللغوية ، لما اضطرنا إلى العودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى ... ولكنه يطلق أحكامه إطلاقاً ، ولا يستقصي المصادر ليتحقق مما يقول ، بل يكتفي بأن يقول في جرأة غريبة : « والذي يدهشني هو تفضل هؤلاء العلماء بلفت نظري إلى مختار الصحاح ودوائر المعارف وتراكيب اللغة الإنجليزية ، وهذه كلها مراجع ما كنت أحلم بوجودها » . فنحن لم نرتجل أحكامنا ارتجالاً ، ولم نطلق أقوالنا اعتباطاً ، بل استقصينا المراجع استقصاء شاملاً ، ثم أعلنّا من بعدُ نتيجة بحثنا واستقصائنا . وإذا كنا قد أشفقنا على الأستاذ مندور ، فكفيناه مؤونة البحث ، وعرضنا عليه النتيجة التي توصلنا إليها دون أن نحشد له أقوال أصحاب المعاجم ورجال اللغة ، فما ذلك إلا لأننا نعلم علمَ الواثق ، أنه يدرك ذلك باعتباره باحثاً قد خبر الحياة العلمية وعرف ما يستلزمه البحث العلمي

ومع ذلك ، فإننا نروي للأستاذ مندور فيما يلي ما جاء في المعاجم اللغوية تحت مادة « عثر » : جاء في « لسان العرب » : « عثَرَ يعثر عثراً وعثاراً وتعثر كبا ... والعثرة الزلة ، ويقال عثر به فرسه فسقط ، وتعثر لسانه تلعثم ... وعثر على الأمر يعثر عثراً وعثوراً اطلع وأعثره عليه أطلعه ، وفي التنزيل العزيز : وكذلك أعثرنا عليهم ، أي أعثرنا عليهم غيرهم فحذف المفعول ، وقال تعالى فإن عُثِرَ على أنهما استحقا إثماً ، معناه فإن اطُّلِعَ على أنهما قد خانا ... الخ »

وجاء في القاموس المحيط : « والعثور الاطلاع كالعثر ، وأعثره أطلعه ... الخ » وجاء في صحاح الجوهري : « العثرة الزلة ، وقد عثر في ثوبه يعثر عثارا ؛ يقال عثر به فرسه فسقط ، وعثر عليه أيضاً يعثر عثراً وعثوراً ، أي اطلع عليه . وأعثره عليه غيره أطلعه ، ومنه قوله تعالى : وكذلك أعثرنا عليهم...الخ »

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري : « ... ومن المجاز : عثر في كلامه وتعثّر . وأقال الله عثرتك . وعثر الزمان به . وجَدٌ عثورٌ ... وعثر على كذا : اطلع عليه . وأعثره على كذا : أطلعه . وأعثره على أصحابه : دلّه عليهم ... إلخ »

وفي أقرب الموارد للشرتوني : « عثر على السر وغيره : اطلع عليه وعلمه . وعثر به فرسه فسقط ومنه يقال عثر جده أي بخته

---

(١) من الغريب أن الأستاذ مندور يسمي الكاتب الكبير الأستاذ العقاد باسم جورجياس المصري ! (الرسالة ، العدد ٤٧٠) . وعندي أن هذا الاسم لا يطابق أحداً سوى الأستاذ مندور نفسه !

تعس وذهب أمره وهلك ... وعثر بهم الزمان : أخنى عليهم ... وأعثر فلاناً على السر وغيره : أطلعه ... إلخ »

فكل هذه المعاجم إذن تتفق فى القول بأن معنى (عثرت عليه) هو اطلعت عليه أو وقفت عليه . ولا يفيد الاطلاع معنى البحث والجهبذة — كما يتوهم الأستاذ مندور — وإنما معناه ملاقاة الشيء والوقوف عليه . لأن أصل الكلمة (اطّلع) مأخوذ من (طالع) بمعنى نظر كما يقال : أتيت قومى فطالعتهم ، أى نظرت ما عندهم ...

وزيادةً فى تأكيد المعنى وإيضاحه ، أنقل للأستاذ مندور عن المعجم الذى وضعه المستشرق « وليم لين » « W. Lane (Lane's Arabic-English Lexicon) ماجاء تحت مادة (عثر) :

" ... And « عثر عليه » ... (He stumbled on it; lighted on it by chance;) he got, or obtained, knowledge of it; or sight and knowledge of it; became acquainted with it; knew it or saw it; accidentally, or without seeking."

فمن هذا يتضح أن العثور على الشيء يفيد معنى ملاقاته اتفاقاً ، حتى أن هناك تعبيراً مشتقاً من هذه الكلمة وهو (عَثَرِىّ) يوضح هذا المعنى بشكل أظهر ، إذ ورد فى لسان العرب : « هو من عَثَرِىّ النخل ، سمى به لأنه لا يحتاج فى سقيه إلى تعب بدالِيَة وغيرها ، كأنه عثر على الماء عثراً بلا عمل من صاحبه » . فالعثور إذن لا يفيد معنى العلم والجهبذة ؛ وهو المعنى الذى شاء تواضع الأستاذ مندور أن ينفيه عن نفسه ، وإنما يفيد معنى الملاقاة العَرَضية التى تتم بغير قصد

وأما (عثر به) بهذا المعنى ، فلم أجدها فى أى معجم من المعاجم التى رجعت إليها ، وأحسب أنها من اختراع الأستاذ الفاضل ، وقد كان موفقاً فى التمثيل لها بعبارة من صوغه فقال : « ... كما يعثر حافر الجواد بأحد الكنوز ... » !

***

بقيت مسألة أحب أن أقف عندها وقفة طويلة ، وتلك هى مسألة الحرية اللغوية التى يدعو إليها الكاتب ، وقد سبق لى أن أشرت إلى هذه المسألة إشارة غامضة ، ولكنى أحب أن أعود إليها فأسهب فى الحديث عنها ، حتى أعرف ماذا يقصد الأستاذ مندور بقوله : « إن مسألة الصحة والخطأ فى اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يحرص عليها فى غير مجال التعليم المدرسى » . وماذا يعنى بقوله : « وإذن فكلام الكرملى وكلام زكريا ابراهيم حذلقة (كذا) تافهة ، ومماحكات لا علاقة لها بمناهج البحث فى اللغات التى لم تعد تقريرية dogmatique فى شيء » ؟

ولما كان المجال لا يتسع هنا للحديث عن هذه المسألة الهامة ، فإنى أرجئ الكلام عنها إلى عدد قادم ، كما أرجئ التعقيب على رأى الأستاذ مندور فى تعريب الأسماء الأعجمية إلى حين يقرأ الأستاذ الفاضل البحث الذى وجهت نظره إليه ، ولعلى يومئذ لا أكون بحاجة إلى التعقيب أصلاً

« مصر الجديدة » زكريا ابراهيم

حول اختلاف القراءات فى القرآن

من المعلوم أن المسلمين على عهد الرسول كانوا يتلقون القرآن منه سماعاً ، ويطوون صدورهم عليه حفظاً وفهماً ، دون ما حاجة منهم إلى النظر فى شيء من آياته مخطوطاً ...

والقراءات التى من أمثالها « فتثبتوا » بدل « فتبينوا » و « وعدها أباه » بدل « وعدها إياه » لا ترجع فى تعليلها إلى اختلاف لهجات العرب — كما يقول صادقاً الأستاذ عبد المتعال الصعيدى — وإنما هى إلى باب التصحيف أقرب ؛ وقد نص على ذلك بعض العلماء كما سنذكره .

والتصحيف كما يحدُّه اللغويون هو : « أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته فى صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب » ، راجع قولَ السيوطى فى المزهر .

فالتصحيف إذن خطأ منشؤه الوهم ؛ ولا ينبغى أن نتّبعه إلا ريثما نهتدى إلى النطق الصحيح فنعدل إليه ...

والآن يحق لنا أن نتساءل : كيف وقعت هذه التصحيفات على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن حاجة المسلمين

يومئذ ماسة إلى القراءة فى صحيفة ، استغناء منهم بقراءة الرسول وقراءة أصحابه ممن أجادوا النقل عنه ؟ ... وإذا كانت تلك التصحيفات قد وقعت بعد عهد الرسول ، فكيف راجت وتداولتها ألسن القراء حتى أصبحت من القراءات المعروفة ، مع أنها تصحيف كان ينبغى العدول عنه بمجرد الوقوف عليه ؟ ...

لا نستطيع أن نؤيد الأستاذ عبد المتعال فى قوله : (لعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يعين أمثال تلك المواضع ، أو كانت ترد إليه فيقر ما يراه منها) لأن هذا إنما كان يحدث فى المواضع التى تختلف فيها اللهجات ؛ فتُقرأ اللفظة بأكثر من لهجة واحدة تخفيفاً عن مسلمى العرب من مختلف القبائل ، ولا سيما أن المعنى فى كل ذلك واحد لا يتغير . أما أن يحدث هذا فى مثل قوله : وعدها أباه معدولاً بها عن وعدها إياه ، وقوله فتثبتوا بدل فتبينوا ، مما لا يبدو فيه اختلاف فى اللهجة مع ثبوت التغير فى المعنى ؛ فذلك أمر يحتاج إلى بحث دقيق وتمحيص واف حتى نعرف من يقين مأتى هذه القراءات وأصل اعتمادها .

ويهمنا هنا أن نقول إنه إذا كان بعض المفسرين يعدون هذه الأمثلة من القراءات ، كالزمخشرى صاحب الكشاف ، فإن آخرين من جلة العلماء يعتبرونها تصحيفاً ، كجلال الدين السيوطى صاحب « المزهر » التى أدرج أمثلة منها ضمن الفصل الذى عقده بعنوان (التصحيف والتحريف) ص ٢٣٠ ج ٢ من كتابه . قال - نقلاً عن بعض المجاميع - : (صحف حماد بن الزبرقان ثلاثة ألفاظ فى القرآن لو قرئ بها لكانت صواباً ، وذلك أنه حفظ القرآن من مصحف ولم يقرأه على أحد . اللفظ الأول « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه » يريد إياه . والثانى « بل الذين كفروا فى غِرّة وشقاق » والثالث « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يَعْنيه ») انتهى ما أورده السيوطى - ويفهم من العبارة أن هذه الأمثلة لم تكن تعتبر قراءة أصلاً عند عدد من العلماء . فلعل بعض أشياخنا من ذوى التثبت والإلمام بهذا الموضوع ، يدلى لنا برأى يكون فيه الشفاء والاكتفاء ...

(جرجا) محمود عزت عرفة

رابطة العروبة

تكونت فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول رابطة باسم (رابطة العروبة) قوامها طلبة الأقطار العربية الملتحقين بالكلية وبعض من طلبتها المصريين العرب

أغراضها :

١ — العمل بكل الطرق المجدية والوسائل الفعالة على تحقيق الوحدة العربية المنشودة

٢ — توثيق صلات الأخوة والثقافة بين الطلبة المصريين وطلبة الأقطار العربية الشقيقة فى مصر وخارجها

٣ — تنظيم رحلات سنوية إلى سائر البلاد العربية

٤ — الدعوة إلى عقد مؤتمرات دورية لطلبة الجامعات العربية فى مختلف أقطارهم للبحث فى توحيد الثقافة وشتى النواحى والشؤون العربية العامة

٥ — تنظيم محاضرات يلقيها كبار رجال العروبة فى مصر عن كيفية معالجة الأحوال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد العربية تمهيداً لتحقيق وحدتها

٦ — تنظيم رحلات علمية أسبوعية إلى بلدان القطر المصرى

فمن يود الاشتراك فى هذه الرابطة من طلبة الكلية كأعضاء عاملين أو من غيرها كأعضاء نخريين عليه المبادرة إلى قيد اسمه فى سجل الرابطة الموجود مع القائم بأعمالها الطالب « منيب الماضى » بكلية الحقوق

حكم فى القضية رقم ٧٠٦ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد عبد الوهاب السيد الهوارى بتسليمه إلى والده لامتناعه عن بيع السكر بالسعر المحدد بجلسة ٢٣-٢-١٩٤٢

حكم فى القضية رقم ٩٤٠ سنة ١٩٤٢ عسكرية بنى سويف بتغريم مخالى ميخاليدس بقال ببا خمسة جنيهات لعرضه مشروبات روحية دون أن تكون لديه شهادة تدل على مصدرها

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 490

Lundi - 23 - 11 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٣ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

٢ ـ دفاع عن البلاغة

البلاغة بين الطبع والصنعة

البلاغة كسائر الفنون طبيعة موهوبة لا صناعة مكسوبة . فمن حاول أن ينالها بإعداد الآلة وإدمان المزاولة وطول العلاج وهو لا يجد أصلها في فطرته ، أضاع جهده ووقته فيما لا رجْع منه ولا طائل فيه . قال أبو العباس المبرد : « إنه ليس أحد في الخافقين من يختلج في نفسه مسألة مشكلة إلا لقيني بها وأعدني لها ؛ فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى عليَّ مشتبه من الشعر والنحو والخطب والرسائل ، ولربما احتجت إلى اعتذار عن فلتة ، أو التماس حاجة ، فأجعل المعنى الذي أقصده نُصب عيني ، ثم لا أجد سبيلاً إلى التعبير عنه بيد ولا لسان . ولقد بلغني أن عبيد الله ابن سليمان ذكرني بجميل فحاولت أن أكتب إليه رقعة أشكره فيها ، فأتعبت نفسي يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها . وكنت أحاول الإفصاح عما في ضميري فينصرف لساني إلى غيره »

ذلك اعتراف صادق من أبي العباس يَقصد به توجيه الحائر إلى التوفر على ما يحسن ، وتنبيه المغرور إلى الانصراف عما يسيء .

الناس كلهم يتكلمون ولكنهم ليسوا جميعاً خطباء ؛ والمتعلمون كلهم يكتبون ولكنهم لا يستطيعون أن يكونوا كلهم بلغاء ؛ والرسم مادة مقررة في مدارس الدنيا ولكنها لا تخرِّج

فى كل حقبة غير رفائيل واحد . والموسيقيون ألوف فى كل أمة ، ولكن الذين يستطيعون أن يؤلفوا رواية غنائية نفر قليل .

والمعضل من الأمر تعرُّف الطبع الأدبى فى صاحبه إبان التنشئة ، فقد تكمن العبقرية فى الفنان حتى يبلغ الأربعين ، كما حدث للنابغة الذبيانى فى الشعر ، ولجان جاك روسو فى الكتابة . وقد يجرُّ كون الطبع فى سن التوجيه إلى الخطأ فى استغلال المواهب ، فيتعلم المرء علماً أو يعمل عملاً وهو بطبعه مخلوق لغيره ؛ فبيير لوتى خُلق أديباً كاتباً ولكنه دُفع إلى البحارة[1] ؛ وعلى طه خلق أديباً شاعراً ولكنه دفع إلى الهندسة ، وحافظ عفيفى خلق مصلحاً اجتماعياً ولكنه دفع إلى الطب ؛ فلو أن هؤلاء العباقرة نُشِّئوا على مقتضى الطبع والاستعداد منذ الحداثة لكان نبوغهم أتم ونفعهم أعم ونتاجهم أوفر

وقد يُخدع المرء عن طبعه فيظن نفسه كاتباً وهو معلم ، أو فيلسوفاً وهو صوفى ، أو مؤرخاً وهو محقق ، أو شاعراً وهو عروضى ، أو ناقداً وهو هجاء ، أو قصصياً وهو حكاء ، أو وصافاً وهو محلل

وللخيال إذا امتد سراب يخدع الظمآن إلى المجد والشهرة ؛ فقد يستهوى الناشئ وميض الهالة من حول العبقرية الفنانة فيسول له الغرور أن يقرض الشعر ، أو يقص القَصص ، أو يدير الحوار ، أو ينشئ المقالة ، فينبهر[2] فى أول الشوط وينبتُّ فى بداية الطريق .

قد تحب الأدب ككل إنسان ؛ ولكن حبك الشىء ليس دليلاً على قوة استعدادك له ، فقد يكون ذلك من تأثير البيئة وتغرير الخلاط . وربما كانت نقائص المرء أحب خلاله إلى نفسه ؛ فالإمام مالك بن أنس دفعته بيئة المدينة اللاهية إلى أن يتتبَّع فى صباه المغنين يأخذ عنهم حتى صرفته أمه عن الغناء إلى الفقه فصار فيه إمام الأئمة

* * *

على أن الطبع والقريحة لا يغنيان فى البلاغة عن الفن . وربما كان فيهما ذلك الغَناء فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام حين كانت الأهواء صادقة والأخلاق صريحة والحياة بسيطة ؛ أما وقد زُيِّف الصادق وشِيب الصريح ورُكِّب البسيط، فلا بد من حذق الصناعة وهدى القواعد لمعالجة ذلك ، كالمسايفة[3] ، كانت فى أول أمرها سهلة يستعمل فيها السائف سيفه كما يستعمل الواكز يده ؛ فلما كثرت فيها الحيل وتعددت الوجوه أصبحت فنًّا له قواعد وأصول لا بد أن يراعيها المسايف وإلا هلك . وإذا كانت القواعد هى النتائج التى استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون ، فإن الشأن فى البلاغة يجب أن يكون هو الشأن فى سائر الفنون التى اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقاها المران

فعلم البيان إذن هو الجزء النظرى من فن الإقناع والبلاغة هى الجزء العملى منه : هو ينهج الطرق وهى تسلكها ، وهو يعين الوسائل وهى تملكها ، وهو يرشد إلى الينبوع وهى تغترف منه

إن القواعد البيانية لم يضعها الواضعون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ودرسوا علائقها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب العصور المستنيرة النتائج الصحيحة ، ثم صاغوها قواعد وقالوا إنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها ، ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها ، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاماً هو أحق أن يؤثر ويتبع

كذلك الذوق ـ وهو أداة الجمال كما أن العقل أداة الحق ـ لا يمكن أن يكون بغير القواعد طريقاً مأمونة إلى عمل من أعمال الأدب ؛ فإنه موهبة طبيعية تختلف فى الناس وفى الأجناس ، وتحتاج إلى المران بالدرس والعادة ، وليس له ما للعقل من سلطان واطمئنان وثبوت . وإنك لتجد فى الناس العقل المطلق المستقل الذى لا يختلف ولا يتغير ، لأن هناك حقيقة مستقلة تتميز بالوضوح والخلوص ؛ ولكنك لا تجد مهما استقصيت واستقريت ذلك الذوق المطلق المستقل الذى لا يختلف باختلاف الألوان والأزمان والأمكنة . وفى الأقوال المأثورة : لا جدال فى الذوق . لذلك لا نستطيع أن نطلقه فى الأدب حتى لا تكون الفوضى ، ولا نقيده بالقواعد حتى لا يكون الجمود .

« للكلام بقية »

احمد حسن الزيات

(١) البحارة : مصدر لا يأباه القياس وضعناه ليؤدى معنى العمل فى الأسطول الحربى ، وهو معنى جديد لا يؤديه لفظ الملاحة

(٢) انبهر : انقطع نفسه وتتابع من الاعياء

(١) المسايفة : تضارب القوم بالسيوف

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

١ - الشـــــوقيات

للدكتور زكي مبارك

تمهيد — تأريخ القصائد — من كل فاكهة زوجان : عواطف فرنسية وتركية ومصرية ولبنانية وأموية — مصرية شوقي — حكاية المستر روزفلت أول دكتور من الجامعة المصرية — قصيدة أنس الوجود — دفاع شوقي من الوثنية المصرية

تمهيد

المقرر من الشوقيات لهذا العام هو الجزء الثاني ، وسنتحدث عنه في مقالين اثنين مراعاةً للوقت ، فأمامنا مؤلفات ستنتهب المدة التي تسبق ميعاد الامتحان .

من أهم أبواب هذا الجزء باب النسيب ، ومن أهم قصائده قصيدة « يا ناعم الطلح » ، ولن أتكلم عن هذه القصيدة ولا عن ذلك الباب ، لأني أكره أن أنشر في مجلة الرسالة بحثاً نشرته من قبل ، وأنا تكلمت بالتفصيل عن نونية شوقي في الطبعة الثانية من كتاب « المُوازنة بين الشعراء » وتكلمت عن غزليات شوقي بالتفصيل في الطبعة الثانية من كتاب « البدائع » ، فليرجع المتسابقون إلى هذين الكتابين في هذين الغرضين

وهذا إعلانٌ عن مؤلفاتي أنشره في « الرسالة » بالمجان ! !

تأريخ القصائد

شوقي لم يؤرخ قصائده جميعاً ، ولو أنه فعل لأعفى النقد الأدبي من التعب في تعقب أسباب الضعف والقوة في شاعريته العصماء .

والظاهر أن وضوح التواريخ أمام عينيه أوهمه أن الناس لن يحتاجوا عند النظر في قصائده إلى تأريخ . والأمر كان كذلك بالفعل ، فقد كنت أعرف المناسبات التي قيلت فيها تلك القصائد ، ثم طغت الشواغل فأنستني ما لم أكن أحب أن أنساه .. ولعل أبناء شوقي يلاحظون هذا المعنى فيذكروا جميع التواريخ في الطبعة الثانية

أقدم القصائد المؤرَّخة قصيدة « طابع البريد » في العاشر من سبتمبر سنة ١٩٠٠ ، وتليها أبياته في وصف معرض الأزهار والثمار في باريس سنة ١٩٠١ ، ثم وصف المرقص الذي أقيم في قصر عابدين سنة ١٩٠٣ ، والمرقص الذي تلاه في سنة ١٩٠٤

وهذه القصائد لا ترتقي إلى منزلة القصائد التي نظمها بعد أن استحصدت قواه الشعرية ، ولكنها مع ذلك تشهد بأن شوقي فُطِر منذ البداية على إجادة الغناء .

من كل فاكهة زوجان

في هذا الجزء نرى قصائد فرنسية وقصائد تركية وقصائد مصرية وقصائد سورية ولبنانية ، قصائد وصف بها عواطفه الصحاح نحو فرنسا وتركيا ومصر وسورية ولبنان ، قصائد تقيم أصح البراهين على أن شوقي أحب جميع ما عرف من البلاد ، وأنِس إلى أكثر من عرف من الناس

وهنالك ظاهرة يجب النص على تفسيرها الصحيح ، وهي إفراط شوقي في أُخريات أيامه على الإشادة بمحاسن الشام ولبنان فما تفسير هذه الظاهرة النفسية ؟

كان شوقي لا يحب إلا من يروى شعره ، وكان هواه مقصوراً على من يؤمنون بأنه أشعر الناس . وقد وجد في سورية ولبنان جماعات كثيرة تعرف من مرائر شعره أكثر مما يعرف ، وتذهب في تمجيده إلى آفاق لا يطيف بها الخيال

وهل أسرفُ إذا قلتُ إن تلطف شوقي في الحديث عن المسيحية يرجع إلى مراعاة عشاق شعره من النصارى العرب ؟

الإسلام يحكم بكفر من يتطاول على المسيح ، ولكنه لا يفرض على المسلم أن يتغنّى بمجد المسيح ، فكيف جاز لشوقي أن يجعل الثناء على المسيحية من أغراضه الشعرية ؟

السبب هو ما أقول ، هو أن شوقي وجد في نصارى لبنان رجالاً يؤمنون بأدبه الرفيع ، فجازاهم وفاءً بوفاء ، وقال في المسيح كلاماً يُقرّه أدب القرآن ، وهل وُصف المسيح بأفضل مما وصفه القرآن ؟

كان شوقي ينعطف من لبنان إلى سورية بروحانية قليلة الأمثال :

خلّفتُ لبنان جنات النعيم وما نُبّئتُ أن طريق الخلد لبنانُ
حتى انحدرتُ إلى فيحاء وارفةٍ فيها الندى وبها « طيٌّ » و « شيبان »
نزلتُ فيها بفتيان جحاجحةٍ آباؤهم في شباب الدهر غسانُ
بيض الأسرة باقٍ فيهمُ صَيَدٌ من « عبد شمس » وإن لم تبق تيجانُ
يا فتية الشام شكراً لا انقضاء له لو أن إحسانكم يجزيه شكرانُ
ما فوق راحاتكم يوم السماح يدٌ ولا كأوطانكم في البِشر أوطان

فما هو الكرم الذى أضفاه الشاميون على شوقى ، وكان أغنى الناس عن سخاء الأسخياء ؟

هو الكرم الذى وصفه فى قصيدة ثانية حين قال :

رُواة قصائدى ، فاعجَبْ لشعرٍ ... بكل محلةٍ يرويه خَلْقُ

والواضح مما قرأت وما سمعت أن شوقى لم يذق طعم النعيم إلا فى سورية ولبنان ، فقد كان فى أبناء تلك البلاد الجيلة من يُسمع شوقى آلاف الأبيات من شعره فى اليوم الواحد ، وكان فيهم من يُسمعه قصائد غابت عن وعيه الدقيق . وكان شوقى يتلقى تلك التحيات بالبكاء . ولبكائه هنالك صورة يتحدث عنها الشاعر أمين نخلة ، إن صحت رواية الأستاذ صلاح الأسير

وحبُّ شوقى للشام هو الذى جعل عواطفه أموية :

بنو أميـة للأنباء ما فَتَحوا ... وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سريرُ الشرق تحتهمُ ... فهل سألت سرير الغرب ما كانوا

عالين كالشمس فى أطراف دولتها ... فى كل ناحية مُلكٌ وسلطانُ

ياويحَ قلبى مهما انتاب أرسمهم ... سرَى به الهمُّ أو عادته أشجان

بالأمس قمت على (الزهراء) أندبهم ... واليوم دمعى على (الفيحاء) هتّان

فى الأرض منهم سماواتٌ وألويةٌ ... ونيّراتٌ وأنواءٌ وعِقبان

معادن العزّ قد مال الرَّغام بهم ... لو هان فى تُربه الإبريزُ ما هانوا

لولا دمشقُ لما كانت طُلَيطلةٌ ... ولا زهت ببنى العباس بغدانُ

مررتُ بالمسجد المحزون أسألهُ ... هل فى المصلَّى أو المحراب « مروانُ »

تغيَّر المسجد المحزون واختلفت ... على المنابر أحرارٌ وعبدان

فلا الأذان أذانٌ فى منارتهِ ... إذا تعالى ولا الآذان آذان

ومع هذا لم ينس شوقى حق العلويين فتحدث عنهم فى مواطن كثيرة ، أشهرها الوطن الذى اختلقه اختلاقاً فى مسرحية « مجنون ليلى » ، إن صدقنا افتراض الدكتور طه حسين

وخلاصة القول أن عواطف شوقى منوَّعة الأصول والفروع فقد سما بنفسه عن الشعوبية ، ورأى أن يكون شعره ميراث الشرق على ما فيه من اختلاف النوازع والميول :

كان شعرى الغناء فى فرح الشر ... ق وكان العزاء فى أحزانه

قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ... ح وأن نلتقى على أشجانه

كلما أنَّ بالعراق جريحٌ ... لمس الشرق جنبه فى عمانه

وعلينا كما عليكم حديدٌ ... تتنزَّى الليوثُ فى قضبانه

نحن فى الفكر بالديار سواءٌ ... كلنا مشفقٌ على أوطانه

مصرية شوقى

وبرغم هذا التنوع فى العواطف كان شوقى شاعر القومية المصرية ، ولعله أول شاعر جمل من همه وصف مصر فى أحلامها وأهوائها وأمانيها بما هى له أهل ، وأول شاعر ذاق ما فى مصر من قرارة النعيم والبؤس ، وإن كان شقى ما فى نفسه حين قال فى غمز الحكومة التى سمحت بنفيه فى أوائل الحرب الماضية :

« وطنٌ توالت عليه حكومات وحكومات ، تقول فتجدُّ وتعمل فتهزل ، ولا تحسن من ضروب الإصلاح إلا أن تولى وتعزل »(١)

مطايبة المستر روزفلت

هو الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ، لا رئيسها الحاضر ، وكان زار مصر فى سنة ١٩١١ ، أو قريباً من ذلك ، فما يتسع وقتى لتحديد التاريخ

والظاهر أن روزفلت السابق فاه عند زيارة السودان بكلام لا يرتضيه المصريون ، فردَّ عليه الشيخ على يوسف فى جريدة المؤيد بمقال كان آية فى البيان ، ثم اندفع شوقى لحاوره بأسلوب غير ذلك الأسلوب ، اندفع فحدثه عن عظمة مصر المثلة فى « قصر أنس الوجود »

أيها المنتحى بأُسوان داراً ... كالثريا تريد أن تنقضَّا

اخلع النعل واخفض الطرف واخشعْ ... لا تُحاولْ من آية الدهر غضَّا

وهى قصيدة نفيسة المعانى ، وقد يُسأل عنها الطلبة فى الامتحان لأنها من عيون الشوقيات

أول دكتور من الجامعة المصرية

هو المستر روزفلت ، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ، فقد مُنح الدكتوراه الفخرية ، وكان ذلك أول لقب منحته الجامعة المصرية ، فاعترض « الغزالى أباظة » على صفحات إحدى الجرائد ، وكانت حجته أنه أولى بذلك اللقب ، لأنه يستطيع أن يُغضب المصريين بأكثر مما يستطيع أن يغضبهم أى مخلوق !

والغزالى أباظة هو الأستاذ دسوقى بك أباظة ، الوزير السابق لوزارة الشؤون الاجتماعية ، فهل يذكر ذلك التاريخ ؟ !

قصيدة النيل

هى قافية فى ١٥٣ بيت ، أرسلها إلى المستشرق مرجوليوث

(١) ومع هذا لا ننسى مكانة شاعرنا حافظ فى وصف ألوان الحياة المصرية

مع مقدمة نثرية قلقة الأسجاع ، قصيدة يرجع عهدها فيما أفترض إلى أيام حرب البلقان ، فهى إذاً من غرر شعره القديم . وليس من العدل أن نجارى الأستاذ المازنى فى القول بأن شاعرية شوقى لم تتفتح إلا بعد النفى ، فأنا أرى أن قصيدة « الأندلس الجديدة » التى قالها بمناسبة سقوط أدرنة فى سنة ١٩١٢ لا تقل جودة عن أبرع ما جاد به خاطره فى النفى وبعد النفى .... والحق أن شوقى نضج فى وقت مبكر ، فقصيدته التى قالها فى المؤتمر الشرقى بمدينة جنيف سنة ١٨٩٤ تعد من القصائد الجياد ، وهى البا كورة التى بشرت بأن سيكون له مقام بين شعراء القصص التاريخى [١]

ونرجع إلى قصيدة النيل فنقول :

أراد شوقى بهذه القصيدة تمجيد العنصرية المصرية ممثلة فى النيل السعيد ، وقد رحب الشاعر بالألفاظ الجارية على ألسنة الفلاحين فى أعمال السقى والغرس والحصاد . وطاف به الخيال حول عهود التاريخ ، فشرح ما مر بهذه البلاد من عقائد وديانات ، شرحها برفق ، لأنه لم يرد النقد وإنما أراد التسجيل . ولو شئت لقلت إنه اعتذر عن ظلم الفراعين ، فقد عدّ إرهاقهم للشعب فى بناء الهيا كل باباً من المجد المرموق

هى من بناء الظلم إلا أنه   يبيض وجه الظلم منه ويشرق
لم يرهق الأمم الملوك بمثلها   مجداً لهم يبقى وذكراً يعبق

ويرى الشاعر أن الأرض والسماء لا تبيدان إلا برجفة « القيامة » ، أما « قيامة » مصر فهى جفاف النيل الذى خاطبه الشاعر فقال :

من أى عهد فى القرى تتدفق   وبأى كف فى المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من   عليا الجنان جداولاً تترقرق
وبأى عين أم بأية مزنة   أم أى طوفان تفيض وتفهق
وبأى نول أنت ناسج بردة   للضفتين جديدها لا يخلق
تسود ديباجاً إذا فارقتها   فإذا حضرت اخضوضر الإستبرق
فى كل آونة تبدل صبغة   عجباً وأنت الصابغ المتأنق
أتت الدهور عليك مهدك مترع   وحياضك الشرق الشهية دفق
تسقى وتطعم لا إناؤك ضائق   بالواردين ولا خوانك ينفق
والماء تسكبه فيسبك عسجداً   والأرض تغرقها فيحيا المغرق

ونظر الشاعر فرأى الوثنية المصرية تأمر بعبادة النيل ، فشاء له الأدب أن يوجه تلك العبادة توجيهاً يرفع عنها إصر الشرك بواجب الوجود :

دين الأوائل فيك دين مروءة   لم لا يؤله من يقوت ويرزق
لو أن مخلوقاً يؤله لم تكن   لسواك مرتبة الألوهة تخلق
جعلوا الهوى لك والوقار عبادة   إن العبادة خشية وتعلق

ثم نظر الشاعر فرأى أن المصريين القدماء كانوا يهتمون ببناء القبور أضعاف ما يهتمون ببناء البيوت ، فاتخذ من ذلك دليلاً على حبهم للخلود :

بلغوا الحقيقة من حياة علمها   حجب مكشفة وسر مغلق
وتبينوا معنى الوجود فلم يروا   دون الخلود سعادة تتحقق
يبنون للدنيا كما تبنى لهم   خرباً غراب البين فيها ينعق
فقصورهم كوخ وبيت بداوة   وقبورهم صرح أشم وجوسق

ولم يفكر الشاعر فى تفنيد خرافة « عروس النيل » وإنما جعلها حقيقة شعرية حين قال :

ونجيبة بين الطفولة والصبا   عذراء تشربها القلوب وتعلق
كان الزفاف إليك غاية حظها   والحظ إن بلغ النهاية موبق
لاقيت أعراساً ولاقت مأتماً   كالشيخ ينعم بالفتاة وتزهق

إلى آخر ما قال فى هذا المعنى الدقيق . وقد اعتذر عن أسطورة « أبيس » فجعلها نوعاً من الوفاء للدين :

قوم وقار الدين فى أخلاقهم   والشعب ما يعتاد أو يتخلق

ولم يفت الشاعر أن يسجل فى أبيات كريمة أن مصر التى كانت موئلاً للديانة الفرعونية هى مصر التى آوت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية ، ولم يفته أيضاً أن ينص على عدالة عمرو بن العاص الذى ضرب ابنه بالسوط حين سمع أنه أهان أحد الأقباط ، وقال فى ذلك كلمته التاريخية : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً »

ثم ماذا ؟

ثم يختم شوقى قصيدة النيل بأبيات تفسر معنى الوطنية ، فالناس عنده يحبون الوطن لأنه مصدر سعادتهم ، ولأنه المستقر الأمين لأبنائهم :

مما يحملنا الهوى لك أفرخ   سنطير عنها وهى عندك ترزق
تهفو إليهم فى التراب قلوبنا   وتكاد فيه بغير عرق تخفق
ترجى لهم ، والله جل جلاله   منا ومنك بهم أبر وأرفق

زكى مبارك

(١) من المحتمل أن يكون شوقى نقح هذه القصيدة فيما بعد ، وهذا لا ينفى من كفايته الشعرية قيما قبل

الملك الظاهر

زيارة ضريحه بدمشق

للأستاذ أبي أسامة

وتضحك منى شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانيا

قلت: مهلاً فإنى أتحدر من تاريخ طويل من المجد والبطولة؛ وليس فى وسعنا نحن أبناء هذا الجيل الزاحف أن ننساه أو نغض الطرف عنه، بل إنى لأشعر بالفخر يملأ نفسى، نعم لأنى أشعر بالبطولة تملأ جوانب تاريخي

قال: ومن هم أبطالك؟

قلت: كنجوم السماء لا تملك لهم عداً

قال: حدثنا عن النفس القوية عندكم التى لا تربط حظها بما تؤمله من مساعدة الغير لها، ولا تعتمد على أهواء الناس وآرائهم وأحكامهم، وإنما تعتمد على عملها وحده الذى يخلق لها الحظ الذى تستحقه والذى هو جدير بها

قلت: اخترت الملك الظاهر بيبرس، إذ هو فى نظرى من أولئك الذين يعتمدون على القوة الكامنة فى شخصيتهم، بل من الذين اتخذوا من أنفسهم قوة منظمة مدركة للعوامل المحيطة بهم، فوضع كل عامل فى مركزه الخاص به، ثم جمعها وحشدها ووزعها، فاستعملها للوصول إلى الأهداف التى قصد تحقيقها، وكان النصر حليفه وطوع بنانه

قال: آتنا من بعض أخباره

قلت: لست بمؤرخ، وإنما سأحاول أن أرسم التاريخ وأخرجه صورة حية:

نحن فى سيارة من بيروت إلى دمشق ومعى صديق، وكان ذلك فى صيف ١٩٤٢، فإذا أنا أرتل قول القائل:

لئن عاينت عيناى أعلام جلق وبان من القصر المشيد قبابه[1]
تيقنت أن البين قد بان والنوى نأى شحطها والعيش عاد شبابه

هذه دمشق قد بدت تطل بوادرها عليك من وراء عقبة دمر، فإذا بالمرجة الخضراء تغمرك بروحها كما تغمر الأرض مياه بردى المندفعة، فتشعر بأنك تدخل عالماً لم يكن غريباً عنك فى يوم من أيام حياتك

بدأت أستعرض ذكريات التاريخ الذى هو جزء منا، وأتحدث عنها، ودمشق عاصمة وثغر ورباط للعلم وموئل للعز التالد وللمجد القادم، كلما دخلتها شعرت بأن مصر تعيش فى دمشق، كما أشعر فى القاهرة بأن الشام تعيش بمصر. أنظر إلى مساجد العاصمتين: تجد وحدة البناء والزخرفة، ووحدة التفكير والروح. أنظر إلى مأذنة الجامع الأموى الواقعة على يمين مدخله، ألا تذكرك بمآذن الأزهر بالقاهرة؟ وانظر إلى مأذنتى النورى وقايتبای بمصر، ألا تذكرك بمآذن الشام؟

وأذكر أننى خرجت يوماً من الجامع الكبير فوقفت على قبر صلاح الدين وواصلت سيرى إلى المجمع العلمى ومنه اتجهت إلى الظاهرية، فإذا أنا أمام ما سطرته يد الزمن السالف الغابر لأقرأ ما يأتى:

« بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالى محمد بركة بن السلطان الشهيد الملك الظاهر والمجاهد ركن الدين أبو الفتوح بيبرس الصالحى أنشأها لدفن والده الشهيد وألحق به عن قريب فاحتوى الضريح على ملكين عظيمين ظاهر وسعيد. أمر بإتمام عملها السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه »

هذه دار العقيقى من رجال الدولة الفاطمية المصرية، بنيت منذ تسعة قرون ولا تزال حجارتها العتيقة ظاهرة وفاصل البناء تلمسه بين القديم وما استجد فى أيام السعيد. ارجع إلى مدخل الظاهرية وانظر إلى جمال الباب وتناسقه وإلى القرنصات بسقفه، إنه لتحفة من ريازة القرن السابع الهجرى فإذا اخترقت الباب فاتجه يميناً إلى القبة

هنا ضريح الملكين الشهيدين تحت قبة قد ازدانت جدرانها بالفسيفساء قلد راسمها جدران المسجد الأموى ورسومه، فإذا اتجهت إلى المحراب تجده تحفة أخرى من زخرفة هذا العصر يمتاز

---

(١) هو للملك الناصر أبو المظفر داوود صاحب الكرك — راجع النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٦٢ توفى سنة ٦٥٦

بالصدف الملبس فى أعلاه وجوانبه فجاء كإطار ركب حول العمودين . اقرأ الآية التى كتبت على اليمين : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله » وعلى اليسار : « وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » أما ما تحت الفسيفساء من الجدران فقد ركب عليه الرخام المجزع ، اختلف صديقان لى فى أصله أهو من الشرق أم من الغرب .

ووقفت أمام هذا الضريح وقد غمرتنى نفحة فانتبهت أمام رهبة الراقد كأنى أتاقى الأمر ممن كانت بيده مقاليد آلاف الرجال وأعنة آلاف الخيل ، وأحنيت رأسى احتراماً وإجلالاً إذ هنا الملك الظاهر من كان اسمه يدوى فى أرجاء ممالك ثلاث قارات من العالم المعروف فى عصره . ومرت أمامى أدوار البطولة والمجد التى أوحتها إلى هذه البقعة الطاهرة

قد مر بمخيلتى فى تلك اللحظة لفتة من الدهر تملأها الثقة بالنفس وتمثل الإرادة القوية أنشرها لاعتقادى ووثوق فى أن الأمة التى تحترم نفسها هى التى تشيد بأبطالها ، وحينئذ تستحق احترام العالم المتمدين وتقديره لها .

***

كان عصر الظاهر عصراً فذاً فى التاريخ ماجت فيه الأمم والشعوب والجماعات ، وتمخضت أيامه بالحوادث الجسام والمعارك الكبرى ، وقذفت فيه الأقدار بقوات هائلة من الخير والشر معاً ؛ وكان هذا الركن من العالم الذى نعيش فيه الآن ، يواجه أشد الأخطار ويمتحن بأقوى المحن التى مرت فى تاريخه — فهو لم يكن قد أفاق بعد من النكبة الكبرى والصدمة المروعة التى أصابته فى بغداد يوم استباحها هولاكو سنة ٦٥٦ وكان صدى استشهاد الخليفة العباسى لا يزال يهز النفوس ويدوى فى الدنيا

كانت النكبات تتوالى من ذات اليمين وذات الشمال ؛ وهذا العالم العربى يعانى الشدة أثر الشدة ويقارع ويكافح ضد الفناء أمام قوات تفوق طاقته وقد انسابت عليه من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق ، والناس فى دهش يتساءلون أأذنت الساعة ؟ لم استعجلهم ربهم بالعذاب ؟ « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ، أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » [قرآن كريم : الأنعام]

إن ما أصاب الشرق العربى فى ذلك العصر الرهيب كان من قبيل الانقلابات الأرضية التى تثيرها عوامل الطبيعة فتدك الأرض دكا وتهبط على أثرها المحيطات وتظهر بعدها القارات ، أو كأعاصير هائلة فيها برق ورعد وظلمات ، ثم يعقبها طوفان يأتى على الأخضر واليابس ويهدم أحسن ما بناه الإنسان وما أخرجه العقل البشرى . كان هذا حال أجدادنا فى القرن السابع الهجرى حينما قذفت عليهم الأقدار بتيارات متعاقبة من جماعات البشر تهاجمهم فى عقر ديارهم فتخرجهم منها ، وتنتزع من أيديهم فلذة أكبادهم وتهدم وتحرق وتخرّب وهم لا يستطيعون لها دفعاً إلا بقدر ما فى أيديهم من قوة وصبر

فى وسط هذا الوقت العصيب والليل المدلهم سطع فى السماء نجم الظاهر ، وظهرت على مسرح شرقنا شخصيته الجبارة فقال عنه المؤرخون فى عصره « هو الأسد الضارى كان شهماً شجاعاً أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه فى هذا الوقت الشديد والأمر العسير »(١)

ولقد قامت قيامة الدنيا ، وكشر إلـه المعارك من أنيابه ، ولعب الرجال والأبطال أدوارهم ثم انتهت القوى الجامحة التى أثارتها الطبيعة فألقت قيادها إلى رجل قد اختارته العناية من مصر وهيأته بعصر ، فما إن رأته العناصر الهائجة حتى خفتت لدى طلعته ، ثم خبت فسلمت إليه طائعة مختارة

وأطلت شخصية الملك الظاهر على القرن السابع الهجرى ، فإذا هى تكشف ما حولها وتظهر واضحة براقة قوية وكأن إرادة الملايين التى تمثلت فى إرادته وآمال الناس التى تحققت على يديه وأكبرت عمله قد تجمعت فى بقعة واحدة وأخذت تنشد بصوت واحد فى مواجهة عالم بأكمله :

« إنى أرفع يدى إلى السماء وأقول : حى أنا إلى الأبد »(٢)

(يتبع) (أبو أسامة)

(١) راجع النصوص فى البداية
(٢) هذه الجملة من سفر التثنية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ - ٧ - ٩٤٢ فى القضية رقم ١٤٦٠ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد حسن على الجيزاوى بالحبس ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والتعليق على مركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه قماشاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حديث عيسى بن هشام

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

كتب الدكتور « زكى مبارك » بحثاً قيماً فى حديث عيسى بن هشام شرح فيه كثيراً من الحقائق التى تهم كل مطلع على هذا الكتاب ، وكشف عن كثير من النواحى التى تهدى الطلاب إلى الصواب ، وتأخذهم بأيديهم إلى طرق البحث المجدى والاطلاع المفيد ؛ ولكن الدكتور لم يرد ببحثه الاستيعاب والاستقصاء وذلك ليترك للطالب مجالاً للتفكير والتنقيب

هذا ما رآه الدكتور وهو رأى فيه صواب وفيه حكمة ؛ ولكن الطالب في كثير من الأحيان يحتاج إلى شيء من البسط والإيضاح ؛ ولهذا رأيت أن أكتب هذه الكلمه الموجزة تتميماً للفائدة فى أسلوب الكتاب ومنزلته القصصية

١ — المنزلة القصصية للكتاب

حديث عيسى بن هشام تصوير رائع للمجتمع المصرى فى فترة من الزمن ، وعرض شائق للحياة المصرية وما فيها من أخلاق وعادات وأنظمة فى أسلوب قصصى جميل

ولا يشك أحد فى أن هذا الكتاب يعتبر بداية طيبة للقصة المصرية وفتحاً جديداً للون جديد من الأدب فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ذلك لأن القصة المصرية منذ بداية العصر الحديث كانت مقصورة على المقامة والقصص العامية ، وما خرج منها عن هذه الدائرة كان منقولاً عن اللغات الأجنبية لا يمثل الحياة المصرية فى قليل ولا كثير — ولقد كان إخواننا السوريون أسبق إلى النقل والتأليف فى هذا الفن ؛ فاهتموا به منذ منتصف القرن التاسع عشر ونقلوا كثيراً من القصص التى لا تمثل الحياة الشرقية ، ثم ألفوا بعضاً منها يمثل الحياة العربية « كالمروءة والوفاء » للشيخ خليل اليازجى

ونحن حين نقول إن حديث عيسى بن هشام كان بداية طيبة للقصة لا ندعى أنه استوفى شروطها وأنه سلم من الأخطاء الفنية التى تخرج الكتاب عن الروح القصصى ، فالقارئ يلحظ التقصير فى كثير من المواقف التى عالجها الكتاب ، ويحس أن المويلحى كان ساردا لمظاهر الحياة المصرية لا كاتباً قصصياً . ويكفى للبرهان على هذا الرأى أن يرجع القارئ إلى المجالس التى شهدها عيسى بن هشام مع الباشا ، فهما يحضران مجلس التاجر وغيره بعد الاستئذان ويسمعان كل ما يقال ، ثم يخرجان دون أن يشعر بهما أحد ودون أن يشتركا فى الحديث مع الجالسين ، وهذا مناف للعادات المألوفة ؛ فالزائر الغريب دائماً يكون موضع السؤال والاهتمام والعناية ؛ وكثيراً ما يكون قدومه سبباً فى تغيير سياق الحديث

ثم إن الكاتب بالغ إلى حد كبير فى الاستقصاء وتتبع نواحى المجتمع وكان يتلمس المناسبات فى كثير من الأبواب ليشرح موضوعاً من الموضوعات ، وكان الاتصال بين الأفكار أحياناً لا يجرى على المألوف المستساغ . والمعروف أن القصص لا تحتمل هذا التكلف ، ويكفى أن يلم الكاتب فى قصته ببعض هذه الموضوعات .

ولكننا مع هذا لا ننقص من قدر الكتاب فهو توجيه جديد إلى لون من الأدب ولا يسلم مثل هذا الانتقال من المآخذ والنقص

٢ — أسلوب الكتاب

لقد كتب الدكتور فى هذا الموضوع كلمة قيمة وضح فيها أن أسلوب الكتاب نوعان : أسلوب فنى أريد به الإمتاع ، وأسلوب علمى توخيت فيه السهولة والبساطة .

وهنا يتساءل بعض القارئين : لم اختلف الأسلوب فى كتاب واحد لمؤلف واحد ؟

والمعهود أن لكل كاتب أسلوبه الخاص الذى يمتاز به ويحمل طابعه في كل كتابة له ، ولم نعرف لكبار الكتاب الأقدمين والحديثين نوعين من الأساليب ؛ فأسلوب الجاحظ له

طابعه ولأسلوب الزيات مميزاته الخاصة .

وأقول فى الإجابة عن هذا : إن السر فى اختلاف الأسلوب فى حديث عيسى بن هشام راجع إلى أن الكتاب وضع فى عهد انتقال للأدب ؛ فقد اضطرب الأدب والأدباء فى نهاية القرن التاسع عشر ، وكان الأدباء بين عاملين : عامل الحنين إلى القديم المملوء بالجمال الفنى والمحسنات البديعية، وعامل النزوع إلى الطريقة الجديدة التى تعنى بالمعنى والسهولة والوضوح قبل كل شىء .

وقد جاء حديث عيسى بن هشام معبراً من هاتين النزعتين أصدق تعبير ؛ فهو حين يجد مجالاً للجمال والإمتاع يستعير قلم من يعنون بالديباجة والصياغة اللفظية ؛ وحينما يقف أمام موضوع علمى يتناوله بقلم المجددين الذين يعنون بالمعانى والبساطة فى الأسلوب . وقد كان هذا التردد بين الأسلوبين ظاهراً فى أسلوب كثير من الأدباء الذين ظهروا فى هذه الفترة من الزمن ومنهم الشيخ محمد عبده وعبد الله فكرى . وما زال الأدباء على هذا النحو من التردد حتى ظهر الأدب فى ثوبه الجديد واستقر فى اتجاهه الذى نشهده الآن فصار لكل أديب أسلوبه الخاص الذى يعرف به .

ويلحظ القارئ فى حديث عيسى بن هشام أن المويلحى لا يلجأ إلى تنميق العبارة والعناية بالأسلوب إلا إذا كان الحديث على لسان عيسى بن هشام أو الباشا ؛ أما غيرهما من أشخاص الكتاب فيجرى الحديث على ألسنتهم مهلاً لا أثر فيه للتنميق والتجميل. ولم يشذ عن هذه الطريقة إلا فى الحوار ، فهو يتوخى فيه السهولة ولو كان بين عيسى والباشا .

ونستطيع أن نلخص مميزات الأسلوب الفنى فى حديث عيسى بن هشام فيما يلى :

(ا) السجع ولم يظهر فيه التكلف إلا قليلاً لاقتدار المويلحى على تخير الألفاظ الملائمة

(ب) الاستشهاد بالشعر والتضمين فى كثير من المناسبات، وقد أكثر من ذلك المويلحى وكان اختياره يدل على سعة اطلاعه وصفاء ذوقه

(حـ) الاقتباس من القرآن الكريم

(د) ومن المحسنات الكثيرة التى حسن بها كلامه الجناس وفى بعض ما أتي به مغالاة وإكثار ومن ذلك قوله : « وغيرها ترضع طفلين فى حذاء وزوجها يضرب رأسها بالحذاء . وأخرى آخذة بضفيرة ضرتها ورضيعها يتلهف على ضرتها »

(هـ) وهو يأتى بالتورية فى موضعها ، ويعزب فى بعض التعبيرات فتأتى عالية الأسلوب بين التعبيرات الأخرى السهلة

(و) يستعير خيال الشاعر فى كثير من الأبواب وبخاصة فى الوصف

***

وبعد فإن للكتاب نواحى كثيرة لا يتسع المقام لشرحها ، ومن بينها النقد الأدبى فى الكتاب والاتجاهات الأدبية التى يرمى إليها المؤلف ، والإصلاح الاجتماعى الذى يبغيه ... وهكذا . وعلى الطالب أن يستوعب كل هذا ويلم بأطرافه والله الموفق الهادى .

« الفيوم » أحمد أبو بكر ابراهيم

الدبابات أمام المدن

للأستاذ « ذ . ص »

بعد أن تنتهى هذه الحرب تدخل فى سجل التاريخ ونكون قد نسيناها أو تناسينا ما مرّ بنا من أهوال ، سيقبل علينا أطفال الجيل الجديد يسألون ويلحفون فى السؤال ، فنحيلهم على كتبهم المدرسية حيث الأحداث قد صُبَّت فى كلمات وجمل تعجز عن تصوير ما خيّم على العالم من خوف وهلع ، ولا تقدم لهم إلا الأيام والشهور والأسماء والأرقام .

والأرقام والتواريخ كما كانت وكما ستكون ، ثقيلة على الذاكرة ، عسرة على اللسان ، فلذلك ستبرز الأسماء إلى الأمام وتكون موضع التذاكر والنقاش ، وخاصة ما دل منها على المعارك الحاسمة والملاحم الفاصلة ، ولأول مرة سيرون أن هذه المعارك انتسبت حيناً إلى بقاع مترامية الأطراف كفرنسا والإطلنطى ، ولم تحمل حيناً آخر إلا اسم مدينة أو بلدة ، لا تحتل من خرائطهم إلا مقدار الثقب الصغير .

اتسمت رقعة المعارك قدماً مع نمو الجيوش ، حتى إنها شغلت فى الحرب الماضية مقاطعات شاسعة أو امتدت بطول بعض الأنهار ، أما المدن فلم يكن لها كبير شأن إلا فى أحوال خاصة ، إذ كانت قلاعاً قوية منعزلة كلييج ونامور ، أو نقط ارتكاز لخط دفاعى طويل كفردون .

وبدأت هذه الحرب وسمعنا بمعركة بولندا ثم النرويج ، بل إن بلاداً فسيحة كالدنمرك ذهبت فى ليلة لم يعقبها نهار ، ثم البلاد الواطئة والفلندر وفرنسا . وفجأة ظهرت أسماء من نوع هو علينا جديد ، احتلت مكانة خاصة ، بل واعتبرها البعض من نقط التحول الهامة فى تيار الحوادث ، ومن هذه يكفينى أن أذكر على سبيل المثال : سمولنسك واستالنجراد .

كانت المدن فى قديم الزمان حصوناً تصمد للأعداء شهوراً بل سنين ، تتغنى بحوادثها الشعراء وخُلِّدتْ أسماؤها فى تاريخ الحروب ؛ فمن ذا الذى ينسى طروادة وحصانها الخشبى ، وسقوط القسطنطينية أمام عبقرية محمد الفاتح ، وارتداد نابليون تحت أسوار عكا وهو كظيم ؛ ولكن الحروب ظلت تتطور ووسائلها تتعدد ؛ حتى أصبحت مدافع الحصار أكلها استعداداً وأشدها فتكا ، ولم تعد المدن — كما رأينا فى الحرب الماضية — إلا مصايد للموت ، فلم يرتد إليها المتقهقرون ، بداخلها يحتمون ، بل فضلوا الأرض الفضاء ، ينبطحون خلف ثناياها ، ويحتفرون فى سطحها الخنادق ويمدون بجوفها السراديب

ولما قامت الحرب الإسبانية حولها الألمان إلى معمل تجارب لقيادتهم العسكرية ، فيها يحللون ومنها يستنبطون ، يلقون فيها بالسلاح الجديد يبلونه ؛ ويقحمون نظرياتهم فى تكتيكات فرنكو يختبرونها . واستمرت الحرب بين مد وجزر ؛ وكان الجمهوريون كلما اكتسحتهم الدبابات ذُعروا ، وارتدوا إلى الوراء ، والتجئوا إلى مدنهم يحتمون بها بعد أن كانوا حماتها ؛ وكم دهشوا حين لم تخذلهم هذه كما خذلوها

لم تقف المدن فى وجه الدبابات سدًّا منيعاً كما كانوا يأملون (وهم فى قرارة نفوسهم من ذلك يائسون) ، بل ظهرت لهم بمظهر جديد ، لا تتمنع للداخلين بل تغريهم وترحب بهم ، فإذا أصبحوا وسطها وخبروها ، وجدوها الهوة التى ليس لها قرار ، تجتذب الأجساد إلى الأعماق ولا تلفظ إلا الأرواح

استدعى ذلك الحال من الألمان لفتة أو لفتين ، ولكنهم لم يعلقوا به كبير اهتمام ، بل ظنوا الأمر طارئاً أسبابه ظرفية أكثر من أن تكون فطرية[1] ، فهذه حرب ليست ككل الحروب ، هى حرب أهلية بين أفراد جنس واحد ، انحدر من فرع لاتيني (وكم كان التتون يحتقرون اللاتين !) ، وهذه الخطط هى من عصارة عقولهم ، هم الجرمان ، فهذا الأمر إذن لا يحتمل أدنى شك ولا يقبل أى جدال : كل نجاح هو إذن وليد خططهم ونظرياتهم ، أما كل نقيصة أو كل خذلان فهو راجع لا محالة إلى طرق اللاتين فى التنفيذ

(١) فطرية بمعنى أنها فطرت ونشأت مع خطط تلك الحرب ، فهى منها ومن صميم نظامها ومن لوازم أسلوبها

اندلعت الحرب فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وتدفقت جيوش الألمان على بولندا ، جارفةً ما فى طريقها من رجال وعتاد وحصون وقلاع ، ولكن ... ما هذا ؟ رِيْنهارْتْ يصدّ ؟ ... رينهارت الفذ يصل إلى غرضه ثم يرتد ... ؟ ، تخطى الجنرال رينهارت حدود بروسيا الشرقية على رأس جيشه المدرع أول أيام الحرب متجهاً صوب « وارسو » ، ولكنه ما وصل إلى شوارع العاصمة البولندية حتى دُفع إلى الخلف ، وهجم الألمان ثانية ثم ثالثة ، ولكنه فى كل مرة كان على أعقابه يُرَدّ .

تمزقت بولنـدا شر ممزق وقُطِّعت أوصالها تقطيعاً ، وهرست أرضها هرساً ، ووارسو لا تزال صامدة . نحن فى أول أيام الحرب وكل قائد ألمانى متعطش إلى إحراز السَّبْق فى النصر ، ليسمع من زعيمه كلمة الثناء الموعودة ، ويُنجز لبلاده ما ألقت عليه من أعباء ؛ هذا فون بوك قد هصر الممر البولندى هصراً وهبط كالصاعقة من الشمال الغربى ، وهذا فون رُنْشتيد قد اخترق حصون المنطقة الصناعية عند « كراكاو » ، والتف هاجماً من الجنوب الغربى . يتململ رينهارت ويرغى ويزبد ، وينقض على وارسو يدكها دكا ، ويُطلق طائراته عليها : بالقنابل تقذفها وبالأرض تسويها ، ثم تعود دباباته إليها تقتحمها ، وتنساب فى أزقتها ، وتنعطف فى منحنياتها وتضرب يميناً وشمالاً . ولكن قليلاً قليلاً يهبط عليهـا نفس الشعور القلِق ويكتنفها نفس الإحساس المبهم اللذان حلاّ بها فى الهجات السابقة ، فتشلها الحيرة ويخنقها الارتباك : عدوها لا يزال مراوغاً غير مرئى . أين هو وأين يختفى ؟ ... تجحظ عيون الألمان من فتحات الفولاذ الضيقة باحثة مُنقِّبة ، ولكنها لا ترى إلا طريقاً خلواً طويلاً ، منثنياً متعرجاً بين ديار وإن تكن قد خربت ، ومنازل وإن تكن أجنابها قد صُدّعت ، إلا أنها ، هذه وتلك ، لا تزال تؤوى مئات الجنود وآلاف السكان ـ هؤلاء الزاحفون داخل الفولاذ ، مجال الرؤية أمامهم محدود ، فى حين أنهم ظاهرون بكل جلاء ، واضحون وضوح الشمس والنهار ـ ينصب المدفع خلف أحـد الأبواب ، وبمجرد ظهور الدبابة أول الشارع يعد المدفع ويجهز ، بينما لا تراه هـذه حتى تكون بحذائه ، وفى لمح البصر تصيبهـا الصدمة ، فتمزق أجنابها وتهشم أفرادها ، وتقذف أشلاءهم متشابكة مع فولاذها المتناثرة ، متعلقة بأجزائها المتطايرة هنا وهناك . وهذه أخرى أوقفتها المتاريس لحظة فتساقطت عليها فجأة زجاجات البترول المندلعة ، تشعل فيهـا النار وتشوى رجالها شياً ، فتتعالى صيحاتهم المروعة ، متجاوبة فى آذان زملائهم المتقدمين خلفهم . . . فبالله عليـك ماذا تنتظر من هؤلاء وقد رأوا عدوهم الخفى لا يظهر إلا ليضرب الضربة الصائبة ، وإذا قضوا عليه آخر الأمر ، فهناك غيره مئات بل آلاف ، الموت لهم بالمرصاد ، جاثم متربص فى كل منعطف وفى كل ركن ، وفى كل نافذة وفى كل قبو

ولم يكتو أحد بهذه الحوادث مثلما اكتوت به الجيوش الألمـانية ، وصممت ألا تقع فى مثلها ثانية ، وساعدها على ذلك غفلة العدو عن التقاط خبرة الغير والانتفاع بدروسها ، ولذا رأينا الألمـان يقذفون المدن الهولندية قذفاً ويمحقونها محقاً ، واختصت روتردام بأكبر نصيب ، ثم أسقطوا عليها الآلاف من جنود المظلات ، يشدون المقاومة فى مهدها ، ويستحوذون أول الأمر بثمن بخس ومجهود ضئيل على تلك المراكز التى ربمـا تحولت آخر الأمر — إن هم تركوها إلى أوكار للدفاع — تستنزف من المجهـود ما ضخم ، بل ما استعصى : من توتر فى أعصاب القواد شـديد ، وثمن فى سوق الأرواح مرتفع

وفُصِلت جيوش الشمال فكانت « دنكرك » ، ودار الماجون نحو الجنوب ... صوب باريس ، وكانت القيادة الألمانية تعلم بتفكك الروح المعنوية فى فرنسا ، وما وصل إليه الأفراد فيها من أثرة وأنانية ، فقررت الامتناع عن ضرب باريس ، ذلك الضرب الذى ربما أحيا ما مات فيهم من شعور ، فلم يخب ظنهم بل فتحت لهم الأبواب دون قيد أو شرط

أما الروس فكانوا هم وحدهم[١] الذين تفتحت أذهانهم لمقتضيات الظروف ، وحوّلوا مدنهم إلى مراكز دفاع قوية ، سُلّح فيها المدنيون قبل العسكريين ، فأمسك الزاحفون عن دخولها خشية التعرض لاستنزاف قواهم في شوارعها ، ولم يجسروا على تركها خلفهم خشية التعرض لتقطيع خطوط مواصلاتهم ، حول ضواحيها ، بل فضلوا على كره وقف زحفهم الدقيق التوقيت مترقبين بقلوب قلقة جازعة وصول مدفعيتهم الضخمة الجاهدة وسط الأوحال على طرق وعرة حفت بها عصابات الأعداء ، ثم ينصبونها أنما وصلت ، لتقوم بالدك والتحطيم أمداً من الزمان ، وأخيراً يُتبعونها بجنودهم الراجلة لاقتحام المبانى منزلاً بعد منزل ثم غرفة بعد غرفة

أصبحت المدن العائق الأكبر للجيوش المدرعة ، فهذه تعتمد على السرعة أكبر اعتماد ، مَزِيّتها الأولى هي سرعة الاندفاع من مكان إلى مكان ، وتلك تعمل على العرقلة والتعطيل ، واجتذاب العدو وربطه بالمكان

لم يُصَب الجيش الألماني في جميع معاركه بخسائر تذكر بجانب ما حاق به في سمولنسك وسبستبول وستالنجراد وسائر المدن الروسية الكبرى ، بل إن أكواخ بير حكيم القليلة العدد ذات القوالب الطينية ، كلفتهم ما يفوق خسارة اليابانيين أمام رنجون ؛ فالأولى أحسن الحلفاء استغلالها ، أما الثانية فقد بادروا فيها إلى الإخلاء ، ولم تساعدهم روح أهاليها المعنوية على إعداد الدفاع .

(ز . ص)

(١) هذا إذا استثنينا البريطانيين في طبرق أثناء حصارها الأول ، ولو أن الدفاع عن هذه المدينة اتبع النمط القديم ، ولذا فاتنا رأيناها تسقط هذا العام بسهولة عند ما تمكن روميل من اختراق استحكاماتها الخارجية ولم يحاول الحلفاء الدفاع عنها شبرا شبرا في كل شارع وفي كل بيت .

الأزهر والإصلاح

هل للأزهر فكرة إصلاحية ... ؟

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى سنة ١٩٢٨ ونحن نطلب « العلم » فى الدراسات الأخيرة للأزهر انتبهتْ نفوسنا وأذهاننا لأمر جديد إسمه الإصلاح ، أقصد إصلاح الأزهر . وكان مثار هذا التنبه المفاجئ أن شيخاً مصلحاً عظيماً ولى مشيخة الأزهر عرفناه باسم الشيخ المراغى وبوصف الإمام المصلح خليفة الشيخ محمد عبده .

ثم انتهينا من طلب « العلم » ولم تنته نفوسنا ولا أذهاننا من الانتباه بل الاندفاع مع ما فاضت به قلوبنا من الرغبة ومن الاقتناع بضرورة الإصلاح للأزهر . ومن الرغبة والاقتناع بضرورة « تجديد الحياة الدينية » فى مصر والشرق .

وبقى الشيخ المراغى فى الأزهر فترة ثم تركه ، ولكن الحديث عن الإصلاح والتجديد ظل مقروناً باسم الشيخ المراغى ، وظل وصفه بالإمامة والإصلاح والخلافة للشيخ محمد عبده قائماً .

وسارت بنا الحياة هذه السنين الكثيرة العدد ما ننفك نكتب ونتحدث ونفكر فى الإصلاح والتجديد . وسارت الحياة بالأزهر هذه السنين الكثيرة العدد فتقدم فيها نحو الإصلاح والتجديد خطوات ليس من حقى الآن وليس مقصودا إلىّ أن أبين عنها ولا أن أبدى رأياً فيها . بل من حقى ومن واجبى أن أعدل بما كتبت فلا أقول إن الأزهر فى هذه السنين الكثيرة العدد قد « تقدم » نحو الإصلاح والتجديد، بل أقول إنه قد « تغيّر » مما كانت عليه حاله قبل هذه السنين ، ولك أنت — ولى أنا أيضاً — أن أفهم وأن أحكم وأن أصف هذا التغيير هل كان إلى حسن أو إلى غير حسن . وهل كان تقدما نحو الإصلاح والتجديد أم لم يكن . وهل كان الأزهر بهذا « التغيير » كاسباً أم خاسراً ، وإلى أى مدى كان ربحه وكانت خسارته فى الثانية أو فى الأولى . أم أن هذا التغيير الذى صار إليه الأزهر فى هذه السنين الكثيرة لم يكن تجديداً ولا رجعة ولا تقدماً ولا تخلفاً ، وإنما هو تخبّط وتخليط ، وأن الأزهر صار به ومنه كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

من حقك ومن حقى أن نفكر وأن نحكم وأن نصف ما فعل الأزهر أو فُعل به فى هذه السنين . ففكر — إن لم تكن — واحكم وصف . أما أنا فقد فكرت وحكمت وليس من شأنى اليوم ولا مقصوداً لى أن أصف ، أما الذى هو من شأنى اليوم ومقصود لى فهو أن أكتب هذا الفصل « للرسالة » عن : (فكرة الإصلاح) فى الأزهر . ما هى ... ؟

* * *

فلنسلم جدلاً أو اقتناعاً بأن الأزهر له فكرة إصلاحية . وبأن الكلام عن الإصلاح التعليمى فى الأزهر وعن الإصلاح الخلقى فيه . والكلام عن إصلاح الحياة الدينية فى مصر ليس مقصوداً بهما الدعاية ولا التظاهر ولا عرض من متاع الحياة أو جاهها ، وليس لصوقاً بوصف معيّن فيه ربح أو فيه متاع لنفس أو إرضاء لشهوة

فلنسلم جدلاً أو اقتناعاً بأن للأزهر فكرة إصلاحية لتجديد الحياة العقلية والحياة التعليمية والحياة الخلقية بين أهله ، وأن للأزهر فكرة إصلاحية لتجديد الحياة الدينية فى مصر أو فى الشرق ... فما هى هذه الفكرة الإصلاحية التى وضع الأزهر أو وضع رجاله حدودها ورسموا معالمها وخطوطها وحدّدوا أهدافها القريبة أو البعيدة ... ؟

وهل استبان الأزهر واتضحت له الطريق التى يسلكها إلى أهدافه القريبة أو البعيدة ، حتى يأخذ بأسبابها ويتلمّس نهجها ويعرف أين هو مما كان وأين هو مما يريد أن يكون ؟

نحن نعرف أن الأزهر — فى هذه السنين الكثيرة العدد — قد وسع على طلبته فى منهج الدراسة للعلوم الحديثة ، وأنشأ لهم المعامل للكيمياء ، ورحلهم الرحلات ، وأنه أنشأ لهم الكليات خمساً أو ثلاثاً ولوى ألسنتهم أو ألسنة بعضهم بلغات الإنجليز

والفرنسيين والألمان . بل – والله قادر عليهم أو مكّن لهم أن يتعلموا لغات أهل الصين واليابانيين والفرس والترك إلى ما لست أدرى من لغات أهل الأرض ، وأنه أخرج طلبة العلم فيه من قِبلتهم القديمة والجديدة ، ومن صحن أزهرهم وأروقتهم إلى حيث يجلسون على الكراسي في عمائر جديدة في سفح الجبل بين مقابر الموتى ، وفي أحياء متباينة متباعدة في القاهرة بين مقابر الأحياء

ونحن نعرف أن الأزهر – في هذه السنين الكثيرة العدد – قد قدم إلى طلبته المذكرات والملخصات والمختصرات ، واستعان عليهم بطائفة من الأساتذة في دار العلوم ومن المطربشين في مدارس الحكومة ، وأنه حفظ لأهله كرامة المال أو بعض كرامته فزاد لهم في الأموال وضخم لهم الميزانية عاماً بعد عام

ونحن نعرف أن الأزهر في هذه السنين قد جمع بين أهله عقولاً تفكر في الإصلاح وقلوباً تشغل به وجهوداً تسعى إليه . وأن في الأزهر الحديث الشيخ المراغي والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ شلتوت ومن ورائهم جمع أو جموع من الشباب والطلبة يهتدون بهديهم ويستجيبون لما يريدونهم عليه للاصلاح والخير والتجديد

فهل الإصلاح للأزهر هو العلوم الحديثة ولو لم يكن لها أثر في الإفراج عن عقول أهل الأزهر وإخراجها من عبودية التقليد إلى حرية النقد والموازنة والرأى ؟ أم هو معامل الكيمياء والرحلات والتواء ألسنتهم أو ألسنة بعضهم بكلمات قليلة ، أو كثيرة من لغات أهل الأرض ولو لم يكن لها أثر في الإفراج عن عقول أهل الأزهر وإخراجها من ظلماتها إلى نور هذه اللغات وكنوزها وحرية التفكير فيها وبراعة النظم ...؟ أم هو الفرار من القبلة القديمة والجديدة ومن الرواق العباسي إلى عمائر جديدة أو بالية بين مقابر الأحياء أو مقابر الموتى ...؟ أم هو الملخصات والمذكرات والمطربشون من المدرسين وأن تضخم الأموال في العام بعد العام ...؟

نحن نعرف أن الأزهر قد تغير في هذه السنين الكثيرة العدد ، وأن الكلام من تجديده وإصلاحه لم ينقطع يوماً ، وأن فيه عقولاً تفكر وقلوباً تشتغل وألسنة تتكلم وأقلاماً تكتب وخطباً تحرر وتحبر ، وجموعاً من الشباب والطلبة ومن الغيورين المملوءة قلوبهم حماسة وإخلاصاً وصادق رغبة . ولكن الذى نريد أن نعرفه : هل فكرة الإصلاح للأزهر وللحياة الدينية في مصر والشرق واضحة الحدود عند الأزهريين مستبينة المعالم ؟ وهل تجمع بين أصحاب العقول التي تفكر والقلوب التي تنشغل والجهود التي تسعى والألسنة التي تتحدث ؟ هل بين هؤلاء جميعاً رباط من غرض أو غاية توحّد بينهم في الفهم والسعى والكفاح في سبيل ما يؤمنون به ...؟

***

من حقك ومن حقي أن نفكر وأن نحكم وأن نجيب ، ففكر واحكم وأجب ، أما أنا فقد فكرت وحكمت وليس من مقصودى اليوم أن أجيب ، بل أن أعرض ما بنفسي أو بعض ما بنفسي وأن أسأل من يجيب . فهل من يجيب ؟

محمود الشرقاوى

٤٤ - المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر - الأخلاق

يمكن أن نعزو ميل المصريات إلى اللذات الشهوانية وفساد أخلاق الكثيرات منهن إلى عدة أسباب ينسب بعضها إلى المناخ والبعض الآخر إلى حاجتهن إلى التعليم المناسب والتسلية البريئة والاشتغال بعمل. ولكن ذلك يرجع على الأكثر إلى سلوك الأزواج أنفسهم، وهو سلوك أكثر خزيا لهم من الصرامة الشديدة التي يستعملونها في تنظيم الحريم. فجميع الأزواج في مصر يسعون إلى تحريك شهوة نسائهم بكافة الوسائل التي في قدرتهم، مع أنهم في الوقت ذاته يكدون ويثابرون لمنع زوجاتهم من إشباع هذه الشهوة بطريق يخالف الشرع. وهم يسمحون للنساء بالإصغاء من وراء الشبابيك إلى الأغاني الخليعة والروايات الفاحشة التي ينشدها في الشارع رجال يؤجرون لذلك، كما يسمحون لهن بمشاهدة رقص (الغوازي) الشهواني «والخولات» المخنثين. ويأذنون للغوازي، وحرفتهن الدعارة، بدخول حريم الأغنياء، لا لتسلية السيدات بالرقص فحسب بل لتعليمهن الفنون الشهوانية. وقد يجلب أحياناً لتسلية الحريم دُمَى لا حشمة فيها

روى لي عن كيد المصريات حكايات لا حصر لها. أذكر نموذجاً منها القصة التالية وقد حدثت أخيراً: تزوج نخاس شابة جميلة من هذه المدينة، وكان يملك مالاً يهيئ له عيشاً رغداً، ولكنه فقد أكثره، فكان له في ثروة امرأته عوض. ولم يلبث الرجل مع ذلك أن أهمل زوجه. ولكنه كان قد قضى عهد الشبان فلم تكترث زوجه لذلك، ومالت إلى رجل آخر يعمل زبالاً وكان قد تعود الحضور إلى منزلها. فاشترت لهذا الزبال دكاناً بجانب المنزل ونفحته مبلغاً من المال يصلح به شأنه. ثم أخبرته أنها ابتكرت طريقة ليزورها في اطمئنان تام. وكان لحريمها شباك بمصراعين قامت أمامه على قرب منه نخلة تعلو المنزل، فلاحظت أن الشجرة تقدم لعشيقها وسيلة للوصول إلى غرفتها والهرب منها وقت الخطر. وكان لها خادمة واحدة تعهدت بمساعدتها على تحقيق رغباتها. وفي اليوم السابق لأول زيارة لعشيقها أمرت خادمتها أن تخبر الزوج بما سيحدث في الليلة التالية. فعزم الزوج على مراقبة زوجه، وأخبرها أنه لن يعود إلى المنزل تلك الليلة، ثم اختبأ في غرفة سفلى. ولما جن الليل جاءته الخادمة تخبره بحضور الزائر إلى الحريم فصعد إلى أعلى ولكنه وجد باب الحريم مقفلاً. وعند ما حاول فتحه صرخت زوجه، وحينئذ هرب عشيقها من الشباك عن طريق النخلة. واستغاثت الزوجة بجيرانها وأخبرتهم أن لصاً في دارها. ولم يلبث أن حضر كثيرون منهم فوجدوها قد أوصدت باب غرفتها على نفسها وزوجها في الخارج، فأخبروها أن ليس بالبيت غير زوجها وخادمتها، فقالت إن من يدعونه زوجها هو اللص لأن زوجها يبيت خارج المنزل. فأخبرهم الزوج حينئذ بما حدث وأكد أن رجلاً معها، وكسر الباب وبحث في الغرفة ولكنه لم يجد أحداً. فلامه الجيران وشتمته زوجته لافترائه عليها. واصطحبت في اليوم التالي اثنين من جيرانها الذين حضروا على صراخها ليشهدا أن زوجها قذفها في عرضها واتهمته في المحكمة أنه رمى امرأة عفيفة دون رؤية أو شهود. فحكم عليه بثمانين جلدة تبعاً لشريعة «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة». وطلبت الزوجة بعد ذلك من زوجها أن يطلقها فرفض. وعاشا معاً ثلاثة أيام بعد هذا الحادث في سلام. وفي الليلة الثالثة دعت الزوجة عشيقها ليزورها وقيدت زوجها بديه ورجليه أثناء نومه وشدته إلى حشيته. وجاء عشيقها فأيقظ الزوج وهدده بالموت العاجل إن صاح. ومكث مع الزوجة ساعات في حضوره. ولما خرج المعتدي فكت الزوجة وثاق زوجها، فنادى الجيران وأخذ يضربها بقسوة وهي تستغيث. وحضر الجيران ورأوه هائجاً، فلم يشكوا في قولها أن الرجل مجنون. فخلصوها من قبضته وهم يحاولون تهدئته بالكلام اللطيف ويدعون الله أن يشفيه. وأسرعت الزوجة باستدعاء رسول القاضي وذهبت معه هي وزوجها وكثير من الجيران الذين شاهدوا الحادث إلى القاضي. وأجمع الجيران على أن الزوج مجنون فأمر القاضي بوجوب إرساله إلى المارستان[1]. ولكن الزوجة تكلفت

---

(١) وينطقها العامة مرستان بضم الميم وكسر الراء (المؤلف)

ذكر المؤلف كلمة مارستان بكسر الراء والمعروف فتح الراء. وهذه الكلمة فارسية أصلها بيمارستان مركبة من بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان ثم اختصرت فصارت مارستان. انظر المعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي طبعة دار الكتب ١٣٦١ هـ (المترجم)

الشفقة والتمست السماح لها بتقييده فى غرفة من غرف منزلها حتى يمكنها أن تخفف من آلامه بالاعتناء به . فوافق القاضى مثنياً على عطف المرأة وداعياً الله أن يكافئها . وحصلت الزوجة بعد ذلك على طوق من حديد وسلسلة من المارستان . وقيدت زوجها فى حجرة سفلى من المنزل . وجعل عشيقها يزورها كل ليلة فى حضور الزوج . ثم تلح عليه بعد ذلك ليطلقها بلا جدوى . وكان الجيران يحضرون يومياً للسؤال عنه . فيشكو لهم من امرأته ويتهمها فلا يجيبونه بغير قولهم : « شفاك الله ! شفاك الله ! » واستمر هكذا شهراً فلما تبين للزوجة إصراره على الرفض أرسلت فى طلب حارس من المارستان لينقله إليه . والتف الجيران حوله عند خروجه من المنزل وصاح أحدهم : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! شفاك الله ! » وقال آخر : « يا خسارة . . . كان رجلاً فاضلاً حقا ! » وقال ثالث ملاحظاً : « حقا ... إن الباذنجان[١] كثير الآن !... » وأخذت الزوجة تزور زوجها كل يوم فى المارستان ملحة فى طلب الطلاق وهو يرفض . فتقول له : « ستظل إذن مقيداً حتى تموت ، وسيأتى عشيقى عندى على الدوام ! » وأخيراً رضى الزوج بالطلاق بعد حبس سبعة أشهر . فأخرجته من المارستان ونفذ وعده . وكان عشيق الزوجة من طبقة دون طبقتها فلا يمكن أن يكون زوجاً لها فبقيت عزبة وظلت تستقبله متى تشاء . غير أن الخادمة كشفت من حقيقة الأمر . ولم يلبث الحادث أن أصبح حديث الناس .

تتعرض الزانية إذا كانت زوجة لثرى أو لذى منصب ، كما يتعرض عشيقها ، لأهوال عظيمة[٢] . وقد حدث أخيراً أن انتهزت زوجة أحد ضباط الجيش الكبار فرصة غياب زوجها عن العاصمة ، فدعت لزيارتها تاجراً مسيحياً اعتادت أن تشترى منه الحرائر . فذهب التاجر إلى منزلها فى الوقت المعين فوجد عند الباب أحد الأغوات قاده إلى منزل آخر وجعله يتنكر فى ملابس سيدة . ثم عاد به وأدخله على سيدته . وقضى التاجر الليل كله تقريباً فى بيت المرأة ، ثم نهض قبل أن تستيقظ وأخذ فى جيبه كيس نقود كان قد أعطاه إياها . ونزل إلى الأغا ليقوده مرة أخرى إلى المنزل الذى تنكر فيه . فاسترد ملابسه وقصد دكانه . ولم تلبث السيدة التى افتقدت الكيس أن ذهبت إليه واتهمته بأخذه . ثم أخبرته أنها لا تريد نقوداً ولكنها تبغى رفقته فقط . ورجته أن يعود إليها فى الليلة التالية ، فوعد بالحضور . غير أن إحدى خادمات السيدة حضرت إلى دكان التاجر عصراً وأخبرته أن سيدتها مزجت بعض السم فى الماء لتقدمه إليه . ويقال إن المرأة كثيراً ما تختار هذه الطريقة لتنتقم من عشيقها لأقل إهانة .

يندر أن ترتكب الزوجة المسلمة الزنا دون أن تعاقب بالموت إذا شهد على الواقعة أربعة شهود . ويرفع الشهود أو الزوج دعوى الزنا . وقلما تنجو الزانية من العقاب إذا ضبطها أحد الضباط . فلا يلزم فى الحالة الأخيرة شهود أربعة ، وإنما تعدم المرأة سراً ، إذا كانت من عائلة محترمة ، تحت سلطة الحكومة الاستبدادية . غير أن الرشوة قد تخلصها أحياناً لأنها تقبل دائماً إذا لم يكن هناك خطر . وتكاد عقوبة إغراق الزانية تحل الآن محل الرجم فى القاهرة وغيرها من مدن مصر الكبيرة .

ويحكى أن امرأة فقيرة من هذه المدينة تزوجت من بائع طيور ؛ وبينما هى تعيش مع زوجها وأمها فى سكن ، اتخذت ثلاثة مساكن أخرى وتزوجت ثلاثة أزواج آخرين كانوا جميعاً يتغيبون عن القاهرة . وحسبت هكذا أنه يسهل عليها إذا جاء أحد الثلاثة إلى المدينة لبعض أيام أن تجد عذراً للذهاب إليه . ولكن حدث لسوء حظها أن قدم الثلاثة فى اليوم نفسه وذهبوا فى مساء ذلك اليوم يسألون عنها فى منزل أمها . فارتبكت لحضورهم معاً ولوجود زوجها الأول أيضاً . فتظاهرت بالمرض وسريعاً ما تصنعت الإغماء ، فحملتها أمها إلى غرفة داخلية . واقترح أحد الأزواج إعطاءها شيئاً يقويها . وأراد آخر تجربة دواء مختلف . وأخذ الجميع يتناقشون فى أى الأدوية أفضل . وقال أحدهم : « سأعطيها ما يحلو لى . أليست امرأتى ؟ » فصاح الآخرون فى صوت واحد : « امرأتك ! إنها امرأتى » وأثبت كل منهم زواجه . فقدمت الزوجة إلى المحكمة وحكم بإدانتها وقذف بها فى النيل . وقد حدث حادث مشابه لهذا أثناء زيارتى الأولى فقد تزوجت امرأة ثلاثة من جنود النظام ، فدفنت فى حفرة إلى صدرها وأعدمت بالرصاص

عدلى طاهر نور

حكم فى القضية ٢٥٢ عسكرية الموسكى سنة ١٩٤٢ بحبس محمود محمود البنا عشرة أيام بالشغل وتغريم كامل موسى اسماعيل عشرة جنيهات لبيعهما خبزا بأزيد من السعر المحدد بجدول الأسعار

---

(١) يقال إن الجنون ينتشر ويشتد فى مصر فى موسم الباذنجان الأسود

(٢) وقال لى أحد الأصدقاء : كم رجل فقد حياته بسبب النساء ! لقد كان يعيش فى هذا المنزل الذى تسكنه الآن شاب خليع جميل الصورة . وقد قطع رأسه هنا فى الطريق أمام باب منزله لعلاقة أثيمة مع زوجة أحد البكوات . وقد بكته نساء مصر جميعاً .

من خمر الزوال ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[إلى التي سقتني ولم تشرب معي خمر الزوال ،
وإلى الذين يشربونها مثلي من بد الزمان !!]

لا تتركيني في ضلالٍ   بين الحقيقة والخيالْ
إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ الزوالْ

أصبحتُ لا نغمٌ يفجّـرُ لي السُّلوَّ ولا ربابْ !
قلبي حُشاشةُ طائرٍ   في الصيف أحرقهُ اليبابْ
عمري بقيّةُ موجةٍ   حيرى تخطّفها العُبابْ
في زاخرٍ لم يدرِ ما   لجّهُ أبحرٌ أم سرابْ ؟!
رحماكِ .. لم أصبحْ سوى   شبحٍ يسيرُ على ترابْ ..

لا تتركيني زلّةً   في الأرض تائهةَ المتابْ
إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ العذابْ

أصبحتُ أشواقاً مُعذَّ   بةً تفيء من الحنانْ
وأسًى يدورُ فلا تقـرُّ لهُ على كبدٍ يدانْ
وصدًى تجسّدَ في الأثيـرِ فكادَ يُلمسُ بالبنانْ
ورُفاتَ أغنيةٍ لحبـكِ لم تزلْ تُشجي الزمانْ
رحماكِ ... ما بيديَّ إلاّ   من غرامكِ دمعتانْ

لا تتركيني فيهما   لهباً يذوّبهُ الجنانْ
إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ الهوانْ !

أصبحتُ لم أصبحْ ! ولم   يُشرقْ على خلدي صباحْ
أنا ظلمةٌ سكرى بأقـداحٍ تطوفُ بها الرياحْ
في قفرةٍ نُسيتْ فلم   يخفقْ لطائرها جناحْ
ويبكي بها الصمتُ الغريـبُ وناحَ من فمه النُّواحْ

رحماكِ ! نوركِ فوقها   قدرٌ لغيري لا يُتاحْ !

لا تتركيني ذاهباً   كخريفِ لحنٍ في مُداحْ
إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ الجراحْ

الليلُ يا ليلايَ لم   يتركْ على كبدي أنينْ ...
إلاّ وسارَ به غناءً في صحارى العاشقينْ ...
وسرى بلوعته شراعاً لا يسيرُ به سفينْ ...
يجري على موجِ الحيا   ة ضلالةً للبائسينْ
أرأيتِ حيراناً يلو   ذُ به عذابُ الحائرينْ ؟!

لا تتركيني يا شقيّـةُ غنوةَ الزمنِ الحزينْ
إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ السنينْ ...

بكتِ الجزيرةُ حين قلـتُ لها وداعاً لن أعودْ !
وتأوّهَ العُشبُ الحبيـبُ وولولتْ فيه العهودْ
والريحُ روّعها الرحيـلُ كأنها فزعٌ شرودْ ...
والموجُ إعصارٌ تمـزّقَ أو تباريحُ النهودْ
أرأيتِ كيف غدا الهوى   عدماً توهّمهُ وجودْ !!

لا تتركيني بعدهُ   حسراتِ لحنٍ فوقَ (عودْ)
إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ الخلودْ ...

مرّتْ لياليها كالأوْ   هامِ ... عودي يا ليالي !!
إني كتبتُكِ في الزما   نِ خطوطَ غيبٍ في خيالِ
إني سمعتُكِ في الحيا   ةِ أنينَ صوتٍ في رمالِ
إني رأيتُكِ أدمعاً   سوداءَ حائمةً حيالي
أرأيتِ كيف طوتْ صبا   يَ، فتاءَ أحزانِ الجمالِ !؟

لا تتركيني كالردى   أردُ الفناءَ ولا أبالي
إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ الضلالِ

أذكرتِ حين جئتُ لديـ ـك صبابةَ الليلِ الجميلْ؟
وسندتِ رأسكِ فوق صد رٍ لا يفارقُه الغليلْ
فشجاكِ في القفصِ المحطَّـ ـمِ ذبحةُ الطائرِ القتيلْ...
وسمعتِ منه مع الظلا مِ تفجُّعَ الماضي الطويلْ
ورأيتِ فيه خطا غرا مِكِ في ضبابِ المستحيلْ

لا تتركيني عاصفاً في البيدِ يُزهقهُ العويلْ
إني شربتُ على يديـ ـكِ مع الهوى لهبَ الرحيلْ

أوّاهُ ... إنْ ولّى هوا كِ وجاء يصرخُ لي هوايْ!
ودعوتُ نورَكِ للغرا مِ فردَّ جرحٌ من صدايْ!
ومددتُ كفّي للسلا مِ فصافحتْكِ على حشايْ!
وذهبتُ ملهوفاً إليـ ـكِ فلم أجدْ إلا خطايْ
وبقيّةً مما وعى طيرُ الجزيرةِ من بكايْ!

لا تتركيني عازفاً أردُ الضفافَ بغيرِ نايْ
إني شربتُ على يديـ ـكِ مع الهوى بلوى صبايْ!

ماذا أقولُ إذا الهوى أومى إليَّ ولم ينادِ؟!
وإذا الرحيقُ دعا فكيـ ـفَ يجيبُ خمرتَه فؤادي؟!
وإذا تألّقتِ الرؤى ومضتْ توهّجُ في وسادي؟!
ورنا ليَ الماضي بطيـ ـفٍ منكِ مرتعشِ الحدادِ
فبأيِّ كأسٍ من دمي أسقيهِ أحزانَ المعادِ؟!

لا تتركيني ضلّةً في الأرضِ ناكلةَ الرشادْ
إني شربتُ على يديـ ـكِ مع الهوى ندمَ الرمادْ...

لا تسأليني بعد يو مِكِ كيف أيامي تسيرْ!!
إني حُداءٌ ساخرٌ بقوافلِ الزمنِ الكبيرْ
لكنْ سأصبحُ آهةً ولْهى مضيَّعةَ المصيرْ
في صدرِ مصلوبٍ شـ ـقيِّ الموتِ مظلومِ الضميرْ
فإذا سمعتِ صبابةً غنّى بها وترى الأخيرْ...

لا تتركيني بعدها أهوى السماءَ ولا أطيرْ!
إني شربتُ على يديـ ـكِ مع الهوى جزعَ الهجيرْ

وإذا تسائلكِ المغا ني: أين شاعرُها الكئيبْ؟
قولي لها: بل أين فيـ ـكِ خيالُه الغردُ [illegible]
إنّا وهبنا روحَه قبساً لعالمِه الرهيبْ...
فغدا شعاعاً هائماً يهتزُّ في فلكٍ غريبْ
يا فتنةَ الماضي حنا نَكِ وارحمي نغمي الكئيبْ

لا تتركيني موجةً تفنى وشاطئُها قريبْ
إني شربتُ على يديـ ـكِ مع الهوى ولهَ المغيبْ!

من أيِّ نورٍ بعد نو رِكِ يستقي زمني سناهْ؟!
وبأيِّ عطرٍ بعد عطـ ـرِكِ يحتسي قلبي شذاهْ؟!
وبأيِّ خمرٍ بعد خمـ ـرِكِ خافقي ينسى أساهْ؟!
وبأيِّ سحرٍ بعد سحـ ـرِكِ أشتهي ما لا أراهْ؟!
وبأيِّ وحيٍ بعد وحـ ـيِ هواكِ يلهمني الإلهْ؟!

لا تتركيني دمعةً تجري بأجفانِ الحياهْ
إني شربتُ على يديـ ـكِ مع الهوى واحسرتاهْ!

لا تتركيني في ضلالْ بين الحقيقةِ والخيالْ
فلربّما أنسى ولا يفنى معي طيفُ الجمالْ
ولربّما أنسى ونا رُكِ في رمادي لا تزالْ
إني ترابٌ لا يريـ ـدُ البعثَ من فرطِ الملالْ
شربَ الهوى من راحتيـ ـكِ فراحَ يشربُه الزوالْ

محمود حسن اسماعيل



أرقام وأصفار

فى خطبتى التى نشرت فى « الرسالة » عن « الهدف الأدبى للموسم الثقافى » عبارات لم ألقها فى حفلة الافتتاح لأنها لم تكن تناسب المقام، ولكل مقام مقال، وهى العبارات التى تشكك فى قيمة التضامن وتجعله سناد الضعفاء

فأين وجه الحق فيما قلت ؟

لقد وُفقت إلى عبارة طريفة حين سألت : « وهل تتجمع فى الدنيا أمة كما تتجمع أمة النمل ؟ » ولكن هل يكون معنى هذا الكلام أن النمل أمة ضعيفة ، لأنها لا تبنى المعاقل والحصون فى حدود ما نتصور ، ولا تزحم البحار بالغواصات والأجواء بالطيارات؟

لقد وقعتُ فى خطأ فظيع ، فأمة النمل فى تكوينها المرسوم أمةٌ على جانب من النظام ، والنظام هو الذى حماها من الانقراض ، ومن آيات النظام عند أمة النمل أنها لا تفرق بين النهار والليل ، فهى تشتغل بالنهار والليل ، وقد جربت ذلك بنفسى

أترك هذا وأنتقل إلى مسألة الأرقام والأصفار ، وهى مسألة لم يخلُ كلامى فيها من اعتساف . فهل من الحق أنه يجب أن يكون الناس جميعاً أرقاماً لا أصفاراً ؟ وكيف وأنا نفسى اعترفت بأن الصفر تكون له قيمة حين يضاف إلى الرقم الصحيح ؟

إن المساواة المطلقة لم تتحقق ولن تتحقق ، لأنها ضلال فى ضلال ، ولأنها لن تكون إلا باباً من الانحلال ، فالناس يختلفون كما يختلف الشجر والنبات لغاية حقيقية هى الترابط بين أجزاء الوجود ، وكما تختلف المسامير التى تربط أجزاء السفين

وإذن يكون الرأى أن نقرر أن للصفر قيمة ، على شرط أن يتجنب الانحراف ، فيكون على اليمين لا على الشمال

لو وقف كل مخلوق فى الموقف الذى يأمر به العقل لظفر بالقيمة الحقيقية لوجوده الأصيل . وأين العقل الذى يأمر الصفر بأن يكون على الشمال ؟

فى مقدور الصفر أن يكون أكبر من بعض الأرقام إن راعى الواجب ، ولهذه الكلمة الأخيرة تفسير أو تفاسير قد نتحدث عنها بعد حين .

زكى مبارك

فى اللغة

كتب الأستاذ نجيب شاهين فى العدد ٤٨٩ تحت عنوان « إلى المجمع الملكى » ما رآه أنه الصواب لبعض الألفاظ والعبارات

غير أنه لم يكتب له التوفيق فى بعض ما رآه فمن ذلك :

١ — (لا زالت) يرى الأستاذ « أنها لفظة للدعاء وأن مدرسى مدارسنا لا يفرقون بينها وبين (ما زالت) فينشأ الطلاب على هذا الخطأ » .

(١) فما رأى الأستاذ فى كتب اللغة التى أوجبت أن تعتمد أفعال الاستمرار على نفى أو نهى أو دعاء وذكرت من حروف النفى لا ، لن ، ما (وقال علماء المعانى إن لكل مكانا) وقال النحاة : إن خروج « لا » من النفى إلى الدعاء لا يكون إلا بقرينة تعين الدعاء ومثلوا لذلك بـ « ولا زال منهلاً بجرعائك القطر »

(ب) وما رأيه فى أن القرآن الكريم استعمل زال معتمدة على النفى بلا فى قوله تعالى : « ولا يزالون مختلفين » كما ورد فى الأثر « لا تزال أمتى بخير ما فعلت كذا وكذا ... »

٢ — (شئون) يرى الأستاذ أن تكتب هكذا (شؤون) لأن ما قبلها مضموم وقياساً على رؤوس ، وما رأيه فى أن جميع كتب الإملاء ذكرت القاعدة الآتية :

« كل همزة وليها حرف مد كصورتها ليس ألف اثنين ترسم مفردة ... »

وليست كتابتها فى قاموس ما حجة تلزم أن تنقض القاعدة لتكون كما يرى الأستاذ .

محمد عبد الفتاح المقدم

مدرس بمدرسة حلوان الثانوية للبنات

حول اختلاف القراءات في القرآن

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود عرفة تعقيباً على ما رأيته في سبب بعض القراءات ، فوجدته يتفق معي في أن هذه القراءات لا ترجع إلى اختلاف اللهجات ، ويخالفني في إرجاعها إلى قصد التيسير على المسلمين في القراءة على عهد النبوة ، لأن الحروف العربية في ذلك الوقت كانت كلها غير منقوطة ، وهذا يدعو إلى ذلك التيسير كاختلاف اللهجات سواء بسواء . وقد بنى الأستاذ إنكاره ما رأيت من ذلك على سبب غريب ، هو أن المسلمين على عهد الرسول كانوا يتلقون القرآن منه سماعاً ، ويطوون صدورهم عليه حفظاً وفهماً ، دون ما حاجة منهم إلى النظر في شيء من آياته مخطوطاً ، فهذا بلا شك أمر غريب لا يتفق مع المعروف من المسلمين في ذلك العهد ، فإن جمهورهم لم يكن يأخذ نفسه بحفظ القرآن ، وكان القليل منهم يحفظ منه السورة أو السورتين ، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحفظ القرآن كله منهم إلا عدد لا يكاد يتجاوز عدد الأصابع

أما كتابة القرآن وقراءته فكان فيهما إذن عام من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن هناك إذن في كتابة الحديث لئلا يشتبه بالقرآن ، فكانت كتابة القرآن وقراءته في ذلك العهد منتشرة بين المسلمين ، وإذا كان كثير منهم لا يحفظه فإنه بلا شك تعتريه تلك الصعوبة في بعض الكلمات ، ومن هذا يجيء التيسير في قراءتها على ما تحتمله من الوجوه

أما حمل مثل هذه القراءات على التصحيف فأمر لا يصح أن يقال وخصوصاً مع وجود هذا المحمل السائغ ، وهو محمل يمكن أن يشمله ما ورد من نزول القرآن على سبعة أحرف ، لأن هذه القراءات وود كثير منها في قراءات سبعية متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثير منها روى عن بعض أصحاب النبي رضوان الله عليهم ولا تقتصر روايته على حماد وأمثاله

عبد المتعال الصعيدي

حول اختلاف القراءات

رداً على كلمة الأستاذ عبد المتعال الصعيدي المنشورة في العدد ٤٨٨ من مجلة الرسالة بعنوان « سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات » أقول : إن القراءات التي تعد أبعاضاً للقرآن يشترط فيها موافقتها للرسم المتواتر من الصحابة ، وتواتر سماعها ، وموافقتها للعربية . فالمدار في كون القراءة بعضاً من القرآن على تواتر سماعها من النبي صلى الله عليه وسلم على أنها قرآن مبلغ من الله تعالى . فقراءة (فتثبتوا) وقراءة (فتبينوا) قراءتان متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعناهما واحد ، لا أن الخط يحتملهما فقرأها فريق على أحد الاحتمالين ، وفريق على الاحتمال الآخر ، فإنكار أحدهما إنكار لبعض القرآن

وأما تجويز القراءة بما يحتمله الرسم وتظاهره العربية بدون نظر إلى الرواية فرأى شاذ لابن مقسم العطار وهو محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٥٣ استتيب بسببه (انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب وتاريخ بغداد)

وقراءة (أباه) بدل (إياه) شاذة قرأ بها الحسن البصري وابن السميفع اليماني وغيرهما . والقراءة الشاذة تكون في الأكثر مفسرة للقراءة المشهورة . فقراءة أباه تعين رجوع ضمير (إياه) إلى الأب مع احتمال رجوعه إلى إبراهيم باعتبار أن الأب ربما كان هو الذي وعد ابنه بالإيمان ، وفهم الحسن البصري عكس ذلك فقال إن الواعد هو إبراهيم حيث وعد أباه بالاستغفار .

ولو أن الأستاذ عبد المتعال اطلع على (تاريخ الأدب العربي للأستاذ الزيات) ص ٨٩ ، ٩٠ أو على كتاب في الفن (كمنجد المقرئين لابن الجزري) لما ذهب إلى هذا الرأي

محمد غسان

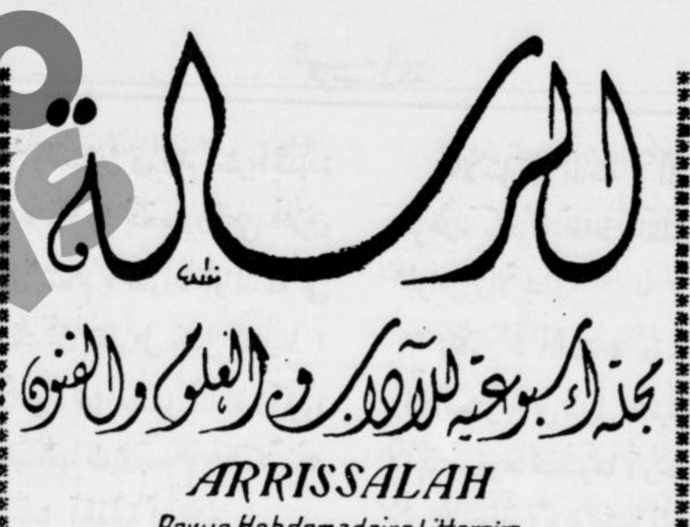
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 491

Lundi - 30 - 11 - 1942





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٩١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ٣٠ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـرس

إن هى إلا أسماء

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى ليالى القمر ، وفيما بين الخريف والشتاء ، ليس أجمل ولا أروع من مشية طويلة فى صحراء « ألماظة » أو ما يليها من الطرق المعبَّدة بين الحدائق والرمال

هانيك ليالٍ تسبح فى بحار من سحر النور وسحر الصحارى وسحر التاريخ ، بل النبوة إن صح ما قيل معززاً بالأسانيد أن موسى عليه السلام تلقى العلم هو وبنتاءور ونخبة من الحكماء والعظماء بجامعة « أون » فى هذا الجوار ، على أزمنة مختلفات

وما أذكر أننى مشيت فى هذه الطرقات مع أحد إلا سألنى : على اسم مَن من العظيمات أو الجميلات سُميت هذه الصحراء بألماظة ؟ وما معنى كلمة الكربة أو القربة أو القربى التى يطلقها الناس على الطريق المؤدى إليها من غير طريق قصر البارون ؟

ومجال التخيل أو مجال العبث هنا فسيح

أما مجال الصدق والتحقيق فهو لا يتسع لأكثر من سطور : ألماظة هى « الجزا » أو الـ Magazin بالإيطالية ترجمة للمخزن بالعربية ، والكربة أو القربى كما يكتبها بعضهم هى الـ Curva بالإيطالية ومعناها « التحنى » أو المتعرج كما يترجمها زميلنا « المرصفى » رحمه الله لو سئل فيها

وقد نعلم أن معظم المهندسين والمفتشين فى ترام مصر الجديدة كانوا عند نشأتها من الطليان ، وكانوا يتحدثون عن المخزن فيقولون « المجزا » وينطقها العمال بعدهم « المازا » أو ألماظة على سبيل التصحيح ، وخير من ذلك أن يقال على سبيل التغليط !

وكانوا إذا ذكروا المحطة الأخيرة قبل مدخل ألماظة ذكروا « الكرفا » أو موضع الانحناء فينطقها العمال بعدهم « الكربة » ويعربها بعضهم « بالقربى » على سبيل الحذلقة أو التحريف

فهذا هو الجد فى أصل « ألماظة » و « الكربة » فى غير تخيل ولا عبث ولا اختراع

أما مجال التخيل والعبث فكما قلنا فسيح ، وكما يستطيع كل مخترع أن يخترع باب على صحراء !

ونحن نعرف الذين يسألون فيجيبون ولا يسكتون ، ونعرف الذين يخلقون الأسماء أو يخلقون القصص والتواريخ حول الأسماء ، فلو سئل واحد من هؤلاء : ما ألماظة ؟ ومن هى رحمها الله ؟ أو سئل : ما القربى ؟ ومن أى شىء تقترب بإذن الله ؟ فماذا تراه يقول ؟ وأى قصة لا يجوز أن تتألف وتتضخم فى جواب هذا السؤال ، وتفسير معنى الاسمين المجيبين وما فيهما من الشعر ما يغرى بالاختراع ؟

لقد رأينا كيف اخترعت قصة « أنس الوجود والورد فى الأكمام » حول قصر مهجور بجزيرة « فيلة » عند الشلال ؟ ورأينا أن القصر المهجور أصبح معقلاً مبنياً لفتاة يعشقها فتى مفتون بها يتعقبها من وراء البحار والأنهار والجبال والرمال ؟ ولمن يبنى مثل هذا القصر إن لم يبن لبنت وزير ؟ ولماذا يبنى إلا للحيلولة بين عاشقين ؟ ذلك أمر معقول أدنى إلى العقل من التاريخ ، ولهذا غلب اسم أنس الوجود على القصر حتى عرف به فى الكتب وشاع بين الألسنة والأسماع ذلك الاسم الذي يسميه به المؤرخون

***

قال الراوى : أما ألماظة والقربى وقصر البارون فلها حديث عجاب ، ونبأ مستطاب ، يدهش الألباب ، وتتحلى به الصحيفة والكتاب .

فالأصل فى ألماظة « ألماسة » على التحقيق ، لأنها كانت جوهرة مكنونة تحاط بالظلمات والسدود ، ويقام من حولها الحراس والأجناد

وكانت « ألماسة » هذه جوهرة موموقة على سبيل المجاز ، وفتاة معشوقة على سبيل الحقيقة التي يعلمها الراسخون . حجبوها لأنهم عشقوها فتعقبوها ، وحاروا كيف يخفونها ويكتمون سرها لأن الذين تعقبوها كانوا ينفذون إلى كل سر ويحيطون بكل مكان ... بنت وزير لا بد أن تكون حتى يستطاع نقلها من سهل إلى جبل ومن بحر إلى بر ومن بستان إلى صحراء ، وابن أمير لا بد أن يكون ذلك الذى هام بها وتعقبها حتى يستطيع أن يخيف الوزير على فتاته ويستطيع فوق هذا أن يهتدى إليها حيثما ضلله المضللون ، وأن يطمع فى اغتصابها ولو حماها منه الكماة المستبسلون

عرفنا السر إذن ووضعنا أيدينا على مفتاحه المكنون ، ولم يبق إلا أن نتعقب المتعقبين إلى حيث يفلحون أو يخفقون

قال الراوى : وخرج الأمير الصغير يتنسم الأخبار ، ويجوب الأقطار ، ويتقلب بين الجزر والبحار ، فوقف على كل جزيرة ، ومخر فى كل بحر ، وسأل كل ركب ، وتحير عند كل طريق ؛ إلى أن أراد الله اللقاء ، وأذن بانقضاء الفرقة والجفاء ، فوقع المحب الوامق على المسئول الذى يجيب عن كل سؤال ، لأنه ساحر يضرب الرمل ويعرف طريق الرمال

قال له يا بنى ، إن نجم صاحبتك فى الرمل وليس فى الماء ، فاخرج إلى صحراء مصر بعيداً من بحر القلزم وبعيداً من بحر الروم ، وعلى ملتقى الخطين من هذين البحرين ، وامش كذا مئات من الخطوات ، واتل كذا صفحات من الرقى والتعاويذ ، وادن إلى قصر شامخ وصرح باذخ ، فاحمد الله على بلوغ المراد ، وانحر هناك الجزور للقصاد والوراد ، ولكن حذار أن يخدعوك ، وإياك إياك أن يسترجعوك ، فإنك إن دخلت القصر الشامخ وجدته خواء لا أنيس فيه ، فزعمت أنهم كانوا فيه ثم تركوه ينعى من بناه ، ونكصت على أعقابك وأنت على مدى لحظات من ديار الحبيب الموعود

حذار يا بنى أن يخدعوك ، وإياك إياك أن يسترجعوك

فإذا بلغت تلك القصور ، فلا تقف عندها إلا ريثما تنحر الجزور ، وتنصب القدور ، وتطلق البخور ، وتشكر ربك الشكور ، ثم دع القصر المعمور ، واضرب فى الخلاء المهجور ، فهنالك تنحنى وتدور ، وعند المنحنى تستقبل مطالع النور ، ومنازل البدور ، وتنادى يا ألماسة يا ألماسة فينكشف المستور ، وينفتح ما وراء السور ، ولى منك البشارة يوم تقام الأعراس ويشدو فى الحى قرىّ السرور ، وبشير الحبور

قال الراوى ، فلما جاوز القصر ، وانحنى إلى القفر ، صاح وافرحاه ! واطرباه ... دنت القربى والحمد لله !

وكان وراءه مسجل الأسماء الذى حضر كل تسمية فى الأرض والسماء ، فقال : هذا هو حى « القربى » ... فسمع الناس الدعاء ، وكانت « الـكربة » على منعرج الصحراء !

قصة أين منها قصة أنس الوجود والورد فى الأكمام ؟ وأين التوفيق بين ألماظة والقصر الهندى بصحراء مصر الجديدة ، من التوفيق بين أنس الوجود ومعابد البطالة بجزيرة الشلال ؟

* * *

فى ليلة من ليالى القمر المـاضى كنت أتمشى مع صاحب يُستحب الحديث معه على مقربة من تلك الصحراء ، فبدر السؤال الذى بدر قبل الآن عشرات المرات ، وكنت أستطيع الإيجاز فأروى لصاحبى قصة « الجزا » و « الـكرقا » فى كلمتين معجلتين ، وأستطيع الإطالة فأنسج له رواية مسهبة تطول وتطول ، ثم تماد فتجر من ورائها الذيول . فآثرت الإطالة على الإيجاز ، وأفضت فى الاختراع والتلفيق على نحو يجمع بين التاريخ والرواية ، وذكرت السنوات وسميت الأسماء وأصحبت الحديث بالتعليق ، الذى ينوب عن «التأثر» والتصفيق ، وانتهيت من القصة كأننى أشكك فيها ، وألقى التبعة على ناقلها وحاكيها ، فكان شكى مدعاة لقبولها ، والجنوح إلى تصديقها ، والنفرة من مكذبيها ، ثم انتهت الإطالة إلى مداها ، فأردت أن أصلها بإيجاز من غير لحمتها وسداها ، فلا يسألنى القارئ عن الخيبة التى قوبلت بها الحقيقة الواقعة ، فلعلها كانت أبلغ من الحماسة التى قوبل بها التلفيق والاختراع ، ولا يعجبنى كراهة الجزن والـكرقا فإنها لن تروق القلوب الفتية كما تروقها ألماسة والقربى ، وهكذا معظم الحقائق ومعظم الأوهام ومعظم الأسماع ومعظم العقول

وكم للحق من وحشة ! وكم للوهم من حظوة ! وكم من الناس يأبون أن يصدقوا ما يرون ويسمون لأن صدق الحياة أليم ، فإذا هم يصدقون من يحجبون الصدق عنهم لأنه حجاب مزخرف وثير

* * *

وعدنا فى الطريق فإذا نحن على مقربة من مسجد يتوسط بين القصر والمنحنى ، فعاد صاحبى يقول وكأنه ينتقم منى بما يقول :

وأظن ها هنا كان موضع الجزور والقدور ، ومقام الصلاة من ذلك المحب الشكور !

قلت : مرحى ! مرحى ! فهكذا قال الراوى ونسيت ، وهكذا يفيد التعليم فى السامع النجيب !

يقول شكسبير : وماذا فى اسم ؟

كثير يا شكسبير !

عباس محمود العقاد

السوقية في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

قرأت مقال الأستاذ الزيات الذى عنوانه « دفاع عن البلاغة » ، فوقع فى نفسى على القبول والاستحسان ، وألفيته ترجماناً عن معان ترددت فى نفسى ورددها لسانى ، وذكرنى بحديث تحدثت به فى دمشق فى دار الأستاذ الصديق العلامة محمد كرد على رئيس المجمع العلمي العربى

أذكر أنى جلست والأستاذ مرة فأخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ، وأفضنا فى أمور شتى حتى دفعنا فى الكلام عن الأدب وما عرض له من آفات ، وما حاق به من مساوئ الاتجار ، ومسايرة الآلات الحديثة عجلة واندفاعاً ، ومن تملق الجمهور بالإسفاف إليه ، والتيسير عليه ، وإمتاعه وتلهيته بما يلائم القراءة العجلى والنظرة السريعة . وقد أجملت هذا كله فى كلمة ، فقلت : « قد غلبت السوقية على الأدب » قال الأستاذ : أصبت الحز بهذه الكلمة ، وأحسنت التعبير عما يسميه الفرنسيون : Mercantalisme

وبيان هذا أن الآلات الحديثة يسرت الصناعة ، وعممتها ، وزوقتها ، ولبست الجيد الثمين والردىء الرخيص فى بعض المظاهر . فطمح كل فى اقتناء الأمتعة التى كان لا يطمع فيها إلا الأغنياء ، وطمع الفقراء فى منافسة الأثرياء بأمتعة تقارب أمتعتهم أو تشبهها شكلا ولونا ، وقابل الصناع والتجار هذا الطموح وذاك الطمع بما يسده من بضاعة مزيفة مزينة خداعة ، وكسدت الصناعات اليدوية الجيدة التى تكلف الصانع عمل الأشهر أو السنين ، وأعرض الناس عنها مشفقين من تكاليفها . فمن لم يملك ثمن الحرير الطبيعى أو لم تسخ يده به عمد إلى الحرير الصناعى ، ومن لم يستطع اقتناء الذهب اقتنى المذهب أو المموه . ومن لم يتسع ماله لاشتراء الماس اشترى ما يشبه الماس ، ومن لم يقدر على اللؤلؤ البحرى لجأ إلى اللؤلؤ الصناعى ، وهلم جرا . فشاع بين الناس الصناعى إلى جانب الطبيعى ، والمقلد إلى جانب الأصلى ، والسوقى إلى جانب المتصنع ، والزيوف إلى جانب الجود ، والبهرج بجانب الصحيح

والعلم على هذا القياس ، فقد تولت الحكومات التعليم فيما تولت ، فحددت زمانه ومكانه وموضوعه ودرجاته ، وخططت الخطط لتعميمه ، وجعلت له شهادات تشهد لصاحبها بالعلم وعلى من لا يحملها بالجهل ، وحشر إلى دور العلم الراغب والكاره والأهل وغير الأهل ، ووجه الأحداث الوجهة التى يريدها العرف أو النظام أو الضرورة لا التى تميل إليها نفسه ، وتختارها مواهبه . وجرف التيار الناس ، فصارت المدارس مصانع تصنع التلاميذ على قوالب متماثلة أو متشابهة ، أو مطابع تخرج آلاف النسخ من كتاب واحد ، وتقدم أصحاب الشهادات إلى الأعمال كما تعرض السلع فى الأسواق

قال بعض السامعين : أليس نشر العلم وتعميمه خيراً للناس ؟ قلت لا ريب أنه خير ولكن معه شرا هو الذى حدثتك عنه . ولست أبغى الآن أن أفيض فى هذا الداء وأدويته ولكن ساقنا إليه الحديث فى الأدب

قال أحد الأصحاب وهو الحديث الذى بدأناه ثم حدنا عنه فلم نعد إليه .

قلت : والأدب على هذا النسق . الجرائد والمجلات والكتب شاعت وانتشرت ، وصار الكاتب بهذه الوسائل الحديثة السريعة يعرض على الناس ما يكتب وكأنه ماثل أمامهم يحدثهم به أو يخطب فيهم . فهو يسايرهم مسايرة المحدث أو الخطيب ، ويلقاهم كل يوم على صفحات الصحف ، يلتمس رأيهم فيما كتب ، ويتعرف موقعه من نفوسهم . وكلما أرضى الكاتب جمهرة القراء سمع ثناءهم عليه وإكبارهم إياه فحرص على هذا الرضا رغبة فى علو المكانة وبعد الصيت . واضطر إلى أن يسف إليهم دون أن يرفعهم إليه ، وأن يجاريهم دون أن يصدمهم عما يشتهون ، وأن يلائمهم دون أن يحملهم على ما يكرهون أو يكبحهم عما يهوون ، وأن يلهيهم ويضحكهم لا يشق عليهم ولا يسومهم عناء . فكأن الكاتب تاجر وكأن كتابته سلع فى الأسواق أيضاً . والتاجر

يلتمس لكل سوق ما يروج فيها . والردئ الرائج خير له من الجيد الكاسد .

ووراء هذا أصحاب الصحف والمكتبات والمطابع يبغون الربح في تجارتهم ، والربح على قدر إقبال الجمهور على ما يخرجون ، وإقبالُ الجمهور على قدر هواه ومتعته ولهوه . فالكاتب الذى يرضى الجمهور ويُمتعه ويلهّيه أقرب إلى أصحاب الصحف والمكتبات والمطابع ، يبذلون له المال ، ويسارعون إلى نشر ما يريد . على حين يجفون الكاتب المبدع الذى يحمل الناس على المكرَه ، ويقودهم على الطريقة التى فيها صلاحهم وإن نفروا عنها نفور المريض من الأدوية الكريهة .

قال صاحبي الملول : وما وراء هذا ؟ قلت : وراءه ما زعمتُه أول الحديث من غلبة السوقية فى الأدب ؛ فقد صار بضاعة فى السوق أو تلهية فى الملاهى ، أروجُها أقربها إلى عقول الناس ، وطباعهم وإن تفهت وحقرت ، وانتهت بهم إلى المهالك . وأكسدها ما علا عن إدراك العامة وأشباه العامة ، وما اقتضى فهمه عقلاً وعلماً وضاق عن الجمهور ووسع الخاصة وحدهم . فمن شاء مالاً ورواجاً وصيتاً ومكانة عند العديد الأكثر فليطلع على الناس كل يوم بقصة أو نادرة أو ملهاة مما يقرأ فى القطار والترام وحين انتظارها ؛ وليتجنب الموضوعات التى تحوج القارئ إلى الجِد والكدّ ، والألفاظ التى تحتاج إلى علم باللغة واسع ، والأساليب التى تقتضى التمهل والتأمل لإدراك ما فيها من جودة وبراعة وجمال .

ومن ابتغى إصلاح الجمهور وتهذيبه وتعليمه وشاء الخير العام للناس ، ورغب فى الحقيقة والجمال لا يبالى أين يقعان من نفوس الدهماء فلا يتعجّلنّ المكانة والصيت والمال وليكتب ابتغاء مرضاة الله ، وليدعُ إلى الخطة الرشيدة ، وليسمُ إلى مستوى الحق والخير والجمال ، وليبلّغ ما يوحى إليه ربّه ، ويهدى إليه قلبه . وإن طمع فى المكانة وحسن الأحدوثة فليعلم أنه منته إليهما لا محالة ؛ ولن يضيع الخير والحق والإجادة والاتقان على مر الزمان ، ولن يذهب العرف بين الله والناس .

فإن سأل سائل : أتريد الناس كلهم على قراءة الأدب الرفيع والفلسفة العالية ؟ قلت لا لا ، بل أريد ألا تتحكم السوقة فى الأفكار والأقلام ، وألا يطغى الرواج على الجودة . أريد أن يؤدى الكاتب أمانته ، ويبين عقيدته ، غير حاسب حساب السوق ، وليكن بعد هذا فى الكتابة ما يلائم العامة وما يلائم الخاصة ، وما يجمع بينهما . أريد أن يعلو الكاتب ما مكّنه طبعه ، وأن يدق ما شاء له فنه ، لا يعنيه إلا أن يؤدى واجبه على الوجه الأكمل . وكذلك أريد أن ينزل الكاتب الآخر كما يريد طبعه ، وأن يسهل ويدنو كما يشاء فنه . لكل وجهة ، ولكل مجال ، ولكل قراء . وإذا صدق كل كاتب نفسه ، وأخلص لعمله ، فرّقت الكتابَ المعارفُ والطبائع ؛ فعلا جماعة وهبط آخرون ، وبعد كاتب وقرب آخر ، وكانت ضروب الكتابة معربة عن ثقافة الأمة وأذواقها ، ملاقية أصناف الناس بما يسد حاجاتهم ، ووجد الناس الصعب والسهل ، والبعيد والدانى ، والغالى والرخيص ، كلاً فى بيئته وفى مظانّه . لا أدعو إلى أن يصير الأدباء فناً واحداً فى البيان وأسلوباً عالياً فى الكتابة ، ولكن أخشى أن تذهب السرعة بالاتقان ، وتطغى التجارة على الإحسان ، ويمتحن الكتاب حتى يروا حسناً ما ليس بالحسن ، ويجرفهم السيل فيتجهوا حيث يريد الناس لا حيث يريدون ، وينتقل الزمام من يد القائد إلى يد المقود ، ويسير الإمام خلف المأموم ، فتنبهم الغايات ، وتلتبس الطرق ، وتشتبه الأعلام . وما ظنك بجماعة تسير على غير سبيل إلى غير غاية ؟

عبد الوهاب عزام

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٩ – ٧ – ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٥٤٩ جنح سنة ١٩٤٢ عسكرية ضد عبده محمد الحوشى ش ٢٦ تاجر حدايد دمنهور حارة الدقاق بملكه بالغرامة ٥٠ جنيه والغلق والمصادرة والتعليق على محله ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه اسمنت بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم فى الجنحة ٨٩٩ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٩ – ٩ سنة ٩٤٢ بحبس واصف رزق شحاته بقال بالعباسه مركز مغاغه ثلاثة شهور شغل وغلق المحل ثمانية أيام لأنه اختزن سكر وامتنع عن بيعه بالتسعيرة

حكم فى القضية ن ١٦٦٣ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ ضد نبوية محمد سالم بتغريمها ١ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ٩ – ٩ سنة ٩٤٢ وذلك لبيعها قمحاً بسعر أكثر من المحدد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٢ - الشوقيات

للدكتور زكى مبارك

مصاير الأيام — قصائد سورية — قصائد لبنانية — مصرع شوقى — شعور شوقى بالوجود — بين أحمد شوقى وحافظ ابراهيم

مصاير الأيام

هذا عنوان قصيدة صوّر بها شوقي صروف الحياة من عهد الطفولة إلى عهد المشيب ... ابتدأ الشاعر بحياة الطفل فى « المكتب » ، والمكتبُ كلة جديدة يراد بها المدرسة الأولية ، وهى كذلك فى عُرف وزارة المعارف ، فهى تقول المكاتب العامة بعد أن كانت تقول المدارس الأولية . وكان العُرف المدرسى قبل سنين يعمّم كلة المكتب بحيث تشمل حجرة الدرس ، ولو كانت فى مدرسة عالية

وشوقى فى هذه القصيدة يتمثل حياة الأطفال ، ويحسها أصدق إحساس

ألاَ حبذا صحبةُ المكتبِ وأحبِبْ بأيامها أحبِبِ
ويا حبذا صِبْيةٌ يلعبون عِنانُ الحياة عليهم صَبِي
كأنهم بَسَمات الحياة وأنفاس ريحانها الطيِّب

وعبارة « عِنان الحياة عليهم صَبِىّ » عبارة طريفة ، والمراد بصِبا العنان هو الرقة واللين

ثم يلتفت الشاعر فيرى أن الأطفال لا يفرحون بالمكتب كل الفرح ، ولا يرتاحون إليه كل الارتياح ، وكيف والأمر كما قال :

يُراح ويُغدَى بهم كالقطيع على مشرق الشمس والمغربِ
إلى مرتعٍ أَلِفُوا غيره وراعٍ غريب العصا أجنبي

وهذان البيتان من أروع ما صوّرت به حياة الأطفال فى رعاية المعلمين !

وصوّر اختلاف قواهم باختلاف أسنانهم فقال :

فراخٌ بأيكٍ فمن ناهضٍ يروض الجناح ومن أزغب

وصوّر غفلتهم عن المصير المرتقَب فقال :

مقاعدهم من جَناح الزمان وما علموا خطَر المركب

وقد جاد الوحى على شوقى ببيتين فى غاية من العذوبة والصدق ، أما البيت الأول فهو قوله فى تلوين حيوية الأطفال :

عصافير عند تهجّى الدروس مِهارٌ عرابيد فى الملعبِ

وأما البيت الثانى فهو قوله فى اختلاف الإحساس باختلاف أوقات الجَرَس :

لهم جرَسٌ مُطربٌ فى السراح وليس إذا جدّ بالمطربِ

وهل ينسى المدرسون لا التلاميذ أن جرس الانصراف محبوب الرنين ، وأن جرس الدرس بغيض الضجيج ؟

وأذكر من باب الفكاهة أنى كنت أشرح لأحد نظار المدارس قيمة الطرافة فى هذا البيت فقال : إن شوقى نسى جرس الغداء !

ثم قال شوقى :

جنون الحداثة من حولهم تضيق به سَعة المذهبِ
عدا فاستبدّ بعقل الصبىّ وأعدى المؤدب حتى صبى

والغرض قد التوى على شوقى فى هذين البيتين بعض الالتواء ، لأنه ساوَى بين الجنونين : جنون الأطفال وجنون المعلمين

وأخطأ شوقى فى اختيار كلة « المؤدب » ، والصواب أن يقول « المعلّم » . فهناك فرقٌ بين التأديب والتعليم ، فالتأديب هو التثقيف ، والتعليم هو التربيب . وفى كلام الجاحظ عبارة تفصح عن الفرق بين المؤدب والمعلم ، وتدل بوضوح على أن المؤدبين أكبر من المعلمين

ثم نقل شوقى تلاميذه من المكتب إلى المدرسة ثم إلى الحياة فقال :

فياويحهم ! هل أحسّوا الحياة لقد لعبوا وهى لم تلعب
تجرب فيهم وما يعلمون كتجربة الطب فى الأرنب
سقتهم بسم جرى فى الأصول وروّى الفروع ولم ينضب
ودار الزمان فدال الصّبا وشب الصغار عن المكتب
وجدّ الطّلاب وكدّ الشبا ب وأوغل فى الصعب فالأصعب
وعادتْ نواعمُ أيامه سنينَ من الدأب المتعبِ
وعُذِّبَ بالعلم طُلّابُه وغصّوا بمجهله الأعذب

والمجال يضيق عن تشريح هذه القصيدة ، القصيدة التى قال فيها شوقى :

وكم منجب فى تَلَقِّى الدروس تَلَقَّى الحياةَ فلم يُنجبِ

فأرجو أن يلتفت إليها المتسابقون ، لأنها من غرر الشوقيات

قصائد سورية

في المقال السالف نصصنا على السر في اهتمام شوقي بأخبار سورية ولبنان ، فلنذكر اليوم أن الشاعر تحدث عن سورية في قصائد جياد ، منها القصيدة التي تحدث فيها عن الشهداء في سبيل الاستقلال :

بني سورية التئموا ليوم ... خرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرية الزهراء عنا ... وعنكم هل أذاقتنا الوصالا
وهل نلنا كلانا اليوم إلا ... عراقيب المواعد والمطالا
عرفتم مهرها فمهرتموها ... دماً صبغ السباسب والدغالا
وقمتم دونها حتى خضبتم ... هوادجها الشريفة والحجالا
دُعوا في الناس مفتوناً جباناً ... يقول : الحرب قد كانت وبالا
أيطلب حقهم بالروح قومٌ ... فتسمع قائلاً ركبوا الضلالا

ومنها القصيدة الأموية ، وقد أشرنا إليها في المقالة الماضية . ومنها القصيد الذي لا يطاوله قصيد ، فما نظم شاعرٌ أروع مما نظم شوقي في « نكبة دمشق » ، ولا ارتاع شاعر كما ارتاع شوقي لنكبة دمشق :

لحاها الله أنباءٌ توالتْ ... على سمع الوليّ بما يَشُقّ
يفصّلها إلى الدنيا بريدٌ ... ويجملها إلى الآفاقِ بَرْقُ
تكاد لروعة الأحداث فيها ... تخال من الخرافة وهي صدق
وقيل معالم التاريخ دُكّتْ ... وقيل أصابها تلَفٌ وحَرْق
ألستِ دمشق للاسلام ظئراً ... ومرضعةُ الأبوّة لا تُعَق

وفي هذه القصيدة يقول شوقي في وصف ما صنعت النكبة بنساء دمشق :

بَرَزْنَ وفي نواحي الأيك نارٌ ... وخَلْفَ الأيك أفراخ تُزَقّ
إذا رمنَ السلامةَ من طريقٍ ... أتتْ من دونه للموتِ طُرُق
بليل للقذائفِ والمنايا ... وراء سمائه خطفٌ وصعْق
إذا عصَفَ الحديد احمرّ أُفقٌ ... على جَنَباتِهِ واسودّ أُفق

ثم توحي إليه ملائكة الشعر أن يقول :

بنى سورية اطّرحوا الأماني ... وألقوا عنكم الأحلامَ ألقوا
فمن خِدَعِ السياسة أن تُغَرّوا ... بألقاب الإمارة وهي رِقّ
وكم صَيَدٍ بدا لك من ذليل ... كما مالتْ من المصلوب عُنُق
نصحت ونحن مختلفون داراً ... ولكن كلنا في الهمّ شرق
ويجمعنا إذا اختلفتْ بلادٌ ... بيانٌ غيرُ مختلف ونُطق

وقفتم بين موتٍ أو حياةٍ ... فإن رمتم نعيم الدهر فاشقَوا
ومن يسقى ويشرب بالمنايا ... إذا الأحرار لم يُسقَوا ويَسقُوا
ففي القتلى لأجيالٍ حياةٌ ... وفي الأسرى فدًى لهم وعتق
وللحرية الحمراء بابٌ ... بكل يدٍ مضرّجة يُدق

هل يحتاج هذا الشعر إلى شرح ؟ هيهات !

قصائد لبنانية

المذاق يختلف بعض الاختلاف أو كل الاختلاف بين قصائد شوقي السورية وقصائده اللبنانية ، فهو في الشام يعاني نارَيْن : الذكريات للأمجاد الأموية ، ونار الحقد على الاستعمار الفرنسي ، وقد جاهده السوريون أصدق الجهاد ، وعانَوْا في دفعه مكاره لا تطاق

ولا كذلك حال شوقي في لبنان ، فهو هنالك شاعر يصدح فوق أفنان الجمال ، ولا يرى ما يسوءه من الاضطهاد ، لأن الظواهر كانت تزعم أن الفرنسيين واللبنانيين على وفاق

كان لبنان لعهد زيارات شوقي وطن الشعر والجمال والأمان والرخاء . وكان اللبنانيون على فطرتهم الأصيلة من الترحيب الصادق بكل من يزور وطنهم الجميل ، فأنس بهم شوقي كل الأنس ، واطمأن إليهم كل الاطمئنان

أيام شوقي في سورية كانت أيام جهاد ، أما أيامه في لبنان فكانت أيام شِهاد

كان شوقي يكره أن يقول إن شبابه إلى أفول ، وإن جاوز الستين ، ثم شاء شيطانه أن ينقله إلى « زحلة » وطن الرحيق ، ومعه المحامي فكري أباظة والموسيقار محمد عبد الوهاب . وفي لحظة من لحظات الصراع بين العيون والقلوب هان عليه أن يبكي الشباب الذاهب فيقول :

شيّعتُ أحلامي بقلبٍ باكِ ... ولممت من طُرُق الملاح شباكي[1]
ورجعتُ أدراجَ الشبابِ ووِرْدَهُ ... أمشي مكانهما على الأشواك
وبجانبي واهٍ كأن خفوقه ... لما تلفّت جهشة المتباكي
شاكي السلاح إذا خلا بضلوعه ... فإذا أُهيبَ به فليس بشاكي
قد راعه أني طويت حبائلي ... من بَعد طول تناولٍ وفكاك
ويح ابن جنبي ، كل غاية لذة ... بعد الشباب عزيزة الإدراك
لم تبق منا يا فؤاد بقيةٌ ... لفتوّة أو فضلةٌ لعراك

---

(١) في الديوان « لمحت » وهي غلطة مطبعية لم ينتبه لها أكثر من نقلوا هذه القصيدة عن الديوان

كنا إذا صفقت نستبق الهوى ونشد شد العصبة الفتاك
واليوم تبعث فى حين تهزنى ما يبعث الناقوس فى النساك

وكان الرأى أن تلقى هذه القصيدة فى حفلة أعدها أهل زحلة لتكريم شوقى ، وكان الأستاذ فكرى أباظة هو الأثير عند شوقى حينذاك فى إلقاء شعره البليغ ، فاعترض الموسيقار عبد الوهاب قائلاً إن هذه القصيدة للغناء ، وليست للالقاء ، ثم صدح بصوته الرنان :

يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت فى الذكرى هواك وفى الكرى
والذكريات صدى السنين الحاكى
لم أدر ماطيب العناق على الهوى حتى ترفق ساعدى فطواك
لا أمس من عمر الزمان ولا غد جمع الزمان فكان يوم لقاك[1]

وفى هذه القصيدة يقول شوقى على عادته فى التخوف من محجب الغيوب :

لبنان ردتنى إليك من النوى أقدار سير للحياة دراك
تمشى عليها فوق كل فجاءة كالطير فوق مكامن الأشراك

مصرع شوقى

فى مكتبة الدكتور طه بك حسين ظرف مختوم كتب عليه : « مصرع شوقى » فما الذى يحتويه ذلك الظرف المختوم ؟

فى إحدى المصريات من صيف سنة ١٩٢٥ أو سنة ١٩٢٦ حدثنى الدكتور طه حسين أن شوقى أسف أبشع الإسفاف بقصيدة نشرتها جريدة المقطم عن هوى شوقى فى لبنان

وأعترف أنى كنت أرى ما يرى الدكتور طه فى تلك القصيدة يومذاك ، فقد نشرت فى المقطم على أسوأ حال من التحريف

ثم دارت الأيام وعرفنا أنها أجود مما كنا نتوهم ، وأنها فى كل خاطر وعلى كل لسان فى لبنان

ثم دارت الأيام مرة ثانية فعرفنا أن الأريحية اللبنانية سمحت بأن يكثر من يقولون إن شوقى عنانم بذلك القصيد ، القصيد الذى يهتف :

وأغر أكحل من مها « بكفية » علقت محاجره دمى وعلقته
لبنان دارته وفيه كناسه بين القنا الخطار خط نميته

السلسبيل من الجداول ورده والآس من خضر الخمائل قوته
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل فأتيت دون طريقه فزحمته
فازور غضبانا وأعرض نافراً حال من الغيد الملاح عرفته
فصرفت تلعابى إلى أترابه وزعمتهن لبانتى فأغرته
فمشى إلى وليس أول جؤذر وقعت عليه حبائلى فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادنى وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به، على حرم الهدى لابن البتول وللصلاة وهبته

إلى آخر القصيد

شعور شوقى بالوجود

بين قصائد شوقى فى سورية ولبنان وقصائده فى البلاد التركية والفرنسية آماد طوال ، ومع هذا نجد أن إحساسه بالوجود على اختلاف الأزمان غاية فى القوة والبريق

وهل ننسى أن الجرائد المصرية لم تجد عند مصرع باريس فى الحرب الحاضرة غير ما توجع به شوقى لباريس فى الحرب الماضية ؟

ولقد أقول وأدمعى منهلة باريس لم يعرفك من يغزوك
زعموك دار خلاعة ومجانة ودعارة ، يا إفك ما زعموك
إن كنت للشهوات ريا فالعلا شهواتهن مرويات فيك

ومن هذا الكلام نعرف أن للعلا شهوات أعنف من شهوات الأهواء .

وقصيدة شوقى فى غابة بولونيا قديمة العهد ، وهى مع ذلك لطيفة النفس ، ذكية الروح

وأبياته فى « شبه أمينة » أبيات لطاف ، وقد رأيت بعينى صورة أمينة فى غرف كثيرة من دار شوقى ، بدون استثناء لحجرة الاستقبال ، وهى البنية التى قال فيها ذلك الأب الحنان :

وكم قد خلت من أبيك الجيوب وليست جيوبك بالخاليه
ثم ماذا ؟

ثم يبقى الحديث عن القصيدة التى حفظها غريم شوقى فى الشعر والبيان ، وهو حافظ ابراهيم ، مع تفاصيل يوجبها التاريخ ، ليعرف المتسابقون سرائر هذين الشاعرين ، وليواجهوا يوم الامتحان مدرعين بالبصيرة واليقين . والله عز شأنه هو القادر على أن يجعلهم طلائع الفكر والرأى فى هذا الجيل .

زكى مبارك

(١) هذه القطعة مشهورة جداً ، ولها ترتيب غير هذا الترتيب .

عثرت به وعثرت عليه

للأستاذ محمد مندور

لم يكن فى عزمي أن أرد على زكريا أفندى إبراهيم لأن المناقشة لم تكن بيني وبينه ، وإنما فعلت لأننى رأيته قد أثار مسألتين حسبت فى إيضاحهما فائدة لعامة القراء وقد اعتمدت فى تأييد استعمالى « لعثرت ب » على مبادىء لغوية عامة لم يقتصر العلم بها على الباحثين فى علم اللسان بل سبقهم إليها ولحقهم الفلاسفة وكافة المفكرين . فاللغات كما قلت مجازات ميتة فى الكثير من مفرداتها ، فنحن عندما نقول بالفرنسية مثلاً abimer بمعنى « أتلف » نستعمل مجازاً ميتاً لم يعد يحس به أحد ، وذلك لأن معنى هذا الفعل الاشتقاقى فى اللغة الفرنسية هو « يلقى فى هاوية » (هاوية : abime) ، وكذلك الأمر فى اللغة العربية ، فالرفعة والسمو والانحطاط مثلاً كل هذه الألفاظ كانت معانيها الأولى حسية، ثم ماتت تلك المعانى وأصبحنا نستعمل تلك الألفاظ فى الدلالة على الصفات المعنوية المعروفة ، وهكذا مما لا حصر له فى كافة اللغات . ولقد كانت هذه الحقيقة من الأسس التى بنىّ عليها الفلاسفة الإنجليز أصحاب المذهب الحسى فى المعرفة ومنابعها مذهبهم ، إذ لاحظوا أن معظم ألفاظ اللغة كانت فى الأصل تدل على معان تدركها الحواس ثم انتقلت إلى المعنويات

وعلى هذا يتضح لنا أن عثر فى معناها الأصلى لم تكن تفيد الاطلاع مصادفة أو عن بحث فى شىء ، وإنما أفادت هذين المعنيين تجوزاً ، وحروف الجر فى كافة اللغات من أدوات نقل المعنى ، ومن ثم فعندما نقول عثرب ، أو عثر على ، يجب أن نحدد الفارقات بين الاستعمالين تبعاً لدلالة حرفى جر ومنحاهما فى نقل المعنى . والذى لا أشك فيه أننا نقول « عثر الجواد بحجر » ونكون بذلك فى حدود المعنى الحقيقى بحيث إذا تجوزنا أو قلنا عثرت بفكرة نكون أقرب ما يكون إلى مضمون المعنى الحقيقى أيضاً . ومن الواضح أن فى ذلك المعنى ما يدل على المصادفة لأن الجواد لا يبحث عن حجر ليعثر به . وأما عندما نقول عثرت على فكرة ، فالحس اللغوى يبصرنا بأننا هنا قد بعدنا عن المعنى الحقيقى وما يحمل من دلالة المصادفة لأنه على الأقل يتضمن العثور بالفكرة ثم الوقوع عليها ، وليس من الضرورى أن نعثر بالشىء ثم نقع عليه إذ قد يفلت منا ؛ فالعثور على الشىء فيه معنى إيجابى هو ما أحسست ولا أزال أحس فيه بمدلول البحث

وأيا ما يكون الأمر فأنا بعد لا أرى مانعاً ما دام المجاز قد مات فى عثر وأصبح الفعل يدل على الاطلاع فى الاستعمالين من أن نقصد « يعثر ب » إلى الاطلاع مصادفة و « عثر على » إلى الاطلاع عن بحث . واللغة ، كما قلت ، كائن حى من الواجب أن نغذيه باستمرار بأن ننوع من طرق الأداء فيها كما نحدد من تلك الطرق على نحو ما نشاهد فى لغات الأمم المتحضرة كلها

هذا رأيى أقف عنده لأن الأصول العامة تكفى لتأييده . ومع ذلك فقد حمل إلىّ البريد هذا الصباح خطاباً من صديق عبد الرحمن بدوى الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ؛ وها أنا أنسخ لكم خطابه . قال بعد المقدمة :

« أود أن ألفت نظرك إلى نقط لعل بعدك عن المصادر هو الذى حال بينك وبين التنبه إليها وفيها تأييد لما تقوله فيما يتصل بالتعبير « عثر به »

وأولى هذه النقط خيانة زكريا إبراهيم (وهو من تلاميذى الآن بالسنة الثالثة قسم الفلسفة) لنص (لين) إذ هو بتمامه يؤيد استعمال « عثر به » بمعنى اطلع عليه فهو يقول ما نصه :

عثر به : knew it; accidentally, or without seeking; (T. A')

[nd so وعثر به (see an ex. voce وأشرس)]

معجم لين Lane ص ١٩٥٢ عمود (ا) س ٣ ، ٤ من أسفل .

وتحت مادة « أشرس » يذكر الشاهد الثانى : عَثَر بأشرس الدهر (أمثال الميدانى المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣١٠ جـ ١ ص ٣١٣ س ١ ـ ٢)

وثانى هذه النقط أن « عثر على » بمعنى الاطلاع مصادفة وبلا طلب ليس متفقاً عليها بين اللغويين والمفسرين . فالذى يوردها صراحة من بين اللغويين الراغب الأصفهانى فى « مفرداته » « تاج العروس » للزبيدى (وهو الذى يشير إليه لين هنا فى الإشارة T. A) وغالب المفسرين عند كلامهم على الآية « وكذلك أعثرنا عليهم » والآية « فإذا عثر على أنهما استحقا إثما » يقولون

إنها لا تدل على الاطلاع مصادفة . فالقرطبي يقول : (الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٣٥٨ طبع دار الكتب سنة ١٩٣٨) « ومنه قوله تعالى : (وكذلك أعثرنا عليهم) لأنهم كانوا يطلبونهم وقد خفي عليهم موضعهم » أي الناس الذين كانوا يبحثون عن أهل الكهف . ويرجح رأي هؤلاء أن الآية « فإذا عثر على أنهما استحقا إثماً » يقصد منها كما يقول الرازي (جـ ٣ ص ٤٧٨ المطبعة العامرة الشرقية . الطبعة الأولى سنة ١٣٠٨ بالقاهرة) . « فإن حصل العثور والوقوف على أنهما (أي الأمينين على الوصية التي يوصى بها من بات بأرض ليس فيها مسلم) أتيا بخيانة واستحقا الإثم بسبب اليمين الكاذبة ، أي أن المعنى هو « فإن وجد أنهما ... » وإلا فلا يصح حكم الآية إن وجد بعد التحقيق أنهما خانا . وهذا ما لا يمكن أن يكون القرآن قد قصده . وفيما يتصل بآية أهل الكهف « وكذلك أعثرنا عليهم » فالقصد هنا من الله واضح لأنه قصد أن يدل بعض الناس على وجود أهل الكهف فليس هنا مصادفة إذن .

ويؤيد كلامك أو شعورك بوجود معنى المصادفة في «عثر به» أكثر مما هو في « عثر عليه » أن الأصل في « عثر عليه » هو « أن العاثر إنما يعثر بشيء كان لا يراه ، فلما عثر به اطلع عليه ونظر ما هو ، فقيل لكل من اطلع على أمر كان خفياً عليه قد عثر عليه » (الرازي في الموضع نفسه) ، فعثر به هي الأصل ، وعثر عليه هي المجاز ؛ وعثر فيها معنى المصادفة من أصلها فما هو أقرب إلى الأصل وهو عثر به يكون معنى المصادفة فيه أقوى

ونقطة ثالثة هي أنك لست أول من استعملها بهذا المعنى فقد وجدت أنها استعملت مراراً من قبل . أذكر منها الآن ما يلي إلى جانب ما أورده لين في المثل : « عثر بأشرس الدهر »

(ا) استعملها ابن هانئ الأندلسي المتوفى سنة ٣٦٢ هـ حين قال :

منعوك من سنة الكرى وسروا فلو
عثروا بطيف طارق ظننوك

(راجع ديوان ابن هانئ تصحيح الدكتور زاهد علي . مطبعة المعارف سنة ١٣٥٢ هـ ص ٥٣١)

(ب) واستعملها ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ حين قال :

« عثر بجمعهم اتفاقاً » (تاريخ ابن خلدون طبعة دي سلان . الجزائر سنة ١٨٤٧ جـ ٢ ص ٣٤٢ س ١٠ — وراجع دوزي : ملحق المعاجم العربية تحت مادة عثر جـ ٢ ص ٩٥ عمود ١ — الطبعة الثانية سنة ١٩٢٧) ... ... »

عبد الرحمن بدوي

... انتهى خطاب الأستاذ عن هذه المسألة .

وإذن فأنت ترى — كرئيس تحرير لمجلة محترمة — ولا شك يرى معك القراء أنني لست ميجارياً في محاجتي كما وصفني تلميذنا زكريا ابراهيم ونحن لا ريب نفتح صدورنا لنقد تلاميذنا ، بل وأقول مخلصاً إننا نفرح به ونحثهم عليه ، ولكن على أن يكون في حدود اللياقة ؛ بل وخير من ذلك أن يكون في حدود الحقيقة والعلم الصحيح ، وذلك لأنني لا أرى سفسطة في دفاعي عن عثرت به التي أفادت المعنى الذي أردت العبارة عنه مع عدم خروجها عن أصول اللغات عامة بما فيها لغتنا

وإن كان هناك شيء أنكره من زكريا ابراهيم ، فهو عدم الأمانة العلمية ، لأن اليوم الذي نرى فيه طلبتنا يتصرفون في نص لكي يحاجوا أستاذهم محاجة في هذا العناد أعتبره يوم فشل لكل مجهوداتنا العلمية ويوم حزن لي لا يعرف مداه إلا الله

محمد مندور

حكم في القضية ١٤٠٥ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٤ — ١١ سنة ١٩٤٢ بحبس محمد عبد النبي الدبكي جزار أربعة شهور مع الشغل وغلق المحل ستة أيام وذلك لبيعه لحماً بأكثر من التسعيرة

حكم في القضية ١٤٣٣ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٤ — ١١ سنة ١٩٤٢ بحبس كل من حسن سيف ومحمد محمود جمعه بقالين بالاختصاص ثلاثة شهور شغل وجلد كل منهما ٢٠ جلده لبيعهما سكراً بازيد من التسعيرة

حكم في القضية ٦٩٦ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بتغريم محمد عثمان تاجر بالمنيا عشرة جنيهات بجلسة ١٠ — ٦ — ٩٤٢ لامتناعه عن بيع أقشه بالسعر القانوني

حكم في القضية ٤٣٨ عسكرية المنيا ١٩٤٢ بتغريم مخائيل عبد الملاك يعقوب تاجر بالمنيا عشرة جنيهات والغلق لمدة خمسة أيام بجلسة ٢٤ — ٦ سنة ٩٤٢ لبيعه قماش دبلان بازيد من التسعيره

حكم في الجنحة العسكرية ٨٠٧ المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس كل من ابراهيم جبرائيل وجرجس مخائيل بثلاثة شهور بالشغل والغلق خمسة أيام لحيازتها شاياً وسكراً أزيد من المقادير التي سمحت تجارتها ولم يبلغا عن هذه الكمية وامتنعا من بيعها للجمهور بجلسة ٢٤ — ٦ سنه ١٩٤٢

الطريق إلى الحق

للأستاذ محمود محمد شاكر

كتب الأخ الصديق الأستاذ محمد مندور كلمة فى البريد الأدبى من الرسالة (٤٨٨) بعنوان « اللغة والتعريب » ، عرض فيها لمسألتين : إحداهما : مسألة الصواب والخطأ فى اللغة ، والأخرى : هى عنصر الثبات فى اللغة كما سماه . وقد دفعه إلى الحديث عنهما ما كان من تخطئة الأب أنستاس الكرملى إياه فى حرف من اللغة استعمله فى كلامه ، وهو «عثرت بالشىء» وهو يريد «عثرت عليه»

وأحبُّ أن أقدم بين يدى كلامى بعضَ ما أعرفه عن «مندور» ، فقد كنا زميلين فى الجامعة ، فكان أحد الشبان الأذكياء المتدفّقين . وإن فيه من ثورة النفسَ ما أرجو أن يبقى له على الشبابِ والهَرَم . ثم عرفته من بعدُ مطلعا حريصاً على العلم قليل العناد فيما لا خطر له ، ثم هو لا يزال يدأب إلى الحق فى غير هوادة . فكل هذه الصفات تجعله عندى غير متعنتٍ ولا مكابر . ولكنى رأيت الأب أنستاس قد سلك إلى «مندور» طريقاً ، فاندفع كلاهما يطاعن أخاه بعنف لا يهدأ . وأنا لا أحبُّ أن أدخُلَ بين الرجلين فيما هما بسبيله ، ولكنى أحرصُ على أن أدلَّ «مندوراً» على الحقِّ الذى كنا ولا زلنا نميل إليه بكل وجهٍ ، ونسعى إليه فى كل سبيل

وينبغى لى أن أعرض للكلام على الفرق بين الحرفين « عثرت به » و « عثرت عليه » قبل أن أتحرَّى إلى « مندور » طريق الحقِّ فى المسألتين اللتين ذكرهما فى كلامه

فأصل اللغة فى هذه المادة « عَثَر يعْثُر عَثْراً وعِثاراً » ، وهو فِعلٌ لازمٌ لا يتعدَّى إلى مفعولٍ ، ويأتى هكذا غير مصاحب لحرفٍ من حروف الجرّ . ولكلِّ فِعلٍ فى اللغة مَعْنًى يقومُ بذاته ، ودلالاتٌ يقتضيها بطريق التضمُّن أو الالتزام

فقولك « عثر الرجل » معناه «تهيأ الرجل للسقوط» : فالمراد بالفعل هو حدوث « حركة سقوط » الرجل ، ولا يقصد به السقوط نفسه ، أى أنه يدل بذاته على الحركة التى تسبق السقوط . وأما الدلالات التى يقتضيها الفعل فأولها : سبب حركة السقوط ، وهذا السبب عقلى محض يتضمنه الفعل ويقوم فيه مقام الفاعل « كالحجر » مثلاً . وثانيها : الفعل الذى فعله هذا السبب وهو «الصدم» ، وثالثها : الحالة التى تلحق الرجل من جراء اصطدامه وهى التنبه والتماسك قبل السقوط . أما الدلالة الرابعة ...

فلو شئت أن تفسر « عثر الرجل » لقلت : « صدم الحجر الرجل فكاد يسقط » ، فكأن « عثر » قامت مقام الكلمات « صدم الحجر ... فكاد يسقط » . وأنت ترى أن « الرجل » هنا هو الذى وقع عليه الفعل (أى المفعول به) ، لأنه هو الذى صُدم فكاد يسقط . فلما كتم هذا الفعل « عثر » فاعله الحقيقى ـ وهو الحجر مثلاً ـ ، وكتم « الصَّدم » الذى هو فعل الفاعل الحقيقى ، نسب فعله إلى الرجل ، مع أنه ليس فاعلاً بل مفعولاً به . فهذا يدل على أنه ليس مريداً للفعل (وهو العثرة) ، كما يكون مريداً للفعل فى قولك : « قام الرجل » إذ أنه مريد هنا للقيام . وشبيهٌ به قولك : « مات الرجل » و « نام الرجل » ، فالرجل هنا ـ على أنه « فاعل » فى عبارة النحاة ـ ليس فاعلاً فى حقيقة المعنى بل هو « مفعولٌ به » لأنه غير مريد فى حالة الموت أو النوم

فإذا صح لديك أن الرجل غير مُريد للعثرة فى قولك « عثر الرجل » ، رأيت الدلالة الرابعة لهذا الفعل وهى أن الشىء الذى فعل العثرة ـ وهو الحجر مثلاً ـ كان صغيراً لم يتبيَّنْه الرجل ، أو لم يتوقع وجوده فى المكان الذى كان فيه ، فلذلك كاد يسقط على غير إرادة من الرجل لذلك

وإذا تأملت قليلاً رأيت أن قولك « عثر الرجل » لا يراد به الإخبار عن حدوث الصدم ، بل المراد أن تصور هيئة الحركة التى جاءت بعد الصدم ، وهى حركة السقوط . ولذلك بنى مصدرها على هيئة المصادر التى تدل على عيوب الحركة فى أصل الخلقة كالتى تكون فى الدابة وغيرها من كل ما يمشى أو يتحرك . وذلك هو وزن «فِعال» كالشِّماس ، والجماح ، والنفار ، والشراد ، والهياج ، والطماح ، والحران ، والعضاض ، والخراط ، والضراح ، والرماح ، والفرار . فأنت ترى من ذلك أن المصدر قد نظر فيه إلى أن المراد فى الفعل هو حركة السقوط لا الصدم ، فإن الصدمة ليست عيباً ، وإنما العيب فى هيئة الحركة . وكثيراً ما يستعمل العثار للخيل يقال : « عثر الفرس » أو غيره من الدواب

هذا ... وحروف الجر التى تأتى لمصاحبة الأفعال إنما تأتى لمعان يتعين بها للفعل معنى لم يكن ظاهراً فيه قبل دخولها ، بل ربما اضطر الحرفُ الفعلَ أن ينتقل من الحقيقة إلى المجاز ، ولذلك تسمى حروف المعانى

ثم إن كل حرف من هذه الحروف له معنى أصلىٌّ يقوم به ،

ثم تتفرع منه معان أخرى لا تزال متصلة إلى المعنى الأول بسبب . فالباء مثلاً هي في حقيقة معناها تدل على إلصاق شيء بشيء أو دنوه منه حتى يمسه أو يكاد . ففي قولك « ألصقت شيئاً بشيء » تقع الباء في معناها الأول وهو الإلصاق الحقيقي . وفي قولك « مررت بزيد » تكون مجازاً لأنها تدل على الدنو والمقاربة الشديدة ، كأنك ألصقت مرورك بالمكان الذي يتصل بمكان زيد . وينتقل الحرف من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي بدليل من الفعل الذي يشترك معه في الدلالة . ولذلك تخرج من معناها الحقيقي إلى معنى السببية أو التعليل أو المصاحبة أو الاستعانة مما يذكر في باب معانيها ، ولكنها في جميع ذلك تدل على الإلصاق الحقيقي أو المجازي

فإذا جاءت الباء بعد فعل يقتضي معناه بذاته أو بدلالته معنى من الإلصاق ، تعين لها أن تكون واقعة في معناها الحقيقي ، ويكون دخولها مبالغة في إظهار معنى الإلصاق . وذلك كقولك : « أمسكت الشيء » ، و « أمسكت بالشيء » فالباء هنا تزيد في معنى الفعل تقوية الإمساك إذ أن الإلصاق مما يدل عليه هذا الفعل بدلالة التضمن أو الالتزام

فإذا قلت « عثر الرجل بحجر » فمعناه كما بيّنا آنفاً « صدم الرجل حجر فكاد يسقط » . والباء قد دخلت على الفاعل الحقيقي للعثرة وهو « الحجر » ، فهي إذن مكملة لمعنى الفعل ، ولم تأت لتعدية الفعل إلى مفعول ، كالذي يكون في قولك « ذهب الرجل » و « ذهب الرجل بمحمد »

فإذا كان الفعل دالاً بالتضمن على الصدم ، والصدم يقتضي الإلصاق ، وجاءت الباء مكملة لمعنى « عثر » تجرّ وراءها الفاعل الحقيقي للصدم ، فالباء إذن ستزيد في معنى الفعل ، وذلك بأن تُظهِر الصدم — المقتضى للالصاق — بعد أن كان مكتوماً في الفعل ، ويُقوّي ذلك أيضاً ظهور الفاعل الحقيقي للعثرة بعد أن كان مكتوماً في « عثر »

فقول الأستاذ (مندور) إنه أراد بقوله « عثرت بالشيء » أنه لاقاه اتفاقاً غير ممكن ؛ لأن الباء وافقت الفعل فزادت في الإبانة عما يضمره من دلالة « الصدم » الحقيقي ، ولم يكن فيها من المخالفة ما يحمل هذا الفعل على الميل إلى المجاز (أي إلى الصدم المجازي) . وليس من شك في أن قوله « لاقاه اتفاقاً » مجازٌ في تأويل « عثر بالشيء » ، فإذا كانت الباء إنما تزيد حقيقة الفعل قوة وبياناً ، فكيف إذن تصيرُ بعد ذلك مجازاً بغير عامل يحملها إلى المجاز ؟

وقد يستخدم مع هذا الفعل حرف آخر هو « في » ، فتقول « عثر الرجل في ثوبه » إذا كان واسع الثوب طويل الذيل ، فهو يطأ بعض ذيله كلما مشى ، فتشد الوطأة الثوب عليه ، فيميل كأنه يتهيأ للسقوط فيتماسك

فهذا الحرف « في » يدل في أصل معناه على الظرفية الزمانية أو المكانية ، وينسحب بها على سائر معانيه . وهو بذلك يدلُّ على استقرار لا على حركة كالحركة التي تكون في الإلصاق . ولما كان الفعل يدل دلالة ظاهرة على حركة السقوط وجاء الحرف « في » يطالب الحركة بالاستقرار ، أسرع الفعل إليه . وذلك أنه حين يقول لك « عثر الرجل » لم تكد تجاوز تصوُّر حركة السقوط حتى يفجؤك بقوله « في ثوبه » ، فيطالبك بإقرار هذه الحركة ثم تصورها في جوف الثوب . وهذه السرعة التي يتطلبها الانتقال تضعف دلالات الفعل التي كان يدل عليها مستقلاً بذاته أي في قولك « عثر الرجل » مجردا ، وهي كما ذكرناها آنفاً : فاعل حركة السقوط ، وفعله وهو الصدم ، وحالة التنبه والتماسك قبل السقوط ، وعدم التوقُّع أو الاتفاق

فدخول « في » على « الثوب » أبعدتْ عن أوّل التصور أن يكون الثوبُ فاعلَ الصدم المؤدي إلى حركة السقوط ، وبذلك أيضاً أضعفت دلالة الفعل على « الصَّدْم » ، إذ أن « الصدم » لا يشبه أن يكون من فعل الثوب ؛ فيتغير ما يتضمنه الفعل « عثر » من الدلالة ، وتضمن وَطْء الثوب المفضي إلى شدّه

ولما كان لابسُ الثوب الطويل ينبغي له أن يعلم أن طوله يؤدي إلى وطء ذيله فيعثر ، اختفت من الفعل — إلا قليلاً — دلالة الاتفاق من غير تعمد . ولذلك تستطيع أن تقول « جاء فلان يعثر في ثوبه » ، ولا تستطيع أن تقول « جاء فلان يعثر بثوبه » ، لأن الأولى قد ذهب منها الاتفاق من غير تعمد ، فجائز أن تستمر ، وأما الأخرى فحتفظة بالاتفاق من غير عمد ، فهي لا يمكن أن تستمر .

ومع ذلك فهذا الحرف « في » لم يستطع أن يغير من حقيقة « عثر » لأنه دانٍ منها ، أو هو مستقر لها ، إذ سوف تنتهي حركتها إلى استقراره

وأما « على » فحرف يدل على الاستعلاء في جميع معانيه دلالة

مطلقة ، والاستعلاء المطلق لا يوجب الإلصاق كما فى الباء ، ولا يوجب الاستقرار كما فى « فى » . فاستعمالها مع « عثر » سيحدث فى معناها أثراً جديداً ينقلها من حال إلى حال

فحين تقول « عثرت على الكرسى » يقتضيك فيها معنى « عثرت » — وهو تهيؤك للسقوط وتماسكك دون السقوط — ألا تجعل معنى « على » استعلاء ملاصقاً كما فى قولك « وقعت على الكرسى » ، وذلك لأنك لم تسقط بل كدت ثم تماسكت . وإذن فالحرف « على » هنا يدل على الاستعلاء المطلق الذى يقتضى نفْى الملاصقة كقولك : « فضلت فلاناً على فلان »

والاستعلاء المطلق مناقض كل المناقضة لمعنى « الصدم » لأن الصدم يقتضي الملاصقة ، فلما جاءت « على » خلعت عن الفعل « عثر » كل ما كان يتضمنه من معنى الصدم الحقيقى (لا المجازىّ) ، ولما خلعته عن الفعل خلعته أيضاً عن الفاعل (الكرسى) الذى كان فعله الصدم الحقيقى (لا المجازى) . ولكن هذا الفعل لا ينفكُّ من أحد دلالاته وهو « الصدم » سواء أ كان حقيقياً أم مجازياً ، فإذا خلعت « على » عنه الصدم الحقيقى بقى الصدم المجازى مكتوماً فيه قائماً مقام الصدم الحقيقى ؛ وإذا كان ذلك فلا بد من حدوث تغير فى الفعل وفى معناه ، لأن الصدم قد انتقل من معناه الحقيقى إلى معناه المجازى ، والصدم وفاعله سببان فى «عثر» التى تدل على حركة السقوط . فإذا صار الصدم من الحقيقة إلى المجاز — وهو أحد مقومات حركة السقوط — فلا بد من أن تصير «عثر» إلى المجاز أيضاً لأنها صارت مسببة عن مجاز .

فأنت ترى أن هذا الفعل لم ينقله من الحقيقة إلى المجاز إلا حرف واحد هو « على » الذى يدل على استعلاء مطلق يناقض معنى الصدم الحقيقى الذى كان ثابتاً فى الفعل بدلالة التضمن أو الالتزام

وعلى ذلك لا يزال هـذا الفعل مع « على » يدل على حركة السقوط المجازية ، ويتضمن بدلالة الالتزام فاعل هذه الحركة ، وفعله وهو الصدم المجازى ، ثم حالة التنبه والتماسك قبل هذه الحركة ، ثم عدم التوقع أو الاتفاق ، وهذا بعينه ما يريده الأخ «مندور» بقوله فى تأويل « عثرت به » أنه لاقاه اتفاقاً

وانظر الآن إلى سليقة هذه اللغة فإنها إذا كانت قد جعلت مصدر « عثر وعثر به » و « عثر فيه » عِثاراً بوزن « فِعال » الدال على عيوب الحركة ، أو على الحركة نفسها : كالمزاح والضراب والنزال ، والصراع ، فإنها تجعل مصدر « عثر عليه » عثوراً على وزن « فعول » الذى يدل أ كثره على مجرد الحركة ، كالنزول ، والسقوط ، والقعود ، والجلوس ، والشرود ، والنفور ، والجموح والطموح . وبذلك خالفت بين المصدرين مع اشتراك الوزنين فى معنى الحركة ، لأن الفعل انتقل من الحقيقة إلى المجاز

وفى الآيتين من كتاب الله : المائدة (١١٠) «فإن عُثِر على أنهما استحقا إثماً » ، وآية أصحاب الكهف (٢٠) « وكذلك أعثرنا عليهم » جاء الفعل بالمعنى المجازى الذى يقتضي حركة السقوط المجازية ، والصدم المجازى ، وحالة التنبه والتماسك قبل حركة السقوط ، وعدم التوقع أى الوقوف على الشيء بغير طلب أو بحث أو كشف

ولكن الأخ مندور يقول : « ولم أرد (العثور عليه) أى الاطلاع الذى يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها » . والذى أوقعه فى هذا التأويل قول أصحاب اللغة « عثر على الأمر عثوراً » اطلع . فتفسيرهم مقصر عن الغاية كل التقصير لأنه يدل على جزء واحد من الدلالات التى يتضمنها الفعل ، وهى حالة التنبه التى تلحق الرجل من الصدمة فينظر ويتبين ما صدمه ، وأهملوا بقولهم (اطلع) المعنى الأصلى للفعل « عثر » وهي حالة السقوط المجازى ، والصدمة المجازية ، وعدم التوقع . وهذا نقص مخل فى عبارة كتب أصحاب اللغة

وأنا أقرر أن أ كثر ما فى كتب اللغة عندنا من تفسير الألفاظ إنما هو تفسير مخل فاسد ، لأنه قد أهمل فيه أصل الاشتقاق ، وأصل المعنى الذى يدل عليه اللفظ بذاته كما رأيت هنا . وإذا أهمل هذان فقد اضطرب الكلام واضطربت دلالاته ، وأوقع من يأخذ اللغة بغير تدبر فى حالة من التعبد بالنصوص كتعبد الوثنى للصنم . وأيضاً فهو يوقع بعض النابهين من الكتاب فى أوهام ليست من الحق فى شيء ، يحملهم عليها تكرار هذا التفسير الفاسد فيسلمون به على غير تبين ، كما رأيت فى تفسير قولهم « عثرت عليه » أنه « اطلعت عليه » ، فإنك حين تقول : « عثر على الكلمة فى الكتاب » فلست تقولها إلا حين تريد أن تصور الكلمة كأنها فاعل الصدم ، وتصور رؤيتها كأنه صدم لك ، وهذا الصدم يستدعى تنبهك فتتماسك وتنظر إلى ما صدمك ، وإن هذا كله كان بغير طلب أو بحث وإنما جاءك اتفاقاً على غير تعمد كان منك .

٢ – خـــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأستـاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس بهبوذ[١] صاحب الزنج

روى خبره أبو الفرج ابن الجوزى فى جملة حوادث سنة ٢٧٠هـ قال بعد أن شرح عيثه وفساده: « وجاء البشير بقتل الفاسق، ثم جاء رجل معه رأس الفاسق، فسجد الناس شكراً، وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين ... وقدم ابنه العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فيسروا. فوافى بغداد يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى فى هذه السنة والرأس بين يديه على قناة، فأكثر الناس التكبير والشكر لله والمدح لابن الموفّق وأبيه. ودخل أحمد بن الموفق بغداد برأس الخبيث وركب فى جيش لم ير مثله من سوق الثلاثاء إلى المخرّم وباب الطاق وسوق يحيى حتى هبط إلى الحربية، ثم انحدر فى دجلة إلى قصر الخلافة فى جمادى الأولى هذه السنة، وضربت القباب وزينت الحيطان »[١]

قلنا: لم يصرح ابن الجوزى بوضع رأس هذا الخبيث فى خزانة الرءوس، ونحن نرجح أنه استقر فى هذه الخزانة، بعد أن عرفنا إدخاله دار الخلافة

(د) رأس البساسيرى

كان أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى قد عظم شأنه، واستفحل أمره، وانتشر ذكره، وقد هابته ملوك العرب والعجم حتى دعى له على المنابر، وعزم الاستيلاء على بغداد ونهب دار الخلافة والقبض على الخليفة وهو يومذاك القائم بأمر الله، فتم له ما أراد إذ دخل بغداد، وقبض على الخليفة وسيّره إلى بلد عانة على الفرات لحبسه فيها، ثم دار الفلك دورته؛ فوقع البساسيرى فى الفخ، فكان مصيره حز رأسه وحمله إلى خزانة الرؤوس. وقد صدقت فيه الآية: « ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون بما كنتم تكسبون »

قال ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٥١ هـ « ... وانهزم البساسيرى على فرسه فلم ينجه، وضرب فرسه بنشابة فرمته إلى الأرض، وأدركه بعض الغلمان، فضربه ضربة على وجهه ولم يعرفه، وأسره كشتكين دواتى عميد الملك، وحز رأسه وحمل إلى السلطان. ولما حُمل إلى السلطان حكى له الذى أسره أنه وجد فى جيبه خمسة دنانير وأحضرها، فتقدم السلطان إلى أن يفرغ المخ من رأسه ويأخذ الخمسة دنانير، ثم أنفذه حينئذ إلى دار الخلافة؛ فوصل فى يوم السبت النصف من ذى الحجة، فغسل ونظف، ثم ترك على قناة وطيف به من غد، وضربت البوقات والدبادب بين يديه، واجتمع من النساء والنفاطين وغيرهم بالدفوف ومن يغنى بين يديه، ونصب من بعد ذلك على رأس الطيار[٢]

(١) فى النجوم الزاهرة (٣ : ٤٨؛ طبع دار الكتب المصرية): « بهبود » أنظر اسمه ونسبه فى تاريخ الطبرى (٣ : ١٧٤٢ — ١٧٤٣ حوادث سنة ٢٥٥هـ.

(١) المنتظم (٥ : ٧٠ طبع حيدر آباد)، وطالع أخباره فى (٥ : ٦٦ — ٦٧، ٧٤ — ٧٥) ولزيادة الاطلاع؛ أنظر تاريخ الطبري: (٣ : ٢٠٨٥ — ٢٠٩٨؛ طبع أوربة)، والتنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٦٨ — ٣٦٩؛ طبع ليدن ص ٣١٩؛ طبع مصر)

(٢) الطيار: ضرب من السفن النهرية القديمة، أكثر ما اتخذ فى العراق لركوب العظماء، والظاهر أنهم سموه بذلك لأنه من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء. وقد أفاض الكلام فيها العلامة الطيب الذكر أحمد باشا تيمور. أنظر: مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق: ([١٩٢٢] ص ٣٢١ — ٣٢٤).

هذا، وأنا لم أقصد ببحثى هذا إلى اللغة، بل قصدت إلى الدلالة على طريق الحق إلى فهمها. وأحب أن أظهر من يقرأ كلامى هذا على أننى لا أجعل مفردات اللغات كل الهم فى عملى أو عمل غيرى. ويقينى أن أكثر من يطيق التدبر والتأمل يستطيع أن يصل إلى فهم اللغة فهماً صحيحاً نافعاً معيناً على حسن العبارة ودقتها فى البيان عن المراد، وهو لم يتكلف إلى ذلك إلا قليلاً من الجهد

وأحسبنى قد سلكت إلى أخى مندور طريق العلم إلى غاية الحق، وهى غايته التى أعلمه لا يعمل إلا لها. وسواء عليه بعد ذلك أكان الحق له أم عليه

أما مسألة الخطأ والصواب فى اللغة، ومسألة عنصر الثبات فيها، فنتركهما إلى العدد التالى من الرسالة، ولأخى مندور تحيتى وشكرى.

محمود محمد شاكر

بإزاء دار الخلافة ثم أخذ إلى الدار »[1]

(هـ) رأس البَرِيدِيّ :

أبو الحسين البريديّ أحد العابثين الخارجين على سياسة دولة بني العبّاس . إرتكب من الظلم أمراً عظيما . فقد أرعب الخلق وكثرت جموعه ، وتزلزل له الخليفة . وكان ظهوره في نواحي البصرة ، حيث سَعَى غير مرّة لفتحها والاستيلاء عليها ؛ لكنّه ردّ على أعقابه ولم ينل وطره ، فقد خانه أكثر أصحابه وأعوانه ، ثمّ قُبِض عليه وأُودع دار السُّلطان .

قال مسكويه في أحداث سنة ٣٤٣ هـ : « وكان أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي أخذ في أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاة بإحلال دمه ؛ فأظهرها في هذا الوقت ، فلما كان بعد أسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة ، وأحضر أبو الحسين البريدي ، وجمعوا بين يدي المستكفي بالله ، وأحضر السيف والنطع ، ووقف السياف بيده السيف ، وحضر ابن أبي موسى الهاشمي ، ووقف فقرأ ما أفتى به واحدا واحدا من إباحة دمه على رءوس الأشهاد ؛ وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هي فتواه فيعترف بها حتى أتى على جماعتهم ، وأبو الحسين البريدي يسمع ذلك كله ويراه ، ورأسه مشدود ، والسيف مسلول بإزائه في يد السياف ، فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفي بالله بضرب عنقه ، فضربت من غير أن يحتج لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف ، وأُخذ رأسه وطيف به في جانبي بغداد وورد إلى دار السلطان ... »[2]

(و) رأس الخليفة الأمين ، رأس عيسى بن ماهان ، رأس أبي السرايا :

من يستعرض خزانة الرءوس في دار الخلافة العباسية ببغداد ، يَرَ فيها رءوس أمراء ، ووزراء ، وقوّادٍ ، وصنوف شتّى من طبقات الناس ، من عرب وأمم مختلفة ، ولكنها لم تكتف بهؤلاء أصحاباً ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك ، إلى رءوس أفراد بيدهم تدبير الملك وسياسة الرعية ، أولئك هم الخلفاء ؛ وإن

(١) المنتظم (٨ : ٢١٠ — ٢١١) ، وانظر أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (ص ١٢٢ ؛ طبع رومية)

(٢) تجارب الأمم (٦ : ٧٩ — ٨٠) ؛ وأضاف مسكويه إلى قوله ما يلي: وصلبت جثته حيث كان حديدية [قلنا : الحديدى ويجمع على حديديات، ضرب من السفن في العصر العباسي] مشدوداً فيه لما ظفر بدار السلطان ، فبقى مصلوباً هناك أياماً . ثم قرأت صكا على الجهبذ بثمن بواري ونفط أشتريت بتسعة دراهم لاحراق جثته ، فأحرقت لنصف من ذي الحجة .

في هذا الأمر الخطير لعبرة مؤلمة وموعظة بليغة .

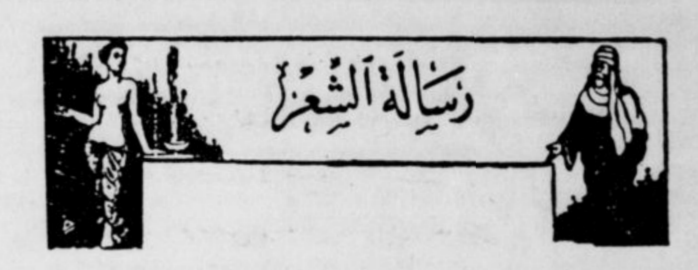
كان رأس الأمين أول ما وضع من رءوس الخلفاء في هذه الخزانة . ولا ندري أَوُضِعَ بجانب رأس بهبوذ الزنجيّ ، أم إلى جانب غيره من رءوس المارقين العابثين ، أم أُفرِدَ له فيها مكان خاص ؟ ومهما يكن من أمر فهو لم ينج من هذه الخزانة العجيبة . وأمر الأمين مشتهر يوم نُكِب ، ويوم قُتِل وقُطِف رأسه ، وَدَعْنا نأخذ بعض خبره ، وخبر رأسه من شيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبري ؛ فإنه روى في ما جريات سنة ١٩٨ هـ هذه الأحدوثة « ... قال : فقمتُ فصرتُ خلف الحُصر المدرّجة في زاوية البيت ، وقام محمد [الأمين] فأخذ بيده وسادة وجعل يقول : ويحكم إني ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن هرون ، أنا أخو المأمون ، الله الله في دمي .

قال : فدخل عليه رجل منهم يُقال له خمارويه غلام لقريش الدنداني مولى طاهر ، فضربه بالسيف ضربة وقعت على مقدم رأسه ، وضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده ، فصاح خمارويه : قتلني قتلني بالفارسية . قال : فدخل منهم جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته ، وركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه ، وأخذوا رأسه فمضوا به إلى طاهر وتركوا جثته . قال : ولما كان في وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها في جل وحملوها ... قال : وبينا نحن كذلك إذ هدة تكاد الأرض ترجف منها ، وإذا أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت ، وكان في الباب ضيق ، فدافعهم محمد بمجنة كانت معه في البيت ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه ثم هجموا عليه فحزوا رأسه واستقبلوا به طاهراً وحملوا جثته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ؛ إذ أقبل عبد السلام بن العلاء صاحب حرس هرثمة ، فأذن له ، وكان عبر إليه على الجسر الذي كان بالشماسية . فقال له : أخوك يقرئك السلام فما خبرك ؟ قال: ياغلام هات الطس[1] فجاءوا به وفيه رأس

(١) الطس والطست ، على ما في التاج (٤ : ١٧٨) : من آنية الصفر . قال أبو عبيدة : ومما دخل في كلام العرب الطست والتور والطاجن وهي فارسية كلها . وقال الفراء : طيء تقول طست ، وغيرهم طس وهم الذين يقولون لصت للص . جمعه طسوس وأطساس ، وجمع الطسة طساس ، ولا يمنع جمعه على طسس بل هو قياسه . وطسيس كأمير جمع الطس كضأن وضئين . قال رؤبة :

هما هما يسهون أو رسيسا   قرع يد اللعابة الطسيسا

والطساس صانعه ، والطساسة حرفته كلاهما على القياس . وانظر شفاء الغليل للخفاجي ص ١٤٧ — ١٤٨ ؛ طبعة الوهبية = ص ١٢٩ طبعة الخانجي



في أخريات الخريف

للأستاذ محمود الخفيف

تُنذِرُني أوراقُ هذي الكُرُومْ ... تساقطتْ ذاويَهْ

وفي حواشي الأفقِ تلكَ الغيُومْ ... غارقةً طافيَهْ

وفي وجوهِ النّاسِ هذا الوُجُومْ ... باديةً أسبابُهُ خافيَهْ

***

خشخشةُ الأغصانِ كمْ زيّنتْ ... للنَّفسِ أشجانَها

وصُفرةُ الميدانِ كمْ لوّنتْ ... بالموتِ ألحانَها

محمد . فقال : هذا خبري فاعلمه . فلما أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار ؛ وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم . وأقبل طاهر يقول : رأس المخلوع محمد . وذكر عنه (عن الحسن ابن أبي سعيد) أنه ذكر أن الخزانة التي كان فيها رأس محمد ، ورأس عيسى بن ماهان ، ورأس أبي السرايا ؛ كانت إليه . قال : فنظرت في رأس محمد ، فإذا فيه ضربة في وجهه وشعر رأسه ولحيته صحيح لم ينجاب منه شيء ، ولونه على حاله . قال : وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البُردة والقضيب والمصلّى ... فرأيت ذا الرئاستين وقد أدخل رأس محمد على ترس بيده إلى المأمون ، فلما رآه سجد ... »[1]

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٩٣٣ — ٩٢٥ ؛ طبع أوربة) . وراجع رواية المسعودي في مروج الذهب (٦ : ٤٧٧ — ٤٨٤)

والرِّيحُ كمْ ولولةٍ أعلنتْ ... مثلَ التي حاولتْ كتمانَها

***

حتّامَ توحي أُخرياتُ الخريفْ ... للنفسِ هذا الحَزَنْ

واعجباً : هذا النسيمُ الخفيفْ ... يفرَقُ منهُ البدَنْ

وكلُّ شيءٍ فيهِ معنًى مُخيفْ ... ألبسهُ حولي خيالَ الكفَنْ

***

تلوحُ في أوراقهِ الذّابلَهْ ... كلُّ معاني الشقاءْ

فيها جسومٌ ترتمي ناحلَهْ ... أومى إليها الفناءْ

يطلُّ منْ أعيُنها الذّاهلَهْ ... الجوعُ والسُّقمُ وقرُّ الشتاءْ

***

وألمحُ الآلافَ ألقى بها ... لحتفها طاغيَهْ

طعينةً تشكو إلى ربِّها ... منْ يدهِ العاتيَهْ

لائذةً بالموتِ منْ رُعبها ... ممّا ترى في هذهِ الغاشيَهْ

***

وصوّرتْ أيّاميَ الذّاهبَهْ ... ما إنْ لها منْ مآبْ

وكمْ تهادتْ كالمُنى الكاذبَهْ ... لاحتْ كلَمحِ السّرابْ

للموتِ تمضي زُمراً واثبَهْ ... مُعجَّلةً أغرى بهنّ الوِثابْ

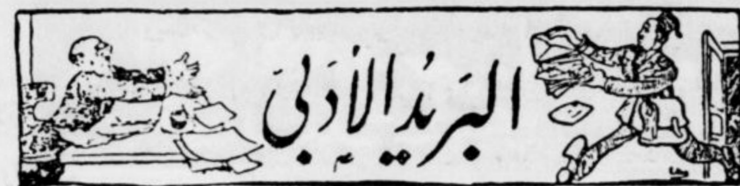
***

وا حزَنا أغصانُها العاريَهْ ... تكسى غداةَ الرّبيعْ

هلْ منْ ربيعٍ للمُنى الذّاويَهْ ... والقلبُ ذاوٍ صديعْ

باتتْ شتاءً كلُّ أيّاميَهْ ... يا هولَهُ بعدَ ربيعٍ مريعْ

الخفيف



إعجاب

قبل أن تنسيني الشواغل أني قرأت مقالاً نفيساً للأستاذ « أبي أسامة » أسجل إعجابي ، وأرجوه أن يذكر حقوق الأدب والتاريخ على قلمه البليغ

زاده الله توفيقاً إلى توفيق ، ورفع بأمثاله أعلام البيان .

زكي مبارك

تصحيح بعض سقطات الكرملي

أنا أعلم أني إن طلبت إلى الأب أنستاس الكرملي أن يكون دقيقاً أميناً واعياً . . . أكون قد كلفته ما ليس من عادته ، بل فوق ما يطيق . ولذا فغرضي من كلمتي ليس الأب نفسه ، وإنما أكتب تحذيرا لبعض من يقرأ كلامه من ضعاف الطلاب حذراً أن ينخدع به ويعتمده من غير تحقيق

ادعى الأب في العدد (٤٧٥) من الرسالة الغراء أن استعمال خطأ لضد الصواب (من الأغلاط الشائعة في مصر) . ثم قال : (على ما في كتب اللغة) فنبهنا في العدد (٤٧٩) إلى أن هـذا الرأي ليس في كتاب من كتب اللغة ، ونقلنا له نقولاً أجمعت كلها — بلا استثناء — على أن (الخطأ) كلمة صحيحة وبعضها ذكر (الخطاء) بعـد (الخطأ) وبعضها لم يذكر وبعضها وهاها وهو صاحب الصحاح . فسبب وهيها إذاً عدم ذكرها في بعض المعاجم ونص بعضها على توهيها

فلما صرعه الحق حاول أن يبتعد عنه فكان مما قال في العدد (٤٨٧) من الرسالة : « خذ بيدك أي معجم شئت ... تر أن الكلمة القليلة الأحرف مقدمة على غيرها »

وهذا — وإن وقع كثيراً — إلا أنه لا يطرد . وعلى ذلك تكون كلمة الأب تخرصاً ، فقد فتحنا القاموس المحيط كما اتفق فرأيناه يقول : « خنز اللحم خنوزاً وخَنَزاً » فأطبقناه وكتبنا الكلمة منبهين على عدم تدقيق الأب وأمانته

أنا أريد أن (أفترض جدلاً) أن (الخطاء) قد تسمو في بعض الأحيان إلى درجة (الخطأ) وإذاً يكون الأب قد جهل بديهة من البداءة اللغوية التي يتعلمها شادي العربية

اعلم أيهذا الأب أنه إذا أتتك كلمتان فصيحتان من مادة واحدة فقدم الأخف حروفاً فإنها أفصح . وهل أنت بحاجة إلى ردك إلى مصدر ما ؟ نعم فراجع إذاً كتاباً صغيراً لأحد المتأخرين هو (البلغة لحسن صديق خان) ثم الفهم الفهم والأناة الأناة ، ولك عطفي الخالص .

(دمشق) سعيد الافغاني

تصحيحات

١ — جاء في البريد الأدبي من مجلة « الرسالة » الغراء (العدد ٤٨٣) كلمة بعنوان : (رواية فاطمة البتول لمعروف الأرناءوط) وقد كتب هاته الكلمة الأديب لبيب السعيد حول الرواية المذكورة مقرظاً وناقداً . وجاءت في الكلمة هذه الجملة : « وفي وادي العقيق حيال قبر حمزة رضي الله عنه » . والمتبادر المفهوم من سياق هذه الجملة أن قبر حمزة رضي الله عنه واقع في العقيق . وليس الأمر كذلك فإنه استشهد في وقعة أحد على سفح جبل الرماة الصغير القائم في قلب وادي قناة — لا وادي العقيق — وبينهما في هذه النقطة بون شاسع . وقد دفن سيد الشهداء بعد مصرعه ببطن وادي قناة ، ثم نقل إلى شاطئ الوادي للشمالي في نقطة تُسامت منتصف جبل أحد ، وبقربي قبره قبور الشهداء في تلك المعركة

٣ — وجاء في هامش مقال (الحديث ذو شجون المنشور في (العدد ٤٨٤) من مجلة الرسالة أيضاً تفسير لنسبة الظواهري بأنها (نسبة قديمة إلى الظواهر ، وهي ضواحي مكة وبها كان يقيم أجداد الشيخ الظواهري في سالف الزمان ، وإليهم ينسب كفر الظواهرية بمركز ههيا بمديرية الشرقية) اهـ

والحقيقة أن الظواهر — كما هو معروف — هم فخذ من بني سالم أخد بطون حرب . ويقيم هذا الفخذ لهذا العهد وما قبله بوادي الصفراء الواقع بين المدينة المنورة وينبع . وممن نص على ذلك الأستاذ فؤاد بك حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) في الصفحة ١٤٣ . وإلى هذا الفخذ نسبة الظواهري وكل ظواهري

(مكة المكرمة) عبد القدوس الانصاري

تجوع الحرة ولا تأكل بثديها

يذكر كثير من المتحدثين عن الفضيلة والأخلاق المثل العربي القائل: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها» ولكنهم يخطئون في فهمه، إذ أنهم يفهمون منه أن المرأة الحرة يجب أن تتحمل الجوع ولا تتخذ عرضها وسيلة لدفعه، وهم لا يذكرونه إلا في موقف يُفهَم منه هذا المعنى. ولعلهم يظنون أن كلمة «ثدييها» يكنى بها في هذا المثل عن عرض المرأة؛ والحق غير ذلك، فأصل هذا المثل أن أغلب نساء العرب كن يرين قيامَ إحداهن بإرضاع غير أولادهن مقابلَ أجرٍ – قلّ أو كثر – مما يشين المرأة العربية، فقالوا: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها» من أجل ذلك. بل كانت نساء بعض القبائل العربية كقريش لا يرضعن أولادهن، وكن يعددن ذلك عاراً، لأنه قد يدل على الفقر والفاقة، فكيف لهن إذن بإرضاع الأولاد الأجانب عنهن؟!

أحمد الشرباصي

حول اختلاف القراءات

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد غسان حول اختلاف القراءات رداً على الأستاذ عبد المتعال الصعيدي، فوجدته قد اشتبه عليه رأي أستاذنا الكبير حتى ظنه ما يراه ابن القسم من تجويز القراءة بما يحتمله الرسم وتظاهره العربية بدون نظر إلى الرواية... وشتان بين الرأيين، لأن رأي أستاذنا لا يراد منه تجويز قراءات لم ترد، وإنما يراد منه توجيه قراءات واردة بالتواتر أو الآحاد، ولا تدخل في باب اختلاف اللهجات بسبب جديد يرتاح إليه العقل، وتطمئن إليه النفس. ولا يبقى معه احتمال لما يزعم من نشوء ذلك عن تصحيف... وهذا غرض يتفق مع ما أخذ به أستاذنا نفسه من الدفاع عن الإسلام وأحكامه بما يتفق مع ذوق هذا العصر. وهو الطريق القويم الذي سنه المصلحون من أئمة الدين قبله، فأفادوا الإسلام بآرائهم وأفكارهم إفادة جليلة سامية. فالأستاذ غسان لم يفهم كلمة أستاذنا كما فهمها الأستاذ عزت عرفة ولهذا جاء رده بعيداً عن الصواب

عبد العليم عيسى

رسالة عمر بن الخطاب في القضاء

كان مما قررته وزارة المعارف على طلاب الثقافة هذا العام رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء إلى أبي موسى الأشعري، وهذه الرسالة واردة في كتاب المنتخب للسنة الرابعة الثانوية وفيها قليل من التحريف، وعلى هذا الكتاب اعتمد المؤلفون الذين قاموا بشرح النصوص وطبعها ونشرها؛ ونحن نصحح هذه الأخطاء معتمدين في ذلك على كتاب رغبة الآمل من كتاب الكامل، للمرحوم إمام الأدب سيد بن علي المرصفي.

١ – ورد في آخر الرسالة «فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته» والصواب فما ظنك بثواب عند الله عز وجل ... الخ، ولا وجه للنص محرفاً، وقوله في عاجل رزقه وخزائن رحمته وصف لثواب الله لا ثواب غيره

٢ – «وإياك والقلق والضجر» والصواب الغلق، لأن القلق والضجر بمعنى واحد، والغلق يؤدي معنى أكثر من القلق؛ إذ هو ضيق الصدر وقلة الصبر فهو سبب الضجر.

زكي غانم

دنية القاضي في العصر العباسي

أما بعد: فقد بعثت إليكم في ١٥ أيلول سنة ١٩٤٢ بمقال عنوانه «دنّية القاضي في العصر العباسي». وقد جاء في المقال المذكور حاشية تحققت منها الآن أنها مغلوطة، فأبادر الآن لتصحيحها، إذ يعزّ عليّ أن أرى غلطاً فيما أحرره

قلت في نحو أواسط هذا المقال: «وللدنّيّة أخبار طريفة كانت في أكثرها مدعاة للسخرية منها، والتمثيل بها. فقد روى أبو الفرج الأصفهاني حكاية قال فيها: «(أخبرنا) محمد بن خلف وكيع قال: كان الخليجي القاضي، واسمه عبد الله [بن محمد] ابن أخت علوية المغني، وكان تيّاهاً صلفاً، فتقلّد في خلافة الأمين قضاء الشرقية؛ فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد...» وذكرت في الحاشية أن الشرقية يقصد بها الجانب الشرقي من بغداد. والصواب: أن الشرقية على ما في معجم البلدان (٣: ٢٧٩؛ طبعة وستنفلد): «محلّة بالجانب الغربيّ من بغداد، وفيها مسجد الشرقية في شرق باب النصر. قيل لها الشرقية لأنها شرقيّ مدينة المنصور لا لأنها في الجانب الشرق»

«بغداد» ميخائيل عواد



عبقرية عمر

للأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ محمود أبو رية

لما نشرت الصحف أن الأستاذ عباس محمود العقاد قد أجمع النية على وضع كتاب عن (عبقرية عمر) قلنا إنها آية جديدة على بعد إدراكه وسعة عقله ما دام هو بسبيل الكتابة عن العبقرية الإسلامية، فإنه ليس أحرى بالدرس والتأريخ بعد رسول الله صلوات الله عليه من عمر. ذلك بأن التاريخ الإسلامي لم يشهد من العدل والحزم وحكمة السياسة والقيام على أمور الرعية بالنصفة والمعدلة مثل ما شهد في عهده، حتى لقد كانت أيامه مضرب المثل الصالح في العدل والإصلاح على مدى التاريخ كله.

ولقد اعتز به الإسلام من أول يوم أسلم فيه وظل عزيزاً به طول حياته، ولم يكد ينقلب إلى ربه حتى انقلبت الأحوال وتبدلت الأمور وانبعث بنو أمية بما كان جاثماً في صدورهم من الحقد والشنآن على بني هاشم، فأحاطوا بعثمان واستحوذوا على الملك، وقام الأمر منذ يومئذ على قوة العصبية والغلب، وتصدع البناء الإسلامي الذي كان قد أقيم على الشورى والعدل. وكذلك أخذ داء التفرق الديني واليأس يدب في جسم الأمة الإسلامية حتى أنهك قواها وأذهب ريحها. ولقد صدق علي في قوله يوم موته: «إن موت عمر ثلمة في الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة»

وثم أمر آخر يوجب تقديم هذا الرجل في التاريخ على غيره قد بيّنه الأستاذ المؤلف في أصدق عبارة فقال: «إن دراسة عمر غنيمة لكل علم متصل بالحياة الإنسانية كعلم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم السياسة، ولم تقتصر مزايا هذه الدراسة على علم النفس وكفى»[1]

(١) ص ١٠٧ عبقرية عمر

ولئن كان مؤلفنا الكبير قد عاجله التوفيق في وضع عمر في مكانه اللائق به في التاريخ، فإنه قد أحسن غاية الإحسان في أنه لم يتخذ في كتابه سبيل من كتب قبله فقال:

«وكتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له ودراسة لأطواره ودلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة»[1]

وإنه لعلى حق فيما نهج لنفسه، لأن طريقة التأليف التي تقوم على سرد الحوادث وإيراد الوقائع وبخاصة إذا كان ذلك قد صار من علم الناس أصبحت من الأمور التي تبعث الضيق إلى الصدر والسأم إلى النفس؛ ولو أن الأستاذ العقاد كان قد اتبع سَنَنَ من قبله الذين يتزيدون من نقل الحوادث بنية الجمع، ويتوسعون بتدوين الوقائع ابتغاء الحشد، فإنه لا يكون قد أربى عليهم بشيء ولا تكون المكتبة العربية قد غنمت منه إلا زيادة كتاب فيها!

كان الناس لا يعلمون بما درسوا من كتب السيرة كل ما يجب أن يعرف عن عظمة هذا الرجل الذي كان «ممتازاً بعمله ممتازاً بتكوينه، وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد في عرف الأقدمين والمحدثين من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين»[2]

ولئن كان المؤرخون قد أطالوا في سرد تاريخه وأكثروا من بيان أعماله فإنهم لم يصلوا إلى دراسة حقيقة هذه النفس الكبيرة، ولا عرفوا كيف يتغلغلون إلى آفاقها الواسعة ومراميها البعيدة، وهذا لعمرك هو الفارق بين الكاتب الذي لا يرعف قلمه إلا مداداً يسيل على الصحف سطوراً سوداء وبين الكاتب الملهم الذي ينبثق من قلمه نور يشق الحجب لينفذ إلى ما وراءها، ويخزق الغلف ليصل إلى خفاياها

إن أظهر صفة لعمر قد أشاد التاريخ بها وحفظها له رائعة جليلة هي صفة (العدل)، وعلى أنك ترى أصحاب السير قد ملأوا بطون الأسفار من الأنباء التي تثبت هذه الصفة وتدل عليها، فإنك لا تجد أحداً منهم قد هُدِيَ إلى إظهار حقيقة هذا العدل

(١) ص ٧ من نفس المصدر (٢) ص ٢٦

العمرى ، ولا استطاع أن يصل إلى كنه أسبابه حتى يعلم الناس كيف امتاز عدل عمر من عدل غيره فبلغ به ما لم يبلغ سواه من الثناء والإعجاب ما دام يجرى على وجه الأرض حكم ، ولكنك لو رجعت إلى كتاب (عبقرية عمر) لوجدته قد وقفك على مرد هذا العدل وكشف لك عن أسبابه فيقول : « إن له روافد شتى بعضها من وراثة أهله ، وبعضها من تكوين شخصه ، وبعضها من عبر أيامه ، وبعضها من تعليم دينه ، وكلها بعد ذلك تمضى فى اتجاه قويم إلى غاية واحدة لا تنم على افتراق[1] » . ولا يدعك على هذا الإجمال بل يفصل لك القول عن هذه الروافد حتى تصير وملء نفسك الإعجاب والرضا

ولا يكتفى بدرس هذه الصفة بل يمضى فى استقصاء دراسة سائر خلائقه وصفاته فيقول :

« إن خلائقه الكبرى كانت بارزة جداً لا يسترها حجاب ؛ فما من قارئ ألمّ بفذلكة صالحة من ترجمته إلا استطاع أن يعلم أن عمر بن الخطاب كان عادلاً وكان رحيماً وكان غيوراً وكان فطناً وكان وثيق الإيمان عظيم الاستعداد للنخوة الدينية »[2] .

وبعد أن يحدثك بأن هذه الصفات مكينة فيه وأنها تتجه « إلى جهة واحدة ، ولا تتشعب فى اتجاهها طرائق قدداً كما يتفق فى صفات بعض العظماء »[3] . وإن هذه الصفات يتمم بعضها بعضاً « حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجزاء متلاحقة الألوان »[3] يمضى فيقول : « وأعجب من هذا فى التوافق بين صفاته أن الصفة الواحدة تستمد عناصرها من روافد شتى ولا تستمدها من ينبوع واحد ، ثم هى مع ذلك متفقة لا تتناقض متساندة لا تتخاذل كأنها لا تعرف التعدد والتكاثر فى شىء »[3]

وهل تراه يقف بك عند هذا الاستقصاء البعيد أو يقنع بما قدمه من بحث ليس وراءه من مزيد ! إن فلسفته لتأبى عليه إلا أن يمعن فى الاستيعاب ويبالغ فى الدرس فيقول « وما العدل والرحمة والغيرة والفطنة بغير الإيمان الذى هو الرقيب الأعلى فوق كل رقيب ، والوازع الأخير بعد كل وازع ، والمرجع الذى لا مرجع بعده لطالب الإنصاف »[4] « إن إيمان عمر هو الضابط الذى يسيطر على أخلاقه وأفكاره ، كما يسيطر على دوافعه وسوراته »[1] ثم لا تدعه فلسفته العميقة حتى تظفره بسر لم يهتد إليه أحد من قبل ذلك هو (مفتاح الشخصية العمرية) ذاك الذى عرفه الأستاذ العقاد بأنه « السمة التى تميزه بين العظماء حتى فى الإيمان ، وسيطرته على الأخلاق والأفكار والدوافع والسورات ، فإن الإيمان ليقوى فى نفوس كثيرات ثم تختلف آياته وشواهده باختلاف تلك النفوس ... والذى نراه أن (طبيعة الجندى) فى صفتها المثلى هى أصدق مفتاح (للشخصية العمرية) فى جلة ما يؤثر أو يروى عن هذا الرجل العظيم »[2]

ولم يستأثر بهذا المفتاح لنفسه بل تناوله بيد ماهرة وفتح به مغاليق هذه النفس الكبيرة ليبين للناس بقلمه البليغ خصائص عظمتها وما استفادت الحياة منها مما يجعلك تشهد مقراً بنفاذ بصره وقوة ذهنه

وبحسبك أن تراه لا يتولى ناحية من نواحى هذه العظمة إلا أتى على أطرافها وأحاط بجميع أكنافها ، ولا درس جانباً من جوانبها إلا هتك من سره وأظهر المكنون من أمره

ولا نذهب نستزيد فى بيان ما اشتمل عليه كتاب (عبقرية عمر) ، لأن ذلك يحتاج إلى مقالات مستفيضة ، وإنما نجمل كلمتنا دالة تشير إلى جملة هذا الكتاب دون تفصيله ، فإذا لم يكن فيها كل البيان عنه فليكن فيها شىء من دليله

ولعلّ هذه اللمحة تُبيّن موضع هذا الكتاب المُمتع الذى صور فيه العقاد عبقرية عمر أصدق تصوير وسايرها من إسلامه إلى عمله فى الدولة ومعاملته للرسول وأصحابه ، ثم ما كان عليه من ثقافة وغير ذلك مما لا تجد مثله فى كتاب قبل اليوم

ولئن كان العقاد قد كشف بكتابه هذا عن عبقرية عمر وجلاها للناس فى أروع مظهر وأبلغ بيان ، فإنه قد أثبت العبقرية لنفسه فى هذا الكتاب الفريد حتى لا يكاد يختلف فى ذلك اثنان .

(المنصورة) محمود أبو ريه

(1) ص ٤٠ (2) ص ٤٤ (3) ص ٤٥ (4) ص ١٠٤

(1) ص ١١٤ (2) ص ١١٥

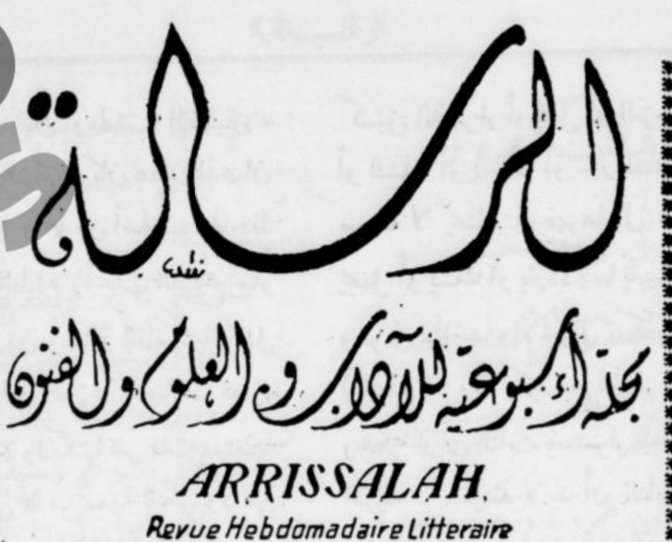
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 492

Lundi - 7 - 12 - 1942





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

٣ ـ دفاع عن البلاغة

حد البلاغة

تسألني بعد ذلك عن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها : أهي بلاغة العقل العربي التي تجلت في نثر ابن المقفع والجاحظ والبديع ، وارتسمت في منهج أبي هلال وعبد القاهر ؛ أم هي بلاغة العقل اليوناني التي تمثّلت في كلام الأصوليين والجدليين والمناطقة ، واستسرّت في قواعد السكاكي والسعد ؟ أهي بلاغة المعنى أم بلاغة اللفظ ؟ أهي بلاغة الفكر أم بلاغة الأسلوب ؟

والجواب أن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها هي البلاغة التي تحدّى بها القرآن أمراء القول في عهد كان الأدب فيه صورة الحياة وترجمة الشعور وعبارة العقل . هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ؛ إذِ الكلام كائن حي ، روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفَساً لا يتمثل ، والجسم جماداً لا يحس

ومن العجيب أن كان في أمم البلاغة الثلاث : اليونانِ والرومان والعرب ، من فصلوا بين القلب واللسان ، وفرقوا بين المنطق والفن . ففي اليونان ـ وهي الأمة التي نشأت البلاغة في حضانة الفلسفة ، وجعلت الشعر والخطابة قسمين من أقسام المنطق ـ كان للبلاغة مذهبان : مذهب الفلاسفة ؛ ومن رجاله بركليس وديمستين ؛ ومذهب البيانيين ؛ ومن رجاله السوفسطائيون والمتشدقون من أمثال طراسياك وجُرجياس .

وفى العرب كان مذهب المنويين ومذهب اللفظيين ، أو مذهب أهل العراق ، ومذهب أهل الشام . وكان هذان المذهبان أول الأمر يتماسان من شدة القرب كما تراهما بين أسلوب الجاحظ وأسلوب ابن العميد . فلما فسدت الطباع وأمحلت القرائح صار بينهما من البعد ما بين براعة ابن خلدون وغثاثة القاضى الفاضل

ولقد اختلفت التعريفات على مدلول البلاغة باختلاف تصور الناس لها وتأثرهم بها وغرضهم منها ، ولكنها تعريفات مقتضبة لا تكاد تكشف عن جوهرها الفنى لا من جهة النظر ولا من جهة العمل . ولعل أول من حاول شرح البلاغة على نحو يشبه الفن ابن المقفع إذ قال : « البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه كثيرة : منها ما يكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، وربما كانت رسائل . فعامة ما يكون من هذه الأبواب ، فالوحى فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ . والإيجاز هو البلاغة » . ومن أمثلة الأقوال المقتضبة قول ابن المعتز : « البلاغة هى البلوغ إلى المعنى ولما يطل سفر الكلام » . وقول الخليل : « البلاغة هى ما قرب طرفاه وبعد منتهاه »

ولبلغاء الغرب فى البلاغة أقوال تشبه ما قال بلغاء العرب فى إجمال المعنى وبعد الإشارة . قال لاهارب : « البلاغة هى التعبير الصحيح عن عاطفة حق » . وقال سورين : « هى الفكرة الصائبة ، ثم الكلمة المناسبة » . وقال لاربوبير : « هى نعمة روحية تولينا السيطرة على النفوس » . ولقد تخيلها (سنيك) إلهاً مجهولاً فى صدر الإنسان . ومثّلها القدماء فى صورة إله يتكلم فيخرج من فيه سلاسل من الذهب تسلك السامعين فلا يفلت منهم أحد . والتمثال على هذا الوضع لا يمثل غير بلاغة الخطيب

والناظر المتقصى فى أقوال هؤلاء وأولئك يستطيع أن يستخلص من جملتها أن البلاغة هى بمعناها الشامل الكامل ملكة يؤثر بها صاحبها فى عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة أو الكلام . فالتأثير فى العقول عمل الموهبة المعلمة المفسرة ؛ والتأثير فى القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة ؛ ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة . وتحليل ذلك أن بلاغة الكلام هى تأثير نفس فى نفس ، وفكر فى فكر . والأثر الحاصل من ذلك التأثير هو التغلب على مقاومة فى هوى المخاطب أو فى رأيه . وهذه المقاومة قد تكون فاعلة كسبق الإصرار أو الميل أو العزم ؛ وقد تكون منفعلة كالجهل أو الشك أو التردد أو خلو الذهن . فإذا كانت منفعلة كانت ضعيفة لا يُحتاج فى قهرها إلى الوسائل البلاغية القوية ؛ فالمرء يجهل أو يشك أو يتردد ربما يتهيأ له أن يعلم أو يستيقن أو يجزم ؛ وهو فى مثل هذه الأحوال تكفيه الحقيقة البسيطة للاستفادة من (التعليم) . وقد يكون مع الجهل زيف العلم ، واعتساف الحكم ، وخطل الرأى الثابت باستمرار العادة ، وفساد الوهم القائم على قوة القرينة . وحينئذ لا بد أن تتناصر قوى العقل جماء على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان ؛ وذلك عمل الجدل ، والجدل عصب البلاغة . وربما حدث مع ذلك كله أو بدون ذلك كله ، فتور فى الطبع فلا ينشط لحديث ولا يرتاح إلى رأى . وهنا يجب على صاحب البلاغة أن يدفع السأم ويحرك النشاط ، فيوشى الحقيقة بخياله ، ويحيى الأسلوب بروحه ، ويجذب القارئ بفنه . وفى هذه الحال يظهر فضل البلاغة على الفلسفة

وقد تكون المقاومة ضعيفة أو معدومة من جهة العقل ؛ ولكنها تكون قوية عارمة من جهة النفس . فأنا لا أمارى فى أن هذا هو الحق ولكنى أستثقله ، أو هو الفضل ولكنى أسترذله ، أو هو النفع ولكنه يُجهد نفسى ويَبْهَر قواى ، أو هو العدل ولكنه يعارض نفعى ويصادم هواى . فجهد البلاغة هنا يجب أن يوجه إلى النفس من طريق التأثير ، لا إلى العقل من طريق الإقناع

فإذا اجتمع على مقاومة البلاغة العقل والهوى : هذا بميله أو نفوره ، وذاك بإصراره أو قصوره ، كان هنا ميدانها الأول وجهادها الخطير . لقد حشد لها العدو جميع قواه فيجب أن تربع حجره وتستعدّ له . وهى على حسب ما تقتضيه الحال إما أن تهاجم الرأى فتخضع بخضوعه الإرادة كحالها مع القاضى ، وإما أن تهاجم الإرادة فيخضع بخضوعها الرأى كحالها مع الجمهور

أما الغرض من تحليل هذا التعريف فهو تجلية المراد من قول البيانيين إن البلاغة هى مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال . فليست الأحوال المعروضة أو المفروضة إلا انفعالات العواطف فى النفس ، أو اتجاهات الخواطر فى الذهن . وليست مقتضياتها إلا الصور البلاغية المناسبة التى يهتدى إليها البليغ بطبعه أو فنه فيؤثر بها فى هذه العواطف أو فى تلك الخواطر التأثير الذى يريد ...

(للكلام بقية) **احمد حسن الزيات**

الشباب والكهولة

بين توديع وترحيب

لصاحب العزة الأستاذ محمد كامل سليم بك

سكرتير عام مجلس النواب

إذا بلغ الإنسان الأربعين من عمره، وزحف منحدراً إلى الخمسين، شعر بتطور حاسم في مجرى حياته: هي فترة من العمر ظاهرة المعالم واضحة الحدود. قد يتجاهلها أناس فيمرون بها سراعاً ومن غير مبالاة. وقد يضطرب لها أناس فيحزنون أشد الحزن على شباب ولّى وأدبر بنضرته وروعته، وكهولة حلت بآثارها وأثقالها. وآخرون مثلي يقفون هنيهة، ويفكرون ثم يفكرون، ويودعون عهداً أدبر، ويستقبلون عهداً أقبل، ثم يبتسمون ويسيرون في الطريق المنحدر الذي يقاس بالأعوام، أو يقاس بالشهور والأيام ... علم ذلك عند علام الغيوب!

هي على كل حال فترة فاصلة حاسمة، تنطق بعبارة واضحة حازمة، لا لبس فيها ولا إبهام؛ إذ تقول: «أيها الرجل. قد انتهى شبابك. قد تضحك ساخراً؛ وقد تتحدى وتنكر، وتزعم أن رأسك لم يشتعل بعد شيباً، أو أن أسنانك سليمة، وقوتك عظيمة، وأنك في صحة الشباب وعافية الشباب ... وإني لمصدقك؛ ولكن صدقني أنت كذلك: إنك لست الآن شاباً بل أنت كهل، فما رأيك؟»

والرأي هنا يتوقف على عوامل شتى أخص بالذكر منها اثنين أو ثلاثة:

(الأول) نظرة الإنسان إلى الحياة عامة

(الثاني) الحالة الباطنية أو الصحية

(الثالث) الحالة الظاهرة أو الشكلية

وما يعنيني الآن في هذا المقام أن أشرح هذه العوامل وأبين أثرها ومبلغ خطرها في تكوين الرأي؛ وإنما يعنيني (ونحن في زمن الحرب) أن أهجم على الموضوع هجوماً خاطفاً، فأقول: إني أحب الكهولة لأسباب أوجزها فيما يلي:

— لأني أصبحت بعد التجارب أعرف ما أريد وما لا أريد

— ولأني أصبحت أعرف نفسي وأعيش عيشة تتفق ومزاجها الخاص

— ولأني ما زلت والحمد لله سليم الصحة معافى البدن

— ولأني تعلمت ضبط النفس

— ولأني أقدر مما كنت على احتمال الآلام وصدمات الحياة

— ولأني أقدر على خدمة وطني وإسعاد من حولي

— ولأني أحمل كنوزاً من الأسرار والذكريات

— ولأني أصبحت أنعم بالهدوء والاستقرار والسلام

ذكرت رأيي هذا ذات يوم لصديق حميم فقال: هذا حسن. ولكن هل نسيت أن للشباب هزاته ولذاته، خفقاته وغزواته، أحلامه ومطامعه، قوته ونضرته؟ وهل الشباب إلا الحياة الخافقة؟ وهل الكهولة إلا الحياة الفاترة؟

فقلت له: مهلاً. لم أنس شيئاً وإني بما ذكرته عليم خبير. بل من أعلم به مني وأخبر؟ ولكن مالك أنت قد ذكرت حسناته ونسيت سيئاته؟ فللشباب كما تعلم نقائصه وهفواته، كبواته وانفعالاته، حماقاته وجهالاته. فليس الشباب حلاوة صرفاً كما تزعم. ولقد عرفت أناساً كان شبابهم عذاباً وجحيما، فجاءتهم الكهولة راحة ونعيماً. وعرفت العكس مع أناس آخرين

إن السعادة ميسورة في الشباب وميسورة في الكهولة إذا عرف الإنسان كيف يعيش وفق طبائع العهدين ومميزات العمرين

فالشباب عواطف أولاً وعقل ثانياً؛ فهو حماسة وتدفق وإقدام

والكهولة عقل أولاً وعواطف ثانياً؛ فهي اتزان وحساب وسير إلى الأمام

والشباب طائرة في السماء، ودبابة في الأرض، وغواصة في البحار[1]

والكهولة سيارة فخمة تطوى الأرض أو باخرة ضخمة تمخر البحار[2]

والشباب فراشة هائمة على وجهها طلباً للنور الوهاج[3]،

---

(١) رمز للقوة والجرأة والقيام بالأعمال الشاقة والتعرض للأخطار

(٢) رمز للمثابرة والاستقرار والاضطلاع بالأعمال الكبيرة ذات الآثار الباقية.

(٣) رمز للضعف على الشباب البائس العاثر الذي حرم التوفيق

أو نملة[1] سابحة فوق أطباق العسل المصفى

والكهولة فراشة هدأت وسكنت بعد طول المطاف واحتراق الجناح ، أو نملة شبعت وارتوت وما هى بحاجة إلى التكرار

دعنى يا صديقى أنعم بالكهولة نعيماً هادئاً معتدلاً لا أشعر فيه بالاكتئاب والضجر ، ولا بالتعب والملل ، لأنه نعيم النفس والروح الخالدة ، لا يتطرّق إليها الاكتظاظ والسأم الكريه .

إن الشباب كلباس الحمام ، ينفع للسباحة المنيفة فى البحار . والكهولة كالمعطف ينفع للتدفئة عند مقدم الشتاء

فعلىّ بهذا المعطف المريح ألبسه فى بر السلام ، وقد أخذت نصيبي وأكثر من نصيبى فى السباحة والتعرض لأخطار البحار الآن أصبحت أعرف نفسى وما تريد . وكنت فى الشباب أجهل نفسى وأسعى وراء مالا أريد أو ما لا خير فيه . والآن أعرف ضبط النفس وجمال التسامح ، وهما سر السعادة والإسعاد . وكنت فى الشباب على النقيض : ثورة مشبوبة حيناً أو سيّارة من غير فرامل أحياناً أخرى

ولكن ما هـذا ؟ هل الكهولة خير كل الخير ، لا عيب فيها ، ولا غبار عليها ؟ كلا فقد أراد الله أن يمزج الخير بالشر ، والشر بالخير ، ليخرج من المزيج مزاجاً معقولاً ، ونظاماً مقبولاً . فنى الشباب كفة الجسم وجماله ترجح كفة العقل . وفى الكهولة كفة العقل وكماله ترجح كفة الجسم . فكل شيء بميزان وقدر

إن الرجل إذا جاوز الأربعين واقترب من الخمسين لا محالة شاعر بنوع من الحرمان ونوع من الإذلال . فهذه بعض أسنان تتزعزع فتتخلع ؛ وهذا شعر يبيض أو يتساقط ؛ وهذه عيون كانت قوية نافذة ، أصبحت ضعيفة حاسرة : فى حاجة إلى منظار للقراءة ومنظار للمسير . وهنا وهناك خطوط تنذر بتجاعيد وأخاديد . ثم هضم يضعف ، وغذاء ينتقى ، وشراب يدرس ، وكل شيء بحساب ، وإلا وقع العقاب . فإذا مرضت يا صاحبى جاءك الطبيب المعالج ، ولا يتركك إلا وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة جمة المعانى . إذ يقول لك : (يا عزيزى خفف من نشاطك وجهودك . واكثر من أسباب الراحة . ولا تنس أنك لست اليوم شاباً)

هذا وقد تشتهى نفسك أمراً فيه رياضة أو متاع أو غذاء ، فلا يسعفك جسمك فى همة ونشاط كما كان العهد فى الشباب ، وإنما يتباطأ أو يتخاذل بالإعياء . هذه هى الكهولة فى أخف أعبائها . وقد تثقل وتقسو وتشتد حين تجعل من نفسها باباً تدخل منه الملل والأوصاب إلى الجسم ، والحسرة والاكتئاب إلى النفس . على أنى والحمد لله أسعد حالاً من هذه الصورة ، فما زلت كامل الصحة ، معافى البدن ، جم الحيوية والنشاط ، ولهذا ترانى أحب الكهولة لأنى أحب النضج ، وأحب النضج لأنى أصبحت أفضل حكم العقل على تحكم الغرائز ، وأوثر الروحانيات على الماديات . والشباب فى نظرى حرب قائمة ، والكهولة سلام مقيم . قد تقول ساخراً إن هذا السلام ركود ، والركود من مظاهر الموت . وإنى لا أقر هـذا القول ولا أوافق عليه . فأنا لا أقول بالسلام المقيم ولا بالاستسلام وانعدام النشاط ؛ إنما أقصد سلاماً كسلام الدولة القوية الغنية ، لا تحب الحرب ولا تسرع إليها مختارة ، بل تعمل فى شتى مرافق الحياة بنشاط أى نشاط . أقصد السلام الذى يشعر به المجاهد الذى ناضل طويلاً ، وأدرك ما أراد ، ثم هدأ واستقر ليستريح وينعم بمزايا السلام . هو سلام لا يعرفه الشاب بحال من الأحوال ، لأن الشباب يسبح فى غمرات متلاحقات . فهو يطمح ويطمع . وينهك نفسه ليكون فى الحياة شيئاً مذكوراً ، وليحصل على المال والمجد والشهرة . يطالع ويدرس فى نهم شديد ليعرف كل شيء . ويظل ريشة فى مهب العواطف العواصف : من حب وكره ، ورضا وسخط ، وأمل وألم . فيظل على الدوام مشرد القلب فى فرح يمازجه اضطراب ، أو فى حزن يلازمه اكتئاب ، إن أخطأ أو أصاب . ضع هذا كله فى كفة الخسائر للشباب ، وانظر ما يقابلها فى كفة المكاسب للكهولة . ترى الكهل ينعم بمزية التحرر والخلاص : التحرر من قيود كانت فى الشباب ثقيلة ، والخلاص من جهود كانت مضنية . لأنه أدرك ما أراد ، ويئس فى الغالب من إدراك البعض الآخر . واليأس إحدى الراحتين ...

لهذا أرانى أشد ما أكون اغتباطاً بالكهولة . لأنها خلصتنى

---

(١) رمز للتحقير على الشباب العابث المستهتر الذى جعل اللذات غرضه الوحيـد من الحياة .

من مطالب كانت على نفسى ثقيلة الوطأة شديدة الإلحاح . ولأنها منحتنى القدرة على خدمة بلادى على وجه معين ظاهر الأثر معروف الدائرة . كما منحتنى القدرة على إسعاد من حولى على وجه أدق وأشمل . وفى هذا كله أنسٌ للروح وغبطةٌ للنفس ، ليس إلى وصفهما من سبيل .

وأخيراً ما هذا الهدوء النفسى الفريد الذى يملأ صدرى فى الكهولة ؟ أهو وليد الثقة بالنفس بعد طول التجارب على مر الأعوام ؟ قد تحدث الآن أمور مروعة فأتألم لها من غير هلع أو جزع . وأرانى أتحمل الألم فى جلد وصبر وإيمان . لماذا ؟ لست أدرى . وإنما أدرى أن هذا سلاح للروح معدوم النظير ، لا يعرفه الشباب الذى تراه من هول كل صدمة يطير .

هو هدوء أشبه بالهدوء الذى يلى العاصفة : هدوء يطلق النفس من عقالها ، ويفتح أمام العقل آفاقاً لم يكن يراها . وياله من هدوء مريح حين أخلو إلى نفسى فى مقعدى الوثير ، أطالع ما أشاء كما أشاء ، أو أفكر فيما أشاء عند ما أشاء ، أو أرجع إلى ذخائر الذاكرة أستثير منها ذكريات الماضى البعيد أو القريب ، وإنها لمفعمة بالأسرار ، بعضها خاص لا يذاع ، وبعضها عام سوف ينشر يوماً من الأيام . حينذاك يستقر رجل الأسرار مبتسماً هادئاً فى مكانه المختار ، ثم يتنفس فى عمق واسترخاء وسكون . ياله من شعور لذيذ كامل الصفاء . هيهات هيهات للشباب أن يدرك مداه أو يفهم معناه ؛ لأن الشباب كما قلت دائب الحركة ، يعدو ويلهث وراء متع ليس فيها رى ولا شبع ، ووراء فرص الحياة يطاردها فى حماسة الصبا ، وخلابة المطامع وسراب الغايات . . .

هذا هو الشباب . وهذه هى الكهولة .

فوداعاً يا شبابى فقد كانت سعادتى بك أضعاف ألمى منك !

ومرحباً بالكهولة فقد سعدت بمقدمها ، واستبشرت بطلائع ثمارها ، وأصبحت لا أقوى على فراقها الآن . ورحم الله المتنبى الذى قال :

خُلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا ... لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

محمد كامل سليم

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٣ـ الشوقيات

للدكتور زكي مبارك

توت عنخ آمون — لعنة الفراعنة — حقيقة أغرب من الخيال — بين حافظ وشوقي — بين الظلم والدلل — أحقاد المبقرين — ألاعيب الحظوظ — توضيح — النونية الآمونية — ثورة الجبل — خلاصة البحث

توت عنخ آمون

في الجزء الثاني من الشوقيات قصيدتان في توت عنخ آمون ، ولهاتين القصيدتين قيمة عظيمة ، فقد صرّح شوقي نفسه أن أعظم قصائده هي النونية الآمونية :

درجتْ على الكنز القرون وأتت على الدَّنّ السنون

أما حافظ ابراهيم فكان يرى أن أعظم قصيدة نظمها شوقي هي البائية الكارنارفونية :

في الموت ما أعيا وفي أسبابه كل امرئ رهنٌ بطي كتابه

فما حديث هذه القصائد الجياد ؟

كان اللورد كارنارفون من المولعين بالآثار المصرية ، وقد سمح له غناه أن ينفق على الحفريات بسخاء ، فكلّف المستر كارتر أن يحفر في « وادي الملوك » بالأقصر عساه يهتدي إلى مقبرة لم يهتد إليها اللصوص في العصور الخوالي

وبعد متاعب كادت تودي بصبر اللورد كارنارفون عثر المستر كارتر على مقبرة توت عنخ آمون في سنة ١٩٢٢.

وقد التفت الباحثون من الأوربيين والأمريكيين إلى هذا الكشف أعظم التفات وقُدِّمت التهاني إلى كارتر وكارنارفون من الهيئات العلمية في الغرب والشرق ، ودُعيت الصحافة إلى معاينة ذلك الكشف الخطير فذهب لمعاينته ثلاثة من الصحفيين : زكي مبارك مندوباً عن جريدة الأفكار ، والدكتور هيكل مندوباً عن جريدة السياسة ، والأستاذ المازني مندوباً عن جريدة الأخبار

ولن أنسى أن المستر كارتر حدثنا عن السبب في نقص بعض محتويات المقبرة ، وكان الرأي عنده أن أيدي اللصوص قد امتدت إليها في عهد « الأسرة العشرين » فكتبتُ في « الأفكار » أقول إني أرجح أنها سُرقت في « القرن العشرين » ولم يفت مراسل « التيمس » أن يُبرق إلى جريدته بهذا التلميح ، فنشرته بدون تسويف ، لتداعب به اللورد كارنارفون ، وكانت النتيجة أن يمتنع المستر كارتر عن السماح للصحفيين بزيارة المقبرة ، ولهذا الامتناع صدًى في شعر شوقي سنشير إليه قبل ختام هذا الحديث .

لعنة الفراعنة

هنالك خرافة تقول بأن الفراعنة يلعنون من ينبش قبورهم بعد الموت . ولهذا الخرافة أصل ، فقد وُجد على كثير من القبور المصرية والكلدانية دعواتٌ حِرَار على من ينبشون قبور الملوك . وفي القبور المصرية ما يسمّى « الرَّصَد » وهو تمثال يقام في مدخل القبر لتخويف اللصوص ، وهو حقًّا مخيف ، لأن القدماء كانوا يتوهمون أنه مزوّد بالروح وبالسلاح ، وأنه يقتل من يدخل القبر بدون استئذان . وهل يستأذن اللصوص ؟ !

فماذا صنعت لعنة الفراعنة باللورد كارنارفون ؟

أبرقَ إليه المستر كارتر فحضر على عَجَل ليشهد الكشف الجديد ، وبعد أيام لسعته بعوضة وهو نائم في خيمة بجوار المقبرة فمات .

حقيقة أغرب من الخيال

كان اللورد كارنارفون أهدى إلى بنت ملك الإنجليز عقداً من العقود المصرية القديمة ، ففرحت به فرحاً عظيماً ، وأثابت مهديه أجزل الثواب ، فلما سمعت أن بعوضة لسعته فمات نزعت العقد من جيدها لئلا تلحقها لعنة الفراعين !

وفي قصة البعوضة يقول شوقي :

صادت بقارعة « الصعيد » بعوضةٌ في الجوّ صائدَ بازه وعُقابه

وأصاب خرطومُ الذبابة صفحةً خُلقت لسيف الهند أو لذُبابه

طارت بخافية القضاء ورأرأتْ بكريمتيه ولامستْ بلُعابه

ثم يعلل شوقي تلك الحادثة تعليلاً علميًّا فيذكر أنها من نتائج الوهم الذي يُضعف الأعصاب :

لا تُسمعنّ لعُصبة الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكِذابه

الروح للرحمن جلّ جلالُه هي من ضنائن علمه وغيابه

غُلبوا على أعصابهم فتوهموا أوهام مغلوبٍ على أعصابه

بين حافظ وشوقي

كان التنافس بين حافظ وشوقي قد وصل إلى أبعد الحدود ، وزاد فى خطر ذلك التنافس أن حافظاً كان رجلاً عذب الروح ، وكانت له مع الصحفيين صلات يؤرّث بها أحقادهم على شوقي حين يشاء

وما أذكر غلبة شوقي على حافظ إلا تعجبت . فقد كان حافظ غاية فى الذكاء واللوذعية ، وكان علمه بتاريخ العرب وآدابهم علماً يفوق الوصف ، وكان فهمه لدقائق الحياة المصرية أعجوبة الأعاجيب ، فكيف تفوّق عليه شوقي وكان رجلاً يدل مظهره وحديثه على أنه فردٌ من سواد الناس لا يمتاز بعبقرية ولا نبوغ ؟

أكاد أجزم بأن « شهوة الحديث » هى التى أضعفت شاعرية حافظ ، فقد كان كثير الحديث ، وبالحديث وصل إلى ألوف القلوب ، وبالحديث ضاع ، لأن الحديث يأخذ من القُوى النفسية طاقات لا تَصلُح بعدها للغناء

لو أن أحاديث حافظ دُوّنت لكان فيها ثروة فكرية تفوق ما ترك شوقي من الثروة الشعرية ، ولكان من الممكن أن يعدّ من أقطاب التاريخ الأدبى فى هذا الباب ، ولكن هذا الزمن لا تتسع تقاليده الأدبية لمثل ما كانت تحرص عليه عناية القدماء فى أمثال هذه الشؤون

أما شوقي فكان يؤثر الصمت ليحتفظ بالدّخر من قواه النفسية ، وليَلقَى الناس بالقصيد لا بالحديث ، فظفرت جهوده بالخلود .

كان حافظ يحدّث من يلقاه بإطناب وإسهاب ، فلا ينقضي اليوم إلا وهو متهالك من فرط الإعياء . وكان شوقي يهرب من الناس حين يشرع فى النظم ، فلا تراه إلا هائماً على وجهه من طريق إلى طريق ، وفى حال تنذر بالجنون !

كان حافظ يطيل محاورتى حين كنت موظفاً بدار الكتب المصرية فى سنة ١٩٢٥ ، فبدا للمرحوم أحمد نسيم أن يدلني على أحد مقاتله النفسية ، فحدثنى أن أعظم ما يغيظ حافظاً أن تخبره أنك رأيت شوقي ينتقل من ترام إلى ترام وفى يده سجارة وعلى وجهه أمارات الذهول .

وحملنى النزق على تجربة هذه الوصية ، فأخبرت حافظاً أنى رأيت شوقي كثير التنقل فى الشوارع ، وفى حال يغلب عليه الانفعال ، فصرخ حافظ : فى أى غرض يعالج الشعرَ هذا المخبول ؟ إنه يكره أن يقترن اسمي باسمه ، مع أن الناس ظلوا يقولون فى أكثر من عشرين سنة : شوقي وحافظ كما يقولون : بيض وسميط !

بين الظلم والعدل

كانت الأقدار سمحت بأن تنعقد بيني وبين شوقي مودةٌ دامت نحو سنتين . وفى تلك الأيام عرفت من أحوال شوقي أشياء وأشياء . ومن المؤكد أنه من أعاظم الرجال الذين عرفتهم فى حياتى ، فقد كانت أستاذيته فى نقد المجتمع مضرب الأمثال ، وكان روحه من ألطف الأرواح ، وفى لحظة من لحظات الحوار حول مقاصد الشعراء سألته عن قصيدة حافظ فى مجاوبته ، وهو منفيٌّ بالأندلس ، فأجاب وقد تربدّ وجهه بالغيظ : أنا لا أروى غير شعرى !

فقلت : ومن الوفاء للأدب أن تروى شعر من يناجيك وأنت غريب !

وفى اليوم التالى لقيت حافظاً فسألته برفق : أتحفظ شيئاً من شعر شوقي ؟ فأجاب : لقد قتلنى شوقي حين قال فى اللورد كارنارفون :

أفضَى إلى ختم الزمان ففضّهُ   وحبَا إلى التاريخ فى محرابهِ
وطوى القرونَ القهقَرى حتى أتى   فرعونَ بين طعامهِ وشرابِه

أحقاد العبقريين

ومع هذا فأحقاد العبقريين كأحقاد الأطفال تذوب بعد ليال . ففى سنة ١٩٢٧ أقيمت حفلة عربية لتكريم شوقي ، فأنشد حافظ قصيداً جاء فيه :

أميرَ القوافى قد أتيت مبايعاً   وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

فدعاه شوقي وقبّل جبينه والدمع فى عينيه . . . ثم شاء القدرُ أن يموت حافظ قبل شوقي بأسابيع ، فقال شوقي يبكيه :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى   يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقتَ وكل طول سلامة   قدَرٌ ، وكل منية بقضاء
ووددت لو أنى فداك من الردى   والكاذبون المرجفون فدائى
الناطقون عن الضغينة والهوى   الموغرو الموتى على الأحياء
من كل هدّامٍ ويبنى مجدهُ   بكرائم الأنقاض والأشلاء

ماحطّموك وإنما بك حطّموا | من ذا يحطّم رفرفَ الجوزاء
أنظرفأنت كأمس شأنك باذخٌ | فى الشرق واسمُك أرفع الأسماء
بالأمس قد حلّيتنى بقصيدة | غرّاء تُحفَظُ كاليد البيضاء
غِيظَ الحسود لها وقمت بشكرها | وكما علمتَ مودتى ووفائى

وهى أعظم قصيدة قالها شوقى قُبَيْل الموت . ولعلها خير ما جاد به خاطره برفق وحنان[1]

أعاجيب الحظوظ

مات حافظ وشوقي فى موسم واحد هو صيف سنة ١٩٣٢ فارتجت الأقطار العربية لموت شاعرَين كانت إليهما قيثارة الغناء فى أعوام تزيد على الثلاثين

وفى خريف تلك السنة بدا لإحدى شركات السجائر أن تخرج عُلبة باسم شوق وعلبة باسم حافظ ، فجعلت ثمن العلبة الأولى خمسة قروش وثمن العلبة الثانية أربعة قروش !

وسعيد الدنيا سعيد الآخرة ، كما يقول المصريون !

توضيح

لهذا الاستطراد غاية ، هى خلق جو يفسر ما كان بين شوق وحافظ ، ولها مجال فى مسابقة الأدب العربى لهذا العام السعيد . وما يليق بأديب أن يجهل ما كان بين حافظ وشوق من مصاولات عادت على الشعر بأطيب الثمرات

النونية الآمونية

مراجعة هذه القصيدة بتأمل وتدقيق ترينا كيف قال شوق إنها أعظم ما خطته يمناه ، فقد حاور الحياة وحاور الوجود بأسلوب الأديب الفيلسوف ، وزعم خياله أن الموتى لو شعروا بما فى قبر ذلك الملك لنبشوه بدون استحياء ! ثم مضى فصوّر حياة ذلك الفرعون فى حدود التصاوير المرسومه بجدران قبره المطموس

والتلطف مع شوقي لا ينسيني واجب النقد الأدبى ، وهذا الواجب يدعونى إلى النص على أن شوقي أسرف فى وصف مقبرة توت عنخ آمون ، فقد ذكر لها خصائص غير حقيقية ، خصائص لم ترها عيناى حين زرتها قبل عشرين عاماً ، ولعل شوق لم يرها بعينه قبل نظم هذا القصيد ، وإنما تمثّل ما رآه فى بعض المقابر الفرعونية فقال ما قال بلا تحفظ ولا احتراس

ثورة الجيل

فى هذه النونية تحدّث شوق عن عصر توت عنخ آمون وعدّه عهد « الفرد اللعين » ليجوز له فى قصيدة ثانية أن يقول إن الدستور جمل عصره دون عصر « فؤاد »

والقصيدة الثانية تحفة أدبية تخيل فيها الشاعر أن توت عنخ آمون :

سافرَ أربعينَ قرناً عدّها | حتى أتى الدار فألفَى عندها
إنجلترا وجيشها ولُرْدها | مسلولة المندىّ تحمى هندها
قامت على السودان تحمى سدّها | وركزت دون (القناة) بَندها
فقال والحسرةُ ما أشدّها | ليت جدار القبر ما تدهدها
وليت عينى لم تفارق رَقْدها | قم نَبِّنى يا بَنْتَئورُ ما دها
مصرُ فتاتى لم تُوقّر جدها | دقت وراء مضجعى جزْ بندها
وخلطتْ ظباءها وأسدها | وسكب الساقى الطلا وبَدّها
قد سحبتْ على جلالى بُردها | ليت جلال الموت كان صدها

وهذا شعرٌ يفسده الشرح ، وهو أيضاً شعر لا يقوله غير شوق إمام الصياغة الشعرية ، وأصدق من تغنّى بأمجاد النيل

وفى هذه القصيدة نصّ شوقي على أن :

مصر الفتاة بلغت أشُدّها | وأثبت الدم الزكىّ رُشدها
ولعبتْ على الحبال وحدها | وجربتْ إرخاءها وشدها
فأرسلت دهاتَها ولُدّها | فى الغرب سدوا عنده مسدّها
وبعثتْ للبرلمان جندها | وحشدتْ للمهرجان حشدها

ثم أشار إلى معارضة المستر كارتر فى زيارة المقبرة فقال يخاطب الفرعون :

لحدكَ ودّته النجومُ لحدها | أريتنا الدنيا به وجدّها
سلطانَها وعزها ورغدها | وكيف يُعطَى المتقون خُلدها
أبوابك اللائى قصدنا قصدها | كارترُ فى وجه الوفود ردّها
لولا جهودٌ لا نريد جحدها | وحُرمةٌ من قربك استمدّها
قلتُ لك اضربْ يده وقُدّها | وابعث له من البعوض نُكدها

والقارئ يفهم أنه يشير إلى البعوض الذى صرع اللورد

(١) كان شوق فى أخريات أيامه مصاباً برعشة عنيفة تتمثل فى اضطراب يديه بدون انقطاع ، ومع هذا فقصيدته فى رثاء حافظ لا تدل على تعب ولا إعياء . أما آخر قصيدة نظمها شوق فهى قصيدته فى افتتاح مصنع مشروع القرش برياسة الدكتور على باشا ابراهيم ، وبعد أن صفق المحتفلون وأطالوا التصفيق لقصيدة شوق كان زادهم عند الانصراف أن يتلقوا ملحقاً لجريدة الجهاد تنعى به شوق ، فعرفوا أن تصفيقهم كان تحية تلقاها الشاعر وهو على سرير الموت ... يرحمك الله يا شوق !

كارنارفون ، وهو بعوض ظالم ، فقد حدثنا شوقي في البائية أن اللورد كارنارفون أهدى إلى توت عنخ آمون هدية أعظم من الهرمين ، لأنه عرّف به أمماً لم يعرفها عصر الفراعين . ألم تكتب فيه عشرات البحوث في بلاد الأمريكان ؟

خلاصة البحث

قد فرغت من الكلام عن عيون الجزء الثاني من الشوقيات في الحدود التي يسمح بها الوقت ، وإني لواثق بأن هذه الإشارات تكفي لهداية المتسابقين إلى اجتياز الامتحان بأمان

ولكن الواجب يحتم عليّ أن أشير على الطلبة بأن يسألوا أساتذتهم عما فاتني النص عليه ، فقد يكون في أساتذتهم من هو أعرف بسرائر الشوقيات

وقد سكت عن سينية شوقي في معارضة سينية البحتري ، لأني تحدثت عنها بإطناب في كتاب « الموازنة بين الشعراء » وأنا أكره الحديث المعاد

أما بعد فما خلاصة هذا البحث ؟

هو إشارات ورموز لا ينتفع بها غير من يقرأ الشوقيات بإمعان . والنقد الأدبي توجيه لا تلخيص . والله وليّ التوفيق

زكي مبارك

مرسلات مع الريح

نعش وباب

للأستاذ إسماعيل مظهر

نحو الشمال ... وسرنا في ليل مُعتم ، والمطر ينهمر كأنّ السماء تحاول أن تدكّ بمائها النمر ذلك الأديم الذي تنزلق من فوقه حوافر الجياد

مال ميزان النهار ، واكتهل اليوم الخامس عشر من شهر يناير سنة ١٩٣١ ، قبل أن ندلف بجيادنا في قفر سَبْسَبٍ في شمال الدقهلية وقصدنا بلدة يقال لها « غرور » . وكان ثلاثتنا في صمت مُحزن ، فلا ينبس أحدنا ببنت شفة . وكنّا في حالة ترقب بعد أن انحدرت الشمس نحو المغيب ، وأرسلت من خلال فجوة في السُّحُبِ الدُّهم ، غلالة حمراء من غلائلها التي تتيه بها في أشهر الشتاء

وهبّ ريح لافح تضرب وجوهنا بألسنة من الزمهرير ، وتعصف بشجيرات من الطرفاء هنالك ، فتسمع لها نواحاً أشبه بأنين البوم يتداعى ويتجاوب

وقد تراكب في السماء سحاب من فوقه سحاب ، وانحدرت نحونا سحابة كأنها المداد ، تخيل إليّ أنها قضاء الله في الظالمين ، ينحدر إلينا متثاقلاً وفي تمهل العالم بأنه لا بد من أن يصيب حيث يرمي . ولم تلبث أن رمتنا بذلك السيل المنهمر

مدّت الجياد أعناقها نحو الأرض لتتقي بذلك انهمار المطر ، وراحت تمشي حذرة متلكئة . فالأرض سبخة والطريق وعرٌ ، وقد استحال آلافاً من البرك الصغيرة ، في كل منها منزلق ، وفي كل منها مهواة ؛ حتى لقد تذكرت في تلك الآونة جنة ذلك الرجل الذي كفر بربّه ، فأصبحت صعيداً زلقاً

وأين نحن من «غرور» ؟ إنا منها على عشرة فراسخ ، في ليل ممطر شديد السواد ، قارس البرد ، قَرّ الرِّياح . وقد ابتلت ثيابنا وأخذ الماء يسري فيها ، كما تسرى الخمر في أعصاب المنتشين ، حتى إذا بلغ جلودنا مضينا ننتفض ملتزمين ذلك الصمت الرهيب

ذلك القفر السَّبْسَب ملك لحكومتنا . وقد تبلغ مساحته آلافاً وآلافاً من الأفدنة ، لا يؤنسه غير نبات البَرْدي ينبت حيث يجتمع المياه ، ونبات الطَّرْفاء يحتل نَبَكاته المرتفعة ، مُتشبِّثاً بها وكأن كل نبتة منه غريق في لُجٍّ مائج

وكنتُ أعرفُ أنّ في جوفِ ذلك القفر مقاماً لِوَلِيٍّ من أولياء الله ، شاده هنالك جماعة من مريديه ، وأقاموا إلى جانبه مسجداً ، فأخذت تتناثر من حوله القبور : قبور أولئك الذين يوصون بأن يدفنوا بمقربة من وليّ الله زلفى إلى الآخرة . وكنت أعلم أن لذلك المسجد حارساً يضيء فيه ، إذا جن الليل ، مصباحاً يهتدى به في ذلك القفر من تدهمهم مثل تلك الليلة الليلاء

رميت بصري في جوانب ذلك القفر ، وقد ضللنا طريقنا ، وأخذت الجياد تضرب بنا في نواحيه ضرب المتخبط الذهول ، أتطلّع لعلّي أقع على شعاع ذلك الوليّ الكريم . وأنّا للبصر أن يهتدي في تلك الظلمات الهابطة علينا كِسَفاً ؟

ولكن الصمت الذي لزمناه قد انتهى أجله ؛ فقد تحرك لسان كبيرنا بكلمات وسمعته يقول إنه يرى ومض مصباح إلى الشمال منا . إذن فإلى الشمال

وانتحينا بجيادنا نحو الشمال ، وحثثناها على المسير . ولكن

أين الوميض ؟ لقد أخفاه الليل أو عصف به عاصف من الريح . وخيّل إليّ أن ذلك الوميض الذى لاح لكبيرنا ليس إلا سراب الليل ، أو أنه الوهمُ ضخّمه الأملُ فى النجاة من الليل والماء والرّياح . وثبتُّ نظرى نحو الشمال وحدقت تحديقاً تراءت معه لناظرى أشباح غريبة ، وطيوف تبدو وتخبو كأنها فى صراع ، وشعرت أنى أميل وأترنح من فوق جوادى ، وأن يداً خفية تأخذ بأطراف معطفى وتجذبنى إلى الوراء ، فأعتدل فى سرجى وأثبت من ركابى لأستوثق من محلى ، وأنى على ظهر الجواد ، ومازلت مالكا حواسى . غير أن كل هذه الخيالات قد تبددت فجأة لما أن وقع بصرى على لمع ذلك القبس الخافت المريض الذى تراءى لصاحبى من قبل ، ثم اختفى فى جوف ذلك البحر اللجى من الليل ومن الماء ومن الرياح . وكنا كلما ضربت بنا الجياد فى جوف ذلك القفر الأملس المجرود ، توالت ومضات ذلك القبس الذى علقنا عليه الأمل ، وربطنا حياتنا بتراوحه بين الظهور والخفاء . حتى إذا كنا بمقربة منه عرفنا أنه مصباح ولىّ الله يتلاعب به الريح العاصف فيتنوّح رواحاً وجيئة ، وقد علا جوانبه سواد كاد يخفى عن الأبصار ومضاته الضئيلة .

بلغنا عتبة المسجد القائم هنالك فى فجوة من فجوات ذلك الفضاء الترامى وحيداً كأنه الأمل البائس العريض فى وحشة الفراق . وكنت أول الواثبين إلى الباب أعالج اقتحامه إلى الصحن فإذا بالباب مغلق ، ومن دونه دريئة هى نعش من خشب يحمل الموتى إلى أول السفر وآخر المَعاد .

جمدت هنالك ذاهلاً عن جوادى وعن صاحبى أتأمل النعش ومن ورائه الباب . فكل من يحمل فى ذلك النعش ، لا بد له من أنه يجتاز ذلك الباب . فإذا جاوزه ، فإلى سفر الأبد المديد . الباب والنعش . ثم صلاة تقام تكفيراً واستغفاراً ، فإذا دلف به الدالفون نحو الحفرة العميقة ، فقد دلفوا به ليسلموه إلى الآخرة ، ثم فلسفة فى شعر :

نُطوِّف ما نُطوِّف ثم نأوى ذوّو الأموال منّا والعديم
إلى حفر أسافلُهنّ جرف وأعلاهن صفّاح مُقيم

ثم تأملات رهين المحبسين :

سأفعل خيراً ما استطعت فلا تقم علىّ صلاة يوم أصبح هالكا
فما فيكم من خيِّر يُدّعى به يُفرِّج عنى بالمضيق المسالكا

ومن ذا الذى أستنجد به هنالك ليفرج عنى فى ذلك المسلك الرهيب : النعش ومن ورائه الباب . ليس ثمة من شىء غير عزيمتى . وأنا حى بينى وبين النعش والباب شقة ، بُعدها بُعدَ الشرق من الغرب:

والشرق نحو الغرب أقرب شقة من بُعد تلك الخمسة الأشبار

فأزحت النعش جانباً ، واقتحمت الباب ، فإذا الظلام مخيم على صحن المسجد والرياح حيرى فى جوانبه ، تهدّ منحدرة من منافذه العليا ، فتدور مُتلوِّية ، ثم تندفع نحو الباب ، كأنها أسير أفلت من قيود الحديد :

تمشى الرياح به حَيْرى مدلّهة حسرَى تلوذ بأكناف الجلاميد

خلعت معطفى وألقيت به جانباً ، وجلست مسنداً ظهرى إلى الجدار البارد القرور ، وما لبث كبيرنا أن انتحى موضعاً آخر ، ثم التفت إلىّ وقال :

« إذا بزغت الشمس يَمّمنا نحو (غرور) ، فقابلنا عمدتها ووجهاءها ، واستوثقنا من أنهم سوف يعضدوننا ، ثم انحدرنا نحو « زفر » فنأخذ على أهلها المواثيق ونقيِّدهم بالعهود ثم ... »

غير أنه لزم الصمت إذ بادرته بسؤال لم يكن يتوقعه من فتى ينتمى إليه بروابط الرحم : فصرخ مهتاجاً :

« ألم تر كيف صار فلان عضواً بمجلس النواب ، وفلان عضواً بمجلس الشيوخ ، وفلان وكيل وزارة ، وليس منهم من يدانينا جاهاً وثروة . إنك ما تزال جاهلاً بأمور دنياك فاسكت وأطع »

قلت نعم إنى أصغر منك سناً ، وربما كنت أقل تجربة ، ولكنى سأصارحك برأيى فيمن ينبغى أن تكون لهم هذه المراكز العليا : هى ياسيدى لمن يُقالُ له هِيَ لك ، لا لمن يَقولُ هى لى . هذه هى الحقيقة برغم القوانين ، وبرغم الشرائع ...

ثم لزمت الصمت ولزمه . حتى إذا تنفس الصبح وبان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، عمدت إلى معطفى المبلل فوضعته فوق كتفى ، وهَمَمتُ بالخروج من المسجد ، فنظر إلىّ صاحبى نظرة تساؤل فلم آبه به ، ولم أحفلْ بما نمّت عنه نظراته ، بل ألقيت على الباب نظرة وعلى النعش أخرى ، وكأنما يُحدِّثهما قلبى هاجساً : عندكما يقف كل مغرور بدنياه

وامتطيت جوادى . وأدرت وجهه نحو الجنوب ، ومضيت أضرب فى ذلك القفر ، ولكن إلى عُشى ، إلى زوجى وأولادى ؛ إلى موضع حبى وحنينى . إلى من هم لعينى النور ، ولقلبى الرجاء ، ولحياتى الأمل ، ولنفسى الطمأنينة . إلى وكرى الصغير الذى أصبح لى فى جنبات هذه الدنيا الصماء الغَرُور ، بمثابة البيضة والعش ، والسكن والوطن والكون

اسماعيل مظهر

من أطرف ما قرأت

ميليزاند الأميرة

للأستاذ صلاح الدين المنجد

تمثلتُها في قصرها الضاحك ، فوق صخور الشاطئ ، رافعة يدها تومئ « أن هلموا إليّ ... أنا ميليزاند ، أنا الأميرة الحسناء ! »

إنها أسطورة ملؤها الخيال والجمال ، والمغامرة والشعر ! إنها حلم زاهٍ رفّاف ، ومعنى بعيد بعيد !

في بلدة هادئة من « بلاي » كان « روديل » الفتى الجميل ، ذو الجسم القوي ، والوجه الصبيح ، يرسل أشعاره اللائي بالشجو والحب والأنين . لقد كان يحب ميليزاند الحلوة كالصبح ، المشرقة كالنور ، الرفافة كالورد . فكان يتمثلها في خاطره ، ويداعبها في خياله ، ولا يستطيع أن يراها . ما أبعدها عنه ...! هي في الشرق المسحور القاصي ، وهو في « بلاي »

ولم يطق صبراً عنها ، فقد كانت نفسه ناعمة يهزها كل شيء ويؤثر فيها كل شيء . كانت كالقيثارة تمر عليها النسمة الخفيفة ، فتترك وراءها نغمة مطربة أو هزجة ناعمة

وكان يرسل أشعاره في هدأة الليل ، تحت القمر . وكان يحب تغريد العصافير ، فإذا سمعت ذكرته حبه البعيد . يقول :

« عند ما تطول أيام مايو ، تلذ لي أغرودات العصافير . فإذا سمعت هاجت في قلبي ذكرى حب بعيد . فأعود مفكراً مطرقاً ، فلا أناشيد الرفاق تُفرح القلب الحزين ، ولا رفيف الزهر يبهج النفس الكلوم

« أي فرح سيشرق في نفسي عند ما أراها وأطلب أن تضيفني ! سأسألها الضيافة ، بالله ، وبالغربة . وعندئذ ، ياما ألذّ أحاديث العاشق البعيد ، بقرب الأميرة البعيدة . وهو ينعم بصفاء عينيها الحلوتين »

« ثم ... ثم أتركها ، واحسرتاه ، حزنان أو فرحان ، راضياً أو كارهاً ، فلا أراها أبداً !

« لن أنعم بالحب إن لم أنعم بها ، لأني ما رأيت سيدة أنبل ولا أحسن منها ... ! آه ، ياليتني كنت عبداً لها !

« اللهم يا من خلقت كل شيء ... كل ما يموت ويحيا ، صل أسبابي بأسبابها ، في أي مكان شئت ! »

تلك كانت أغانيه . إن فيها حنيناً ولوعة ، كأنها نغمات من نغمات مالارميه أو فيرلين

وما زال (روديل) يسعى حتى سافر مع أهل الصليب . وقطع طريقه يغني ، ويمني نفسه بحلاوة اللقاء . وما كادت الباخرة تقرب من طرابلس حتى فاض سروره وزاد وجده . لقد كاد يرى ميليزاند ! وها هو ذا قصرها ينادي الناس . فيغلب عليه الوجد ، ويطغى عليه الفرح ؛ فيميل ويمرض ، ويحمل إلى المدينة ، ويوضع في كوخ حقير ، وهو يلفظ أنفاسه

وأسرعوا إلى الأميرة الحسناء فحدثوها عنه « لقد كان يغني مع الموج أغنيات حبه ، وكان ما يفتأ يلهج باسمك ويسبح بجمالك ... » فخفت إليه . ولما اقتربت منه ، وأسندت إلى صدرها رأسه ، دبت في جسمه الحياة ففتح عينيه ، وأرهف أذنيه ، وتدفق الدم في خديه ، وجلس يسمعها أشعاره ، ويؤنسها بأغانيه فتطرب ميليزاند ، وتنحنى فتقبل بثغرها الريان فمه وشفتيه

وعجب الناس من الأميرة كيف تحيي الموتى ، وعجبوا من العاشق الميت كيف يحيا ...؟

وما أشبه ميليزاند ، بمحبوبة الأعشى التي قال فيها :

لو أسندت ميتاً إلى صدرها عاشَ ولم يُنقلْ إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر !

وأخذ (روديل) يحدثها عن تهيامه وتحنانه ، وأخذت تطرفه بأعذب الأحاديث ، حتى إذا قص عليها كل شيء وأسمعها كل شيء ، عاد ، فأغمض عينيه ... ومات

وأعجب الناس بروديل ، وجعلوا حبه أسطورة . فرنّت في أوربة ودوت ؛ وهام الناس بالشرق . وجعلوا الأميرة ميليزاند رمزاً ... وصوروها واقفة على شاطئ البحر ، بين يدي الأمواج تنادي الأمراء ، وتنادي الملوك ، وتنادي الناس « تعالوا وانظروا إلى الأميرة البعيدة ... تعالوا إلى البلاد المقدسة »

صلاح الدين المنجد

٣ - خـــزانة الرءوس

فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأســتاذ ميخائيل عواد

(ز) رأس بدر مولى المعتضد :

كان سبب قتله على ما أجمعت عليه الروايات ، أن الوزير « القاسم بن عبيد الله كان همّ بتصيير الخلافة من بعـد المتضد فى غير ولد المعتضد ، وأنه كان ناظر بدراً فى ذلك ، فامتنع بدر عليه وقال : ما كنت لأصرفها عن ولد مولاى الذى ولى نعمتى . فلما رأى القاسم ذلك وعلم أنه لا سبيل إلى مخالفة بدر ؛ إذ كان بدر صاحب جيش المتضد والمستولى على أمره والمطاع فى خدمه وغلمانه ، اضطغنها على بدر . وحدث بالمعتضد حَدَثُ الموت وبدرٌ بفارس ، فعقد للمكتفى عقد الخلافة وبايع له وهو بالرَّقة لما كان بين المكتفى وبين بدر من التباعد فى حياة والده ... فقدم بغداد المكتفى وبدر بفارس ؛ فلما قدمها عمِل القاسم فى هلاك بدر ... »[١]

قال المسعودى : « ... فلما امتنع عليـه أحضر أبا عمر محمد ابن يوسف القاضى فأرسل به إلى بدر فى شذاء (قلنا : الشذاء والشذاة والشذاوة ؛ تجمع على الشذَاءات والشذوات : ضرب من السفن النهرية الصغيرة فى العصر العباسى) فأعطاه الأمان والعهود والمواثيق عن المكتفى ، وضمن له أنه لا يسلّمه عن يده إلا عن رؤية أمير المؤمنين ؛ فخلّى عسكره وجلس معه فى الشذاء مصعدين ، فلما انتهوا إلى ناحية المدائن والسيب تلقّاه جماعة من الخدم ، فأحاطوا بالشذاء ، وتنحى أبو عمر إلى طيّار فركب فيه ، وقرب بدر إلى الشط وسألهم أن يصلى ركعتين وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من (شهر) رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال من ذلك اليوم ؛ فأمهلوه للصلاة . فلما كان فى الركعة الثانية قُطعت عنقه وأُخِذَ رأسه لحمل إلى المكتفى . فلما وضع الرأس بين يدى المكتفى سجد وقال : الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ... »[١]

وزاد الطبرى على ذلك قوله : « ... وورد الخبر على المكتفى بما كان من قتل بدر ... فرحل منصرفاً إلى مدينة السلام ، ورحل معه من كان معه من الجند ، وُجِّه برأس بدر إليه ؛ فوصل إليه قبل ارتحاله من موضع معسكره ، فأمر به فنُظِّف ورفع فى الخزانة »[٢]

(ح) رأس الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان ابن وهب . بن أبى علىّ بن مقلة

قصة هذين الوزيرين إحدى عبر الدهر . قال ابن الطقطقَى فى الحسين بن القاسم أنه « لم يكن بارعاً فى صناعته ، ولا شكرت سيرته فى وزارته ، ولم تطل له المدة حتى عجز واختلت الأحوال عليه ... ، ولما ظهر للمقتدر نقصه وعجزه ؛ قبض عليه وصادره ، ثم بقى إلى أيام الراضى وأُبعد عن العراق . فلما تولى ابن مُقلة الوزارة ؛ تقدم بقتله ، وأرسل إليه من قطع رأسه ، وحمل رأسه إلى دار الخلافة فى سفطٍ[٣] ، فجمل السفط فى الخزانة ، وكانت

---

(١) تاريخ الطبرى (٣ : ٢٢٠٩ — ٢٢١٠) ، وانظر (٣ : ٢٢١٠ — ٢٢١٣)

(١) مروج الذهب (٨ : ٢١٧ — ٢١٨) ؛ وراجع المنتظم (٦ : ٣٥ — ٣٦)

(٢) تاريخ الطبرى (٣ : ٢٢١٤)

(٣) السفط : محركة ؛ جمعه أسفاط . قال صاحب التاج (٥ : ١٥٣ ؛ س ف ط) : « الذى يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، وفى المحكم كالجوالق وفى غيره ، أو كالقفة . وهو معرب معروف قال ابن دريد : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى أحسبه عن يونس ، وأخبرنا يزيد ابن عمرو الغنوى عن رجاله ، قال : مر أعرابى بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يدفن فقال :

هلا جعلتم رسول الله فى سفط من الألوة أصدا ملبسا ذهبا

وفى حديث عمر (رضى الله عنه) : فأصابوا سفطين مملوءين جوهراً ، وعن معقل بن يسار المزنى (رضى الله عنه) أنه قال لما قتل النعمان بن عمرو ابن مقرن (رضى الله عنه) ، أرسلوا إلى أم ولده : هل عهد إليك النعمان ؟ قالت : سفط فيه كتاب ، فجاءت به ففتحوه ؛ فاذا فيه : فان قتل النعمان ففلان . قلت : وأنشد بعض الشيوخ لأبى حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسى الغرناطى :

تكتب العلم وتلقى فى سفط ثم لا تحفظ لا تفلح قط
إنما يفلح من يحفظه بعد فهم وتوق من غلط » اهـ

وبالفارسية « سبد » ، ومنه « سبد » بالتركية والكردية : (أنظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨٤)

وفى السفط وضع النبى موسى (عليه السلام) يوم كان طفلا . جاء فى سفر الخروج (٢ : ٣) : « ولما لم تستطع أن تخفيه بعد ؟ أخذت له =

لهم عادة بمثل ذلك . فحدّث أنه لما وقعت الفتنة ببغداد فى أيام المتقى ؛ أخرج من الخزانة سفطٌ فيه يد مقطوعة ورأس مقطوع ؛ وعلى اليد رقعة ملصقة عليها مكتوب : هذه اليدُ يدُ أبى علىّ بن مقلة ، وهذا الرأس رأس الحسين بن القاسم ، وهذه اليد هى التى وقّعت بقطع هذا الرأس . فعجب الناس من ذلك »[1]

٢ — حمل الرءوس إلى بغداد

كان حمل رءوس العصاة ، والخارجين على الدولة ، والفارين من وجه العدالة ، ومن جرى مجراهم ؛ إلى دار الخلافة العباسية ببغداد ، أصدق شاهد على الفوز والانتصار ، وكان هذا الأمر من الرسوم الجارية فى تلك الأيام ، فكانت بغداد تستقبل هذه الرؤوس بين حين وآخر ، فتدخلها مشهرة ، ثم يؤتى بها فتوضع بين يدى الخليفة ليشاهدها هو ورجال دولته ، وفى ذلك أمرٌ يبتغيه الخليفة . ثم إنها تنصب على المواطن البارزة من البلد كالجسور ، وأبواب دار الخلافة ؛ ليشاهدها كافة الناس فيعتبرون بها ومن ثمة تستقر فى خزانة الرءوس .

(ا) رأس خارجىّ ظهر ببلاد الحبشة

كان رأس هذا الخارجىّ من أوائل الرءوس التى حملت إلى بغداد ، فقد ذكر المقريزى أن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبى صفرة حج « فى سنة سبع وأربعين [ومائة] ، واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته ، وبعث جيشاً لغزو الحبشة من أجل خارجىّ ظهر هناك ؛ فظفر به الجيش وقدم رأسه فى عدة رءوس فحملت إلى بغداد ... »[2] .

(ب) رأس أبى الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبى دلف

انفرد أبو الليث بذبح نفسه بيده ، دون قصد أو تعمد . فقد جاء فى جملة حوادث سنة ٢٨٤ هـ أن فيها « ورد الخبر بقتل أبى الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبى دلف بسيفه لنفسه فى الحرب ، وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهراً فكبا به فرسه فذبحه سيفه ، فأخذ عيسى النوشرى رأسه وأنفذه إلى بغداد »[1]

(يتبع)

ميخائيل عواد

= سفطا من بردى وطلته بالحر والزفت وجعلت الولد فيه ووضعته بين الخيزران على حافة النهر »

وكان ببغداد سوق تصنع فيه الأسفاط ، وتسمى « سوق السفطين ، أو سوق السفط » ومكانه قريب من دار الريحانيين فى الجانب الشرقى . كان فيه اثنان وعشرون دكانا قبل أن يخربه المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى فى سنة ٥٠٣ هـ ؛ إذ كان قد أضافه مع غيره من الأسواق والأدر إلى دار الريحانيين التى استجدها

أنظر أخبار هذه السوق فى معجم البلدان (٢ : ٥١٩ — ٥٢٠ ، و ٤ : ٦٦٥)

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية (ص ٢٢٣ . طبعة أهلوارد)

(٢) خطط المقريزى (٢ : ٩٣)

(١) مروج الذهب (٨ : ١٨٣) ؛ وقد ذكر الطبري مصرعه بشكل يختلف قليلا عن رواية المسعودى . قال : (٣ : ٢١٨٢) : « ... وليلة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة [٢٨٤هـ] كانت فيما ذكر وقعة بين عيسى النوشرى وبين أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبى دلف ، وذلك يوم الخميس دون أصفهان بفرسخين ، فأصاب أبا ليلى سهم فى حلقه فيما ذكر ؛ فنحره فسقط عن دابته وانهزم أصحابه ، وأخذ رأسه فحمل إلى أصبهان » .

ثم أضاف إلى ذلك قوله (٣ : ٢١٨٣) : « ولخمس خلون من صفر منها [سنة ٢٨٥هـ] ورد مدينة السلام وصيف كامه مع جماعة من القواد من قبل بدر مولى المعتضد وعبيد الله بن سليمان من الجبل معهم رأس الحارث بن عبد العزيز بن أبى دلف المعروف بأبى ليلى ، فمضوا به إلى دار المعتضد بالثريا ، فاستوهبه أخوه ، فوهبه له واستأذنه فى دفنه فأذن له ... »

الكرملي في قبضة الحق

للأستاذ سعيد الأفغاني

١ — كان الأب أنستاس ماري الكرملي قد تمرّض لتصحيح بعض الخطأ في كتاب الإمتاع والمؤانسة الذي صححه الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين ولم يشركا الأب في التصحيح ولا الربح. وكان في جملة ما خطأ: قول القائل: «ويجعلها (أي الأحجار) ملساء» فقال حضرته مصححاً: «والصواب مُلْساً بضم الميم... الخ» فصححنا له فهمه في العدد (٤٧٩) من «الرسالة»، وكان قد استند إلى كلام لسيبويه فأوضحنا له - برفق وعطف - أن كلام سيبويه ليس فيه ما زعم حضرته. ثم شرحنا له القاعدة العامة (التي اعترف بصحتها واطرادها) في العدد (٤٨٦) من هذه المجلة. وقلنا له: «إن نعت جمع التكسير يكون بالمفرد والمؤنث وبالجمع على السواء، فلك أن تقول: أشهر محرمة وأشهر محرمات، و «أياماً معدودة» و «أياماً معدودات» كما في القرآن الكريم وغيره، فما الذي يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النعت بحكم خاص؟ هذا ما يحوج الأب الإبراء[1] عليه. أما استقراؤه الشخصي وطلبه من مخالفه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة، لأن القيس لا يلزم له شاهد»

فلما ألجأه الحق إلى أضيق من جحر الضب، انبرى يرد علينا وعلى غيرنا ممن صححوا له تهافته في ثلاث مقالات طوال، نسي فيها الموضوع والزمان، وخلت من شيء واحد هو المطلوب كله وهو مدار البحث وحده، فلم يأتنا بالنص المطلوب ولن يأتينا به ولو دخل بعضه في بعض غيظاً وكمداً

فعلى هذا يبقى قولهم: (صخور ملساء وكريات بيضاء) مما لا يجوز لصحيح الفهم أن يخطئه. وإن مما يعلمه بالضرورة من له أدنى إلمام بلغة العرب أن الموافق للقاعدة المطردة غير محتاج إلى شاهد وكل جائز له شاهد مدون

(١) علق الأب على هذه الكلمة جملة ناقض آخرها أولها، وكذلك هو في كل تنفياته و (كذكذاته) و (لملماته)

٢ — وقال حضرته: (ومن الأغلاط الشائعة في مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية (كذا) ما يأتي: ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ... أم خطاء وزان سحاب لضد الصواب على ما في كتب اللغة) اهـ

وهذا زعم غير صحيح؛ وقد نقلت له من الكتب نصوصاً لقفت كل ما أفك، وأفهمته أن الخطأ هنا هو الأفصح والأشهر. والغريب المضحك حقاً أن يحتج الأب بما هو حجة عليه واضحة وهو الكلام الذي نشرته الرسالة لأبي هلال العسكري وفيه (أن الخطأ هو أن تقصد الشيء فتصيب غيره... والخطاء تعمد الخطأ). وبعد أن عاب هذا الأب سيبويه والخليل... أنكر علينا احتجاجنا بمؤلف الصحاح، وذكر أن العسكري أعلى منه مقاماً!! فيا أيها الأب إن الجوهري والعسكري متفقان ولكنك لم تدرك لا كلام الجوهري ولا كلام العسكري. والبلاء الأكبر في أن يأتي متحذلق في آخر الزمان يوازن بين إمامين ثم لا يستطيع أن يفهم كلامهما

أما بعد أيها الأب أنستاس ماري الكرملي، إن فيما نسبت قوله إلى ما هو كذب وافتراء. فأنا لم أقل: سيبويه غير موثوق به. ولم أقل: نص جمع التكسير، وإنما قلت: نعت جمع التكسير. ولم أقل... ولم أقل... مما يمل بيانه القارئ

فإذا كان هذا شأنك مع حي يملك أن يدفع عن نفسه، فكيف نثق بما تنقل عن أولئك الأئمة الساكنين الناعمين في عالم الخلود؟

وأدهى من ذلك أنك كنت ادعيت أنه لا يقال خطأ بل خطاء وامتلأت زهواً إذ زعمت أن هذا غلط شائع في مصر، فلما بينا لك أنك أنت المخطئ، تواريت خجلاً ثم انبريت تدعى أنما أردت أن خطاء أحسن من خطأ موازنة لصواب؛ وبين كلمتك الأولى المنشورة في العدد (٤٧٥) من الرسالة، والثانية المنشورة في العدد (٤٨٧) مدى قليل جداً، فما أسرع ما يفضح الباطل والادعاء الأجوف صاحبهما! وأمر آخر: متى عهدك، عافاك الله، بالذوق الموسيقي؟ أحين احتشدت فلم تجد أحلى وقعاً من (ليس المزكزك بأنيثهن) فإن يكن لك — وأنت عجوز — عذر من هرمك ومرض أذنك فاعلم أن الله لم يخلق رجلاً صحيح الذوق

٤٥ - المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر - الأخلاق

قد تعتمد المرأة أحياناً على الظروف المخففة أو على معونة أصدقاء أقوياء، لتنجو من عقوبة الإعدام إذا ضبطت في معاشرة أثيمة. وذلك كالحادث التالي: زوّج الباشا إحدى جواريه من نخاس غني كان الباشا قد اشترى منه كثيراً من مماليكه وجواريه. ولم يكن الرجل يخون زوجه فحسب بل كان يهملها تماماً. فصاحبت تاجراً كانت تعامله محبة غير لائقة. وحدث ذات يوم في غيبة الزوج أن رأى أحد عبيده السود رجلاً في شباك الحريم. فذهب تواً إلى غرفة الزوجة ليبحث عن الرجل. وسمعته الزوجة قادماً فأدخلت عشيقها في غرفة ملحقة وأغلقتها عليه. ففتح العبد الباب عنوة. فهجم عليه الرجل بخنجر كان يحمله في حزامه، ولكن العبد قبض على النصل بيده. وعاقته الزوجة حتى هرب عشيقها ثم قبلت يده وتوسلت إليه ألا يخبر زوجها فيسبب قتلها. غير أنها وجدته صلباً لا يلين. وذهب العبد في الحال إلى سيده وأراه يده الدامية وأخبره بالحادث. وهربت المرأة في أثناء ذلك تنشد الحماية في حريم الباشا. وطلب الزوج من الباشا أن يرد زوجته عليه ليقتلها. فاستدعاها الباشا وسألها عن جريمتها فرمت بنفسها عند قدميه وقبلت طرف ثوبه وأخبرته بسوء أخلاق زوجها وإهماله الشديد لها. فبصق الباشا في وجه النخاس لأنه اعتبر أن سلوكه إهانة له. وأعاد الزوجة إلى حريمه. ولم يمش عشيقها طويلاً بعد ذلك فقد خنق في منزل بعض البغايا ولم تعاقب البغيّ لعدم ثبوت التهمة عليها

يؤخذ على المصريين والمسلمين عامة القسوة الشديدة في معاملة النساء. حقاً إنهم لا يعتبرون استشارة الفتاة القاصر قبل زواجها ضرورياً. ولكن الغالب أن الرجل في الطبقتين الوسطى والعليا يكاد يختار زوجه على السماع دون أن يراها، إذ لا حيلة له في رؤيتها

سليم الأذن يستسيغ (الخطاء والصواب) أكثر من (الخطأ والصواب)، ورحم الله امرأً عرف قدره — وأنت تريد الكلام في اللغة — إلى الجرس والموسيقى

ولست أوفي (الرسالة) ما يجب لها من شكري وشكر العلم والأدب على نشرها مقالاتك كما هي: فقد رأيتك يا سيدي تدعي — بعد كلامك في الموسيقى — أن نسبك ينتهي إلى بني مراد!! (تشريفنا)؛ ولقد تواضعت جداً إذ لم تنتسب في بني هاشم وأنت تشعر في صميمك شعوراً غالباً عليك بالحاجة الماسة إلى نسب ما بعد هذا التخبط

أتسمح لي بطلب متواضع جداً؟ إنك ستفعل مشكوراً

١ — كن أميناً فيما تنقل عن الأحياء والأموات

٢ — احتط فيما تكتب في اللغة العربية، فإن عارفيها كثيرون، وليست كذلك السريانية والآشورية. فلك في هؤلاء الأخريات ميدان تصول فيه وتجول

٣ — إن أبيت إلا الخوض فاسلك من المسائل ما كان (آلياً) بحتاً وتجنب ما يحتاج إلى ذوق وعلم وحسن فهم، وإلا وقعت في مثل ما وقعت فيه حين زعمت أن قولك: لا يقال كريات بيضاء مستنداً إلى قول سيبويه

٤ — إنك لا تستطيع نقد كلام حتى تفهمه، ولن تفهمه حتى تحسن قراءته، ولن تحسن قراءته حتى تتخلق بأخلاق المتعلمين

٥ — لقد غبر زمان - لا رده الله - كانت الشهرة فيه عن طريق الدعوى والتحرش بمن لا يبلغ المتحرش أن يكون أصغر تلاميذهم، وأصبح يقاس فضل المرء بقوة حجته وحسن خلقه لا بسلاطته وتلبيسه. هذا وللأب الفضال أنستاس ماري الكرملي جزيل احترامي.

(دمشق) سعيد الأفغاني

حاشية: عندي على كل ما تقدم شواهد من كلام الأب المنشور في الرسالة، فمن هنا لم نورد فقط أجيب من شاء على ما يطلب وإلا فبيان أغاليطه وإسفافه وسوء فهمه وتغليطه الصحيح لا تتسع له المجلة

قبل أن يعقد العقد وتنقل إلى منزله . فيستحيل لذلك أن يكون هناك محبة متبادلة قبل الزواج . والحقيقة أن الجنسين مماً تنقل عليهما القوانين والعادات الجائرة ، ولكنهما من حسن الحظ يعتبران هذه القيود ملائمة مشرفة . وقد يشعران بالعار فى التخلص من هذه العادات . وقد لاحظت أن الحجاب الواقع على النساء يكون باختيارهن إلى حد كبير . وأعتقد أنه أقل صرامة فى مصر منه فى أى بلد آخر من بلاد الدولة العثمانية . ومن المؤكد إن هذا الحجاب أقل جداً مما صوره لى الكثيرون . وينظر النساء إلى هذا الاحتجاب بفخر من حيث أنه يدل على عناية الزوج بهن . كما أنهن يقدرن أنفسهن بقدر حجبهن كالكنوز[1] ولا يليق فى المجتمعات الطيبة أن يستفسر المرء بطريقة مباشرة عن حال زوجة الصديق أو امرأة ما فى منزله إلا إذا كانت قريبة له . وسأل أحد معارفى المصريين آخر كان فى باريس عن أغرب الأشياء التى رآها فى بلاد الكفار فأجابه الآخر : إن كل ما شاهده حرى أن يثير إعجاب العاقل البعيد عن التعصب . ولم أر شيئاً يستحق الاعتبار مثل هذه الحال : فقد جرت العادة فى باريس وغيرها من مدن فرنسا أن يدعو كل من الأغنياء والعظماء أصدقاءهم ومعارفهم رجالاً ونساء معاً إلى حفل فى منزله . ويستقبل الضيوف فى غرف تضاء بعدة شموع وقناديل . وهناك يختلط الرجال بالنساء ، وأولئك كما تعلم سافرات . ويستطيع الرجل أن يجالس زوجة رجل آخر وهو لم يرها من قبل . ويستطيع أن يسايرها ويحادثها ويراقصها أيضاً فى حضور زوجها الذى لا يغضب ولا يغير لمثل هذا السلوك المخزى »

يشتهر المصريون أيضاً بكرمهم وجشعهم على السواء . وإن اجتماع مثل هاتين الصفتين المتناقضتين فى ضمير واحد قلما يدهش . ولكن هذا هو الحال مع هذا الشعب . ويعتبر الغش والمكر فى التجارة ، وذلك فى جميع الشعوب ، إحدى نقائص المصريين الدائمة . وقلما يتردد المصرى فى مثل هذه الأحوال عن الكذب ليكسب . ويميل الشعب الذى يئن تحت نير الجور والجشع ، الذى امتازت به حكومات مصر طويلاً ، إلى الشح دائماً . لأن المرء بالطبع يتمسك بما هو أكثر عرضة للضياع . ولذلك يعمد المصرى المضيم إذا ملك مبلغاً من المال لا يلزمه حالاً إلى شراء مصاغ لامرأته أو لنسائه ، إذ يسهل عليه تحويل المصاغ ثانية إلى نقود . ومن ثم أيضاً جرت العادة فى هذا البلد ، وفى أكثر البلدان التى تخضع لهذه الظروف السياسية ، أن يخبىء الرجل أمواله فى منزله تحت البلاط أو فى أى موضع آخر . ولما كان الكثيرون من هؤلاء يموتون فجأة دون أن يطلعوا أسرهم على مكان المخبأ فإن من المألوف أن تكتشف نقود عند هدم المنازل . وهناك رذيلة تقرب من الجشع وهى الحسد . وأعتقد أنها تكثر بين المصريين المحدثين والشعوب العربية بأجمعها على السواء . ويمة ف الكثيرون مدفوعين بسلامة النية أن هذا الميل الكريه يكاد يتركز فى أذهان شعوبهم تماما .

والمصريون أمناء فى الوفاء بديونهم . وقد بين الرسول صلعم أن لا شىء حتى الاستشهاد ، يكفر عن دين لم يوف . وقل من المصريين من يقبل فائدة على قرض أقرضه إذ أن الشرع يشتد فى تحريم ذلك .

إن دوام الصدق فضيلة نادرة للغاية فى مصر الحديثة . وقد رخص الرسول فى الكذب إذا وفق بين الناس فى منازعة أو أرضى زوجة أو أفاد فى حرب على أعداء الدين . غير أن الكذب فى أحوال أخرى محظور بشدة . ويبرر ذلك بعض التبرير عادة الكذب السائدة بين العرب المحدثين إذ أن السماح لشعب بالكذب فى أحوال يعوده بالتدرج الكذب فى غيرها . ومع أن أكثر المصريين يكذبون عمداً فقلما تسمعهم يرجعون عن تحريف غير مقصود دون أن يقولوا : « لا . أستغفر الله إنه كذا وكذا » كما يقولون عند ما يقررون شيئاً لا يتأكدون منه تماماً : الله أعلم

ويمكننى أن أذكر هنا ، وأنا أشعر بالفخر ، الحادث التالى : كان فى القاهرة صائغ أرمنى اشتهر بالصدق إلى درجة أن عملاؤه قرروا تسميته اسماً يدل على تمتعه بفضيلة قلما توجد فيهم ، فلقبوه بالإنجليزى وصار من بعد ذلك لقباً لعائلته . والمعتاد أن تسمع التجار هنا يقولون عند ما يطلبون ثمناً لا ينوون إنقاصه : كلمة واحدة . (كلمة الإنجليز) . وكثيراً ما يقولون أيضاً فى هذا المعنى : « كلمة الفرنج » . ولكنى لم أسمع أبداً بأمة كرمت هذا التكريم غير الإنجليز والمغاربة . وقد اشتهر هؤلاء دون أغلب العرب الآخرين بالصدق فى القول

أشرت سابقاً إلى عادة القسم بالله السائدة بين المصريين . وينبغى أن أضيف هنا أن الكثيرين منهم لا يترددون عن القسم

---

(١) وتخاطب السيدة المحترمة فى رسالة كما يأتى : السيدة المصونة والجوهرة المكنونة .

ليدرأوا عن أنفسهم تهمة الكذب . وقد يقولون فى هذه الحالة أحياناً : واللهِ (بكسر الهاء) أو عادة : واللهْ . كأنهم يزعمون أن الصيغة الأخيرة يجوز استعمالها فى الدعاء . أما « واللهِ (بالكسر) فهو قسم صريح والنطق به كذباً ، إثم كبير . ويكفر عن هذه اليمين بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة أو صيام ثلاثة أيام . على أن هذه الكفارة رخص القرآن بها لقسم طائش فقط . ولكن المصريين المحدثين يراعونها أحياناً ليحرروا أنفسهم من وزر قسم كاذب مقصود . ويفضلون الصوم على الكفارات الأخرى . وهناك أيمان أعتقد أن بعض المسلمين لا يترددون فى القسم بها كذباً مثل قولهم ثلاثاً : « والله العظيم » أو القسم على المصحف بقولهم : « بما يحتوى هذا من كلام الله » ، ولكن القسم الذى لا يزال يعتمدون عليه هو قولهم : « علىّ الطلاق » أو « علىّ الحرام » أو « علىّ الطلاق بالثلاثة » . فإذا كذب الرجل فى أحد هذه الأقسام الثلاثة تصبح امرأته طالقاً إذا ثبت حنثه . وإذا كان للرجل أكثر من زوجة وجب حينئذ أن يختار إحداهن فيخصص بها الطلاق . غير أن هناك كاذبين فاسدين يقسمون زوراً بأشد الأيمان إثماً . وقد قال الشاعر يصف هذا الخلق .

وأكذب ما يكون أبو المعلّى إذا آلى يميناً بالطلاق

ويسهل تحريض المصريين إلى المشاجرة وخاصة السفلة الذين يتشاتمون فى ثورتهم بسب الآباء والأمهات واللحى الخ . ويسرفون فى نعت كل من الآخر بأحط النعوت كأن يقول : يا ابن الكلب، أو يا قواد ، أو يا خنزير ، وهناك تسمية أخرى يرونها أشد الشتائم على الدوام وهى قولهم : يا يهودى . وعند ما يسب أحد المتخاصمين الآخر يجاوبه هذا بلعن أبيه وأمه وأحياناً بلعن العائلة جميعها . ويهدد كل منهما الآخر ولكن قلما يبادران إلى الضرب . غير أننى رأيت فى أحوال قليلة بعض السفلة ثائرين إلى درجة أن كلا من المتشاجرين كان يعض الآخر ويقبض عليه مُن حلقه . وشاهدت أيضاً عدة مرات أفراداً من الطبقتين الوسطى والسفلى يتحملون السب الغليظ . وكثيراً ما سمعت المصرى يقول عند ما يضربه نِدٌّ له : « الله يبارك فيك . الله يجازيك خيراً . إضربنى مرة أخرى » . وتنتهى المشاجرة عادة بأن يقول أحد الطرفين أو كليهما : « الحق علىّ » وكثيراً ما يقرآن الفاتحة بعد ذلك ثم يتعانقان ويقبل كل منهما الآخر أحياناً

ويميل المصريون خاصة إلى الهجاء . وكثيراً ما يظهرون ذكاء فى تهكمهم ومزحهم . وتساعدهم اللغة العربية على استعمال التورية والحديث المبهم الذى يتهكمون فيه بكثرة . وتهجو الطبقات السفلى أحياناً حكامها فى الأغانى ويسخرون من هذه القوانين التى يقاسونها كثيراً . وقد تسليت مرة بأغنية شائعة فى أسوان وإقليمها . وكانت هذه الأغنية دعاء صادقاً بأن يبيد الطاعون حاكمهم المستبد وكاتبه القبطى . وكانت فى مصر كلها أغنية ذائعة أثناء زيارتى الأولى ألفت لزيادة ضريبة (الفِرْدة) وكانت تبدأ هكذا : « يا إلى عندك لبده ، بعها وادفع الفرده » واللبدة كما ذكرت قبلاً غطاء رأس من اللبد يلبس تحت العمامة أو بدلها . ويعتبر من ليس له غطاء رأس غير اللبدة فقيراً جداً .

« يتبع » عدلى طاهر نور

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٣ – ٩ – ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٨٨٣ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد أحمد مهدى محمد س ٤٠ فلاح عزبة محطة دسونس بتغريمه ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق واللصق على محله ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لأنه باع سكرا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



آراء حديثة في السجع

١ — في كتاب « النثر الفني » للدكتور زكي مبارك جزء أول ص ٢٥ ما يلي : « أذكر أنني كنت أحاور المسيو مرسيه في تطور السجع فأخرج رسائل الجاحظ وفيها هذه العبارة : (إن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتاباً إلى رجل فقال فيه (لهو أهون عليّ من ذرة ، أو كلب من كلاب الحرة) ، ثم قال : (امح من كلاب الحرة واكتب من الكلاب) كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة ، وما أشبه السجع ، ورأى أنه ليس في موضعه) وكان المسيو مرسيه يظن أن في هذه العبارة دلالة على أنهم كانوا إذ ذاك لا يستحبون الكلام المسجوع ، فوجهت نظره إلى أن لهذه العبارة معنى آخر ، ذلك أن السجع فن رقيق لا يصلح في ذلك المقام ، وهو مقام تهديد ووعيد »

إلى هنا انتهى كلام الدكتور . وقد قرأت في كتاب « عبقرية محمد » للأستاذ العقاد ما يلي : « أجاب الرسول أبا سفيان عند ما خيره بين نصف نخل المدينة أو الخراب والدمار فقال : (وصل كتاب أهل الشرك والنفاق ، والكفر والشقاق ، وفهمت مقالتكم ، فوالله ما عندي جواب إلا أطراف الرماح ، وأشفار الصفاح ! »

« فهذا السجع في هذا المقام أصلح لخطاب الجاهلين لأنهم يعرفون منه معنى التوثيق والتمكن ، كما يعرفون منه معنى المناجزة والتخويف »

هذان رأيان في السجع متعارضان . أما الدكتور زكي مبارك فهو يرى أن السجع فن رقيق لا يصلح في مقام التهديد والوعيد ، وأما الأستاذ العقاد فيرى في السجع ضخامة وفخامة وهما أصلح في المناجزة والتخويف ... فما رأي الأستاذين ؟

٢ — يخبرنا الدكتور زكي في كتابه « النثر الفني » ص ٦٤ أن المسيو مرسيه والدكتور طه حسين ومن شايعهما قرروا أن السجع لم يلتزم إلا في القرن الرابع ، وأن المسيو مرسيه وجد كتاباً لمؤلف قديم اسمه الأخضري ، وأنه منسوب إلى القرن الثالث ، وأصر مرسيه على ضمه إلى كتاب القرن الرابع ووافقه الدكتور طه لهذا السبب .

وللأستاذ أحمد أمين حادثة مثل هذه ؛ ففي كتاب ضحى الإسلام ص ٢٣٦ ج ١ أنكر نسبة كتاب « الرد على ابن المقفع » إلى القاسم بن ابراهيم وكانت حجته « أن القاسم عاش في النصف الأول من القرن الثالث والكتاب مسجوع . ونحن نعلم أن هذا العصر (عصر الجاحظ) لم يتكلف فيه سجع ، ولم تؤلف فيه كتب مسجوعة ... »

ولكن ما رأيهم في كتاب « الحاسد والمحسود » الذي كتبه الجاحظ نفسه ، ونظرة فيه تقنعهم بأن نظريتهم خاطئة ، أو على الأقل مبالغ فيها إلى حد بعيد . فكتاب الجاحظ في الحسد أغلبه سجع متكلف . وإني أورد هنا بعض فقرات منه لأثبت ما أقول : (الحسد أبقاك الله داء ينهك الجسد ، ويفسد الأود ، علاجه عسر ، وصاحبه ضجر ... قاطع كل رحم بين الأقرباء ، وملقح الشر بين الخلطاء ... والحسد هو الذي جعل (ابن آدم يلقي على أخيه الحجر شادخا ، فيصبح عليه نادماً صارخا ... وعبد الله بن أبي تبين للناس عقله ، وانتقدوا منه جهله ، ورأوه لذلك أهلاً ، لما أطاق حلا ... والمحسود لولا عناية الله لأمسى وماله مسلوب ، ودمه مصبوب ، مهراق مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك ...

ثم ختم الرسالة بقوله : وما أرى السلامة إلا في قطع الحاسد ، ولا السرور إلا في افتقاد وجهه ، ولا الراحة إلا في صرم مداراته ، ولا الربح إلا في ترك مصافاته ، فإذا فعلت ذلك فكل هنيئاً ، واشرب مريئاً ، ونم رخياً ، وعش في السرور ملياً ... »

هذه فقرات من كتاب « الحاسد والمحسود » والمطلع عليه يجد السجع فيه غالباً ، فهل ننكر نسبته إلى الجاحظ ؟ أم هل نزحزح الجاحظ إلى القرن الرابع ؟ ؟

٣ — في الحق أن أصحاب هذا المذهب غالوا وبالغوا في تعنتهم وغلوهم وما كان ذلك منهم إلا ليثبتوا نظرية نادوا بها من قبل ، وهو أن السجع من الزخرف الفني الذي اكتسبته العربية من

اتصالها بالفارسية واليونانية . والواقع أن السجع كما يقول الدكتور مبارك « من مميزات البلاغة الفطرية » ، وقد اعترف المسيو مرسيه بذلك عند ما قال : (وكأنهم بدأوا يكرهون السجع في العصر الأموى) أى أنه اعترف بأن كان هناك سجع ثم بدأ الناس يكرهونه ، والسجع من الزخرف الفنى الذى زعموا أن العربية لم تعرفه إلا بعد اتصالها بالفارسية واليونانية .

محمود السيد أبو السعود

حول اختلاف القراءات أيضاً

ينكر الأستاذ الفاضل عبد المتعال الصعيدى ما ذكرته من أن : المسلمين على عهد الرسول كانوا يتلقون القرآن منه سماعاً ويطوون صدورهم عليه حفظاً وفهماً ، دون ما حاجة منهم إلى النظر فى شيء من آياته مخطوطاً . وهو ينعت هذا الكلام بالغرابة ، وبأنه « لا يتفق مع المعروف عن المسلمين فى ذلك العهد » . ويلزمنى الآن أن أنص على أن تلقى القرآن شيء ، وحفظه كله أو بعضه أو عدم حفظه ألبتة ، شيء آخر

فزعم الأستاذ أن جمهور المسلمين « لم يكن يأخذ نفسه بحفظ القرآن » — وحاشا أن يصح ذلك — لا يعتبر رداً على ما حاول نقضه من كلامى السابق . لأن موضوع الحديث هنا هو تلقى القرآن ، أعنى إجادة تلاوته على وجهه الصحيح ، بطريق ما ؛ كيف يكون هذا التلقى ؟ وما مبلغ العلاقة فيه بين السماع شفاها والقراءة فى مخطوط ؟

لست أشك فى أن الأستاذ يوافقنى على أن الأساس فى التلقى هو السماع من الرسول ، ثم من صحابته الذين أجادوا النقل عنه . فذلك ما يقول به كل ملم بهذا الموضوع ؛ ولكن الأستاذ يضيف من عنده إلى هذا قصة طريفة ، فهو يتخيل — ويريدنا على أن نتخيل معه — أن المسلم من هؤلاء كان يمضى إلى بيته وفى يده أديم أو عظم فيه الآية والآيات ، فيكب على قراءته فى مشقة وصعوبة . وتلتبس عليه خلال ذلك حروف متشابهة ، كالياء مع الباء (وعدها إياه ، وعدها أباه) والثاء والتاء مع الباء والنون (فتثبتوا ، فتبينوا) . ويَنْبَهم عليه وجه الصواب فى كل ذلك ، فيرجع إلى الرسول يستفتيه ، فيقول له : اقرأ بكلام الحرفين ، فالباء أخت الياء ، وغيرك قد استعصى عليه ذلك أيضاً . فذلك معنى الرجوع إلى الرسول وإقراره ما يراه للتخفيف عن المسلمين فى مثل هذه الكلمات التى اشتبهت حروفها ، مما يشير إليه الأستاذ فى كلمته الأولى (ع ٤٨٨) من « الرسالة » .

والأستاذ عبد المتعال يعتنق بهذا الكلام — دون أن يشعر — مذهب القائلين إن القرآن نزل بمعانيه دون ألفاظه وتراكيبه ، وهو مذهب لم يَحْظَ إلا على ألسنة بعض ذوى المقاصد السيئة من المستشرقين ؛ وإلا فما معنى أن يذكر لنا ما يؤدى إلى الاعتقاد بأن الرسول كان ممن يبدلون كلمة بكلمة أخرى تباينها فى معناها ، لمجرد الاشتباه بين حرفين متقاربين فى رسمهما العربى ؟ وقد يكون هذا الاشتباه راجعاً إلى ضعف بصر القارىء ، أو رداءة الخط ، أو رثاثة الأديم مثلاً ؟!

إن الضابط المشترط فى القراءة الصحيحة معروف ، وقد أشار إلى هذا بإيجاز الأستاذ الفاضل محمد غسان فى كلمته ... وإلى القارىء ما قاله ابن الجزرى بصدد ذلك فى كتابه « النشر »

« كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ؛ فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن »

ومن ذلك الوجه صحت هذه القراءات لدى أكثر المفسرين — وقد ذكرنا منهم فيما قبل صاحب الكشاف — ولم يكن لتشابه الحروف دخل فى تصحيح هذه القراءات ؛ بل إن هذا التشابه نفسه ، قد أدى ببعضهم إلى اعتبارها تصحيفاً كالسيوطى صاحب المزهر والذين نقل عنهم ...

هذا وإن إذن الرسول فى كتابة القرآن وقراءته أمر معلوم لدى كل مسلم ، وأسماء كتاب الوحى وسيرهم معروفة لنا جميعاً ، فلم يأت الأستاذ بجديد فى إشارته إلى ذلك ؛ وهو لم يعدُ وجه الصواب فى قوله إن من لا يحفظ القرآن كانت تعتريه الصعوبة فى نطق بعض الكلمات ، ولكنه أخطأ حين عقب على تلك الحقيقة فقال : « ومن هذا يجيء التيسير فى قراءتها — يعنى بعض الكلمات — على ما تحتمله من الوجوه ! » فليس مجرد الصعوبة فى القراءة هو علة هذا التيسير كما ذكرنا .

بقى أن نشير إلى أن الأستاذ عبد المتعال يبالغ فى شأن الرقاع المخطوطة كثيراً ، وما أشك فى أنه يعلم ما فيه الكفاية عن حياة (الحفاظ) الذين كانوا يمضون بأمر الرسول إلى الجهات النائية لتحفيظ المسلمين آيات القرآن ، وتلقينهم أوجه التلاوة

الصحيحة ؛ بل لعله يظن أيضاً أن الرسول قبل الهجرة بعث إلى المدينة من يحفظ أهلها من المسلمين ما كان قد نزل من السور ؛ فلم يكن يُجزئ في كل هذا قراءة مخطوط دون الرجوع إلى تلاوة القراء والحفاظ الموثقين والأثبات .

ومن الأمور المعروفة أيضاً أن عمر بن الخطاب لم يشعر بالحاجة إلى جمع الرقاع ، وينصح للخليفة الصديق بذلك ، إلا بعد أن تفرق هؤلاء الحفاظ في أطراف البلاد وفني كثير منهم في الوقائع والنزوات . إذ كان في هؤلاء — على حياة الرسول ومن بعده — الغناء كل الغناء عن القراءة في صحيفة أو النظر في مخطوط . ومعلوم أن المرجع كان إلى هؤلاء أيضاً في توثيق ما ورد بهذه الرقاع ، لما قد عرفوا به من جودة الحفظ وصحة السماع ، مع إدمان التلاوة على نهجها الصحيح .

(جرجا) محمود عزت عرفة

حفاظ القرآن في عصر النبوة

قال الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في كلمته (حول اختلاف القراءات في القرآن) في العدد (٤٩٠) : « وكان القليل منهم — أي من المسلمين في عهد النبوة — يحفظ السورة أو السورتين وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحفظ القرآن كله منهم إلا عدد لا يكاد يتجاوز عدد الأصابع »

وهذا غير صحيح لأن حفاظ القرآن كله في عصر النبوة لا يحصون بفضل تحضيض النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على حفظه ، وتفانيهم في إطاعة أمره ، حتى أن داراً للقراء كانت أنشئت بالمدينة المنورة قبل الهجرة ، وندب القارئ المشهور مصعب بن عمير رضي الله عنه لتحفيظ القرآن فيها ، وكانت صفة مسجد النبي عليه السلام مجمعاً له دويّ بمدارسة القرآن وحفظه ، وكان صلوات الله عليه يبعث من أصحاب هذه الصفة عشرات إلى القبائل التي يسلم أهلها لتعليمهم القرآن . وقد استشهد في وقعة بئر معونة زهاء سبعين من الحفظة ، واستشهد في وقعة اليمامة نحو ذلك

وما يذكر في بعض الكتب من أسماء قراء الصحابة رضي الله عنهم إنما يذكر لمناسبات لا بقصد الاستقصاء ، وقد سرد منهم ابن حجر في (فتح الباري) تسعة وعشرين حافظاً ممن يستظهرون القرآن جميعه (ج ٩ ص ٤٣) . ولعل الأستاذ الصعيدي اشتبه عليه ما يروى عن أنس رضي الله عنه من أن حفاظ القرآن أربعة ، فلم يفهم أن الظاهر من طرق الحديث أن هذا القصر إضافي لأن مورده في مفاخرة بين الأوس والخزرج ، أي أن حفاظ القرآن هؤلاء هم من الخزرج لا من الأوس . ومن الجلي أن هذا القصر الإضافي إنما هو بالنظر إلى علم أنس ليس غير

وأما الذين كانوا يحفظون بعض القرآن فما أكثر عديدهم كذلك ، فهذه كتب الصحاح والسنن والمسانيد تحدثنا بما كان يتلى في الصلوات الجهرية من السبع الطوال وغيرها مما يدل على كثرة من كان يحفظ شتى السور من الصحابة رضي الله عنهم . وكان دأبهم في تعليم من لا يتيسر له حفظ القرآن كله أن يعلموه سوراً منه ولغيره سوراً أخر ، فوجد بذلك كثيرون ممن يحفظون سور القرآن متفرقة ، عدا حفاظ القرآن جميعه

وأما قول الأستاذ الصعيدي : « أما كتابة القرآن وقراءته فكان فيهما إذن عام من النبي صلى الله عليه وسلم ... إلخ » فأجتزئ في رده بما ورد في الأقوال المأثورة : « لا تأخذ القرآن من مصحفي لأن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول مشافهة

محمد غسان

نسبة شعر

كنت قرأت مقالاً عنوانه « مشاركة الأدب الإنجليزي في الدراسات العربية » نقلاً عن (برنارد لويس) للأستاذ عبد الوهاب الأمين في عدد الرسالة رقم (٤٨٦) . وقد ذكر الكاتب فيما ذكر بيتين نسبهما إلى المستشرق « بالمر » قائلاً ما نصه بالحرف : « وتعتبر القطعة التالية نموذجاً لشعر بالمر العربي :

ليت شعري هل كفى ما قد جرى ... مذ جرى ما قد كفى من مقلتي؟

قد برى أعظم حزن أعظمي ... وفني جسمي حاشا أصغري »

وكنت قبل قراءتي للمقال أتصفح ديوان ابن الفارض وقد ورد هذان البيتان في قصيدته التي مطلعها :

سائق الأظعان يطوي البيد طي ... منعماً عرج على كثبان طي

فهل من يتكرم بما يفيد عما إذا كان البيتان حقيقة من شعر بالمر وأنهما نسبا خطأ لابن الفارض ، أم أنهما حقيقة لابن الفارض وأن الكاتب قد وقع في خطأ نسبتهما لبالمر

(السودان) محمد بشير

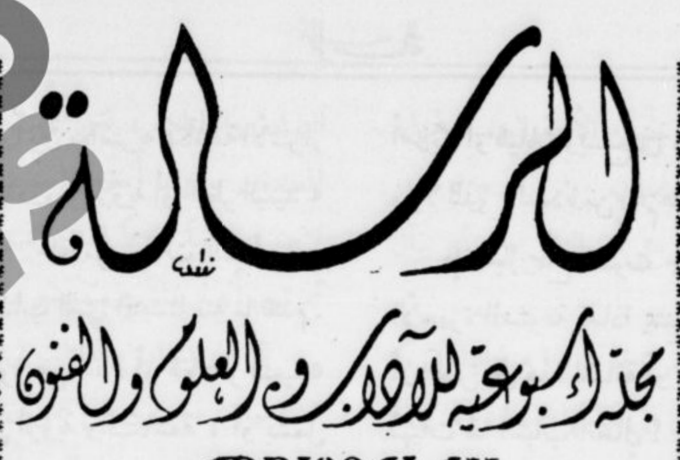
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 493

Lundi - 14- 12 - 1942





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٩٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهــرس

صفحة

التلبـــانى

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... نطالع كتابكم الكبير عبقرية عمر الذى تجلت فيه عبقريتكم الفريدة ... ونرجو منكم خدمة للعلم التكرم بشرح التلبانى على صفحات مجلة الرسالة الغراء ... »

(سنهور المدينة) محمد السيد على جبر

والإشارة إلى التلبانى فى كتاب « عبقرية عمر » قد جاءت فى سياق الكلام على قصة سارية حيث روينا أنه « كان رضى الله عنه يخطب بالمدينة خطبة الجمعة فالتفت من الخطبة ونادى : يا سارية بن حصن ... الجبل الجبل ! ومن استرعى الذئب ظلم

« فلم يفهم السامعون مراده ، وقضى صلاته فسأله علىّ رضى الله عنه : ما هذا الذى ناديت به ؟ قال : أو سمعته ؟ قال : نعم ، أنا وكل من فى المسجد . فقال : وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا . فخرج منى هذا الكلام »

وإنه « جاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول : يا سارية بن حصن ! الجبل الجبل . فعدلنا إليه ففتح الله علينا »

ثم عقبنا على القصة قائلين : « إن الملهم من نقل هذه القصة

فى هذا الصدد أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الغيبية إما بالفراسة أو الظن الصادق أو الرؤية أو النظر البعيد »

وهذه — كما هو ظاهر — حالة من حالات التلباثى التى يسأل عنها الأديب صاحب الكتاب الذى اقتبسنا منه ما تقدم .

ونحن نترجم التلباثى بالشعور عن بعد ، أو « بالنظر البعيد » إذا أردنا تعميم النظر حتى يشمل الرؤية والمكاشفة ، أو يشمل الـ Vision فى اصطلاح بعض العلماء النفسانيين

وهى حالة متكررة يحسها كثيرون ويسجل وقائعها أناس من المتدينين وغير المتدينين . وأشهر القائلين بها فى عصرنا كاتب أمريكى ملحد هو أبتون سنكلير Upton Sinclair يقيم التجارب التى تثبت النظر على البعد أو الشعور على البعد ، ويسجل فيها سجل تجاربه مع زوجته حيث كانا يجلسان فى مدينتين بعيدتين ويحيط بكل منهما شهود كثيرون منهم المنكرون ومنهم المصدقون ، فيطلب إليه بعضهم أن يرسم شكلاً هندسياً وأن يوجه شعوره إلى امرأته لترسم مثله فى تلك اللحظة ، ويطوى الرسمان حتى يعلنا بعد ذلك فيتفق فى كثير من الأحوال أن يتشابها فى الخطوط ، وإن اختلفا فى الأبعاد كما يختلف المثلث الكبير والمثلث الصغير مع اتفاق الزوايا والنسب الهندسية

هذه التجارب يقول بها ويسجلها ويعلنها فى الكتب السيارة رجل قلنا إنه ملحد لنقول إنه لا يقصد من كلامه تبشيراً بعقيدة أو خدمة لمذهب اجتماعى ، لأن مذهبه الاجتماعى يقوم على « الفهم المادى » للتاريخ ولا يحوجه إلى التبشير بهذه الهبات النفسية ، بل لعله ينفره منها ويحبب إليه السكوت عنها

واعتقادنا فى « التلباثى » أنه هبة نفسية جائزة لا تناقض العقل ولا يمنعها العلم بدليل

لأنها تستند إلى الحس ، ولا فرق بينها وبين هبات الحس التى نباشرها كل يوم إلا فى طول المسافة ، وهو فرق اعتبارى غير قاطع بين حالة وحالة . إذ من ذا الذى يستطيع أن يقول إن الحس ينتهى عند هذه المسافة ولا يجوز عقلاً أن يتعداها ويذهب إلى ما وراءها !

إننا نرى كل يوم فى العصر الحاضر أن صوتاً يصدر من أمريكا أو اليابان ويسمع فى مصر كما يسمع فيها حديث الجلساء . ولولا المذياع لعددنا من يزعم هذا الزعم مخرفاً يعبث بعقول سامعيه

فإذا جاز سماع الصوت على هذه المسافات الشاسعة بجهاز من الأجهزة المصنوعة فلماذا يمتنع على قوى الذهن أو قوى الشعور أن تحس على هذه المسافة أو تتصل بنفس أخرى وذهن آخر متى تهيأت لها أسباب اتصال ؟

فالتصديق بالتلباثى لا يدعونا إلى اختراع حس جديد أو ملكة غيبية من وراء الطبيعة ، ولكنه يدعونا إلى تصديق هذا الحس الذى نباشره كل يوم فى مختلف شئون الحياة ، مع السماح له بالامتداد والتكبير ، وهما غير ممنوعين ولا مناقضين للمعقول أو المشهود

والحس نفسه لا يقل فى غرابته عن « التلباثى » كما يقول بها أشد الغلاة المؤمنين بها من النفسانيين

فأنت تفتح عينك فترى

شىء بسيط جدا فى حسابنا ، بل هو أبسط شىء يخطر على بالنا . . . افتح عينك تر ! . . . أى شىء أبسط من ذلك وأبعد من الغرابة ؟

نعم هو كذلك لأننا نعالجه ونرى الألوف ممن يعالجونه كل لحظة ، ولا يخطر لنا أننا نأتى بشىء غريب

ولكننا إذا رجعنا إلى أنفسنا فسألناها : ما هى الرؤية ؟ وما هو معنى القوة العجيبة التى تحيط بشىء على مسافة منك وتعرف ما لونه وما شكله وما أثره وما حركاته وسكناته ، ولا صلة بينك وبينه إلا الضياء ؟

نسأل أنفسنا فى هذا ونفكر ملياً فى معناه فنستغرب النظر من قريب كما نستغرب النظر من بعيد ، ونعلم أن معجزة الحس حاصلة قبل أن نسمع بالتلباثى والتليفزيون وما إليهما من وسائل الإحساس

وما قربنا المسألة حين نقول إننا ننقل الأشياء إلى حسنا بالنظر لأن بيننا وبينها الضياء

إذ ما هو الضياء ؟

ولماذا يكون حتما لزاماً متى وجد الضياء أن يكون هناك نظر وأن يكون النظر على نحو ما وعيناه ؟

فالتلپاثى غريبة جداً عند من تنسيه الألفة اليومية غرابة النظر والسمع والذوق وسائر المحسوسات

والتلپاثى جائزة جدا عند من علم أن النظر جائز ثم سأل نفسه في معنى هذا الجواز

وأحسب أن الكثيرين من القراء قد جربوا هبة التلپاثى كما جربتها ووقفوا منها على مبادئ تدل على نهايتها القصوى ، إن لم يكتب لهم أن يملكوا هذه الهبة على أقصاها

فإننى لا أقول بجواز التلپاثى معتمداً على العقل والقياس دون التجربة والمشاهدة ، ولكننى أقول بذلك لأننى « جربت » بعض الوقائع التى تقربنى من تصديق « التلپاثى » وتنفى الغرابة عنه أو تنفى استحالته على أيسر تقدير

يحدث مرات أن أذكر إنساناً بعد سهو طويل عنه فإذا هو ماثل أمامى فى اللحظة التى ذكرته فيها

ولو كان هذا الإنسان صاحبها يعاودنى التفكير فيه حيناً بعد حين لقلت الغرابة فى تذكره ولو بعد السهو الطويل

ولو كان المكان الذى ذكرته فيه متصلاً بإقامته أو بالمقابلات بينى وبينه لقلت الغرابة كذلك فى إثارة ذلك المكان لذكراه

ولكنه لا يكون أحياناً ممن طالت الصحبة بينى وبينه ، ولا يكون الموضع الذى أذكرنى به موضعاً تقابلنا فيه قبل ذلك أو تحدثنا به يوماً من الأيام . وكل ما هنالك أنه إنسان جمعت بينى وبينه المصادفات فترة من الزمن ثم انطوت عنى أخباره سنوات لا أراه ولا يعرض لى ما يدعونى أن أشتاق إلى رؤيته ، ثم يمر بخاطرى فما هو إلا أن أثبته وأستعيد ذكره حتى أراه فى عرض الطريق

ويحدث مرات أن يتولانى انقباض شديد تتخلله صورة إنسان عزيز يكرثنى جداً أن يصاب بمكروه ، ويلج بى هذا الانقباض حتى كأنما الذى أخشاه قد وقع أو هو مرقوب الوقوع . فأبادر بالكتابة من طريق البرق أو البريد ، ويحدث فى هذه الحالة أن يجيئنى خطاب قبل وصول سؤالى إلى وجهته يدعو إلى الطمأنينة ، أو يرد إلىّ الجواب بعد قليل وفيه إشارة إلى خطر زال

وأحسب أن هذه العوارض أشيع من أن تحصى فى عداد النوادر والفلتات ، فقد سمعت ما يشبهها من بعض الأصدقاء المصدقين . وقد أخبرنى بعضهم بقلقه على غائب يعزه وهو لا يعرف سبباً واضحاً للقلق الذى يساوره حتى فاتح فيه غيره . ثم تبين أنه لم يقلق يومئذ بغير داع معقول

إلا أن النوادر والفلتات فى التلپاثى هى العوارض التى تشبه قصة سارية فيما روى عن عمر بن الخطاب

فالذين يشعرون على البعد بمثل هذه القوة والوضوح قليلون ، ولكن المسألة — بعد — مسألة فرق فى القوة والوضوح ، وليست بفرق فى أساس الشعور يماثل الفرق بين من يبصر ولا يبصر ، وبين من يسمع ومن ليست له أذن للسمع ، وبين من يحس ومن ليست له قابلية للاحساس

فالشعور على البعد كالشعور على القرب جائزان ، ووسيلة الشعور على البعد ليست بأصعب من وسيلة الشعور على القرب بالعيون والآذان ، وإن كنا لا نستغرب هذه كما نستغرب تلك لطول الألفة وتكرار المشاهدة بين جميع الأحياء

وحد التصديق عندى لهذه العوارض هو وجود الأساس الذى تعتمد عليه

فإذا كان كل ما فى الأمر أنه تكبير للحس الذى تعودناه أو مضاعفة له وتقريب لأبعاده ومسافاته فلا مانع من صدقه ، وإذا كان فى الدعوى ما يحوجنا إلى فروض لا أساس لها من المشاهدات والمعقولات فهنالك موضع للتردد والاشتباه

وعلى هذا أقبل دعوى التنويم المغناطيسى — مثلاً — إذا ادعى للنائم أنه يبصر شيئاً موجوداً على مسافات بعيدة ، ولكنى لا أقبل منه هذه الدعوى إذا تعدى ذلك بما سيكون بعد عام أو بعد شهر أو بعد يوم ، وليس له وجود قائم الآن

وكذلك أقبل دعوى الشعور البعيد أو النظر البعيد إذا كان بمثابة السمع المضاعف أو البصر المضاعف ، لأن امتناع ذلك يحتاج إلى مانع قاطع ولا سبيل إلى القطع فيه ، ولأن القول بجوازه لا يتعدى كثيراً أن نقول بجواز رؤية العيون وسماع الآذان

وينبغى للعقل أن يتمهل فى قول « لا » كما يتمهل فى قول « نعم » كلما سمع بما يشككه ولا يوافق معهوده . فإن العقل ليكون خرافياً بقول « لا » فى غير موضعها كما يكون خرافياً

راية الروحية الأدبية

للدكتور زكى مبارك

فيما كتب الأستاذ الزيات والدكتور عزام عن « البلايا التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر » تذكيرٌ بغضبات ابن قتيبة فى القرن الثالث ، والجرجانى فى القرن الخامس . وقد جاء هذا التذكير فى الوقت المطلوب ، جاء بعد انحراف قد يزعزع مركز مصر الأدبى فى الشرق ، إن لم تسنده الأقلام المصرية بأسندة متينة من الحق والصدق واليقين

وأقول من جديد إنه لا حياة للأدب فى مصر إن لم تكن لأهله عقيدة أدبية ، عقيدة يرحّب صاحبها بجميع المتاعب فى سبيل الأدب الصحيح ، ولا يبالى أين يكون مصرعه ما دام على وفاق مع ملائكة الفكر وشياطين البيان

والعقيدة الأدبية توجب أن نكون صادقين فيما نكتب وفيما نقول ، بحيث يطمئنّ القراء إلينا كل الاطمئنان ، وبحيث لا تخفى عليهم خافية من سرائرنا الفكرية ، ولو جنحنا فى التعبير إلى الرموز والتلاميح

القارئُ صديق — وإن لم يتعرف إلينا بصورة شخصية — وللصديق حقوقٌ أهمُّها اطّراح الرياء ، فمن العبث أن يخطب قومٌ وداد القارئ وهم لا يَلقونه إلا مرائين

والأصل فى الأدب أنه تعبيرٌ طريف عن أغراض الحياة والأحياء . وإنما قلت « تعبير طريف » لأبدد الشبهة التى تقول بأن الأدب هو تصوير الشاعر والعواطف بالصدق الذى يماثل صدق الصورة الشمسية ، فالقارئُ لا يفرح بأن الكاتب حدثه عما يجول فى صدره بالحرف ، وإنما يسره ويبهره أن يجد فى تلك الصورة ألواناً لم يلتفت إلى مثلها من قبل ، على شرط أن لا يزيغه التلوين عن الصدق ، وعلى شرط أن يكون الجانب الطريف أظهر الجوانب فى الأداء

فأين نحن من هذه المعانى فى هذا الزمان ؟

من المحقق أن الأدب عندنا فى ازدهار ، ولكنى مع ذلك أعانى ضروباً من التخوف . فالجماهير فى مصر لم تشعر إلى اليوم بأن الأدب صار قوتاً لا تطيب بدونه الحياة . ولم نسمع أن الجماهير مستعدة للمساعدة على نشر كتاب يعجز عن نشره أحد كبار المؤلفين . ولم نسمع أن كتاباً أعيد طبعه عشرين مرة فى أشهر معدودات ، كما يقع ذلك فى بعض الممالك التى تمانى شهوات العقول

فما أسباب هذا الخمود ؟

أخشى أن أقول إننا لم نصر كتّاباً ولا مؤلفين بالمعنى الصحيح للكتابة والتأليف

أخشى أن أقول إننا عجزنا عن خلق الجاذبية الأدبية ، وسيحكم علينا التاريخ بما لا نريد ، فسيقول أقوامٌ إن مصر عانتْ زمناً لم يعرف أدباؤه كيف يرفعون البراقع عن الأقلام ، ولم يفكروا فى رفع الأمية الفكرية عن عقول القراء

أعوذ بالله من بعض ما أرى وبعض ما أقرأ وبعض ما أسمع !

وبالله أستعيذ من زمن تضعف فيه الأبوّة الروحية ، أبوّة الباحثين والمفكرين !

ومع هذا فالأمة المصرية هى هى لم تتغير ولم تتبدل ، الأمة التى تستمع كل قول ، وتستجيب لكل نداء ، ولم يَفتُر نشاطها الذهنى فى أى وقت ، ولكن أين من ينتفع بالحيوية المكنونة فى ضمير الأمة المصرية ؟

انتفع السياسيون من أمثال : مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ، لأنهم جاهدوا وناضلوا وكافحوا ، ولأنهم جددوا

بقول « نعم » فى غير موضعها ؟ وإنما هذه خرافة تثبت بالباطل وتلك خرافة تنفى بالباطل ، ولا فرق فى الباطل بين نفى وإثبات

الشعور على البعد جائز ما جازت الصلة بين الإنسان وموضوع شعوره ، وقد رأينا أن هذه الصلة لا تنقطع فى طريق صوت كالهمس على مسافات الألوف من الفراسخ والأميال ، فقبل أن ننفى الصلة بين نفسين ينبغى أن نتمهل طويلاً حتى نوقن من وجه الاستحالة والامتناع ؟ ولن يكون هذا اليقين إلا ببرهان قاطع . والقول بهذا البرهان القاطع قبل أن يوجد ويتقرر هو أجرأ على العلم والعقل من التصديق بغير برهان اعتماداً على المروى والمشاع .

عباس محمود العقاد

أهدافهم تحديداً لا يتطرق إليه الارتياب ، ثم رحبوا بجميع المتاعب فى سبيل تلك الأهداف

فاذا صنع الأدباء ليسيطروا بالقوة الروحية ، كما سيطر أولئك بالقوة السياسية ؟

قد يقال إن الوطنية وترٌ حسّاس ، فهى السرّ فى نجاح أولئك الرجال

وأقول إن النزعة الإنسانية أقدم وأعمق من النزعة الوطنية ، فلو جاهد الأدباء جهاد الصدق لكان لهم فى أممهم تأثيرٌ لا يصل إليه كبار الوطنيين ، ولكان من السهل أن تكون مبادئهم شرائع يعتصم بها السياسيون

وأعجب العجب أن يكون فى الأدباء من يطلبون الاستقلال لأممهم ولا يطلبونه لأنفسهم ، كالأدباء الذين يعيشون تحت وصاية الأحزاب السياسية راضين وادعين ناعمين ، كأنهم ظفروا بكنوز قارون ، وكأن آلهة الفن هى التى ألهمتهم ذلك المذهب من مذاهب المعاش ، مع أن القلم أكبر وأعظم وأشرف من أن يتشوف صاحبه إلى الاستظلال بظلال الأحزاب

لا عيب فى أن يكون للأديب حزب ينتمى إليه إذا اقتنع بالتحزب فى سبيل القومية . ولا عيب فى أن تكون للأديب مطامع سياسية ، ولكن العيب كل العيب أن يكون الأدباء ذيولاً تجرجرهم التقلبات الحزبية ، وتدوسهم سنابك الأهواء

إن جهاد مصر الأدبى لا يقل عن جهادها السياسى ، فقد استطاع فريق من أدباء مصر أن يرفعوا اسم وطنهم فى الشرق ، ولكنهم مع الأسف عجزوا عن رفع اسم الأدب فى وطنهم ، لأنهم غفلوا عن واجب المصابرة تحت الراية الأدبية ، واكتفوا بالتغنى تحت الراية الوطنية

ألم أقل لكم إن الأديب ليس أجيراً للوطن ولا أسيراً للمجتمع ؟

وما قيمة الوطن إن لم يفرح بأن ينبغ فيه المفترعون لأبكار المعانى ؟

فى القسم المصرى بمتحف اللوفر فى باريس تمثالان ناطقان : تمثال الفلاح المتربع تحت الشمس وهو يتذوّق السكون والخمود ، وتمثال الكاتب المتربع وهو مهمومٌ يستعد للانشاء . وتلك صورة مصر فى القديم والحديث ، فمن أبنائها من يفرح بالنعيم البليد ، ومن أبنائها من يفرح بالشقاء السعيد . والأشقياء بالمعانى هم السعداء ، يوم يوضع للسعادة تعريفٌ صحيح

ألم يأن للأدباء أن يعرفوا واجبهم نحو الأدب ؟

ألم يأن للزمن أن يسمح بأن تقوم فى مصر دولة أدبية لا تعرف غير الصدق فى البيان عن أوهام الأهواء وأحلام القلوب وأوطار العقول ؟

أمن المستحيل أن يقول أديبٌ « أنا » فى هذه البلاد ؟

ألا يوجد فينا من يتوكل على الله وحده ليملك الغنى عن الناس فيكتب ما يكتب ويقول ما يقول فى صراحة وإخلاص ؟

عذرت من عاشوا فى زمان الظلم ، فما عذر من يعيشون فى هذا الزمان ؟

إن حرية التفكير مكفولة للجميع ، على شرط السلامة الفكرية ، فما الذى يوجب أن يكون الأديب إمّعة لا ينطق أو يصمت إلا وفقاً لبعض الوحيات الأجنبية عن جو العقل والروح ؟

وما الموجب لأن يتفاضل الأدباء بالقدرة على الرياء ، وهو سناد المهازيل ، وعماد المااليل ، ودعام الناخيب ؟

لقد وُضع الورق فى التسعيرة الجبرية قبل أن يوضع الفول ، ومع هذا لا يفهم ناس أن قوت العقول يسبق قوت البطون !

إن الأدب الكاذب ينفع ، فكيف يضرّ الأدب الصادق ؟

والأدباء المستعبَدون يُفلحون ، فكيف يخيب الأدباء المستقلون ؟

جرِّبوا الصدق مرةً واحدة ، يا أدباء هذا الزمان ، وحاولوا مرةً واحدة أن يكون لكم وجودٌ منزّه عن التبعية ، ولو كانت فى أشرف الأوضاع ، ليصح لكم القول بأنكم من دعاة الحرية والاستقلال

إن محنة الأدب فى هذا العصر محنة عاتية ، وهل توجد محنة

أقسى من محنة العبودية ؟ ولأى سبب ؟ للقوت الذى لا يبخل الله به على ضعاف النمال !

إن الأديب المصرى لم يُخلق بعد ، الأديب الذى يستوحى نجوم السماء لا نجوم الأرض ، الأديب الذى لا يخاف الجوع ، لأن له زاداً من الحب والنسيم ، الأديب الذى لا يخشى التوحد ، لأن التوحد هو أنس الأسود

التصوف خُلق أول مرة فى مصر ، فى عهود سبقت عهود الفراعين . عنا أخذ الناس معانى الروحية ، فهل يعاب علينا أن ندعو إلى الصوفية الأدبية ؟

ولكن أين الأديب ؟ أين لا أين ، فقد طوقت المنافع ألباب الأدباء فى هذا الزمان ؟ !

إن وُجد الأديب المصرىُّ المنشود فسيكون المرجع لأقطاب السياسة وأعيان المال ، لأن الأدب هو الميزان لفهم مطالب الحياة وحقائق الوجود

وهنا تظهر إحدى الدقائق الروحية : فالميزان لا يستفيد مما يَزِن ، وإنما يستفيد الوزان ، فيا أدباء مصر كونوا موازين لا وزّانين

آه ثم آه ! !

إن الذى يملك بعض المنافع فى هذه البلاد يعتز ويستطيل ، فكيف يجوز لحامل القلم أن ينسى نعمة الله عليه فيتمسّح بهذا الركن أو ذاك ؟

وما الذى يمنع من أن نجرّب حظنا مع الله ، وقد جربنا الحظوظ مع الخلائق ؟

لقد عفا الله عن سفهاء الأدب فأورثهم الخلود ، برغم تردّيهم فى هوّة التزلف إلى الوزراء والأمراء والخلفاء

قال أبو نواس فى مدح الأمين :

عقتُ بحبل من حبال محمد أمِنتُ به من طارق الحدثانِ

فغضب الله عليه وعلى الأمين وأوردهما موارد البلاء

واعتزّ البحترى بصحبة المتوكل فضاع الأول وهلك الثانى

أنا أدعو الأدباء إلى التخلق بأخلاق الصوفية . . .

هل تذكرون بعض مذاهب الصوفية ؟

إسمعوا هذا الحديث :

انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دينٌ يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء ، وهذا كفرٌ بظاهر القول ، ولكنه فى الجوهر غاية الإيمان ، لأن المهمّ أن تصحّ الصلة بصاحب العزة والجبروت ، والأنبياء عباد الله قبل أن يكونوا مرسلين وبعد أن كانوا مرسلين ، وهم أشرف من أن يدّعوا مشاركة الخالق فى طاعة المخلوق

ومشكلة الأدباء أهون من مشكلة الصوفية ، فنحن لا ندعوهم إلى الترفع على الأنبياء ، وإنما ندعوهم إلى الترفع على الناس . ندعوهم إلى أن يعرفوا أنفسهم . ندعوهم إلى أن يعرفوا نعمة الله عليهم . ندعوهم إلى التنسك فى سبيل المبادىء الروحية . ندعوهم إلى إنقاذ الأدب من مزالق الرياء

فلان الذى يكتب فى المجلة الفلانية عن الدين والأخلاق لا يستبيح المرور بشارع فؤاد ولا عبور جسر قصر النيل ، مخافة أن يقول الناس إنهم رأوه يسير هنا أو هناك

فكيف تعبدون الله يا عَبيد الناس ، وهل يعبد الله من يخاف الناس ؟

إطرحوا هذه البراقع . إطرحوها ، إطرحوها ، والله المسئول عن أفواتكم ، إن ضاعت بسبب الصدق ، فبينكم وبين الله عهدٌ وثيق ، عهد يقضى بأن لا تكون العزة لغير الصادقين ، والله لا ينقض الميثاق

فى كل ميدان فرصٌ ينفع فيها التمرين والتدريب ، إلا الأدب ، فهو موهبة ربانية لا تنال بجهاد الأنفس والأموال ، ولا يظفر بها الملوك ، إلا إن كانوا موهوبين

تستطيع الشعوب أن تجلس على عرش المُلك من تشاء ، ولكنها تعجز عن خلق الأديب ، لأن الأديب من إبداع المبدع الوهاب ، ومن كرم الله على الأنبياء أن جعلهم فصحاء . وهل فات موسى أن يسأل الله تأييده بلسان هرون ؟

الأدب سلطنة لا يجوز عليها الذل

فى الأدب المقارن

الندوات الأدبية الخاصة فى الغرب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

عُنِى مؤرخو آداب الأمم الغربيّة بتصوير المجالس الأدبية التى كانت تعقد فى أوربة فى القرون الخوالى . فقد لاحظوا أن أبهاء الأمراء والنبلاء ، وأنداء الفلاسفة والعلماء ، ومجامع الشعراء والأدباء، كان لها فى أحايين كثيرة أثر بالغ فى توجيه الأدب وجهة معينة ، وإكسابه لوناً لا عهد له به من قبل ، وتوشيته بصور طريفات فيها جمال وحياة

كانت وحدة الأذواق والميول ، تدفع فى الغالب إلى عقد هذه المجامع ، وربما كان السببُ فى بعض الأحايين ، نبلَ أميرة ، أو ذكاء سيّدة ، أو عبقرية أديب ، أو الطمع فى غرض نبيل والسعى وراء غاية مثلى . وقد بدأت هذه المجامع تظهر منذ القرن السادس عشر ؛ ففى أسبانية أسس أول مجمع أدبى حوالى سنة (١٥٣٠) وكان يرأسه « دلافيرجا C. de la Verga » وكان ينهج هو وصديقه « Boscan » نهج الشعراء الإيطاليين ويقلدان آثارهم تقليداً شديداً

وجعل فريق من المعجبين بالشاعر الإيطالى « بترارك » فى فرنسة ، مدرسة خاصة به فى « ليون » ، فى منتصف القرن السادس عشر . وكان أفراد هذه المدرسة يتتبعون آثار ذلك الشاعر ، ويسلكون نهجه ، وينشرون مبادئه الأخلاقية ، ويرون أن شعره أحسن وأرفع شعر ينبغي للشعراء أن يغترفوا من معينه دائماً

وفى هذه الحقبة ، أعنى فى منتصف القرن السادس عشر ، أسس فى باريس مجمع سموه « بلياد Pleïade » (١٥٥٠) . وكان يرأسه « رونسار Ronsard » الشاعر ، وفيه ستة آخرون ، وقد كان هذا الاسم يطلق فى القرون الخالية على بنات أطلس وبليون Pleïone السبع اللواتى قتلن أنفسهن من الخيبة ، ثم انقلبن إلى نجوم تسطع فى السماء ، كما تروى الأساطير . وقد اتخذ هذا الاسم سبعة من الشعراء اليونانيين لمجمع لهم ؛ ثم أطلقه رونسار على مجمعه بعدهم . وكان رونسار وأصدقاؤه ينشرون الشعر الإيطالى وينقلونه إلى الفرنسية . وقد بينا هذا فى مقالنا عن أثر الآداب الأجنبية فى الأدب الفرنسي فى هذه المجلة ، فليرجع إليه[1]

وفى انجلترا جمعت « الكونتس دوبمبروك Comtesse de Pembroke » حولها فئة من الشعراء الذين كانوا يقلدون مآسى الشاعر الفرنسى R. Garnier « كهيبوليت Hippolyte » و « اليهود Les Juives » وغيرهما ، وكانوا يحاولون الوقوف دون انتشار الدرام الحرة التى قامت قبل شكسبير

وفى سنة (١٧٧٠) قام فريق من الأدباء فى غوتنجن Gôttingen فأسسوا مجمعاً سموه « مجمع الاتحاد Union » وكان هدفهم تمجيد « ڤولتير Voltaire » الشاعر الفرنسى و « ويلند Wieland » الشاعر الألمانى ، الذى أطلقوا عليه اسم « ڤولتير ألمانية » وكانوا معجبين أيضاً بالشعراء الإنجليز

(١) فى العدد ٤٥٧ من هذه المجلة

والكفر بالأدب كفرٌ بحق الله فى اصطفاء من يشاء

ثم ماذا ؟

ثم يبقى القول بأن إيمان الأدباء بالله ضعيفٌ ضعيف ، فما زالوا يتوهمون أن لهم حوائج مع الخلائق ، وهذا شِركٌ لا يرضاه الله ولا نرضاه

أنا أعرف السر فى انهيار دولة الأدب فى جميع الأجيال ، فقد كان الأدباء يجافون الله ويصافون الناس

فيا أيها المبدع الأول والأخير لأنوار القلوب وأضواء العقول ، تفضلْ فاجذبنا إليك ، حتى لا نرى روحاً سواك ، ولا نشهد إلا إياك ، ولا نستجير بغير حماك ، ولا نعتمد إلا عليك فما يعتمد على الخلائق غير الأذلاّء

الأدب خير ما أبدعتَ ، فهو منك وإليك ، ولك الحمد وعليك الثناء .

زكى مبارك

وفى الوقت نفسه أسس فى ألمانية المجمع المسمى : « Assaut et élan » وكان يمجد « أوسيان » و« شكسبير » الإنجليزى، وروسو الفرنسى

وفى أواخر القرن الثامن عشر ، كانت المدرسة الابتداعية الألمانية التى كان يرأسها « شلجل Schlegel » تتعطش لآثار شكسبير و « سيرفانتس Servantès » الأسبانى ، وأدباء المآسى فى أسبانية والبرتغال

وقامت فى السويد ، فى أوائل القرن التاسع عشر ، جمعية العصبة السويدية المسماة « Fosforistes » لتنقل إلى شعرها محاسن الشعر الابتداعى الألمانى والإنجليزى .

أما فى فرنسة ، فقد قامت فى القرن التاسع عشر عدة ندوات أدبية ؛ فقد كان « ستاندال » الروائى ، و « آمبير Ampère » الأديب المؤرخ ، و « جاكومونت Jacquemont » الرحالة ، و « ميريه Merimée » الكاتب الروائى ، يجتمعون فى دار « دليكلوز Delecluz » المصور الشهير والنقاد اللاذع ، ليقرأوا آثار أوسيان الأيقوسى ، وروائع شكسبير ، ويمجدوا آياتهما

وكان هناك عصبة هوغو المسماة « سيناكل Cénacle » ومعنى هذا الإسم ، صومعات صغار أدبية . وكان يطلق فى الزمن الغابر على الغرفة التى كان المسيح عليه السلام يجمع فيها تلاميذه ثم أصبحت تطلق على كل اجتماع ، وخصصت أخيراً بمجمع هوغو فى فرنسة . وكان من أفراد هذا المجمع « دفيني A. de Viny » الشاعر المتشائم ، و « نوديه Ch. Nodier » القصصى ، وديشامب Deschamps الروائى ، ودموسيه A. de Musset صاحب الليالى ، وغيرهم . وكانوا مأخوذين بروائع شكسبير و « بيرون Byron » و « سكوت Scott » يتتبعون آثارهم ويستوحونها فى كثير من الأحايين .

وقد نجد فى بعض الأحايين مجامع أدبية كانت تقوم حول مجلة أفرادها هم مؤسسوها والمحررون فيها . كالمجمع الذى قام حول مجلة La Muse Française ، و « Globe » فى فرنسة ، ومجلة « L'Europeo » فى إسبانية ، ومجلة « Fosforos » فى السويد ، ومجلة « L'Athenœum » فى ألمانية ، ومجلة « Conciliatoré » فى إيطالية .

وإلى جانب هذه المجامع ، كانت تقوم أبهاء الأدب وصالوناته . وقد كان لها أثر فى نمو الأدب ونهضته وبعثه . وأقدم بهو هو بهو أوتيل درامبوييه « L'Hotel de Rambouillet » . وكان لصالونات باريس فى القرن الثامن عشر أثر وصدى بعيد ، وساعدت على انتشار ألوان طريفة من الآداب الأجنبية . كصالون مدام ديفاند ، والآنسة دلسبيناس . . . وكان رجال هذه الأبهاء متأثرين بالأدب الإنجليزى . وفى ستوكهولم كانت سيدتان مركزين للأدب فتحا قصريهما لأهله ، وهما : السيدة نوردينفلخت والسيدة لينوجرن « Mme. Nordenflycht » و « Mme. Lenugren » . وفي لوندرة قام صالون الدوقة دمازاران duchesse de Mazarin فى القرن السابع عشر ، وصالون اللادى هولاند Lady Holland فى القرن الثالث عشر . وكانت هذه الأبهاء وسيطة لنقل الأدب الأجنبى إلى انجلترا ، ومن انجلترا إلى فرنسة .

وفى القرن التاسع عشر نجد فى فرنسة صالون « مدام موهل Mme. Mohl » و « مس مارى كلارك » . على أن أعظم هذه الصالونات أثراً ، صالون « مدام دستال » فى قصر « كوبه » الذى فتح أبوابه من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٨١١ . وكان مهبطاً للعلماء ومزاراً للأدباء

وتبيان أثر هذه المجامع والأبهاء فى نشر الآداب وإحيائها ، بصورة أكثر تفصيلاً يحتاج إلى صفحات مطولات . غير أن من المقرر أنها كانت وسيلة إحياء وتلقيح وازدهار ، وأنها كانت سبباً فى تقدم ونمو وانتشار

***

هذه لمح عن مجامع الأدب الخاصة فى الغرب ، ذكرت ما كان له منها شأن وأثر كبير . وهناك مجامع وأبهاء أقل شأناً أغفلتها . وليت أدباءنا يعنون بنشر ما يعرفونه عن المجامع الأدبية الخاصة فى مصر والشام والعراق ، فى العصر الخالى أو العصر الحاضر ، فى هذه المجلة . فإن فى ذلك طرافة ومتعة وتسجيلاً لصفحة من صفحات تاريخ أدبنا الذى نكتبه اليوم .

(دمشق) صموع الدبه المجيد

الشعب الحبشي
للدكتور فؤاد حسنين

إذا تحدثت لقراء الرسالة عن الحبشة فإنما أتحدث عن بلاد تربطها بالشعوب العربية روابط عديدة أذكر منها على سبيل المثال إلى جانب الجنس واللغة ، الدين والجوار . الشعب الحبشى فى مجموعه سامي حامى ، ولفظ حبشة إن دل على شىء ، فإنما يدل على تلك للقبائل التى استوطنت بلاد العرب الجنوبية ولعبت دوراً هاماً فى التاريخ المعينى السبائى . والتاريخ يحدثنا أن هذه القبائل ، أعنى قبائل حبشة ، هاجرت من بلاد العرب الجنوبية حوالى القرن العاشر قبل الميلاد واستوطنت الجزء الشمالى من بلاد الحبشة فأطلق على ذلك الجزء اسمها . ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على هذه البلاد الواقعة بين خطى عرض ٤ و ١٥ شمال خط الاستواء . فسكان البلاد الذين أطلق اسمهم على تلك البلاد عرب وعرب خلص نزحوا من بلاد معين وسبأ فى عصر كان يطلق فيه بحق على بلاد اليمن بلاد العرب السعيدة حيث المدنية زاهرة والحضارة زاخرة . نزحت تلك القبائل إلى القارة السوداء فحملت معها كثيراً من معالم الحضارة العربية الجنوبية من دين وكتابة وعلم وأدب، فغزت العقول كما غزت البلاد، وأقامت هناك الدعائم الأولى للحضارة الأثيوبية وأزالت العقبات التى كانت تعترض تقدم العقل الأفريقى ومهدت للديانات السامية السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام بفتح تلك البلاد وتثبيت أقدامها . نزلت قبائل الحبشة ذلك الصقع الأفريقى فوجدت فيه عنصراً أفريقياً وآخر حامياً انفصل عن أرومته السامية الأصلية فامتزجت بهما وتكون من هذا المزيج الشعب الحبشى الحالى ، فهو إذاً شعب مركب من عنصر أفريقى قديم، وآخر حامى أو كوشى ، وثالث سامى . فنحن نرى من هذا أن سكان البلاد ينتمون إلى جنس هو جنسنا، ولسانهم ، قديمه وحديثه ، ينتمى إلى الأسرة السامية الحامية التى تضم كثيراً من اللغات كالعربية والمصرية القديمة .

وقد عرضتْ لإثبات هذه العلاقة بين الأحباش والساميين أسطورة حبشية قديمة تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم أعنى قصة ملكة سبأ وسليمان . فالأسطورة الحبشية ككثير من الأساطير تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قروناً عديدة وكان على جانب عظيم من البشاعة والشراهة إذ كان يفترس يومياً ما لا يقل عن عشرة بقرات ومثلها من الثيران وألف رأس من المعز ومائة من الضأن وكثيراً من طيور السماء إلى جانب ما يقدم له من العذارى ، فضاق السكان به ذرعاً فلجأوا إلى شخص اشتهر بالقوة يسمى (إنجابو) وفاوضوه فى أن يقتل التنين ويتولى هو الملك عليهم ، فقبل (إنجابو) وقتل التنين وتولى الملك وأنجب ابنة تسمى (ماكدا) وهى التى تعرف فى التاريخ باسم ملكة سبأ ودخلت ملكة سبأ فى حرم سليمان ، وفي طريقها إلى بلادها وضعت غلاماً أسمته (ابن حكيم) أو ابن سليمان ، وهو المعروف فى التاريخ الحبشى باسم (منليك الأول) مؤسس الأسرة السليمانية التى جلست على عرش الحبشة من (٩٥٠ ق . م إلى ١٨٥٥ م .) . فمن هذه الأسطورة نعرف العلاقة بين الفرعين الساميين من ناحية ، ونفهم الحكمة فى أن نجاشى الحبشة يعتبر نفسه أسد سبط يهوذا الذى رمز إليه فى العلم الحبشى بأسد متوج شاهراً بيمينه صولجان القوة والجبروت .

وكما أن بلاد الحبشة هى الملتقى لهذه العناصر السامية الحامية ، فهى الأرض التى نجد من بين سكانها الوثنيين واليهوديين والمسيحيين والمسلمين . فالوثنيون يدينون بوثنية تحمل إلى جانب طابعها الأفريقى طابعاً أسيوياً يمنيًا ، فإلى اليوم ما زلنا نقرأ فى الكتب الحبشية والآثار الأدبية كثيراً من الألفاظ الوثنية القديمة مثل (محرم) إله الحرب ، و (عستر) إله السماء ، و (مدر) إله الأرض ، و (بحر) إله البحر . وإلى اليوم أيضاً ما زال أصحاب هذه الديانة يلعبون دوراً هاماً فى التنافس القائم بين المسيحية

والإسلام ، فمن بين العشرة ملايين نسمة التى يتكون منها الشعب الحبشى نجد نحو ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التى أدخلها المبشرون البلاد فى القرن الرابع الميلادى ، وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمي عام ٣٥٠ م عند ما اعتنقها الملك (عزانا) . أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة . ومن الجدير بالذكر هنا أن قبائل كثيرة مسيحية ووثنية أخذت تسارع إلى الدخول فى الإسلام فى السنوات الأخيرة حتى أزعج ذلك كثيراً من الدول الأوربية فسارعت إلى مكافحته والوقوف فى وجهه . وهذا التنافس بين الإسلام والمسيحية ليس حديث عهد فى الحبشة . فالتاريخ الحبشى نفسه يحدثنا أن تاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . ولعل أهم عصر يتجلى لنا فيه هذا الصراع الدينى هو الزمن الممتد ما بين عامى ١٥٤١ و ١٥٤٣ ؛ ففى ذلك الوقت ظهر قائد حبشى مسلم يسمى أحمد بن إبراهيم ، اشتهر ببسالته ومهارته الحربية ، فبعد أن كان جندياً بسيطاً أصبح أميراً على هرر . وفى عام ١٥٢٧ هاجم بقية الولايات الحبشية واستولى عليها وأخضعها لسلطان المسلمين ، وهرب الملك المسيحى (لبنا دنجل) واعتصم بالجبال ، ولو لا أنه استعان بالبرتغاليين الذين خفوا لمساعدته ما استطاعت المسيحية أن تعود ثانية إلى الحبشة . لكن هذا النفوذ الأوربى الذى استعانت به المسيحية فى ذلك العصر عاد على الحبشة بأوخم العواقب ؛ فمنذ النصف الثانى من القرن السادس عشر أخذت تعنى بعض الدول الأوربية بالحبشة وظهرت فى عالم السياسة المسألة الحبشية التى كانت سبباً قوياً من أسباب انقسام أوربا إلى معسكرين عظيمين لن يحل السلام بلادهما إلا بعد أن تتقوض أنظمة ، ويعم الخراب ، ويكثر الدمار . وبيان ذلك الاهتمام بالمسألة الحبشية أن أوربا منذ ذلك الحين أخذت تبعث الجمعيات التبشيرية إلى جانب بعض الرحالة والعلماء . وفى القرن السابع عشر أخذ المستشرقون الألمان يعنون بتاريخ الحبشة ولغتها . وفى القرن الثامن عشر نجد الرحالة والمستشرق الإنجليزى (بروس) يدخل الحبشة عن طريق مصر مكتشفاً منابع النيل . وفى عام ١٨٥٥ نجد أحد قطاع الطريق من الأحباش الذى كان راهباً وهرب من الدير يشن الغارات على سائر الأمراء وينتزع السلطان من أيديهم ويكلف (أبونا) أن يتوجه (نجوس نجست ذ إيتيوبيا) أى ملك ملوك إيتيوبيا وتسمى باسم (تيودور الثانى) وأخذ يقوم بإصلاحات داخلية كبيرة ، فألغى الرق وحرم تعدد الزوجات وضم إليه إقليم (شوا) وأصبح ذلك الملك الذى كان فى صباه فقيراً مشرداً والذى كان يسمى (كسا) والذى كانت أمه تبيع فى أسواق (جندار) غنياً قوياً وحد الحبشة وأخذ يخلق من شعبه أمة قوية مهيبة الجانب ، فاصطدم ببعض الأجانب المقيمين فى بلاده ، فأرسلت انجلترا عام ١٨٦٧ اللورد (نابيير) على رأس حملة تأديبية للحبشة استولت بدون كبير عناء على حصن (مجدلا) ، ولما أيقن الملك بالهزيمة انتحر ، فكان موته سبباً فى تفكك الوحدة الحبشية أيام خلفه الملك (يوحنا الرابع) الذى توجه الإنجليز عام ١٨٧٢ . وفى أيامه قام ابن والى إقليم (شوا) وطالب بإعادة إقليمه إليه فمنحه وأصبح ملكاً عليه وتسمى باسم (منليك) ، ومن حسن حظه أن يوحنا قتل فى حربه مع الدراويش عام ١٨٨٩ فأعلن (منليك) نفسه ملك ملوك وأخذ يعمل جهده لجمع صفوف أفراد شعبه فهاجمته إيطاليا فهزمها شر هزيمة فى موقعة عدوة عام ١٨٩٦ . وقد كان منليك هذا محبوباً من شعبه ، حتى أنه يقسم به إلى اليوم ، كما تم فى أيامه الخط الحديدى من جيبوتى إلى أديس أبابا . وفى عام ١٩٠٨ مرض مرضاً أقعده عن القيام بمهام الحكم ، فتنازل عن الملك لامرأته (تيتو) وتوفى هو فى ١٢ ديسمبر عام ١٩١٣ ، وتولى الملك بعد وفاته حفيدة (ليدو يسوع) وكان يميل إلى الإسلام فلما ظهرت ميوله إلى الإسلام والمسلمين اجتمعت عليه عوامل مختلفة خارجية وداخلية وخلعته وزجت به فى السجن عام ١٩١٧ ، وتولت بعده

أعلام الوحدة العربية

عوامل ثورة العرب

للأستاذ نسيب سعيد

أظنك لا تزال تذكر أني وعدتك في حديثي الماضي أن أفصل لك ما أجملت من الأسباب المباشرة لثورة العرب الكبرى . وقد رددت هذه الأسباب إلى عوامل أربعة ، وهي : العامل الشخصي ، والإقليمي ، والديني ، والقومي . وها أنا الآن — برّاً بالوعد الذي قطعته على نفسي — أشرع بالإسهاب والتفصيل فأقول :

١ — العامل الشخصي

يذهب الباحثون إلى القول أن في مقدمة العوامل المباشرة للثورة العربية اعتقاد زعيمها « الحسين بن علي » بأن رجال الدولة العثمانية قد انتزعوا كل ثقة منه ومن أنجاله ، وأنهم يتحينون الفرص للقبض عليه وإقصائه ونفيه إلى أقاصي البلاد .

ولا يخفى عليك أن الغاية الأساسية للترك من إرسال وهيب باشا القائد التركي العام إلى الحجاز وتزويده بما زود به من سلطة واسعة ، هو لأجل القضاء على كل ما « للحسين » من نفوذ وشوكة في البلاد العربية . ويعترف جمال السفاح في مذكراته أن وهيب باشا هذا طلب من الحكومة إرسال فرقة من الجند لتنفيذ مشروعه ، ولو لا مفاجأة الحرب العظمى — وقد جاءت على حين غرة — لنفذ ذلك المشروع الظالم ، ولقضوا على « الحسين » قضاء أبدياً ، بل لقضوا على كل حركة أو نهضة قومية في بلاد العرب

ويضاف إلى ذلك ما يردده البعض من المؤرخين وهو أنه كان « للحسين » عيون في ديوان حكومة مكة ، وفي مكتب برقها ، وفي الباب العالي أيضاً يوافونه بكل ما يدور بشأنه من مكاتبات بين الآستانة ومكة ، ويطلعونه على جميع الخطط والتدابير . وما كان باستطاعة الاتحاديين الترك معرفة شيء من أسراره وخططه لأنه كان حذراً ، شديد التكتم ؛ وقد ظل يجاملهم ويلاطفهم ، حتى اضطرهم إلى استبدال وهيب باشا بغالب باشا في أوائل زمن الحرب الماضية ، فارتاح من خصم شديد المراس ، وخلا له الجو في العاصمة العربية فتصرف كما أراد وتسنى له أن يستأثر بمقادير كبيرة من السلاح في خلال سنتي الحرب الأوليين ، كما استطاع الحصول على مبلغ كبير من المال لا يقل عن ٦٠ ألف ليرة عثمانية ذهب من جمال السفاح . ولعل خوفه من الانتقام هو الذي جعله يشترط على الترك في خلال المفاوضات التي دارت بينه وبينهم جعل الإمارة العربية وراثة في أنجاله لأنه كان يخشى إقصاءه في أول فرصة تسنح ، فأراد لذلك أن ينال من الدولة العثمانية عهداً باستبقاء الإمارة في بيته وذريته فيطمئن ويرتاح ، فأبى عليه رجال الترك ذلك

الأميرة (زوديتو) ابنة (منليك) وإلى جانبها الرأس (تفاري) ابن عم (ليدو يسوع) حاكما على البلاد ، وبقيت السلطة في يد (زوديتو) حتى ٧ أكتوبر ١٩٢٨ إذ نودي بالرأس (تفاري) ملكاً فقط . وبعد وفاة القيصرة عام ١٩٣٠ أصبح ملك ملوك في ٢ نوفمبر ١٩٣٠ ولقب بلقب (هيلاسلاسي) أي قوة الثالوث . وما كاد يجمع عزيمته للعمل على رفع مستوى شعبه علمياً وأدبياً وعسكرياً حتى انقضت عليه إيطاليا الفاشستية واغتصبت منه عرشه . لكن هذا النصر الإيطالي لم يكن في الحقيقة إلا انتصار الحديد ووسائل القتال الحديثة التي لم تكن متوفرة عند الحبش على الشجاعة والبطولة والإيمان بالقول المأثور (النصر مكتوب لأسد سبط يهوذا) الذي تحقق أخيراً بفضل تعاون الأسدين اليهوذي والسكسوني .

فؤاد حسنين

مدرس بكلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

٢ — العامل الإقليمى

ويأتى العامل الإقليمى أو الاقتصادى بعد العامل الشخصى ، ويجب أن يحسب حسابه أيضاً ؛ وقد نشأ عن مركز الحجاز الاقتصادى وعن حالته الاستثنائية . فالحجاز قطر مجدب أو واد غير ذى زرع كما وصفه التنزيل العزيز . وقد اعتاد سكانه أن يعيشوا مما يدره عليهم موسم الحجيج . ولا يخفى أن الحرب العظمى أعلنت فى شهر رمضان عام ١٣٣٢ أى قبل موسم الحجيج بثلاثة أشهر تقريباً ، فضرب الحصار البحرى على سواحل الحجاز فى البحر الأحمر فتعطل بذلك موسم الحج ، وشعر سكان الحجاز بالضائقة الاقتصادية الخانقة ، وشعروا كذلك بألم الجوع ، فكاتب الشريف « حسين » الحكومة وبسط لها الموقف الاقتصادى فى القطر المقدس بسبب تعطيل موسم الحجيج فاعتذرت بسوء الحالة ، وبحاجة الجيش إلى القوت ، ولم ترسل شيئاً يهون على العرب هناك أمرهم وما هم فيه من ضنك وضيق فجاءوا الحسين يتوسلون إليه أن يعمل لإنقاذهم ، والوسيلة الوحيدة للخلاص من تلك الضائقة المستحكمة الحلقات كانت بمحالفة البريطانيين ، والاتفاق معهم على إلغاء الحصار البحرى فتعود السفن والبواخر إلى زيارة الحجاز حاملة الميرة والحجاج والأموال والخيرات

٣ — العامل القومى

وخلاصة ما يقال فيه أن الحسين ، وقد كان العرب ينظرون إليه كأكبر زعيم عربى فى ذلك العهد كبر عليه أن تساق الحرائر من أبناء أمته إلى الأناضول سبايا تحت ستار النفى والإبعاد ، وأن يقتل كبار قومه ، ويقلبوا ويمحوا من الأرض ويشتت شملهم لا لذنب جنوه ولا لإثم اقترفوه ، وإنما لأنهم طالبوا الدولة العثمانية بإصلاح بلادهم العربية خوفاً من أن يؤدى الإهمال فيها إلى تدخل الدول الأجنبية فى شؤونها باسم الإصلاح — كما جرى من قبل فى البلقان — ولذلك لم يجد الأمير العربى بداً حينما وقعت الواقعة ، وأصم الترك آذانهم ، من إجابة ملتمسه بالعفو عن زعماء العرب وأحرارهم من إعلان الثورة الكبرى انتقاماً لهم من الترك ، وطلباً للثأر ، ولإنقاذ بقايا السيوف من أبناء العروبة الأحرار ، وقد كانوا مهددين بالفناء والموت المحتم .

وهنالك شبه إجماع بين الباحثين فى القضية العربية على أن إسراع « الحسين » فى إعلان ثورة العرب بعد الفتك بالرعيل الأول والثانى من الشهداء الأبرار ، ونفى الأسر الكبيرة العربية إلى أقاصى الأناضول ، حمل الترك على تغيير سياستهم وأساليبهم كما اضطرهم إلى استقدام جمال باشا وتنحيته عن العمل فى بلاد الشام ، فعاد إلى عاصمة الترك يجر أذيال الخيبة والانكسار بعد ما فشلت مساعيه ، وخابت آماله فى إنشاء عرش له فى دمشق يتبوأه ويورثه لأبنائه من بعده وعلى الباغى تدور الدوائر

هذا من ناحية واحدة ، أما من الناحية الأخرى فقد كان الاعتقاد سائداً بين العقلاء أن النصر فى ختام الحرب سيكون للانكليز وحلفائهم ، فتدور الدائرة على الألمان وأنصارهم ومنهم الترك فتنقرض الدولة العثمانية ، ويموت الرجل المريض ، ويستولى بالتالى — الحلفاء على أراضى تلك الأمبراطورية الواسعة ، وبلاد العرب من جملتها ، وهكذا يقع العرب فى أيدى الدول الغربية الكبرى ؛ ولذلك كان لا بد للحسين بصفته زعيم العرب الأكبر يومئذ من الاتصال بخصوم الترك والألمان ، وعقد المواثيق معهم لإنقاذ دنيا العرب من أيدى الظلم والاستعباد ، وإنشاء الدولة العربية الكبرى الموحدة ، فتحل فى الشرق مكان الدولة العثمانية المنقرضة ، وتجدد مجد العرب الخالد ، وتبعث عزهم الطريف التالد ، وتحيي دولتهم العظيمة

٤ — العامل الدينى

وأخيراً يجب ألا ننسى العامل الدينى أيضاً ، فقد كان الحسين ، وهو صلب فى دينه ، شديد التمسك بأحكام الشريعة السمحاء ، مغرقاً فى المحافظة على التقاليد الإسلامية الحنيفة ، يعتقد بكفر الاتحاديين الترك وخروجهم على الإسلام لأعمال بسطها بسطاً وافياً فى المنشور الذى أذاعه على العالم الإسلامى

يوم إعلان ثورة العرب ، وقد نعهى من هذه المقدمة السلبية إلى نتيجة إيجابية وهى فرض قتالهم على كل مسلم ، والجهاد فيهم إنقاذاً للأمة من شرورهم . وقد قام بهذا الواجب حين أعلن الثورة عليهم وقاتلهم قتالاً رهيباً ...

تلك هى خلاصة العوامل التى عجلت فى إعلان ثورة العرب الكبرى ، ودفعت أميرهم « الحسين » إلى الصراع مع الترك وأنصارهم ، والانضمام إلى البريطانيين وحلفائهم .

والباحث المدقق فى هذه الثورة التى نشبت فى الحجاز أولاً ثم امتدت إلى بلاد الشام وغيرها من أقطار العروبة يجد أنها تمتاز عن الثورات والحركات العربية القومية الأخرى ، بكونها أول حركة استقلالية قام بها العرب مطالبين بالحرية والاستقلال ، والانفصال عن الترك والإفلات من نير الدولة العثمانية الجائر لتأسيس ملك عربى مجيد ، وتقلدوا السلاح لأجل ذلك . كما أنها كانت أعم ثوراتهم وأوسعها نطاقاً فقد اشترك فيها أبناء الحجاز ، ومصر والشام والعراق واليمن ونجد والشمال الأفريقى فوقفوا جنباً إلى جنب يقاتلون الترك تحت راية العروبة الخفاقة ، فأنقذوا الحجاز وحرروه من كل نفوذ أجنبى ، ثم واصلوا السير نحو الشام فاستولوا على جنوب القطر الشامى ثم اخترقوه وبلغوا أقصى حدوده الشمالية ، ولو ساعدتهم الظروف لواصلوا التقدم إلى العراق ، ولاستولوا عليه أيضاً . على أن ما فاتهم فى عام ١٩١٨ أدركوه فى سنة ١٩٢٠ فقد أنشأوا حينئذ حكومة عربية برئاسة أحد أبناء « الحسين » فى تلك الربوع

فهذا الطابع الخاص الذى طبعت به ثورة « الحسين » جعل لهـا مقاماً ممتازاً فى نفوس العرب على اختلاف أقطارهم ، وتباعد ديارهم ، وجعلهم يكبرون شأنها ، ويحتفلون بذكراها ، يضاف إلى ذلك أنها أنقذت الكثيرين من رجال سورية والعراق من موت محتم أو من شقاء دائم ، فقد كانت الخطة التى سار عليها الاتحاديون الترك فى ذلك العهد المظلم تقضى بنفى الأسر العربية الكبرى إلى أقاصى الأناضول لتتريكها وإفنائها ، واحتلال الأرمن محلها فيصبح الناس فى الشام بلا سراة ، كما أنها اضطرت الترك لإطلاق سراح كثيرين من الذين كانوا معتقلين فى غياهب السجون ، وكانوا ينتظرون صدور الأمر بإعدامهم من آن لآخر شأن إخوانهم الشهداء الذين سبقوهم .

وسيقدر العرب الأبرار — كلما طال بهم الزمن وامتد — ثورة أجدادهم هذه حق قدرها ويكبرونها ويجلونها ويدركون أنها من أنبل الثورات وأشرفها ، وإن الدعايات التى بثها الترك والألمان ضدها فى إبان الحرب الماضية لتشويه سمعتها ، ما كانت سوى أضاليل اقتضتها مصلحتهم السياسية ؛ ورغم النقائص التى اقترنت بها أسدت للعرب يداً كبرى ، وفتحت لهم باب الحياة القومية ، وعلمتهم كيف يثورون على الظلم والاستبداد ، ويقاتلون الظلام والمستبدين ، وكيف يطلبون الثأر والانتقام لأحرارهم وزعمائهم ومفكريهم الذين غدر بهم الترك ، وسقوهم كأس الردى لأنهم نشروا « الفكرة القومية » المقدسة ودعوا إليها . أما كيف أعلنت الثورة ، وأين كانت ميادين الصراع ، فهذا سيكون موضوع حديثنا المقبل ، فإلى اللقاء .

« دمشق » — أديب سعيد الحمامى

---

٤ - خـــــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأســتاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس ابن الحسين بن حمدان ، رءوس جماعة من أصحابه

ذكر مسكويه فى حوادث سنة ٣٠٤ هـ أنه « قبض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع إخوته وحبسوا فى دار السلطان . وكان هرب ابن الحسين بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد ، فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه وحملت رءوسهم إلى الحضرة »[١]

(د) رأس ليلى بن النعمان الديلمى

كان من ماجريات سنة ٣٠٩ هـ ، أنه « دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان »[٢]

(هـ) رأس أحمد بن على

ارتكب أحمد بن على وهو من أمراء الأعاجم من الظلم والشر أمراً عظيما ، وذاع خبر شره ؛ فخافه الناس . ولكن أمد الظلم قصير ، « فلما كان فى ذى الحجة من سنة ٣١١ هـ ، ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبى الساج بأحمد بن على أخى صعلوك ، وقتله إياه ، وأنه أخذ رأسه وهو على حمله إلى بغداد »[٣]

ثم قال مسكويه فى أحداث سنة ٣١٢ هـ ، إن « فى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبى الساج من آذربيجان إلى الرى ومحاربته أحمد بن على ، وحمل رأس أحمد ابن على وجثته إلى مدينة السلام »[٤]

(و) رأس الصيدلاوى

لم تخل خزانة الرؤوس حتى من رؤوس العيارين ، والشطار وقطاع الطرق . فهذا المعروف بالصيدلاوى كان « يقطع الطريق فاحتال عليه بعض الولاة فدس إليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز إليه ، فلما خالطوه ؛ قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلى الكوفة ، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد »[١]

(ز) رءوس جماعة من الفرنج :

كان من أجلّ أنباء سنة ٥٥٢ هـ : الواقعة بين الإسلام وبين الفرنج . قال ابن الجوزى : « وكانت وقعة عظيمة بين محمود بن زنكى وبين الإفرنج ، وفَتَح عسكر مصر غزة واستعادوها من الإفرنج ، ووصل رسول محمود بتحف وهدايا ورءوس الإفرنج وسلاحهم وأتراسهم »[٢]

٣ — نصب الرءوس فى جانبى بغداد

(ا) رأس رافع بن هرثمة :

من الأنباء التى حفلت بها سنة ٢٨٤ هـ : « قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة فى يوم الخميس لأربع خلون من المحرم على المعتضد ، فأمر بنصبه فى المجلس بالجانب الشرقى إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربى ونصبه هنالك إلى الليل ، ثم رده إلى دار السلطان[٣] . وخلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس »[٤]

٤ — نصب الرءوس على جسور بغداد

(ا) رأس القرمطى ، رءوس جماعة من قواده وأصحابه :

والقرمطي هذا ، هو الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، الذى اشتهر أمره ، وبالغ فى الظلم والفساد ، وهزم جيوش الخليفة غير مرة : وقد شرح أمره وأعماله جملة من المؤرخين ، فإذا أردتها فارجع إلى سنة ٢٩١ هـ وما قبلها تجد أخباره مفصلة . والذى يهمنا ها هنا رواية تعذيبه وقطع رأسه إذ كان قد حان قطافه . ودعنا نستل خبره من الطبرى الذى قال فى الوقعة بين القرمطى هذا وبين أصحاب الخليفة : « ... ولما تقدمت [الكلام لمحمد بن سليمان الكاتب] فى جمع

---

(١) تجارب الأمم (٥ : ٣٨)
(٢) تجارب الأمم (٥ : ٧٦)
(٣) تجارب الأمم (٥ : ١١٧)
(٤) تجارب الأمم (٥ : ١١٩)

(١) المنتظم (٧ : ١٠٥ ؛ حوادث سنة ٣٧٠ هـ)
(٢) المنتظم (١٠ : ١٧٦)
(٣) رد إلى دار السلطان — أى دار الخلافة — ليوضع فى خزانة الرءوس على الرسم
(٤) تاريخ الطبرى (٣ : ٢١٦٠) ؛ وانظر : مروج الذهب (٨ : ١٨٠) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٧٦)

الرءوس، وجد رأس أبى الجمل، ورأس أبى المذاب، وأبى البغل وقيل النعمان قد قتل؛ وقد تقدمت فى طلبه وأخذ رأسه وحمله مع الرءوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله »[1]

وها هو ذا يحدثنا عن القرمطى وأصحابه يوم جيء بهم أسرى إلى بغداد لينالوا جزاء ظلمهم وعيثهم، ولا يبعد أنه رأى المشهد بعينه؛ فأمعن فى الوصف وبالغ بذكر هذه الحقيقة. ودونك ما قاله: « ... ولما كان يوم الإثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول أمر المكتفى القواد والغلمان بحضور الدكة التى أمر ببنائها، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها فحضروها؛ وحضر أحمد بن محمد الواثقى وهو يومئذ يلى الشرطة بمدينة السلام، ومحمد بن سليمان كاتب الجيش، الدكة فقعدا عليها. وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفى معه من الرقة، والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومن كان فى السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة، وقوم من أهل بغداد كانوا على رأى القرامطة وقوم من الرفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة، وكانوا قليلاً، فجيء بهم على جمال وأحضروا الدكة ووقفوا على جمالهم، ووكل بكل رجل منهم عونان، فقيل إنهم كانوا ثلثمائة ونيفاً وعشرين وقيل ثلثمائة وستين. وجيء بالقرمطى الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر على بغل فى عمارية، وقد أسبل عليهما الغشاء، ومعهما جماعة من الفرسان والرجالة، فصعد بهما إلى الدكة وأقعدا، وقدم أربعة وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسارى؛ فقطعت أيديهم وأرجلهم، وضربت أعناقهم واحداً بعد واحد؛ كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيتقطع يمنى يديه ويحلق بها إلى أسفل ليراها الناس؛ ثم تقطع رجله اليسرى، ثم يسرى يديه، ثم يمنى رجليه، ويرمى بما قطع منه إلى أسفل، ثم يقعد فيمد رأسه فيضرب عنقه ويرى برأسه وجثته إلى أسفل. فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين نفساً، وكانوا من وجوه أصحاب القرمطى فيما ذكر وكبرائهم، قدم المدثر فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه. ثم قدم القرمطى فضرب مائتى سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوى فغشى عليه ثم أخذ خشب فأضرمت فيها النار ووضع فى خواصره وبطنه، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضها؛ فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه، ورفع رأسه على خشبة. وأقام الواثقى فى جماعة من أصحابه فى ذلك الوضع إلى وقت العشاء الآخرة، حتى ضرب أعناق باقى الأسرى الذين أحضروا الدكة، ثم انصرف، فلما كان من غد هذا اليوم حملت رءوس القتلى من المصلى إلى الجسر، وصلب بدن القرمطى فى طرف الجسر الأعلى ببغداد »[1]

(ب) رءوس جماعة من الأباضية

من الأحداث التى وقعت فى سنة ٢٨٠ هـ؛ فى خلافة المعتضد، على ما نقله المسعودى أن « افتتح أحمد بن ثور عمان، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين، فواقع الأباضية من الشراة وكانوا فى نحو من مائتى ألف، وكان أمامهم الصلت بن ملك بيلاد بروى من أرض عمان، وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة، وحمل كثيراً من رءوسهم إلى بغداد فنصبت بالجسر »[2]

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) الطبرى (٣ : ٢٢٤٢ — ٢٢٤٣)

(١) الطبرى (٣ : ٢٢٤٥ — ٢٢٤٦)؛ وانظر الرواية أيضاً فى المنتظم (٦ : ٤٣). وقال الطبرى فى حوادث سنة ٢٩٢ هـ: « ولثلاث خلون من شهر ربيع الأول منها، سقط الحائط الذى على رأس الجسر الأول من الجانب الشرقى من الدار التى كانت لعبيد الله ابن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطى وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط فطحنه فلم يوجد بعد منه شيء »

(٢) مروج الذهب ٨ : ١٤٣. وانظر الطبرى ٣ : ٢١٣٨

ليالى القاهرة

للدكتور إبراهيم ناجى

أليلاىَ ما أبقى الهوى بى من رُشْد ... فرُدِّى على المشتاق مهجته ردِّى

أينسى تلاقينا وأنتِ حزينة ... ورأسك كابٍ من عَياء ومن سهد

أقول وقد وسدته راحتى كما ... توسد طفلٌ مُتْعَبٌ راحة المهد

تعالى إلى صدر رحيب وساعد ... حبيب وركن فى الهوى غير منهد

بنفسى هذا الشَّعر والخُصَل التى ... تهاوتْ على نحر من العاج منقدٍّ

ترامتْ كما شاءتْ وشاء لها الهوى ... تميلُ على خدٍّ وتصدفُ عن خدِّ

وهذى الكرومُ الدانياتُ لقاطف ... بياضَ الأمانى من عناقيدها الرُّبْدِ

فيالكِ عندى من ظلامٍ محبَّبٍ ... تألَّقَ فيه الفرقُ كالزمن الرغد

ألا كلُّ حسنٍ فى البريَّة خادمٌ ... لسلطانة العينين والجِيد والقدِّ

وكل جمال فى الوجود حياله ... به ذلة الشاكى ومرحمةُ العبدِ

وما راع قلبى منكِ إلا فراشةٌ
من الدمع حامتْ فوق عرشٍ من الوَجد

مجنحةٌ صيغتْ من النور والندى ... ترف على روض وتهفو إلى وِرْد

بها مثلُ ما بى ياحبيبى وسيدى ... من الشجن القتّال والظمأ المردى

لقد أقفرَ المحرابُ من صلواته ... فليس به من عابدٍ ساهرٍ بعدى !

وقفنا وقد حان النوَى أى موقف ... نحاول فيه الصبر والصبر لايجدى

كأن طيوف الرعب والبيْن موشكٌ
ومن دمع الآلام والدمع فى حشْد
ومضطرب الأنفاس والضـيقُ جاثمٌ
ومشتبكُ النجوى ومعتنق الأيدى

مواكبُ خرسٍ فى جحيم مؤبَّد ... بغير رجاء فى سلام ولا برْد !!

فيا أيكةً مدَّ الهوى من ظلالها ... ربيعاً على قلبى ، وفيئاً من السَّعد

تقلّصتِ إلا طيفَ حب محيَّر ... على درج خابى الجوانب مسودّ

تردَّد واستأنى لوعد وموثق ... وأدبرَ مخنوقاً وقد غصَّ بالوعد

وأسلمنى لليـل والقبر باردا ... يهبُّ على وجهى به نفس اللَّحد

وأسلمنى لليل والوحش راقدا ... تمزقنى أنيابه فى الدجى وحدى

كأن على مصر ظلامين: أعكرٌ ، ... وآخرُ من خافى المقادير مُزْبد

رُكودٌ ، وإبهامٌ ، وصمتٌ ، ووحشةٌ
وقدْ ضمَّها الغيبُ المحجَّبُ فى بُرْد

كأن سماء النيل لم تلقَ حادثا ... ولا قصفتْ فيها القواصفُ بالرعد

أحقا تولّى ذلك الهـولُ ، وانمحتْ
خواطرُ ذاك الويلِ والرعب والحقد

فيا للقلوبِ الصابرات وقد خفتْ ... على نعمة الإيمانِ والشكرِ والحمدِ

ويا للقلوب المؤمنات وأمنها ... وضجعتها فى رحمة الصمد الفرد

أهذا الربيعُ الفخمُ والروضةُ التى ... تزفُّ إلى المستاف رائحةَ الخلد

تصير إذا رانَ الظلامُ ولفها ... بمجنح من الأحلام والصمت ممتدٍّ

مباءةَ خمارٍ وحانوتَ بائع ... شقى الأمانى يشترى الرزق بالسهد

وقد وقفَ المصباحُ وقفةَ حارسٍ ... رقيبٍ على الأسرار داعٍ إلى الجد

كأنْ تقيًّا غارقًا فى عبادة ... يقوم الدجى أو يقطع الليل بالزهد

فيا عالمَ الأسرار ، فى الحى نائم
قضى يومَه فى حومة البؤس يستجدى

وساد ته الأحجارُ والمضجعُ الثرى ... ويفترشُ الإفريزَ فى الحر والبرد

وسيارة تجرى لأمرٍ مغيَّب ... محجبةَ الأسرار خافيَةَ القصد

إلى الهدف المستور تنتهب الثرى ... وتلمع لمعَ البرق يومضُ عن بُعد

متى ينجلى هذا الدجى عن مسالك ... مرنَّقة بالجوع والصبر والكد

ينقِّبُ كلبٌ فى الحطام ، وربما ... رعى الليلَ هرٌّ ساهرٌ وغفا الجُندى

أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ ... ولا فيكِ من مُصْغٍ لشاعرك الفرد

أهاجرتى طال النوى فارحمى الذى ... تركتِ بديدَ الشملِ منتثر العقدِ

فقدتُكِ فقدان الربيع وطيبه ... وعدتُ إلى الإعياء والسقم والسهد

وليس الذى ضيَّعتُ فيك بهيِّن ... ولا أنتِ فى الغُيَّاب هينة الفقد

أتيتُك أستسقى فكيف تركتِنى ... لهذى الفيافى الصمِّ والكُثُب الجُرْد

أتيتك أستعدى فكيف تركتِنى ... إلى هـذه الدنيا وأحداثها اللُّدِّ

أتيتك أستهدى فكيف تركتِنى
لهـذا الظلام المطبق الجهم أستهدى

أتيتكِ أستشفى فكيف تركتِنى ... ولم يبقَ غير العظم والروح والجلد

وهذى المنايا الحمر ترقصُ فى دمى ... وهذى المنايا البيضُ تختال فى فودى

وكنتُ إذا شاكيتُ خففتِ محملي ... فهان الذى ألقاه فى العيش من جَهد
وكنتُ إذا انهار البناء رفعته ... فلم تسكنِ الأيامُ تقوى على هَدِّ
وكنتُ إذا ناديتُ لبّيتِ صرختى
فوا حَرَبا كم بيننا اليوم من سدٍّ !
وقد كان لى العطف والحب مسلك
فأغلقته دونى فبتُّ بلا رَدٍّ !!
سلام على عينيك ما ذا أجنتا
من العطف والتحنان والحب والود
إذا كان فى لحظيك سيف ومصرع
فمنك الذى يحيى ومنك الذى يردى
إذا جُرِّدا لم يفتكا عن تعمد ... وإن أغمدا فالفتك أروع فى الغمد
هنيئاً لقلبى ما صنعتِ ومرحباً ... وأهلاً به لو كان فتكك عن عمد
فإنى إذا جن الظلام وعادنى ... هواك فأبديتُ الذى لم أكن أبدى
وملتُ برأسى كابياً أو مواسيا
وعندي من الأشجان والحب ما عندى
أقبّلُ فى قلبى مكاناً حَللْتِه ... وجرحاً أناجيه على القرب والبعد
ويا دارَ من أهوى ، عليك تحية
على أكرم الذكرى ، على أشرف العهد
على الأمسيات الساحرات ومجلس
كريم الهوى عفّ المآرب والقصد
تنادِمنا فيه تباريحُ شاعر ... على الدم والأشواك يمشى إلى الخلد
(فبودلير) محزونٌ و (ڤرلين) بائسٌ
(وميسيه) مجروح الهوى عاثر الجد
(وللمتنبى) غضبة مضرية ... وثورةُ مظلومٍ وصيحة مستعدى
دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوا
فقد نقشوا الأسماء فى الحجر الصلد
وما ذا عليهم إن بكوا وتعذبوا ... فإن دموع البؤس من ثمن المجد

ناجى

من أغانى الجسد

ليتنى زورق ...

الأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئْتُ إلى الله يوماً ... فَلَمْ
أجِدْ خَمْرَتى غَيْرَ هذا الجَسَدْ
عَلَى ثَغْرِهِ آيَةٌ أَفْلَتَتْ ... بأسْرارِهَا مِنْ نَبِيِّ الأَبَدْ
عَلَى شَعْرِهِ عَالَمٌ فَوْقَهُ
وُعُودُ الْهَوَى مُبْهَمَاتُ الأَمَدْ
عَلَى نَحْرِهِ هَالَةٌ حَدَّثَتْ ... بِرُؤْيَا مَلَاكٍ عَلَيْهَا سَجَدْ
وَفِي جَفْنِهِ نَبَأٌ تَائِهٌ ... لِغَيْرِ الْهَوَى فِي دَمِي لَمْ يَرِدْ
وَفِي هُدْبِهِ نَفْثَةٌ عَذْبَةٌ ... كَأَنِّي بِهَا سَاحِرٌ مُسْتَبِدْ
وَفِي قَدِّهِ ... جَلَّ بَارِى الصِّبَا
صَلَاةٌ مُقَيَّدَةٌ فِي جَسَدْ
سَجَا نَهْرُهُ ... لَيْتَنِي زَوْرَقٌ ... مَدَى الْعُمْرِ فِي لُجِّهِ يَرْتَعِدْ !
وَقَالَ : الْهَوَى ! قُلْتُ : هَاتِ الْهَوَى
فَذَاتِي بِذَاتِكَ حُلْمٌ شَرَدْ
أَذِبْنِي بِنَارٍ تَعَبَّدْتُهَا
وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْ لَظَاهَا أَحَدْ
ظَمِئْتُ لَهَا وَالدُّجَى مَارِدٌ ... يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ كَأْسٍ وَيَدْ !
فَلَمْ تَسْقِنِي غَيْرَ هَذَا السَّرَابِ ... وَهَذَا الْعَذَابِ، وَهَذَا الْكَمَدْ
فَعُدْتُ بِأَيَّامِيَ اللَّاهِثَاتِ ... صَدَى آهَةٍ فِي حَنَايَا كَبِدْ
تَبَارَكْتَ يَا رَبِّ ! هٰذَا الْجَمَالُ ... طَرِيقٌ إِلَيْكَ انْتَهَى وَاتَّحَدْ ...

محمود حسن اسماعيل



حقائق أدبية وذوقية

أخونا الزيات يخاف أن تصنع الصحافة بالكتاب ما صنعت السينما بالمسرح، وكان ذلك لأن السرعة السينمائية قضت على التؤدة المسرحية، وفى التؤدة والتروى فرص للتجويد والتجميل. وسرعة الصحافة قد تفسد الأقلام إفساداً لا تصلح بعده لإجادة التأليف، وبذلك ينقرض الكتاب، وهو المرجع الأصيل لتثقيف العقول

حول هذه القضية ثارت آخر معركة بينى وبين الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى سنة ١٩٣٧، وكان ميدانه مجلة الرسالة وميدانى جريدة المصرى، وهى معركة مشئومة فقد أنذرته بالموت فمات قبل أن تنتهى أشواط الصيال.

ومع احترامى لآراء الرافعى والزيات فى هذه القضية فأنا لا أخاف على الأدب من السرعة، ولا أراها من الجانيات على الإتقان، ما دامت أثراً من ثورة العقل، وفورة الطبع، وما دامت صورة من اصطخاب العواطف واضطرام الأحاسيس.

والحق أن الكاتب الجيد لا يفوته أبداً أن يدقق فى الأسلوب ولو اشتهر بكثرة الإنتاج، والحق أيضاً أن البطء ليس دائماً من الشواهد على إيثار التروى، فقد يكون من آثار البلادة الذهنية عند بعض الناس

وبأى حق يخرج الكاتب على روح العصر؟

العصر الحاضر عصر السرعة، فكيف نخرج عليه؟

وكيف نجهل فضل السرعة فى تهذيب الأساليب من أوضار التكلف والافتعال؟

وهل عُرفتْ مرونة التعبير إلا عند الأدباء الذين قهرتهم سرعة الصحافة على مواجهة القراء فى كل يوم أو كل أسبوع؟

كان المازنى جاحظىّ الأسلوب قبل أن يشتغل بالصحافة، ثم جرفته السرعة فصار المازنى الذى نعرف، المازنى الذى يكتب بلا تزين ولا تهويل، فى حدود هى الغاية فى البيان

وهل ينسى الزيات نفسه فضل الصحافة عليه؟

هل كان «وحى الرسالة» إلا دراسات فُرضت عليه فرضاً بحكم السرعة التى يوجبها إصدار صحيفة أسبوعية؟

وهل كان من الممكن أن يجود ذهنه بذلك المحصول لو تُرك للظروف التى توحى القول حين تريد؟

السرعة أدل على الحيوية من البطء، إلا أن يكون البطء صورة نفسية أصيلة تشبه بطء الطبيعة فى تكوين الجنين

على أنى أنكر أن تكون سرعة الكاتب المبدع من ضروب الارتجال، فنحن نسرع فى التعبير لا فى التفكير، لأن محصولنا الذهنى وليدٌ لتأملات قضينا فى ترجيعها شهوراً أو سنين، فما نكتبه اليوم ليس ابن اليوم إلا من حيث التدوين

ثم أنتقل إلى مناقشة الدكتور عزام فيما سماه «السوقية فى الأدب» وهو ما يسميه الفرنسيون Mercantalisme بجامع الصلة بين الاتجار بالبضائع والاتجار بالآداب

والرأى عندى أن قلوب الجماهير أسواق نشترى فيها ونبيع، ومن واجبنا أن نكسب تلك القلوب قبل أن يكسبها الدجالون

يجب أن تكون لنا غاية صريحة هى غزو القلوب بالأدب الصحيح، وهذا الغزو لا يتيسر إلا إن كان للأدب جاذبية روحية تدخل على القلوب بدون استئذان

الأدب الحق هو الذى يضرم فى القلوب والعقول نار الشوق إلى معرفة الحقائق الأدبية والذوقية والعقلية، وهو الذى يفرض على الجماهير أن تقيم أخلاقها على قواعد من المنطق السليم، وهو الذى يجعل للحياة غايات روحية لا يفطن إليها غير من يسايرون أقطاب البيان

التجارة لا تعاب وإنما يعاب الربح عن طريق التزييف، فمن استطاع أن يكسب قلوب الجماهير عن طريق الصدق فهو الأديب الحصيف أو التاجر الشريف

قلوب الناس تضيع من أيدينا، لأننا لا نفكر فى رياضتهم على إيثار الصدق، ولأننا نترفع عليهم فلا ندعوهم إلى الحق إلا بتعابير محمَّلة بالكبرياء

متى يصبح الأدب قوتاً لا تطيب بدونه الحياة فى أنظار جميع الأحياء؟

يكون ذلك يوم يصير الأدب أفصح معبِّر عن سريرة الوجود.

زكى مبارك

(الرسالة): لو تروى الأستاذ المبارك فيما كتبناه، لعلم أننا لا نعيب السرعة إلا إذا أعجلت الكاتب فلم يحسن الكتابة، أو أعجلت القارىء فلم يحسن الفهم

خطأ في رواية حديث

زعم الأب أنستاس ماري الكرملي في دفاعه أنه يتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية ... الخ ثم قال :

« فقد قال : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمقى اللغويين »[1]

فيا أيها الأب أنستاس ماري الكرملي عضو مجمع ... الخ :

١ — الحديث الذي نقلته خطأ ، فقد قلبت المعنى واللفظ رأساً على عقب . ولفظه كما لا يخفى على أحد هو هذا : « ارجعن مأزورات غير مأجورات . »

٢ — ثم قلت : « مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمقى اللغويين ! ! »

والعدول عن القياس — وحضرتك تسميه بالغلط — ليس في (مأجورات) كما زعمت إذ هي اسم مفعول من الأجر ؛ ولكنه في (مأزورات) لأنها من الوزر ، فالقياس : (موزورات) فاقتضى الذوق والحرص الحسن العدول عن القيس لإتباعها (مأجورات)

٣ — « لو كسرت يراعتك المرضوضة ، وألقيت بها في التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلمة قبل أن تتدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فمثل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقى لك أثراً طيباً ! »[2]

قلنا ولم يصدق الأب إلا في هذه الكلمة بشرط أن يوجهها إلى من يتخبط في سطر واحد هذه التخبطات الشائنة الشوهاء وله فائق احتراماتي .

« دمشق » سعيد الافغاني

البيتان لابن الفارض

تساءل الأديب محمد بشير عن صاحب هذين البيتين :

ليت شعري هل كفى ما قد جرى ... مذ جرى ما قد كفي من مقلتي
قد برى أعظم حزن أعظمي ... وفنى جسمي حاشا أصغرى

أهو ابن الفارض ؛ لأن البيتين مذكوران في قصيدته اليائية المشهورة التي أولها : (سائق الأظعان يطوى البيد طى) ؟ أم هو المستشرق المعروف « بالمر » كما ذكر الأستاذ عبد الوهاب الأمين في الرسالة (٤٨٦ : ١٠٠٤) ؟

أقول : لا شك أن هذين البيتين من شعر ابن الفارض ، وأنهما من يائيته المعروفة . والدليل الذي لا يقبل الشك في ذلك هو أنهما موجودان في نسخة الديوان التي حررت وصححت بقلم ابن بنت الشيخ عمر بن الفارض نقلاً عن الشيخ كمال الدين محمد ابن عمر بن الفارض . وعلى هذه النسخة كتب الشيخ حسن البوريني شرحاً طويلاً كثير الفوائد وأثبت هذين البيتين وشرحهما . وقد فرغ من شرح القصيدة اليائية سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) . وكذلك أثبتهما الشيخ عبد الغنى النابلسي في شرحه وكتب عليهما وقد فرغ النابلسي من شرحه لديوان ابن الفارض سنة ١١٢٣ هـ — ١٧١١ م

فالبوريني شرح البيتين في ديوان ابن الفارض قبل مولد « بالمر » بنحو ٣٣٩ سنة ، والنابلسي شرحهما قبل أن يولد هذا المستشرق بنحو ١٢٩ سنة برهان الدين الداغستاني

كلمة أخيرة في اختلاف القراءات

ما كنت أريد أن أعود إلى الكتابة في موضوع اختلاف القراءات بعد كلمة الأستاذ الفاضل عبد العليم عيسى ، ولكني قرأت كلمة للأستاذ الفاضل محمود عرفة يحاول فيها أن يحرف رأيي تحريفاً آخر إلى مذهب القائلين إن القرآن نزل بمعانيه دون ألفاظه وحروفه ، وهو مذهب لم يجر إلا على ألسنة بعض ذوى المقاصد السيئة من المستشرقين ، مع أنه هو الذي اعتنق مذهب أولئك المستشرقين في كلمته الأولى ، إذ حمل كل ما لا يدخل من القراءات في باب اختلاف اللهجات على التصحيف ، ولم يفرق في ذلك بين قراءات شاذة ومتواترة

ولست أدرى كيف يحرف الأستاذ محمود عرفة رأيي هذا التحريف ، مع أنه لا يراد منه إلا توجيه هذه القراءات توجيهاً تظهر به الحاجة إليها في عهد النبوة ، ويقطع الطريق على من يزعم أنها حصلت بتحريف بعدها ، وإني بعد هذا لست أخالف الأستاذ عرفة في أن القرآن كان يؤخذ من النبي صلى الله عليه وسلم

(١) العدد ٤٨٧ من الرسالة الغراء

(٢) هذه جملة الأب نفسه قالها في العدد المذكور من الرسالة لبعض الأفاضل .

بالتلقى ، ولكن كثيراً ممن كان يتلقاه لم يكن يحفظه ، فإذا قرأه بعد التلقى فى مخطوط حصل له الاشتباه الذى ذكرته وقلت إن تلك القراءات نزلت لتيسير أمره . ولا شك أن التلقى بشر عرضة للسهو والنسيان ؛ وهذا هو غرضى من رأيى واضح لدى كل منصف

عبد المتعال الصعيدى

حول كتاب ديكارت للأستاذ عثمان أمين

لاحظت فى كتاب (ديكارت) للأستاذ عثمان أمين مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب فى الفصل الرابع (ص ١٤٠) المعنون « بالشك المنهجى » فقرات مأخوذة من، كتاب (آراء غربية فى مسائل شرقية)[١] تعريب الأستاذ عمر فاخورى ، من الفصل الذى عنوانه : (الغزالى وديكارت) للكاتب الفرنسى شارل سومان (ص ٨٣) دون أن يشير الأستاذ الفاضل إلى هذا الكتاب سواء فى مجموعة المصادر التى ذكرها أو فى الحواشى التى أوردها وإليك نمطاً من الفقرات المتشابهة فى الكتابين :

يقول الأستاذ عثمان أمين فى الصفحة (١٤٠) من كتابه « ديكارت » : اختار ديكارت كما فعل الغزالى من قبل ، أقوى الأسلحة والحجج الجدلية التى جمعها الشكاك اليونان من عهد « سكستوس أمبريقوس » وسائر أنصار « بيرون » وادخروها فى معاقل المذهب الارتيابى ، وهى الأسلحة التى لجأ إليها « مُنتينى » صاحب « المقالات » المشهورة وبعده « شرّون » فى كتابه « الحكمة » (١٦٠٣)

وفى الصفحة ٨٩ من كتاب « آراء غربية فى مسائل شرقية » نجد الكلمات التالية « فإن الغزالى وديكارت كليهما اختارا أقوى الأسلحة الجدلية التى جمعتها البرونية الإغريقية من عهد سكسيوس وأونسيدام وادخرتها فى ثكنات الشكوكية وهى الأسلحة التى ضرب بها مونتانى وقبله شارون فى مؤلفه (الحكمة) »

وهناك فقرة فى الصفحة (١٤١) من كتاب ديكارت تقول : « استبعد ديكارت شهادة الحواس لأنها تخدعنا أحياناً ، ومن الفطنة ألا نأمن أمناً تاماً لمن خدعنا مرة »

وترجمة الأستاذ عمر فاخورى تقول (ص ٨٧) ما يلى : « قال ديكارت لما كانت حواسنا تخدعنا وتخوننا أحياناً أردت نفسى على الاعتقاد بأن لا شىء فى حقيقته هو كما تخيله حواسنا ، وقال أيضاً : لقد ثبت لى أكثر من مرة أن هذه الحوادث خادعة فمن الرشد ألا تأمن أمناً تاماً لمن خانك وخدعك مرة »

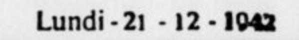
وقد أخذ الأستاذ عثمان أمين كذلك مقارنة بين فقرة من كتاب المنقذ من الضلال للغزالى ، وفقرة من كتاب التأملات لديكارت وهما نفس الفقرتين اللتين أوردهما شارل سومان وترجمة الفقرة عن ديكارت هى نفس ترجمة الأستاذ فاخورى ، وقد وضع الأستاذ عثمان أمين كل ذلك فى حاشية (ص١٤٠) و(ص١٤١) . فلماذا أغفل الأستاذ اسم شارل سومان وعمر فاخورى من بين أسماء مراجعه ؟

« بغداد » صفاء خلوصى

(١) وهو كتاب بحجم صغير مطبوع فى مطبعة المفيد بدمشق سنة ٩٢٥

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





10me Année No. 494 | Lundi - 21 - 12 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٤ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

٤ — دفاع عن البلاغة

٢ — حد البلاغة

قلنا إن البلاغة توجُّه إلى العقل أو إلى القلب أو إليهما معاً تبعاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأى والهوى منفردة أو مجتمعة . فإذا كان غرض البليغ نفى جهالة أو توضيح فكرة أو تقرير رأى ، جزاه فى إصابة غرضه الصحةُ والوضوح والمناسبة . فإذا أراد التعليم أو الإقناع وكان قوام الموضوع طائفة من الفِكَر أو الأدلة وجب عليه أن ينسقها ويسلسلها على مقتضى الأصول المقررة فى المنهج العلمى الحديث . أما إذا قصد إلى التأثير والإمتاع لا إلى التعليم والإقناع ، كان سبيله أن يتأنق فى اختيار لفظه ، ويتفنن فى تحرير أسلوبه ، ويستعين على اجتذاب الأذهان واختلاب الآذان بإبداع الملَكة وإلهام الروح وتشويق المخيِّلة وتزويق الفن

والبلوغ إلى قرارة النفوس أخص صفات البليغ فى كل ما يكتب . فلو أن كاتباً وقع على طائفة من الحقائق ، أو حصل على مجموعة من الوثائق ، ثم حققها ونسَّقها وأداها فى أجمل لفظ وأجود صياغة ؛ ولكنه لم يبلغ بها كنه القلوب كان حرياً أن يُنعت بما شاء من النعوت إلا البلاغة

والسر فى ذلك أن ضروب المعرفة إنما تقوم على الملكات المحصلة ، وتعتمد على العقل المجرد ، وتثبت بالدليل القاطع .

الفهـــرس

ولكن الإثبات ليس معناه الإقناع ، فإن الإقناع لا يكون بغير السيطرة على النفس ، والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة . هى وحدها التى تمتدُّ بالعقل فى إدراك الحق ، وبالشعور فى إدراك الخير ، وبالذوق فى إدراك الجمال . وهى وحدها التى تنفذ إلى القلب بسلطان غير ملحوظ ، وتؤثر فى الذهن ببرهان غير ملفوظ ، وتذهب فى تصوير الواقع وتقرير الحق مذهب الوحى الإلهى الخالد

فالوظيفة الأولى للبلاغة هى الإقناع من طريق التأثير ، والإمتاع من طريق التشويق ، ولذلك كان اتجاهها إلى تحريك النفس أكثر ، وعنايتها بتجويد الأسلوب أشد . وربما جعلوا سر البلاغة فى جمال الصياغة

قال أبو هلال : « وليس الشأن فى إيراد المعانى ؛ لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى ، وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف . وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ، ولا يُقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التى تقدمت ... ولهذا تأنق الكاتب فى الرسالة والخطيب فى الخطبة والشاعر فى القصيدة ، يبالغون فى تجويدها ، ويغلون فى ترتيبها ، ليدلوا على براعتهم ... ولو كان الأمر فى المعانى لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كداً كثيراً »

والحق أن أظهر الدلالات فى مفهوم البلاغة هى أناقة الديباجة ووثاقة السَّرد ونصاعة الإيجاز وبراعة الصنعة ؛ فإذا كان مع كل ذلك المعنى البكرُ والشعور الصادق كان الإعجاز . وليس أدل على أن الشأن الأول فى البلاغة إنما هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب ، أن المعنى المبذول أو المرذول أو التافه قد يتّسم بالجمال ويظفر بالخلود إذا جاد سبكه وحسن معرضه . ولا بأس أن أقدم إليك مثلاً من آلاف الأمثلة بلغ معناه الغاية فى السوقية والفحش ، ومع ذلك تحب أن تسمعه وتحفظه وتعيده لأنه بلغ من سر الصناعة غاية تظلع دونها أكثر الأقلام

قال أبو العيناء الأعمى لابن ثوابة : بلغنى ما خاطبت به أبا الصقر ؛ وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم ير عرضاً فيمضغه ، ولا مجداً فيهدمه

فقال له ابن ثوابة : ما أنت والكلام يا مُكَدّى ؟

فقال أبو العيناء : لا يُنكر على ابن ثمانين سنة قد ذهب بصره ، وجفاه سلطانه ، أن يعول على إخوانه ... ثم رماه بمعنى فاحش مكشوف . فقال له ابن ثوابة : « الساعةَ آمر أحد غلمانى بك » . فقال أبو العيناء : « أيهما ؟ ألذى إذا خلوت ركب ، أم الذى إذا ركبت خلا ؟ »

فانظر فى هذه الجملة الأخيرة تره رمى ابن ثوابة فى نفسه وفى زوجه ، وهما معنيان سوقيان يترددان كل ساعة على ألسنة السبابين من أوشاب العامة ، وإنك مع ذلك تقف من هذه الجملة موقف المشدوه المعجب ، تحرك بها لسانك ، وتعمل فيها فكرك ، وتعرضها على مقاييس البلاغة وشروطها فتطول على كل قياس وتزيد على كل شرط . تأمل هذا الإيجاز البارع بحذف متعلقات الفعلين وفيها جوهر المعنى وإصابة الغرض ، تجد سر البلاغة كله فيه ؛ لأن هذا الحذف مع وضوح المعنى قد نزّه الكلام عن صراحة الفحش ، وصان المتكلم عن ذكر القبيح ، فلو أنه قال خلوتَ بكذا وخلا بكذا ، وركبت كذا وركب كذا ، لانحط الكلام عن مقام البلاغة وصار بهذَر العامة أشبه . وكان بِحَسْب البليغ هذا الإيجاز المشرق ، ولكنه ضم إليه من أنواع البديع (العكس) و (أسلوب الحكيم) فعكس الفعلين ، واستعملهما فى معنيين مختلفين ، وكل ذلك فى غير تكلف ولا تعسف ولا غموض .

فأنت ترى أن الصياغة وحدها هى التى سمت بهذه المعانى الخسيسة إلى أفق البلاغة فتداولتها الألسن وتناقلتها الكتُب . وليس حال المعنى فى ذلك حال اللفظ ؛ فإن اللفظ فى ذاته كالموسيقى يخلب الأذن ويلذ الشعور وإن لم يترجم ؛ أما المعنى فكالكهرباء ، إذا لم يكن لفظه جيّد التوصيل انقطع تياره فلا يمرب ولا يطرب . اقرأ قول القائل :

لما أطعناكمُ فى سخط خالقنا   لا شك سلّ علينا سيف نقمته

ثم وازن معناه الشريف ونسجه السخيف ، بما رويت لك من كلام أبى العيناء ، فلا يسعك إلا أن تقول كما أقول : إن القَذر يوضع فى آنية الذهب فيُقبل ويحمل ؛ وإن المسك يوضع فى نافجة الطين فيرفض ويُهمل .

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

دار الهـــوى

في عيد القمر

للدكتور زكي مبارك

أخى الأستاذ الزيات

هل تذكر أنى وجهت إليك مقالاً من بغداد عن « القلب الغريب فى ليلة عيد » منذ نحو أربع سنين ؟ وهل تذكر أنى تشوقت إلى دار تحب العيد وتحن إليه لأنها ترانى مع العيد ؟

ذلك مقالٌ قبستُه من نار قلبى ، وأخذت مداده من دمى ، وأرسلتُه تحيةً إلى دار عَظُمت دونها على قلبى

وإنما وجّهت إليك ذلك المقال لأثير فى روحك التشوُّف إلى تعليل ما تعانى الأرواح من متاعب ليس لها فى الظاهر سناد من مطالب الجد فى هذا الوجود

فهل فكرت فى تعليل هذا المعنى ؟

وهل حاولتَ الدفاع عن الأعمار التى تضيع فى تشريح نوازع الوجدان ؟

أنا أطالبك بالرجوع إلى الوجدانيات ، بجانب ما أقبلت عليه من الاجتماعيات ، فقد كاد الأدب يخلو من الحديث عن أوطار الأرواح والقلوب . ولا قيمة للأدب إن أغفل الحديث عن أوطار الأرواح والقلوب

وإليك القصة الآتية :

فى حفلة من حفلات إحدى الطوائف المسيحية تسابقَ الحاضرون لتقبيل يد البطريرك ، فرأيته ينهض بقوة ليعانق من يسارعون إلى التسليم عليه ، مع أنه فيما سمعت قد جاوز التسعين

وعندئذ غلبنى الفكر الفلسفى فقلت لجارى فى المحفل : إن راحة رجال الدين من هموم الحياة تمنحهم طول الصحة والعافية

فقال جارى بتحمس : كيف ترى ذلك وغبطة البطريرك يحمل هموم الطائفة كلها ، ويعنّى نفسه بالدقائق الخفية لجميع البيوت ؟

فقلت : المتاعب الفردية أعنف من المتاعب العمومية ، فالرجل الذى يحمل هموم بيت يُعدُّ أهله بالآحاد أشقى من الرجل الذى يحمل هموم طائفة يُعدّ أبناؤها بالألوف أو الملايين . وهل يحزن وزير المعارف لسوء نتائج الامتحانات العمومية بقدر ما يحزن لو رسب ابنه في الامتحان ؟

إحساسنا الصادق يصدُر عن متاعبنا الذاتية أولاً وقبل كل شيء ، ثم يتفرّع فيتصل بالمجتمع القريب أو البعيد ، وهل بكى النبى محمد لوفاة أى طفل كما بكى لوفاة ابنه إبراهيم ؟

وإذن يكون من حقى أن أقول إن الأدب الذى يصوّر الذاتيات هو أصدق الآداب ، وهو الآية الباقية على الصدق الأصيل ، فمن الجناية على الأدب أن نشغل أقلامنا بهموم خارجية قبل أن نستوفى التعبير عن همومنا الداخلية

للمجتمع حقوق على القلم البليغ ، يوم يتأثر الكاتب بتلك الحقوق ، ويوم يرى أنه عن تأييدها مسئول أمام الضمير الأدبى لا أمام الناس

وأنت ذلك الكاتب ، يا صديقى ، فاتجاهاتك الاجتماعية تشهد بأنك تحس آلام المجتمع أصدق إحساس ، وسيكون لك فى هذا الميدان مكان يحفظه التاريخ

وأنا أرتضى لنفسى ما أرتضى لك ، لولا تلك الدار التى أسرَتْ قلبى عدداً من السنين ، ولم أستطع التحرر من أسرها بأى جهاد

إن تاب الله علىّ من الهيام بتلك الدار فسأجاريك فى ميدانك ، وسيطول بينى وبينك السجال ، ولكنى أرى الله أكرم من أن يجود بذلك المتاب ، لأن نعمته علىّ فى هذه الضلالة أعظم من نعمته بالهداية على من يغضُّون أبصارهم عن سحر الجمال

وهل كان من العبث أن يتفضل الله فينوِّع الخلائق بهذا الوجود ؟

إنه نوّع الخلائق لينوِّع العواطف

هل تذكر ما تصنع النسائم بالسحاب والرمال ؟

رأيت بالأمس عجَباً من العَجب : رأيت سُحُباً مطرزة بسماء « مصر الجديدة » على أظرف ما يكون التطريز . وبدا لى أن أجوب الصحراء فى ذلك الوقت فرأيت النسائم صنعت بالرمال ذلك الصنيع

أيعجز قلم الكاتب الصوّال عما يقدر عليه النسيم الجوّال ؟

النسيم يَعبَث ، وما وُصِف النسيم بغير العبَث ، ثم تكون له القدرة على هذا الافتنان ، فكيف نعجز فى الجد عما استطاعه النسيم فى الهزل ؟

الدار التى أهوى تُضلنى وتغل عقلى بأوثق الأغلال

الدار التى أهوى تصنع بقلبى فوق ما تصنع النسائم العوابث بالسحائب والرمال

الدار التى أهوى حُـرِمت أضواء المصابيح أكثر من شهرين ، إلى مَعَاد ، أو إلى غير مَعَاد ، فما أدرى ما تُضمر الأقدار لمصاير ذلك الهوى النبيل ، ولا أعرف متى نلتقى طائعين أو كارهين

كلَّ يومٍ لنا عتابٌ جديدٌ ينقضى دهرُنا ونحن غِضابُ

إن تلاقينا ـ ومتى التلاق ـ فستكون لنا شؤون وشجون

إن عادت الدار إلى العهد الذى أعرف فسأكون من الُحجاج فى العام المقبل ، وسأنفق جميع أموالى على الفقراء والمساكين .

ثم ما ذا ؟

ثم أقص على الأستاذ الزيات هذا الحديث :

فى صباح اليوم وأنا فى طريقى إلى الواجب قرأت فى إحدى الجرائد أن المحكمة الشرعية أعلنت أن شهر ذى الحجة يبتدئ بيوم الأربعاء ، فعرفت أننى حُـرِمتُ رؤية الهلال ثلاث ليال . ثم خف حزنى حين تذكرت أن القمر غاب عن تلك الدار أكثر من شهرين

ما هذه اللجاجة فى الحب ؟

وما الطمع فى كرم الزمان البخيل ؟

إرجعوا إلى الدار ، دار الهوى ، قبل أن تسمعوا من نذير الأقدار ما لا تحبون

إرجعوا إلى دار الهوى فى عيد القمر غير مأمورين

إرجعوا ، فللدار التى شهدتْ مولد هوانا حقوق

إرجعوا ، فالفضيحة فى غرامى تكريم وتشريف ، لأنى قيثارة الغرام فى ألحان الخلود

عيد القمر آتٍ بعد ليال ، فهل أراكم فى غرة تلك الليال ؟

القمر يفِى ، فهل تَفُـون ؟

القمر يساير الفصول من شتاء وربيع وصيف وخريف ، فهل تسايرون أحوالى من نزق وطيش وقرار وجود ؟

أنا أنا ، فهل أنتم أنتم ؟

لقد صبرتُ وصابرتُ لتشهد أحجار تلك الدار أن لها بقايا من الوفاء التى تدّخره كرام القلوب

سينطق الحجر قبل أن تنطقوا ، ولقد نطق فيَّانى ألوف المرات وأنتم فى غيابة العقوق

وماذا تنتظر منى تلك الأحجار ؟

إنها ترجو منى ما أرجو منكم ، ترجو سلاماً من عابر سبيل ، وأنتم هددتم وتوعدتم بأنْ لا لقاء فى غير الفضاء

عودوا إلى الدار ، دار الهوى ، عودوا إليها سالمين غانمين ، فإنى أُعدّ لكم قتالاً ألطف وأرفق من السلام

عودوا إلى الدار فى عيد القمر ، وهو آت بعد ليال

عودوا إلىَّ فما قلبى بمصطبر على نواكم ولا فى العمر متسعُ
إن متُّ قبل لقاكم أو فقدتكمُ قبل الممات فحظى عاثرٌ ظَلِعُ

أنا فى انتظار القمر بعيد القمر ، فهل يعود مع العيد ؟ وهل أشهد كلَف جبينه وهو غضبان ؟

عودوا إلى الدار لا إلىَّ ، فقد كادت أحجارها تذوب من نار الاشتياق

يا غاضبين علينا كيف حالكمُ وكيف دارٌ بها للروح مرتَبَعُ
دارٌ جَلَوْنا بها حيناً سرائرنا كأن أيامها فى صَفوها جُمَعُ
لم يُغدق الله فضلاً فاق نعمته بوصل روحى بكم والشمل مجتمعُ

أما بعد فما رأىُ صديقى الزيات فى هذا الحديث ؟ وهل يرانى فى ضلال وأنا أناجيه بما لا يريد بعد أن هجر صديقه لامرتين ؟

حال العين حال القلب ، وللعيون والقلوب أحوال

وقد أشار طبيبى بنظّارة تمنع التشرد من أضواء عينى ، فمتى يشير طبيبى بنظارة تمنع التشرد من أضواء قلبى ؟

لن يكون لقلبى حدود . لن تكون تلك الحدود ولن تكون ، وسيعجز الطب عن جمع الأشعة من أنوار القلوب

متى نلتقى يا دار هواى ؟ متى ؟

عيدُ القمر آتٍ بعد ليال ، فهل نتقاتل بعد ليال ؟

زكى مبارك

العيـــد

للأستاذ محمد عرفة

— ١ —

لست مسرفاً إذا قلت إن كثيراً من الناس يعيّدون ولا يدركون معنى العيد، ولا الغرض المقصود منه. لا يدركون من العيد إلا أنه يوم عطلة، يفرغ الناس فيه من أعمالهم، ويتفرغون إلى طعامهم وشرابهم ولعبهم ولهوهم

فعلينا أن نعمل لنفهم معنى العيد لنودعه على الوجه الأكمل. إن الناظر إلى أعيادنا الإسلامية التي شرعها الإسلام يرى أنها تكون عقب عبادة طويلة شاقة مضنية، فيها جهاد للنفس والشهوات. فعيد الفطر يأتي في أعقاب الصيام، والصيام عبادة شاقة، فيه منع النفس من شهواتها، وفيه الصبر عن الطعام والشراب، فإذا انتهى شهر الصوم حل عيد الفطر، فيفرح فيه المسلمون ويوسعون على أنفسهم وعيالهم وعلى فقرائهم. وعيد الأضحى يقبل بعد أن كادت تتم أعمال الحج، وفي الحج سفر طويل، ونفقة كثيرة، ومنع النفس من بعض الطيبات، فإذا جاء عيد الأضحى ذبح المسلمون ذبائحهم ووسعوا على أنفسهم وعيالهم وفقرائهم

ولعلكم بعد هذا قد أدركتم معنى العيد، وفهمتم سر فرح المسلمين فيه. لعلكم أدركتم أنهم يفرحون في عيد الفطر بشيء سام، هو النصر: النصر على الشهوات، لأنهم مكثوا شهراً يمنعون أنفسهم في نهاره عن الطعام والشراب وبقية الشهوات الشهية إلى النفس والمحببة إليها فانتصروا؛ والنصر على الشيطان، فقد أراد إغواءهم وإضلالهم، واستعان على ذلك بالشهوات المنوعة، والنوازع القوية، فانتصروا، لم تتغلب عليهم الشهوة، ولم يتغلب عليهم الشيطان، في هذا الكفاح. وما قلناه في عيد الفطر يقال في عيد الأضحى، فهو عيد النصر: النصر على النفس، والنصر على الشيطان؛ وسواء فيه الحاج وغير الحاج، فالحاج جاهد وصابر واحتمل الآلام واجتاز الأهوال وخرج من المعركة مظفراً منصوراً. وكذلك من لم يحج، العيد عيدُه، وهو به جدُّ فرح مستبشر، ويشرُه بشرُ المسلم بالنعمة تتم على أخيه المسلم، ونَصْرُه وظفره لأن الله نصر إخوانه الحجاج، فوفقهم جميعاً لأداء الحج وإتمام عبادة من أسمى العبادات، ومسرته لأن الله أقدر المسلمين على إتمام موسم الحج، فلم يمنعهم قاهر ولا متسلط عن إقامته، فهو مزهوٌّ فخور وفرح مستبشر بعزة الإسلام وتمكين الله له في الأرض

وفي العيد — فوق هذا النصر وذلك التوفيق — تقوية للروابط الوثيقة بين المسلمين، لأنهم يشتركون جميعاً في استقباله والترحيب والسرور به؛ والاشتراك في العاطفة داع إلى المحبة، واشتراك الجماعة في أمر يعممهم ويشملهم مشعر لهم بأنهم وحدة، عواطفهم واحدة، وآمالهم واحدة، وآلامهم واحدة. ولست تجد أدعى إلى المحبة من الاشتراك، ولا أدعى إلى التنافر من الاختلاف. ثم هم يشتركون قبل ذلك كله في أيام أعيادهم في شئون الحياة وأمور القوت اشتراكاً يظهرهم في أروع مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي الوثيق، ففي عيد الفطر يخرج المسلم صدقة الفطر قبل صلاة العيد، وفي عيد الأضحى يذبح أضحيته ضحى يوم العيد، ويأخذ الفقراء حقوقهم من الصدقة والأضحية، فيفرغون إلى العيد واستقباله والفرح به والشعور بجماله، لا يشغلهم عن ذلك طلب القوت ومشكلات المعيشة؛ ويعم البشر والسعادة الناس جميعاً، فالأغنياء يفيضون من سعادتهم وبشرهم على إخوانهم من الفقراء

وفي العيد معان كثيرة أروعها أنه عيد النصر وعيد الظفر على النفس والشيطان؛ والمسلمون يفرحون بالعيد، لأن الله امتحن عزائمهم فوجدها قوية، وصبرهم فألفاه ثابتاً، وإيمانهم فألفاه راسخاً، وخرجوا من الامتحان مؤمنين، أقوياء، راسخين، بل خرجوا منه أشد وأعظم شعوراً بمعاني القوة والإيمان.

وهذا المعنى في العيد يجعل الفرح فيه عبادة، لأن الفرح

نشأة النطق بالكلام

وعلاقته بأصل اللغة وتطورها ولهجاتها

للأستاذ إبراهيم إبراهيم يوسف

مقدمة

أتى على موطن العربية حين من الدهر، خفى علينا ميقاته، تضافرت إبانه عصبة من العوامل الاجتماعية القاهرة، فقست على أبناء العربية قسوة كان من بعض شأنها أن أخرجت فريقاً منهم من ديارهم، يضربون فى الأرض، يقتبلون مواطن جديدة ويسيرون فى كل صوب زرافات ووحداناً مهاجرين ساعين فى طلب الرزق. والرأى عندى أن تباعد هؤلاء وتنائيهم عن ديارهم، وتفرقهم وتشتتهم فى أصقاع مختلفة، قد حفز الأكثرين نظراً فى بواطن أمورهم إلى البحث فى مآل اللغة التى يتفاهمون بها، فتبين لهم أن الدهر سوف ينال منها منالاً إذا ما تركوا أمرها للقدر، وأن لا عاصم لهـا من قسوته إذا ما تقاعسوا عن تحصين جزئياتها وكلياتها، وأن لامناص من أن تتستر معالمها، وتتنكر معارفها، وتتبلبل ألسن الناطقين بها يوم يخذلونها.

وأكبر ظنى أن كانت العربية لذلك العهد قد تبلورت وصارت أكثر ما تكون قرابة للغة الأدب التى ورثتنا إياها التاريخ. فعزت على القوم أن تصاب لغتهم بذلك الذى توقعه أهل الرأى عندهم. ومن ثم قام أجلتهم يحتاطون للأمر؛ وذهب نفر من علمائهم إلى وجوب وضع دساتير للغة تحميها شر عدوان الزمن، وتحفظها على طول الأمد، وما إن استقر الرأى على هذا، حتى بدأوا العمل به. فكانت هذه فيما أرى، البداية المباركة فى وضع علوم اللغة للسان العرب

وإذاً، فقد نشأت هـذه العلوم فى كنف من الغموض، يحجبها عنا عصر خفى علينا زمانه، واختفى معه كل أثر لمحاولات الأئمة الأول، تلك المحاولات التى انتهت بهذه الدساتير المسوقة إلينا من نحو وصرف وإعراب وغيره

وكان من الطبيعى أن يجر البحث فى وضع دساتير اللغة إلى محاولة التفلسف فيها. وهكذا كان شأن علماء العربية، إذ نجد أن بعض الباحثين من علماء العصر الأول الإسلامى لهم فيها مسائل، ومن بينها مسألة النطق بالكلام. وهذه المسألة إذاً، ليست وليدة الأبحاث العلمية فى علوم اللغة لعصر من العصور الحديثة، كما يزعم الزاعمون من رجال العلم فى الغرب، بل هى — على حد ما وصل إليه تحقيقنا — مسألة ترتقى عند أبناء العربية

بإتمام العبادة عبادة، والفرح بقهر الشهوات عبادة، والفرح بالتغلب على الشيطان وجنده عبادة.

هذا المعنى فى العيد يسمو بالعيد عن العبث، ويجعله معنى سامياً يوحى إلى النفس معنى العزة بالنفس، ومعنى القوة والغلبة، ومعنى العظمة والانتصار، يوحى إلى النفس معنى قوة الإرادة، ويوحى إلى الناس معنى تثبيت إنسانيتهم، وأنهم خرجوا عن الأفق الذى تملكهم فيه شهواتهم إلى الأفق الذى يملكون فيه شهواتهم. والنفوس إذا أوحى إليها بما فيها من معان سامية ازدادت فيها رسوخاً، وحفزها هذا إلى تحصيل غيرها من الخلق الفاضل الكريم

أرأيتم كيف كان العيد معنى إنسانياً سامياً بعد أن كان أمراً حيوانياً ضئيلاً جافاً لا حياة فيه ولا روح؟ أرأيتم كيف صار شيئاً نافعاً مفيـداً يوحى إلى النفوس معانيها من القوة والنصر على الأعداء، والارتفاع عن أفق الحيوانية المحدود، بعد أن كان شيئاً مغسولاً من النفع والسمو والخير والإفادة؟

إنما العيد عيد المجاهدين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، فانتصروا على النفس والشيطان؛ أما هؤلاء الذين غلبتهم أنفسهم وشهواتهم، وأخلدوا إلى الأرض، فليس لهم منه إلا الهم والحسرة، لأن الناس خرجوا منه أقوياء منتصرين، من حيث مُنُوا هم فيه بالضعف والهزيمة وبالارتكاس والخذلان.

محمد عرفة

إلى أول عهدهم بالقرآن الكريم ، حين أقبلوا على تفسيره ودراسته دراسة لغوية توطئة لفقه دقائق ما جاء به . بل ومن المحتمل غاية الاحتمال أن تكون هذه المسألة أبعد غوراً مما ذكرنا وذلك استناداً إلى ما وضح لنا من أن نشأة علوم اللغة قد سبقت العصر الإسلامى ، وأن التفلسف فيها كان ملازما لنشأتها . وقد يصبح هذا الاحتمال يقيناً لا مرية فيه ، حين تتجه الأبحاث العلمية إلى تحقيق تاريخ وضع دساتير اللغة ، وتنتهى إلى ما تطمئن إليه فى هذه الناحية

وسواء أصحت هذه الدعوى الثانية أم لم تصح ، فليس هذا الذى قام به أفاضل المسلمين الأول من تفلسف فى الأبحاث اللغوية بالأمر اليسير الشأن ، ولا هو بالمستكثر عليهم . فالعرب ، وبشاركهم فى ذلك أبناء الصين ، يفضلون فى رأى جمهرة اللغويين الحديثين ، بقية الشعوب بنزعتهم إلى التفقه فى اللغة . وهذه النزعة هى التى حملتهم على النهوض بالدراسات اللغوية نهوضاً مبكراً ، تجلى أثره فى وفرة ما صنّفه العرب من كتب ورسائل فى علوم اللغة ، كما تبين خبره فى كثير مما تفرق لهم من أبحاث فى مختلف مسائلها جاءت ضمن عدد آخر من موسوع مؤلفاتهم . وليس بغريب — وهذه حالهم — أن نجد فى بعض مصنفاتهم الخاصة بعلوم اللغة ، وكذلك تلك التى لها بعلوم اللغة صلة ، نزعة فلسفية واضحة

ويمكننا القول ، استناداً إلى ما وسعته المكتبة العربية من مصنفات وصلت إلينا ، أن الفخر الرازى كان أول من تقصى آراء المتقدمين ، وذهب إلى نقد فريق ممن تفلسفوا فى هذه المسائل . وأن السيوطى كان أول من عُنى من المتأخرين بإيضاح هذه الناحية ، وعمل على بسط آراء من تقدموه بسطاً مجملاً . وأن جولد تسيهر كان أول من اهتدى من المستشرقين إلى هذا . فلما أن وقف الغربيون على مجرى تفكير العرب هذا ، أكبروا فيهم تفقههم المبكر فى اللغة ، ودهشوا لعناية العرب بهذا الضرب من التفكير الفلسفى ، قبل أن يتقدم إليه أساتذتهم اليونانيون فى الفلسفة

ولعل الذى حدا بالعرب إلى هذا النوع من التفكير الفلسفى ما أثير من قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » . فذهب جماعة من أهل السنة إلى أن لغة العرب توقيف ووحى . واتفق آخرون من أهل النظر ، وأكثرهم من المعتزلة ، على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، وجرّهم هذا الخلاف فى الرأى إلى النظر فى أمر وضع اللغة وأوليتها ومنشئها . وسلكوا فى ذلك مذاهب ؛ فالتزمت فئة منهم التحقيق العلمى لا تميل عنه فى أبحاثها ، واستسلمت فئة أخرى إلى ظنون تعوزها الأدلة ، فراحت تستجدى من الدين المعونة . وكان كلما اتسع الخلاف فى الرأى على هذه المسائل ، كان الاقتراب من الحقيقة أدنى . وكان هذا أقرب للوقوع كلما أحيطت حرية الرأى بسياج من الضمان يكفل ازدهارها . ثم صار ذلك الضمان دستوراً نافذ المفعول للدولة الإسلامية إبان سؤددها . وبقيت حرية الفكر قائمة ، مدعمة من الجميع ، مكفولة للجميع ، فأينعت علوم الدين وعلوم الدنيا . وكانت علوم اللغة إذ ذاك مشاعة بين هذه وتلك . فعلماء الدين يعتبرونها من نصيبهم ، إذ هى دعامة تفهم الديانة . وعلماء الدنيا يعدونها حقاً من حقوقهم ، إذ هى مفتاح سائر العلوم . وهكذا فازت اللغة بما لم تحظ به بقية العلوم ، إذ ارتشفت عصارة فكر الفريقين جميعاً

إلا أن هذا التهافت على خدمة اللغة أصبح لا وجود له ، بعد أن فشا استبداد الرأى فى الحكم والعلم ، وضاق النطاق على حرية القول والفكر . فكان ذلك إيذاناً بانتهاء العصر الذهبى للغة العربية . وما كان ذلك ليقع إلا ويختفى بوقوعه أعمال رهط من جهابذة علماء اللغة . فحيل بينها وبين الظهور أعماراً عديدة ، أو هى اندثرت إلى غير بعث أو نشر . ومن ثم ضاع الكثير من الدرر الغوالى التى ازدانت بها مصنفات اللغة فى العصور الإسلامية المتقدمة ، كما ضاع غيرها للعصر الجاهلى . ولا عجب وقد تمثل لنا بعض ما أصاب لغتنا ، أن يتفق الرأى ، عند أهل التحقيق من أصحاب علم العربية ، على أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل . وما كان هذا الحال ليقعد علماء العربية عن واجبهم ، أو ليدفعهم إلى شىء من التفريط فى أمانتهم التى تشرّفوا بحملها . فظهر منهم فى العصور المتأخرة عدد من المجتهدين أرادوا بعلوم

اللغة خيراً ، فعمدوا إلى ما ورّثه لنا أسلافنا الأول يريدون تنميته وتعزيزه . ولكنهم أبوا أن يسايروا الزمن فيما تطوّرت إليه العلوم ، وما استنبط من طرائق ووسائل للقيام بأبحاث علمية ، اهتدى إليها المفكرون فى الأمم النابهة ، فأصابهم ما أعجزهم عن متابعة السير ، وبقيت علوم اللغة حيث كانت .

والآن ، وقد أصاب العربية الفصحى ما أصابها ، وأدركها الركود ، فباعد بينها وبين أن تفى بحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، أو تفى بمطالب العلوم والفنون فى تقدّمها المطّرد ، فلا سبيل لإحيائها إلا بانتهاج نهج علمى غير الذى سار عليه المتأخرون من أبناء العربية إلى اليوم . وهو وإن يكن فى مجموعه جديداً بالنسبة لنا ، فقد سبقتنا إليه أمم الغرب وبعض أمم الشرق ، نجدت طلائع علمائهم فى دراسة لغاتهم ، وعكف نفر منهم على دراسة لغتنا على أساس من العلم صحيح . وكان أن وفّقوا إلى استنباط علوم جديدة يستكملون بها علوم العربية ؛ فأفردوا لكل من اللهجات والأصوات والدلالات اللفظية والمفردات وتشكل الكلمات والأساليب علوماً قائمة برأسها ، ثم ربطوا هذه العلوم بعضها ببعض . والتزموا فوق هذا وذاك دراسة جميع اللغات الشرقية وغيرها مما له بالعربية صلة ، وذلك توطئةً لدراسة النحو المقارن للغات السامية ، وتوصلاً إلى معرفة أصل الكلمات ونسبها . وفى ذلك كله تيسير لمعرفة التطوّر التاريخى لمعانى الكلمات ، وتذليل لمعرفة التطوّر العامّ للغة . وما كان لهؤلاء الأجلّة من العلماء ليتجشموا كلّ ذلك الذى وجب علينا أن نتجشمه ، إلا ابتغاء الكشف عن أسرار العربية والتشبع بروح هذه اللغة الشريفة . ولكن قد لا يتهيأ لنا ولهم الاستفادة من هذه العلوم ، استفادة ترضى الوجه الصحيح من البحث العلمى ، حتى يخرج لنا المحقّقون ثمين ما صنّفه الأقدمون فى علوم اللغة ، وفى سائر العلوم التى لهـا بالعربية صلة ، وذلك من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات ، على أن تكون طبعات علمية صحيحة

ومن ذلك كله يتضح لنا أن هذا النهج رغم وفرته لا مفر من انتهاجه . وإنه وإن يكن نهجاً وعر المسالك كثير الشعب ، إلا أنه كفيل بإحياء العربية والمدّ فى عمرها أبد الآبدين . فلذا ما صحت عزيمتنا على السير فيه أدبنا للعربية أجل خدمة ترتجى لها فى وقفتها هذه . ولا شك أن حب اللغة ، ذلك الحب الذى يفضل به الإنسان الحيوان ، سوف ييسر لنا هذه المهمة الشاقة فيدفعنا إلى تحقيقها دفعاً فى عزيمة صادقة ثابتة ، وبنفس راضية مطمئنة . وحين يعمل علماؤنا على أداء هذه الرسالة يتبارون ضمناً فى إشعال جذوة الثقافة بين أبناء العربية ، ويساهمون فوراً فى تفجّر نهضة صحيحة . وقد ثبت أن لا قيام لنهضة فكرية ما لم تبدأ بإنهاض اللغة وقد أدرك القدامى من أهل التحقيق ذلك ، إذ قالوا : لا تعمر عراص الدين والعلم والأدب إلا بطول عمر اللغة . نعم ، ولكن لا يطول عمر اللغة حتى يحال بينها وبين اكتهالها فشيخوختها ، ولا يقيها شر الشيخوخة إلا ضمان فتوّتها ، ولا بقاء لفتوّة إلا مع التجديد ، ولا يكون التجديد حتى يدرك تطورها ، ولا تطور يرتجى حتى يتبين أصلها ونشأتها ، ولا تعرف لها نشأة حتى نهتدى إلى نشأة النطق بالكلام . وهذا ما أرجو أن أحاول بحثه فى غير إطالة متوخياً عقده فى فصول متتابعة .

ابراهيم ابراهيم يوسف
مساعد الأستاذ أ . فيشر
بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

من القصص الإسلامي

جارية البصرة

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كانت الجمال تميس مَيَساناً هادئاً، تحمل الخليفة الرشيدَ إلى الحج. وكان لا بُدَّ لها، وقد بلغت البصرة، من الوقوف بها ليتمتع الرَّكْبُ بما فيها من جمال وجلال؛ فقد كانت هادئة أنيقة، تستفيق على همس النخيل كأنه وسوسة القُبل، وتنام على دغدغات دِجلة كأنها مُناغاة الأم، وزغردة الوليد. وكان أهلُها، إلى ذلك، من أكثر الناس اقتناء للعاج والديباج، وكان نساؤها مشهورات بالدلال، وبيوتها ضاحكات بالفضة باسمات بالذهب ... ونهرُها يفيض متدفقاً صخوباً يتساقط في أوله الرُّطَب، ويتمايل على حفافيه النخيلُ والقصب.

ونزل الخليفة، ومعه جعفر بن يحيى، ووراءهما حاشية عريضة من المُلَهِّين والمغنين والزُّهّاد.

ولم يَرَ الرشيد أن يتحوّل عن هذه المدينة قبل أن يعلم أحوال الناس فيها؛ فدفع جعفراً إلى الطّواف بها، ليتحسّس أخبارها ثم يعود فيخبره بما سمع وبما رأى.

فلما عاد عشيّة ذلك اليوم قال له الرشيد: « إيه يا جعفر! حدّثني بعجيب ما رأيت ... »

قال جعفر: « لقد طوّفتُ في المدينة يا أمير المؤمنين، فسمعتُ من ناسِها ما يشكون وما يرغبون. وكنتُ أعلم كل شيء من غير عناء لتنكري. فلما كنتُ في إحدى الأسواق، أقبل عليَّ نخّاس يبيع الجواري والقيان، وهَمَس في أذني أنّ لديه جاريةً مغنيّةً تباع، وأنّ مولاها ممتنع من عَرْضها إلا في داره؛ فتطلّعت نفسي إلى معرفة أمرها، وتاقت لرؤيتها، فمضيتُ معه ... حتى وقف عند باب شاهق يدلّ على نعمةٍ وثراء، فطَرَقه؛ وإذا شاب حسنُ الوجه، دقيقُ العود، عليه قميص ممزّق، يفتح لنا. فدخلنا إلى دِهليز طويل مظلم ... وانتهينا إلى دار واسعة خراب. فأخرج لنا الفتى من غرفة قطعةً متآكلةً من حصير، ففرشها لنا، وجلسنا عليها، ثم مضى ليُحضر المغنّية، فأخذتُ أفكر في أمر هذه الجارية، وتساءلت لِمَ تعيش في هذه الخرائب؟ ومن تكون ...؟ وما شأن هذا الفتى معها؟ ... وإذا بها تخرج علينا، زهراء غيداء، وعليها القميص الممزّق الذي كان يلبَسه الفتى منذ لحظات. فرأيتها صبيحة الوجه، ميّاسة القد، حلوة العينين، ناهدة الثديين، وأدهشتني ببراعة جمالها ونضارة جسمها؛ فأمرتها بالجلوس وتقدّمت إليها بالغناء. فضربت على عود ضرباً ما سمعت أرقّ ولا أحلى حلاوة منه، واندفعت تغنّي:

تمّت علينا زفرةٌ صاعدهْ وملّني العائدُ والعائدهْ

فلم أسمع يا أمير المؤمنين أشجى ولا أفجع ولا أطرب من غنائها. ثم أخذت تبكي، وذرفت دمعاً هاج حزني وكلَمَ قلبي، وأرسلت آهات ناعمات من صدر ملوّع وقلب مفجّع. ثم سمعنا فجأة بكاء الفتى من الغرفة المجاورة. فقامت الجارية إليه. وطرق آذاننا صوت بكاء محزن، وشهيق أليم؛ ثم سَكَنتِ الأصوات حتى حسبنا أنهما ماتا. فعجبنا من أمرهما، وقلت للنخاس: « ويحك! قم فانظر ماذا أصابهما ... » وإذا بالفتى يخرج قائلاً: « عفواً يا سادتي ...! » ثم غلبه البكاء فلم يستطع الكلام. فأشفقتُ عليه وقلت: « ما حالك يا فتي؟ » فبكى. فأعدتُ عليه السؤال والحثُّ في الطّلب، فتحرّك وقال:

« نشأت نشأة فريدة مغمورة بالعطف والدلال. وكان أبي موسراً، أزهرت النعمة في دياره وتدفقت الدنانير عليه. وكنت ألهو في بستان يحيط بالقصر مع هذه الجارية التي ربتها أمي. فكنا نرتع فوق العشب، ونغوص في الماء، ونتسلق النخيل، ونطلق أنفسنا في لهو الطفولة الحلو. على أني كنت أحسّ بانقباض في صدري إذا ابتعدتْ مني؛ وأشعر بالوحشة تغمرني كلما غابتْ عني، فلما بلغتُ السابعة وبلغتْها، جيء لي بمؤدب يؤدبني، وأُتي لها بمغنية تتخرَّج عليها. أما أنا فتوفرت على الأدب ألتقط النوادر، وأحفظ الفرائد، وأروى الأشعار والأحاديث. وأما هي فقد انقطعت إلى الغناء لتمهر في طرائقه وتبرع في أصواته. فلما أورق غصني ورف صباي، ازداد حبها

فى قلبى ؛ وخطبنى وجوه أهل البصرة لبناتهم ، وذاع صيتى فى البيوتات ، وأصبحت أمنية العذارى والفتيات ، ورغبن فىّ لفصاحتى وأدبى ووفرة مالى . فأعرضتُ عنهن جميعاً وصبوتُ إلى هذه الجارية التى كان الجمال يرتع فى جسمها ، والفتنة تسجو فى عينيها ، فيتحرّق قلبى ويتألم ، ويضؤل جسمى ويرق

لقد كان صوتها ، يا مولاى ، مسكراً ناعماً حلواً . كنت أنتشى فأغمر فمها الحلو الصغير بقبلى . . . أو أجثو أمام قدميها فيزداد طربى ... لقد كان فى صوتها شىء يداعب الروح لا أدرى كنهه ؛ شىء فيه نعومة وشهوة وحنين . فكانت إذا فرغت من الغناء جلست أمامى لأطربها بالأشعار ، وأضحكها بالنوادر ، وأطرفها بالأحاديث

فلما بلغ بها الغناء مبلغاً بعيداً ، عزمت أمى على بيعها ، وهى لا تدرى ما فى نفسى من وجد وشوق . فغامت الدنيا فى عينى ، ولّجتْ نفسى فى ألوان من الأفعال أقلها الانتحار . ثم قررت أن أصدق أمى خبرى فأخبرتها . فأشفقت علىّ ووهبَتْها لى ، وجهزها أبى كما يجهز أهلُ البيوتات بناتهن وجواريهن

ونعمت معها دهراً لهوت بها عن الدنيا وما فيها . وكنت أحب سماع صوتها فى الأماسى والأصابيح تحت ظلال النخيل ، وبين القصب ؛ فكانت تغنينى فأتيه وأغيب . ولكنى واأسفاه ! لم أصحُ من هدهدات الغناء إلا على نوح النائحات وبكاء الباكيات ؛ فقد مات أبى ، وأنا ما أزال فى ريعان الصبا

وانتقل إلىّ بوفاته ما لا أحصيه من الأموال . على أنى لم أكد أسلو لوعة الفقد الأولى . حتى عاجل الموت أمى . فبكيت وحزنت ، ثم أغوانى الشيطان وقال : مالك وللحزن ! إن شبابك يفنى وعمرك ينقضى ، فانْعَم ولَذّ بجاريتك . فأسأتُ تدبيرَ الأموال ، وعكفتُ على اللهو والقيان ، فتلِفَت نعمتى ، وابتزّت الحسان مالى ، فمشت فى هذه الخرائب كما ترى ؛ بكاء على الماضى وحنين لأيام الهناءة والنعيم

وذرف دمعة ، يا أمير المؤمنين ، وصمت . فقلت له : ثم ماذا ؟ أتمم ... أتمم ...! قال : « وبقيت على ذلك سنتين ، لا نذوق طعم اللحم إلا لماماً . وكانت يا مولاى وفية ، لا تستطيع مفارقتى رغم ما تلاقيه من ضنك العيش ومرارة الإقلال . وكانت تحبنى حباً عنيفاً ، فأدركتنى الشفقة عليها ، وقلت لها : اسمعى يا أختاه ! لقد عبست لنا الأيام ، فأصبحنا كما ترين ، وأنت ما تزالين غضة الصبا ، ريانة الشباب ، وأنا آلم لما تكابدينه من البؤس والفقر ، وأعلم أنى تألف متى فارقتك ، ولكنى أوثر أن أراك منعمة هانئة ، فدعينى أعرضك على أصحاب الخليفة ، فلعل واحداً يشتريك فتنعمى معه برغد العيش !

فبكت بكاء كله وله وحنين وقالت : « مالى وللطعام ، مالى وللثياب ، وأنت إلى جانبى . أنا أريدك أنت ، أنت وحدك ، لا أريد مالاً ولا ثياباً ... ! » فحزنت وقلقت ، ولكنى خرجت سراً إلى هذا النخاس فأطلعته طِلْعَ أمرى ، وأعلمته أنى لا أعرضها إلا فى دارى لئلا تمتهن بالأسواق ويراها السوقة والعوام .

فلما جئتنا الساعة ، بقيت فى الغرفة ، وألبستها ثوبى المزق فما عندى ولا عندها غيره . وجلست أبكى . ولما دخلت علىّ بعد غنائها قالت لى : « ألست مللتنى ، وآثرت فراق ؟ فلم تبكى ؟ بعد هذا علىّ ! » فقلت لها : « إن فراق نفسى أسهل علىّ من فراقك ، وإنما أردت أن أخلّصك من هذا الشقاء ! » قالت : « ألستُ أنا راضية بهذا الشقاء ؟ » فاضطربت ، وخرجت إليك يا مولاى لأخبرك أنى عدلت عن البيع ! »

واهتز الرشيد لطرافة الأحدوثة وحلاوة الكلام وقال : « ألا فليكن هكذا المتحابون . . . ! فماذا حدث بعد ذلك يا جعفر ؟ »

قال : « تركتهما يبكيان ، وأرسلت صاحب الشرطة ليبتاعها لى غصباً ! » قال الرشيد : « ويحك ! أهكذا تكون المروءة ؟ كيف تفرق بينهما وتشتت شملهما ؟ تعال يا غلام ، قم يا حماد ثم يا جعفر ، ردوا هذين المحبين إلى رغادة عيشهما وهناءة حبهما . اجمعوهما بلوئام ، وأفرحوهما باللقاء والسلام ، وانثروا هذه الآلاف الثلاثة من الدنانير أمامهما ؛ فليس أثوب من جمع المتحابين ! وإن شاءا فاحملوهما إلينا واخلطوهما بحاشيتنا ، فإنهما يستحقان معاشرة الملوك

(دمشق) صموح الديه المنجد

٥ - خزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأستاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس صالح بن مدرك ، رأس جحيش بن ذيال ، رأس غلام لصالح بن مدرك

لا تخلو أخبار الحاج فى كل سنة من أحداث خطيرة تلم بهم يتعمدها قطاع الطرق والفساق ومن خرج على الدولة يومذاك ؛ فتسلب أموالهم ، ويقتل أكثرهم ، ويتيه بعضهم فى بطن الصحراء فيهلك من العطش والجوع والحر . ولا يسلم منهم إلا نفر قليل

فمن تلك الأحداث ما وقع فى سنة ٢٨٦هـ ، والخليفة يومذاك المعتضد . ذكر المسعودى أن فى هـذه السنة « ظفر أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمى بصالح بن مدرك الطائى بناحية فَيْد مكراً فى ذهابهم إلى مكة ، وقد كانت الأعراب جمعت لأبى الأغر ليستنقذوا صالحاً من يديه ، فواقعهم فقتل رئيسهم جحيش ابن ذيال وجماعة معه وأخذ رأسه ، فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحيش بن ذيَّال يئس من الخلاص من يد أبى الأغرّ ؛ فلما نزل المنزل المعروف بمنزل القرشى أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكيناً وقتل نفسه ، فأخذ أبو الأغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاجّ . وكان لأبى الأغر فى رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الأعراب ؛ وكانت الأعراب قد اجتمعت وتحشّدت من طيء وأحلافها ، فكانت رجّالتها نحواً من ثلاثة آلاف راجل ، والخيل نحو من ذلك ، فكانت الحرب بينهم ثلاثاً وذلك بين معدن القرشى والحاجر ، ثم انهزمت الأعراب وسلم الناس . وكان ممن تولى بأبى الأغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الأعلى ، ودخل أبو الأغر مدينة السلام وقدّامه رأس صالح وجحيش ، ورأس غلام لصالح أسْوَد ، وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك . فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الأغر وطوقه بطوق من ذهب . ونُصِبَتْ الرؤوسَ على الجسر من الجانب الغربىّ ، وأُدخِلَ الأسارى المطبق »[1]

(د) رأس ابن الرضا :

وابن الرضا هذا ، هو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد ، ظهر « فى أعمال دمشق فى سنة ثلاثمائة ، وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة ، فقتل صبراً ، وقيل قُتل فى المعركة وحمل رأسه إلى مدينة السلام ، فنُصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى »[2]

٥ - تعليق الرءوس بازاء دار الخلافة العباسية ببغداد :

(ا) رأس بزبه

روى خبره ابن الجوزى فى حوادث سنة ٥٤٢ هـ قائلاً : « ... وورد الخبر أن بزبهْ راسل شحنة أصبهان فاستماله ورحل إليها ومعه محمد شاه . وكان السلطان مسعود مقيماً بهمذان وعساكره قليلة ؛ فأرسل إلى عساكر آذربيجان فتأخروا عنه ، فسار بزبه من أصبهان سيراً يمهل فيه ، فلما قاربها وصلت عساكر آذربيجان إلى السلطان ، وكان بزبهْ قد جاء جريدة فى خمسة آلاف فارس ، فضرب على عسكر السلطان فكسر الميمنة والميسرة ، وكان مسعود قد تأخَّر عن المصاف فى ألف فارس ، وكان عسكره عشرة آلاف ، فاشتغل عسكر بزبه بالنهب والقتل ، فجاء مسعود فحمل عليهم ، فالتقى هو وبزبهْ ، فكبت الفرس ببزبهْ فوقع ، فجيء به إلى مسعود فقطع نصفين ، وجيء برأسه فعُلِّق بإزاء دار الخلافة ... »[3]

٦ - تعليق الرءوس فوق باب النوبى[4]

(ا) رأس ابن سنكا :

من الأخبار الواردة إلى بغداد فى شعبان من سنة ٥٦٩ هـ :

(١) مروج الذهب ٨ : ١٩١ — ١٩٣
(٢) مروج الذهب ٨ : ٢٧٩
(٣) المنتظم ١٠ : ١٢٤
(٤) باب النوبى : أحد البابين الكبيرين للحريم من دار الخلافة العباسية ببغداد ، وكان فى سور الدار شرقى باب بدر . ودعى أيضاً « باب العتبة » ، وهى أقرب العتبات إلى الداخل ، وعندها كان مقام =

« أن ابن أخى شملة التركمانى ويعرف بابى سنكا قد استحدث قلعة فى ولاية باذرايا بقرب من قلعة الماهكى ، ليتخذها ذريعة إلى الإغارة على البلاد ، ونقل إليها الميرة ؛ فبعث السلطان إليه الجيوش فالتقوا ، فحمل بنفسه عليهم ، فطحن الميمنة ، فتقدم قيماز العميدى إلى الأمراء فحثهم على خوض الماء ، وكان قد فتح البثوق يحتج بها ، فخاض قيماز ومعه جماعة فغرقوا ثم اقتتلوا ، وأسر ابن سنكا ، ثم قتل وجىء برأسه فعلق بباب النوبة [كذا والصواب : النوبى] ... »[1]

(ب) رأس طغرلبك[2] السلجوقى :

هو السلطان طغرلبك شاه بن أرسلان شاه بن طغرل شاه ابن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق السلجوقى آخر ملوك السلجوقية بالعراق[3] كان سفاكاً للدماء وقد هابته الملوك . قتل وزيره رضى الدين الغزنوى وفخر الدين العلوى رئيس همذان . وكان مصرعه فى سنة ٥٩٠ هـ . قال ابن كثير فى حوادث هذه السنة : « وفيها ملك السلطان خوارزم شاه تكش – ويقال له ابن الأصباغى – بلاد الرىّ وغيرها ؛ واصطلح مع السلطان طغرلبك السلجوقي ، وكان قد تسلم بلاد الرى وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وعظم شأنه . ثم التقى هو والسلطان طغرلبك فى شهر ربيع الأول من هذه السنة ، فقتل السلطان طغرلبك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة فعلق على باب النوبة [كذا والصواب : النوبى] عدة أيام ... »[1]

٧ نصب الرءوس على باب العامة[2]

(ا) رأس هرون بن غريب الخال ، ورءوس جماعة من قواده

وهرون هذا هو ابن خال المقتدر بالله . كان ذا شأن كبير فى أيام المقتدر والقاهر ، ولما بلغه خلع القاهر وتقليد الراضى الخلافة ؛ وكان يقيم بالدينور – وهى قصبة أعمال ماه الكوفة – متقلداً أعمال الماون بها ، وبمسبذان ومهرجا نقذق وحلوان ؛ رأى أنه أحق بالدولة من غيره لقرابته من الراضى ، فغلظ ذلك على ابن مقلة الوزير ، وعلى محمد بن ياقوت صاحب الشرطة ، وعلى الحجرية والساجية والمؤنسية ، فسار إلى بغداد حتى وافى خانقين فخاطبوا بأجمعهم الراضى ؛ فقال : أنا كاره له فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه إن أحوج إلى ذلك[3]

وهكذا اشتعلت الحرب بين هؤلاء ، وبين هرون وأصحابه حتى كان فيها هلاكه . قال مسكويه فى رواية مقتله : « ولم تزل الحرب غليظة إلى أن قارب انتصاف النهار ، وركب هرون بن غريب مبادراً ، وسار منفرداً عن أصحابه على شاطىء نهر بين يريد قنطرته لما بلغه أن ابن ياقوت قد عبر القنطرة ، وقدر أنه يقتله أو يأسره ، فتقطر به فرسه فسقط منه فى ساقية ، فلحقه يمن غلامه فضربه حتى أثخنه بالطبرزينات ، ثم سل سيفه ليذبحه فقال له هرون : يا عبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك قتلى أى شىء أذنبت به إليك ؟ فقال له : نعم أنا أفعل بك هذا وحز رأسه ورفعه وكبر فتبدد رجال هرون ... وسار محمد بن ياقوت

= الخليفة ، والعتبة هذه هى التى تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا بغداد ؛ وهى أسطوانة من الرخام الأبيض موضوعة أمام الباب الداخلى . وكان باب النوبي هذا فى بعض الزمن الباب الرئيسى لقصور دار الخلافة . راجع : معجم البلدان طبعة وستنفلد ١ : ٨٩٦ مادة توماثا ، و ٢ : ٥١٩ – ٥٢٠ مادة دار الريحانيين ، وبغداد فى عهد الخلافة العباسية ، تأليف « لسترنج » ص ٢٣٢ – ٢٣٣ ؛ الترجمة العربية

(١) المنتظم ١٠ : ٢٤٤

(٢) ضبطه ابن خلكان : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء وبعدها كاف . أما ابن تغرى بردى : (النجوم الزاهرة ٦ : ١٣٥ – ١٣٦ طبع دار الكتب المصرية) : فقد أسماه طغريلبك : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وبعدها ياء ولام ساكنتان ؛ وهو اسم باللغة التركية لطائر معروف عندهم . و « بك » هو الأمير

(٣) أنظر أخباره فى النجوم الزاهرة ٦ : ١٣٤ – ١٣٦ ، أما طغرلبك أول ملوك السلجوقية فقد كان كريماً حليما ، ولا يرى القتل ، ولا يسفك دما ، ولا يهتك محرما . وكان مبدأ حكمه فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة للهجرة

وقد ملك من هؤلاء السلاجقة نيف وعشرون ملكا ، ومدة ملكهم مائة وستون سنة .

(١) البداية والنهاية ١٣ : ٩

(٢) باب العامة : هو الباب الآخر الكبير من أبواب دار الخلافة العباسية ببغداد ؛ وكان يعرف أيضاً « بباب عمورية » ، وقيل إن أبوابه الحديدية الضخمة جاء بها المعتصم إلى بغداد من عمورية فى حدود سنة ٢٢٣ هـ ، والظاهر أن باب العامة هذا كان المدخل الرئيسى إلى أراضى القصر الحسنى انظر باب العامة هذا فى : الطبرى ٣ : ١٣٩٤ ، ١٤١٩ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٥٠٣ ، وتجارب الأمم ٥ : ٣١٩ ، والمنتظم ٦ : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٧٦ ، ولسترنج ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ الترجمة العربية

(٣) تجارب الأمم ، ٥ : ٣٠٦ – ٣٠٧

إلى موضع جثة هرون فأمر بحملها إلى مضربه فحملت وأمر بتكفينه ودفنه. ودخل بغداد وبين يديه رأس هرون وعدة من قواده فأمر الراضي[1] بنصب الرؤوس على باب العامة »[2]

٨– نصب الرءوس على أسوار السجون ببغداد

(ا) رأس أبي يزيد خالد بن محمد الشعراني

ذكر قصته الطريفة عريب بن سعد القرطبي في مدار كلامه على أخبار بني العباس في سنة ٣٠٤هـ، فقال: « وفي المحرم من هذه السنة ورد كتاب صاحب البريد بكرمان يذكر أن خالد بن محمد الشعراني المعروف بأبي يزيد؛ وكان علي بن عيسى الوزير ولاه الخراج بكرمان وسجستان، خالف على السلطان، ودعى أميراً وجمع الناس إلى نفسه ... فكتب المقتدر إلى بدر الحمامي في إنفاذ جيش إليه ومعاجلته، فوجه إليه بدر قائداً من قواده يعرف بدرك، وكتب بدر قبل إنفاذ الجيش إلى أبي يزيد الشعراني يرغبه في الطاعة، ويتضمن له العافية مع الأنهاض في المنزلة وخوفه وبال المعصية فجاوبه أبو يزيد: والله ما أخافك، لأني فتحت المصحف فبدر إلى منه قول الله عز وجل (لا تخاف دركا ولا تخشى)[3] ومع ذلك ففي طالعي كوكب يمانى لا بد أن يبلغني غاية ما أريد. فأنفذ بدر الجيش إليه، وحوصر حتى أخذ أسيراً فقيلت فيه أشعار منها:

يَابَا يَزيد قاتل البُهتانِ ... لا تغتر بالكوكب اليمْياني

واعلم بأن القتل غاية جاهلٍ ... باع الهدى بالغي والعصيانِ

قد كنت بالسلطان عالىَ رتبةٍ ... من ذا الذي أغراك بالسلطان

ثم أتى الخبر بأن أبا يزيد هذا مات في طريقه، فحمل رأسه إلى مدينة السلام، ونصب على سور السجن الجديد »[4]

(١) قال ناشر تجارب الأمم: « وفي الأوراق: فجيء برأسه إلى الراضي فأظهر سروراً بذلك وسلمه إلى أهله، فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن علي في الكرخ في الجانب الغربي ».

(٢) تجارب الأمم (٥: ٣٠٩)؛ وذكر ابن الأثير هذه الحادثة في سنة ٣٢٢هـ: (الكامل ٨: ٢١٥–٢١٦؛ أوربة = ٨: ٩٩–١٠٠؛ بولاق)

(٣) كمال الآية: « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركا ولا تخشى (سورة طه ٢٠: ٧٦)

(٤) صلة تاريخ الطبري (ص ٦٠–٦١ طبع ليدن)

(ب) رؤوس ثلاثة رجال من أصحاب الحلاج:

بعد مقتل الحلاج تفرق أصحابه أيدي سبأ: فمنهم من ذهب إلى خراسان، ومنهم من بقي في العراق متوارياً عن الأنظار، بينما رجال الشرطة وأصحاب الأخبار لا يألون جهداً في البحث عنهم. فمن أخبارهم في سنة ٣١٢هـ أن نازوك، وكان يومئذ صاحب الشرطة « جلس في مجلس الشرطة ببغداد، فأحضر له ثلاثة نفر من أصحاب الحلاج، وهم حيدرة والشعراني، وابن منصور. فطالبهم بالرجوع عن مذهب الحلاج فأبوا؛ فضرب أعناقهم ثم صلبهم في الجانب الشرقي من بغداد، ووضع رؤوسهم على سور السجن في الجانب الغربي »[1]

(يتبع) **ميخائيل عواد**

(١) المنتظم (٦: ١٨٩)

٤٦ - المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الفصل الرابع عشر

الصناعة

من المحزن أن يوازن المرء بين فقر مصر الآن، وبين رخائها قديماً حينما كان اختلاف الصناعات وأناقتها وإتقانها تثير إعجاب الأمم المجاورة. وكان المصريون في غنى عن التجارة الخارجية لتنمية الثروة أو زيادة الرفاهية. وقد دل الكشف عن الآثار على أن المصريين انفردوا إلى حد كبير في السمو بالفنون في عهد موسى وقبل ذلك أيضاً. ولم يكن الفراعنة والكهنة وقواد الجيش في تلك الأزمنة الغابرة يعيشون وحدهم في ترف رفيع ويلبسون أرق الأنسجة الكتانية ويجلسون على سرر وكراسي نستخدمها نماذج لأثاث أبهائنا الحديثة، بل كان الكثير من أغنياء المزارعين وغيرهم من الأفراد كأولئك. ولا تزال الطبيعة تجود بنعمها على سكان وادي النيل، كما كانت في قديم الزمن. غير أن المصريين لم يعودوا ينعمون لعدة أجيال بحكومة مستقرة، فكان كل من الولاة المتعاقبين في هذه المدة الطويلة يعمد إلى تنمية ثروته الخاصة، لعدم توطد ولايته. وهكذا هلك بالتدريج كثير من المصريين وقضى على الباقين أن يعيشوا في عوز أليم. وإذ كان الذكور من السكان يكاد عددهم يزيد على القدر اللازم لزراعة الأراضي التي يغمرها الفيضان أو يسهل ريها بالوسائل الصناعية، كان عدد هؤلاء الذين يحترفون الصناعة في هذا البلد شديد القلة نسبياً. ولا تنم أعمال المصريين عن براعة كبيرة لقلة التنافس وعدم تشجيع الأغنياء. غير أن انحطاط الصناعات اليدوية يرجع إلى حد بعيد إلى سبب آخر وهو أن السلطان سليم التركي بعد أن غزا مصر نقل على ما قال الجبرتي[1] عدداً كبيراً من البارعين في الحرف التي لا تُمارس في تركيا فقضى بذلك على أكثر من خمسين صناعة يدوية في مصر

حرم الإسلام كما سبق أن بينت، استخدام التصوير والنحت في رسم الأحياء، غير أن بعض المسلمين المصريين يحاول رسم الرجال والأسود والجمال وغيرها من الحيوان والزهور والقوارب وذلك على الأخص لزخرفة واجهات الحوانيت وأبواب الحجاج كما يقولون، وإن كانت محاولاتهم هذه تفوقها رسوم صغار الأطفال عندنا. ولكن الدين الإسلامي يسر الصناعة خاصة باستلزامه أن يعرف كل امرىء فناً أو عملاً يمكنه وقت الضرورة من سد حاجته وإعالة من يتولى أمرهم والقيام بواجباته الدينية والأدبية. ويبرع المصريون على الأكثر في فن العمارة، فتجد أجمل نماذج العمارة العربية في العاصمة المصرية وضواحيها. وليست المساجد والأبنية العامة الأخرى وحدها هي التي تستحق الاعتبار لعظمتها وجمالها، ولكن الكثير من المساكن الخاصة أيضاً تثير الإعجاب ولا سيما هيئتها الداخلية وزخرفها. على أن هذا الفن كأغلب الفنون الأخرى انحط كثيراً في السنوات الأخيرة؛ فقد أخذ المصريون عن الأتراك طرازاً جديداً ساذج الشكل بعضه شرقي وبعضه أوربي وفضلوه على العربي. وتنم الأبنية ذات الطراز القديم، أبوابها وسقوفها وبلاطها، التي سبق وصفها، عن ذوق فريد. وكذلك أكثر الصناعات المصرية تنم عن الذوق وإن كان الكثير منها ينقصه الإتقان. وكان الخراطون، وشغلهم الأول عمل الشبابيك، كثيري العدد، وكان عملهم حينذاك أكثر إتقاناً: أما الآن فقد قلت أعمالهم، لأن نوافذ

---

(١) في ابتداء كتابه (المؤلف)

قال الجبرتي في الجزء الأول من تاريخه عند ذكر ملوك الجراكسة: «وأخذ (أي السلطان سليم) نخبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التي لم توجد في بلاده بحيث أنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة» (المترجم)

المنازل الحديثة تصنع من الزجاج . ولا يظهر المصريون المحدثون فى صناعة الزجاج التى اشتهروا بها قديماً مهارة كبيرة ، فقد انحط عندهم فن الزجاج الملون ؛ غير أنهم لا يزالون موضع الإعجاب فى صناعة النوافذ الزجاجية وإن لم يكن ذلك بقدر ما كان فى السنوات الماضية قبل أن ينقص تفضيل الطرز الجديد من أعمالهم . والصناعة الخزفية فى مصر غليظة ، وهى تشمل عمل القلل والجرار لحفظ المياه وتبريدها . ويستحق المصريون الشهرة التى نالوها فى مهارة إعدادهم السختيان . ويستعمل المصريون السعف وأوراق النخيل فى صناعات مختلفة فيصنعون من السعف الأقفاص والكراسى والصناديق والسرر الخ ... ومن الأوراق السلال والقفف والحصر والمكانس والمذبات ، وغير ذلك من الآلات . ويفتلون من ألياف النخيل أكثر الحبال المصرية . ويصنعون أحسن الحصر التى يستخدمونها صيفاً بدل البسط ، من البردى . وقد فقدت مصر الشهرة التى نعمت بها قديماً فى صناعة الكتان الرقيق ؛ فالملابس الكتانية والقطنية والصوفية التى تغزل فى هذا البلد غليظة الصنف حقيرته

اشتهر المصريون طويلاً فى صناعة التفريخ . ويبدو أن هذه الصناعة كانت شائعة فى مصر فى سالف الأزمنة وإن وصفها الكتاب الأولون وصفاً غامضاً . وهم يطلقون فى الوجه البحرى على البناء الذى يتم فيه التفريخ « معمل الفراخ » وفى الصعيد « معمل الفروج » . وفى الوجه البحرى أكثر من مائة معمل ، وفى الصعيد أكثر من نصف ذلك العدد . ويعين أغلب مراقبى هذه المعامل إن لم يكن جميعهم من الأقباط . وتفرض الحكومة على هذه المعامل ضريبة . ويبنى المعمل بالآجر أو اللبن ويتكون من أفران ومواقد صغيرة للنار على صفين متوازيين يفصل بينهما دهليز معقود ضيق . ويبلغ حجم كل من الأفران تسع أقدام أو عشرا طولاً تقريباً ، وثمانى أقدام عرضاً ، وخمسا أو ستا ارتفاعاً . ويعلو كلا منها موقد مقبو لا يختلف عنها حجماً والأفضل أن يكون أقل ارتفاعاً . ويتصل الفرن بالدهليز بواسطة فتحة تسمح للانسان بالدخول كما يتصل الموقد بفتحة مماثلة . وتتصل المواقد فى الصف نفسه بعضها ببعض أيضاً ولكل كوة فى قبوه لمرور الدخان ولا تفتح إلا عرضاً . وكذلك الدهليز يوجد به عدة كوى كالسابقة فى سقفه المعقود . ويوضع البيض فى الأفران ، فوق الحصر أو على القش عادة ، على طبقات ثلاث يعلو بعضها بعضاً . ويحرقون السرقين (الجلة) فى المواقد التى تعلو الأفران ثم يقفلون مدخل المعمل بإحكام . ويتقدم المعمل حجرتان أو ثلاث حجرات صغيرة للمراقب والوقود والفراخ الناقفة حديثاً . ويجرى هذا العمل شهرين أو ثلاثة فى صيف كل عام . ويبدأ التفريخ مبكراً فى الصعيد . ويشمل كل معمل بين اثنى عشر وأربعة وعشرين فرناً ، ويتلقى حوالى مائة وخمسين ألف بيضة فى الموسم السنوى ، يخيب منها ربعها أو ثلثها . ويورد الفلاح البيض فيفحصه المراقب ويناول الفلاح عادة مقابل كل بيضتين فرخة صغيرة . ويستعمل نصف الأفران فى الأيام العشرة الأولى ، وتوقد النار فى المواقد العشرة التى تعلوها ، ثم تطفأ فى اليوم الحادى عشر . وتوقد المواقد الأخرى ويوضع البيض الطازج فى أسفل الأفران . وفى اليوم التالى ينقل بعض البيض من الأفران السابقة ويوضع فى رماد مواقدها . وتظل الحرارة أثناء العملية بين مائة ومائة وثلاث درجات بقياس فارنهايت . ويعرف القائم بهذا العمل من تجاربه الطويلة الحرارة اللازمة لنجاح العملية دون الاستعانة بآلة ترشده لتعوده هذا العمل من صغره . وفى اليوم العشرين ينقف بعض البيض الموضوع أولاً . ولكن أغلبه يفرخ فى اليوم الحادى والعشرين . وتوضع الفراريج الضعيفة فى الدهليز وما بقى يوضع فى أقصى الغرف الداخلية حيث تبقى يوماً أو اثنين قبل أن تسلم إلى مستحقيها . وعند ما تنقف البيضات الأولى ونصف الثانية تتلقى الأفران التى كانت فيها دفعة ثالثة ، ثم توضع دفعة رابعة بالطريقة نفسها عند ما تفرخ الدفعة الثانية . ولا يقل الدجاج الذى نقف بهذه الطريقة طعماً عن دجاج البيض الذى يحتضن طبيعياً . ويقل دجاج مصر وبيضه فى كلتا الحالتين حجما وطعماً عن دجاج بلادنا وبيضه . وقد وجدت فى إحدى الجرائد المصرية التى تنشر بأمر الحكومة (العدد ٢٤٨ : ١٨ رمضان سنة ١٢٤٦ ، ٣ مارس سنة ١٨٣١) الإحصاء التالى :

	الوجه البحرى	الوجه القبلى
عدد معامل التفريخ فى العام الحالى	١٠٥	٥٩
عدد البيض المستخدم	١٩٬٣٢٥٬٦٠٠	٦٬٨٧٨٬٩٠٠
عدد البيض المعطوب	٦٬٢٥٥٬٨٦٧	٢٬٥٢٩٬٣٦٠
عدد البيض المفقس	٣٬٠٦٩٬٧٣٣	٤٬٣٤٩٬٢٤٠

لا تزال تجارة مصر عظيمة وإن انحط شأنها كثيراً منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بين أوربا والهند، ونتيجة لسياسة محمد علي وخلفائه باحتكار التجارة والاستيلاء على البضائع. وقد تقدمت التجارة كثيراً في السنوات القليلة الأخيرة لاستخدام البواخر الكثيرة بين الأسكندرية وانجلترا وفرنسا والنمسا من ناحية، وبين السويس والهند من ناحية أخرى، وبإنشاء السكك الحديدية في الوجه البحري.

تستورد مصر الأقمشة الصوفية من أوربا ومن فرنسا خاصة، والشيت والموصلي الساذج والمصور للعمائم من اسكتلندة، والحرير والمخمل والكريشة والشيلان المقلدة عن الكشميري من سكوتلندا وانجلترا وفرنسا، وورق الكتابة من البندقية خاصة، والأسلحة النارية والنصال المستقيمة من ألمانيا وتستورد هذه للنوبيين الخ. والساعات والفناجين والأواني الخزفية والزجاجية المختلفة وأغلبها من ألمانيا والخردة والألواح الخشبية والمعادن والخرز والنبيذ وغيره من المشروبات. وكذلك يستوردون الرقيق الأبيض والحرير والمناديل والفوط المطرزة ومباسم الشبك والبوابيج وضروبا من السلع المصنوعة والأدوات النحاسية والبرنزية الخ.

من الآستانة، ويستوردون من آسيا الصغرى البسط وسجاجيد الصلاة والتين الخ، ومن سورية الدخان والحرير المخططة والعباءات والصابون، ومن جزيرة العرب البن والتوابل وعقاقير عديدة والسلع الهندية كالشيلان والحرير الموصلية الخ، ومن الحبشة وسنار أقراص التمر الهندي والصموغ والسنا المكي، ومن الغرب، أي شمال أفريقية غرب مصر، الطرابيش والبرانس والأحرمة وأحذية الجلد السختيان الأصفر.

وأهم ما يصدر إلى أوربا القمح والذرة والأرز والفول والقطن والعنب واللب والنيلج والبن والتوابل المختلفة والصموغ والسنى والعاج وريش النعام، وإلى تركيا العبيد السود والأحباش ذكوراً وأناثاً والأغاوات والأرز والبن والتوابل والحناء الخ، وإلى سوريا العبيد والأرز الخ، وإلى جزيرة العرب الحبوب خاصة وإلى سنار والبلدان المجاورة القطن والكتان والصوف وبعض الحرير المخططة السورية والمصرية والأبسطة الصغيرة والخرز وحلى أخرى، والصابون والسيوف المستقيمة السابق ذكرها والأسلحة النارية والأدوات النحاسية وورق الكتابة.

(يتبع) عدلي طاهر نور

بين الحب والحظ

سلمى

للأستاذ على شرف الدين

حنينُ فؤادٍ عادَ لي منهُ ما بَدَا وكم رائحٍ يأتي بأخبارِ مَن غدا
بقيّةُ دمعٍ في جفوني تنبهتْ وآثارُ جمرٍ في ضلوعِي توقّدا
وقدْ كُنتُ ودَّعتُ الهوى وشجونَه
فلمّا رأتْ عيناىَ (سلمى) تجدّدا
قصيدةُ شعرٍ صاغها اللهُ فتنةً سماويّةُ الألحانِ عُلويّةُ الصدا
يطوفُ بها في رفرفِ الخُلْدِ طائرٌ
إذا لاحَ ضوءُ الصُّبحِ راحَ مُغرِّدا
وزهرةُ روضٍ قبلَ الفجرِ نفرَها
وألقى لها في جَيبِها العطرَ والنّدى
أرقُّ من الأطيافِ في قلبِ راهبٍ
تبتّلَ حتّى صارَ روحاً مجرّدا
وأجملُ من عُرسِ الربيعِ بربوةٍ
وأروعُ من فجرٍ على الرّيفِ قد بدا
تودُّ النجومُ الزُّهرُ لو كان نظمُها على جيدِها المطْلولِ عِقداً مُنضّدا
وطيرُ مروجِ الرّيفِ لو سالَ لحنُها مع الصُّبحِ من سلمى حديثاً مُردَّدا
فيا ظبيةَ الفردوسِ فرّتْ ولم تعُدْ
عجبتُ لمَنْ لا يرتضى الخُلدَ مَعهدا
ويا فرحةَ الدُّنيا التي هزَّ بِشرُها جوانحَ قلبٍ كان للحزنِ مَعبدا
ويا سلوةَ المحزونِ ضاعَ جِهادُهُ
حوى شبحاً نِضواً وفِكراً مُشرّدا
ويا أملَ المظلومِ عثّرَ حظُّه فعادَ كسيرَ القلبِ حيرانَ مُجهَدا
لئنْ حجبتْ نجمِي على الأفقِ غيمةٌ
فقدْ ملأتْ سلمى سمائِي فرْقدا
وإنْ صيّرتني كبوةُ الحظِّ مُخفقاً فحسبي نجاحاً أنْ أراها فأسعدا
نسيتُ بكِ الآلامَ وهي كثيرةٌ وبدّلتِني منها السّرورَ المجدّدا
وأبصرتُ جُنحَ الليلِ أزهرَ مُشرقاً
وكنتُ أرى قبلاً سنا الصُّبحِ أربدا
وشاعَ الرِّضا في جبهةٍ فاضَ نورُها
وقدْ كنتُ عُمري ساخطاً متمرّدا
وإنّي على حُبّي الحياةَ وعذْبِها مدينٌ لسلمى بالحياةِ وبالهُدى
خيالٌ لها مثلُ الحقيقةِ طيفُهُ
أكادُ معَ النّجوى أمدُّ له يدا
لعمرُكَ ما سلمى سوى أقحوانةٍ
لها صورةُ الإنسانِ جسماً مجسّدا

على شرف الدين



من شاعر إلى شاعر

[أهدى الأستاذ الشاعر على محمود طه نسخة من ملحمته الرائعة « أرواح وأشباح » إلى صديقه الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ولم يكن قد أتيحت له قراءتها إلا بعد أن سلم من ثورة نفسية جامحة فأرسل إليه هذه الأبيات] :

هذا كتابك أشباحٌ وأرواحُ ... شعر من النغم العلوىّ لمّاحُ
فيه من الفنّ إشراقٌ وتجلية ... وفيه من ومضات الروح أوْضاح
فيه من السحر ماهاروتُ يصنعُه ... وخمرِ بابلَ ما لا تصنعُ الراح
أقررتَ عينى وعين المعجبين به ... بكل معنى إليه النفس ترتاح
الشعر ما الشعر إلا روضة عبقت ... وأنت فيها طليق الصوت صدَّاح
سريتَ فى الشعر مَسْرى الملهمين كما ... يسرى نسيم على الأسحار فوّاح
فأنتَ فى جوّه العلوىّ منطلق ... وأنتَ فى بحره اللجىّ ملّاح

محمد عبد الغنى حسن

إنصاف الأب الكرملى

اطلعت فى العدد الأخير من « الرسالة » على قطعة بعنوان « الكرملى فى قبضة الحق » بقلم الأستاذ سعيد الأفغانى فى دمشق . وإنصافاً للأب المحترم أقول :

خطأ الكاتب الأب ، لأنه أنكر « أحجاراً ماساء » وصححها « بأحجار ملس » وقال : « لك أن تقول أشهر محرمة ومحرمات وأياماً معدودة ومعدودات » ولم يأتنا بمثل من القرآن أو الحديث أو كلام بليغ على مثل « مباسم فلجاء وعيون دعجاء وحواجب بلجاء » ، بل الذى ورد من ذلك « لو رأيتم العيون الدعج تحت الحواجب البلج فوق المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى » ولم يرد غير ذلك على الإطلاق فى كلام فصيح

وغريب قول الأفغانى « أما استقراؤهُ الشخصى أى الأب وطلبهُ من مخالفيه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة ، لأن المقيس لا يلزم لهُ (يريد يلزمه) شاهد . يريد أن يقول إن عندنا قاعدة جميع شواهد اللغة شواذٌ منها

لكن مجمعنا اللغوى فهم ما لا يفهمه الكاتب ولا أحسب الكاتب ينكر أن مجمعنا يحتج بكلامه . فقد جاء فى الصفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من مجلته قوله :

القاعدة : فعلاء مؤنث افعل كحمراء تجمع باطراد على فُعْل قال ابن يعيش : « فأما فُعْل فهو جمع فعلاء صفة إذا كانت مؤنثة افعل نحو حمراء وحمر وصفراء وصفر جموه على فعل جمع ما لا زائد فيه الخ ...

فكريات بيضاء ليست صحيحة ، وهذا ما كلت ألسنتنا وحفيت أقلامنا لإفهام أدبائنا إياه

نجيب شاهين

شبهة فى تاريخ وفاة ياقوت

من المعروف أن صاحب معجم الأدباء « ياقوت بن عبد الله الرومى » توفى عام ٦٢٦ من الهجرة . وقد نص على هذا ابن خلكان فى تاريخه ؛ عند ما ختم ترجمته لحياته بقوله : وتوفى يوم الأحد لعشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة فى الخان ، بظاهر مدينة حلب

وعن ابن خلكان نقل ابنُ العماد صاحب (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ، وجرى على هذا جميع أصحاب التراجم من المتأخرين . . .

ولكنى وجدت ياقوتاً فى معجمه (ج ٢ ، ص ١٩٨ ، طبع دار المأمون) يتحدث عن الحسن بن أبى المعالى المعروف بابن الباقلانّى النحوى ... ثم يختم حديثه عنه بقوله : « لقيته ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وكان آخرَ العهد به » . ونفهم من هذا أن ياقوتاً كان يعيش فى ذلك التاريخ ، بل يمكن أن نستنبط من قوله « وكان آخر العهد به » أنه يشير إلى وفاة ابن الباقلانى ، وحدوثها فى تلك السنة . ويؤيد هذا ما أورده السيوطى فى كتابة (بغية الوعاة فى ذكر طبقات النحاة) ؛ فقد نقل عن ابن النجار صاحب تاريخ بغداد أن وفاة الباقلانى كانت « يوم السبت الخامس والعشرين من جادى الأولى سنة سبع وثلاثين وستمائة »

هذه حقائق تاريخية تصطدم فى ذهن القارئ ولا يجد

لواحدة منها مرجِّحا ؛ فهل نشك فى صحة ما أجمع عليه المؤرخون من تاريخ وفاة ياقوت ، أم نخطِّئ ما ورد بمعجمه من تاريخ التقائه بابن الباقلانى ؟ وإذا أخذنا بالرأى الأخير ، فهل نحمل السهو فى ذلك على ياقوت نفسه ، أم نحمله على ناسخى معجمه والقائمين بطبعه من القدماء والمحدثين ؟ ...

هذا شىء ، والشىء الآخر أن مكان هذه المقابلة — فضلاً عن تاريخها — موضع « للتفكير . فياقوت ، كما نفهم من كلام ابن خلكان ، لم يطرق بغداد منذ حوالى سنة ٦٠٠ هـ ، بل إنه « تحامى دخولها » وهو يقترب منها عند انتقاله متخفياً من إرْبِل إلى خراسان عام ٦١٣ هـ ؛ لأن له غريماً « علويا » من أهلها كان قد ناظره فى دمشق وألَّب عليه العامة حتى كادوا يقتلونه ؛ وكان هذا سبب هروبه إلى خراسان ، فكيف إذن يزعم ياقوت أنه لقي ابن الباقلانى فى بغداد ؟ وإذا قلنا إنه لقيه بها قبل عام ستمائة (أى تسع وتسعين وخمسمائة فما قبله) فكيف يتفق أن يقع الخطأ أو التحريف فى ثلاثة أرقام كاملة ، فنقرأ أن هذا اللقاء كان فى سنة « سبع وثلاثين وستمائة » ؟ ...

(جرجا) محمود عزت عرفة

المكتب

قال الدكتور زكى مبارك وهو يدرس الشوقيات عند ما تعرض لقصيدة « مصاير الأيام » ما يلى : [... ابتدأ الشاعر يريد شوقى] بحياة الطفل فى المكتب ، والمكتب كلة جديدة يراد بها المدرسة الأولية ، وهى كذلك فى عرف وزارة المعارف فهى تقول المكاتب العامة بعد أن كانت تقول المدارس الأولية »

وقد نفهم من ذلك أن المكتب بمعنى المدرسة الأولية وضع جديد والصحيح أنه استعمال قديم ، ودليلى على ذلك ما يلى :

١ — قال المبرد : « المَكْتَب موضع التعليم والمُكْتِب المعلم ، والكُتَّاب الصبيان ، ومن جعل الموضع الكُتَّاب فقد أخطأ » ويرى هذا الرأى صاحب القاموس ولكن صاحب تاج العروس رده .

٢ — قال ابن خلكان فى ترجمة أبى مسلم الخراسانى : « إنه نشأ عند عيسى بن معقل فلما ترعرع اختلف هو وولده إلى المكتب » وغير خاف أنه فى هذا الدور من حياته يتعلم التعليم الأولى .

٣ — روى ابن قتيبة فى كتاب المعارف : « أن من المعلمين علقمة بن أبى علقمة مولى عائشة ... كان له مكتب يعلم فيه العربية »

٤ — وأوضح من هذا ما قاله الغزالى فى كتاب الإحياء فى باب رياضة النفس جـ ثالث : « ويُشغل الطفل فى المكتب بتعلم القرآن ، وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم ... وينبغى أن يؤذن للطفل بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب التعلم » .

محمود السيد أبو السعود

بنى أمية والإسلام

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود أبو رية حول كتاب « عبقرية عمر » للأستاذ عباس محمود العقاد . والحق يقال إن الأستاذ قد غالى كثيراً فى قوله إن البناء الإسلامى قد تصدع ، وإن اليأس أخذ يدب فى جسم الدولة الإسلامية فى عهد بنى أمية ، واستشهد على ذلك بقول الإمام على : « إن موت عمر ثلمة فى الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة »

والباحث المنصف فى تاريخ الإسلام لا يسعه إلا أن يقرر أن الدولة الإسلامية لم تصب حظاً من العظمة وامتداد السلطان مثل ما أصابته فى عصر الدولة الأموية

وكيف يدب اليأس فى قلوب المسلمين فى عصر بنى أمية وهم الذين ركبوا البحر فى هذا العهد لأول مرة ، وكان لهم فوق الخضم المتلاطم صولات وجولات هى صفحة بيضاء فى كتاب الشجاعة الإسلامية ؟ ! وهذا عقبة بن نافع يسير بكتائب المسلمين فى محاذاة الشاطئ الأفريقى مخترقاً المجاهل والقفار حاملاً لواء الإسلام خفاقاً فى بلاد كل ما يعرفه عنها أن أهلها همج متوحشون لم تصلهم مدنية ولا حضارة !

أما قول الإمام على ، فما أظن أن الإمام كان يقصد أن البناء الإسلامى قد تصدع بموت عمر ، إنما كان قصده أن الإسلام قد خسر بموت عمر رجلاً من خيرة رجالاته ومن العسير أن يجد الناس منه عوضا .

أحمد البديني

فلسفة الأخلاق في الإسلام

الأستاذ محمد يوسف من العلماء الباحثين والكتاب المرون الذين عناهم الأستاذ الزيات في مقالته الغراء « دفاع عن البلاغة »[١]

فهو يكتب عن دراسة مستفيضة وتحليل عميق ، فيخرج الفكرة ناضجة ، ويبدى الرأى خيراً ، ويجلى البحث مكتملاً من جميع نواحيه

ولعل هذا هو السر فى ظواهر ثلاث نلمسها لمساً فى كتابه « فلسفة الأخلاق فى الإسلام »

١ — النشر والطى ، والتفصيل والإجمال ، والعرض والتلخيص ؛ مما يبلغ حد التكرار أحياناً ويؤاخذ به من لم يقصد إلى الإيضاح والتحرير

٢ — الدقة البالغة فى الشرح والموازنة ، وتجلية الغامض من عبارات الفلاسفة ومصطلحات الصوفية ، إلى أمانة فى النقل نادرة ؛ مما حداه إلى كثرة الاستدراك ، وإيراد الجمل المعترضة التى لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة وإثبات النصوص مسندة إلى مصادرها الكثيرة المتنوعة

٣ — السداد فى النظر ، والعدالة فى الحكم بعد استقصاء وجوه الرأى ، من غير ما سفه ولا شطط حتى لا تحوك فى الصدر شبهة دون أن يذيبها بقول سديد أو رأى رشيد

غير أن إصابة الأستاذ للغرض ، ومصاحبته للتوفيق ، ونزاهته فى الحكم - لا تحول بيننا وبين الإدلاء بهذه الملاحظات الخفيفة خدمة للعلم ووفاء للحق « والحق لا يصح أن نجامل على حسابه أحداً من الناس وإن كان زين الدين وحجة الإسلام والمسلمين »[٢]

(ا) كنا نود أن يقتصد المؤلف ولو صفحة واحدة مما كتب فى ابن عربى الذى هو إلى فلاسفة التصوف أقرب منه إلى فلاسفة الأخلاق ، فيضمها إلى الكتابة عن أبى الحسن البصرى الماوردى الذي أشار الأستاذ بحق إلى أن كتابه « أدب الدنيا والدين » مما يمثل الأخلاق الإسلامية أصدق تمثيل[٣] على حين لم يظفر من الكتاب إلا ببضعة أسطر . وإذا لم تكن ترجمة أبي الحسن من أغراض الكتاب فلا ريب أنها — على الأقل — من قبيل الاستطراد المفيد

(ب) مما يثير العجب والأسف معاً أن بعض أئمة الأخلاق والتصوف — بَله الأدب والفلسفة — ليسوا من أهل البصر فى علم الحديث ؛ ولقد روى عن الغزالى رحمه الله أنه قال : بضاعتى فى هذا العلم مزجاة ؛ وسبب ذلك عند علماء الحديث معروف[١] ؛ فكنا نأمل ألا يروى المؤلف حديثاً عن الإحياء أو غيره — وهو من أجلة المدرسين فى كلية أصول الدين — إلا مع الإشارة إلى درجته على الأقل . ورحم الله الحافظ العراقي فقد كفانا المئونة فى تخريج أحاديث الإحياء كتابُه « المغنى » وقد جمع بينهما الحلبي فى طبعته ؛ ولكن الأستاذ اعتمد على نسخة مجردة . على أن المؤلف نقل تزييف الحفاظ للحديث الصوفي المشهور : « كنت كنزاً مخفيا ... » وأبان اعتراف الصوفية أنفسهم بأنه لم يثبت نقلاً وإن ثبت كشفاً[٢]

وحبذا لو أشار إلى تزييف العراقي للحديث الذى ساقه الغزالى فى الزهد « من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا »[٣] وما أكثر أمثال هذا الحديث فى كتب الغزالى .

(ج) فى الكتاب أعلام وكلمات غريبة ، كان يحسن أن يضبطها الأستاذ فيكفى القارئ مئونة البحث والتنقير ، ولكن عذره — ويظهر أنه لا بد من الاستدراك دائماً —[٤] أن الكتاب موضوع لطائفة مفروض عليها البحث والتنقيب .

وبعد فما قرأت كتاباً في الأخلاق أو الفلسفة وأحببت أن أعود إليه بشغف وعناية قبل هذا الكتاب . وهذا — فيما أعتقد — أمارة على إخلاص المؤلف وحبه للحق ودءوبه على البحث عنه والوصول إليه ؛ فى أدب جم وخلق كريم .

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

(١) عدد « الرسالة » ٤٨٨
(٢) ما بين الأقواس من كلام المؤلف ص ١٦٠
(٣) هذا الكتاب كما يقول المؤلف على ما فيه من أحاديث هى بحكم الحكماء أشبه

(١) لعل صدر الرسالة يتفسح لشرح هذا السبب فى مقال قريب
(٢) ص ٢٢٧ (٣) فلسفة الأخلاق ص ١٣٥
(٤) الجملة المعترضة مقتبسة من كلام المؤلف ص ١٥٤

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٦ — ٩ — ٤٢ فى القضية رقم ١٣١٢ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد نعيمه على حبشى سن ٤٥ أرملة بتغريمها ٢٠٠ قرش والغلق واللصق والنشر على مصاريفها لامتناعها عن بيع سكر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 495

Lundi - 28 - 12 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

٢ — التلبـــاني

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر الذين حادثونى أو كتبوا إلىَّ بصدد مقالى عن « التلباني » الذى نشرته الرسالة فى عدد مضى ؛ وبدا لى من أحاديثهم ومن رسائلهم أن بعضهم فهم المقال كما أردت أن يفهم ؛ وبعضهم تجاوز به إلى الحد الذى أريده . وقد استزادنى أناس من الكتابة فيه ، وسألنى أناس غيرهم أسئلة يقترحون الإجابة عليها . وأحسبنى ألبى مقترحاتهم جميعاً بما آثرت من الإجابة عن خطاب كتبه إلىَّ صديقنا الأستاذ محمد شاهين حمزة نائب الدر السابق ولخص فيه ما قرأه تعليلاً لأمثال هذه الحوادث — حوادث التلباني — فقال :

« ... ذكر بعض العلماء أن الأجسام تصدر منها أثناء حركتها الآلية إشارات ورسائل تنطلق على أمواج الأثير كأنها محطات الإصدار فى اللاسلكى ، وهذه الرسائل التى تشير إلى شخصيات مصدريها وتحمل بعض أفكارهم تهز مراكز خاصة فى أدمغة من لهم سابق معرفة بأصحابها أثناء انطلاقها ، فتلتقطها هذه وكأنها محطات الاستقبال تقابل محطات الإصدار الأولى ، وكأن لكل إنسان محطتين أو جهازين للاصدار والاستقبال . ولما كانت هذه الرسائل متفاوتة القوى كانت هناك رسائل تصدر ميتة أو ضعيفة فلا تصل إلى أحد ، وأخرى تصدر قوية لكن

ضعفاً أو خللاً فى محطة الاستقبال يحول دون تلقيها »

ثم سألنى الأستاذ رأيى فى هذا وختم خطابه قائلاً :

ونقطة أخرى أحسبها تحتاج إلى جلاء على هى : كيف بلغ صوت عمر بن الخطاب سارية وصحبه حين ناداهم بقوله : « يا سارية بن حصن . الجبل الجبل ! فاستجابوا له ؟ »

***

ومن اللازم فيما أرى أن أبدأ بتقرير الحد الذى يكفينا أن نقف عنده فيما يرجع إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وملكة التلپاثى أو التلفزيون

فقد أردنا أن نذكر علامات العبقرية عند بعض النفسانيين المحدثين ، ومنها « الحساسية » الخاصة التى تلاحظ على بعضهم فيشتهرون بالغرابة فى إيحاء الأفكار واستيحائها ، وقلنا إن عمر بن الخطاب قد لوحظت عليه من ذلك علامات كثيرة كالفراسة وصدق الظن وسرعة التنبه إلى الفوارق الدقيقة بين الذوقات كما تنبه إلى الفارق بين لبن ناقة ولبن ناقة أخرى ، وكلتاهما فى مكان واحد ومرعى واحد

ومما روى عنه حديث سارية الذى أشرنا إليه . وقد لخصناه وقلنا بعد تلخيصه : « لا داعى للجزم بنفى هذه القصة استناداً إلى العقل أو إلى العلم أو إلى التجربة الشائعة . فإن العقل لا يمنعها ، والعلماء النفسانيون فى عصرنا لا يتفقون على نفيها ونفى أمثالها »

ثم عقبنا على ذلك قائلين : « إن المهم من نقل هذه القصة فى هذا الصدد أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الغيبية إما بالفراسة أو الظن الصادق أو الرؤية أو النظر البعيد ، وهى الهبات التى يلحقها بالعبقرية علماء العصر الذين درسوا هذه المزية الإنسانية النادرة وراقبوها »

فسواء صحت قصة سارية أو صح جزء منها أو لم يصح شىء منها على الإطلاق ، فيكفى أن تروى عن عمر بين معاصريه ، ليثبت لنا أمر محقق لا شك فيه ، وهو أن « الحساسية الخاصة » كانت ملحوظة فيه حتى نسب إليه الناس ما نسبوا من رؤيته جيش سارية على البعد وندائه عليه . فهو قبل أن تقع هذه القصة كان من أصحاب « الحساسية الخاصة » التى يلحظها من حوله وينسبون إليها الحوادث التى تناسبها

وهذه وحدها علامة كافية من علامات العبقرية ، ولا حاجة معها إلى تحقيق ندائه على سارية واستماع سارية له كما جاء فى القصة المروية أو على نحو يقاربها

فهو فى رأى من حوله رجل يحس الأشياء التى لا يحسونها ، وعلك القوى النفسية التى لا يملكونها ، وهذا كاف لاتصافه بعلامة بارزة من علامات العبقرية فى رأى النفسانيين المحدثين

وهنا نحن على « بر الأمان » الذى لا مجازفة فيه ، ولا يكلفنا كثيراً ولا قليلاً فى التعرض للتلپاثى بالنفى والإثبات

ولكننا إذا تجاوزنا هذا وتعرضنا لتحقيق التلپاثى الحكم بإمكانها أو استحالتها ، ففى وسعنا أن ننتقل من بر أمان إلى بر أمان مثله لا مجازفة فيه ، وهو مطالبة الذين يجزمون باستحالتها بالدليل على ما يقولون

لأن الجزم باستحالة شىء بغير دليل كالجزم بوقوعه عياناً بغير دليل ، كلاهما خرافة لا يقبلها العقل ، وإن جاء أحدهما من ناحية الإثبات

وإنما الموقف السليم بين الإنكار والقبول أنك تترك الباب مفتوحاً لمن يثبت وينفى على السواء ، فيجوز أن يأتى غداً من يثبتها ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه ؛ ويجوز كذلك أن يأتى غداً من ينفيها نفياً قاطعاً لا شك فيه ، ولا يجوز — حتى ذلك اليوم — أن نقطع باستحالتها على وجه من الوجوه . وكل ما امتنع القول باستحالته فهو ملحق بالممكنات ، ولا سيما إذا كثرت بيننا مشبهاته وشاع بيننا على درجات دون درجته القصوى ، باتفاق الشعور بين ألوف من الناس

يسألنى الأستاذ شاهين : « كيف بلغ صوت عمر سارية وصحبه فاستجابوا له ؟ »

فالجواب المأمون هنا أننى لا أعلم ولا أجزم بأن الصوت وصل واستجيب ، ولا أجزم كذلك بأنه ممتنع الوصول والاستجابة

ولكننا إذا قلنا بوصوله واستجابته فإنما يتصوّر العقل وقوع ذلك على صورة من صور ثلاث :

الأولى : أن الصوت الذى سمعه سارية كان صوتاً مادياً يبلغ الأسماع كما يبلغها اليوم صوت المتكلم فى المذياع على مسافات بعيدة

والصورة الثانية : أن الصوت وصل بالإيحاء النفسى إلى الجيش كله فاتفقت نفوسهم جميعاً فى لحظة واحدة على الاتجاه والاستيحاء والسماع

والصورة الثالثة : أن الصوت وصل بالإيحاء النفسى إلى سارية وحده أو إلى سارية ومن شاركه فى هموم القيادة ، فشعر به فرد واحد أو أفراد قليلون

وأسهل هذه الصور الثلاثة قبولاً فى العقل ، على ما نعتقد ، هى الصورة الثالثة ، وهى أن سارية توجه بنفسه إلى نفس عمر فى مأزق شديد عليه وعلى عمر معاً فشعر به الخليفة وناداه وهما فى لحظة التقابل بالوحى والاستيحاء

هذه الصورة أسهل قبولاً من الصورتين الأخريين

لأن الصورة الأولى وهى انتقال الصوت المادى مئات الأميال بغير الوسائل الصناعية التى نستخدمها فى عصرنا يكلفنا أن نطبع العناصر المادية بطابع لم تعرف به قط فيما مضى وفيما حضر ، ويقتضى أن يكون صوت سارية قد سُمع فى الجيش الذى معه وهو يستغيث ، وقد سمع فى المسجد الذى كان عمر يخطب فيه ، وقد سُمع الصوتان : صوت الاستغاثة وصوت الاستجابة على طول الطريق ، ولم يذكر لنا رواة القصة شيئاً من ذلك ، ولو ذكروه لتحدث به الألوف من جند سارية ومن المصلين مع عمر ولم يقتصر حديثه على بشير واحد أو نفر قليلين

أما الصورتان الأخريان فكلتاهما تمثل لنا وصول الصوت أو وصول الخاطر على الأصح بطريق الإيحاء من نفس عمر إلى نفوس سامعيه ، ولكن التقاء نفسين أيسر قبولاً من التقاء نفس واحدة من جانب ، وألوف النفوس من جانب آخر ، ولهذا قلنا إن التقاء الشعورين بين عمر وسارية أسهل الصور الثلاث قبولاً ، متى قلنا بوقوع الاستغاثة ووقوع الاستجابة

والأستاذ شاهين قد سأل فى خطابه سؤالاً يشتمل على بعض الجواب الذى أجبناه حيث قال :

« إذا كان الأمر أمر رؤية بعيدة فهل تقف الرؤية عند الماديات أو تتعداها إلى الأفكار ؟ فقد يحدث أن يذكر الإنسان شخصاً ويذكر معه أمراً معيناً ، ولا يلبث أن يلقى الشخص الذى ذكره فيبادره هذا بحديث عن ذلك الأمر المعين بنفسه ، كما حدث لى مراراً ، وهذا مما يغرى بالميل إلى الفكرة القائلة بحركة الأجسام والإشارات الصادرة منها والتى يلتقطها جانب ثان »

فالتمثيل بمحطات الإرسال ومحطات الاستقبال هنا تمثيل مقبول لتقريب التصور وسهولة التشبيه ، ولا مانع من اتصال النفوس على البعد وهى تتصل على القرب اتصالاً لا شك فيه ، فإذا اتفق أن نفسين توجهتا كلتاهما إلى الأخرى — فى وقت واحد فذلك أحرى بتوافق الشعور وتوافق الخاطر ، والجزم بإمكان هذا أصح من الجزم بامتناعه إذا لم يكن بد من أحد الأمرين

يحدث كثيراً — كثيراً جداً — بين الصديقين المتفاهمين أن يطيلا الجلوس معاً صامتين ، ثم يعودا إلى الحديث فجأة فإذا هما يطرقان موضوعاً واحداً أو يسألان عن شىء واحد . ولو كان هذا الموضوع على اتصال بما كانا يتكلمان فيه قبل ذلك لقلت الغرابة فى اتفاقهما عليه بعد صمت طويل ، ولكنه يكون أحياناً بمعزل عن كل موضوع طرقاه ذلك اليوم

فما تعليل ذلك ؟

تعليله تقارب الشعور والتفكير ، وهما لا يتقاربان هنا بأداة مادية حتى يقال بالفرق بين حصوله فى حجرة واحدة وحصوله على مسافة أميال

فإنكار هذا الاتصال أصعب من إثباته ، والقول بإمكانه قول تعززه احتمالات قوية ومشابهات مألوفة وروايات متواترة ، ولا يقف أمامها من ناحية النفى إلا مجرد الإنكار أو سوء فهم الواقعيات والماديات

وقد وصلنا فى زماننا بالماديات إلى حدود الروحيات ، فانتقلنا بها من هذه الأجسام التى تلمس وتدرك بالحس إلى الذرات ، ثم إلى الطاقة ، ثم إلى الإشعاع الذى يدركه الفكر ولا تمسكه الحواس ، فمن الحيطة أن نقل من الإنكار بعد أن أسرفنا فيه ، وقد جاء زمان كان الإنكار فيه حسناً بعد إفراط الناس فى الإثبات ، فهل ندور الآن دورة من تلك الدورات الفكرية المعهودة فنسرف فى القبول بعد إسرافنا فى الإنكار ؟

لا هذا ولا ذاك بالحسن المأمون ، وإنما الحسن المأمون أن نأخذ بدليل ونرفض بدليل ، وأن نعلم أن العجائب فى الدنيا لا تنتهى فلا نغلق على أنفسنا بابها مختارين .

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي

١ - ديوان حافظ ابراهيم

للدكتور زكي مبارك

تمهيد — شاعر القصر وشاعر الشعب — دسائس أدبية — ميدان حافظ — هزيمة حافظ — عريضة اتهام — هزائم فظيعة — قصيدة قصر الزعفران

تمهيد :

المقرر لمسابقة هذا العام هو الجزء الثاني . ومن الخير أن يرجع المتسابقون إلى مجموعة السنة الماضية من مجلة الرسالة ، ففيها تفاصيل عن شاعرية حافظ لا نملك تلخيصها في هذا الحديث ، وفيها أيضاً تفاصيل عن شاعرية شوقي ، تفاصيل تكمل الدراسات التي قدمناها في الأسابيع السوالف ، وتوضح اتجاهات شوقي في طوائف من الأغراض

السياسيات

أهم أبواب الجزء الثاني من ديوان حافظ هو باب السياسيات ، وسيُسأل فيه المتسابقون بكل تأكيد ، لأن الجانب السياسي من شعر حافظ هو أبرز الجوانب في حياته الشعرية ، فمن الواجب أن يجعله المتسابقون أول ما يدرسون بعناية وتدقيق

شاعر القصر وشاعر الشعب

لم تكن الحياة المصرية قبل الحرب الماضية شبيهة بالحياة التي جدت بعد تلك الحرب ، ومعنى هذا أن أيام الخديو عباس تختلف عن أيام الملك فؤاد ؛ ففي عهد عباس كان للقصر شعراء وللشعب شعراء ، ولا كذلك الحال في عهد فؤاد ، فقد أراد القصر أن يحول الشعر إلى وجهة قومية ، ولم يقبل الملك فؤاد أن يكون له شعراء بالمعنى المعروف لعهد الخديو عباس ، وإن كان تغاضى عن دعوى الشاعر عبد الحليم المصري رعاية لما كان عليه من أدب وإخلاص

دسائس أدبية

أنا مقبل على تسجيل حقائق لم تُسجَّل قبل اليوم ، ولن يعرفها التاريخ الأدبي إلا عن طريق هذه الأحاديث ، وما يدعوني إلى تسجيلها إلا الخوف من أن تضيع

شعر حافظ السياسي يبتدئ في سنة ١٩٠٤ ، وشعر شوقي السياسي يبتدئ في سنة ١٨٩٤ ، وقد انتهيا معاً في سنة ١٩٣٢ عليهما أطيب الرحمات !

فكيف صار شوقي وحده شاعر القصر ؟ وكيف اكتفى حافظ بأن يكون شاعر الشعب ؟

يرجع السبب إلى أن شوقي كان مفطوراً على حاسة سميتها منذ سنين « حاسة المعاش » وهي حاسة ورثها عن أبويه ، وكان لهما بالقصر اتصال ، وشوقي نفسه قال كلاماً يؤيد هذا المعنى في مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات ، وهي مقدمة تجاهلها شوقي فيما بعد ، وتمنى أن تضيع من ذاكرة التاريخ ، ولكن هيهات !

كانت في عينَيْ شوقي علة شعرية هي النظر دائماً إلى السماء ، علة تمنعه من أن يرى ما بين يديه ، ثم اتفق أن زارت جدته الخديو إسماعيل وهو معها ، وكان طفلاً رائع الجمال ، فسألها الخديو عن أحوال ذلك الطفل الجميل ، فقالت بتحسر وتوجع : إن في عينيه آفة تمنعه من رؤية الأرض ؛ فنثر الخديو بدرة من النقود الذهبية على البساط ، فاعتدلت عينا الطفل وأقبل على الذهب يجمعه بشراهة نادرة المثال !

قال إسماعيل : هذا دواء هاتين العينين العليلتين !

فأجابت الجدة : ولكنه دواء لا يوجد إلا في صيدلية إسماعيل !

وعرف أهل الطفل دواء عينيه فكانوا ينثرون ما يملكون من النقود لينظر إلى الأرض ، عساه يستريح من إدمان النظر إلى السماء

وشبّ الطفل وصار له حمار يمتطيه في العصريات ، يوم كان القاهريون يغنون :

« أحبّ مَشْي المصاري لاجل ما أشوفك »

وكانت « دار شوقي » في تلك الأيام تقرب من « دار الرسالة » في هذه الأيام ، ولم يكن له بد من عبور ميدان عابدين وهو على صهوة حماره في نزهة الأصيل

وغلبت شوقي علة عينيه فنظر إلى فوق ، فلمح الخديو توفيق في إحدى الشرفات ، فنزل عن حماره وعَبَر الميدان على قدميه . وراع الخديو أن يرى شاباً يراعي هذا المعنى ، فقرر أن يدعوه إليه بلا تسويف ، ليبشره بوظيفة في ديوان المعية

لا يعرف أحدٌ كيف كان شوقى فى ذلك الوقت ، ولكنى أعرف كيف رأيته بعد نحو ثلاثين سنة من ذلك التاريخ ، حين عاد من منفاه ، وحين تفضل عبد اللطيف بك الصوفانى فجمع بيننا فى حفلة عشاء بالدار التى أجهل ما صنعتْ بها الأيام !

هالنى أن أرى شوقى الذى كان أمير الشعراء قبل أن تواجه عيناى نور الوجود قد احتفظ من أطلال صباه بنُونتَيْن تزينان خديه عند الابتسام ، وأى ابتسام ؟

وأقول بصراحة إنى لم أر وجهاً أجمل من وجه شوقى ، ولا روحاً ألطف من روح شوقى

ولكن هذا الجمال الجسدى والروحى كانت له غدرات ، منها حُبٌّ التفرد بالسيطرة والاستعلاء ... وهنا بيت القصيد !

كان شوقى يحب أن يكون وحده شاعر القصر فى عهد عباس . وقد تسبب للقصر فى متاعب ، فقد دخل لورد كرومر على الخديو عباس وهو غضبان ، وحجتُه أنه علم أن أحمد شوقى وعلى فهمى كامل يدبران أموراً لا يجوز عليها السكوت ، والخديو عنهما مسئول مسئول . وما أحب أن أزيد !

هل كان شوقى الذى يحارب انجلترا فى السر يهادن خصومه من الشعراء ؟

وهل كان يسمح بأن يكون لخصومه ومنافسيه فى قلب الخديو مكان ؟

ارجعوا إلى ما كتب فضيلة الشيخ عبد القادر المغربى فى مجلة الرسالة منذ سنين لتروا كيف استطاع شوقى أن يمنع كرم الخديو عباس عن الشيخ عبد المحسن الكاظمى ، ثم ابحثوا بعد ذلك عن السر فى عطف الشيخ محمد عبده على الشيخ الكاظمى ، فأنا أفترض أن الفتور بين الخديو والمفتى كان له أثر فى تقوية ذلك العطف الرفيق .

ميدان حافظ

لم يستطع حافظ مجاراة شوقى فى الحياة الرسمية ، فانحاز إلى ميدان الوطنية ، وصار بعد قليل شاعر الشعب ، الشاعر الأول المحبوب ، وكان الاتجاه الشعبى صريحاً فى مقاومة الاحتلال ، وصريحاً فى تقوية الأواصر الإسلامية ، فكان لحافظ قصيدة فى كل مناسبة وطنية ، وقصيدة فى كل مناسبة دينية . ولم يفته أن يتغنى فى أشعاره بأكثر أمم الشرق ، ولا سيما اليابان ، وما كانت اليابان أقرب إلينا فى الوجوه والأفكار من إيطاليا أو فرنسا ، ولا كانت لنا باليابان صلات أدبية أو اقتصادية ، وإنما كانت اليابان فى الاصطلاح الجغرافى أمة شرقية ، وكان المهمّ هو إفهام الشعب أن الشرق يستطيع مجاراة الغرب فى جميع الميادين إن تسلح بأسلحة هذا الزمان . ولهذا السبب سارع الزعيم الوطنى مصطفى كامل فألف كتاباً عن نهضة اليابان ليضرب لقومه الأمثال

هزيمة حافظ

كان حافظ أطال القول فى شكوى البؤس ، فعينه الوزير حشمت باشا فى وظيفة بدار الكتب المصرية ، فسكت عن أغاريده الوطنية ، وعند ذلك كثرت فيه الأقاويل ، وجالت فى غمزه الألسنة والأقلام كل مجال

ثم جاءت فرصة مشئومة عليه ، هى ظهور ثلاث قصائد فى يوم واحد بجريدة الأهرام عند اعتلاء السلطان حسين كامل أريكة العرش : قصيدة أحمد شوقى وقصيدة حافظ ابراهيم وقصيدة أحمد نسيم

كانت الحرب فى تلك الأيام تجتاز مسالك شوائك ، فخاف حافظ وخاف نسيم عواقب المشى على الشوك . أما شوقى فهتف بقصيدة رمزية شغلت الجماهير بالتفاسير والتآويل ، فعده المصريون شاعرهم الأول ، وزادوا إيماناً بعبقريته حين رأوا أن تلك القصيدة قضت عليه بالخروج من البلاد

وكان فى مصر جريدة أسبوعية اسمها « عُكاظ » ، وقد رأى صاحبها الشيخ فهيم قنديل أن يتودد إلى الجمهور بنشر ما طُوى من أشعار شوقى ، ولم يكن يكتفى بتسميته « أمير الشعراء » وإنما كان يسميه « شاعر الدنيا والآخرة » لحفظ سمته الشعرية فى أعوام الحرب الماضية ، وعطر باسمه جميع الأندية الأدبية

وفى ثورة سنة ١٩١٩ تخاذل حافظ فلم ينطق بحرف

دخلت الأزهر ذات مساء ، فسمعت خطيباً يعيب عليه التخاذل ، فعلوت المنبر وفنّدت اتهامات ذلك الخطيب

وفى اليوم التالى لقيت حافظاً بمنزل محمود باشا سليمان ، فقال له حفنى بك محمود : هل تعرف يا حافظ بك أن الأستاذ مبارك دافع عنك فى الليلة الماضية ؟

فأدار حافظ بصره إلىّ وقال : ماذا تريدون منى ؟

قلت : نريد قصائد وطنية

قال : والاعتقال ؟

قلت : وما خَطَر الاعتقال ؟

فأجاب فى هدوء : لن أجد فى المعتقل هذا السيجار « وكان فى يده سيجار »

فقلت : لن تكون شاعر مصر الوطنى وأنت أسير هذا السيجار البغيض !

عريضة اتهام

الغرض من هذه الدراسات هو إرشاد المتسابقين إلى إدراك السرائر من الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربى ، وأنا قلت إن حافظاً تخاذل عن الثورة فلم ينطق بحرف ، ونحن فى مقام التاريخ وهو مقام يوجب الصدق ، فلينظر المتسابقون فى ص ٨٧ بالجزء الثانى من ديوان حافظ ، ليروا أن قصيدته التى نظمها عن مظاهرة السيدات فى سنة ١٩١٩ لم تنشر إلا فى سنة ١٩٢٩ ، ومعنى ذلك أنها كُتِمتْ نحو عشر سنين !

أتريدون الحق ؟

لقد نُسبت تلك القصيدة فى ذلك الوقت إلى جماعة من الشعراء منهم الأستاذ محمد الهراوى ، ولم ير حافظ أن يصحح النسب ، لئلا يقال أو يقال ! !

هزائم فظيعة !

بعد عودة شوقى من منفاه حاول أن يتصل بالقصر من جديد ، فحبَّر القصائد الطوال فى مدح الملك فؤاد ، ولكنه نسى أن الملوك لا يعرفون غير القلب البِكر ، فهم لا يأنسون بمن استأنسوا لسواهم فى أحد العهود

كان الملك فؤاد غاية فى الجبروت العقلى ، وكانت عيناه أحدّ من عينى النسر الظامئ ، وكان يحب أن يكون عرش مصر أعظم العروش ، ولهذا بخل بالرتب والألقاب ، إلا أن تكون جزاء على خدمة قومية تستحق التمجيد

وكان للشاعر شوقى تاريخ فى شؤون الرتب والألقاب ، فصدّ عنه الملك فؤاد ، ولم يَجُد عليه بأى انعطاف

وهنا سنحت الفرصة للشاعر حافظ ، فماذا صنع ؟

أراد أن يؤلف جماعة من الشعراء يسميهم « شعراء القصر » فلم يظفر بغير الإخفاق

دعانى حافظ ذات يوم إلى موافاته بقهوة النيوبار ليحدثنى فى مسألة خصوصية ، وكان الغرض أن يدعونى للانضمام إلى تلك الجماعة الشعرية ، فاعتذرت بأن شيطانى لا يوافينى إلا فى ميدان الغزَل والتشبيب ، ومن الصعب علىّ أن أنظم شعراً فى غير هذا الميدان ، وأنا تلميذ عمر بن أبى ربيعة ، ولم يكن عمر يجيد مدح الملوك

قال حافظ : أنت أحمق يا مبارك !

فقلت : علِّمنى يا معلمى كيف أداوى هذا الحمق

قال حافظ : ستمدح فؤاداً العظيم

فقلت : أمدحه أجزل المدح بالنثر لا بالشعر ، فأقول فيه أعظم مما تقول ، والآفة الوحيدة هى آفة شيطانى ، وهو لا يوحى إلىّ من الشعر غير الغزَل والتشبيب ، ولو كان أمرى بيدى لنظمت القصائد الطوال فى مدح الملك فؤاد ، فهو فى نظرى أعظم الملوك

قال حافظ : أتكون أصدق منى؟

فقلت : إنى لا أجود بغير ما أملك ، وطاقتى الشعرية لا تسمح بغير ذلك الفن الذى تعرف . فهل تريد أن تفضحنى بين الشعراء ؟

ثم ؟ ثم ؟

ثم غدر المتشاعرون بحافظ فورطوه فى متاعب أفسدت ما بينه وبين القصر إفساداً ليس بعده صلاح ، وسأتحدث عن هذه النقطة السوداء بعد حين !

قصيدة قصر الزعفران

هى قصيدة غابت عن الأستاذ أحمد بك أمين وهو يجمع ديوان حافظ إبراهيم ، وهى بشهادة حافظ نفسه أروع ما صدر عن موهبته الشعرية

فما حديث تلك القصيدة ؟

فى سنة ١٩٢٥ تحولت الجامعة المصرية إلى جامعة أميرية ، واختير لها قصر الزعفران ، وفكرت وزارة المعارف فى إقامة حفلة رسمية لافتتاح الجامعة فى عهدها الجديد ، وكانت التقاليد

أن يُرجع إلى القصر قبل إعداد أية حفلة يشرّفها المليك ، فدُعى حافظ إلى مقابلة نشأت باشا ، وكُلِّف إعداد قصيدة يلقيها في حضرة الملك فؤاد يوم الاحتفال

لن أنسى أبداً فرح شاعر النيل بذلك التكليف ، ولن أنسى أنه غنّانى أجل غناء فى أيام لطاف لم تَمُد عليه بنير العذاب ، كما سترى بعد لحات

كنت فى ذلك العهد موظفاً بدار الكتب المصرية ، وكان حافظ يُشرف على القسم الذى أعمل فيه إشرافاً روحياً ، فكان يدعونى كل يوم إلى سماع ما جدّ من القصيدة الجديدة ، وكان يصرّح بأنها الختام لحياته الشعرية ، وأنه لن ينظم بعدها أى بيت

كان الخاطر جيلاً ، ومن البِرّ بحافظ أن نسجل ذلك الخاطر الجيل

الجامعة المصرية الحديثة فى قصر الزعفران ، وقصر الزعفران يجاور « عين شمس » وفى « عين شمس » كانت الجامعة المصرية القديمة التى تخرج فيها فلاسفة اليونان

وعلى هذا الوتر غنّى حافظ وأجاد الغناء

ولكن الأقدار أرادت غير ما أراد حافظ ، فثارت مشكلة حول قصر الزعفران ، مشكلة قوّى غُبارها سعد باشا زغلول وهو رئيس مجلس النواب

قصر الزعفران من قصور إسماعيل ، وهو يوم ذاك من أملاك الخاصة الملكية ، فما الذى تقدم الحكومة من أملاك الدولة فى المبادلة بذلك القصر الخاصّ ؟

كانت الحكومة ترى أن تقدم حديقة الأرمان لتجعل منها الخاصة الملكية « مربط خيل » ، فرأى فريق من رجال الأمة أن هذا البدل غير مستساغ ، وأن الأفضل أن تكون مبانى الجامعة فى حدائق الأرمان

وبهذا ضاعت قصيدة حافظ ، وتهشّم خاطره الجيل !

فأين قصيدة قصر الزعفران ؟ أين أين ؟؟

قسّمها حافظ إلى مقطوعات باختلاف ما دارت عليه من الموضوعات ، ونشرت له جريدة البلاغ فى الصفحة الأولى من صفحات سنة ١٩٢٦ مقطوعة بعنوان « بنى وطنى » !

يرحمك الله يا حافظ ، فقد حالفك الشقاء إلى آخر الزمان !

ثم ماذا ؟

ثم كانت القصيدة التى ألقيت فى الاحتفال بافتتاح الجامعة المصرية بعد أن قرّت بحدائق الأورمان قصيدة شوق لا قصيدة حافظ ، ولهذه الشؤون تواريخ يضيق عنها هذا الحديث

أما بعد فقد يرى قوم أن هذا كلام لا يفيد ، وهل اتفقنا على المراد من الكلام المفيد ؟

إحفظوا هذا الكلام ، فسينفع يوم تفكرون فى تاريخ الأدب لهذا الجيل

سيأتى يوم لا تعرفون فيه كيف استطاع شوق أن يمدح الزعيم سعد زغلول فيقول :

فإن شئتَ فاوِضْ وإن شئت دَعْ

فأنت الحقوق وميزانُها

مع أن شوق نفسه حدثنى مرتين أن بينه وبين سعد أحقاداً وترات ، ومع أن له أهاجىَ فى سعد زغلول ، أهاجى لم تُنشر ، وفى الذاكرة منها أشياء

هادن شوق سعداً لأسباب « انتخابية » يعرفها نسيبه حامد بك العلايلى

وتصافى حافظ مع سعد ليصرع غريمه شوق

وخلاصة القول أن هذين الشاعرين كانا على جانب من فيض الحيوية ، وبهذا الفيض سيطرا على الجيل الجديد

هل تعرفون قصيدة شوق فى عرابى ؟

وهل تعرفون ما طوى حافظ وشوق من القصائد السياسية ؟

ستلوح فرصة قريبة لتسجيل تلك الطرائف قبل أن تضيع ، فللتاريخ الأدبى حقوق ، والجهل بالتاريخ الأدبى أخطر من الجهل بالتاريخ السياسى ، لأن الأدب هو التعبير الصحيح عن ضمائر الشعوب

زكى مبارك

حكم فى الجنحة العسكرية ٨٧٦ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ١٩–٨–٩٤٢

بتغريم درويش على بساقولا عشرين جنيها والمصادرة والغلق أسبوع لبيعه سكرا بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة ٩٣٤ عسكرية المنيا سنة ٩٤٢ بجلسة ٢٨–١٠–٩٤٢

بحبس شحاته معوض بقال ببندر المنيا شهرا مع الشغل وغرامة ١٠ جنيه وغلق محله أسبوع وذلك لامتناعه عن بيع السكر بالتسعيرة

العيـــد

للأستاذ محمد عرفة

— ٢ —

ماذا جرى للعيد ، أو ماذا جرى لنا فى العيد !

أتغيّر العيد ، فلم يعد هذا الذى كان يبعث فينا السعادة : أم تغيرنا نحن ، فلم نعد نصلح مهبطاً للسعادة ؟

لقد كنا نحيا فى العيد حياة أهل الجنة فى الجنة ؛ وكنا نفرح بالثوب الجديد فرح الفاتح المنتصر ، ونرى فى الدريهمات التى يمنحنا إياها أهلونا ثروة وأى ثروة ؛ وكنا بامتلا كها كأنما نملك الدنيا ، وكنا نرى فى العيد كل شىء ضاحكاً زاهياً ، وكنا نشعر أن الأنهار والوديان والنبات والحيوان والأرض والسماء تشاركنا كلها فى سعادتنا وفرحنا ؛ ثم أصبح العيد يقبل كما تقبل سائر الأيام ، ويذهب كما تذهب ، لا يهز منا عاطفة ولا نرى فيه معنى جهيداً

لقد صرنا نملك الضياع والدور فلا تستخرج منا من السرور ما كان يستخرجه ثوب جديد ، وصرنا نملك المال فلا يسعدنا إسعاد هذه الدريهمات التى كنا نأخذها يوم العيد ؛ ولقد كان هذا الفرح بما نملك من ثوب ودريهمات فيه معنى الرضا والقناعة ، فصار هذا الوجوم وعدم الشعور بما نملك فيه عدم الرضا وعدم القناعة

الحق أننا كنا نفرح بالعيد صغاراً ، لأننا كنا على الفطرة الطيبة التى خلق الله الناس عليها ، فلما انحرفنا عن هذه الفطرة أخطأنا الفرح بالعيد بقدر هذا الانحراف ، وكان علينا أن نحافظ على روح الطفولة البريئة فينا ، لنسعد بالأيام ، ولا نشقى بالعيش والحياة . كان علينا أن نحتفظ بسرورنا ، لنحتفظ بنشاطنا ، ونقوى على ملاقاة أحداث الحياة . فالسرور استجمام واستعداد ، والقلب المسرور المغتبط المستبشر أقوى على تحمل الحوادث من القلب الحزين المنقبض المكتئب . وإن الأمم التى تفرح كثيراً أقوى على تحمل الشدائد وعلى النجاح فى الحياة من الأمم التى يقل نصيبها من الفرح والبشر والمسرة

وإنكم لتجدون فى هذه الأيام أمماً تحمل من الشدائد ما تنوء به الجبال ، ولا تتململ ولا تضجر ، ولا تهن ولا تستكين ، لأنها قوّت أعصابها بالسرور ، فجعلها أقوى على الاحتمال .

وما أظن هذا الأخفاق الذى يصيب بعض أمم الشرق فى عصرنا الحديث إلا من هذه الكآبة المستولية على نفوس الشرقيين ، والتى تعمّ وديانه الضاحكة ، وربوعه الجميلة

نعم ، إنك تجد القوة حيث تجد الفرح والسرور ، والأمم العظيمة تشعر بالقوة لأنها أشعرت قلبها المرح والسرور

أيها الناس ، افرحوا بالعيد ، واعتدوه عيد النصر على النفس وشهواتها ، وأعظم بذلك من نصر فى ميدان الجهاد

روى أن رسول الله (ص) قال وقد رجع من غزوة : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ؛ يعنى جهاد النفس ، فإذا كان جهاد النفس أكبر الجهادين كان النصر عليها أكبر النصرين

ألا إن الإسلام يدعوكم إلى الفرح والسرور ، ولذلك سنّ لكم الأعياد . ألا إن الإسلام يدعوكم إلى الفرح والسرور فى يوم العيد بما يهديكم إليه نبى الإسلام من قول وعمل

عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث ، قالت : وليستا بمغنيتين ، فقال أبو بكر : أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله (ص) وذلك فى يوم عيد ، فقال رسول الله : يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا

نعم ، فلتلتهموا السعادة التهاماً ، ولتغتنموا المسرة البريئة اغتناماً ، فلقد بينا لكم من معنى العيد ما يعينكم على جلب المسرة ، وبينا لكم من تعاليم الإسلام ما ينفى عنكم الحرج فى المسرة ؛ ولتبتعدوا عن السرور بالإثم والباطل ، فإنه مسرة تعقبها ندامة ، وفرح تتلوه الكآبة ، وبشر مصيره إلى يأس وقنوط وخذلان

إنما الفرح عنوان الأمل والرجاء ، ومظهر الحياة والأقدام ، ودليل الرجولة العاملة الفائزة

وما خلق الله النجوم المتلألئة بأنوارها لنشقى بل لنسعد

وما خلق الله الرياض الضاحكة بأزهارها لنشقى بل لنسعد

وما خلق الله الطيور المغردة بألحانها لنشقى بل لنسعد

وما خلق الله الأشجار الراقصة بأغصانها لنشقى بل لنسعد

وما خلق الله الأنهار المصفقة بأمواجها لنشقى بل لنسعد

وما خلق الله هذا الكون البديع الجميل لنشقى بل لنسعد

كل ما فى الكون يوحى بالمسرة والسعادة فلماذا الكآبة والشقاء ؟

محمد عرفة

خـــــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأســتاذ ميخائيل عواد

[تتمة]

٩ – تغريق الرءوس فى دجلة

رأس علي[١] بن محمد بن الفرات ، رأس المحسن بن علي بن محمد الفرات

كان بنو الفرات الوزراء ، زينة الدولة العباسية خاصة فى أيام المقتدر ، فقد تقلد على بن الفرات الوزارة ثلاث مرات ، وكاد يتقلدها رابعة . وكان واسع الثروة حتى قال الصولى فى حقه وكان شاهداً ومشرفاً على أخباره : « ما سمعنا بوزير جلس فى الوزارة ، وهو يملك من العين والورِق والضياع والأثاث ما يحيط بعشرة آلاف ألف غير ابن الفرات »[٢] ؛ ومع ذلك كله لم يكن ليتحرج أو يتهيب من مد يده إلى خزانة الدولة ، حتى أفرط فى الأمر هو وابنه المحسن وأخوه العباس ، فأضافوا كثيراً من ضياع السلطان إلى أملاكهم . وقد ساق هلال الصابئُ خبراً غريباً مؤداه أن على بن الفرات « سَرَقَ فى عشر خطوات سبعمائة ألف دينار »[٣] ، ففتحت هذه الأمور وغيرها عليه وعلى أهله وأصحابه باب الطن والضغينة من أعدائه وحساده ، فحركوا قلب المقتدر عليه ، حتى نكبه غير مرة ، وفى النهاية قضى عليه وعلى ابنه المحَسِّن ، وشَتت شمل عائلته ، ونكب أصحابه وأعوانه . قال عريب فى صفة مقتلهما : « ... فأمر المقتدر بقتل ابن الفرات وابنه ، وتقدم إلي نازوك بأن يضرب أعناقهما فى الدار التى كانت لابن الفرات ويوجه إليه برأسيهما ، فنفذ ذلك من وقته ، وبعث بالرأسين فى سفَط ، ثم رُدَّ السَفَط إلى شفيع اللؤلؤى ، فوضع الرأسَيْن فى مخلاة وثقَّلهما بالرمل وغرقهما فى دجلة »[٤]

---

(١) أخباره المسهبة فى : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابىء (ص ٨ — ٢٦٠ ؛ طبعة آمدروز) ، المنتظم (٦ : ١٩٠ — ١٩٢ ، حوادث سنة ٣١٢هـ) وفيات الأعيان (١ : ٥٣٠ — ٥٣٤ ؛ طبعة بولاق الأولي)

(٢) صلة الطبرى (ص٣٧) (٣) تحفة الأمراء (ص١١٧)

(٤) (صلة الطبرى ص١٢١ حوادث سنة ٣١٣هـ)

١٠ — صيانة الرءوس من التلف

كان الرسم عند إحضار الرأس إلى دار الخلافة ، أن يُسَلم إلى الموكل ، فيعمل هذا على غسله وتنظيفه وإصلاحه ، فيفرغ منه المخ ، ويستأصل كل الأعضاء القابلة للفساد ، ثم يغسله ببعض الأدوية المقمة المعروفة يومذاك ، وكذلك بماء الطيب أو بماء الورد ؛ حتى إذا فرغ من هذا كله ، يحشيه بالقطن المخلوط بمواد مختلفة من شأنها إطالة بقاء الرأس ، ثم يطليه من خارجه ببعض الأطلية الماسكة لأجزائه .

ودنك رأى طبيب بهـذا الشأن ، كان عائشاً فى حدود سنة ٣٠٥هـ ، وهو المعروف بابن حمدان الطبيب الذى حكى : « أُدْخِلتُ على أبى الفضل[١] ، فوجدت بين يديه أطباقاً عليها رءوس جماعة ؛ فسَجدْتُ له كمادتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر[٢] ، فقال لأبى طاهر : إن الملوك لم تزل تعد الرءوس

---

(١) هو أبو الفضل المجوسى . وقد ذكر خبره ابن حمدان الطبيب فى سياق كلامه على القرامطة . وإليك بعض أخباره الغريبة الجديرة بالذكر . قال : « أقمت بالقطيف أعالج مريضاً ، فقال لى رجل : أنظر ما يقول الناس ، يقولون إن ربهم قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون إلي أن أتينا دار أبى طاهر سليمان القرمطى ، فاذا بغلام حسن الوجه درى اللون ، خفيف العارضين ، له نحو عشرين سنة ، وعليه عمامة صفراء تعميم العجم ، وعليه ثوب أصفر ، وفي وسطه منديل ، وهو راكب فرساً شهباء ، اسمه أبو الفضل المجوسى ، والناس قيام ، وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله ، فصاح أبو طاهر بأعلى صوته : يا معشر الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أبو طاهر سليمان بن الحسن . اعلموا : إنا كنا وإيا كم حمير ، وقد من الله علينا بهذا (وأشار إلى الغلام) هذا ربي وربكم وإلهى وإلهكم وكلنا عباده ، والأمر إليه ، وهو يملكنا كلنا . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رءوسهم ، ثم قال أبو طاهر : اعلموا يا معشر الناس أن الدين قد ظهر ، وهو دين أبينا آدم ، وكل دين كنا عليه فهو باطل ، وجميع ما توصلت به الدعاة إليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد ، إنما الدين دين آدم الأول ، وهؤلاء كلهم دجالون محتالون . وكان أبو الفضل المجوسي — يعنى الغلام الأمرد — قد سن لهم اللواط ونكاح الأخوات ، وأمر بقتل الأمرد المتنع . وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس مراة به ويقولون : (إلهنا عز وجل) » تجارب الأمم (٦ : ٥٧ — ٥٨ فى الحاشية ، نقلاعن تاريخ الاسلام)

(٢) أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى

فى خزائنها فسلوه — وأشار إلىّ — كيف الحيلة فى بقائها بغير تغيير ، فسألنى أبو طاهر فقلتُ : إلهنا[١] أعلم ويعلم إنّ هذا الأمر ما علمته ؛ ولكن أقول على التقدير إن جملة الإنسان إذا مات يحتاج إلى كذا وكذا صبر[٢] وكافور[٣] والرأس جزء من الإنسان فيؤخذ بحسابه فقال أبو الفضل ما أحسن ما قال »[٤]

وبهذه المواد والأطلية ، كان طُلى جسم وصيف الخادم حيث بقى مدة طويلة دون أن يعتريه الفساد والبَلَى . قال المسعودى : « وفى أول يوم من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفى وصيف الخادم وأُخرج وصُلِب على الجسر بدناً بلا رأس . . . وطُلى بدنه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة الماسكة لأجزاء جسمه ، فأقام مصلوباً على الجسر لا يَبْلى إلى سنة ثلاثمائة فى خلافة المقتدر بالله أو نحو هذه السنة . . . »[١]

(١) يقصد بالهنا : أبا الفضل المجوسى

(٢) أنظر المعتمد فى الأدوية المفردة : للسلطان الملك المظفر يوسف ابن عمر بن على رسولا الغسانى صاحب اليمن (ص ١٩٠ — ١٩٦ ؛ طبعة البابى الحلبى)

(٣) المعتمد فى الأدوية (ص ٢٧٩ — ٢٨١)

(٤) تجارب الأمم (٦ : ٥٨ — فى الحاشية — ؛ نقلا عن تاريخ الاسلام)

(١) مروج الذهب (٨ : ٢٠٢ — ٢٠٣)

الخاتمة

يبدو لنا من تتبع هذا الموضوع أن اتخاذ خزانة الرءوس فى دار الخلافة ببغداد ، كان فى صدر الدولة العباسية ، غير أننا لم نتحقق من السنة التى بدأوا فيها بحفظ الرءوس .

وما قلناه عن بدء أمر الخزانة ؛ نقوله فى تعيين زوال ظلها ، فإن التاريخ يحيلنا إلى سقوط بغداد فى سنة ٦٥٦ للهجرة ؛ أفلا تكون خزانة الرءوس هذه قد ذهبت بذهاب بغداد ودار خلافتها ؟

(بغداد) **ميخائيل عواد**

ألحان الشاطئ

[إلى ضفاف النوبة الساحرة]

أينَ مِنّا يا حبيبي أين منّا شاطئٌ طاف به الحبُّ وغنّى
أتراهُ فى النوى يسألُ عنّا أم سَلَانا بعدَ ما كان وكُنّا ؟

آهِ لو نسري عليـهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضِي السّعيدْ

وَنُغنّى الشّطَّ أحلامَ اللّيالِى كُلّما فاضَ علينا بالجمالِ
آهِ من سحرٍ بواديهِ حَلالِ بينَ عَزفِ النّورِ أو صَمْتِ الظّلَالِ

آهِ لو نسري عليـهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

أينَ منّا ذلك الأفقُ الجميلْ تتدانى فى مجاليهِ النّخيلْ
راقصاتٍ طوْعَ أنسامِ الأصيلْ هامساتٍ بالهوى حيثُ تَميلْ

آهِ لو نسرِى عليـه من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السعيدْ

ذلك الزورقُ ينسابُ وَيَجْرِى فيهِ آمالِي وأحلامِي وفِكْرِى
كُلّما أذكُرُ مَسْراهُ بِنَهْرٍ وَدّتِ الأشجانُ أن تفضحَ سِرّى

آهِ لو نسرِى عليـهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

يا شِراعاً وَدّ تقبيلَ المياهْ أنت أغريْتَ شِفاهًا بِشِفاهْ
يا حبيبي ، آه هل أظمأ آهْ وعَلَى لمغرِك ينبوعُ الحياة ؟ !

آهِ لو نسرِى عليـهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

أين يا ملاحُ ألحانُ الهوَى تملأُ الشطّ حَياةً وجَوَى
أتُرَى جارَتْ عَلَى سَمعِي النّوَى بعدما عبَّ الأغانِي وارْتَوَى ؟

آهِ لو نسرِى عليـهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

أترى تبسمُ حيناً يا زمَانِي فنرَى الشّطَّ وهاتيكَ المغانِي
ونغنى للهوى عذبَ الأغانِي كلما هاجَ هَوانَا الشاطِئانِ

آهِ لو نسرِى عليـهِ من جديدْ
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

محمد عبد الرحيم ادريس
« شاعر النوبة »



حول التلباثي

قرأت بإعجاب كبير مقال الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عن « التلباثي » وأنا أورد هنا – تأييداً لما جاء في مقال الأستاذ الكبير – حادثة ذكرها المرحوم الشيخ رشيد رضا صاحب المنار في تعليقاته القيمة على رسالة التوحيد للامام محمد عبده قال الشيخ « ... ثبت بتجارب الأطباء حتى الماديين منهم أن بعض هؤلاء المرضى – يعني المرضى بأمراض خاصة – يخبر ببعض المغيبات وبالأمور قبل وقوعها فيصدق . قال مريض منهم كثرت أخباره في ذلك وكان بمصر : إن فلاناً من أقربائه في الأسكندرية خرج من داره إلى محطتها قاصداً السفر إلى مصر لعيادتي ... ثم أخبر أنه وصل إلى محطتها ودخل القطار ؛ ثم شغله الطبيب بأمور تهمه ، حتى إذا ما جاء موعد وصول قطار الإسكندرية إلى مصر قال المريض : قد وصل القطار ونزل فلان منه . ها هو ذا خرج من المحطة وركب مركبة تحمله إلى هنا . ثم قال : ها هو ذا قد وصل ، فإذا هو بالباب وقد دخل ، فالروح التي تدرك مثل هذا وهو غائب عنها تعطينا دليلاً حسياً على إمكان إدراك روح أكمل منها لعلوم من الغيب أعلى مما أدركته هي »

وللأستاذ الكبير إعجابي الكبير ، وتحيتي الخالصة .

ابراهيم محمد نجا

حول كتاب ديكارت

١ – أورد الأستاذ صفاء خلوصي في العدد ٤٣٩ من « الرسالة » فقرات من كتابي « ديكارت » زعم أنها منقولة عن كتاب « آراء غربية في مسائل شرقية » تعريب الأستاذ عمر فاخوري . والحقيقة أنني لم أنقل شيئاً عن ذلك التعريب إذ لم يكن لي علم بوجوده – وإنما اقتبست عن الأصل وهو بحث كتبه شارل سومان ، وكنت قرأته في باريس منذ عهد بعيد ، فأعجبني واستنسخته واحتفظت به في لغته الأصلية التي كتب بها . وبقي في أوراق ، إلى أن عدت إلى ديكارت فتذكرته واقتبست منه ، وأحببت الإشارة إليه في المراجع ، تبعاً للخطة التي رسمتها في كتابي كله . ولكن حال دون القيام بهذا الواجب ، أنه كان قد فاتني حين احتفظت بالبحث أن أقيد على وجه التدقيق عنوانه الكامل والموضع الذي نشر فيه وتاريخ نشره وترقيم صفحاته وما إلى ذلك مما ينبغي استيفاؤه في كل عمل من هذا القبيل يتم وفقاً للطريقة العلمية في سرد المظان وبيان المراجع . فكان لا بد إذن من إغفال اسم ذلك المصدر والاكتفاء بإيراد النصوص والشواهد من الغزالي ومن ديكارت ، مع ذكر مواقعها من مؤلفات هذين الفيلسوفين . ولم أشك في أن ما صنعت من الإحالة إلى الفيلسوفين مباشرة أقوى حجة وأجدى على القراء من الإشارة – دون تثبت ويقين – إلى ذكرياتي عما كتب عنهما

هذا ولست أدري ما مراد الأستاذ خلوصي من قوله – بعد أن أورد بعض الفقرات المتشابهة في كتابي وفي البحث الذي كتبه سومان – : « وقد أخذ الأستاذ عثمان أمين كذلك مقارنة بين فقرة من كتاب النقذ من الضلال للغزالي وفقرة من كتاب التأملات لديكارت » . وإني أتساءل ما وجه الغرابة في هذا ؟ وأي عيب فيه ؟ أليس الأجدر بنا في مثل هذه الشؤون أن نعمد إلى النصوص الواضحة نستفتيها ، بدلاً من الالتجاء إلى الأقوال المبهمة والفروض العامة ؟

أما كون الفقرتين اللتين أوردتهما في كتابي « هما نفس الفقرتين اللتين أوردهما شارل سومان » فهذا أمر طبيعي ، ما دمت – كما قلت – قد اقتبست من البحث المشار إليه ما احتجت إليه في المقارنة بين الغزالي وديكارت ؛ ولقد كان بمقدوري أن أورد في المقارنة بينهما أقوالاً وفقرات أخرى كثيرة ذكرها سومان و « ليون جوتييه » وغيرهما من المستشرقين . ولكني لم أرد أن يتشعب البحث فيخرج عما كنت بسبيله ، فاقتصرت على إيراد هاتين الفقرتين في الهامش مشيراً إلى موضعهما من « النقذ » و « التأملات »

وأما قول الكاتب إن « ترجمة الفقرة عن ديكارت هي نفس ترجمة الأستاذ فاخوري » فهو قول لا يخلو من إسراف . ولو كان الكاتب الفاضل موفقاً منه لأورد نص الترجمتين ليرى القراء مصداق ما قال . أما أنا فإن كنت لا أستبعد مبدئياً أن يكون قد وقع بين الترجمتين بعض التشابه ، إلا أنني أستطيع أن أجزم منذ الساعة (أي قبل الاطلاع على كتاب « آراء غربية » ...) باستحالة انطباق الترجمتين انطباقاً تاماً بحيث تكون الواحدة منهما هي « نفس » الأخرى كما زعم الكاتب . ويحملني على الجزم بهذه الاستحالة ثقتي من أنني إنما قرأت البحث الأصلي دون غيره ، وأنني توخيت المنهج العلمي في كتابي ، فلم أورد شيئاً إلا ذكرت مظانه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً . ولعل الكاتب نفسه لا ينازع في هذا إن كان من المنصفين .

عثمان أمين

٢ — ومن كلمة في هذا الموضوع للفاضل زكريا ابراهيم هذه الفقرة :

الواقع أن الأستاذ « عثمان أمين » لم يأخذ هذه العبارة من ترجمة الأستاذ عمر فاخوري ، وإنما أورد نصاً لديكارت نفسه ، وهو نص معروف يجده قارىء كتاب « مبادىء الفلسفة » لديكارت . وإليك هذا النص في الترجمة الفرنسية للكتاب :

" ... nos sens nous ont trompés en plusieurs rencontres, et ... il y'aurait de l'imprudence de nous trop fier à ceux qui nous ont trompés, quand même ce n'aurait été qu'une fois ... " («Principes de la philosophie» ,1° part., 4.)

وترجمة هذا النص هي كما يلي :

« إن حواسنا قد خدعتنا في كثير من الأحيان ، ومن قلة الحزم أن نثق تمام الثقة في أولئك الذين خدعونا ولو مرة واحدة » (*)

فالأستاذ عثمان أمين لم يأخذ هـذه العبارة إلا عن ديكارت نفسه ، ولم يكن بوسعه أن يتصرف في النص الأصلي ، لأن واحداً سبقه إلى ترجمته !

(مصر الجديدة) **زكريا ابراهيم**

(*) من عجيب توارد الخواطر أن بديع الزمان الهمذاني ألم بهذا المعنى في رسالة له قال :

اسمع نصيحة ناصح جمع النصيحة والمقه
إياك واحذر أن تكو ن من الثقات على ثقه

صدق الشاعر وأجاد ، فللثقات ، خيانة في بعض الأوقات . هذه العين تريك السراب شراباً . وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً . فلست بمعذور إن وثقت بمعذور . وهذه حال السامع بأذنه ، الناظر بعينه ...

(الرسالة)

في أزهار الرياض

١ — قصدت في مبحث لي إلى الجزءين المطبوعين حديثاً من « أزهار الرياض » الذي ينشره المعهد الخليفي للأبحاث المغربية فقرأت فيهما بضع صفحات فرأيت أخطاء يجدر بمصححي الكتاب أن ينبهوا عليها ، منها في الجزء الأول ص ٢ في التعليق « وقد ذكر المؤلف هنا على سبيل التورية أسماء طائفة من الكتب للقاضي عياض وغيره وهي ... الخ » . والصواب أن يقولوا : « منها » بدل « وهي » لأنهم لم يذكروا جميع أسماء الكتب التي ذكرت في المقدمة كالإلماع بأصول الرواية والسماع للقاضي عياض ، وغيره . وفي ص ١٠٩ :

سلامٌ على مولاي مِنْ دارملكه قُسنطينةٍ أكرم بها من مدينة

الصواب :

سلام على مولاي من دار مُلكه قُسنطينةُ أكرم بها من مدينة

لأن السلام من الأندلس على السلطان أبي يزيد العثماني في القسطنطينية . وفي ص ١١٣ « وجنسهمُ المغلوبُ في حفظ ديننا » والصواب « وحبسهم المغلوبَ » . وفي ص ١١٤ :

وساقوا عقود الزور ممن أطاعهم ووالله ما نرضى بتلك الشهادة

الصواب « وساقوا شهود الزور » . وفي الجزء الثاني ص ١٦٠ : « مرثيّته » بتشديد الياء . والصواب « مرثِيَته » بالتخفيف . وفي ص ٣٥٩ : « ولا تمد عيُناك عنهم » بضم الياء ، وصوابها « عيْناك » . وفي ص ٤١٤ في الفهرس « الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرون » الصواب « لابن فرحون » ولم يذكروا رقم الصفحة الموجود فيها اسم هذا الكتاب . وفي ص ٤٠٣ « السلفي ٣٥٤ » وفي ص ٣٩٩ : « أبو الطاهر السلفي الأصبهاني ٣٥٤ ، ٣٧٢ » وكلا الاسمين لرجل واحد . ولم يذكروا في الفهرس (تاريخ ابن حيان) وقد ورد في هذا الجزء في الصفحة ٢٥٨ وغيرها

ابن المقفع

٢ — ومما أخذه على التصحيح الأديب عبد الله الصاوي قوله :

(١) في صفحة ١٦ س ٩ (ومن تنديداته على أبي الحسن) الصواب (تنديراته) كما في نفح الطيب الذي يرجعون إليه ويصححون عليه وهو من قولهم : فلان يتنادر علينا (الأساس) ولو كان من التنديد لعدبت بالباء إذ يقال ندد به ، لا عليه (القاموس)

(٢) فى ص ٣٩ س ٢

إن لوحقوا فى الملوات فإنهم طلعوا بآفاق العـلاء بدورا

قالوا فى الهامش : الملوات جمع ملوة كمكرمة يريد بها المعالى ، ولم نجد الملوة بوزن المكرمة فى المعاجم التى بين أيدينا .

أقول : هى جمع بملاة وهى كسب الشرف كما فى القاموس ، وأصل الملاة ملوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً . وقد أرجعها الشاعر إلى الأصل ضرورة . فعدم ورودها فى المعاجم ليس تقصيراً لأنها من القواعد المشهورة

(٣) فى ص ٢٠٧ س ٣ وكان المخترع لها ـ أى الموشحات ـ بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبرى) . وأطالوا فى الهامش ليصححوا تحريفاتهم فضلوا الصواب لأن (معافى) محرفة عن (معافر) أنظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٠٥ طبع بولاق . و (القبرى) محرفة أيضاً عن « الفَرِّيرى » نسبة إلى فريرة قرية بالأندلس كما فى معجم البلدان لياقوت . وقد غلط مصحح مقدمة ابن خلدون فرسمها (الفريرى) بالباء ، والصواب بالياء .

بنو أمية وهدم الشورى والعدل

كتب الأديب أحمد البدينى سطوراً فى العدد الماضى من الرسالة قال فيها عنى : « إنه قد غالى كثيراً فى قوله إن البناء الإسلامى قد تصدع ، وأن اليأس أخذ يدب فى جسم الدولة الإسلامية فى عهد بنى أمية » . وإنى أنتهز هذه الفرصة لأصحح لفظة من كلمتى التى نشرتها عن كتاب (عبقرية عمر) قد حرفتها المطبعة فجاءت على غير حقيقتها وقرأها الأديب البدينى على تحريفها ثم كتب ما كتب على ما أخذه فهمه منها

ذكرت فى هذه الكلمة ، أنه لما استحوذ بنو أمية على الملك « قام الأمر منذ يومئذ على قوة العصبية والغلَبْ وتصدع البناء الإسلامى الذى كان قد أقيم على (الشورى والعدل) ، وكذلك أخذ داء التفرق الدينى والسياسى (لا اليأس كما نشر خطأ) يدب فى جسم الأمة الإسلامية حتى أنهك قواها وأذهب ريحها » .

ولقد كنا سكتنا عن تصحيح هذه اللفظة لأن السياق كما ترى يدل عليها ، وفطنة قارئ الرسالة المثقف لا تلبث أن تلمحها وتنفذ إليها

محمود أبو رية

هل الأنصار من قريش ؟

ستشغل المكتبة العربية حيناً من الدهر بالكتابين الكريمين اللذين أخرجهما أخيراً الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . ففى كليهما اتجاهات فذة تفصح عن نواحى العظمة فى أستاذنا الجليل

ولقد أجمع النقاد على إكبار عبقرية محمد ، ولم يكن حظ عبقرية عمر من الإجلال والتقدير بأقل من حظ الأول

على أننا فى قراءتنا لعبقرية عمر بالصفحة ٣١٩ استوقف نظرنا قول المؤلف فى صدد النزاع الذى نجم على الخلافة عقب موت الرسول ما نصه :

« فالأنصار يقولون إنهم أحق بالخلافة من المهاجرين لأنهم كثرة والمهاجرون قلة ، ولأنهم فى ديارهم والمهاجرون طارئون عليهم ، ولأنهم جميعاً من قريش ولهم فضل التأييد والإيواء »

والعبارة على هـذه الصورة توهم أن الأنصار من قريش وهم بالطبع ليسوا كذلك

(المنصورة) خالد عبد المنعم

حكم فى القضية ١١١١ عسكرية المنيا سنة ٩٤٢ بجلسة ١١ـ١١ـ٩٤٢ بحبس طه مناع ثلاثة شهور شغل وحبس هلال أحمد ثلاثة شهور شغل وجلده عشر جلدات لبيعهما خشب وقود بأزيد من التسعيرة ببندر المنيا

حكم فى الجنحة العسكرية ١١٣٦ المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس محمد طرخان حماد أربعة شهور شغل وغلق المحل ستة أيام بجلسة ١٨ نوفبر سنة ١٩٤٢ لبيعه خبزاً بأزيد من التسعيرة بالفشن

حكم فى الجنحة العسكرية ١١٦٢ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ١١ ـ ١ سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الحى محمد من الفاروقية ثلاثة شهور شغل لبيعه ذرة بأزيد من التسعيرة

فهرس موضوعات السنة العاشرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)